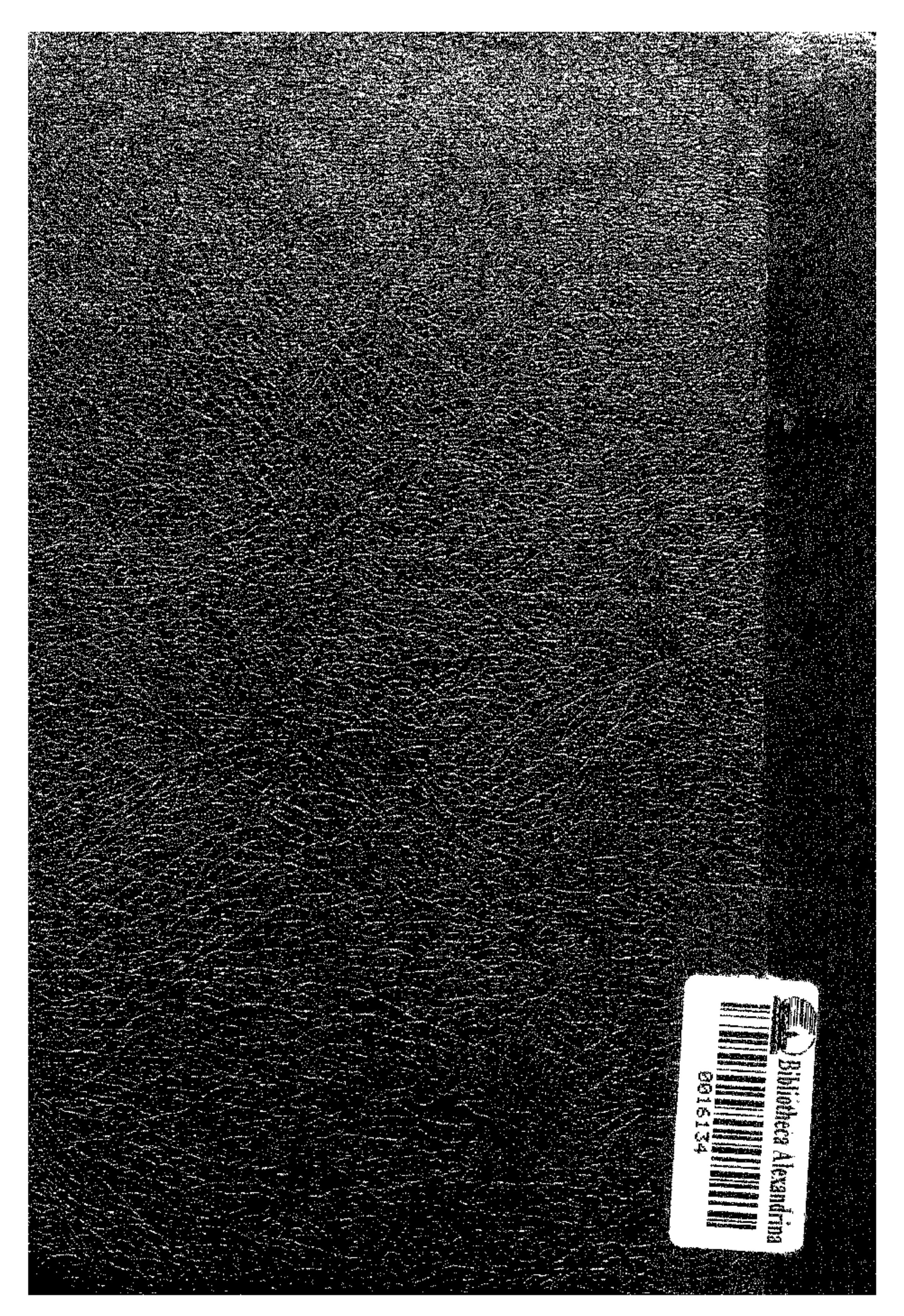

Bibliotheca Alexandrina
0016134

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب . ١٣٠٤ — القاهرة

 ١٠/٣٢٢ ط ٨٠/١ (أ) ٥.—٥ رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٨٠.
والرقم الدولى ٢-١٩-٧٣١١/٩٧٧

طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

# تمهيد

المدخل إلى العهد الجديد كتاب لازم لكل من يرغب أن يتفهم كلمة الله ويدرسها دراسة واعية سواء أكان الدارس متخصصاً ( كالخادم وطلبة اللاهوت ) أو علمانياً يريد أن يتعمق فى درس الكتاب .

كتب هذا الكتاب أستاذ متخصص فى دراسات العهد الجديد فتناوله بأسلوب يجمع بين دقة العلم ويسر الفهم . فهو لا يتحدث برطانة العلماء ولا ينزل إلى البسيط المألوف ، لكنه يقدم لنا دراسة جديدة متكاملة للعهد الجديد كله .

والكتاب يناقش مصادر العهد الجديد ومخطوطاته بالشرح والتحليل كما يقدم لكل سفر على حدة بدراسة تمهيدية تشرح سبب كتابته والمشاكل التى تعرض لها .

وهو يقسم العهد الجديد أقساماً بحسب الكاتبين ليبين تسلسل الفكرة والأسلوب من سفر لآخر . نأمل أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل الدارسين وللكنيسة العامة . كما نأمل أن نلحقه بدراسات أخرى عميقة تثرى المكتبة العربية .

دار الثقافة المسيحية

# فى هذا الكتاب

# مقـــــدمة

نبت هذا الكتاب فى الفصل. والجزء الأول كله يكون مجموعة المحاضرات التى تلقى لطلبة كلية اللاهوت الإنجيلية فى دراسة مقدمات العهد الجديد . ولقد أكمل الكتاب كله لهذا الغرض نفسه أى ليكون ما نسميه « بالكتاب المدرس » لهذا العلم » . ومع ذلك فلم يكن الهدف الأساسى له أن يعيش بين جدران الكلية ، بل قصد به أن يكون مدخلا إلى دراسة جادة متسعة فى العهد الجديد ، لعله يكون نافعاً لكل مسيحى سواء أكان فى حقل الخدمة أو خارجها . وأود أن أذكر هنا بعض الأمور التى كانت نصب عينى فى كتابة هذا الكتاب .

١ – مما تمتاز به المراجع العلمية الحواشى الكثيرة التى تجلو بعض الأفكار الجانبية أو تذكر اسم المرجع الذى يؤيد الفكرة أو يعارضها . وقد رأيت أن أستغنى عن هذه الحواشى لأنها قد تشير إلى بعض المراجع الغير موجودة فى المكتبة العربية عندنا ولأنى أردت ألا أتشعب إلى أفكار جانبية كثيرة ووضعت فى النص ما أردت أن أقوله . ومع ذلك فقد وضعت بأسماء المراجع التى استخدمتها فى الدراسة لكل من يريد أن يتوسع فى موضوع ما ، عالماً أن معظم هذه المراجع لا توجد إلا فى مكتبة كليات اللاهوت .

٢ – لم أرد أن يقتصر الكتاب على مقدمات خاصة لأسفار العهد الجديد وكفى ، بل كان الهدف أن يعطى القارئ فكرة متكاملة عن البيئة التى ولد فيها العهد الجديد ، وكيف نما واتسع حتى صار هكذا ، ثم ما هى صلة الأناجيل

بعضها ببعض ، ثم ماذا يقول كل سفر أو ما هي الرسالة التي اعتقد أن كل كاتب يريد أن يقولها – بالروح القدس – لمن كتب إليهم . وبذلك يلم القارئ ولو بصورة مبدأية بما يحتويه العهد الجديد والخلفية والرسالة لكل كتاب فيه . ومع ذلك فالكتاب لا يدعى أنه ألم برسالة العهد الجديد ، فماذا يكون دلو مملوء بالماء من محيط هائل !

٣ – في معرض الدراسة جاءت أفكار ونظريات يظن كثيرون منا أنها ليست ضرورية : مثل « قضية الأناجيل الثلاثة الأول » وكم رسالة كتب الرسول بولس » وغير ذلك ، لكني أعتقد أن الوقت قد جاء ليعرف القارئ المسيحي المصري ، كيف يدرس العلماء في الخارج الكتاب المقدس . إن هذه النظريات تأتينا الآن من الخارج عن طريق قنوات أخرى وبكيفية لا تخدم الغرض الذي من أجله ندرس المقدمات ، فلماذا لا ندرسها نحن في كلياتنا ، ولماذا لا نفهمها عن طريق من يتمسكون بالكتاب المقدس ككتاب الله ؟ لماذا نخشى من هذه الدراسات الحديثة ؟ إن الأساس الأكمل للايمان المسيحي هو المسيح نفسه ، والكتاب المقدس هو شهادة له ، ونحن نريد أن الجميع يقرأونه سواء بقصد الهجوم أو المعرفة لأن الكتاب المقدس لا يحتوى على كلمات مطبوعة بل هو شهادة حية . . إنجيل . . فيه يأتي المسيح مواجهاً للشخص . فسواء أكانت رسالة العبرانيين من قلم الرسول بولس أم من قلم غيره ، ففيها أواجه سيدى ليدور حوار بيني وبينه يتكلم لي وأنا أصغى له ، وفى هذا الحوار أنسى كل شيء عن الكاتب أو أسلوب كتابته ، ولا يكون في هذا الموقف إلا المسيح وحده ونحن في حضرته .

لا تخشوا على الكتاب المقدس ولا تخافوا من أى هجوم فنحن لا نعبد كتاب ولكننا نعبد السيد الموجود بين دفتي هذا الكتاب ، هو الذى يعطى للكلمات تأثيرها وعملها فصبح إنجيلا . . بشارة « كارجما » .

٤ — رجائى من القارئ أن يكون الكتاب المقدس فى يديه عندما يقرأ هذا الكتاب ، لأنى لم أستطع أن أكتب كل الشواهد الكتابية حتى لا يزداد حجم الكتاب أكثر ، وحتى يشترك القارئ فى دراسة الكتاب المقدس نفسه فيكتشف لنفسه أعماقاً لم يستطع أن يأخذها من هذا الكتاب .

والإله الذى هو مركز الكتاب المقدس وحياته يعطى نعمة لجميعنا حتى نفهم كلمته يوماً فيوماً فننمو فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

المــؤلف

# الباب الأول

# مقدمة عامة

إن دراسة العهد الجديد تستلزم دراسة الفترة التى سبقت عصر كتابة كتبه . فالعهد الجديد لا يرتبط بكتب العهد القديم فقط ، بل يتصل أيضاً وبطريقة مباشرة بالفترة التى تقع بين عصرى العهدين . ويقدرها العلماء بما لايقل عن ٣٠٠ سنة ويطلقون عليها اسم «مابين العهدين». فهناك أشياء كثيرة واضحة فى العهد الجديد عامة والأناجيل خاصة لا ذكر ولا وجود لها فى العهد القديم ، ولكنها بدأت تظهر وتؤثر فى مجريات الأمور فى هذه الفترة التى تعنينا الآن — وهى فترة « ما بين العهدين » مثال ذلك الأحزاب اليهودية كالفريسيين والصدوقيين والغيورين . فدراسة العهد الجديد تتطلب الوقوف على الحوادث السياسية والتغيرات الاجتماعية من دينية وثقافية وغيرها التى حدثت فى تلك الفترة .

ومع أن السيد المسيح وكنيسته الأولى نبتت فى بيئة يهودية إلا أن الكنيسة انتشرت بسرعة بالغة بين الأمم ووقفت وجهاً لوجه مع الثقافة الهلينية التى غزت العالم كله ولهذا لزم أن ندرس أيضاً صلة العهد الجديد بالثقافة الهلينية .

# الفصل الأول

# الخلفية اليهودية

١ — الحالة السياسية .

٢ — الأحزاب اليهودية .

٣ — عناصر التفكير الديني اليهودي .

## ١ ــ الحالة السياسية

كان الحدث العظيم الذي أوجد تغييراً اجتماعياً هائلاً في عصر ما بين العهدين هو ظهور الإسكندر المقدوني . فبمجيئه ظهر مفهوم جديد في معنى وتكوين الامبراطورية العالمية يختلف كثيراً عما فهمه المصريون والأشوريون والفرس منها . فالامبراطوريات التي سبقت هذا الفاتح العظيم كانت تبنى أولا وقبل كل شيء على السيف والقتال والجيوش الجرارة ثم دفع الضرائب الباهظة والهدايا الثمينة ، أما الاسكندر الأكبر فقد فعل شيئاً آخر أعطاه اسماً يفوق أسماء الحكام والفاتحين الذين سبقوه .

ولسنا الآن في مجال تعداد فتوحاته ووصفه كقائد معجزة ، إذ أن سرعته في اكتساح العالم القديم عندما غزا أسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر ثم هزم داريوس في موقعتين هامتين أدتا إلى سقوط دولة الفرس ، ثم سار إلى الجنوب الشرقي حتى وصل إلى حدود الهند تقريباً . هذا كله يشهد بكفاءته النادرة كقائد حربي محنك .

وقد امتاز الاسكندر عن جميع من سبقوه من قادة عسكريين أنه لم يكون امبراطورية سياسية وعسكرية فقط . بل أقام امبراطورية ثقافية بقيت طويلاً جداً بعد زوال الامبراطورية العسكرية . . فقد كان هذا الرجل يحب ثقافته اليونانية ولغته فأخذ يزرعها وينشرها أينما حل ، وجعل من آداب اليونانية وثقافتها ولغتها رباطاً قوياً يربط به أجزاء امبراطوريته ، وبذلك ربط العالم فى وحدة ثقافية أدبية مهدت السبيل لانتشار المسيحية التى جاءت لكل لغة وعصر وأمة ودين . .

مات الاسكندر صغير السن ، وتكالب قادة جيشه على التركة الواسعة ، فانقسمت الامبراطورية إلى أربعة أقسام ، لا يعنينا منها إلا قسمان اثنان : الأول مصر وجاءت من نصيب بطليموس الذى أسس أسرة البطالسة أو البطالمة فى مصر ، ثم سيلقوس الذى أسس حكم السلوقيين فى سوريا وإيران . أما فلسطين فقد جاءت من نصيب البطالمة أولا ثم السلوقيين وظلت تتأرجح بين الإثنين حتى جاءت ثورة المكابيين كما سنعرف فيما بعد .

**١ – اليهود تحت ظل الحكم المصرى :**

كان أول من استولى على فلسطين من البطالمة هو بطليموس الأول « أو بطليموس لايجى » فى سنة ٣٠١ م حين انتصر الجنرالات الثلاثة على الجنرال الرابع « انتيجونوس » الذى أراد أن يتشبه بالاسكندر ، فى موقعة أبسوس استولى بطليموس الأول عليها . ثم استمرت تحت حكمهم لمدة قرن من الزمان تقريباً دون أن تخرج عن سيطرتهم وكانت حالة اليهود فى هذه الفترة مجهولة فلا يعرف عنها إلا القليل » ولعل ذلك يرجع إلى أن البطالمة لم يحدثوا تغييراً كبيراً فى نظام الحكم والإدارة اللذين كانا سائدين تحت حكم الفرس ، ولهذا فلم تحدث أزمات أو تغييرات شاملة تستحق التسجيل التاريخى.

أما فى مصر فقد كانت هناك جالية يهودية كبيرة تقطن فى كثير من مدنها وخاصة مدينة الإسكندرية . وعندما رجع بطليموس لاجئ من حملته التى استولى فيها على فلسطين أحضر معه أعداداً كبيرة منهم ، وأسكنهم الإسكندرية . ولهذا فقد أصبحت هذه المدينة يهودية فى شكلها . ولكن اليهود لم يبقوا فى ثقافتهم الشرقية بل تأثروا كثيراً بالثقافة اليونانية وتبنوها ، وأضحت اللغة اليونانية هى اللغة التى يتخاطبون بها .

ومع ذلك فلم ينسوا كتبهم المقدسة فقاموا بأعظم عمل عملوه وهو ترجمة العهد القديم وكتب الأبوكريفا من لغتها العبرية إلى اليونانية ، وهذه الترجمة هى ما تسمى « بالترجمة السبعينية » . ولا يمكن معرفة الدوافع الأصلية لهذه الترجمة ، ولا متى بدأت أو متى انتهت ، وانتشرت بخصوصها بعض الأساطير وكان من أهمها تلك التى بنيت على خطاب اسمه « خطاب أرسيتاس » ومفاده أن يدمتريوس ، رئيس مكتبة الإسكندرية ، صور لبطليموس فلادلفيوس المكاسب الضخمة التى يجنيها إذا ترجم الكتب العبرية ، وعرف القوانين اليهودية . فوافق الملك وطلب من رئيس الكهنة اليهودى فى فلسطين أن يرسل جماعة من علماء اليهود : فأرسل ستة شيوخ من كل سبط ، ثم ذهبوا إلى الإسكندرية ومن هناك أرسلهم إلى جزيرة ، ووضعهم منفصلين ليترجموا الكتب ، فترجمها كل فريق منهم فى ٧٢ يوماً ، وجاءت الترجمات متطابقة ، بعضها مع البعض تمام المطابقة ومن هنا نشأ اسمها « السبعينية » . ولعل هذه الأسطورة نشأت لكى تظهر أن هذه الترجمة لها قوة الأصل العبرى وسلطانه ؛ وقد أدت السبعينية خدمة جليلة فى فتح الباب بين الأمم واليهود وعملت على إعداد الطريق للمسيحية .

## ٢ – اليهود تحت حكم السلوقيين :

لم يهدأ بال السلوقيين عن فتح فلسطين ، فقد حاول أنطيوخس أن يغزو جنوب غرب سوريا ثم فلسطين وكاد ينجح في غزوات متتالية بين سنتي ٢٢١ – ٢١٧ ، لكنه انهزم أمام جيوش بطليموس فيلوبيتر في ربيع ٢١٧ ق. م. ولم يسكت بل عاود المحاولة مرة أخرى بعد موت بطليموس فيلوبيتر ( الرابع ) وبعد عدة معارك تمكن من الاستيلاء على فلسطين بعد موقعة بانيوم Panium ؛ ودخل إلى أورشليم سنة ١٩٨ ق. م. ورحب به اليهود كمخلص لهم من حكم المصريين .

ولكن اليهود كانوا مخطئين ، فقد كان حكم البطالمة حكماً متسامحاً ، إذ سمح لهم بالقيام بشعائرهم الدينية وعباداتهم ، ولكن ما أن حكمهم السلوقيون حتى بدأوا حملة قاسية لكي ينشروا بينهم الثقافة اليونانية ويجبرونهم على تبني ديانة الأمم . وحدث ذلك بالكيفية التالية :

عندما انتصر أنطيوخوس واستقبله اليهود بفرح قام هذا برد جميلهم ، إذ بدأ معهم حكماً متسامحاً جداً . فدعا اللاجئين للعودة إلى بلادهم وترك للبلاد الضرائب المتأخرة لمدة ٣ سنوات ، وخفف عنهم عبء الضرائب وساعد في ترميم الهيكل على حساب الدولة وفرح اليهود فرحاً عظيماً .

ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد كانت هناك عوامل أخرى داخلية وخارجية تعمل بقوة على خلخلة المجتمع اليهودي ، أقساها جميعاً هو انتشار الثقافة الهلينية في كل العالم المتحضر في ذلك الوقت . فقد انتشرت ، نتيجة للخطة المنظمة التي وضعها الإسكندر المقدوني أثناء فتوحاته ، الثقافة اليونانية وظهرت مقاطعات ومدن بأكملها في مصر وسوريا وعبر الأردن وغيرها تحيا الحياة اليونانية وتفكر نفس تفكيرها ، وزاد في هذا الانتشار الهجرة

الواسعة التى حدثت من بلاد اليونان إلى غيرها من البلدان ، والزيجات العديدة التى عقدها الإسكندر بين ضباطه وجنوده وبين بنات الشرق . وعمت اللغة وطرق الحياة اليونانية فى تلك البلاد بشكل منظم عميق .

ولم يكن اليهود بمنأى عن هذه التأثيرات . فقد تأثر يهود الشتات إلى حد كبير بهذه العوامل القوية ، وكان للإسكندرية وهى المركز الأعظم للثقافة الهلينية ضلع كبير فى تثقيف اليهود الذين فيها ، فتبنوا كثيراً من العادات الهلينية وتسموا بأسماء يونانية ، وقام منهم مفكرون عظام كان لهم أثر كبير فى المحيط اليهودى مثل فيلو وأرتسبلوس . ولكن هذا الأمر لم يقتصر على يهود الشتات بل تعداه إلى يهود فلسطين أنفسهم ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا هذا التيار . نعم كان هناك من لم يتزحزح قيد أنملة عن تراثه الثقافى اليهودى ، ولكن كان هناك أيضاً من تأثر بالعدوى الهلينية إما عن طريق التقليد والمحاراة أو عن طريق يهود الشتات الذين كانوا يأتون إلى أورشليم فى وقت الأعياد حاملين معهم بذور هذه الثقافة الغريبة .

وبسبب ذلك انشق المجتمع اليهودى إلى قسمين : قسم يحافظ على التراث اليهودى مهما كان الثمن ، حتى ولو أدى إلى بذل الحياة نفسها ، وقسم آخر شعر بأنهم جماعة صغيرة أضعف من أن تقاوم تيار الهلينية الضخم فارتموا فى أحضانها ، ومن هنا بدأ الصراع العنيف فى اليهودية بين الثقافتين ، تماماً كما كان الصراع العنيف قائماً بين عبادة يهوه وعبادة الأوثان قبل السبى .

ولعل أبرز اثنين يمثلان الثقافتين المتصارعتين : أونياس الثالث رئيس الكهنة فى عهد أنطيوخوس الرابع ثم أخوه ياسون وكان الأول يمثل اليهود المحافظين المتعصبين لشريعتهم ، وكان الثانى متمسكاً بالثقافة اليونانية بكل ما تعنى هذه الثقافة .

الصراع فى ذروته : عندما احتل أنطيوخوس الثالث فلسطين وشعر بالقوة والسطوة جرد حملة ليحارب روما — القوة الفتية الجديدة — تحت إغراء وتحريض هانيبال ، القائد القرطاجنى ، الذى هرب بعد هزيمته إلى الشرق . وغزت جيوش أنطيوخوس الثالث اليونان ولكنه ارتد على أعقابه عندما هزمته قوات روما وأجبرته على توقيع صلح مخزى سلم فيه أسطوله وأفياله وابنه الصغير أنطيوخوس رهينة لدفع ضريبة . ولم تطل حياته بعد هزيمته فقتل سنة ١٨٧ م ( دانيال ١١ : ١٩ ) .

وخلفه ابنه سليوقس الرابع ( ١٨٧ — ١٧٥ ق. م . ) . واختلف سليوقس الرابع مع أونياس رئيس الكهنة ، فذهب أونياس إليه لكى يعمل صلحاً ، ولكن سليوقس قتل قبل الصلح وخلفه أخوه انطيوخوس الرابع أو انطيوخوس أبيفانس ( ١٧٥ — ١٦٣ ق. م. ) .

كان أول ما عمله أنطيوخوس أبيفانس هو عزل أونياس من رئاسة الكهنوت ووضع ياسون الذى وعده بأن يدفع له جزية أضخم وأثمن عوضاً عنه ، وقد ضرب أنطيوخوس بذلك عصفورين بحجر واحد ، إذ أخذ مالاً أوفر ، ثم دفع إلى السلطة شخصاً محباً للثقافة اليونانية حاول كل جهده أن يدخل عادات اليونانيين وتقاليدهم وألعابهم الرياضية ومسارحهم إلى اليهودية ( ٢ مكابين ٤ : ٧ — ٩ ) .

ولكن ياسون لم يبق طويلاً فى الكهنوت ، فلم يستمر سوى ثلاث سنوات ثم قام بينه وبين أحد أتباعه ومساعديه خلاف كبير . وكان هذا الرجل الجديد يسمى مينلاوس الذى أسرع وذهب إلى أبيفانس وطلب منه أن يوليه رئاسة الكهنوت . فاستجاب له وأعطاه الوظيفة رغم أنه كان من سبط بنيامين فأثار ذلك حفيظة كل اللاويين محافظين كانوا أو متحررين ، ولكنهم لم

يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً فى ذلك الوقت ، فهرب ياسون إلى عبر الأردن (٢ مكابين ٤ : ٢٣ — ٢٦ ) . أما مينلاوس فقد طلب منه أن يدفع جزية أكبر ولكنه عجز ، فحاول أن يسرق الهيكل . فعارضه أونياس الذى قيل إنه كان فى أنطاكية ولكن مينلاوس عمل على قتله وقتله ( ٢ مكا ٤ : ٢٧ — ٣٨ ) واستمرت الأمور تسير من سئ إلى أسوأ إلى أن راجت إشاعة أن أنطيوخوس « أبيفانس » قد مات فى حملة قادها ضد مصر ، وعند هذا هجم ياسون بقوة قوامها ألف رجل واستولى على أورشليم ثم أجبر مينلاوس على الالتجاء إلى الحصن . وأخذ ياسون يعمل بجنون فى القتل والاضطهاد ، حتى فاجأه أنطيوخوس عائداً من مصر ، فحطم قوته وأجبره على الفرار . واعتبر أنطيوخوس أن هذا العمل ثورة ضد حكمه ، فانتقم من اليهود ونهب الهيكل وأرجع مينلاوس إلى مركزه فى رئاسة الكهنوت ، ولكن الأزمة بلغت القمة سنة ١٦٨ ق. م . حين غزا أبيفانس مصر مرة أخرى واستولى على ممفيس ، ولكنه عندما توجه إلى الإسكندرية وصلته رسالة من مجلس شيوخ روما هى عبارة عن أمر حازم له بالخروج من مصر فوراً ، ولم يجد أنطيوخوس بدأ من الخضوع لهذا الأمر القاسى فرجع فى غيظ ( دانيال ١١ : ٢٩ ) . وفى رجوعه بلغته أخبار من أورشليم أن الناس هناك يترقبون الفرصة للانقضاض على حكمه وعلى عملائه ، فما كان منه إلا أن أرسل قائده إليها ، فدخلها فى مكر وخديعة ، واستدار على الناس الآمنين وقتل الكثيرين منهم ، وهدم جزءاً كبيراً من المدينة ، وبنى فيها قلعة أقام فيها صورة لأبيفانس . ثم أصدر أمراً مشدداً قاسياً بإبطال كل مراسيم وطقوس العبادة اليهودية . فأبطلت الذبيحة والسبت والأعياد والختان، وكان عقاب كل من يخالف ذلك الموت . وختم كل هذا بإقامة تمثال لزيوس فى الهيكل سنة ١٦٧ق.م وقدم عليه خنزيراً،

ذبيحة ، مما جعله نجساً ، وهذا ما أطلق عليه دانيال « رجسة الفساد » وأجبر اليهود على عبادة باخوس وغيره من الآلهة اليونانيين .

**المكابيين :**

كان رد الفعل عند اليهود غير موحد إذ اختلف من جماعة إلى أخرى ، فبينما قبل اليهود المثقفون بالثقافة اليونانية كل هذه الأوامر والقوانين ، رفضها اليهود المحافظون بكل شدة ، غير مبالين بأية تضحية مهما كانت ثقيلة . وكان أنطيوخوس يعتبر أن كل مخالفة لأوامره موجهة إليه شخصياً ، فاشتط فى الاضطهاد والقسوة ، وظن — وكان مخطئاً فى ذلك — أنه يستطيع فى وقت قصير أن يتغلب على كل مواجهة وعناد وقد حدث يوماً دعا ضابط سورى واحداً من كهنة إحدى القرى واسمها مودين أن يقدم ذبيحة للوثن ، ولكنه رفض فى عناد وإصرار ، فما كان من أحد اليهود المذعورين إلا أن تقدم بنفسه لكى يقدم الذبيحة ، ولكن الكاهن العجوز — وكان اسمه متياوس وقد التهب بالغيظ ، تقدم إلى الأمام وقتل هذا الرجل اليهودى وقتل الضابط السورى الذى كان يأمرهم بتقديم الذبيحة ، ثم تقدم مع أبنائه الخمسة وهدموا المذبح الوثنى ثم هربوا معاً إلى الجبال ، ومن ذلك الوقت بدأت ثورة المكابيين .

ولقد اتخذت ثورة المكابيين طابع حرب العصابات أولا ، فقد انضم إليهم كثيرون من الذين كانوا يسمون « الحسديم » أو الأتقياء ، ثم أخذوا يغيرون على المدن والقرى ، يقتلون أتباع أنطيوخوس واليهود المتشيعين له ، ويهدمون مذابح الوثن ويختنون الأطفال بالقوة . وعندما أراد السوريون أن يستفيدوا من شريعة تقديس السبت ليقتلوا الكثيرين منهم ، أفتى متياوس بجواز الحرب الدفاعية يوم السبت .

### يهوذا الميكابي :

وبعد بضعة شهور مات ميتاوس سنة ١٦٦ ق. م. ، وأوصى بأن يخلفه في قيادة القوات ابنه الثالث واسمه يهوذا المكابي أو « يهوذا المطرقة » الذي كان رجلا شجاعاً مقتدراً ، فحول حرب العصابات هذه إلى حرب مقدسة شاملة للاستقلال . أما أنطيوخوس فقد ظنهم أولا عصابات ضعيفة سرعان ما يتغلب عساكره عليهم ، ولذلك لم يرسل إليهم إلا جنوده وضباطه الأصاغر ، أما بقية قواته فقد وجهها لإخماد ثورة أخرى في الشرق . ولكنه كان أيضاً مخطئاً ، فعندما أرسل أحد قادته الكبار ليؤدب يهوذا المكابي قابله هذا وهزمه وقتله ، ثم هزم جيشاً آخر مما جعل كثيرين من اليهود يتشجعون ويرفعون راية العصيان وينضمون إلى قوات المكابيين . وأخيراً طلب أنطيوخوس من ليسياس أحد رجاله الأقوياء أن يتكفل بإخماد هذه الثورة ، ولكن يهوذا هزمه في موقعة عمواس ، ثم انتصر عليه نصرة ساحقة في معركة أخرى « بيت زور » . وكانت هذه انتصارات معجزية مذهلة .

بعد ذلك تقدم يهوذا المكابي إلى أورشليم وحاصر السوريين في قلعتهم ، ثم تقدم إلى الهيكل وطهره من مذابح الوثن ومن الذبائح النجسة ، وأقام الأعياد وأرجع السبت ، ومن ذلك الوقت بدأ عيد جديد اسمه عيد التجديد سنة ١٦٥ ق. م ، ثم عمل مع ليبياس القائد السوري معاهدة بمقتضاها تخلي القلعة من الأسلحة على أن يعطي لليهود الحرية الدينية ، وأن يخلع مينلاوس رئيس الكهنة ويأخذ منصبه الياقيم . ومع أن يهوذا لم يرض بهذه المعاهدة لكن مجمع اليهود المقدس قبلها دون رضاه فما كان منه إلا أن ترك أورشليم إلى الجبال وتبعه كل مخلص له . وتحققت مخاوفه وتعجرف الياقيم وقتل كثيرين من اليهود وطلب معونة ، السوريين وأراد أن يقتل يهوذا ولكن يهوذا هزمه بعد أن دفع حياته ثمناً لهذا الانتصار .

**يوناثان المكابى:**

بعد أن مات يهوذا هرب اخوته الثلاثة : سمعان ، يوناثان ، يوحنا إلى عبر الأردن وتبعهم مئات من المكابيين ، وصار يوناثان قائداً للجماعة ، وقد حاول السوريون أن يهزموهم ولكنهم فشلوا .

أما يوناثان فقد انتصر أخيراً ، لا بالقوة بل بالسياسة . فقد حاول أحدهم أن يغتصب عرش سوريا من وارثه الشرعى ، ونشبت الحرب بينهما وأراد كل منهما أن يستنجد باليهود لا عن طريق الياقيم رئيس الكهنة بل عن طريق يوناثان الذى لعب دوره الدبلوماسى البارع ، ودخل أورشليم وطرد الياقيم وصار هو رئيس الكهنة . ولقد حاولت روما عدوة سوريا أن تتقرب من اليهود ولكن رد الفعل اليهودى لم يكن مشجعاً .

وأخيراً مات يوناثان مقتولا بعد أن بدأ الانتعاش يدب فى أنحاء البلاد فخلفه أخوه سمعان فى رئاسة الكهنوت .

**سمعان :**

كان سمعان رجلا دبلوماسياً تمكن من اقتناص فرصة انقسام السوريين بعضهم ضد البعض وناصر أحد المتنازعين ، فما كان منه إلا أن منح اليهود الاستقلال التام ورفع كل الضرائب عنهم . ثم تمكن سمعان أيضاً من تحرير القلعة السورية وبعض المدن المحتلة .

واعترافاً بهذا الجميل قرر مجمع اليهود اعتبار الكهنوت شرعياً فى بيت المكابيين .

وفى سنة ١٣٤ ق. م قتل سمعان المكابى ــ هو واثنان من أبنائه ــ وخلفه ابنه الثالث يوحنا هيركانس .

## يوحنا هيركانس :

انتهى عصر البطولات الحربية للتحرير الديني بعد أن مات سمعان المكابي آخر أبناء ميتاوس ، وبدأ عصر السياسة بمجيء هيركانس . ففي أول حكمه هادنته سوريا على شريطة أن يترك لها بعض المدن الساحلية ففعل ، وبذلك تمكن من سحق الحزب الهليني المعارض في فلسطين ، وأضحى هو القوة الوحيدة المعترف بها . وفي نفس الوقت لم يكتف بما كان يريده المحافظون أو الهسيديم من نوال الحرية الدينية فقط دون داع للتضحيات من أجل الحرية السياسية ، بل أراد الاستقلال والنجاح الكامل سياسياً ودينياً . وفي عهده بدأت تتبلور هذه الفئات في أحزاب ، فجماعة المتأثرين بالثقافة اليونانية بدأوا يتبلورون في حزب الصدوقيين ، وكان الأتقياء أو الهسيديم هم أساس جماعتي الفريسيين والإيسنيين .

أما يوحنا هيركانس فقد أراد أن يوسع تخومه ، فتمكن من فتح بعض المدن الساحلية التي أخذتها سوريا في أول حكمه . ثم فتح طريقين للتجارة الخارجية إحداهما مع مصر ، ويمر بأدومية التي غزاها وأجبر أهلها على الختان ، ثم استولى على السامرة وهدم هيكل جرزيم ، ومع ذلك فلم يتمكن هيركانس من التقرب إلى الفريسيين ، بل مال إلى جانب الصدوقيين ، وهم الحزب الذي كان يميل بطبعه إلى الثقافة اليونانية ، وأضحوا الطبقة الارستقراطية في البلاد . ثم مات سنة ١٠٤ ق. م بعد أن قضى حياة مستقيمة قوية متمسكاً بالشرف .

## أرستوبولس :

بعد هيركانس تولى ابنه الأكبر ، ثاسة الكهنوت ، وكان قاسياً دكتاتوراً

فسجن أخويه وقتل الثالث . واستمر هو فى سياسة الفتح والتوسع . واستولى على الجليل ولكنه لم يدم طويلا فمات بعد سنة واحدة من ملكه .

**اسكندر جانوس : ( ١٠٣ – ٧٦ ق. م )**

استمر أيضاً فى سياسة التوسع على الساحل شمالا وجنوباً ثم فى عبر الأردن ، اهتم كذلك بالنقش وصك الصور على النقود . ولكن أهم عملين قام بهما جانوس هما أولا تحويل معظم البلاد التى فتحها إلى الديانة اليهودية مثل أدومية والجليل ، ولكن السامرة قاومت هذا الاتجاه . أما العمل الثانى فهو تشجيع العداء المستحكم الذى وصل إلى الحرب الأهلية بينه وبين الفريسيين . فقد عاملهم بكل احتقار ، واستحكمت الأزمة بينهم فاستنجد الفريسيون بالسوريين فهرب جانوس إلى الجبال ، فلما رأى الفريسيون ذلك ظنوا أنه قد عوقب بما فيه الكفاية فتركوا جيش السوريين وانضموا إليه ولكنه مع ذلك لم يغفر لهم فصلب منهم ٨٠٠ فريسياً ويقال إنهم فى عهده هربوا هم والأيسينيين إلى الجبال . ويذكر التقليد أنه تاب على فراش موته وطلب من زوجته أن تعوضهم عن كل مضايقاته لهم . وأن تطرد مستشاريه من الصدوقيين .

**الكسندرا :**

تولت اسكندرا الملك بعد زوجها الثانى جانوس وقد كانت متزوجة قبلا من أخيه أرستوبولس ، وكانت تبلغ من العمر سبعين سنة ، ولما كانت امرأة فلم يكن يسمح لها بأن تكون رئيساً للكهنة ، فما كان منها إلا أن وضعت ابنها الأكبر هيركانوس فى رئاسة الكهنوت ، والأصغر أرستوبولس فى رئاسة الجيش ، وكان أخوها زعيما لحزب الفريسيين .

ولقد حصل الفريسيون فى عهدها على امتيازات كثيرة ، وقاوموا بإصلاحات جمة كتعليم الشعب ، ولكنهم مع ذلك لم ينسوا ما لاقوه من الصدوقيين من قسوة ومرارة ، فانتقموا لأنفسهم منهم ، فلم يكن أمام الصدوقيين سوى أن يلجأوا إلى ، أرستوبولس الابن الأصغر وقائد الجيش ، وبهذا العمل انقسم بيت المكابيين إلى قسمين : أحدهما هيركانوس رئيس الكهنة ويؤيده الفريسيون والثانى أرستوبولس قائد الجيش ويؤيده الصدوقيون.

نهاية المكابيين :

بعد موت الكسندرا تولى هيركانوس الابن الأكبر ورئيس الكهنة الحكم ولكن أخاه أرستوبولس قاد جيشاً من الصدوقيين ضد أورشليم ، فاستسلم هذا وسلم أخاه مقاليد السلطة وهرب هو إلى العربية . ولكن السلام لم يدم طويلا إذ انتهز انتيبتر ملك العربية الفرصة ليحقق أحلامه فأغرى هيركانوس على مهاجمة أورشليم ووعده بجيش عربى فتقدم هذا وباغت أخاه فى أورشليم ولكن أرستبولس حصن نفسه فى أورشليم . وبدأ الحصار الطويل .

ولكن عنصراً جديداً تدخل فى المشكلة وكان هذا العنصر هو روما نفسها ، إذ كان بومباى فى الشرق ليبنى امبراطورية روما العظيمة . وانحاز بومباى إلى هيركانس ضد أرستبولس الذى كان يكره روما ، واشتد الحصار على أورشليم ، فاستسلمت ودخل بومباى المدينة ووضع هيركانس فى مركز السلطان . أما أرستبولس فقد أرسله مع ابنه كأسرى حرب إلى روما وهكذا أضحت اليهودية مستعمرة رومانية وفقدت استقلالها الذى دام ٨٠ سنة كاملة . وفى زحمة تلك الحوادث استقلت المدن الساحلية وكونت فيما بينها اتحاداً سمى « ديكابوليس » أو العشر مدن . واقتطعت السامرة والجليل وبيرية من اليهودية .

أما أنتيبتر فقد أراد أن ينتهز الفرصة فخدم مع هيركانس لمدة ٢٠ سنة ، وفى نفس الوقت كان يغير ولائه من حاكم إلى آخر من حكام روما ، حتى تمكن من أن يجعل هيرودس ابنه والياً على اليهودية ، على وعد أن يكون ملكاً فى المستقبل . ولكن قبائل الباديثيين ، الذين لم يكونوا قد خضعوا من قبل ، لروما ، هاجموا أورشليم وطردوا الرومان ووضعوا انتيجونوس بن ارستوبولس فى رئاسة الكهنوت ، وقطعوا أذنى هيركانس لكى لا يصلح للكهنوت مرة أخرى وقتلوا فاسيل . أما هيرودس فقد هرب إلى روما وأخذ من مجلس الشيوخ هناك تصريحاً بقوة رومانية تساعده على استرداد سلطانه فى اليهودية ، فأعطته روما لقب « ملك اليهودية » ورجع إلى أورشليم وقتل أنتوجونوس وأضحى ملكاً على اليهودية .

**هيرودس الكبير :**

رجع هيرودس من روما سنة ٣٧ ق. م واستمر فى حكمه إلى سنة ٤ ق. م وهى السنة التى قيل إن السيد المسيح ولد فيها واشتهر بأنه هو الذى قتل أطفال بيت لحم ليتخلص من المسيح . كان هذا الرجل منحلا وفاسداً تحكمه الغيرة القاسية والشكوك المرة ، فقتل عمه يوسف ، وزوجته مريم المكابية التى كان يحبها ، وابنها وكثيرين غيرهم . عاش على رشوة الأحزاب المتقاتلة فى روما ونقل ولاءه من أنطونيو إلى اكتافيوس .

لكنه مع ذلك كان يحب العمارة فبنى الهيكل — مع أنه لم يكمله — وبنى المدن على الطريقة اليونانية ، إذ أقام فيها المسارح ونوادى الملاعب ، وشجع الشعر فى أنحاء البلاد ، ثم حاول أن يتقرب إلى اليهود ، وخاصة الفريسيين باحترام عقائدهم وطقوسهم ، ولكنهم كرهوه ولم يتجاوبوا معه ، بل انتظروا بفارغ الصبر مجئ المخلص .

وختم هيرودس حياته بأن قتل جماعة من زعماء اليهود . حاولوا أن ينزلوا النسر العظيم الذى وضعه فى مقدمة مبانى الهيكل . وفى فراش مرضه لما علم أن أحداً لن يبكيه حكم بالموت على جماعة أخرى من الزعماء ، فجعل البلاد فى حزن شديد يوم أن ترك هذه الحياة . ومات هيرودس وهو يترك تاريخاً بغيضاً قاسياً .

وبعد موته اقتسم المملكة أبناؤه الثلاثة فيما بينهم : فتولى أرخيلاوس اليهودية والسامرة ، وهيرودس انتيباس الجليل وبيرية ، وفيلبس أقاليم عبر الأردن ، ولكن أرخيلاوس عزل وحكمت روما منطقتى اليهودية والسامرة حكماً مباشراً بواسطة ولاة اسمهم البرولوراتور . أى جباة الضرائب .

**الولاة :**

حكمت روما اليهودية والسامرة حكماً مباشراً لمدة ٣٥ سنة أى من ٦ — ٤١ م بواسطة ولاة ، وكان أهمهم بالنسبة لنا فى هذه الدراسة هو بيلاطس البنطى الذى جلس على كرسى الولاية من ٢٦ — ٣٦ م . وفى عهده صلب يسوع . ومع أن مركز الولاية كان فى قيصرية ، لكن الولاة كانوا ينتقلون إلى أورشليم فى وقت المواسم والأعياد . ولذلك فقد حكم على يسوع وصلب فى أورشليم ، لأنه كان وقت العيد . ولكن الولاة لم ينجحوا فى حكمهم ، وأساءوا كثيراً إلى اليهود فنجم عن ذلك الثورات ، وعظم شأن الغيورين الذين كانوا متحمسين لطرد الرومان من البلاد .

**هيرودس انتيباس : ( ٤ ق . م — ٣٩ م )**

كان حاكماً برتبة Tetrarch ، بمعنى أنه لم يكن ملكاً بمعنى الكلمة بل يمكن أن يسمى أميراً ، فى الجليل ، وبيرية وكان ذكياً كأبيه سماه يسوع الثعلب ( لوقا ١٣ : ٣٢ ) تزوج من ابنة ملك العرب ،

ولكنه رجع فتزوج زوجة أخيه هيروديا فجرت عليه مشاكل عديدة ، فإن اليهود اعتبروه زواجاً غير شرعي . وملك العربية شن عليه حرب عصابات لأنه أهان ابنته ، وأخيراً وقع في مشاجرة مع هيرودس أغريباس أخي زوجته هيروديا ، واتهمه أغريباس بالتآمر على الامبراطور كاليجولا فنفى هيرودس انتيباس . وانضمت مقاطعته إلى أغريباس .

**فيلبس : ( ٤ ق . م — ٣٤ م)**

كان رجلا عادلا محبوباً من رعيته التي تركزت في عبر الأردن تزوج سالومى ابنة هيروديا ؛ وبنى مدينة قيصرية فيلبس ( متى ١٦ : ١٣ ) مات سنة ٣٤ م وأضحت مقاطعته ولاية رومانية لمدة ٣ سنوات ثم أعطيت بعد ذلك لأغريباس . وبهذا أضحى أغريباس ملكاً على كل اليهودية والسامرة والجليل وعبر الأردن أى على كل مملكة جده هيرودس الكبير .

**أغريباس :**

كان أغريباس رجلا محبوباً من الجميع . من اليهود المتعصبين لأن جدته كانت مريم المكابية زوجة هيرودس الكبير ، وأحبه الفريسيون لأنه كان يحافظ على الشريعة ولأنه كان ضد المسيحيين ( أعمال ١٢ ) ، فهو الذى قتل يعقوب وحاول أن يقتل بطرس كما أحبه كاليجولا فوهبه مقاطعة هيرودس انتيباس . واستمر في حكمه إلى أن مات فجأة سنة ٤٤ م . وكان عمره ٥٤ سنة . وبموته تحولت كل مملكته إلى ولاية رومانية .

**الولاة (٤٤—٦٦م) :**

كانوا سبعة ولاة ، من بينهم فيلكس ٥٥ — ٦٠ م فستوس ( ٦٠ — ٦٢ م ) . ولقد كان لفساد البعض كفيلكس ولطغيان البعض

الآخر كطيباريوس اسكندر ، أكبر الأثر فى خلق جو التمرد والثورات فى اليهودية . ولقد بدأت الشرارة الأولى للثورة فى قيصرية حيث كانت تسكنها جالية يهودية كبيرة ، جردت من حقوقها المدنية وعومل أفرادها معاملة شاذة وطردوا من المدينة . ولقد انتهز أحد الولاة واسمه فلوروس هذا الوقت العصيب ونهب الهيكل ، وسرق ثروة كثيرين من وجهاء اليهود ، وقتل كثيرين منهم . ولقد رد اليهود بالمثل ، فصار اليهود والأمم يقتلون بعضهم البعض .

ولما أفلت الزمام من يد فلوروس استنجد بحاكم سوريا الذى جاء على رأس جيش قوامه ٢٣,٠٠٠ رجلا واستولى على الجليل ، ثم تقدم إلى أورشليم ولكن اليهود هزموه وتبعوه إلى بيت حورون وكبدوه خسائر فادحة .

الحرب والنهاية :

عندما رأت روما خطورة الثورة اليهودية أرسلت أعظم قادتها جميعاً فسبسيان على رأس خيرة الجيش الرومانى فاستولى على الأرياف والمدن الصغيرة ثم حاصر أورشليم وتركها فى حالة الضنك والضيق . أما الغيورون بمساعدة ٢٦,٠٠٠ رجل أدومى فاستمروا ممسكين بزمام الأمور . لكن الجوع والأوبئة قضت على الكثيرين منهم . فى صيف ٦٩ م أعلن فسبسيان امبراطوراً فى روما ، فتولى ابنه تيطس قيادة الحصار على أورشليم لمدة أربعة أشهر كاملة حتى حدث فيها ما لا يمكن أن يتخيله إنسان من القتل والجوع ، وأحرق جنوده أسوار المدينة والهيكل ، وبذلك تمت فيهم نبوة المسيح من ٤٠ سنة مضت ، وسقطت المدينة ، ولم تمض ٣ سنوات حتى خضعت كل اليهودية ، وصارت كلها مستعمرة رومانية يحكمها حاكم رومانى بعد أن جرد أهلها من كل حقوقهم المدنية .

فى سنة ١٣٢ م — ١٣٥ م قام اليهود مرة أخرى بثورة تحت زعامة سمعان باركوكبا ولكن الثورة أخمدت بالحديد والنار وطرد اليهود من أورشليم نهائياً ، ولم يسمح لهم بدخولها مرة أخرى ، وبذلك أضحت مدينة أممية . وعند ذلك التاريخ انتهى تاريخ إسرائيل وانتهى ارتباطهم بأورشليم كعاصمة لهم .

## ٢ — الأحزاب اليهودية الكبرى

فى العهد الجديد أسماء لفرق دينية كبيرة لها نشاطها الضخم وتأثيرها على الحياة اليهودية دينياً وسياسياً كالفريسيين والصدوقيين وغيرهما . هؤلاء لم يظهروا فى فترة العهد القديم ولم يأت ذكرهم فى الكتب المقدسة . . ولهذا فلا يسع الدارس إلا أن يرجع إلى هذه الفترة — فترة ما بين العهدين — حتى يعرف شيئاً عن نشأتهم والأسس الفكرية والاجتماعية التى أدت إلى ظهورهم ، كجماعات لها وزنها الكبير فى الحياة العامة . وأهم هذه الفرق ثلاث !

الفريسيون

الصدوقيون

الأيسينيون

### ( أ ) الفـريسيون

معنى لفظة فريسى « منفصل » ولقد اختلف العلماء على أصل وتفسير هذا المعنى . فظن بعضهم أنها تعنى « الذين ينفصلون عن الناس » . وقال آخرون إن فعل الكلمة لا يعنى انفصال بل يعنى « التفسير » أى أنهم هم الذين يفسرون الكتاب المقدس أو الناموس وسواء أكان هذا المعنى أو ذاك فإن هذا الاسم واشتقاقه ومعناه لا يكشف عن أصل هذه الجماعة وقيامها وأعمالها .

**تاريخ الفريسيين :**

يرجع ظهور هذا الحزب إلى عصر السبى ، عندما ترك كثير من اليهود بلادهم وهيكلهم وسيقوا إلى أرض غريبة سنة ٥٨٦ ق. م ولم يترك لهم فى سبيهم هذا سوى كتاب الناموس ليكون دليلا لهم فى عبادتهم وشريعتهم ، ولهذا صار الناموس — لا فالهيكل — مركزاً للحياة اليهودية ، تبنى عليه فكرياً وعملياً . واحتاج هذا الموقف إلى أناس متخصصين فى تفسير كتاب الناموس وشرحه ، فظهر فى السبى أناس عظام فى هذا الميدان الواسع ، أشهرهم عزراً الكاتب . وسمى كاتباً لأنه مع زملائه الكتبة هم الذين كانوا يقومون بتفسير الناموس ودراسته ونسخه . ومع أن الذين رجعوا من السبى عملوا بكل همة ونشاط على بناء الهيكل ، وأرجعوا كل الشعائر الدينية وزادوا عليها ، إلا أن المركز الأول أضحى الآن للناموس ، وأضحى رجاله المتخصصون عمد الحياة اليهودية الدينية بدلا من الكهنة . هذه الجماعة التى اهتمت بالناموس حفظاً ودراسة ونسخاً وعملا هى نواة الفريسيين .

ولقد ظهرت أهمية الفريسيين كحزب عندما قامت ثورة المكابيين ، فقد كانت الثورة تعتمد كثيراً على « المجمع » اليهودى الذى كان يتكون من الكتبة والهسديم أى الأتقياء أو المخلصين للناموس ( ١ مكا ٧ : ١١ — ١٧ ) . واستمر هؤلاء فى خدمة يهوذا المكابى إلى أن انتصر ودشن الهيكل من جديد وبدأ عيد التجديد ، لكنه عندما قام بدور رئيس الكهنة ، مع أنه ليس من الصدوقيين الذين انحصرت فيهم رئاسة الكهنوت ، بدأوا يتذمرون ، وزاد استياؤهم عندما جاء الياقيم إلى رئاسة الكهنوت فى مقابل مهادنة السوريين . وعندما ظهر الميل فى عهد يوناثان المكابى إلى مجاراة الرومان كانوا هم حجر العثرة ، إذ لم يقبلوا المعاهدة مع الوثنيين الأجانب ، وبدأ يوناثان يطلق عليهم اسم « بروشيم » أى انفصاليين بدلا من « هسديم » أى قديسين . لكن

انفصالهم الحقيقى عن الثورة المكابية بدأ فى عهد هيركانس الأول عندما اعترض بعضهم عليه كرئيس للكهنة ، وكان اعتراضهم هذا مبنياً على أن أمه لم تكن يهودية حرة ، ولكنها كانت أسيرة حرب ، فلا يجوز لابنها أن يكون رئيساً للكهنة . ثم وصل الصراع إلى ذروته فى عهد ابنه جانوس ؛ الذى صلب منهم ثمانمائة شخص فى مأدبة أقامها للصدوقيين — كما مر بنا ، ولكن زوجته أنصفتهم ، وبعد موتها انقسم أبناها على أنفسهم فناصر الصدوقيون أرستوبولس وناصر الفريسيون هيركانوس .

وفى بداية العهد الجديد ظهر الفريسيون كجماعة لها سلطانها الطاغى على مستوى الأمة كلها ، فقد كانت لهم السيطرة داخل السنهدريم وخارجه ، ومع أن الصدوقيين المنافسين لهم والهيرودسيين كانت لهم السلطة السياسية فى الأمة إلا الروح الفريسية كانت قد امتلكت الشعب .

وبعد صعود المسيح وفى عهد الكنيسة الأولى يبدو أنهم كانوا يهادونون المسيحيين ، لأنهم كانوا أعداء لرؤساء الكهنة والصدوقيين ، وقد اتضح ذلك فى موقف غمالائيل ( أعمال ٥ : ٢٤ ) . أما اضطهاد شاول الطرسوسى الفريسى للمسيحيين فيغلب أنه كان عملا شخصياً انحصر فى شاول وفيمن يشبهونه ، إذ أنه وضع نفسه فى أيدى رؤساء الكهنة لكى يستخدموه فى القضاء على المسيحية ( أعمال ٩ : ١ و ٢ ) .

وعندما كان السنهدريم يحاكم بولس انقسم بسببه ، إذ حاول الفريسيون أن يطلقوه بينما خاصمه الصدوقيون ؛ ويقال إن الفريسيين الذين لم ينضموا إلى الغيورين هربوا مع المسيحيين من الكارثة التى حلت بأورشليم سنة ٧٠ م .

**الصفات الظاهرة للفريسيين :**

لم يحاول كتاب العهد الجديد أن يرسموا صورة كاملة للفريسيين لأنه لم يكن هناك داع لذلك ، ولهذا فلو حكمنا على حياتهم كلها بما جاء عنهم فى مناقشاتهم مع يسوع قد تحتاج الصورة إلى بعض الخطوط اللازمة لتكملتها . فقد وقفوا من يسوع موقف المدافع عن الناموس ، فألقوا بكل ثقل تعصبهم وتمسكهم بناموسهم فى المعركة ، لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أو يقبلوا تفسيره لرسالته الفدائية . ولهذه الأسباب يحتاج الدارس إلى مصادر أخرى إلى جانب العهد الجديد ، كى يكون فكرة عامة عنهم ، ولا يمكن أن يكون هناك من يضارع يوسيفيوس المؤرخ اليهودى المشهور فى معلوماته عنهم. ومن دراسة هذين المصدرين المهمين العهد الجديد ويوسيفوس يمكن أن نعرف عنهم ما يلى :

١ — إن أظهر صفة وأهمها فى الفريسى هى دراسته للناموس دراسة دقيقة ، ومحاولته وضع تفسيرات كثيرة معدة له ، حتى يضمنوا حفظه ، وقيل عنهم لذلك إنهم « بنوا حائطاً حول الناموس ، أو بنوا سوراً حول أنفسهم لكى يكونوا هم من الداخل ويمنعوا الآخرين من الدخول . وهذه تهمة وجهها المسيح نفسه إليهم . ولكن الفريسى لم يكن دارساً للناموس فقط بل متمماً له . لقد كانت أهم صفة تميزه عن بقية شعب الأرض هى التمسك بحرفية الناموس . فقد اشتهروا بالصيامات والغسلات الكثيرة ( مرقس ٧ : ٣ ، متى ٦ ) .

٢ — ولكن الفريسيين اشتهروا أيضاً بحفظهم التقليدات ( متى ١٢ : ٢ ، مرقس ٧ : ٣ و ٥ ) . وبذلك اختلفوا كثيراً عن الصدوقيين الذين اهتموا بالناموس فقط مع أنه كانت لهم أيضاً تقليداتهم التى بنوها على أسفار موسى

الخمسة ، ولكن الفرق بين الفريقين هو أنه بينما كانت تقليدات الصدوقيين تتسم بالجمود وعدم التغير ، إلا أن تقليدات الفريسيين كانت تميل إلى المرونة ، وقابلة للتغيير والامتداد تبعاً للمواقف المستجدة فى الحياة . إنها تقليدات متحركة لا تقف فى مكان واحد . لقد كان للفريسيين صلتهم بالحياة اليومية ، والحياة مملوءة بالمواقف الجديدة ، فكان لا بد لمدارسهم الدينية والقانونية المختلفة أن تواجه هذه التغييرات بأحكام لم تكن فى الناموس ولكنها كانت تبنى عليه . ولقد ساعدهم على ذلك اتساع عقيدتهم فى الكتب المقدسة ، فبينما اقتصر الصدوقيون على أسفار موسى الخمسة ، أضافوا هم إليها الأنبياء والكتب ، فتمكنوا بذلك من تطبيق الناموس أو التقليد على كل موقف جديد .

٣ — ولهذا السبب يصف المؤرخون الفريسيين بأنهم أكثر تحرراً من الصدوقيين ، حتى يوسيفوس نفسه يصفهم بأنهم حزب العقليين فى اليهودية (الآثار ١٨ : ١ و٣) ويعتقد كلاوستر أنهم الحزب التقدمى فى اليهودية . وعلى العموم فلقد كان الفريسيون والصدوقيون القوة الدافعة فى المجتمع اليهودى ، وكان كل همهم هو تقوية هذه الأمة سواء أكان ذلك بالمهارة السياسية كما كان يفعل الصدوقيون ، أو بتقوية المجتمع دينياً كما فعل الفريسيون .

**معتقدات الفريسيين :**

مما جاء عنهم فى يوسيفوس والكتابات اليهودية والعهد الجديد يمكن تلخيص معتقدات الفريسيين فيما يلى :

١ — إن الله وحده هو الذى يدبر التاريخ ويديره ويعتنى بحياة البشر . إن الصدوقيين نسبوا للانسان كثيراً من الحرية فى أن يشكل حياته ويكيف

مستقبله ؛ أما الفريسيون فقد اعتقدوا بأن الأمر كله هو بيد الله ( مزامير سليمان ٥ : ٦ ) .

٢ ــ اعتقدوا فى القيامة والحياة المقبلة بعكس الصدوقيين (أعمال ٢٣ : ٨)

٣ ــ كانت لهم فكرتهم الواسعة عن الملائكة والأرواح بعكس الصدوقيين (أعمال ٢٣ : ٨) .

٤ ــ أما فى عقيدة الحياة المقبلة « الاسخاتولوجى » فقد كانوا يعتقدون أن الشر يملأ العالم حقيقة ، ولكن هذا لن يبقى إلى الأبد ، فلا بد أن الله سينتصر على قوة الشر ، وسيأتى ملكوت الله على الأرض ، وسوف يرد الرب الملك لداود ونسله . ومع أنهم كانوا يعتقدون فى قيامة الأموات إلا أن تفكيرهم كان أرضياً أو من هذا العالم .

٥ ــ أما عن المسيا فإن مزامير سليمان تعطى العقيدة الكلاسيكية الفريسية ( مزامير سليمان ١٧ : ٣٣ و ٣٤ ) . فالمسيا سوف يأتى من نسل داود وسوف تخضع له كل الشعوب وسيعطى المجد والملك لإسرائيل .

يسوع والفريسيون :

تظهر الأناجيل أن الصلة بين يسوع والفريسيين كانت صلة حوار مستمر . ففى بدء خدمته حاولوا أن يفهموا رسالته ، وهدفه ، فأرسلوا إليه مرات كثيرة أناساً يراقبونه ويعطون تقريراً عنه ، ولكنهم بدأوا يظهرون عدم رضائهم عنه وعن أعماله عندما لم يخضع لتقليداتهم ، وخصوصاً فى مسألة السبت والصوم . وأضحى كثير منهم ضده ، وأرادوا أن يوقعوه فى فخ أو شراك . ولكن جماعة منهم حاولوا أن يتخذوا منه صديقاً وحاولوا جاهدين أن يكسبوه إلى جانبهم ، فكم من مرة دعى ليتغذى عند فريسيين

وحتى على الصليب أظهروا أنهم مستعدون أن يقبلوه لو فعل أمامهم معجزة واحدة وأنزل نفسه من على الصليب (متى ٢٧ : ٤٢) .

لقد ضجر منه أغلبهم ، لأنه صار أكثر شعبية منهم ، لأن الأمة ذهبت وراءه . ولقد وبخهم السيد توبيخاً صارماً لأنهم بنوا ديانتهم على الرياء والمظاهر الخارجية ، حتى صارت هذه المظاهر هى الصفة البارزة فى حياتهم الدينية بينما كان يسوع يعلم ويحقق فى حياته العمق الحقيقى للحياة السامية .

## (ب) الصــــدوقيون

هم الحزب اليهودى الثانى الذى كان له أثر كبير فى الحياة اليهودية ولاسيما فى الحياة السياسية ، وكثيراً ما يلتقى بهم الدارس على صفحات العهد الجديد فى مواقف متباينة وخاصة مع المسيح .

**أصل الصدوقيون :**

يذكر الدارسون أن أصل الصدوقيين يرجع إلى واحد من الأصول الآتية :

**الرأى الأول :**

يقول إن أصل كلمة الصدوقيين مشتقة من لفظة « صديق » العبرية وهى تعنى « بار أو صالح » . ولكن أغلبية الدارسين لا توافق على هذا الرأى ، وذلك لأن أصل كلمة صدوقيين يختلف عن كلمة « بار » فهى تأتى من المصدر « صدوق » وليس « صديق » .

**أما الرأى الثانى :**

فقد نادى به أحد معلمى اليهود ، عاش فى القرن العاشر الميلادى إذ

يرجع أصلهم إلى صادوق أحد تلامذة المعلم انتيجونس ، الذى كان يعلم بأن خدمة الله ومحبته يجب أن تخرج من قلب الإنسان ، دون النظر إلى مكافأة أو مجازاة . وبدأ هذا المعلم يشتط فى مذهبه حتى وصل إلى إنكار الحياة المقبلة والقيامة . لكن هذا الرأى رأى متأخر لا يعتمد عليه فى دراسة جدية .

**أما الرأى الثالث :**

وهو الأرجح — فيقول عنهم إنهم نسل صادوق الكاهن زميل أبياثار الذى خدم فى كهنوته فى عهد داود ( ٢ صموئيل ٨ : ١٧ ، ١٥ : ٢٤ ) ، ( ملوك ١ : ٣٥ ) . ويذكر التاريخ المقدس أن سليمان الملك رفعه إلى أعلى مرتبة ، ووصفه حزقيال النبى على أنه هو رئيس الكهنة المثالى ( حزقيال ٤٠ : ٤٥ و ٤٦ ، ٤٣ : ١٩ ، ١٤ : ١٥ ، ٤٨ : ١٠ ) . وإن صح هذا الرأى فيكون الصدوقيون بذلك هم ورثة الكهنوت الشرعيون .

**تاريخ الصدوقيين :**

ذكر يوسيفوس اسم الصدوقيين عندما كان يعرض لصلة يوناثان المكابى بالرومانيين ، كأحد ثلاثة أحزاب كبرى فى اليهودية : الفريسيين ، الصدوقيين والايسينيين . وتوحى عبارة يوسيفوس بأن الحزبين الأولين كانا موجودين من قبل تلك الحوادث التى كان يصفها ، ولكن تحت اسمين مختلفين . ويتضح أيضاً من قصة يوسيفوس أن صراعاً عنيفاً كان يدور بينهما ، ولقد أرجع البعض هذا الصراع إلى الصراع الخفى الذى كان يدور بين الكتبة ، وعلى رأسهم الكاتب عزرا ، ولكن هذا الرأى ضعيف ولأن عزرا نفسه كان كاهناً ، ولم يسمع من قبل أن صراعاً خفياً كان يدور بين الكهنة والأنبياء .

أما غالبية المؤرخين فيرون أن السبب الرئيسى الذى قسم الحزبين وجعل

منهما عدوين لدودين هو تاريخ الكهنة وما عملوه من بعد السبي . فلقد اتخذت الأمة من رئيس الكهنة رئيساً سياسياً أيضاً ، وبهذه الكيفية بدأ هؤلاء ينسون الوظيفة الأساسية لهم ، من تقديم الذبائح والقيام بالخدمة فى الهيكل ، ومالوا إلى الحياة العامة وانغمسوا فى الحياة السياسية . ودفعهم ذلك إلى التثقف بالثقافة اليونانية والأخذ بأسباب الحضارة الهلينية ؛ فبدأ إحساسهم بالناموس يضعف شيئاً فشيئاً وصاروا رجال دنيا أكثر منهم رجال دين . فتسبب موقفهم هذا فى صدور رد فعل شديد ضدهم بين « الهسيديم » أو الأتقياء ، وهم نواة حزب الفريسيين كما مر بنا — فازداد تمسكهم بالناموس لدرجة أنهم حاولوا — وقد نجحوا فى ذلك — أن يجعلوا منه المركز الرئيسى للأمة ، يحفظها من كل التيارات الغريبة الهدامة التى تغزو بلادهم ومن هنا بدأ التصادم والصراع بين هذين الحزبين الكبيرين .

ولقد كان الصدوقيون سلبيين فى موقفهم من ثورة المكابيين ، فلم يجد قادة هذه الثورة بديلا من الاعتماد على الفريسيين اعتماداً كلياً ، ولكنهما لم يبقوا فى وفاق تام معاً ، مما شجع المكابيين مرة أخرى على الالتجاء إلى الصدوقيين ، وكان أكثر من فعل ذلك هو اسكندر جانوس ، الذى جاملهم بأن صلب ثمانمائة فريسى أثناء وليمة لهم . وهكذا استمر الصراع بين هذين الحزبين أثناء الثورة المكابية .

واستمر الصدوقيون وعلى رأسهم رؤساء الكهنة فى منصب الزعامة السياسية للأمة ، ومع أنهم كانوا أقلية داخل السنهدريم وخارجه إلا أنهم استخدموا مكرهم ودهاءهم السياسى فى التمسك بالسلطة . وكان من أظهر هذا الدهاء السياسى هو تحالفهم مع الهيرودسيين .

وجاءت نهايتهم القاسية على أيدى الغيورين ثم الرومان عندما قامت الثورة اليهودية ، فقد قتل الغيورون رئيس الكهنة ، ثم خرب الرومان الهيكل وأبطلوا العبادة ، فاختفى هذا الحزب من المسرح ولم تقم له قائمة بعد ذلك .

**الصفات البارزة للصدوقيين :**

ينتظر الإنسان من حزب سياسى مشهور بالمكر والدهاء أن يكون أفراده لطفاء حتى فى الظاهر ، ولكن يوسيفوس يقول عكس ذلك فيصفهم أنهم قساة وغير مهذبين . ويؤيد العهد الجديد ما يقوله هذا المؤرخ عنهم ، فقد ظهرت صفة القسوة والجمود هذه فى محاكمتهم ليسوع ( متى ٢٦ : ٦٧ و ٦٨ ) وفى محاكمة بولس ( أعمال ٢٣ : ٧ ) . وينسب إليهم يوسيفوس أيضاً أنهم هم الذين قتلوا يعقوب أخا الرب . ولكنهم كانوا مع ذلك جبناء ، فعندما كانوا يتولون القضاء كانوا يسيرون بحسب تقاليد وشريعة الفريسيين لأنهم كانوا يخافون من ثورة الشعب ، عليهم .

ولكنهم تميزوا على الخصوص بجشعهم ومحاولتهم الغنى من وراء التجارة فى الهيكل ، فبرهنوا بذلك على أنهم الخلفاء الحقيقيون لحفنى وفينحاس . وكانوا يعمدون إلى الخديعة فى تجارتهم فى ذبائح الهيكل ، وفى تغيير العملة الأجنبية إلى الشاقل المقدس الذى لم يسمح لأية عملة غيره أن تدخل إلى القدس . هذا كله دفع يسوع إلى أن يثور عليهم ويطرد كل عملائهم وما لهم من الهيكل ( مرقس ١١ : ١٥ — ١٨ ) .

**عقائد الصدوقيون :**

عرفنا أن الفريسيين كانوا يعتبرون الناموس هو قلب الأمة والديانة ، لكن الصدوقيين اعتقدوا بأن العبادة الحقيقية والديانة الصحيحة هى تلك التى تتركز فى التقدمات والذبائح والمحرقات ، ولهذا تمسكوا بعبادة الهيكل وما

يحيط بها دون أن يتزحزحوا قيد أنملة عنها . ويروى عنهم العهد الجديد أنهم لا يؤمنون بروح ولا بملاك ولا بقيامة ( أعمال ٢٣ : ٨ ) ، ويبنون عقيدتهم هذه على أساس أن الناموس لم يذكر هذه كلها . أما مسألة ظهور الملاك كما ورد فى كتب موسى فقد ظنوا أنها عبارة عن رؤى لا أكثر ولا أقل . هذا الأمر يخالف ويناقض عقيدة الفريسيين الذين اعتقدوا أن هذه حقائق عرفها موسى نفسه وسلمها إلى الشيوخ ولا زالت تسلم إلى الشعب .

وفى معرض حديثه عنهم يقول يوسيفوس بصدد عقيدتهم هذه أنهم يعتقدون أن الروح تموت مع الجسد ، وأنهم ينكرون أن هناك شيئاً اسمه العناية الإلهية . وخلاصة القول إن ديانة الصدوقيين كانت ديانة حسية مادية .

**صلة الصدوقيين بيسوع والمسيحيين :**

تظهر الأناجيل أن الصدوقيين وعلى رأسهم رؤساء الكهنة لم يبالوا بظهور يسوع ولم يجدوا فيه خطراً يذكر فى أول خدمته . وهناك أمر آخر يظهر فى رسالة السيد وهو توبيخه الشديد للفريسيين دون الصدوقيين مع أنه كان قريباً جداً من الفريسيين ، فى حين أن رسالته كانت تتناقض عقيدة الصدوقيين وعملهم ومثلهم . قال بعض الدارسين جواباً على ذلك إن خدمة يسوع كانت تتركز بالأكثر فى الجليل وما حولها حيث كانت الغالبية العظمى من رجال الدين من الفريسيين ، أما الصدوقيين فقد تركزوا فى اليهودية موطن الثراء والاستقراطية ، ولهذا السبب لم يكن هناك احتكاك كثير بينه وبينهم . ولكن هذه النظرية لا تعطى الجواب القاطع على ذلك ، فإن حادثة تنظيف الهيكل كانت توبيخاً صارماً أشد فى قسوته من ويلاته التى حكم بها على الفريسيين ، إننا نعتقد أن يسوع كشف الغطاء عن قصد الصدوقيين ، ولا بد أن نطق بتوبيخات قاسية عليهم لم تذكر فى الإناجيل ، .

أما هم فنجد اللامبالاة التى قابلوا بها رسالة يسوع أولا ظانين أنها حركة تختص بالفريسيين وحدهم ولا شأن لهم بها : تحركوا وانزعجوا وعملوا بقوة وبقسوة للتخلص من يسوع . وكان الدافع الأول لهم على ذلك هو علمهم أن يسوع قد أعلن أنه هو المسيا ، فخافوا من حركة سياسية عسكرية يقوم بها الرومان ضدهم . ويؤكد ذلك تلك العبارة التى ذكرها يوحنا على لسان رئيس الكهنة ( يوحنا ١١ : ٥٠ ) « خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » .

لكن ما يلاحظه دارس سفر الأعمال أن رؤساء الكهنة كانوا أكثر ضراوة ووحشية فى مقاومتهم للمسيحية والمسيحيين فى عهد كنيسة الرسل ( أعمال ٤ : ١ ) واستمرت عداوتهم هذه حتى زالوا هم من التاريخ المقدس .

## ( ج ) الايسينيون

الأيسينيون جماعة من اليهود كانت تعيش أيام وجود المسيح فى الأرض . ومع أن ذكرهم لم يرد فى الأناجيل ولا فى بقية كتب العهد الجديد ، لكن الاكتشافات الحديثة ، وخاصة مجموعة المخطوطات التى تسمى عادة « مخطوطات البحر الميت » – التى اكتشفت فى سنة ١٩٤٧ كشفت عن نفوذهم الكبير ، وعلى كثير من تعاليمهم وحياتهم مما أثار الكثير من الاهتمام بهم وبدراسة تعاليمهم .

**معنى الاسم :**

لقد اختلف العلماء على المصدر الذى جاء منه اسم هذه الجماعة . فظن بعضهم أنه مشتق من الكلمة اليونانية هوسيوس بمعنى مقدس ، وقال آخرون إنه يأتى من الكلمة العبرية « حصيد » ومعناه تقى ، وظنت جماعة ثالثة «يحل »

بمعنى يستحم أو « صنبل » بمعنى متكبر أو « حسايم » أى « صامت » وغير ذلك من التكهنات ، ولم يحدث أبداً أن اتفق غالبية من العلماء على نظرية واحدة ، ولهذا لا يزال أصل الاسم ومعناه سراً مغلقاً لم يكشف عنه النقاب بعد .

**مصادر معرفتنا بهم :**

لم يرد ذكر الايسينيين فى كتب العهد الجديد ، ولهذا السبب فيازم أن يبحث الدارس عن مصادر أخرى ، ولقد وجدت عدة مصادر تذكر شيئاً أو آخر عنهم . أهمها خمسة :

**١ – فيلو :**

وهو الفيلسوف الإسكندرى اليهودى الذى عاش فى القرن الأول وقد ورد ذكر الأيسنيين فى كتابين من كتبه : الأول كتاب « النظريات » والثانى « الإنسان الصالح حر » .

ويظن بعض العلماء أن فيلو كتب هذين الكتابين فى مصر قبل عام ٥٠ قبل الميلاد ، فلا بد له ، والحالة هكذا ، أن يعتمد على مصدر مكتوب عنهم . وإن صح هذا الرأى فإنه يؤكد أنهم كانوا موجودين كحزب كبير قبل هذا التاريخ . وفى كتاب ثالث لنفس هذا الفيلسوف اسمه « حياة التأمل » يرد وصف جماعة مصرية تشابه فى كثير من سماتها وحياتها الإيسينيين ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن أصل الجماعتين واحد عاشوا فى مكان ما لكن بعضهم هاجر إلى مصر والآخر عاش فى فلسطين .

**٢ – يوسيفوس :**

أما يوسيفوس فيذكرهم فى كتابيه « الحروب اليهودية » و « الآثار » ،

ويذكر يوسيفوس أنهم كانوا حوالى أربعة آلاف شخص ، ويقول إنه فى سن ١٦ سنة ذهب إلى الصحراء ومكث هناك ٣ سنوات ، وتعرف على كثير من عادات هذه الجماعة ، ولهذا يعتبر يوسيفوس مصدراً مهماً عنهم .

**٣ – بلنى الكبير :**

كان هذا الرجل ضابطاً فى جيش فسبسيان . وقد سار فى وادى الأردن ليعمل رسمياً طوبوغرافياً له . وجاء فى مذكراته « أنه رأى » قريباً من أريحا واحتين تصلحان للسكن . فرجح أن تكون هاتان الواحتان هما المكان الذى كان يقطنه الإيسينيون . نظراً لأنهم ، كما قال بلنى ، كانوا يسكنون وسط أشجار النخيل ولقد أيدت المكتشفات الحديثة صحة رواية بلنى .

**٤ – هيبوليتس :**

وهو أحد الآباء المسيحيين ، وقد كتب عنهم فصلا مطولا ، ويظن بعض العلماء أن هيبوليتس هذا قد اعتمد اعتماداً كلياً على كتابات يوسيفوس عنهم . ولكن هذا الاعتقاد مبالغ فيه ، لأن هيبوليتس غير كثيراً مما كتبه يوسيفوس ، فنفى عنهم ما قاله يوسيفوس من أنهم كانوا يعبدون الشمس . فلا بد أنه كان يمتلك مصدراً آخر . وكان مما ذكره هيبوليتس أن الغيورين كانوا جزءاً من الإيسينيين .

**٥ – مخطوطات البحر الميت :**

أما أهم مصدر عنهم فهو المصدر الذى اكتشف حديثاً وخاصة الجزء الذى وجد فى الكهف الرابع . ولقد صححت هذه المخطوطات بعض الأفكار الخاطئة التى راجت عنهم ثم ألقت النور على حياتهم الداخلية ومعتقداتهم وتنظيماتهم وتعاليمهم .

**تاريخ الايسينيين :**

يبدأ تاريخ الإيسينيين ببداية المكابية ، ويعتقد غالبية المؤرخين أنهم والفريسيون قد انفصلا عن أصل واحد نظراً للتشابه الكبير بين هذين الحزبين ، ولعل أصلهما هذا هو الحسيديم ( الأتقياء ) . وتقول التقاليد اليهودية أن الأيسينيين كان لهم نشاطهم الخاص وأثرهم الكبير فى الحياة العامة فى أورشليم ، واستمر هذا النشاط إلى نهاية حكم أرستوبولس الأول ١٠٥ – ١٠٤ ق.م (الحروب اليهودية ١ : ٣ – ٥ ) . ولكنهم هربوا من المدينة فى عهد اسكندر جانوس وذهبوا وسكنوا فى المنطقة التى وجدت فيها مخطوطات البحر الميت . ويتضح من الاكتشافات أنهم بقوا هناك إلى أن استولى هيرودس الكبير على السلطة سنة ٣٦ ق. م . وكانت سياسة هيرودس هى العمل الدائم على تحطيم بيت المكابيين حتى لا يمكنهم المطالبة بالسلطة مرة أخرى ، فعمل على إحياء هذه الأحزاب المعادية لهم وكسب رضاها . فصادق الفريسيين والإيسينيين ، وسمح لهؤلاء بالرجوع إلى أورشليم ، ووهبهم الحرية الكاملة فى العبادة فى الهيكل وأقطعهم الجزء الجنوبى من المدينة . فكسب بذلك عطفهم وصداقتهم . وقاموا هم بدورهم بحركة تبشير واسعة لاجتذاب غالبية اليهود إلى مبادئهم ونجحوا فى ذلك ، حتى أن الكثيرين من سكان المدن والقرى عطفوا عليهم إن لم يكونوا قد صاروا فعلا من تلاميذهم ، وأطلقوا اسمهم على البوابة الجنوبية . واستمر نشاطهم هذا إلى أن مات هيرودس الكبير . ولكن يخطئ من يظن أن هذه العلاقة التى كانت بين هيرودس وبين الايسينيين كانت عميقة الجذور ، فقد ساندوا بكل قوتهم تلك الجماعة التى هجمت على النسر الذهبى الذى وضعه هيرودس على بوابة الهيكل فما كان منه إلا أن أحرقهم أحياء .

والتاريخ لا يذكر هرب الإيسينيون مرة أخرى إلى البادية ، ولكن

كتاباتهم تعلن أنهم فعلوا ذلك اتباعاً لقول إشعياء ( مخطوطات الكهف الأول ٨ : ١٣ و ١٤ ) . ويذكر يوسيفوس أنه قد خرج منهم واحد من أقدر قادة الثورة اليهودية سنة ٦٦ م. ولهذا السبب أحرق الرومان مكانهم وقتلوا الكثيرين منهم ، ومع ذلك فقد ظلوا يقاومون إلى أن قضى عليهم بعد ما قضى على ثورة باركوكبا ١٣٢ — ١٣٥ م. وبعد ذلك الوقت لا يذكر التاريخ عنهم شيئاً ، ويلوح أن الكثيرين منهم قد تحولوا إما إلى المسيحية أو إلى اليهودية العامة ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة إلى أن تم الكشف عن آثارهم المكتوبة سنة ١٩٤٧ م.

حياة الإيسينيين :

تكشف المصادر السابقة — وخصوصاً مخطوطات البحر الميت — عن جوانب كثيرة مختلفة من حياة الإيسينيين . فقد اعتقدوا عقيدة راسخة أنهم هم وحدهم جماعة العهد المتجدد الذى سيبقى إلى الأبد . وكانوا يجتمعون مرة كل سنة لكى يعيدوا عيد تجديد هذا العهد . وكان من أظهر ملامح حياتهم التشديد المتعنت فى الغسلات والتطهير ، ولهذا السبب امتنع الأكثرون منهم عن السكن فى المدن لأنهم كانوا يخشون الاختلاط بالمدنيات الغريبة فيتنجسون . ويمكن أن تلخص حياتهم فيما يلى :

(أ) الاشتراكية :

كان كل شىء فى الجماعة مشتركاً : الحقول والبيوت والملابس والطعام كان كل بيت مفتوحاً لأى إنسان من هذه الجماعة . وكان لكل الجماعة وزير خزانة يستولى على أجورهم وأموالهم ويشترى لهم بها كل شىء ، لم يكن بينهم بيع ولا شراء ، ولا سيد ولا مسود يشتركون فى الإحساسات والمشاعر . فضلوا حياة الكفاف عن الثراء والغنى ، كان صغيرهم يخضع لمن هو أكبر

منه ، وأحبوا بعضهم بعضاً ؛ وكان الهدف الذى يجمعهم معاً ويشد أرواحهم إليه هو الحرب الأخيرة . . الحرب المقدسة التى ينتصر فيها شعب الله ويظهر المسيا .

(ب) الزواج :

يذكر فيلو ويوسيفوس أن الإيسينيين كانوا يعزفون عن الزواج وكانوا يعتقدون أنه يعطلهم عن عملهم ، وكان أقدس عمل عندهم هو الاستعداد للحرب المقدسة ضد الشر وبليعال . وكانوا يعتبرون أن من يتزوج منهم فهو يرتكب خطية النجاسة فلا يحق له أن يبقى فى المحلة ، وبهذه الكيفية صارت الدعوة إلى الامتناع عن الزواج من صلب دعوتهم وديانتهم ، ويفسر هذا عدم وجود أجساد نسائية فى مغارات ومدافن القمران ، ولكنهم مع ذلك كانوا يتبنون أطفال غيرهم حتى لا تنقطع الجماعة .

ولكن يوسيفوس يذكر عنهم رأياً آخر وهو أنهم سمحوا لبعضهم بالزواج ، ولكن كان الزواج عندهم لإنجاب النسل فقط ، ووضعوا لهذا الزواج أحكاماً كثيرة مشددة .

(جـ) مطاليب الانضمام للجماعة :

لم يكن من السهل أن ينضم شخص ما إلى جماعة الإيسينيين . فدون ذلك مطاليب قاسية شديدة . فقد كان على طالب الانضمام أن يجوز تحت الاختبار القاسى سنة كاملة ، يتمم فيها كثيراً من الفرائض والأحكام وعندما يبرهن على أنه مخلص فى طلبه فإن الجماعة تقربه إليها ، ويمنحونه أن يشارك فى المياه المقدسة ؛ ومع ذلك فلا يستطيع أن ينال العضوية الكاملة فى الجماعة إلا بعد مرور سنتين آخريين بعدهما يعطى العهد المقدس ، ثم يقسم بأن يكون تقياً

أمام الله ، عادلا لكل الناس ، لا يكسر الشريعة ، يحفظ الإيمان ، لا يتعالى على الغير ، لا يسرق ولا يتنجس ، لا يخفى شيئاً عن الجماعة ، يحافظ على أسرارها وعقائدها فلا يسلمها إلا لمن يدخل ويقبل فيها ويسلمها بأمانة تامة .

**الأحكام الإيسينية :**

كان النظام الإيسينى شديداً قاسياً على كل مرتكبى المخالفات . فقد يصل الحكم إلى حد الحرمان من الطعام المقدس فيموت الجانى جوعاً لأنه لا يستطيع أن يأكل غيره . وكانت محكمتهم تتكون من مائة قاض ولهذا فقط كان حكمها نهائياً لا مرد فيه ، وكان لهم شخص موقر يجلونه بعد الله مباشرة واسمه « معلم الصلاح » . يحترمون الشيوخ . ورأى الأغلبية هو السائد بينهم ، يدققون فى حفظ السبت أكثر من أى يهودى آخر فى العالم ، وهم يقسمون أنفسهم إلى أربع درجات أو مراتب ويعتبرون المرتبة الرابعة أقصى درجات الكمال الإيسينى .

**( د ) موقفهم من الهيكل :**

كانت هذه الجماعة تشترك فى عبادة الهيكل ، فكانوا يرسلون الذبائح إليه دون أن يذهبوا هم خوفاً من النجاسة والاختلاط ببقية الناس النجسين . ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يقدمون ذبائح أخرى فى مكانهم ، وكانوا يعتبرونه قدس أقداس الأمة . ومع ذلك فقد كانوا يعيشون على رجاء قوى أن الرب فى آخر الأيام سيأخذ الهيكل من الأيدى النجسة ويعطيه لرئيس كهنتهم هم المقدس .

**( ه ) عبادتهم اليومية :**

أخطأ يوسيفوس عندما ذكر عنهم أنهم كانوا يعبدون الشمس ، فقد التبس عليه ما كانوا يفعلونه عند الصباح الباكر إذ كانوا يصلون عند شروق

الشمس تماماً ، فظن أنهم من عابدى الشمس . وبعد هذه الصلاة كانوا يذهبون إلى عملهم المتنوع ، حتى الساعة الخامسة ( أى الحادية عشر بتوقيتنا نحن ) ، فيحضرون إلى مطعمهم المقدس وهناك يجلسون فى صمت وسكون ، فيوزع عليهم الطعام ويطلب لهم الكاهن البركة ثم يأكلون . وبعد ذلك يطلب الكاهن البركة مرة أخرى ثم يستريحون ، وبعد ذلك يقومون لعملهم مرة ثانية حتى المساء ، فيأتون إلى المطعم المقدس ويفعلون نفس ما فعلوه فى الصباح وكانوا بذلك يعبرون عن استعدادهم التام لمجئ المسيا وحضور عشائه العظيم . ولقد كشف المنقبون عن المكان والأوانى التى استخدمها الإيسينيون فى طعامهم .

**( و ) دراسة الكتاب :**

كان الإيسينيون أعظم من درس العهد القديم . وكان يوم السبت هو اليوم المخصص لهذه الدراسة العميقة ، فقد كانوا يجتمعون معاً فيقرأ لهم أحدهم الكتب المقدسة ، وبعـــد ذلك يبدأ واحد آخر ضليع فى الكتب فى تفسير ما قرأ ، وكانوا يعتقدون أن المواعيد الثمينة قيلت فيهم وتتم فى جماعتهم . ويقول يوسيفوس إن بعضهم احترف النبوة . وكانت لهم كتب التفسير الخاصة بهم .

هذه هى جماعة الإيسينيين ، وهذه هى حياتهم ويميل غالبية دارسى الكتاب المقدس إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان تربى فى وسطهم وعاش بينهم وأخذ من طباعهم مع أنه كان يختلف عنهم فى كثير من العقائد .

* * *

وإلى جانب هذه الأحزاب الثلاثة الكبرى ظهرت بعض الجماعات الصغيرة التي لم يكن لها التأثير الكبير في حياة الناس أو في مجريات السياسة ومن هذه الجماعات :

**الهيرودسيون :**

وقد ورد ذكرهم مرتين في إنجيل مرقس ( مرقس ٣ : ٦ ، ١٢ : ١٣ ، أنظر متى ٢٢ : ١٦ ) ولكن لا نسمع عنهم شيئاً آخر في العهد الجديد أو في أي من كتابات المعاصرين ، ولقد ذكرهم مرقس عند اتفاقهم مع الفريسيين لكي يصطادوا يسوع بكلمة . ولقد اختلف العلماء في تحقيق شخصية هذه الجماعة فبعضهم ظن أنهم الصدوقيون وذلك بمقارنة مرقس ٨ : ١٥ مع متى ١٦ : ٦ ، أي أن خميرة الصدوقيين في متى هي نفسها خميرة هيرودس بحسب مرقس ( وهيرودس قد يقصد بها الهيرودسيين ) . وقال آخرون إن هؤلاء الهيرودسيين هم جماعة ظنت أن ملك هيرودس هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وهناك رأي ثالث يقول إنهم هم الذين ظنوا أن هيرودس هو المسيا المنتظر ، ولكن هذا رأي غير معقول .

**منتظرو خلاص إسرائيل :**

كانوا جماعة متفرقة لكنها حسمت كل آمال اليهود الروحية . اختلفوا في عقيدتهم وميولهم ومركزهم الاجتماعي . فمنهم الكهنة كزكريا أبي المعمدان ( لوقا ١ : ٨ — ٢٥ ، ٦٧ — ٨٠ ) ومنهم العذراء ( لوقا ١ : ٢ — ٥٦ ) هؤلاء وغيرهم ممن لم يكن لهم النفوذ الاجتماعي أو السياسي أو الديني كانوا يمثلون كأفراد وجماعات صغيرة كل مثل اليهود العليا ، وكانوا يعيشون في انتظار الخلاص الروحي والسياسي الذي يقوم به الرب لشعبه إسرائيل .

وإلى جانب هؤلاء وأولئك كان هناك الشعب بأكمله بكل عناصره ، ولقد أطلق عليه شعب الأرض . كان منهم البسطاء والكادحون . العشارون والخطاة . يكفى أن يقرأ الفرد عن الجماعات التى كانت تتبع يوحنا المعمدان ويسوع حتى يجد صدى رسالتيهما فى هؤلاء المساكين الذين كانوا كغنم لا راعى لها .

## ٣ ــ الفكر اليهودى فى فترة ما بين العهــدين

لم يتأثر العهد الجديد بفترة ما بين العهدين سياسياً فقط . فقد كان التأثير الدينى والفكرى أوضح وأكثر عمقاً . فهناك كثير من المعتقدات والتنظيمات التى تظهر فى العهد الجديد ولكن يقابلها شئ مثيل لها فى العهد القديم . ومن البديهى أن هذه المعتقدات لم تتولد من لا شئ ، بل لا بد أن سبقتها مقدمات وأسس فى فترة ما بين العهدين . فهل هذا يعنى أن معتقدات جديدة تولدت فى فترة ما بين العهدين ، وتسلمها كتاب العهد الجديد ، دون أن يكون لها أساس فى العهد القديم ؟ إن الحقيقة الواضحة هى أن هذه المعتقدات كانت إما موجودة فى العهد القديم ، وكان كل الفضل لمفكرى هذه الفترة هو تعميقها وتوضيحها ، وإما أن بذرتها غرست من قبل وتمكن كتاب هذه الفترة من اكتشافها ورعايتها وإظهار ما تضمنته وما تشير إليه . فالعهد القديم كان الأساس الأول ، وجاءت هذه الفترة الغنية بالتفكير والمعتقدات فبنت على هذا الأساس ما شاء لها من البناء . ويمكن أن تتضح هذه الحقيقة بدراسة مجموعة من عناصر التفكير اليهودى فى تلك الفترة .

**١ ــ فكرتهم عن الله :**

لقد حدث تغيير ضخم فى موقف الشعب بعد السبى من جهة فكرتهم عن الله . فقد كانت تجربتهم المرة قبل السبى تكمن فى الأصنام وعبادتها .

وكانت الإنذارات القاسية والكثيرة التى وجهها الأنبياء إلى الشعب هى ترك الرب إلههم وعبادة آلهة غريبة ، أما المعجزة الكبرى التى حدثت فى السبى هى أن هذا الشعب صهر فى الأرض الغريبة ونبذ فكرة الأصنامية نبذاً نهائياً قاطعاً . لقد كانت بابل هى المطهر الذى طهر فكرة الألوهية عندهم ونقاها من الشوائب . وقد عبر عن هذه الحركة إشعياء النبى فى الأصحاحات الأولى من القسم الثانى من سفره ( إشعياء ٤٠ — ٤٥ ) .

ولكن الأمر لم يتوقف إلى هذا الحد ، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك نظراً لما كان يجرى حول هذا الشعب من تيارات دينية متعددة . فقد ظهرت آثار عقيدة زارادشت واضحة بين اليهود خاصة عند جماعة يسمون الرؤيون نظراً لأسلوب الكتابة التى كتبوا به . فقد اعتقدوا أن العالم قد صار فاسداً شريراً ولا رجاء منه ، ولا يمكن أن يكون لله الكلى القداسة أى صلة أو اتصال بهذا العالم الفاسد . أما اتصاله بهذا العالم فيكون عن طريق ملائكة ورؤساء ملائكة ، وبهذا الشكل ظهرت عقيدة السمو ، المطلق لله Transcendence of God واختلفت العقيدة الأولى «سكنى الله» فى وسط شعبه فى الهيكل وسيره معهم . وبلغ بالناس تقديسهم لله أنهم كانوا يخافون أن ينطلقوا باسمه ، فاسم الله كان أقدس من أن ينطقوا به . ولكن الله لن يترك العالم الفاسد هكذا ضحية الشر والإثم لأن له فيه شعباً ، ولذلك فهو سيتدخل يوماً ما بقوة وجلال فيحطم الشر ويقيم ملكوته الأبدى .

وعلى أساس هذه العقيدة فقد غضب الفريسيون من الطريقة التى اتبعها المسيح فى تعاليمه عن الله كأب محب يرعى كل مصالح شعبه أفراداً وجماعات . واتهموا يسوع بأنه لا يقدس الله تقديساً كافياً ، وأنه نزل بفكرة الألوهية إلى المستويات التى لا تليق :

٣ ـ الناموس :

بنى اليهود عقيدتهم فى الناموس على عقيدتهم فى الله . فالله قد توارى وراء السحاب وصار أعلى من السموات ، ولم يعد الآن صوت للنبوة يرتفع فى الأمة . فالله لا يتكلم مع البشر الآن . لكنه مع ذلك ترك مصدراً أبدياً لمعرفة إرادته ، هذا المصدر هو الناموس . فرجع الناس إلى الناموس باعتباره الطريق الوحيد الباقى الكامل لمعرفة القصد الإلهى فى حياتهم . وكان كلما تقست الظروف عليهم فعملت على انحلالهم كأمة كانوا يرجعون إلى الناموس باعتباره الرباط المتين الذى يربطهم ويوحدهم ، ولهذا أضحى الناموس الأساس القويم لحياتهم الدينية والمدنية والسياسية ، وتخصص منهم أناس فى دراسته وفهمه وأطلقوا عليهم اسم « الكتبة » .

وكلمة الناموس كانت تطلق أولا على أسفار موسى الخمسة ، ولكنها اتسعت فشملت كتب الأنبياء ، وأخيراً أضحت تطلق على كل أسفار العهد القديم المعروفة لنا الآن . وصارت هذه الكتب هى الدستور السماوى الذى وضع للأمة اليهودية ليحدد معنى إيمانها وأعمالها . ولكن إلى جانب هذه الكتب وجدت مجموعة ضخمة من التعاليم الشفوية ، قيل عنها إن الله قد أعطاها لموسى فوق الجبل ، ولكنه لم يضعها فى كتاب بل سلمها بدوره إلى السبعين شيخاً الذين اختيروا ليعاونوه فى خدمته . وهكذا صارت تسلم من جيل إلى آخر إلى أن وصلت إلى يدى رجال المجمع الكبار الذين يقف عزراً على رأسهم . وقد قسمت هذه التعاليم إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول اسمه حالقاه Halakah أو « المشنى » وكان القصد منها أن تتم عمل الناموس المكتوب ، فقد كان هناك بعض الحالات التى لم يشملها الناموس فى أحكامه ، فلا يجوز أن يقف الشيوخ أو القضاة عاجزين أمامها ، بل يجدون فى هذه التعاليم ما يرشدهم إلى الحسم فيها . أما القسم الثانى فاسمه « إهاجاداه Hagadah

وهى تعنى « التعاليم : والغرض منها تفسير الناموس ، فهى مملوءة بالشروحات والأمثلة والقصص التى توضح وتظهر معنى الأحكام والفرائض المختلفة فى الناموس . ولقد جمع اليهود هذه التقاليد الشفوية فى مركزين مختلفين وسمى أحدهما بالتلمود البابلى والآخر بالتلمود الفلسطينى ، ولا شك أن التلمود البابلى أكثر شهرة من الآخر . ويلوح أن هذه التقاليد هى التى أشار إليها يسوع فى توبيخه للفريسيين عندما وصفهم بأنهم أبطلوا كلمة الله بتقليدات آبائهم (متى ١٥ : ٢ ، مرقس ٧ : ٣) .

**٣ – الديانة الشخصية :**

فى تلك الفترة بدأت فكرة الديانة الشخصية تتسع لتشمل كل الناس تقريباً . والديانة الشخصية تعنى أن كل فرد فى الشعب يشعر أنه مسئول أمام إلهه دون الشعب كله . وتختلف هذه العقيدة عما كانوا يؤمنون به قبل ذلك ، فقد كان الفرد يشعر أنه مرتبط بالأمة ارتباطاً عضوياً بحيث يصبح مذنباً عندما تقترف الأمة إثماً ، وأنه بار عندما ترجع الأمة إلى الرب دون النظر إلى حياته هو الشخصية . وكان أول من هاجم هذه الفكرة لا عن بحث نظرى بل من واقع خبرته العملية الشخصية هو إرميا النبى ، ثم جاء السبى ، فعمق هذه العقيدة فى ضمير الشعب ، ويؤكد حزقيال هذا التحول إلى الفردية فى عبارات قوية ( حزقيال ١٨ ) .

وكان السبب الرئيسى الذى دفع إلى هذا التحول من الجماعة إلى الفرد هو التحول من ديانة الذبيحة والهيكل إلى ديانة الناموس ، فديانة الهيكل هى ديانة أمة مرتبطة معاً كفرد واحد ، أما ديانة الناموس فهى ديانة أفراد ، لأن الناموس قادر على خلق الضمير الفردى ( قصة دانيال وسوسنه ) .

ولقد ساعد هذا الكيان الدينى للفرد على حفظ هذه الجماعة حتى فى

وسط الظلام الحالك ظلام السبى ، ولم تستطع قدرة الأصنام على اجتذابه الناس فى وسط السبى ، فى حين أنهم كانوا ينطلقون إليها قبل ذلك بكل قوة . ولأجل ذلك يستطيع المرء أن يفهم لماذا بقيت الأمة ، فقد « أضحت » شركة دينية بين مجموعة أفراد يجمعهم طقس واحد هو الختان وعبادة واحدة وإيمان مشترك واحد .

٤ – الملائكة والشياطين :

وكان من نتيجة عقيدة السمو المطلق لله أن ظهرت عقيدة أخرى هى عقيدة الأرواح ، وتقسيمها إلى صنفين : الأرواح الصالحة وسميت الملائكة والأرواح الشريرة وسميت الشياطين . نعم لقد كانت بذور هذه العقيدة موجودة فى العهد القديم ، فقد كان هناك ملاك العهد الذى كثيراً ما كان يمثل الله (خروج ٣ : ٢ ) وكان هناك الشيطان أو إبليس (أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ ، أيوب ١ : ٦ الخ ) . . ومع ذلك فقد كانت هذه شخصيات مبهمة لا يعرف عنها الشئ الكثير . أما فى فترة ما بين العهدين اتسعت هذه العقيدة اتساعاً هائلا ، ويلوح أن مفكرى اليهود تأثروا كثيراً بفترة السبى وبعقيدة الفرس فى الأرواح . وانقسمت الأرواح إلى قسمين : الملائكة وهى التى تخدم الله وتعمل إرادته ، حيث أنه لا يتصل اتصالا مباشراً بالناس كما كان يفعل فى العهد القديم ، ثم هى تؤثر التأثير الصالح فى الناس ، والقسم الثانى هم الشياطين وهم الأقل فى الرتبة وهم جماعة شريرة وتعمل رسلا لإبليس عدو الله لكى تؤثر التأثير الشرير فى الناس . وقسمت هذه الأرواح بنوعيها إلى مراكز ورتب مختلفة وأعطيت أسماء عديدة .

وظهرت آثار هذه العقيدة فى العهد الجديد ، ولكن الناس انقسموا تجاهها إلى فرق فبينما أنكرها الصدوقيون ، اعترف بها الفريسيون . أما المسيح

فقد قبلها بتحفظ شديد فبينما اعترف بوجود الملائكة والشياطين أنكر أن الملائكة هى التى تكشف إرادة الله مثلما ظن مفكروا اليهود ؛ فإن الذى يكشف إرادة الآب هو الابن الوحيد الذى فى حضن الآب .

٥ ــ الرجاء فى المسيا :

كانت للظروف التى أحاطت باليهود فى كل عصورهم أكبر الأثر فى دفعهم للنظر إلى المستقبل ، وقد بلغ بهم هذا الأمر مبلغاً جعلهم فى بعض الظروف يعيشون فى ذلك المستقبل . وتبلورت انتظاراتهم هذه إلى عقائد واسعة أطلق عليها اسم « علم الأخرويات » "Eschhatology" . وكانت أهم عقيدة فى هذا العلم هى عقيدتهم فى مجئ المسيا أو المسيح ، وهو المخلص الذى بواسطته سيخلصهم الله من هذا العالم الشرير ويرفعهم إلى مرتبة المجد . ولم يكن انتظار المسيا أو المسيح شيئاً جديداً على عقلية اليهودى فى فترة ما بين العهدين ، بل كانت له جذوره فى العهد القديم نفسه ، ولكم تنبأ الأنبياء عن مجيئه وعن الخلاص الذى يقوم به . ثم أعطوا أوصافاً كثيرة عنه ، فهو نبى مقتدر مثل موسى ( أعمال ٧ : ٢٢ و ٣٣ ) . وهو ملك يأتى من نسل داود ( لوقا ١ : ٣٢ ) وهو متواضع ( زكريا ٩ : ٩ ) ولكن من ذلك مخارجه منذ الأزل ، ومن يقرأ أصحاحى ٦ و ٩ من سفر إشعياء يجد أوصافاً كثيرة لهذا المخلص . ولكن الأنبياء مع كل هذا المجد الذى أسبغوه على هذا المسيح لم ينسبوا إليه الدور الأول بل رأوا أن العامل الأول فى هذا الخلاص المنتظر هو الله ، أما المسيح فهو الرجل الذى يقيمه لتنفيذ ذلك الخلاص .

ولكن السبى غير كثيراً من هذه الفكرة ، فقد بدأت الديانة الشخصية تحل محل الطقوس الجماعية ، وأخذ دور الكتبة يزداد بعد أن خفتت صوت النبوة ، واتسعت فكرة اليهود عن العالم ، فلم يعد الجنس البشرى مقتصراً

عليهم وعلى من يحيط بهم من شعوب صغيرة ، ومعاملة الله للناس لم تعد وقفاً عليهم هم ،بل رأوه فى كل الحركات التى كانت تظهر فى الممالك والامبراطوريات العالمية المتسعة . فكان هذا التغيير الضخم مع روح الانتظار الذى تملك عليهم — عقولهم وحياتهم — عاملا على تعميق فكرة المسيا وتفسير المواعيد والنبوات الخاصة به تفسيراً متسعاً متبايناً . وكان أهم ما ظهر فى عقيدة المسيا هو أنه لقب بلقب « ابن الإنسان » ( دانيال ٧ : ٤ ) وأن نسبه ومجيئه من نسل داود قد اختفى وصار شخصاً عالمياً ، نعم إنه يقف مع شعب قديسى العلى الذين هم اليهود المخلصون ولكن ذلك لا يعنى أن يكون له نسب أرضى .

ولكن هذه العقيدة وتمسك الناس بها كانت تتأرجح بين الظهور والاختفاء ، فبينما اشتد ظهورها واشتد انتظار الناس لمجئ المسيا فى عهد أنطيوخوس أبيفانس بدأت تخفف وتخفض فى عهد المكابيين ، لأن اليهود أحسوا بأنهم نالوا الاستقلال والسيادة ، ولكن ما أن فقدوا ما نالوه فى عهد هيرودس حتى تفجر انتظار الناس لمجئ المسيا بقوة عارمة ، فاتسعت التفسيرات وكثرت ، ووصف عصر المسيا وعمله فى صفحات كثيرة ، وبدأت أفكار العامة تضيف الكثير إلى هذه العقيدة . ويشهد العهد الجديد على هذا الرجاء الملتهب ، فكان الناس يظنون فى كل يوم أن ملكوت الله سوف يظهر فى الحال ( لوقا ١٩ : ١١ ) . ولهذا السبب التفوا حول يوحنا المعمدان ، ولما رأوا معجزات يسوع وسمعوا تعاليمه ذات السلطان البالغ بدأوا يتبعونه منتظرين ، لعله المسيا ، ولكنهم أخيراً رفضوه لأنهم لم يحقق لهم حلمهم القديم فيكون المسيا السياسى الذى يوجه الضربة القاضية لأعدائهم .

**٦ — الخلود :**

لكن العقيدة التى ظهرت فى الوجود فى هذه الفترة كأنها لم تكن من

قبل هى عقيدة الخلود . وكانت حالة اليهود المرة هى كالعادة العامل الأعظم فى ظهور هذه العقيدة وانتشارها . فعندما بدأت آمالهم فى النصرة الأرضية تتحطم وعندما ابتعدت عن عيونهم مراكز الرجاء والراحة ، لم يمت إيمانهم نتيجة لذلك ولم يتلاش لكنه كافح وانتصر فى هذه العقيدة — عقيدة الحياة المقبلة .

لم تكن هذه العقيدة واضحة فى العهد القديم ، ولم يذكر عنها إلا بعض التلميحات فى بعض الكتب مزامير « ١٦ و ١٧ و ٤٩ و ٧٣ ، أيوب ١ : ١٣ ١٥ و ١٩ و ٢٥ — ٢٢٩ وكان السبب الأول فى عدم ظهورها فى العهد القديم هو أن رجاء إسرائيل تركز أولا وأخيراً فى المواعيد الزمنية وميراث أرض كنعان والخلاص والمجد الزمنيين ، وعندما كانوا يفكرون فيما بعد الموت لم ترتفع أفكارهم عن كونها « هاوية لا يحمد فيها الناس الله » .

ولكن الجو يتغير إذا انتقلنا إلى كتب التلمود والأبوكريفا ، ففيها ظهرت عقيدة الحياة المقبلة واستخدم الكتاب ألفاظاً فنية مخصصة للتعبير عنها ، حتى نفس كلمة « خلود » استخدموها وارتبطت بهذه العقيدة صورتان متلازمتان « قيامة الأجساد » ، « العقاب والثواب » .

أما عن الصورة الأولى : قيامة الأجساد . فقد بدأت تظهر فى عصر المكابين كإحدى عمد الحياة المقبلة . نعم لا ينكر المرء أنها لم تظهر فى سفر يشوع بن سيراخ ولكنها جاءت فى مزامير سليمان وفى سفر دانيال ( مزامير سليمان ١٧ : ١٦ ، دانيال ١٢ : ٢ ) . واستمرت تنتشر ويتمسك بها الشعب حتى وصلت إلى ما وصلت عليه أيام المسيح ، إذ أضحت عقيدة ثابتة عند الفريسيين ، بينما كان الصدوقيون ينكرونها . ولكنها لم تظهر كاملة كما كانت فى عهد المسيح ، ولكنها تطورت ، فلم تنسب أولا إلا للأبرار

فقط حينما اعتقد مفكرو اليهود أنهم يقومون ويملكون مع المسيا ، ولكن العقيدة اتسعت فشملت الأشرار – ثم ارتبطت الفكرتان معاً فقيل إن الأبرار يقومون عند مجئ المسيا أما الأشرار فيقومون فى القيامة العامة .

أما الصورة الثانية فهى صورة العقاب والثواب ، ولم تظهر هذه الصورة أيضاً كاملة ولكنها تطورت فبدأت بفكرة مكافأة الأبرار الذين تعذبوا فى هذه الحياة الحاضرة ( الحكمة ٣ : ١ و ٥ و ١٠ ، ٥ : ١٤ ) ثم اتسعت فشملت عقاب الأشرار . وقد أطلق على المكان الذى يوجد فيه الأبرار اسم « حضن إبرهيم » أما مكان عذاب الأشرار فقد أطلقوا عليه اسم « جهنم » ولم تكن جهنم هذه أبدية مطلقة ولكنها كانت مدة محددة يتعذب فيها الأشرار حتى يوفوا عقاب خطاياهم وبعد ذلك يسيرون فى المعبد ليدخلوا إلى الفردوس . وقال كثيرون إن الفردوس وجهنم هما حالتان وسيطتان تعقبهما حالة البركة الأبدية . أما الذين لا يتوبون فلم توضح كتابات اليهود عنهم شيئاً أيتعذبون إلى الأبد أم يبيدون نهائياً .

أما يسوع فقد تمسك بهذه العقيدة واستخدمها فى تعاليمه ، ( متى ٥ : ٢٦ ، ١١ : ٢٢ ، لو ١٦ : ١٩ – ٣١ ، ٢٣ : ٤٣ ، ١٢ : ٤٧ و ٤٨ ) .

## الفصل الثاني

# الخلفية الهلينية

## ١ ــ الثقافة الهلينية وعناصرها

سبق وعرفنا أن اليهود حاولوا كل جهدهم أن يبعدوا الثقافة الهلينية عنهم ولكنهم لم يستطيعوا ، ومع أن الصراع كان عنيفاً قاسياً إلا أن عناصر غريبة من الخارج دخلت إلى أعماق التفكير اليهودى .

وهنا يتساءل الشخص : هل كان لهذه الثقافة الهلينية بمعناها الأوسع أثر فى التفكير المسيحى ــ أى فى العهد الجديد . وينقسم العلماء إلى ثلاث مدارس :

١ ــ المدرسة الأولى تنكر ذلك إنكاراً باتاً ، ويقول أصحابها إن المسيحية والتفكير المسيحى هو الابن الشرعى للعهد القديم واليهودية ، ولا يمكن أن نجد فى العهد الجديد شيئاً لا نجد بذوره فى العهد القديم واليهودية ، أما الثقافة الهلينية فلم يكن لها أثر على العهد الجديد لا من بعيد ولا من قريب .

٢ ــ أما المدرسة الثانية فهى المدرسة التى لا ترى فى المسيحية شيئاً سوى التفكير الهلينى ولكنه مسح بالمسحة المسيحية ، وتذكر هذه المدرسة أن المسيح كان ، يهودياً يفكر ويعمل فى الجو اليهودى ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك . أما المسيحية وهى من تفكير بولس الرسول فقد كانت شيئاً

آخر ، فهى ديانة أممية ربطت بالمسيح الذى وضع مركزاً لكثير من العقائد الهلينية ، وانتقلت هذه العقائد من المعبد الوثنى إلى الكنيسة المسيحية ؛ وعلى ذلك فقد كان الفكر الهلينى هو الأساس الذى بنيت عليه المسيحية .

٣ — أما المدرسة الثالثة فترى فى المدرستين السابقتين مبالغة شديدة ، فكلاهما ذهب إلى نهاية المطاف من ناحيته ونظر إلى الأمر نظرة لا متحيزة فقط ، ولكنها متطرقة لا تعرف شيئاً آخر غير ما تقول ، ولكن الحقيقة هى أن المسيحية بنيت على أساس غير هذه وتلك ويمكن تلخيص هذا البناء فى جملة واحدة تقرب المعنى وهو أنها اتخذت من العهد القديم واليهودية كثيراً من التفكير واتخذت من الهلينية المصطلحات التى تضع فيها هذا التفكير . فلا يمكن أن تفصل صلة المسيحية باليهودية ولا يمكن أن تتغاضى عن التيار الضخم العظيم الذى غطى العالم كله فى تلك الفترة وهى الثقافة الهلينية . ومع ذلك فالمسيحية شىء جديد لم تعرفه اليهودية ولا الهلينية من قبل وما نجده فيها من عناصر يهودية أو هلينية فلا يدخل فى جوهرها ولكنه يساعد على إظهاره .

**معنى الهلينية :**

إذا كان الأمر كذلك فما هو المعنى للهلينية ؟ وماذا يقصد بها ؟ يفرق العلماء بين اصطلاحين : Hellenistic Hellenic ويقصدون بالإصطلاح الأول Hellenic الثقافة اليونانية الكلاسيكية من القرون التى سبقت مجىء الإسكندر الأكبر أى أنها الثقافة التى انتشرت فى « المدن الدول » كمدينة أثينا وغيرها ، وتشمل هذه الثقافة التفكير اليونانى فى كل أوجهه إلى جانب العوائد والتقاليد وطرق المعيشة والسياسة ، وبمعنى أدق كل نشاط برز فى الحياة اليونانية سواء أكان فكرياً أم عملياً . ولقد امتازت هذه الثقافة بامتيازات سامية ، فقد بدأت ترفع قيمة الفرد وحولت نظره من السماء إلى

نفسه كما ظهر ذلك فى فلسفة سقراط بشعارها الخالد « إعرف نفسك » . وبهذا العمل حولت الفلسفة من فلسفة إلهية تدرس ما وراء للطبيعة إلى فلسفة إنسانية تبحث فى مشاكل الإنسان والمدينة . ثم هذبت الديانة فتحول الآلهة من قوى عمياء متصارعة مخيفة إلى كائنات أو آلهة أبطال يمثلون كثيراً من الصفات النبيلة بحسب التفكير اليونانى من أمثال زيوس وهرقل وغيرهما .

لكن الأمور تغيرت بمجئ فيليب المكدونى الذى بدأ يحطم الحواجز التى تفصل بين المدن ليكون من بلاد اليونان المتفرقة دولة واحدة . ثم تبعه ابنه الإسكندر فتخطى حدود اليونان وفتح رقعة واسعة من العالم ليحولها كلها إلى امبراطورية واسعة ضخمة ، ولم يقتصر على الفتح والتوسع السياسى ولكنه اهتم بالأكثر بنشر ثقافة قومه أى الثقافة Hellenic فى كل البلاد التى افتتحها ، نشرها فى هيئة لغة وتفكير وعوائد ، واختلطت هذه الثقافة بغيرها من الثقافات الأصيلة فى تلك الأمم فتكون منها ما يسمى بالثقافة Hellenistic أو Hellenism فالهلينية فى الاصطلاح الثانى هى الحضارة التى انتشرت فى حوض البحر الأبيض المتوسط وما يحيط به مدة قرون ثلاثة تبدأ من انقسام دولة الإسكندر الأكبر بعد موته . ولم تكن هذه الحضارة أصيلة فيها قوة الخلق والابتكار كما كانت الحضارة اليونانية القديمة ، ولكنها نمت من هذه الحضارة العريقة وصارت حضارة عالمية شعبية . هذه الحضارة الأخيرة هى التى تهمنا الآن بما لها من صلة بالمسيحية والعهد الجديد . فمتى ذكرنا كلمة هلينية فإنما نقصد بها الحضارة الأخيرة العالمية التى انتشرت خارجاً عن بلاد اليونان .

**ملامح هذه الحضارة :**

ولزيادة المعرفة بهذه الحضارة ينبغى أن نكشف عن بعض الملامح المتميزة الخاصة بها . وهناك امتيازات كثيرة أهمها ثلاثة :

## ١ — المسكونية Internationalism :

ولا يقصد بالمسكونية هنا اتساع الحضارة عن حدود مدينة واحدة ولكن يقصد بها تلك الروح العامة التى ربطت هذه الرقعة الواسعة من العالم المختلفة الأجناس واللغات بعضها ببعضها . وكما رأينا كان الإسكندر الأكبر هو المؤسس الأول لهذه المسكونية ، ولكن جاءت بعده امبراطورية ضخمة كان لها النصيب الأوفر فى تعميق هذه الروح . هى الامبراطورية الرومانية .

وكان أول ما عملته الدولة الرومانية لتوسيع نطاق هذه المسكونية هو أنها حاولت بث السلام فى ربوع الامبراطورية العظيمة المتباينة الأجناس ، ولم يكن هذا السلام مبنياً على الإخضاع بالسيف وكسر شوكة الشعوب ، ولكنه بنى على سيادة القانون الذى كان من أهم ما ميز حكم الرومان ، فتوسعوا فى الجنسية الرومانية ، فلم تقتصر على سكان روما وحدها ولكنها وهبت لبلاد كثيرة . وكان لها مالها من امتيازات كثيرة وضخمة . وبهذه الكيفية بدأت الكراهية تخف والغارات البربرية والهجرات الوحشية والغزوات القاسية تزول إلى فترة طويلة من الزمن مما ساعد على الاستقرار .

ثم بدأت الآلهة تتوحد فلم تعد آلهة مدينة أثينا أو حتى بلاد اليونان كلها تقتصر عليها . بل اندمجت الآلهة بعضها فى بعض ، وأخذ الأقوام يوفقون بين هذا الإله وذاك حتى أضحت مجموعة من الآلهة تسيطر على تلك الرقعة الواسعة تحت أسماء مختلفة ولكنها متفقة فى الصفات والقوة والاتجاه .

ولقد ساعد على بث هذه الروح المسكونية أيضاً انتشار الطرق المريحة . فقد اهتمت روما كثيراً ببناء وتعبيد الطرق الواسعة لجيوشها التى سارت إلى كل مكان فى الأرض ، ولكنها لم تقتصر على الأغراض العسكرية بل استخدمت فى التجارة والأسفار المتعددة للأفراد والقوافل ، ولم يكن المهم

هو تعبيد الطرق فقط بل كان أهم منه تأمينها من قطاع الطرق واللصوص . فشجع ذلك الناس على السفر . وما عملته فى البر عملته أيضاً فى البحر ، إذ قطعت دابر القراصنة الذين كانوا يسطون على السفن التجارية ، وسفن الأسفار وينهبونها ، فخفت وطأتهم فى البحر الأبيض بل كادت تزول . وأنشأت روما نظاماً محكماً للبريد ساعد على ربط المدن والأفراد . أما ما أعطته مكدونية لخلق هذه الروح المسكونية فلم يكن أقل مما عملته روما ، فقد أعطت لغة ربطت كل أجزاء الامبراطورية ، وحضارة جعلت منها وحدة واحدة . وهذا كله ساعد المسيحية على الانتشار والتغلغل إلى أعماق بلاد ودول ما كان يمكن لها أن تفعله بدون هذه المسكونية .

٢ — عدم الاستقرار الاجتماعى :

امتاز هذا العصر بأنه عصر تغيير اجتماعى ضخم ، فعندما تتحطم حدود « المدينة الدولة » لتذوب فى امبراطورية كبيرة تختلط فيها بأجناس عديدة فلا بد أن قيماً اجتماعية عديدة تتغير ، وتصبح المثل العليا لتلك المدينة فى عداد المخلفات القديمة .

وكان من أهم مظاهر هذا التغيير الجديد أن انقسم المجتمع إلى طبقتين منفصلتين تمام الانفصال : طبقة السادة الأرستقراطيين الإقطاعيين ، ثم طبقة العبيد والفقراء الذين يعيشون فى غبن وظلم شديدين . وانعدمت الطبقة الوسطى التى تعتبر فى كل عصر وموطن ميزان المجتمع الحقيقى ، ولهذا السبب انتشر الظلم الاجتماعى بكيفية أصبح فيها هو الشئ الطبيعى السائد الذى اعتاده الناس ، فلم تعد هناك ثورة ولا مطالبة بحقوق مدنية ولا أية حقوق اجتماعية للعدل الاجتماعى مما تعرفه عصور أخرى غير ذلك العصر . وكان من أثر ذلك أيضاً انتشار الفساد الاجتماعى ، فبدأت الأسر تتفكك والروابط الطبيعية تنحل .

وأضحى الانحلال الخلقى والجنسى طابعاً مميزاً لهم ، ومن يود أن يعرف لمحة بسيطة عنه فليقرأ ما كتبه الرسول بولس عندما لمس تلك الحالة لمساً خفيفاً فى الأصحاح الأول من رسالة رومية .

ومن أهم المظاهر التى طبعت ذلك العصر نظام الرقيق . وكان هذا النظام ضخماً ثابت الأركان لدرجة أن المسيحية لم تحاول اجتثاثه دفعة واحدة ، وإلا لما بقى المجتمع ثابتاً . فلو حدث أن قوة إعجازية أنهت الرقيق من الامبراطورية لتقوض المجتمع فى الحال . وكانوا يقولون إن نسبة الرقيق إلى المجتمع هى خمسون بالمائة ، أى أن نصف المجتمع كانوا من العبيد ، أما فى إيطاليا عامة فقد كان الأمر أشد صعوبة ، فقد قيل إن نسبتهم إلى الناس الأحرار كنسبة ٣ : ١ وكان ضرر هذا النظام جسيماً ، فقد أشاع أولا روح الكسل والخمول بين السادة ، فمن ذا الذى يعمل وهو يرى بيته قد امتلأ بالعبيد الذين يفعلون كل شئ ؟ وامتد هذا الأمر إلى احتقار العمل اليدوى ، وظن الناس أنه من صميم عمل العبيد ، أما السادة فلا يجوز لهم أن تمتد أيديهم إلى أى عمل مهما كان بسيطاً . وليس ذلك فقط بل لقد انتشر الفساد الخلقى ، فقد كان السادة يحسون أن كل عبيدهم ، رجالا ونساء ، ملكاً لهم يستولون على كل شىء عندهم ، فحق للسيد أن يفعل ما يريد وما يبغى بمن عنده من العبيد .

أما ما كان يرعب الضمير المسيحى فهو موقف الناس من الأطفال ، ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى وجد فى مصر الذى أرسله رجل إلى زوجته بعد أن عرف أنها أنجبت طفلة ، إذ يقول لها فيه أن نتخلص من هذه الطفلة ونقتلها بأية كيفية . إنه موقف مجتمع لا يتمتع بشئ كثير من الاستقرار .

## الفقر الروحي والتطلع إلى الخلاص :

كان ذلك المجتمع مستقراً مادياً مقلقاً اجتماعياً ولكنه كان مفلساً روحياً .
كان الرجل اليوناني قديماً لا يعرف معنى الخطية ولا يهتم كثيراً بالفشل الروحي ، ولكن عندما انكسرت الحواجز واختلط بالعالم الخارجي وتدخلت إليه التيارات الشرقية من ديانات سرية وتصوف فإن الحال تغير وبدأ ذلك الاستقرار الروحي في التقلقل بدرجة مروعة يصفها جلبرت موري « إنها فترة عصبية لا يمكن وصفها . إنها ظهور الصوفية والتشاؤم وفقدان الثقة بالنفس واليأس في هذه الحياة وعدم الإيمان بالمجهود البشري . إنه تساؤل بشري يائس وصرخة من أجل إعلان سماوي معصوم . إنه محادثة للروح مع الله . . إنه عصر أضحى فيه الإنسان الصالح ليس هو ذلك الذي يعيش بحسب البر والعدل بل هو الرجل الذي يحس بغفران خطاياه « مقتبسة من كتاب Jews and Greeks Turtors unto Christ ص ٢٢٣ » والذي دفع الإنسان إلى الإحساس بالخطية وطلب الغفران من الله تلك الأحوال التي مرت بها النفس البشرية ، ففي فترة خضع الإنسان للصدفة العمياء وأحس أن الحظ وحده هو الذي يحكم المصير البشري ، فالصدفة هي الله ، والله هو الصدفة . ثم ارتبطت العقيدة في الصدفة العمياء بالتنجيم والإيمان بالنجوم ، وأضحت الشمس والقمر والنجوم هي الآلهة التي ارتبط بها المصير الإنساني . ولكن الإنسان لم يكتف بذلك فعمل على تأليه الإنسان ، وبدلا من أن تؤنس الآلهة كما حدث في بلاد اليونان قديماً أضحى العكس فأله الإنسان وعبد فظهرت عبادة الامبراطور وغيره من الأبطال .

هذه كلها تعطينا التفسير الحقيقي لذلك الاشتياق الحقيقي للخلاص . ولم يكن الخلاص كما نفهمه نحن ، بل هو الخلاص من القوى الجبارة التي عبدها

الإنسان . فكم اشتاق الفرد أن يتخلص من القدر الأعمى والصدفة القاسية ثم تطلع إلى الخلاص من سلطة الكواكب والنجوم والقوى الجبارة القاسية التى تحكم الكون . وأضحى الشخص يحس أن خلاصه يأتى عن طريق المعرفة والتنوير الإلهى الذى يأتيه من الخارج .

ويمكن تلخيص لاهوت تلك الفترة فى هذه الكلمات : الإيمان الكامل بأن هذا العالم المنظور شرير ، وأنه فى مرتبة أقل بكثير من العالم الروحى . . عالم النور . والإيمان بأن روح الإنسان هى عنصر إلهى من ذلك العالم الروحى ؛ لكنه اختلط بهذا العالم المادى .. وأخيراً الإيمان بأن الإنسان بطريقة أو بأخرى يجب أن ينقذ ذلك العنصر الإلهى من سجنه ليرجع أصله الإلهى كما كان .

وكان هذا الاعتقاد هو الأساس الذى عليه بنيت الديانات السرية بما فيها من طقوس وعوائد كما سيجئ ذكره فيما بعد .

ومن هذا يتضح أن ذلك العنصر لم يكن عصراً ملحداً لا دينياً — كما يحاول للبعض أن يصفه ولكنه كان عصراً شغلت فيه الأسئلة الدينية كل العقول والقلوب . نعم لقد أفلست الديانات فلم تستطع أن تروى الغليل ، ولكن هذا الأمر لم يكن نهاية المطاف بل كان التطلع المشتاق إلى الخلاص هو الحافز القوى والطابع الظاهر لذلك العصر . وانتشرت المسيحية لا لأنها وجدت عقولا متفتحة تطلب كل جديد فقط ، بل وجدت نفوساً مثقلة تطلب الخلاص ولذلك قبلوها لأنهم وجدوا فيها ما يرويهم من خلاص كامل . إن العصر الهلينى أوضح بجلاء أن الحق هو الصديق الحقيقى للانسان وأن معرفته ممكنة ومستطاعة .

## ٢ ـ العلاقة التى تربط العهد الجديد بالهلينية

لا يستطيع أى دارس أن ينكر أن هناك علاقة ما بين العهد الجديد وبين تيار الثقافة الهلينية الذى ساد ذلك العصر . ولا يعقل أن الكنيسة المسيحية التى نبتت فى وسط ذلك التيار الجارف ظلت بمنأى عنه غير متأثرة به . ومن يفتح العهد الجديد ويقرأه لأول مرة وهو يعرف بيئة ذلك العصر ، لا يخفى عليه ذلك الأثر الذى تركته تلك البيئة عليه . إن الاختلاف بين دارسى الكتاب لا ينصب على الارتباط بين العهد الجديد والمسيحية من جانب والهلينية من جانب آخر ، فغالبيتهم تقريباً متفق فى ذلك ، ولكن الاختلاف يكمن فى تحديد نوع ذلك التأثير ومداه . ولا يسعنا هنا أن نضع تحديد لذلك قبل أن نورد بعض النقط التى عندها يتلاقى العهد الجديد بالهلينية ، لنرى مقدار تأثر أحدهما بالآخر . ويمكن القول بأن أشهر المراكز الهلينية التى تهمنا فى هذا المضمار هى :

١ — الديانات السرية .

٢ — الغنوسية .

### ١ ـ الديانات السرية :

الديانات السرية هى أقوى محاولة قام بها الإنسان لكى يتخلص من سجن التعاسة ، والإحساس بالخطية ، والخوف من الموت ، ثم لضمان الخلود لنفسه. ولقد بدأت فى بلاد اليونان قبل العصر الهلينى فى ديانتين سريتين : الأولى هى الديانة الأورفية Orphism نسبة لذلك المغنى اليونانى الأسطورى أورفوس وقد انتشرت فى القرن السادس قبل الميلاد فى بلاد اليونان . ثم الديانة الأليوسينية ، وقد كانت الديانة الرسمية ، وترتبط بالإله ديمتريوس

Demeter الذى كان يمثل قيامة الحياة النباتية فى الربيع بعد موتها فى الشتاء » .

ولكن بعد فتوحات الإسكندر بدأت الديانات اليونانية تختلط بما حولها. ونظراً لما كان عليه الرومانيون من تساهل وتسامح بالنسبة للديانات الأخرى. فقد بدأت عناصر جديدة غريبة تدخل إلى الثقافة الهلينية وخصوصاً . . تلك الديانات والطقوس الكثيرة التى انتشرت فى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط . فظهرت بذلك مجموعة كبيرة من الديانات السرية ذات الطقوس الغريبة التى كان يمارسها المتمسكون بها .

ولكن ما هى الديانة السرية ؟ رغم كل الاختلافات الكثيرة فى التفاصيل. ورغم السرية الكاملة التى كانت تفرض على طقوس الديانة وعدم البوح بها لدى أى إنسان خارجى ، رغم ذلك فالديانات السرية كلها تشترك فى عناصر أساسية لا تختلف فيها ديانتان : هذه العناصر تتلخص فى أن الإنسان عنصراً إلهياً جاء من الإله من السماء ، ولكن هذا العنصر السامى سجن فى سجن المادة فى جسد الإنسان ، سجن ليتعذب ويتألم ، ولا بد له من التحرر من هذا السجن ليصعد إلى مصدره الذى جاء منه . ولا توجد طريقة لذلك سوى الاجتياز فى اختبار الإله العميق . ذلك الاختبار هو الموت والقيامة . ولكن قبل ذلك الاختبار عليه أن يقوم ببعض الطقوس ، فهناك طقس للتطهير من الخطايا ، كالمعمودية ، ثم هناك فريضة أخرى هى الأكل مع الإله والاشتراك معه فى مائدة مقدسة واحدة هى مائدة الإله . ثم بعد ذلك الدخول فى ذلك الاختبار السرى اختبار الموت مع الإله . فآلهة الديانات السرية هى آلهة تشترك مع البشر فى الألم . وهى تموت ثم تحيا من الموت مرة أخرى . ويجوز المؤمن بها ، ذلك الاختيار « الموت والقيامة » . وبذلك يقال عنه بأنه ولد من

جديد ، أو أنه جاز اختبار الولادة الجديدة . وهكذا يضمن لنفسه الحياة الخالدة . وبهذه الطقوس يحاول الإنسان أن يتخلص من الشعور بالخطية والتعاسة ، ثم يضمن لنفسه الخلود والحياة اللانهائية .

ويقابل هذا كله ذلك المستقبل المظلم الصعب الذى يقابله الإنسان الخارجى الذى لا يقوم بهذه المراسم .

ومع ذلك فلم يحاول أى مؤمن بديانة من هذه الديانات أن يشجب الديانات الأخرى على أنها لا نفع منها أو فيها ، ولكنه كان يعتقد أن كل الديانات السرية نافعة ، وكثيراً ما كان يشترك فى ديانتين أو أكثر ضماناً منه للفائدة ولراحة النفس من العذاب .

وكان يمر فى مراحل متعددة تبقى كلها سرية مطلقة لا يعرفها إنسان آخر ممن لم يدخلوا ضمن الأتباع .

هذه هى الخطوط العريضة للديانات السرية . ويستحسن هنا أن ندرس تفاصيل إحدى هذه الديانات كمثل من الأمثال المشهورة التى يقابلها من يدرس ذلك العصر . هذه الديانة اسمها المثرية Mithraism :

كانت ديانة المثرية ديانة شعبية انتشرت بشكل خطير فى الامبراطورية الرومانية فى القرن الثانى والثالث الميلاديين ، وكانت أكبر منافس للمسيحية ، حتى أن رينان الفيلسوف الفرنسى كان يتخيل أنه لو أصاب المسيحية عطب ما يمنعها من الانتشار لصارت ديانة مثرا هى الديانة البديلة لها التى تستولى على عقول الناس . ولكن هذه الديانة أوقفت بقوة القانون فى أوائل القرن الرابع عندما أعلن قسطنطين أن الديانة المسيحية هى ديانة الدولة الرسمية . ولما حاول يوليانس المرتد إرجاعها فشل رغم ما استخدمه من عنف وقسوة .

وتنسب هذه الديانة إلى الإله مثرا وهو أحد الآلهة الهندية وقد ظهر اسمه فى القرن السادس عشر قبل الميلاد كشاهد قوى على معاهدة أبرمت بين ملكين . وقد كشفت النقوش القديمة على أن آلهة تلك الشعوب كانت تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الأولى هى آلهة الطبيعة ، أما المجموعة الثانية هى آلهة المجتمع البشرى ، وكان مثرا من آلهة المجموعة الثانية وكانت وظيفته هى مراقبة المعاهدات التى يعقدها الأفراد أو الدول بعضها مع بعض ، ومراقبة تنفيذ تلك المعاهدات .

ولما ظهرت الديانة الزرادشتية انتقل مثرا من غرب آسيا إلى بلاد فارس ، وارتفع فى أعين الزرادشتيين حتى صار الإله الثانى بعد أهوراما زادا إله الخير ، وكانوا يطلقون عليه لقب إله النور . . ثم ارتفع حتى صار حارس البشرية ، الموجود فى كل مكان ، مراقب كل المعاهدات ، والمنتقم من كاسرى العهود ، والمنتصر فى كل الحروب . وأخيراً أضحى الوسيط بين الناس وبين أهورا مازادا .

وأخيراً دخل مثرا إلى الامبراطورية الرومانية وبدأت ديانته تنتشر بين شعوب الامبراطورية من بدء حكم القيصر تراجان ، واتسعت إلى أن فاقت كل الديانات ، ويعزى انتشارها هكذا بهذه السرعة وهذا العمق إلى عساكر الجيوش الرومانية الذين اعتنقوها وحملوها إلى أى مكان ذهبوا إليه ، ثم إلى أسرى الحروب ، الذين حملوها معهم إلى روما قلب الدولة الرومانية .

هذا هو تاريخ مثرا كإله وديانة عندما انتشرت فى الدولة الرومانية ، ولكن هناك أسطورة Myth تحكى قصة حياة مثرا نفسه . تقول الأسطورة إن مثرا ولد من الصخرة العظمى . وعندما خلق أهورا مازادا الثور العظيم هرب منه ، فما كان من مثرا إلا أن تعقبه ثم قدم ذلك الثور ذبيحة حتى يمكن

للأرض أن تخصب من دمائه المنبثقة منه . ولكن أهورما إله الشر أراد أن يمنع تلك الدماء من أن تنسكب على الأرض فتخصبها فأرسل العقارب حتى يمنع مثرا من ذبح الثور . ولكن مثرا انتصر على العقارب وانسكبت الدماء . وكان مع مثرا كلبه الأمين وحية تمتص دماء الثور وهى تعبير عن الخصب والنماء .

هذه هى الأسطورة وهذا هو تاريخ الديانة . ولكن هناك ما هو أهم لنا من تاريخ الديانة وأسطورة الإله . إن المهم لدراستنا هو تلك الطقوس الدينية التى كان يقوم بها معتنقو هذه الديانة .

يؤخذ من دراسة كتابات الآباء ( جيروم ، رسالة ١٠٧ ) أن من كان ينضم إلى جماعة مثرا لا يستطيع أن يدخل دفعة واحدة ، بل عليه أن يمر فى سبع درجات متتالية ، هى سبع أبراج الكواكب ، تمر فيها الروح حتى تصل إلى نهاية الرؤيا والمجد الأعظم . وهذه الدرجات حسب ترتيبها هى : الغراب — العريس — الجندى — الأسد — الفارس — مخدع الشمس — الآب . وعلى المؤمن ، عندما يصل إلى درجة معينة ، أن يلبس لباساً خاصاً بها ، فمثلا عندما يصل إلى برج الجندى فإنه يلبس لباس الجندية ثم يدخل إلى كهف عسكرى ويمسك بسيف يضعه على رأسه ، ثم يرفعه ويضعه على كتفه ليظهر أن مثرا هو تاجه ومجده ، وأنه هو جنديه وشهيده إذا لزم الأمر ، ثم يسام على جبهته بعلامة بقضيب محمى بالنار ، وبعد ذلك يسمى بالخادم . وعندما يصل إلى برج الشمس فإنه يسمى شريكاً ، وعندما يصل إلى النهاية يدخل فى عهد السرية التام .

وإلى جانب هذه الرحلة الدينية عليه أن يقوم بطقوس أخرى . فهناك

المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر ، وبعد المعمودية يولد الإنسان ولادة ثانية .

وهناك مائدة مثرا وهى مائدة مقدسة يأكل منها مع الإله مثرا ليشترك فى خبرة الإله . . . موته وقيامته .

وعندما يصل إلى برج الأسد فإنه يتناول الخبز والخمر المقدس . وعيد مثرا هو يوم ٢٥ ديسمبر وهو عيد قيامة الشمس ، فإن الناس قديماً كانت تظن أن الشمس تسير فى طريقها إلى الموت حتى تصل إلى أقصى الضعف يوم ٢١ ديسمبر ثم تبدأ بعد ذلك فى الحياة .

هذه هى ديانة مثرا وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية فى الطقوس : المعمودية والولادة الثانية والأكل مع الإله واختبار الموت والقيامة مع الإله . ولكن ماذا يميز المسيحية عن المثرائية ؟ إن الفرق العظيم الذى يكون فجوة لا تعبر بين الإثنين هى أن المسيحية ديانة بنيت على حقيقة تاريخية ملموسة . . ومركزها هو شخص عاش فى التاريخ مات وقام . . . عرفوه ورأوه ولمسوه وشهدوا له بحياتهم . أما ديانة مثرا وغيرها فهى ديانة طقسية بنيت على أسطورة لا أساس تاريخى لها . . هى من خيال الإنسان الذى يريد الخلاص .

**٢ ـ الغنوسية :**

هى حركة دينية اختلطت فيها مجموعة من الظواهر والمعتقدات ، ظهرت بوضوح فى القرن الثانى الميلادى ، واستمرت إلى القرن الرابع بل والخامس ولكن هذا لا يعنى أنها ظهرت فجأة ، بل كانت لها جذورها التى بدأت تنمو وتتكون قبل هذا الوقت بكثير . .

والمصدر الأساسى الذى نعرف منه الغنوسية هى كتابات جماعات من الناس متفرقة وغير مترابطة ، حرمتها الكنيسة باعتبارها جماعات هرطوقية . وقد فقدت كتابات كثيرة منها ولم نعرف عنها شيئاً سوى من كتابات الآباء الذين كانوا يردون عليهم ويفندون آراءهم . ولكن العصر الحديث كشف عن كنز ثمين من أوراق البردى فى منطقة نجع حمادى هى عبارة عن كتابات كثيرة غنوسية . منها مثلا « انجيل الحق » وغيره ، فألقى نوراً واضحاً على عقائدهم وآرائهم .

ونظراً للأفكار الكثيرة الغير مترابطة ، والاختلافات المتعددة التى تصل إلى حد التناقض فى كتاباتهم ، فلا يمكننا أن نعمل دراسة منظمة عن أسلوب التفكير والحياة فيها ، ولكننا سنمر مروراً عابراً على بعض أوجهها المختلفة التى ظهرت . هناك مجموعة من النظم والمظاهر فيها منها :

**١ — الغنوسية السريانية :**

وتنسب إلى سيمون ماجوس . ولقد اعتبر سيمون نفسه الثالوث الأقدس وأنه هو الذى يخلص أتباعه بنعمته وليس بأعمال الناموس . واستشهد بما جاء فى ( أفسس ٢ : ٨ — ٩ ) . ويظن أتباعه أنه نزل من السماء . وقد تطرف تلاميذه فظهر واحد منهم اسمه ميناندر Menandor قال أيضاً إنه نزل من السماء وأوجد نظام المعمودية السحرية التى توجد الشباب الدائم .

وقد ظهرت نسخة أخرى من هذه العقيدة فى أنطاكية صاحبها رجل اسمه ساتورنيس Saturenius الذى قال إن الإله الأعلى مجهول ، وقد خلق كائنات روحية التى خلقت العالم . وقد رأت هذه الكائنات صورة مضيئة آتية من السماء فأرادوا تقليدها ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك إلا بعد أن انطلقت شرارة سماوية فأعطت الحياة لما عملوه . هذه الشرارة هى

العنصر السماوى الذى يجب أن يخلص من شر المادة . وقد جاء المسيح لكى يخلص هذا العنصر السماوى . ولم يكن هذا المسيح إلا جسداً ظاهراً فقط . وقال ميناندر إن الناموس قد أعطى بواسطة الملائكة الذين ألهموا الأنبياء .

جمع الغنوسية السريانية كانت تحتوى على عنصر أنثوى يسمى « فكر الله » وقد بنى الغنوسيون حياتهم على هذا الأساس ، فكانت حياتهم إباحية وبلا ناموس فيما عدا استاوروس الذى أنكر العنصر الأنثوى ونادى بالتعفف ، وادعى بأن المسيح جاء لكى يبيد العنصر الأنثوى هذا .

**٢ – مارسيون :**

ويعتقد أنه كان من الغنوسيين ، وسوف ندرس عنه شيئاً فى الفصل الخاص بقانونية الكتاب المقدس .

**٣ – فالينتينوس Valentinus :**

هو الذى كتب انجيل الحق ، الذى اكتشف فى نجع حمادى ( نشر فى سنة ١٩٥٦ ) . هذا الكتاب أكثر بساطة وشاعرية وأميل إلى اليهودية من الكتابات الغنوسية الأخرى ، حتى قال عنه إيريناوس إنه يمثل دوراً مبكراً من تعاليم فالينتينوس .

ويظهر من كتابات إيريناوس أن فالينتينوس نادى بانبثاق العناصر السماوية من الإله الأعظم . وآخر عنصر من هذه العناصر الإثنى عشر كان الأنثى « صوفياً » أو الحكمة . وكانت غير مستقرة ، ودفعها عدم استقرارها هذا إلى السقوط فى الظلمة الخارجية ، وهناك حبلت تلقائياً وولدت إبناً غير ناضج هو الذى خلق الكون ، واستخدم عواطف أمه المتجمدة فى خلق العالم ، فمن دموعها عمل المياه ؛ وهكذا. ولكن أمه وضعت فى المخلوقات الشرارة

المقدسة فتشاجر معها ، ولكن لكى تخلص نفسها والجنس البشرى منه ، أرسلت يسوع ليجمع العنصر المقدس . ويقول فالينتيوس إن الزواج فى الجنس البشرى هو تقليد رمزى للصلة الروحية فى العالم الروحى حيث يتزوجون هناك زواجاً مقدساً .

٤ – باسيليدس Basilides :

هو معاصر عجوز لفالينتينوس . علم باسيليوس هذا أن فى البدء لم يكن شىء ولكن إله غير موجود خلق بذرة من لا شىء ، ومنها أوجد أنواعاً مختلفة من الموجودات . وهذه الموجودات سترجع إلى الخالق غير الموجود ، وهذا الرجوع هو هدف التاريخ ، وعندما ينتهى هذا الرجوع يأتى النسيان على الأرض ولا يوجد هناك خلاص . لكن باسيليدس لم يستطع أن يجتذب إلى تعاليمه أناساً كثيرين نسبة لما ينادى به من عقيدة « الفناء » .

٥ – النظم اللاحقة :

فى القرون التالية حاول الغنوسيون أن يربطوا تلك العناصر الموجودة فى النظم المبكرة التى سبق ذكرها ، وحاولوا أن يجدوا لها أساساً فى الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والتاريخ والأساطير ، ولكن أهم ما كان يضع الغنوسية فى مكان الهرطقة فى نظر المسيحيين هو الثنائية المطلقة ، وأن المادة شريرة ولا خلاص لها ، وأن العنصر السماوى فى الإنسان خير ويجب أن يخلص . والخلاص يقوم عن طريق المعرفة وإذا كان يسوع هو المخلص فذلك لأنه جاء بالمعرفة .

وعلى أساس هاتين العقيدتين الغنوسيتين بدأ العلماء يفسرون موقف إنجيل يوحنا وكتابات الرسول بولس مثلا : فالمعرفة تحتل مركزاً كبيراً فى

هذه الكتابات ( يوحنا ٣ : ١١ — ١٣ ، ٨ : ٣٢ ، ١٧ : ٣ ، ١ كورنثوس ٢ ) وإلى جانب ذلك ظنوا أن التقابل بين الجسد والروح ، النور والظلمة ، الحق والكذب فى كتابات الرسولين يوحنا وبولس هى عقائد غنوسية ثنائية .

هذا التفكير والرد عليه سيأتى فى حينه ولكننا هنا أردنا أن نظهر شيئاً من شبهة التشابه بين الغنوسية والعهد الجديد .

# الفصل الثالث

# نمو العهد الجديد

**يسوع والعهد الجديد :**

لا يختلف اثنان فى أن يسوع المسيح هو المركز الأساسى للعهد الجديد ، فحوله تدور كل الكتابات من أناجيل وتاريخ ورسائل وكتب أخرى . ومع ذلك يجب أن نقرر أن يسوع نفسه لم يترك شيئاً مكتوباً ، ولم يعثر إنسان ما على أية وثيقة أو وسيلة تكشف عن أية كتابات قام بها . لقد كان يعلم ويودع تعاليمه مجموعة من التلاميذ ، أهلهم بكافة الطرق لحمل رسالته إلى العالم ، اهتم بهم وركز كل مجهوده فى تكوينهم . وبهذا يتضح أن اهتمام يسوع الأول لم يكن الكتاب ولكن الرسول ، لم تكن الوثيقة بل الإنسان .

هذا الأمر يختلف عما يقوله الإسلام من أن الإنجيل نزل على يسوع أو « عيسى » بلغة القرآن ، فالمسئول الأول عن كتابة هذا الكتاب الذى نسميه العهد الجديد ليس يسوع بل المسيحيين ، سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثانى من التلاميذ ( لوقا ١ : ٢ ، عب ٢ : ٣ و ٤ ، ١ يو ١ : ١ — ٤ ) . وهذا الكتاب ليس كتاباً أزلياً كان محفوظاً فى اللوح المحفوظ ، ولكنه كتاب نشأ فى وسط الكنيسة وبواسطتها ومن أجلها . نعم إنه كتاب هيمن الروح القدس على كل ما كتب فيه ، ولكنه فى نفس الوقت كتب بواسطة أناس الله الذين شاهدوا وشهدوا للمسيح .!

ويقرر التاريخ الكنسى أن هذا الكتاب لم يكتب كله دفعة واحدة ولكنه

كتب فى حقبة طويلة نسبياً بواسطة أناس متعددى المواهب والتفكير والثقافة ، ومن يرغب فى دراسته فعليه أن يدرس أولا كيف تطورت الأمور من بدء قيامة المسيح وصعوده إلى الوقت الذى فيه كتب هذا الكتاب المقدس — العهد الجديد . هذه الدراسة سوف تقدم هنا فى مواضيع ثلاثة : الحقيقة — الشهود — الشهادة .

## ١ — الحقيقة

( أ ) تعتبر العبارة الواردة فى ٢ بطرس ١ : ١٦ « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة » من أجل الحقائق التى تعلن فى الكتاب المقدس ، إذ يظهر فيها أن المسيحية لم تبن على أساطير أو مبادئ فلسفية ، ولكنها بنيت وقامت على حقائق واقعة وحوادث جرت فعلا فى التاريخ . ولعل الحقيقة التاريخية الأساسية التى بنيت عليها هى حقيقة الإنجيل . فما هو المقصود بالإنجيل ؟ لقد ارتبط هذا الاسم « الإنجيل » بكتاب ، أى أنه اسم الكتاب الذى يذكر قصة مجئ وحياة وأعمال وموت وقيامة يسوع المسيح ، فحينما يذكر اسم الإنجيل يتجه التفكير مباشرة ، إما إلى أحد الكتب الأربعة : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا ، أو إلى الكتاب الذى نسميه العهد الجديد . لكن هذا المعنى ظهر فى عصر متأخر عن العصر الذى كتب فيه العهد الجديد ، أى منذ أن قال جاستن مارتر « لأن الرسل فى ذكرياتهم التى كتبوها التى تسمى الأناجيل سلمونا ما تسلموه هم أنفسهم » . لكن هذا المعنى لم يرد فى كتاب العهد الجديد نفسه ، فهناك يتضح أن الإنجيل لا يعنى كتاب بل يعنى عمل . فمفتاح معنى الإنجيل ليس الكلمة المكتوبة ولكنه العمل الإلهى الذى قام به الله رومية ( ١ : ١٦ و ١٧ ) . لقد ورد هذا الاسم فى إنجيل متى ٤ مرات ، وفى مرقس ٨ مرات ، وفى كتابات الرسول بولس ٦٠ مرة ، ولكنه لا يظهر فى إنجيل يوحنا ورسالة العبرانيين ويعقوب ولا حتى فى إنجيل لوقا . ومع أن الكلمة

فى ذاتها تعنى لغوياً أخباراً سارة لكن استعمالاتها الكثيرة فى العهد الجديد تعطينا معنى أعمق من مجرد الأخبار ، لأنه إن كان الإنجيل خبراً فعن أى شئ؟ وفى الحقيقة فإن كلمة إنجيل تعنى كلا الأمرين الكلمة : أى « كلمة الخبر » ثم « المخبر به » فما هو هذا الشئ المخبر به ؟ فى ( ١تيموثاوس ١ : ١١ ) نجد مضمون الإنجيل واضحاً فى القول « حسب انجيل مجد الله المبارك » فمضمون الإنجيل الذى يحدده ويعرفه الكاتب هو « مجد الله المبارك » . ويظهر ذلك بوضوح فى قول الرسول بولس فى ٢ كورنثوس ٤ : ٣ — ٦ « ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم فى الهالكين ، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو «صورة الله فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع . لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » . فى هذه الأعداد يذكر الرسول أن الإنجيل هو إعلان مجد يسوع المسيح الذى هو صورة الله ومجده . ولعل ما يقوله البشير مرقس عن يوحنا المعمدان على أنه « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة »( مرقس ١ : ٣ ) ، والذى أقتبسه من ( ملاخى ٣ : ١ ، إشعياء ٤٠ : ٣ ) يشير إلى هذه الحقيقة فى بقية الاقتباس « . . . كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلا فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم ( إشعياء ٤٠ : ٤ و ٥ ) .

فالإنجيل إذن معناه إعلان مجد الرب ، فما هو معنى مجد الرب ؟

فى العهد القديم نجد معان متنوعة لهذه الكلمة « مجد » . فقد تعنى غنى وثروة ( تكوين ١٣ : ٢ ، ٣١ : ١ ، ٤٥ : ١٣ ، ١ ملوك ٣ : ١٣ ) .

ولكن الكلمة تأتى أيضاً فى معنى دينى أى ما يجعله الله غير المنظور معلناً وظاهراً للناس مثل الظواهر الطبيعية (مزمور ٢٩ : ١ — ٣ ، ٩٧ : ١ — ٦). وقد ظهر هذا فى جبل سيناء (خروج ٢٤ : ١٥ — ١٨) ، فمجد الله معناه الجلال والسمو المتعالى . لكنه الجلال المعلن الذى يراه الناس ويشهدونه ويلمسونه ، فهم يشاهدونه فى خيمة الاجتماع (خروج ٤٠ : ٣٤) ، وفى التابوت (١ صموئيل ٤ : ٢١ و ٢٢) ، والهيكل (مزمور ٢٤ : ٧ — ١٠) وكذلك فى بعض الحوادث كما حدث فى إخراج إسرائيل من مصر (خروج ٣٣ : ١٢ — ٢٣) ، وفى إرجاعهم من السبى (إشعياء ٤٠ : ٥) . فمجد الله فى العهد القديم إذن ليس هو جلال جوهره وعظمة ذاته ، ولكن هذا المجد يظهر فى إعلانه الحى لنفسه فى بعض الحوادث العظيمة .

ولكن العهد القديم ينظر إلى مجد الله على أنه سيعلن فى أبهى طريقة فى المستقبل ، كما يذكر ذلك حزقيال ٤٤ : ١ — ٤ . واشعياء ٥٩ : ١٩ ، ٦٠ : ١ — ٥ . ودانيال ٧ : ١٣ — ١٤ .

هذا المعنى المتضمن فى العهد القديم يوضح لنا معنى عبارة « إنجيل مجد الله » فهو يعنى إعلان الله لنفسه فى حوادث تاريخية معينة ، هذه الحوادث مرتبطة بيسوع المسيح كما رأينا فى ٢ كو ٤ : ٣ — ٦ . فمجد الله إذن أعلن فى حياة وموت وقيامة يسوع المسيح ، وفى حياة الكنيسة التى بنيت عليه . فالإنجيل إذن يعنى أن الله فى وقت محدد وفى مكان محدد وحياة محددة كان يعمل عملا حاسماً وقاطعاً .

هذا هو الشئ « المخبر به » الذى ترتبط به « كلمة الخبر » إنه عمل الله فى يسوع المسيح لفداء البشر ولخلاصهم .

(ب) يرتبط بالحقيقة السابقة ما يمكن أن يسمى بتاريخية الإعلان لهذه

الحقيقة ، بمعنى أن هذا الإعلان حدث فى التاريخ وفى مجرى الحوادث التاريخية . وكتاب العهد الجديد كانوا يؤكدون هذه الحقيقة المرة تلو المرة ، ولم يأل أحدهم جهداً فى إثباتها . فبعد أن يتكلم يوحنا عن « الكلمة » وعلاقته الأزلية بالله يسرع فيقول « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب)يوحنا١ : ١٤ ) . واستمر يشهد فى كل كتاباته على أنه رآه ولمسه وعرفه مع كل شركاء الخدمة معه ( ١ يوحنا ١ : ١ — ٤ ) . وربط لوقا حياة المسيح بالحياة العامة التى كانت فى عهده وربط نشاطه بالتاريخ السياسى ( لوقا ٢ : ١ و ٢ ، ٣ : ١ و ٢ إلخ ) . ويؤكد الرسول بولس على أن الله أرسل ابنه مولوداً من مولوداً تحت الناموس ( غلاطية ٤ : ٤ ) . وهكذا لم يشذ كاتب عن إثبات هذه الحقيقة المؤكدة وهى أن الله أعلن نفسه بقوة فادياً فى المسيح يسوع ، فى التاريخ الجارى ، وفى حوادث بعينها لمسها كثير من الناس فى حياة يسوع وموته وقيامته عندما أراهم نفسه حياً بما لا يقبل الشك .

ولكن لماذا يهتم العهد الجديد بهذا كله ؟ لماذا ينبر الكتاب على تاريخية الإعلان ، وتحديد حوادث بالذات وتعيين هذا الشخص بعينه ؟ إن السبب فى هذا التنبير يرجع إلى ما كان سائداً فى ذلك العصر من ديانات سرية مختلفة اعتنقها كثير من الناس ، لأنهم كانوا يتطلعون إلى الخلاص من حالة الفوضى والقلق النفسى والفقر الروحى الذى كان يسود العالم فى ذلك الوقت ، وكانت الديانات السرية تشبه المسيحية فى بعض الخطوط الرئيسية كما مر بنا . فمثلا كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم وأن أساس الخلاص هو أن يتحد الإنسان مع ذلك الإله بطرق خاصة وطقوس سرية لا يجوز لمن خبرها أن يخبر بها أحداً من الخارج ، ولهذا أطلق عليها لقب الديانات السرية ، وهناك درجات فى الاتحاد بالإله يجوز فيها الإنسان بالتدريج حتى يصل إلى

نهايتها ، ولعل هذه الديانات كانت سبباً فى بلبلة الأفكار فى ابتداء الكنيسة المسيحية كما اتضح ذلك فى مسألة أكل ما ذبح للأصنام وغير ذلك .

هذه الديانات كان ينقصها عنصر واحد أفقدها كل شيء وهو الحقيقة . إنها ديانات بنيت على الأساطير والخلاص فيها كان خلاصاً وهمياً أو كما قال الرسول « خرافات مصنعة » وهذا الأمر بالذات هو ما جعل المسيحية شيئاً آخر . إنه خلاص حقيقى ، والمخلص ليس أسطورة قديمة ، ولكنه جاء إنساناً وحل بيننا وعاش مع الناس ، رأوه واختبروه فى موته وقيامته وصعوده . شعروا وتأكدوا فى حياتهم بعمله وعرفوا السلام الحقيقى المبنى على التبرير الحقيقى ، فلم يعيشوا فى الوهم ولكنهم اختبروا الحقيقة التى أعلنت فى زمن معين وفى شخص معروف .

فمهما تشابهت الديانات الأخرى مع المسيحية فى عباداتها وطقوسها ، وفى المظاهر الخارجية ، إلا أن الفرق شاسع بينهما لا يمكن أن يعبر ، لأنه ينصب لا على الدرجة بل على النوع . فتلك الديانات وهمية بنيت على الأساطير ، أما هذه فنبتت من إعلان الله لنفسه ولمجده فى عمل فدائى عظيم فى الإنسان يسوع المسيح .

لهذا السبب نبر العهد الجديد بشدة على تاريخية هذا الإعلان وصارت هى الحقيقة الأساسية فى الإنجيل .

## ٢ ــ الشهود

ولكن الحدث لا يمكن أن يكون تاريخياً لأنه حدث وكفى . فكم من حوادث وأشياء تقع ولكنها لا تدخل فى حكم الأمور التاريخية . فآلاف الأشجار مثلاً تسقط فى غابات أفريقيا كل يوم ولكننا لا نحس بها ولا ندرى

بوجودها أو زوالها ، فلا يمكن أن يسمى سقوطها حادثاً تاريخياً . فالحادث التاريخي الحقيقي هو ما كان له صلة بالناس ، وليس ذلك فقط بل هو ما كان له معنى وتأثير في حياة الذين يتصل بهم ، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقرر بكل تأكيد أن هذه الحقيقة : وهي إعلان الله نفسه في المسيح فادياً ومخلصاً ، هي حقيقة تاريخية بكل معنى الكلمة لأن لها التأثير الحاسم في حياة كل من جاءوا تحت تأثيرها

ولعل المجموعة الأولى التي لمست وشاهدت تلك الحوادث كانوا هم الذين احتاطوا بيسوع وعرفوه ووثقوا به . هؤلاء هم تلاميذه أو كما سماهم هو « شهود » (أعمال ١ : ٤ ) . وبهذا الأمر يشهد واحد منهم في رسالته ( ١ يو ١ : ١ — ٤ ) . ولكن قبل أن نعرف شيئاً عن هؤلاء الشهود يجب أن نعرف شيئاً عن معنى « الشاهد » ، فهم شهود ليس فقط لأنهم شاهدوا هذه الحوادث بأعينهم كما هو الحال مع شاهد المحكمة الذي يذكر ما رأته عيناه أو سمعته أذناه وكفى . لأن الشهادة التي يقصدها المسيح لأعظم وأعمق مما لا يقاس من شهادة شاهد المحكمة . فالشاهد في مفهوم العهد الجديد هو شخص قد اختبر تأثير ما رآه ، فهو يشهد للانجيل وهذا الإنجيل هو قوة لها تأثيرها كما يصف الرسول بولس قائلا « إنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن (رومية ١ : ١٦ و ١٧ ) . ولهذا قال السيد لهؤلاء الذين شاهدوا واختبروا « وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أعمال ١ : ٥ ) . فكل ما يخبرون به أو يسجلونه إنما هو اختبارهم الحقيقي ، هو تعبير عن حياتهم عندما قابلوا سيدهم وتجسم فيهم . لكن من هم هؤلاء الذين نقصدهم عندما نتكلم عن الشهود ؟ إنهم هم الذين شاركوا في صنع الخبرة المسيحية في العصر ما بين قيامة المسيح وكتابة الأناجيل ، هم

الذين رأوا أو سمعوا فأثروا بذلك هذا الاختبار المسيحى العام . وبهذه الكيفية يمكننا أن نذكرهم على أنهم :

١ — التلاميذ الإثنا عشر الذين كانوا مع يسوع الناصرى هؤلاء الذين سماهم رسلا ( لوقا ٦ : ١٣ ) . ولعل البشير لوقا كان يقصدهم عندما يذكر « أنهم كانوا منذ البدء معاينين ( لوقا ١ : ٢ ) ويذكر بطرس « أنهم عاينوا مجده عندما جاء صوت من السماء » ( ٢ بطرس ١ : ١٦ ) . هؤلاء رافقوه من الابتداء وكان لهم الامتياز الأكبر والفضل الأول فى إعلان هذه الحقائق التى نراها فى الأناجيل والعهد الجديد ، وذلك لعدة أسباب :

أولا : إنهم رافقوه فى كل شئ ورأوا كل ظروف حياته ، إنهم سمعوه عندما كان يتهلل بالروح ويقول أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ( متى ١١ : ٢٥ ) ، وعندما قال نفسى حزينة جداً حتى الموت ( متى ٢٦ : ٣٧ و ٣٨ ) . إنهم رأوا الشياطين تخضع له وتصرخ معترفة به( مرقس ١ : ٢٤ ثم لمسوا رفض الناس له ، ليس فقط الفريسيون والكتبة ولكن أهل بلده بل وأهله هو وإخوته ، حتى أنهم حسبوه مختلا ( مرقس ٣ : ٢١ ، لوقا ٤ : ٦ — ٣٠ ) . رأوه وهو يطعم الخمسة آلاف ويزيد بخمسة أرغفة ( لوقا ٩ : ١٠ — ١٧ ) . ثم وهو فى حالة لا يستطيع معها أن يدفع ما عليه من ضريبة للهيكل ، حتى أنه يقول للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه ( لوقا ٩ : ٥٨ ) . إنهم رافقوه فى حياته وفى كل ظروفه وعرفوه ، ومع أن أشياء كثيرة كان يقوم بها ويعملها كانت تشبه الألغاز والمعميات لهم مثل مباركته للأولاد ( متى : ١٩ : ١٣ — ١٥ ) ، وكلامه مع السامرية ( يوحنا ٤ : ٢٧ ) ، إلا أنهم عرفوا أكثر كثيراً من الآخرين عنه .

أما الامتياز الثانى فهو أنه رغم ما أظهروه من جهل فى فهم تعاليمه إلا أنه علمهم أكثر كثيراً مما علم الآخرين . كان يعلم الآخرين بأمثلة أما هم فكان يفسر لهم كل شئ ( مرقس ٤ : ١٠ – ١٢ ) ، ويقول لهم أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . كان يعلمهم ليس فقط بالكلمة ولكن بالعمل حتى يعمق هذه التعاليم فيهم كما فعل عند إطعامه للفقراء الجائعين الذين التفوا حوله يسمعونه اليوم كله ، وحين كان يجلس مع العشارين والخطاة ( لوقا ١٥ : ١ ) ، وعندما غسل أرجلهم ( يوحنا ١٣ ) ولعل الأمثال القصيرة التى كان يذكرها بعد كل محادثة أو حادثة مثل « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » ( مرقس ٢ : ٣٧ ) ، السبت خلق لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت ( مرقس ٢ : ٢٧ ) ، اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ( متى ٦ : ٣٣ ) كانت ينبوعاً من الإعلانات لهم يؤهلهم للرسالة السامية التى تنتظرهم .

ولكن هناك امتيازاً آخر كان له الأثر العظيم فى حياتهم وهو أنهم أول من شاهدوه فى قيامته ، وظهر لهم أربعين يوماً يشرح لهم كل الأمور المختصة بملكوت الله . ولقد كانت القيامة أساس يقينية لإيمان التلاميذ وينبوع معرفتهم وموضوع شهادتهم أمام الجميع ( أعمال ٢ : ٢٤ – ٣٦ ؛ ٤ : ١٠ ) . لهذه الأسباب ، كانوا شهوداً للرب وكانوا هم الأساس الذى قال عنه الرسول بولس « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء . . . » .

ولعل الرسول بولس نفسه يؤيد هذه الحقيقة عندما يعلن فى كل المواقف أنه أخذ إنجيله من الرب نفسه ، وأنه أرسل بواسطة الرب ، ولهذا فهو لا يقل عن كافة الرسل الآخرين فى شهادته وعظاً وكتابة ، وبحكمة فى حل المشكلات إنه كأى واحد منهم . هؤلاء هم الجماعة الأولى الشاهدة للرب .

ولكن يتصل بهم جماعة أخرى ، لم يكن لها مركز الإثنى عشر من حيث الالتفاف حول يسوع والصلة العميقة به ، والتمتع بتفسيره لتعاليمه ، إلا أنها كانت قريبة منه وكانت تقوم بخدمات واسعة للكلمة . يذكر الكتاب من هذه الجماعة أفراداً محددين من أمثال يوسف الرامى ، والبعازر وأخته ، وجماعة النساء اللاتى كن يخدمنه ( لوقا ٨ : ٢ و ٣ ) ومتياس الذى اختير بدلا من يهوذا الإسخريوطى ( أعمال ١ : ٢٦ ) ثم يذكر مجموعات كبيره ، فلوقا البشير يذكر منهم سبعين أرسلهم يسوع فى رحلة تبشيرية مهمة أثناء حياته على الأرض ( لوقا ١٠ : ١ ) ويذكر منها مائة وعشرين شخصاً كانوا يجتمعون فى العلية مع التلاميذ ( أعمال ١ : ١٥ ) ويذكر الرسول بولس منها خمسمائة أخ ظهر لهم الرب دفعة واحدة ( ١ كورنثوس ١٥ : ٦ ) . هؤلاء وغيرهم كانوا شهوداً للرب وكانوا مصدر إثراء كبير للخبرة المسيحية ، ولا يستبعد أبداً إن خرج منهم أنبياء ومعلمون وكارزون خدموا ، وشهدوا للحقيقة السامية فى إعلان الله لنفسه فادياً فى الرب يسوع

٢ — أما المجموعة الثانية فى الشهادة فكانت الكنيسة المسيحية كلها على اختلاف عناصرها وطبقاتها وتعدد جنسياتها . ودور الكنيسة فى الشهادة وإثراء الاختبار المسيحى يختلف فى كيفيته عن دور التلاميذ ، فلا يمكن أن يقول إنسان ما أن الكنيسة بكل أعضائها رأت الرب يسوع أو سمعت منه أو شاهدت القيامة أو ذاقت اختبار يوم الخمسين ، ولكن شهادتها كانت تأتى بطريقة أخرى . فعندما انتشرت الكنيسة فى كثير من المجتمعات المتنوعة واجهت الرسالة المسيحية والمسيحيون عموماً مواقف تختلف عن المواقف التى واجهها المسيح وتلاميذه فى اليهودية ، فهناك العادات المتباينة والتقاليد المختلفة والتفاوت الاجتماعى البين ، مما كان يتطلب مواجهة جديدة وأحكاما أخرى غير التى عرفها الرسل الأوائل . ومن ذلك مثلا كنيسة كورنثوس التى كتبت للرسول

بولس تستفسر منه عن ستة أسئلة هي فى الحقيقة ست مشاكل واجهتها الكنيسة هناك ، مثل مشكلة ما ذبح للأصنام وهل يأكلونه أم لا ؟ ومشكلة الأرامل والعذارى والزواج ، ومشكلة رفع الدعوى أمام القضاء الخارجى ، ومشكلة المواهب وتعددها . وخصوصاً التكلم بالسنة ، ومشكلة الرجل الذى إعتدى على زوجة أبيه، وغير ذلك . هذه دفعت الرسول أن يكتب لهم عن أحكام المسيحية فى ذلك ويعطيهم النصائح والإرشادات . ولنلاحظ هنا أن هذه الأحكام والنصائح لم يبنها الرسول على نظريات أخلاقية أو قانونية ولكن من واقع اختباره المسيحى . إنها واقع الحياة الجديدة التى نالها من تأثير عمل الروح فيه ، وبهذه الكيفية كتبت الرسائل المسيحية التى اعتبرت جزءاً عظيماً من العهد الجديد .

٣ ــ أما الجماعة الأخيرة فهم الكتاب أنفسهم ، وبالأخص كتاب الأناجيل الأربعة أى متى ومرقس ولوقا ( الذى كتب سفر الأعمال إلى جانب إنجيله ) ثم يوحنا . هؤلاء الرجال كانت لهم اليد الطولى فى إثراء وبلورة الخبرة المسيحية ووضعها فى صيغتها الحالية فى العهد الجديد ، وخاصة الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال . ونرى دورهم يتضح ليس فى كونهم مؤرخين يكتبون حياة يسوع ، ولا فى كونهم جامعى تقليد يضعونه فى كتب ، فلو كانوا مؤرخين بالمعنى العصرى المفهوم أو حتى كانوا واضعى سيرة عظيم من العظماء لما خرجت كتبهم كما نراها الآن ، فالأناجيل ليست تاريخاً لحياة يسوع وإلا أعتبرت ناقصة مبتورة وغير كاملة أو مرتبة . ولو اقتصر دورهم على جمع مادة ووضعها فى كتب لما رأينا الترتيب الخاص الذى نراه فى الأناجيل . إن كل كتاب الأناجيل كانوا لاهوتيين بمعنى الكلمة ، لهم تفكيرهم الخاص وتفسيرهم المحدد الذى بنوا عليه كتابتهم . ولعل عبارة يوحنا كانت أوضح تعبير عن ذلك عندما قال « وأشياء أخر صنع يسوع لم تكتب

فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ويكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » . ( يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ) ولهذا السبب كانوا ينتقون ويرتبون المادة التى فى أيديهم لكى توافق خبرتهم المسيحية وعقيدتهم اللاهوتية ، وبالأكثر لكى توافق الجماعة التى يكتبون إليها . فإذا كتب متى عن السيد على أنه موسى الثانى الذى يأتى بالناموس الأبدى فذلك لأنه يكتب إلى اليهود المسيحيين . ويوحنا إذ يكتب إلى أفسس وإلى جماعة تثقفوا بالثقافة اليونانية فإنه يكتب عنه أنه الكلمة والنور والحق والحياة ، لأنها معان يفهمها ويعرفها اليونانيون . . وهكذا .

فهذه الجماعة أيضاً كانت شاهدة للمسيح وكان لها الأثر الضخم على بلورة هذه الشهادة .

## ٣ ـ الشهادة

ماذا نقصد بالشهادة ؟ هى إعلان هذه الحقيقة للناس من خلال خبرة بشرية ، هى خبرة الشاهد . فهذا الشاهد كما عرفنا ليس شخصاً محايداً. وليس كالإسفنج الذى يمتص الماء ثم يتركه وهو باق كما هو دون أى تغيير ، إنه شخص حى اختبر هذه الحقيقة بكيفية خاصة ، ولهذا فهو يشترك بخبرته فى إعلان الحقيقة ، إنها شهادة حية ولقد ظهرت هذه الشهادة فى الكنيسة الأولى ، فى هيئتين متكاملتين :

**الكرازة والتعليم :**

**( أ ) الكرازة :**

هى تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله فى المسيح ، لكى يصالح العالم لنفسه . ومع أن الرسل عندما بدأوا التبشير كانت القيامة هى حجر الزاوية فى وعظهم وكرازتهم ، إلا أن دارس العهد الجديد يستطيع أن يتفق

مع اللاهوتى الإنجليزى تشارلس دود C.H. Dodd فى أن الكرازة كانت تتكون من عدة عناصر ظهرت جميعها أو بعضها فى كل كتاب ورسالة من كتب العهد الجديد . وبتجميع هذه العناصر يمكن أن تتكون لدينا صورة واضحة لهذه الكرازة المسيحية.هذه العناصر المختلفة تتلخص فى الأمور التالية :

— إن مجئ الرب يسوع فى التاريخ لم يكن مجيئاً فى فراغ ولكنه كان مسبوقاً بنبوات كانت تشير إليه ، فكل ما عمله الرب قديماً ورتبه وقصده من خلال اختياره للشعب ، وترتيب كل نظمه كان يشير إليه ، فمجيئه إذن كان إتماماً للمواعيد والنبوات والعهد السابق ، ولكن هذا لا يمنع من أن يسوع قد بدأ عهداً جديداً ، هذا العهد الذى انتظره اليهود قديماً أعلن فيه هو .

— كان يسوع هو المركز الرئيسى لهذا العهد ، فهو المسيا ابن داود وهو الابن وابن الإنسان فلم يكن مجئ يسوع إعلاناً لهذا العهد فقط ولكنه كان بنفسه تجسيداً له .

— لقد أعلن يسوع العهد الجديد فى حياته وفى عمله حيث كان يجول فى الأرض يصنع خيراً ويشفى المتسلط عليهم إبليس . لقد تبرهن من قبل الله بآيات وعجائب صنعها الله بيده ، وهو بنفسه قال : إن كنت أنا بأصابع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله .

— وإلى جانب ذلك فقد كانت لآلام المسيح أهمية خاصة فى ذلك العهد فلم يكن الصليب حادثة جاءت عرضاً لسبب سياسى أو دينى ولكنه كان بعلم الله السابق وبمشورته المحتومة ، وليس ذلك فقط بل أن العلامة الحقيقية لابن الإنسان فى العهد الجديد هو أنه ينبغى أن يسلم لأيدى الرؤساء والكهنة ويقتل . إن للصليب وللآلام مركزاً أساسياً فى عمل الله الفدائى .

ـ أما قيامة المسيح فكانت ركناً أساسياً فى هذا العمل العظيم، ولقد بدأ الرسل كرازتهم بالتنبير عليها كما سبق وذكرنا ولكنها استمرت فى أهميتها كختم من الله وشهادة من عنده على أن كل ما عمله فى المسيح كان هو قصده وغرضه الأساسى لفداء البشر .

ـ ويلى قيامة المسيح صعوده إلى السماء . ولم يكن الصعود عملية طبيعية أو ميكانيكية ولكنها عملية تمجيد لهذا الذى تم فيه كل عمل . لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثوا باسم يسوع كل ركبة ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب ( فيلبى ٢ : ٩ — ١١ ) .

ـ ثم أن مجئ الروح كان من ضمن عناصر هذه الكرازة فمجئ الروح القدس لم يكن عبثاً ، ولكنه كان لقصد عظيم بل كان ركناً أساسياً فى هذا العهد الجديد ، فانسكاب الروح على كل بشر من يهود وسامريين وأمم كان إعلاناً من الله على أن العهد الجديد قد بدأ ، وأنه قد بدأ بجمع شعبه إلى واحد وأن إسرائيل الحقيقى قد ظهر .

ـ ومن ضمن العناصر الهامة فى هذه الكرازة هو أن الله يغفر الخطايا كان غفران الخطايا من ضمن البركات المنتظرة فى العهد الجديد ، ولهذا كانوا يبشرون « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس .

ـ كان الرجاء فى المجئ الثانى لهذا الفادى الذى تمجد وصعد وجلس فى يمين عرش العظمة هو أحد العناصر فى الكرازة الجديدة وقال الملاك للتلاميذ « يسوع هذا الذى رأيتموه منطلقاً إلى السماء سيأتى كما رأيتموه » .

ـ العنصر الأخير هو الدعوة إلى التوبة والإيمان حتى يمكن أن يتمتع

الإنسان ببركات العهد الجديد . هذه هى عناصر الكرازة التى نراها واضحة فى الأناجيل والأعمال والرسائل وسفر الرؤيا . إنها تملأ كل العهد الجديد .

**(ب) التعليم :**

أما الهيئة الثانية للشهادة فهى التعليم ، والتعليم كلمة متسعة تشمل فى طياتها على الأقل أمرين : بناء الكنيسة ثم الدفاع عن الإيمان .

**١ – بناء الكنيسة :**

لا جدال فى أن المؤمنين الأوائل كانوا من اليهود ، ولا جدال فى أنهم اختبروا خبرة جديدة فى المسيح ، ولكنهم مع ذلك فقد كانوا يظنون أن المسيح قد جاء إلى اليهود بالدرجة الأولى ، وأن اختبار الروح القدس ليس إلا لليهود فقط . يدلنا على ذلك دهشة المسيحيين فى أورشليم ، حتى الرسل أنفسهم ، لدى سماعهم أن السامريين قد قبلوا عطية الروح القدس ( أعمال ٨ : ١٤ – ١٧ ) . بل وصعوبة تقبلهم حقيقة مجئ الروح القدس على الأمم ( أعمال ١٠ : ٤٥ ، ١١ : ١٢ ) . ويدلنا على ذلك أيضاً تباطؤهم الشديد فى نشر الكلمة إلا فى اليهودية وبين اليهود فقط ، وفوق الكل فقد كان لإصرار جماعة كبيرة منهم على ضرورة خضوع الأمم للناموس حتى يمكن قبولهم فى زمرة المسيحيين ( أعمال ١٥ : ١ ) أثر كبير على وحدة الكنيسة ثم الشغب الكثير الذى حدث . هذا كله يدل على أن جل الكنيسة الأولى إن لم يكن كلها كانت تعتقد أنه لا فرق بين اليهودية والمسيحية سوى تقبل يسوع المسيح على أنه المسيا ، مع عدم تمكنهم من معرفة الأثر البعيد الحاسم لهذا الفرق .

كل هذا صحيح ، ولكن الصحيح أيضاً أن هؤلاء المسيحيين اليهود قد أخذوا اختباراً جديداً لم يعرفوه من قبل ، وأن أياً من اليهود مهما كان مركزه وعلمه لا يقبل المسيح لا يستطيع أن ينال هذا الاختبار الجديد ، إن شيئاً

جديداً قد حدث لهم ، هذا الشيء ليس أمراً نظرياً ولكنه عملي ، ظهرت آثاره في حياتهم وسلوكهم . ولعل لوقا كان يقصد إظهار هذا الشيء الجديد وقوة أثره في أعمال ٢ : ٤٢ — ٤٧ .

هذا الاختبار الجديد ، هذا العهد الجديد ، وما يميزه من هبات وعطايا جاءت لأول مرة في حياة الناس كعطية الروح القدس والنظرة الجديدة إلى الحياة ، هذا كله كان يحتاج إلى بلورة . . إلى تعبير ، وكان لا بد أن يشرح لهم الرسل حقيقة ما يحيونه ويعيشون فيه ، وهنا ظهرت آثار التأهيل الطويل الذي قام به السيد نفسه لتلاميذه ، فقد كان عليهم هم أن يعبروا للمؤمنين عن هذه الحقيقة الجديدة ، وبدأوا يعلمون وبدأ الناس يواظبون على تعليم الرسل (أعمال ٢ : ٤٢ ) .

ليس ذلك فقط بل ان هؤلاء المؤمنين الجدد لم ينعزلوا عن الناس لكنهم خرجوا يواجهون الحياة العامة ، ويواجهون مواقف خاصة ، فكيف يتصرفون وفقاً لهذه الخبرة الجديدة ؟ كانوا يحتاجون إلى إرشاد خاص ، ولابد أنهم حملوا هذه الحالات والمواقف إلى الرسل حتى يجدوا لهم حلا يتفق وحالتهم الجديدة ( أعمال ٦ : ١—٨ ) . وإلى جانب ذلك فقد أحس هؤلاء المؤمنون برباط خاص يميزهم كتلاميذ المسيح عن الباقين . إن الصلوات التي كانوا يحضرونها بمواظبة في الهيكل ( أعمال ٣ : ١ و ٢ ) لم تعد تشبع حياتهم الجديدة . إن صلة جديدة ورابطة جديدة ربطتهم بسيدهم الذي صلب وقبر وقام وهو حي وسيأتي إليهم ، هذه الصلة كانت تحتاج إلى تغذية ، إنهم يعبدون هذا السيد فكيف يعبدونه ؟ وهنا أيضاً بدأ الرسل يقيمون الاجتماعات الخاصة في البيوت بعيداً عن الهيكل والاجتماعات اليهودية ، كانوا يكسرون الخبز ويأكلون ببساطة قلب ، ويدرسون الكلمة ، ولكن في ضوء جديد وموقف جديد ، فصارت لهم عبادتهم الخاصة .

وهناك موقف أخير جازت فيه الكنيسة وهو الاضطهاد . . فلم تمض مدة طويلة من بدء تكوينها حتى بدأ الاضطهاد ينصب عليها ، وقد وصل فى الأيام الأولى إلى حد القتل كما قتل هيرودوس يعقوب وسجن بطرس ( أعمال ١٢ ) ، وقبل ذلك كان هناك اضطهاد عنيف تعدى حدود أورشليم واليهودية فوصل إلى دمشق ، وكان شاول الطرسوسى هو المحرك الأول لهذا الاضطهاد المرير . واستمر الحال على هذا المنوال حتى انفجر الاضطهاد الأكبر الذى قادته الدولة الرومانية . فى هذه الاضطهادات المتتالية العنيفة كانت الكنيسة تحتاج إلى تعزية لما كان يحدث لأعضائها من آلام وقتل وطرد وسلب أموال وغير ذلك ( عبرانيين ١٠ : ٣٢ — ٣٩ ، ١٢ : ١ — ٤ ) . ولهذا كتبت رسالة العبرانيين وسفر الرؤيا والأناجيل وغيرها تقوية للكنيسة فى الاضطهادات (مر ١٣ : ١١ — ١٣ ) إلخ

* * *

ولكن الكنيسة لم تقف فى انتشارها إلى حد اليهودية واليهود فقط ، لقد كان قصد مؤسسها أن تضم العالم أجمع ، ولهذا امتد التبشير إلى الأمم أيضاً . ومن قبل ذلك إلى السامرة ، وكان هذا الامتداد خطوة حاسمة فى تاريخ المسيحية وتاريخ العالم ، فلو اقتصر التبشير على اليهودية لانتهى المطاف بالمسيحية أن تكون جزءاً مصلحاً من اليهودية ، ولعلهم كانوا يسمون أنفسهم البقية ، مثلهم فى ذلك مثل جماعة القمران أو الإيسنيين الذين حبسوا أنفسهم فى رقعة صغيرة على ضفاف البحر الميت تاركين العالم وما فيه من ضلال ، كما اعتقدوا ، منتظرين الحرب المقدسة ، وظهور المسيا ومعلم الصلاح . لكن شكراً لله ، تقدمت المسيحية إلى العالم وإلى الأمم وقبلها كثيرون وصاروا مسيحيين ، وبناء على ذلك واجه المسيحيون من الأمم مواقف كثيرة معقدة

ومختلفة ، وفى بعض الأحيان متناقضة مع موقف المسيحيين اليهود ، فلأول مرة ظهرت المشكلة الحادة التى تربط بين الناموس والمسيحى : فهل يجب على الأممى أن يصبح يهودياً أولا خاضعاً للناموس حتى يصبح مسيحياً ؟ هل يجب عليه أن يختتن حتى يدخل الباب ؟ وكان هذا السؤال حاداً مريراً كاد يقسم المسيحية إلى قسمين : مسيحية اليهود ومسيحية الأمم لولا أن تدار كتهم رحمة الرب.

ثم ظهرت مواقف أخرى خاصة بالأمم . . . ماذا يفعل الشخص المتزوج بأكثر من امرأة إذا صار مسيحياً ؟ وماذا تفعل المرأة إذا مرت فى نفس الظرف ؟ ماذا يفعل أحد الزوجين إذا صار مسيحياً ورفض الثانى أن يعطيه ؟ ثم ظهرت مشكلة ما ذبح للأوثان : هل يأكل المسيحى هذا اللحم ؟ إنه كان يعتقد وهو بعد فى وثنيته إن أكله من ذلك اللحم يربطه ويوحده بالإله الوثنى فهل يتجرأ ويأكل ؟

وماذا يحدث فى مسألة اللاأخلاقية التى كانت متفشية بين الأمم ؟ والمحاكمة أمام الغير مسيحيين ؟ وهكذا تكشفت عديد من المشاكل تختص بالمسيحيين الأميين فقط ، كان على الكنيسة أو الرسل أن يحلوها لهم ، ولهذا السبب ظهرت كتابات كثيرة وضعت فى العهد الجديد كرسائل كورنثوس وغلاطية وتسالونيكى وغيرها .

وهكذا أثرت الخبرة المسيحية والتقاليد المسيحية ثراء كبيراً بدخول الأمم المسيحية واتسع نطاق التعاليم المسيحية وشمل أموراً كثيرة واجهت الكنيسة لم تعرفها المجتمعات اليهودية .

٢ – الدفاع :

الأمر الثانى الذى دخل فى نطاق التعليم هو الدفاع عن الإيمان ، لقد نبتت الكنيسة فى وسط معاد وكان لا بد أن تقابل هجوماً شديداً من نواحى

كثيرة ولأمور متعددة ، وكان على الكنيسة أن ترد على هذا الهجوم ، وإلى جانب الهجوم الصريح كانت هناك أسئلة استفسارية من بعض المتسائلين تتطلب الرد عليها بإجابات شافية تضيء الطريق أمام المستفسرين .

كان أول المهاجمين هم اليهود فى أورشليم ، فبينهم قد صلب المسيح ، وفى وسطهم قامت الحركة بكل قوة ، وكان صليب المسيح حجر عثرة لهم ، فكيف يكون هذا الشخص هو المسيا المنتظر ثم يموت هكذا ؟ لقد رأوه على الصليب إنساناً لا قوة ولا طاقة له ، استسلم لضاربيه ومعذبيه فكيف نسميه المسيا ؟ لماذا لم يخلص نفسه ؟ لماذا لم يخلصه الله ؟ فلو فعل ذلك لآمنوا به . لقد كان هذا صدى لسخريتهم به أمام الصليب : خلص آخرين أما نفسه فلم يقدر أن يخلصها ( لوقا ٢٣ : ٣٥ و ٣٦ ، متى ٢٧ : ٣٩ — ٤٤ ) . وهنا كان يجب على المسيحيين أن يردوا ويدافعوا ، وكان دفاعهم متفرعاً ومتنوعاً : فهنالك القيامة المجيدة التى أعقبت هذا الموت وهى دليل على أن الله لم يكن غاضباً عليه ولكنه سر به ، ليس ذلك فقط بل إن القيامة دلت على أن هذا الموت لم يكن من عمل اليهود ، ولكنه حدث إتماماً لقصد الله ومشورته المحتومة . أما دور هؤلاء فى قتله فكان دور الإثم والخطية ، ولهذا أقامه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، جعله رباً ومسيحاً ( أعمال ٢ : ٢٢ — ٣٦ ، ١٣ — ١٦ ، ٤ : ١٠ و ١٢ . . . إلخ ) . إذن فقد كان رد المسيحيين المبدئى على هذا الاتهام هو أنه يجب أن ننظر إلى هذا الموت ليس فى ذاته بل فى ضوء القيامة ، التى هى ختم الله على أن يسوع برغم هذا الموت صار رباً ومسيحاً .

لكن ذلك لا يحجب قساوة موته ، ولقد وصفه الإنجيليون على أنه لم يكن سهلا على يسوع الناصرى أن يواجهه وينتصر عليه . لقد وضع لوقا المواجهة

فى كلمات قوية ورهيبة ( لوقا ٢٢ : ٣٩ — ٤٤ ) . ولعل كاتب العبرانيين كان يصفها بكلمات أشد عندما قال « الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه . مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به » ( عبرانيين ٥ : ٧ — ٩ ) . فلماذا يسمح له الله أصلا بهذه الآلام الشديدة ؟ وهنا كان لا بد لهذا الموت من تفسير ، إنه لم يكن ككل موت ، إنه موت المسيا ، والمسيا ليس فقط ابن داود إنه عبد الرب أيضاً ، ولذا يجب أن يقوم برسالة فدائية ، إن موته موت كفارى ( مرقس ١٠ : ٤٥ ) . ولم يكن الرسول بولس هو أول من أعطى هذا التفسير لموت المسيح ، بالعكس لقد أخذ هو هذا التفسير من الكنيسة إذ يقول : « فإنى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ( ١ كو ١٥ : ٣ ) ، وفعل ذلك فيلبس من قبله عندما قابل خصى ملكة الحبشة فقد بشره بيسوع بانيا هذا التبشير على ما ورد فى ( إشعياء ٥٣ ) ، حيث يصف موت عبد الرب على أنه موت كفارى (أعمال ٨) ولعل الكلمة المهملة فى هذا كله هى كلمة « لأجل » ( ١ كورنثوس ١١ : ٢٤ ، ١٥ : ٣ ، ٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥ ، غلاطية ١ : ٤ ،أفسس ٥ : ٢٤ ، ١بط ٢ : ٢١ ، مرقس ١٤ : ٢٤ ، لوقا ٢٢ : ١٩). فعلى أساس هذه الكلمة التى تظهر أن المسيح مات لأجل الآخرين فسر موت السيد تفسيراً كفارياً .

وهكذا نجد أن الكنيسة الأولى فسرت موت السيد على أنه ليس صدفة ، بل كان محتوماً ومقصوداً ، بل هو عمل من أعمال الله العظيمة التى قام بها لفداء الناس من الخطية .

أما الجماعة الأخرى التى دفعت المسيحيين الأوائل إلى أن يكتبوا دفاعاً عن مسيحهم هم تلاميذ يوحنا المعمدان ، ونحن نقابل هذه الجماعة ونقابل

تأثيرها في الكنيسة الأولى كثيراً ، ولعلها ذهبت بعيداً في عملها إلى أن وصلت مدينة الإسكندرية ، لهذا يظهر على مسرح المسيحية رجل عظيم مقتدر إسكندري الجنس لم يعرف غير معمودية يوحنا ، واحتاج رغم حرارته في الإيمان إلى شخصية أكيلا وزوجته وبرسيكلا أن يعلماه طريق الرب بأكثر تدقيق ( أعمال ١٨ : ٢٤ ) وتقابل مع فريق منهم الرسول بولس في أفسس وهؤلاء تعمدوا بمعمودية يوحنا ولم يسمعوا عن شيء اسمه الروح القدس ( أعمال ١٩ : ٢ ) . هذا يدل على أن جماعة يوحنا المعمدان لم تندثر فور موته ، بل بالعكس تنشرت وقويت ولا بد أنهم تصادموا مع المسيحيين ، وتباحثوا عمن يكون الأعظم من مؤسسي الديانتين ، ومن دراسة سجلات العهد الجديد نعلم أن تلاميذ يوحنا بنوا أفضلية معلمهم عن المسيح على أمرين هامين ، الأولى هو أن يوحنا جاء قبل المسيح ولهذا فهو أعظم منه ، لأن النبي الذي يسبق الآخر في مجيئه هو أعظم منه فكان موسى أعظم من يشوع ، وإيليا أعظم من اليشع ، وبالتالي فيكون يوحنا أفضل من يسوع الناصري ، أما الأفضلية الثانية فهو أن يوحنا عمد المسيح نفسه ، ودائماً يعمد الكبير الأصغر منه ولهذا فيوحنا أعظم من يسوع المسيح .

ولكن المسيحيين يردون على ذلك بما ذكره لهم المسيح نفسه عن علاقته بيوحنا ، فهو وإن كان قد اعتمد منه إلا أن هذا لم يكن مقصوداً ومحتماً ، فقد حاول يوحنا أن يتنحى عن هذا العمل لأنه كما قال السيد هو محتاج أن يعمد منه ، لكن المسيح طلب منه بإلحاح لسبب واحد هو أنه يريد أن يكمل كل بر ( متى ٣ : ١٥ ) فالمسيح لم يعتمد من يوحنا لأنه خاطئ وجاء معترفاً بخطيئته كبقية الناس ، ولا لأن يوحنا كان أعظم منه بل لأنه أراد أن يكمل كل بر لم يستطع شعبه أن يكمله .

أما من جهة الأمر الثانى ، فقد اعترف يوحنا نفسه أنه وإن كان قد جاء قبل يسوع المسيح بشهور إلا أن المسيح كان موجوداً قبله ، ولهذا فهو أعظم منه ( متى ٣ : ١١ ) . فلا العماد ولا الظهور السابق يمكن أن يكونا عماداً لأفضلية يوحنا عن المسيح ، بل هما برهان على عظمة المسيح نفسه . ويصادق على ذلك إعلان يسوع نفسه عن يوحنا حينما أرسل له هذا الأخير ليسأله عما إذا كان هو الآتى . فبعد أن مدح السيد المعمدان للدرجة أنه أعلن أن من بين المولودين من النساء ليس أعظم منه ، عاد فأعلن أن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه ( متى ١١ : ١١ ) . ومهما كان تفسير هذه الآية فإن الواضح منها إعلان أفضلية المسيح عن يوحنا الذى لم يكن سوى سابق الملك الذى يبوق قدامه ويعلن مجيئه ، وما أبعد الشقة بين مركز الاثنين .

هذان المثلان هما عينة من الدفاع عن الإيمان والمسيح فى المدة التى انحصرت ما بين قيامة السيد وكتابة الأناجيل .

على أن هذا الدفاع لم يوجه إلى من كانوا يهاجمون المسيحية من الخارج فقط ، بل هناك نوع آخر اختص بجماعات داخل المسيحية حاولوا أن يحولوها عن مسارها الطبيعى الذى رسمه لها المسيح ، وخاصة تلك التى سميت « التوديون » . لقد كان جل همهم أن يبقوا للناموس مركزه وقيمته التى كانت له فى اليهودية بأى ثمن حتى ولو كان ذلك على حساب الإنجيل ، ولهذا أعلنوا أن كل أممى يريد أن يصير مسيحياً عليه أن يتمم وصايا الناموس أولا ويختتن ، وانتشرت بدعتهم فى كنائس كثيرة خاصة تلك التى بشرها الرسول بولس ، وكان من نتيجة ذلك أن انعقد مجمع أورشليم وحكم حكمه الشهير الذى يقضى بتحرير الأمم من ثقل الناموس ( أعمال ١٥ ) . ولكن يلوح أن ذلك الحكم لم يكن رادعاً بما فيه الكفاية ، واستمرت الاضطرابات ، واضطر

الرسول بولس أن يوجه إلى الكنائس رسائل عديدة كغلاطية وكورنثوس ورومية وغيرها ، وفيها كان يضع الناموس فى مكانه الصحيح فى تاريخ الفداء ، وأنه قصد به أساساً أن يوجه الناس إلى المسيح ليس إلا (رومية ١٠ : ٤) .

وإلى جانب ذلك كانت هناك قضايا أخرى تشغل بال الكنيسة كقضية سرعة مجئ المسيح (١ تسالونيكى ٥ : ١ و ٢ ، ٢ تسالونيكى ٢ : ١ — ١٢ ، ٢ بط ٣ . . إلخ) وغير ذلك من القضايا التى أحاطت بالمسيحية من الداخل والخارج .

هذه هى العناصر الرئيسية التى تضمنتها الشهادة فى تكوينها : الكرازة ثم التعليم الذى اهتم ببناء عقيدة الكنيسة والتعبير عن اختبارهم ثم الدفاع عنها وعن مسيحها ، ولكن هذه الشهادة لم تقم فى فراغ ولم يخترعها الشهود بل كانوا يبنونها على أساس متين ويفسرونها بكيفية حاسمة حازمة فعلى أى شئ بنى هؤلاء تفسيرهم لشهادتهم ؟ هناك ثلاثة مصادر اعتمد عليها الشهود فى ذلك ، ولكن قبل أن نذكرها يليق بنا أن نذكر شيئاً هاماً يتصل بذلك اتصالا وثيقاً وهو الخبرة الشخصية لهؤلاء الشهود . ولعل الرسول بولس كان أعظم مثل على هذا الاختبار . فمن يقارن ما قاله فى فيلبى ٣ : ٤ — ٦ مع غلاطية ٣ يرى مقدار الانقلاب العظيم الذى حدث فى تفكيره عن الناموس ، فبعد أن كان هذا الناموس مصدراً للفخر والتباهى أصبح أساساً للعنة ، فما الذى أوجد هذا التفسير المضاد ؟ لا شك خبرته الشخصية ومعرفته التى تغيرت بعد الإيمان لقد قابله المسيح المقام فى طريقه إلى دمشق وأعلن له أن كل ما يعلمه خاطئ وكل ما يسير فيه لا يقوده إلا للهلاك حتى ولو كان يعمل كل الناموس ، فليس بالناموس بر وإلا لكان المسيح قد مات بدون سبب ، وهذا ما جعل

الرسول يعتنق التفسير المخالف ويشهد الشهادة المضادة لما كان يشهد به ويفسره من قبل ملاقاته بالسيد ؟

أما المصادر الثلاثة التي اعتمد عليها الشهود في تفسير خبرتهم وعمل الله في المسيح يسوع فهي :

**١ ــ أقوال يسوع نفسه :**

كل من يتصفح الأناجيل والرسائل يجد أن المسيحيين الأوائل من وعاظ ومبشرين ومعلمين ورسل قد اعتمدوا كثيراً على أقوال يسوع نفسه ، وقد يظن أحدهم أن هذا يصدق على الأناجيل الأربعة فقط ، ولكن الحقيقة أن الرسول بولس وكذلك بقية الكتاب اعتمدوا كثيراً على تعاليم وأقوال المسيح سواء أكانت مدونة في الأناجيل أم غير مدونة ، ويمكننا أن نضع هنا بعض الأمثلة على ذلك :

( ١ كورنثوس ٧ : ١٠ و ١١ ) يقول الرسول بولس بصريح اللفظ للمتزوجين « وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته » هنا يشير الرسول بولس إلى تعاليم يسوع عن الزواج ولعله كان يقصد ما جاء في مرقس ١٠ .

( يعقوب ٢ : ٥ ) اسمعوا يا إخوتي الأحباء أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه » (متى ٥ : ٣و٥) طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض . » .

يعقوب (١ : ٢٥). ولكن من اطلع على الناموس الكامل وثبت وصار

ليس سامعاً لا ناسياً بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطاً فى عمله » أنظر ما جاء فى يوحنا ١٣ : ١٧ « إن علمتم هذا فطوباكم إذا عملتموه » :

( رومية ١٢ : ١٤ ) « باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » قارن هذا مع متى ٥ : ٤٤ .

هذه وغيرها تدل على أن الكنيسة الأولى اعتمدت أساساً على أقوال وأعمال الرب يسوع فى مواجهة الظروف الجديدة والتعبير عن الخبرة الجديدة التى اختبروها . ولكن توجد كلمتان لها الدلالة العظمى على ذلك وهما : « تسلم » و « سلم » . ومع أنهما فى اللغة العربية يأتيان من أصل واحد ، ولكنهما فى اللغة اليونانية كلمتان مختلفتان ; وقد استخدمهما الرسول بولس عده مرات مقترنتين معاً مثلا فى ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ، ١٥ : ٣ ، قبلت بدلا من تسلمت . الأولى عند رسم فريضة عشاء الرب ، والثانية فى الاخبار بالإنجيل وقيامة المسيح ، وقد استخدمها أيضاً عندما تكلم عن تسليم التعاليم السلوكية فى اتسالونيكى ٤ : ١ ، ٢ تسالونيكى ٣ : ٦ ) . هاتان الكلمتان لها معنى فنى وتستخدمان فى تسليم الأشياء المقدسة من السلف إلى الخلف ، كما كانت تسلم التقاليد اليهودية من المعلمين إلى المتعلمين ، ويلوح أن التلاميذ الذين رفضوا أن يكونوا خدام موائد ويتركوا كلمة الله ( أعمال ٦ : ٢ ) كانوا يحفظون تعاليم وأعمال حياة المسيح ويودعونها الكنيسة للتعليم والإرشاد ، وظلت هذه التعاليم متداولة إلى أن وضعت فى الأناجيل الأربعة التى بين أيدينا ، وكان الرسل يشيرون إليها فى وعظهم وفى كتاباتهم ، معتقدين أن لها نفس القداسة التى للكتب المقدسة فى العهد القديم ، فلا يجوز أن يتصرفوا فيها :

هذا هو المصدر الأول فى تكوين العهد الجديد والتعبير عن الخبرة المسيحية .

٢ – العهد القديم :

أما المصدر الثانى فهو العهد القديم الذى كان الكتاب المقدس للكنيسة الأولى وللمسيح من قبل ، بل لعل الكنيسة تعلمت من سيدها كيفية استخدام العهد القديم ، ففى الأناجيل نرى المسيح يقاوم الشيطان باقتباسه منه ( متى ٤ : ٤ و ٧ و ١٠ وما يقابلة ) وعندما أراد أن يشرح رسالته وعمله أعلنها فى إطار نبوات العهد القديم عن عمل عبد الرب فى إشعياء ٤٢ و ٦١ أنظر لوقا ٤ : ١٦ – ١٩ . وفى إظهاره لبر ملكوت الله والطريقة السلوكية التى يجب أن يظهرها أعضاء الملكوت وضع كلامه فى مقابل ما قيل فى العهد القديم ( متى ٥ : ٧ – ٤٨ ) . هكذا فعل أيضاً فى تلخيصه لوصايا الله (مرقس ١٠ : ١٩ ) وكان يدافع عن العهد القديم فى مقابل التقاليد مقتبساً من الأنبياء ( مرقس ٧ : ٦ – ١٣ ) . وبعد قيامته من الأموات أعلن لتلميذى عمواس أن كل ما حدث له إنما كان موجوداً فى العهد القديم( لوقا ٢٤ : ٢٥ – ٢٧ ) .

وعلى هذا الأساس بنت الكنيسة تفسيرها لتلك الحقيقة الجديدة التى اختبرتها وعرفت أنها لم تأت فى فراغ ولم تقم بدون جذور ، بل كان لها أصولها فى العهد القديم . ويلخص ذلك بطرس فى خطابه فى يوم الخمسين فى أعمال ٢ ، فحياة يسوع الناصرى وموته وقيامته مذكورة من قبل وحقيقة ميلاد الكنيسة وانسكاب الروح القدس كان لإتمام ما قاله الرب بفم يوئيل النبى . ويضع أسطفانوس اليهود أمام الحقيقة الواضحة وهى أن المسيح جاء إتماماً لما قد أعلن فى العهد القديم من موسى إلى آخر الأنبياء ( أعمال ٧ ) .

ولعل عبارة الرسول بولس عن علاقة العهد القديم بما حدث فى العهد الجديد هى أبلغ تعبير على ذلك إذ يقول « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء » ( رومية ٣ : ٢١ ) . وهكذا بالمقابلة بين العهدين ( غلاطية ٤ : ٢١ — ٣١ ) وبالمقارنة أيضاً بينهما وإظهار أفضلية العهد الجديد عن القديم كما يوضحها كاتب العبرانيين فى معظم رسالته ، وبالرمزية التى تتضح فى العهد الجديد ( ١ كورنثوس ١٠ : ١ — ١٤ ) ، وغير ذلك استطاع المسيحيون الأوائل أن يجدوا فى العهد القديم مصدر التفسير لهذه الحقيقة الجديدة التى اختبروها فى حياتهم . لقد كانت كل ألقاب المسيح مثل ابن الإنسان ، ابن داود ، ابن الله ، عبد الرب من العهد القديم بل لم تجد الكنيسة اسماً لها تطلقه على نفسها أعمق من اسم اسرائيل الله ( غلاطية ٦ : ١٦ ) . كل ما عمله المسيح فى سبيل الفداء والخلاص وجد تفسيراً فى الذبائح والقرابين التى كانت تقدم فى العهد القديم : ذبيحة الفصح : وهو فصحنا ( ١ كورنثوس ٥ : ٧ ) وهو رئيس الكهنة الذى يقدم ذبائح عن الناس ( عبرانيين ٤ : ١٤ ، ٨ : ١ ) وذبيحة الخطية التى كان هو أعظم منها ( عبرانيين ٩ : ٦ — ١٤ ) . إنه هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم ( يوحنا ١ : ٢ و ٣٦ ) . وهو الخروف المذبوح ( رؤيا ٥ : ٦ — ١٤ ) . وعلاقة المسيح بالكنيسة لم تجد لها تفسيراً إلا العهد وسمى ذلك بالعهد الجديد فى مقابل العهد القديم ( عبرانيين ٨ : ٧ — ١٣ ) . وحتى الفرائض فى الكنيسة وجدت تفسيرها فى العهد القديم كما فسرت المعمودية بالختان ( ١ كورنثوس ٢ : ١١ و ١٢ ) . ولكن مع ذلك يجب أن نتأكد أن الكنيسة الأولى لم تعتقد أنها نسخة أخرى محسنة من إسرائيل القديم ، ولا العهد الجديد هو فقط امتداد للعهد القديم ، كلا هناك فرق كبير ومجيد لا يمكن أن يقاس بين العهدين . فالمسيح نفسه يقول لتلاميذه « ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر

ولآذانكم لأنها تسمع ، فإنى الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا (متى ١٣ : ١٦ و ١٧) . ولعل قول رسالة بطرس كان تعبيراً بليغاً أيضاً عما فعله الله فى المسيح وأنه كان جديداً على العالم كله سواء أكانوا بشراً أم ملائكة « الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم ، باحثين أى وقت وما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد للآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها ، الذين أعلن لهم أنهم ليسوا لأنفسهم بل لنا ، كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المرسل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١ بطرس ١ : ١٠ - ١٢) .

ولم يشذ كاتب أو شاهد واحد فى العهد الجديد عن هذه القاعدة ، فالعهد القديم فى اختبار المسيحيين الأوائل كان ينتظر شيئاً جديداً ويتطلع إليه ، وها هو قد حضر وهو أمر لم يعرفه أحد من أبناء القديم أبداً ، ولكن القوالب التى تصب فيه التعبيرات والمعانى لا بد وأن تؤخذ من القديم حتى تفهم ، لا بد وأن يصاغ اللفظ حتى يؤدى معنى الرسالة . فالتعبيرات ، ابن الإنسان ، العهد ، الفداء ، القداسة ، الذبيحة ، الكهنوت وغيرها ملئت بمضمون أعمق وأمجد بمقدار ما للرسالة الجديدة من عمق وطلاوة .

### ٣ - الثقافة الهلينية :

أما المصدر الثالث الذى اعتمد عليه المسيحيون الأوائل للتعبير عن اختبارهم الجديد وشهادتهم فهو الثقافة الهلينية التى كانت تحيط بهم فى كل مكان . فقد أمر السيد رسله أن يذهبوا إلى العالم أجمع ، وكان لا بد للكنيسة أن تخرج إلى العالم الخارجى وتتصل بالثقافة اليونانية ، وكان عليها أن تعطى رسالتها بالطريقة التى يفهمها هذا العالم الجديد الكبير .

كان أول وأهم ما عمله الرسل هو استخدام اللغة التى سادت العالم وهى اللغة اليونانية ، وطبعاً لم يكن سهلا أن يضعوا أفكارهم ورسالتهم فى هذه اللغة ، ولكن الأمر الذى جعل ذلك ممكناً لهم هو ذلك العمل العظيم الذى سبقهم فيه علماء الإسكندرية ، وهو ترجمة العهد القديم وكتب الأبوكريفا إلى اللغة اليونانية، وهى الترجمة التى أطلق عليها السبعينية . هذه الترجمة ساعدتهم كثيراً حتى فى نقل الاقتباسات الكثيرة التى أخذوها من العهد القديم ، ومن يقرأ الرسائل والأناجيل بخلاف إنجيل متى يجد التأثير الكبير لها فى العهد الجديد .

ولكن لم يقتصر استخدام الكنيسة الأولى من الثقافة الهلينية على اللغة ، بل تعداها إلى الأفكار أيضاً . وهناك الأمثلة العديدة على ذلك . فعندما كان الرسول فى أثينا منتظراً أصدقاءه قدم الإنجيل إلى أهل المدينة مستخدماً عقيدة الإله المجهول التى كانوا يتمسكون بها ويعرفونها ، (أعمال ١٧ : ٢٢ — ٣١ )

ويقول بعض العلماء إن كاتب العبرانيين استخدم فكرة أفلاطون فى المثل والظل . فالمثل عنده هو الأشياء الأبدية التى أعلنت فى العهد الجديد أما الظل فهو الأمور التى مرت وانتهت فى العهد القديم ، ومع أن تحفظاً كبيراً يجب أن يوضع إزاء هذا التفكير ، لكن شكل المناقشة فى هذه الرسالة والكيفية التى وضعت فيها توحى بأن الكاتب كان يعرف فلسفة أفلاطون إلى جانب معرفته الكبيرة بالعهد القديم .

أما الرسول بولس فقد طالت المناقشات حول استخدامه للمفاهيم اليونانية لتوصيل الرسالة المسيحية ، ولعل أهم مثل على ذلك هو استخدامه للاصطلاحين « جسد وروح » والمقابلة الشديدة التى وضعها فيها مثل ما جاء فى رومية ٧ ، غلاطية ٥ : ١٦ — ٢٦ ) إلخ مما يذكر الدارس بالفكر اليونانى بخصوص الجسد الشرير الفاسد والروح الصالحة التى تقضى أيام سجنها فى هذا

الجسد . ومع أن فكر الرسول أبعد ما يكون عن عقيدة فساد المادة وكل ما هو مادى : وبالتالى اعتبار الجسد شرير واعتبار الروح سجينة هذا الجسد ، إلا أنه قد يخيل للكثيرين أن الرسول يعتقد ذلك . إن الإنسان الخاطئ الشرير تمتلكه الخطيئة كإنسان ؛ والشر ليس هو فساد طبيعى ولكنه علاقة قد فسدت بين الإنسان وإلهه ، وهذه العلاقة تشمل الإنسان كله وتصبح أساساً للفساد الأدبى والشر الروحى : ولعل أهم توضيح على ذلك هو وصف الرسول بولس العالم فى رومية ١ : ١٨ – ٣ : ١٩ حيث يعلن أن هذا ينطق على حياة اليهود والأمم معاً .

ولكن المثال الواضح جداً فى استخدام كتاب العهد الجديد للأفكار اليونانية لتوصيل الرسالة المسيحية هو ما جاء فى مقدمة إنجيل يوحنا عندما استخدم كثيراً من المصطلحات الفلسفية اليونانية مثل « الكلمة » وهو تعبير مشهور عند الفلاسفة وأشهرهم فيلو اليهودى الإسكندرى ثم الاصطلاحات « الحق ؛ النور ، الحياة » . ولعل الإنجيلى أراد أن يظهر لهذا العالم اليونانى أن الرسالة المسيحية ليست رسالة أعجمية غير مفهومة ولكنها رسالة لكل الأجيال والثقافات .

وهكذا نرى أن الكنيسة المسيحية الأولى قد استفادت واستخدمت كثيراً من الصور والتفكير اليونانى وملأته بالرسالة المسيحية أى بالإنجيل . وليس هذا إلا منطق العالمية التى تميزت بها هذه الرسالة السماوية . ولكن يجب أن نلاحظ الفرق الواضح بين صلة المسيحية باليهودية وبين صلتها باليونانية ، فبينما جاءت هذه الرسالة إتماماً للهدف الأساسى الذى يظهر فى العهد القديم ، وبنت كثيراً من أفكارها على ما جاء فيه مع تغيير فى الاهتمام والتعبير ، إلا أن صلتها باليونانية كانت صلة عملية بحتة إذا اتخذتها وسيلة لتوصيل الرسالة ، مع

أنه لم يكن لها أدنى صلة بها فى أصلها . إن الإنجيل لليهودى والأممى ، إنه كما قال الرسول « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى » ( رومية ١ : ١٦ ) ولهذا فإنه يصدق أيضاً إذ يقول « صرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود . . صرت للكل كل شئ لأخلص على أى حال قوماً » ( ١ كورنثوس ٩ : ١٩ – ٢٤ ) .

٤ – الشهادة مكتوبة :

أضحى الآن معروفاً أن الرسول بولس كان أول من كتب كتاباً كاملا فى العهد الجديد . وهذا الكتاب هو عبارة عن رسالة أرسلها إلى كنيسة من الكنائس التى بشرها وهى كنيسة تسالونيكى . وتوالت بعد ذلك رسائله . ولكن هذا لا يعنى أن كتابات الرسول بولس كانت أول ما وضع على ورق ، بل لا بد أن أشياء كثيرة كتبت قبلها لم تصل إلينا فى شكلها التى كتبت فيه ، ويدلنا على ذلك ما قاله البشير لوقا فى مقدمة إنجيله « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة للأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » ( لو ١ : ١ و ٢ ) . ويهمنا هذا أن نتلمس الطريق الذى يمكن أن تكون قد سلكته الكنيسة فى كتابة هذه التقاليد الخاصة بحياة السيد وموته وقيامته ، مسترشدين فى ذلك باجتهادات بعض العلماء :

١ – من المعلوم – كما سبق وذكر – أن يسوع لم يترك أى شئ مكتوباً من تعاليمه ، وكذلك الرسل فى أوائل خدمتهم إذ يلوح أنهم لم يهتموا بكتابة شئ بل كانوا يهتمون فقط بالوعظ وذكر تعاليم سيدهم ، ويمكن للدارس أن يجد سببين مهمين لعدم إسراع المسيحيين الأوائل فى تدوين هذه الشهادة ، السبب الأول هو أنهم كانوا يؤمنون أن المسيح آت سريعاً ونهاية العالم قد

قربت ؛ وهذه العقيدة كانت واحداً من الأسباب التى دفعت الرسول بولس أن يكتب رسالة تسالونيكى الثانية ليوبخ جماعة فى تلك الكنيسة ظنت أن يسوع سوف يأتى فى أى لحظة ، ولهذا رأوا أنه من الأفضل بحسب نظرهم — أن ينتظروه فى الكنيسة عابدين بدلا من القيام بالعمل اليومى ، ولقد احتاجوا إلى الطعام والشراب فكانت الكنيسة تعولهم إلى أن أصبحوا عالة عليها ، ولهذا كتب الرسول موبخا لهم .

وكان هذا الموقف أيضاً وراء رأى الرسول بولس من الزواج وعدم الاهتمام الكثير بعمل زيجات إن أمكن لأن الوقت منذ الآن مقصر ( ١ كورنثوس ٧ : ٢٥ — ٢٩ ) وليس الزيجات فقط بل فى كل اهتمامات الحياة أيضاً يطلب من المؤمنين أن يسلكوا على أساس أن سيدهم آت قريباً .

وكانت أيضاً وراء قول رسالة بطرس توبيخاً لأولئك المتشككين فى مجئ الرب لأنه تأخر فى مجيئه ( ٢ بطرس ٣ ) .

هذه العقيدة كانت وراء عدم إسراع المسيحيين فى تدوين شهادتهم إذ أحس التلاميذ الأوائل أنه لاداعى للكتابة مادام الرب آت سريعاً . إن الأهم هو الإسراع بالشهادة ومحاولة نشر الإنجيل .

أما السبب الثانى فهو عقيدة الأوائل بأن الكلمة المقولة أعظم كثيراً من الكلمة المكتوبة . وما دام الرسل الذين كانوا معاينين لا زالوا موجودين ، ولديهم الخبر اليقين فلا داعى للكتابة ، فكلمتهم أعظم من أية كلمة تكتب . ولقد ظل هذا الرأى سائداً حتى بعد أن كتبت الأناجيل وانتشرت .

٢ — لكن بمرور الأيام بدأ بعض الناس يكتبون شيئاً عن حياة المسيح ، ويحتمل أن تكون قصة آلام السيد أو بالأحرى قصة الأسبوع الأخير من

حياته كتبت أولا ، فهى القصة التى نقرإها فى إنجيل مرقس قصة متكاملة أو على الأقل أكثر تكاملا من باقى قصص الإنجيل ، ويمكن بشيء من التدقيق والمقابلة أن تفصل كل أيام الأسبوع وما حدث فيها . ويمكن أن يقال أيضاً إن قصة هذا الأسبوع كتبت لكى تتوج بقصة القيامة وقصة الظهورات التى ظهرها السيد لتلاميذه بعد قيامته ، ويمكن أن نتلمس الدوافع التى كانت وراء كتابة قصة الآم السيد ، وواحد من هذه الدوافع هى العبادة نفسها ، فوجود قصة العشاء الربانى بما فيها من عهد جديد والتنبير على أنها حدثت عند أكل عشاء الفصح يدل على أن الكنيسة كانت تعبر عن صلتها بالسيد على أنها البقية الباقية . وهناك سبب آخر وهو تفسير موت المسيح على أنه يتمم قصد عبد الرب فى آلامه والتعبيرات الكثيرة التى وقعت عليه ، مع أنه بشهادة الأمم لم يوجد فى فمه غش (إشعياء ٥٣ : ٢٩ متى ٢٧ : ٢٤).

ويقول العلماء أيضاً إن دراسة إنجيلى متى ولوقا وظهور كميات كبيرة من التعاليم التى لا توجد فى إنجيل مرقس يدل على أن هناك نبذة أخرى كتبت ودونت فيها كثير من تعاليم المسيح ، واستقى منها متى ولوقا هذه التعاليم الكثيرة ، وربما كتبت هذه التعاليم لكى يستخدمها معلمو الكنيسة فى تعليم المسيحيين الأوائل الذين يحتاجون إلى هذه الإرشادات ، خاصة فى المواقف المتشابهة التى مر بها يسوع فى أيامه على الأرض ، ومرت بها الكنيسة الأولى بعد تكوينها فى يوم الخمسين .

وقيل إن هناك نبذة ثالثة كتبها أحد الكتبة المسيحيين المتمكنين فى الكتب المقدسة تتضمن النبوات التى جاءت فى العهد القديم وتشير إلى يسوع المسيح فى ميلاده وفى حياته وموته وقيامته وصعوده . إن هذه الاقتباسات الكثيرة من العهد القديم التى ظهرت فى العهد الجديد لتدل على مجهود دراسى واسع فى

الكتب ، واجتهاد كبير قام به واحد أو أكثر من المسيحيين الأوائل لكى يظهر أن رجاء العهد القديم قد تم فى هذا الشخص .

وهكذا يظهر أن نبذاً وكتابات متنوعة قد ظهرت تحتوى على قصص وتعاليم ودراسات فى حياة يسوع وعمله . ولكن كانت الخطوة الأخيرة هى كتابة الأناجيل كما سيأتى فيما بعد .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج الحقائق التالية :

١ — إن العهد الجديد كتاب كنسى كتب فى الكنيسة وبواسطتها ولأجلها. ولكن لم يكتبه جماعة من العلماء الفلاسفة الذين جلسوا فى برجهم العاجى وبدأوا يقصون أو يفلسفون أو يضعون عقائد لاهوتية ، إنه كتب لمواجهة حاجات الكنيسة المتنوعة ومواقفها المختلفة . فالرسائل والأناجيل والأعمال والرؤيا كلها كتبت لتسد حاجة الكنيسة الصارخة ، يدلنا على ذلك غنى الخبرة المسيحية فى العهد الجديد ، فمع أن عنصراً واحداً يسير فى كل الكتاب إلا أننا نجد تنوعاً كبيراً فيه ، يحس به من يقرأ الأناجيل مقارناً إياها . نعم فهناك تنوع بين بولس ويعقوب بين يوحنا وكاتب العبرانيين بين متى ومرقس ولوقا ، والسبب لأن الكتب فى العهد الجديد كتبت لهدف محدد . ولحاجة محددة فى الكنيسة كتبت إلى مجتمعات بها مشاكل واحتياجات تختلف بعضها عن البعض . إنه كتاب كتب لمواجهة احتياجات الكنيسة .

٢ — سبقت كتابة الأناجيل فترة فيها تبلورت التقاليد عن حياة وتعاليم المسيح ، وذلك بناء على مواقف كنسية محددة قابلتها الكنيسة فى حياتها كانت تشابه المواقف التى قابلها يسوع فى حياته ، فتذكر التلاميذ هذه الأقوال والتعاليم وطبقوها على هذه المواقف . ثم هناك كلمات وتعاليم أخرى حفظها هؤلاء الناس عن ظهر قلب نظراً لمحبتهم لسيدهم . وقد كانت هذه التقاليد إما

مكتوبة فى بعض النبذ وإما شفوية يتناقلونها من مكان إلى مكان ومن كنيسة إلى كنيسة .

٣ ــ هذه التقاليد ترجع أصلا إلى يسوع فهو الأساس الذى بنيت عليه الكنيسة وبنيت عليه المسيحية سواء أكان فى تعاليمه أم فى حياته أم موته وقيامته وصعوده إلى السماء ، إنه حجر الزاوية .

الفصل الرابع

# كيف وصل إلينا العهد الجديد

بعد أن يعرف الدارس شيئاً عن البيئة العامة التى أحاطت بكتابة وكتاب العهد الجديد من يهودية ويونانية وكيف نما العهد الجديد داخل الكنيسة ، ينبغى عليه أن ينتقل إلى العهد الجديد نفسه ليعرف شيئاً عن كتابته كيف كتب وكيف وصل إلينا فى حالته الحاضرة ، وهل حدث اختلاف فى الكتابات الأولى التى خرجت من أيدى كتابه الأصليين أم هى باقية كما كتبوها ، وكيف نستطيع أن نجزم أن ما بين أيدينا هو النص الأصلى الذى كتبوه . وهناك أسئلة أخرى تتصل ببعض الكتابات الأخرى التى وجدت وكتبت بأيدى مسيحية لها سلطانها وتحت أسماء ضخمة فى الكنيسة الأولى كإسم بطرس وبولس وغيرهما . . لكننا لا نجدها موجودة عندنا فى نسخ العهد الجديد التى بين أيدينا ؛ فلماذا حفظت هذه وتركت تلك ، وما هو المبدأ الأساسى الذى ساق الكنيسة على أن تأخذ هذه وتترك غيرها .

هذه الأسئلة كلها تتصل بدراستين عميقتين من دراسات العهد الجديد ، الأولى دراسة النص والثانية دراسة القانونية للعهد الجديد ، وهاتان الدراستان هما موضوعا الفصلين التاليين .

## ١ ـ كيف كتب النص

من الأمور البديهية التى لا ينكرها أى إنسان أن النسخ الأصلية التى خرجت من يد كتاب العهد الجديد غير موجودة ، وأن أقدم مخطوطة وصلت

إلى أيدينا تصل إلى النصف الأول من القرن الثانى ، أى بعد الانتهاء من كتابة كل أسفار العهد الجديد ببضع عشرات من السنين ، مع العلم بأن هذه المخطوطة لا تزيد عن بضعة أعداد قليلة من إنجيل يوحنا . ومع ذلك فهناك ما يقرب من خمسة آلاف مخطوطة تغطى كل أجزاء العهد الجديد (The Text of the N.T. Metzger ص ٣٦ ) فكيف وصلت إلينا هذه المخطوطات الكثيرة ؟ كيف كتبت ؟ وبأى كيفية حفظت نص العهد الجديد ؟

**كيفية كتابة الكتب :**

١ – يعتبر ورق البردى أقدم مادة يكتب عليها الكتاب المقدس . والبردى هذا نبات ينمو فى الأمكنة الضحلة من نهر النيل فى الدلتا ، وكانت صناعته من الصناعات المزدهرة فى مصر ، ومن هناك كان يصدر إلى أمكنة كثيرة فى العالم . ومع أن البردى يصبح سهل الكسر عندما يتقادم عليه الزمن إلا أنه كان يضارع فى متانته أقوى نوع من الورق الحديث . ولكن الفضل الأكبر فى بقاء أوراق البردى إلى العصر الحالى هو جفاف الجو فى مصر وخصوصاً فى الصعيد ، حيث وجد البردى بكميات ضخمة مدفوناً فى التربة الجافة . وحيث أن أوراق البردى كانت مستخدمة فى أيام المسيح وقبل ذلك بآلاف السنين ثم بعده بعدة قرون فيمكن القول بأن كتاب العهد الجديد كتبوا كتاباتهم على أوراق البردى .

٢ – ولكن البردى لم يكن هو المادة الوحيدة التى استخدمت فى الكتابة بل كانت ، هناك الرقوق . وهناك قصة مشهورة يذكرها بلنى الكبير فى كتابه التاريخ الطبيعى « ج ١٣ ص٢ يقول فيها إن ملكاً من ملوك مصر من أسرة البطالمة علم أن أمنيس الثانى Eumonos يحاول أن يبنى مكتبة تضارع مكتبة الإسكندرية وتنافسها ، فمنع تصدير أوراق البردى إليه حتى يمنعه من

محاولة هذه ، ولكن أمنيس لم ييأس بل توسع كثيراً فى صنع الرقوق من الجلود مثل جلود العجول والغزلان والغنم والماعز . وبدأ استخدام الرقوق بتوسع من ذلك العصر — مع أنه كان معروفاً من قبل — ووجدت مخطوطات ضخمة مكتوبة على الرقوق هذه ، بل أن كل المخطوطات اليونانية المشهورة المعروفة للعالم مكتوبة على هذه الرقوق . ولقد ساعدت الرقوق على انتشار الكتاب فى كل أنحاء العالم اليونانى الرومانى لإمكان حفظه فى أى مكان وتحت أى ظروف جوية .

٣ — أما الشكل التى وصلت بها الكتب فكانت نوعين : النوع الأول هو الدرج scroll . وكان يصنع إما من الجلد أى الرقوق أو من أوراق البردى إذ تلصق وحدات الرقوق أو البردى بعضها بالبعض حتى تصبح أطوالا مختلفة قد تصل إلى عشرة أمتار ، ويكتب عليه فى شكل أعمدة . ولا يتسع أى درج لأكثر من سفر واحد من أسفار الكتاب المقدس الطويلة ، ويظن كثير من العلماء أن هذا هو السبب الذى لأجله كتب لوقا الطبيب كتابه — إنجيل لوقا وسفر الأعمال فى كتابين منفصلين . وكانت هذه الطريقة مكلفة كثيراً ، غير سهلة فى استخراج الأجزاء المطلوبة من السفر . لهذا بدأ الناس يفكرون فى شكل آخر فخرج الكتاب Codex إلى الوجود . ويظن بعضهم أن كنيسة الأمم هى أول من فكر فى كتابة الكتاب المقدس على شكل كتاب حتى تتميز عن كتابات اليهود التى استمرت تكتب فى هيئة الدرج . ولكن ذلك لم يكن السبب الأصيل لهذا التحول ، بل كانت هناك أسباب أخرى منها : أن الكاتب يستطيع أن يكتب على جانبى الورقة الواحدة فى حين أن الدرج لا يتسع إلا للكتابة على وجه واحد هو الوجه الداخلى فقط ، وبذلك استطاعوا أن يضعوا الأناجيل كلها أو رسائل بولس كلها فى كتاب واحد . ومنها أيضاً أن قارئ الكتاب كان لا يتعب كثيراً عندما يفتش عن أية جزء

من الكتاب المقدس . ولهذا فقد وجدت المخطوطات العظمى للكتاب المقدس في هيئة كتاب لا في شكل الدرج .

٤ — وكما تباينت هيئة المخطوطات تباينت أيضاً طريقة الكتابة ، فقد كانت هنالك ، طريقتان للكتابة : طريقة الخط الجارى Cursive أى أن الأحرف كانت ملتصقة بعضها ببعض ، وكانت تستعمل فى كتابة الأمور اليومية غير الرسمية ، أما فى الكتابات الرسمية وتلك التى لها قيمتها الكبرى فكانت تكتب بالخط ذى الأحرف الكبيرة المنفصلة واسمها Unicials . وبهذه الكيفية كتبت المخطوطات الكتابية العظيمة التى وصلت إلينا فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلادى . أما بعد ذلك فقد بدأ جمال الكتابة والعناية بها يقل حتى صارت الأحرف ضخمة وغير واضحة . ولكن فى حوالى القرن التاسع ظهرت طريقة أخرى للكتابة هى عبارة عن شكل متطور من الكتابة الجارية Cursive وكانت تسمى Minuscules أى كتابة الأحرف الصغيرة ، وبهذا التطور بدأ انتشار الكتب المقدسة يتزايد نظراً لضيق المسافة التى تشغلها الكتابة ، وصغر حجم الكتاب وسرعة الكتابة وانخفاض تكاليف الكتب . وعلى هذا فيمكن تقسيم المخطوطات إلى نوعين : الأول هو ما كتبت بالخط الكبير المنفصل والنوع الثانى هو ما كتبت بالخط الصغير ، وبالطبع يزداد عدد النوع الثانى عن الأول بنسبة ٦ : ١ نظراً لقرب وقتها من العصر الحالى وعدم تعرضها للتآكل مثلما حدث للنوع الأول والأهم من ذلك لانتشار الكتاب المقدس بصورة أوسع بين طبقات من الناس أشمل .

٥ — أما من ناحية ترقيم الكتابة ووضع الفواصل بين الجمل والكلمات فقد كانت قليلة جداً فى الكتابات القديمة وخاصة فى الكتابات الموجودة على البردى ، وكذلك المخطوطات القديمة . فى أوراق البردى المسماة شيستربيتى

Chester Beatty وجدت علامات مميزة وفواصل قليلة جداً . وكانت الأحرف تكتب متجاورة والكلمات كذلك لا يفصلها بعضها عن بعض أى فاصل ، مما كان يسبب بعض المشاق للعلماء فى تمييز الكلمات ، وهناك مثل واضح باللغة الإنجليزية يوضح مدى هذه الصعوبة : فإذا قرأ اثنان أحدهما ملحد والثانى مؤمن هذه الجملة Godisnowhere فالأول يقرأها God is no Where أى أن الله غير موجود ويقرأها الثانى God is now here « أى أن الله هنا الآن » . ولكن لا يخطرن على البال أن هذه الحالات كانت عسيرة لدرجة الاستحالة على العلماء ، فقد درسوا الكتاب المقدس كله دون التوقف أو العجز عن تفسير وتمييز كل كلماته ، وذلك نظراً لتميز الكلمة اليونانية عن غيرها بنهاياتها التى لا تخرج عن حرف متحرك أو مقطع حركى Diph Thong أو واحد من الأحرف الساكنة الثلاثة n, r, s .

٦ ـ إلى جانب المواد السابقة التى كتبت عليها كتب العهد الجديد توجد طريقتان أخريان حفظ بهما بعض نصوصها : الأولى هى الكتابة على الفخار أو المحار وكان يستخدمها فقراء الناس ، وقد وجدت أجزاء من ستة أسفار من العهد الجديد مكتوبة بهذه الكيفية . أما الطريقة الثانية : هى طريقة عمل الشعوذة والأحجبة ، وقد انتشرت هذه العادة فى العصور القديمة انتشاراً واسعاً حتى بين المسيحيين أنفسهم . وكانوا يكتبون بضعة آيات من أحد الأسفار على الخشب أو الجلد أو ورق البردى . ويشار إلى النوع الأول بالحرف الإنجليزى القديم H ويوجد منها حوالى ٢٥ ، أما النوع الثانى فيشار إليه بالحرف D ويوجد منها ٤ تحوى الصلاة الربانية وخمسة تحتوى على أجزاء أخرى من الكتاب .

## ٢ ـ مستندات نص العهد الجديد

وهنا يقفز السؤال « ما هي الوثائق التي يعتمد عليها الدارسون في تحقيق نص العهد الجديد ؟ وما هي المصادر الأساسية له ؟ في هذا الأمر توجد ثلاثة مصادر وهي في الوقت نفسه الوثائق التي منها يستقي العلماء هذا النص :

١ ـ المخطوطات اليونانية .

٢ ـ الاقتباسات التي اقتبسها الآباء أفراداً وكنائس والقراءات في صلواتها .

٣ ـ الترجمات المختلفة .

### ١ ـ المخطوطات اليونانية :

انشغل بعض العلماء في وضع أسماء لهذه المخطوطات المختلفة لتمييزها بعضها عن بعض ولتسهيل عملية نقد النص ، وكان أول من عمل نظاماً لها هو العالم وتشتين Wettstein فميز المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير المنفصل Unicials بحرف كبير ، أما المخطوطات المكتوبة بالخط الصغير Minuscules بالأعداد العربية . ولكن منذ ذاك الوقت كثرت الاكتشافات وزاد عدد المخطوطات عن عدد الحروف الكتابية ، فكان على العلماء أن يجدوا نظاماً أشمل منه ، ولقد قام بذلك أحد علماء القرن التاسع عشر وهو جريجوري G.R. Gregory الذي بنى على النظام السابق ولكنه توسع فيه : ففصل أولا بين المخطوطات المكتوبة على أوراق البردي والمكتوبة على الجلود ، وميز الأول بالحرف الإنجليزي P وتكتب نمرة المخطوطة بجواره : فهناك P1 ، P2 وهكذا . ويوجد منها حوالي ٧٦ مخطوطة مكتوبة بالحرف الكبير المنفصل .

أما المخطوطات المكتوبة على الجلود فقد أبقى على الأسماء الأصلية للمخطوطات الشهيرة ، فبقيت السينائية تميز بـ א ( ألف عبرانى ) والفاتيكانة B والإسكندرية A ولكن المخطوطات زادت عن الحروف اللاتينية واليونانية والعبرية ، فما كان من جريجورى إلا أن ميز كل مخطوطة بعدد عربى خاص ملحقاً به رقم صفر مثلا : 01 , 02 , 050 , 075 ووصل عدد المخطوطات هذه إلى ٢٥٠ مخطوطة .

أما المخطوطات المكتوبة بالحرف الصغير المتصل فقد أبقى على تمييزها بالأعداد العربية ووصل عددها إلى حوالى ٢٦٤٦ مخطوطة .

ولم يقتصر جريجورى على تمييز المخطوطات اليونانية بل تعداها إلى القراءات الكنسية ، وهناك حوالى ١٩٩٧ قراءة موجودة فى الكتب اليونانية . وميزها بالحرف الانجليزى L (Lectionary) وبجوارها عدد عربى . فإذا كانت القراءات من الإنجيل اكتفى بالحرف L والعدد العربى ، أما إذا كان الاقتباس من الأعمال والرسائل La أما إذا كان من الأناجيل والأعمال والرسائل L + a ولا يوجد اقتباس من سفر الرؤيا .

وتنقسم هذه المخطوطات إلى نوعين :

١ — المخطوطات المكتوبة على الورق البردى .

٢ — المخطوطات المكتوبة على الجلود .

**( أ ) أهم المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير على ورق البردى**

تشمل كل هذه المخطوطات أجزاء صغيرة من العهد الجديد ، ولكن أهم هذه المخطوطات مجموعتان : الأولى هى مجموعة تشستر بيتى Chester Beatty نشرت ١٩٣٠ — ١٩٣١ . ثم مجموعة Martin Bod mor وقد نشرت فى ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .

أما المجموعة الأولى أى مجموعة تشستر بيتى فتحتوى على المخطوطات الآتية : p 45 كانت تحتوى هذه المخطوطة فى الأصل على حوالى ٢٢٠ ورقة ولكن لم يتبق منها إلا حوالى ٣٠ ورقة . وكانت تحوى الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال ، ولم يبق منها إلا بضعة أعداد من متى ويوحنا وأوراق من مرقس ، ٧ أوراق من لوقا و ١٣ ورقة من سفر الأعمال . يرجع الناشر تاريخ كتابتها فيما بين ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ميلادية . أما نصها فهو يختلف . ففى مرقس يعتبر النص قيصرى أما فى الأناجيل الباقية فيميل إلى النص الإسكندرى p 46 كانت أصلا تحتوى على ١٠٤ ورقة تبقى منها حوالى ٨٦ ورقة . وكانت تحتوى على عشر رسائل لبولس بالترتيب الآتى رومية ، عبرانيين ، ١ و ٢ كورنثوس وأفسس وغلاطية فيلبى وكولوس ، ١ و ٢ تسالونيكى . لكنها الآن تنقص أجزاء كبيرة من رسائل رومية ، ١ و ٢ تسالونيكى ولا توجد هناك أية دلائل على أنها كانت تضم الرسائل الرعوية . ومن أهم مميزات هذه المخطوطات هو أنها تنسب رسالة العبرانيين إلى بولس وتضعها مباشرة بعد رومية ، والنهاية الموجودة فى أصحاح ١٦ من رسالة رومية توجد فى نهاية الأصحاح الخامس عشر . ويرجع الناشر أنها كتبت فى النصف الأول من القرن الثالث ( ٢٠٠ ـ ٢٥٠ م ) ونصها قريب من النص الغربى .

P 47 كانت تحتوى أصلا على ما يقرب من ٣٢ ورقة لم يتبق منها سوى عشر ورقات ، بها كثير من التشويهات وهى لسفر الرؤيا . ويرجع تاريخها إلى النصف الأخير من القرن الثالث ونصها يقترب من نص المخطوطة السينائية .

P 52 هذه الأقصوصة من البردى لا تحوى سوى خمسة أعداد من إنجيل يوحنا ( ١٨ : ٣١ ـ ٣٣ و ٣٧ و ٣٨ ) وقد أخذها أحد العلماء من مصر

سنة ١٩٢٠ ولكنها لم تنشر إلا فى سنة ١٩٣٤ ومع أنها صغيرة الحجم بهذا القدر إلا أن قيمتها العلمية لا تقل عن أعظم اكتشاف فى عالم المخطوطات . فقد أرجع ناشرها تاريخ كتابتها إلى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى وقد اتفق معه أعظم علماء المخطوطات . وهذا يعنى أن انجيل يوحنا انتقل من منطقة كتابته ( أفسس آسيا الصغرى ) إلى مصر فى تلك الفترة مما يقطع أن الإنجيل كتب فى فترة هذا التاريخ وبذلك نقضت كل براهين مدرسة توبنجن الألمانية التى كانت تؤكد أن إنجيل يوحنا كتب فى ١٧٥ م على الأقل.

هذه هى مجموعة تشستر بيتى ، ويليها فى التاريخ مجموعة بودمر وهى تحتوى على المخطوطات التالية :

P 66 وتعتبر هذه المخطوطات من أهم مخطوطات هذه المجموعة . ولقد نشرت على مرتين الأولى من سنة ١٩٥٦ والثانية وكانت إضافات لها نشرت سنة ١٩٦٢ . وكانت تحوى أصلا إنجيل يوحنا ولم يتبق منها سوى : يوحنا ١ : ١ — ٥ : ١١ ، ٦ : ٣٥ — ١٤ : ١٥ ثم بضعة أعداد من أصحاحات ١٤ — ٢١ . ونصها أصلا غربى ولكن الكاتب غير بضعة قراءات منها إلى النص الإسكندرى . وتتميز هذه المخطوطة ببعض القراءات التى لم توجد فى أية مخطوطة غيرها مثل : لو ١٣ : ٥ بدلا من كلمة « مغسل » يقول « مغسل الأرجل » ومتى ٧ : ٥٢ يحل المشكلة التى حيرت المفسرين طويلا فى القول . فتش وانظر هل قام نبى من الجليل مع أن أنبياء جاءوا من الجليل ، لكن الكاتب أضاف « الـــ التعريف » فأصبحت « النبى » وهو النبى الذى وعد موسى الشعب بمجيئه ، هذا النبى هو الذى لا يأتى من الجليل .

P 72 هذه المخطوطة التى نشرت سنة ١٩٥٩ تحتوى على أشياء : منها قصة ميلاد العذراء مريم، رسالة بولس إلى كورنثوس ( من كتب الأبوكريفا)

أغنية سليمان الحادية عشر ، رسالة يهوذا ؛ موعظة ميلثويوم الفصيح ، أجزاء من أحد الترانيم مقالة فيلياس ، مزمور ٣٣ و ٣٤ رسالتي بطرس . وقد ذكر الكاتب أنها كتبت للاستعمال الخاص لا للاستعمال الكنسى . أما نصها فى ١ بطرس فهو نص اسكندرى ، وخصوصاً النص الصعيدى .

P 75 وهى مخطوطة كانت تحتوى إنجيلى لوقا ويوحنا كتباً على ١٤٤ صفحة ولم يبق منها إلا ١٠٢ صفحة ويرجح ناشرها أنها كتبت فى الفترة ما بين ١٧٥ — ٢٢٥ م ولهذا فهى أول مخطوطة لإنجيل لوقا ، وواحدة من أوائل المخطوطات لإنجيل يوحنا. ونص هذه المخطوطة يشابه المخطوطة الفاتيكانية ، وفى بعض المواضع تتفق مع الترجمة القبطية المسماة « الصعيدية » ، فى بعض القراءات الفريدة . فهما تتفقان فى يوحنا ١٠ : ٧ حيث يستبدلان قول المسيح « أنا هو باب الخراف » بالقول « أنا هو راعى الخراف » ، ثم فى ذكر اسم الرجل الغنى فى قصة الغنى واليعازر » ، ( لوقا ١٦ : ١٩ )، حيث تقول أن إسمه : نينوى .

هذه هى أهم المخطوطات البردية التى تعتبر شاهداً ومصدراً مهما لنص العهد الجديد .

**(ب) أهم المخطوطات اليونانية المكتوبة بالخط الكبير على جلود الحيوانات**

لا يمكن أن نعطى هنا وصفاً عن كل المخطوطات من هذا النوع ، ولكن يكفى أن نلقى الضوء على بعض من أهم المخطوطات فيها ، وسوف نذكر اسم المخطوطة باللغتين العربية والانجليزية مع ذكر الحرف الرمزى لها ثم رقمها العددى .

١ ـ السينائية Siniaticus ؛ (01) :

تعتبر هذه المخطوطة أهم هذا النوع من المخطوطات وقد اكتسبت شهرة واسعة ليس فقط بما تحوى ولكن للقصة الطويلة التى وراءها . فقد اعتقد تشيندورف الذى اكتشفها أنها إحدى خمسين مخطوطة فاخرة أمر الامبراطور قسطنطين بكتابتها لتوزع على الكنائس ، أما المخطوطة الثانية الباقية من هذه المجموعة بحسب هذا الرأى فهى الفاتيكانية أما قصة اكتشافها فهى قصة طويلة تبدأ سنة ١٨٤٤ عندما جاء قسطنطين تشيندورف العالم الألمانى إلى الشرق الأوسط للبحث عن مخطوطات قديمة ، فوجد ٤٣ ورقة ملقاة فى سلة المهملات فى دير سانت كاترين فى صحراء سيناء ، وعندما فحصها عرف أنها جزء من الترجمة السبعينية كتبت بخط كبير منفصل ، وكانت تحوى أجزاء من ١ أخبار الأيام ، إرميا ، نحميا واستير . فرجع إلى أوربا ونشر ونشر هذه الأوراق سنة ١٨٤٦ . فى سنة ١٨٥٣ رجع إلى الدير ولكن الرهبان لم يسمحوا له بشئ ، ولكن فى سنة ١٨٥٩ فى زيارة ثالثة للدير وجد ما كان يحلم به ، إذ وجد مع أحد الرهبان بقية المخطوطة فى حالة جيدة وخاصة فى العهد الجديد ، وبعد مفاوضات طويلة تمكن من أخذها وتقديمها كهدية لقيصر روسيا ثم نشرها فى سنة ١٨٦٢ . . ثم نشرت بعد ذلك مرتين الأولى ما بين ١٩١١ ـ ١٩٢٢ والثانية ١٩٣٨ بعد أن اشتراها المتحف البريطانى من النظام الروسى الجديد بمبلغ مائة ألف جنيه استرلينى . ( يعود تاريخها إلى النصف الثانى من القرن الرابع ) وتحتوى هذه المخطوطة على معظم العهد القديم وكل العهد الجديد تقريباً ورسالة برنابا ، وجزء كبير من كتاب راعى هرمس . أما نصها فهو ينتمى إلى النص الإسكندرى . وقد راجعها بعض الكتبة وعملوا لها بعض التصحيحات . وفى المدة ما بين القرنين السادس والسابع غير بعض الكتبة فى قيصرية كثيراً فى كلا العهدين الجديد والقديم محاولين بذلك أن

يوفقوا بين هذه المخطوطة ومخطوطة بامفيلوس القيصرى . ويستطيع دارس الكتاب المقدس أن يعرف ذلك فى الهامش تحت a ℵ [*] للتصحيحات ، ثم ca ℵ التغييرات الأولى ، ثم cb ℵ للتغييرات الثانية .

**٢ – الاسكندرية (02) A. Alexandrinus :**

هذه المخطوطة أهداها البطريرك كيرلس لوكر بطريرك القسطنطينية سنة ١٦٢٧ إلى أحد ملوك انجلترا ، وقد كانت قبلا فى أبروشية الإسكندرية ، ولذلك أطلق عليها ذلك الاسم مع أن إستريتر Streeter يظن أنها لم تكتب فى الإسكندرية بل كتبت فى قيصرية أو فى مكان يقرب منها . وقد كانت تحتوى أصلا على ٨٢٢ ورقة لم يتبق منها إلا ٧٧٣ ورقة وتتضمن العهدين القديم والجديد . وقد فقد منها كل متى إلى ص ٢٥ : ٦ ، يوحنا ٦ : ٥٠ – ٨ : ٥٢ ، ٢ كو ٤ : ١٣ – ١٢ : ٦ .

أما النص فإنه يختلف فالأناجيل تمثل النص البيزنطى فى أقدم صورة أما بقية العهد الجديد فيمثل النص الإسكندرى ، وبذلك توضع فى نفس المستوى مع المخطوطتين ℵ ، B فى هذا الجزء . ويرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادى .

**٣ – الفاتيكانية (03) B Vaticanus :**

سميت الفاتيكانية لأنها موجودة فى المكتبة الفاتيكانية منذ زمن بعيد – أى قبل سنة ١٤٧٥ م ، ومع ذلك فقد ظلت مغلقة عن عيون العلماء إلى سنة ١٨٨٩ حين سمح لهم بأن يستخرجوا صورة فوتوغرافية منها . يرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى أواسط القرن الرابع ، ويظن بعضهم أنها إحدى الخمسين مخطوطة التى أمر قسطنطين بكتابتها للكنائس ، وأنها كانت نسخة مرفوضة .

---

* ألف هى العبرية أول حرف عبرى .

وفيها بعض التصحيحات التي قام بها أحد المصححين بعد كتابتها مباشرة . وكتابتها بسيطة ليس بها أى تزيينات .

أما ما ضاع من هذه المخطوطة فهو : ٤٦ أصحاحاً من سفر التكوين - حوالى ٣٠ مزموراً ، من عبرانيين ٩ : ١٤ إلى النهاية ويتضمن الرسائل الرعوية وسفر الرؤيا وسفر المكابيين .

أما ما تتميز به هذه المخطوطة فهى أنها مقسمة فى العهد الجديد إلى أصحاحات ما عدا رسالة بطرس الثانية ، وفى تقسيمها لرسائل بولس تستمر فى تقسيم واحد لكل الرسائل ، ولا يوجد هناك تقسيم مستقل لكل رسالة على حدة . والأمر الآخر هو أنها تحوى رسالة العبرانيين بعد رسالة تسالونيكى مباشرة .

أما نصها فقد قيل إنه يمثل النص الإسكندرى فى أنقى صورة مع أن بعض العلماء يرون فى رسائل بولس بعض العلامات على وجود النص الغربى مختلطاً بالنص الإسكندرى .

٤ – الافرايمية **C. Ephraemi (04)** :

هذه المخطوطة التى توجد الآن فى المكتبة الوطنية فى باريس ، كانت فى الشرق ثم جئ بها إلى إيطاليا فى القرن السادس ومنها إلى باريس . وهى مخطوطة بالمبسست **Palimpsest** أى أنها كانت تحتوى أصلا الكتاب المقدس ، لكن فى القرن الثانى عشر محا أحد الكتبة نص الكتاب المقدس وكتب فوقها مواعظ أفرايم أحد الآباء السريان الذى عاش فى أوائل القرن الرابع . ولكن بواسطة استخدام بعض المواد الكيميائية الخاصة والضوء الشديد تمكن تشيندورف من أن يقرأ النص الأصلى الذى محى ، ولم يجد منها

سوى ٤٦ ورقة من العهد القديم وحوالى ١٤٥ ورقة من العهد الجديد تحوى أجزاء من كل كتبه ما عدا رسالة تسالونيكى الثانية ويوحنا الثانية .

يرجع تاريخ هذه المخطوطة إلى القرن الخامس يتفق نصها كثيراً مع النص البيزنطى الذى يعتبر أقل قيمة من النصوص الأخرى . وقد أجرى اثنان من المصححين بعض التصحيحات ويشار إليها .

**٥ ـ البيزية D Bezae (05) :**

لهـا اسم ثان هو كانتا بريجنسيس Cantabrigiensis وقد حصل عليها تيودوربيزا تلميذ كلفن من دير القديس إيريناوس سنة ١٥٦٢ ، وأهداها إلى مكتبة جامعة كمبردج ولذلك سميت باسمه . هذه المخطوطة تختلف عن مثيلاتها فى أنها مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية ، اليونانى على الصفحة اليسرى واللاتينى فى اليمنى . مكتوبة فى عمود واحد وسطورها غير متساوية . وترتيب الأناجيل فيها يتبع الترتيب الغربى أى متى ويوحنا ( الرسولان ) لوقا ( مرقس رفيقا الرسولين ) ، وتاريخها يرجع إلى القرن ٥ أو ٦ وهذه المخطوطة تمتاز بأمور لا توجد فى أية مخطوطة أخرى . ففيها من الإضافات والحذف ما يتعدى الكلمات إلى الجمل والحوادث أيضاً . فمثلا يظهر عدد ٥ بعد عدد ١٠ فى إنجيل لوقا ٦ وبين العددين ٤ و ٦ من نفس الأصحاح تظهر حادثة جديدة لا توجد فى أى مكان آخر وهى « وفى ذلك اليوم رأى يسوع إنساناً يعمل فى يوم السبت فقال له « يا إنسان إن كنت تعرف ما أنت صانع فطوبى لك ، ولكن إن كنت لا تعلم فأنت ملعون وكاسر للناموس » وهنالك مثل آخر . فى القصة « العشاء الربانى » كما وردت فى إنجيل لوقا يحذف الكاتب الجزء الأخير من عدد ١٩ وعدد ٢٠ وبذلك يزيل كل ذكر للكأس الثانى ( لو ٢٢ : ١٥ ـ ٢٠ ) . وفى لو ٢٣ : ٥٣ يذكر أن يوسف

الرامى بعد أن دفن جسد يسوع » وضع أمام القبر حجراً ضخماً لا يستطيع عشرون رجلا أن يزحزحوه . أما أشهر مثل على الإضافة فهو ما جاء بعد متى ٢٠ : ٢٨ إذ يقول « ولكن اطلبوا أن تزدادوا من كل ما هو صغير وأن تنقصوا من كل ما هو عظيم . إذ دخلتم بيتاً ودعيتم للغذاء فلا تجلسوا فى الأماكن الأولى لئلا يدخل من هو أعظم منك بعد ذلك ، فيأتى من دعاك ويقول لك اذهب اجلس فى مكان أقل فتخجل ، ولكن إذا جلست فى مكان أقل وجاء من هو أقل منك فيأتى من دعاك ويقول لك اذهب إلى مكان أرفع وذلك يكون حسناً لك » ولكن فى هذه الإضافة تتفق معها بعض المخطوطات والترجمات الأخرى . وقس على ذلك من الإضافات التى وجدت فى أعمال الرسل حتى أن حجم السفر يساوى ١١/١٠ من السفر المعروف . هذه الزيادات توضح نوعية النص الغربى الذى تمثله هذه المخطوطة أوضح تمثيل .

٦ – كلارومنتانوس Db Claromontanus أو D2 (06) :

وتحتوى هذه المخطوطة على كل رسائل بولس ومن ضمنها الرسالة للعبرانيين ، وهى مثل البيزية مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية ، عمل بها مصححون كثيرون ، نصها غربى مع أنه لا يوجد بها الإضافات الكثيرة كما هو الحال فى البيزية ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادى .

٧ – الوشنطنية W. Washingtor (032) :

وهى موجودة الآن فى متحف فرير فى مدينة واشنطن ، يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الرابع أو الخامس . وهى تحتوى على الأناجيل فقط ، ولكن فى الترتيب الغربى متى ، ويوحنا ، لوقا ، مرقس . أما نصها فهو مختلف

فى أجزء كثيرة منها كأنما نقلت من مجموعة مخطوطات مختلفة ففيها النص البيزنطى والغربى والقيصرى والإسكندرى .

وفى هذه المخطوطة إضافة تميزها عن باقى المخطوطات مع أن جيروم يظن أنه رأى هذه الإضافة فى مخطوطات يونانية أخرى ، هذه الإضافة موجودة فى مرقس ١٦ : ١٤ فبعد أن وبخ المسيح تلاميذه لعدم إيمانهم تضيف المخطوطة « فبدأوا يبرئون أنفسهم قائلين إن دهر العصيان وعدم الإيمان هذا هو تحت سلطان الشيطان الذى لا يسمح لحق الله وقوته . أن يتغلب على أمور الأرواح النجسة لذلك اكشف عن برك الآن حينئذ التفتوا إلى المسيح فقال لهم زمن الشيطان قد كمل ولكن أموراً مرعبة تقترب الآن ومن أخطأ أسلم للموت حتى يرجعوا للحق ولا يخطئون مرة أخرى ويرثون مجد البر الروحى الغير الزائل الموجود فى السماء » .

هذه هى أهم المخطوطات اليونانية المكتوبة بالخط الكبير المنفصل . وهناك مخطوطات أخرى من نفس النوع ولكنها أقل أهمية من هذه التى ذكرت سابقاً .

### (جـ) المخطوطات المكتوبة بالخط الغير متصل

بدأت كتابة الأسفار المقدسة بالخط الصغير المتصل من أواخر القرن الثامن . ولقد كان الناس يستخدمون هذه الطريقة فى الكتابة قبل ذلك الوقت بمدة طويلة ، ولكنهم لم يستخدموها فى كتابة الأسفار المقدسة . ولكن لما زاد الطلب على اقتناء الكتاب المقدس وخاصة منذ أوائل القرن العاشر ، بدأ الكتاب يغيرون طريقة كتابتها من الخط الكبير المنفصل إلى الخط الصغير الجارى . فساعدهم ذلك على سرعة الكتابة وتصغير المساحة ، فصغر حجم

الكتاب المقدس ، مما رخص ثمنه وخفف حمله وجعل الكثيرين يقبلون على اقتنائه .

وهذه المخطوطات تقل فى أهميتها عن المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير المنفصل ، لأنها متأخرة عنها فى الزمن . ولكن مع ذلك فهناك بعض المخطوطات منها لا تقل أهميتها عن أعظم مخطوطة قديمة ، فليس بالضرورة أن يكون نص المخطوطة المتأخرة زمنياً متأخراً هو أيضاً . فقد تنقل هذه المخطوطة المتأخرة عن مخطوطة قديمة جداً ذات نص رفيع القيمة كالنص الإسكندرى ، ولهذا لا يمكن الحكم على كل هذه المخطوطات بقلة قيمتها النقدية عن المخطوطات الأخرى .

وعندما بحث العلماء فى هذه المخطوطات وجدوا أن هناك تشابهاً كبيراً يكاد يكون تاماً بين بعض مفرداتها ، ولهذا فقد ضموا المخطوطات المتشابهة بعضها إلى بعض فى التنسيق وأطلقوا عليها لقب الأسرة .

ويستحسن هنا أن نذكر كلمة عن بعض أسرات هذه المجموعة وبعض مفرداتها .

**١ ــ الأسرة الأولى :**

وهى تتكون من المخطوطات رقم ١ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ٢٠٩ ويرجع تاريخ كتابتها كلها إلى الفترة ما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر ــ يشابه نصها النص القيصرى الذى ظهر فى قيصرية فى القرن الثالث والرابع .

**٢ ــ الأسرة الثالثة عشرة :**

وهى تتكون من المخطوطات ١٣ ، ٦٩ ، ١٢٤ ، ٣٤٦ ثم أضيف عليها حديثاً المخطوطات : ٢٣٠ ، ٥٤٣ ، ٧٨٨ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٩٨٣ ،

١٦٨٩ ، ١٧٠٩ ويرجع تاريخ كتابتها إلى المدة ما بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر . ونصها هو النص القيصرى . وأهم ما يميز هذه المجموعة هو أنها تذكر حادثة المرأة التى أمسكت فى الزنا ( يو ٧ : ٥٣ ــ ٨ : ١١ ) لا فى إنجيل يوحنا بل فى إنجيل لوقا ٢١ وبعد العدد ٣٨ .

**٣ ــ الأسرة ١٤٢٤ :**

وهى أسرة أطلق عليها ١٤٢٤ نظراً لأن أهم مخطوطة فيه هى ١٤٢٤ وهذه المخطوطة تحتوى على كل العهد الجديد ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع أو العاشر ، كتبها واحد من الرهبان مع إضافة بعض التفاسير لها على الهوامش ، وقد رتبها بالترتيب الآتى :

الأناجيل ، الأعمال والرسائل الجامعة ، الرؤيا ، رسائل بولس ونصها هو النص القيصرى . ويشترك فى هذه الأسرة مع هذه المخطوطات ، المخطوطات الآتية التى تحتوى على أجزاء مختلفة والعهد الجديد : ٧ ، ٢٧ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٦٧ ، ٣٤٩ ، ٥١٧ ، ٦٥٩ ، ٦٩٢ ، ٨٢٦ ، ٩٤٥ ، ٩٥٤ ، ٩٩٠ ، ١٠١٠ ، ١٠٨٢ ، ١١٨٨ ، ١٩٩٤ ، ١٢٠٧ ، ١٢٢٣ ، ١٢٩٣ ، ١٣٩١ ، ١٤٠٢ ، ١٦٠٦ ، ١٦٧٥ ، ٢١٩١ .

**٤ ــ المخطوطة ٣٣ :**

وهى تحتوى على كل العهد الجديد ما عدا سفر الرؤيا يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع ، وقد أطلق عليها لقب « ملكة المخطوطات ذات الأحرف الصغيرة المتصلة » ونصها اسكندرى رفيع فيما عدا سفر الأعمال ورسائل بولس فإنها تظهر بعض التشابه القليل النص البيزنطى . توجد فى المتحف الوطنى بباريس .

٥ — المخطوطة : ٦١ :

وهى تحتوى على كل العهد الجديد . ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، وأهميتها ترجع إلى أنها أول مخطوطة اكتشفت تحوى الشهود السماويين الثلاثة ( ١ يوحنا ٥ : ٧ و ٨ ) . وهذه المخطوطة جميلة ونظيفة فيما عدا الصفحة التى فيها الشاهد السابق من كثرة الاستعمال . توجد فى مكتبة كلية الثالوث بدبلن — انجلترا .

٦ — المخطوطة ٨١ :

تحتوى على سفر الأعمال ويرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٤٤ . وشهرتها فى نصها إذ تعادل أعظم المخطوطات القديمة ، وتتفق فى كثير من الحالات مع النص الإسكندرى . توجد فى المتحف البريطانى .

٧ — المخطوطة ١٥٧ :

إنها تشمل كل الأناجيل . ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثانى عشر . قيل إن نصها يشبه نص المخطوطة ٣٣ ، ويقول ستريتر إن نصها يشابه النص القيصرى وتوجد الآن فى مكتبة الفاتيكان .

٨ — المخطوطة ٥٦٥ :

تعد من أجمل المخطوطات الباقية للآن . وهى تشمل كل الأناجيل ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع أو العاشر . مكتوبة بالخط الذهبى على جلد أرجوانى . ونصها قيصرى . وتشابه المخطوطة ذات الحرف الكبير المنفصل ( ٠٥ ) بيزا خاصة فى إنجيل مرقس . وهى موجودة الآن فى لينينجراد .

٩ — المخطوطة رقم ١٥٨٢ :

يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن العاشر . ويقول عنها ستربتر أنها تساوى فى قيمتها المخطوطة السينائية (01) ٪ يضع الكاتب قصة المرأة الزانية فى آخر إنجيل يوحنا وليس فى يوحنا ٧ : ٥٣ — ٨ : ١١ ، ويعلن أن كثيرين من الآباء أمثال كريسستم وكيرلس الإسكندرى لم يعلقوا عليها . ثم يضع نهاية إنجيل مرقس ( مرقس ١٦ : ٩ — ٢٠ ) فى شكل ملحق فقط ويضيف بأن إريناوس يقتبس عدد ١٩ كأنه موجود فى إنجيل مرقس .

١٠ — المخطوطة ٢٠٥٣ :

وهى تحتوى على الرؤيا مع تفسير أويكومنيوس عليه ، يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث عشر وهى مع المخطوطة الإسكندرية والأفرايمية ومخطوطة ٢٣٤٤ تعطى أنقى نص لسفر الرؤيا . يفوق كل النصوص الأخرى حتى نص المخطوطة السينائية (01) .

هذه هى أهم الأسر والمخطوطات المكتوبة بالخط الصغير المتصل التى تشهد لنص العهد الجديد .

## ٢ — اقتباسات الآباء والقراءات

### ١ — القراءات الكنيسة Lectionaries

اقتبس المسيحيون الأوائل طريقة العبادة عن المجمع اليهودى وخاصة القراءات الكتابية . ولقد كان اليهود يقرأون أجزاء من موسى والأنبياء والمزامير مرتبة ترتيباً خاصاً فى كل يوم سبت . وهكذا فعلت الكنيسة الأولى إذ قسمت السنة على حسب الفصول والمواسم ابتداء من عيد القيامة ، ثم رتبت القراءات بحسب تلك المناسبات ، وكانت القراءات من الأناجيل وسفر الأعمال ثم الرسائل البولسية والرسائل الجامعة وأخيراً من سفر الرؤيا . ولقد أطلق

على هذه القراءات التي جمعت معاً في مخطوطة واحدة اسم السنكسار Synaxaria

ولكن هذه القراءات الكنسية لم يلق أحد ، بالا إليها نظراً لعدم دقتها في إيراد المناسبة التي قيلت فيها القراءات . فقد تفتتح القراءة بالقول « أجدى المناسبات » أو « قال الرب » وقد يعدل واضعوها في بعض النصوص الكتابية حتى تلائم المناسبة التي تقرأ فيها .

ولكن النظرة الحديثة إليها اختلفت عن سابقتها ، وبدأ العلماء ينتبهون إلى هذه القراءات الكنسية كمصدر عظيم من مصادر النص الكتابي للعهد الجديد ، ولقد اعتقد كولول ، Prologomona Riddle Colwoll (to the study of the loctiomry text of gospel أنهـا نصوص محافظة لا يتجزأ الكتاب على تغيير الكلمات أو النصوص . وعندما اقتبسها مقتبسوها فإنهم فعلوا ذلك من أقدم النسخ ، فالنص فيها يرجع إلى مصادر قديمة جداً .

## ٢ ــ اقتباسات الآباء

هذا هو المصدر الثالث الرئيسي لتحقيق النص الكتابي للعهد الجديد . واقتباسات الآباء حقل متسع للدرس ، إلا أن هذا الكتاب لا يستطيع أن يخوض في هذه الدراسة المتسعة .

وأهم الآباء الذين اقتبسوا من العهد الجديد هم :

**الآباء اليونانيون :**

مارسيون ( ١٦٥ م ) ، يوستينوس الشهيد ( ١٠٠ ــ ١٩٥ م ) تاتيان ( ولد ١٢٠ م ) وهو صاحب أول « اتفاق البشيرين » واسمه الدياتسترون

وهى كلمة يونانية مركبة معناها « خلال الأربعة » أى الأربعة أناجيل ، وقد مزج الأناجيل الأربعة فجعلها إنجيلا واحداً . وأكليمندس الإسكندرى ( ١٥٥-٢١٥م ) وأوريجانوس الإسكندرى ( ١٨٥ - ٢٣٥م ) واثناسيوس الإسكندرى ( ٢٩٣ - ٢٧٣ م ) وباسيليوس قيصرية ( ٣٢٩ - ٣٧٩م ) وغيرهم .

**الآباء اللاتين :**

ومنهم ترتوليانوس القرطاجنى ( حوالى ١٥٠ - ٢٢٢ م ) كبريانوس القرطاجنى ( حوالى ٢٠٠ - ٢٥٨ م ) وإيرينتيموس الرومى - الفلسطينى ( ٣٤٠ - ٤٢٠ م ) وأغسطينوس من هيبو ( ٣٥٤ - ٤٣٠ م ) وغيرهم .

**الآباء السريان :**

ولم يكن منهم الكثير ممن اشتهروا من الآباء ، ومن رجالاتهم أفراثيس رئيس دير وكتب عدة مواعظ ( ٣٣٦ - ٣٤٥ م ) وأفرايم سيروس ( توفى ٣٣٣ م ) .

ولتقييم دور اقتباسات الآباء فى تحقيق نص العهد الجديد يحسن أن تذكر أوجه القوة ثم النقص الذى فيها .

**نواحى القوة :**

١ - إنها تساعد على معرفة الأمكنة التى نشأت فيها النصوص المختلفة . إن المخطوطات اليونانية مع أهميتها الكبرى فى تحقيق النص إلا إن العلماء لا يستطيعون الجزم أين ومتى كتبت ، ولكن الآباء الذين اقتبسوا منها نعرف أين ولدوا وعاشوا وماتوا . ولهذا فعندما يعرف العلماء النص الذى استخدموه فى كتاباتهم يمكنهم تحديد مكان ذلك النص ، مثلا : عندما كتب كبريانس

القرطاجنى سنة ٢٥٠ خطاباته كانت اقتباساته تمثل نصاً يتفق مع نص المخطوطة اللاتينية « K » التى كتبت فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى ، وهذا جعل العلماء يعتقدون أن هذه الترجمة هى سليلة ترجمة أخرى سبقتها . وفى مرات أخرى يقتبس أحد الكتاب جزء من أحد الأسفار فى قراءتين مختلفتين تمثلان نصين مختلفين مما يساعد العلماء على معرفة مكان وعمر النصوص المختلفة.

٢ — من الاقتباسات المختلفة يستطيع العلماء تقرير ما إذا كان بعض الآباء قد استخدموا الأجزاء المختلف عليها فى وقتهم مثل خاتمة إنجيل مرقس ( مرقس ١٦ : ٩ — ٢٠ ) وقصة المرأة الزانية ( يوحنا ٧ : ٥٣ — ٨ : ١١ ) . وبهذه الطريقة يمكن معرفة الوقت الذى بدأ فى ذكر هذه الأجزاء والمكان الذى ظهرت فيه .

نواحى النقص :

١ — كثيراً ما كان الآباء يذكرون الأجزاء التى يقتبسونها من ذاكرتهم مباشرة دون الرجوع إلى المخطوطة إما لأنهم كانوا لا يملكونها أو لأن استخراج النص كان من ضمن الأعمال الشاقة . وكانوا أحياناً يقتبسون نفس العدد بطرق مختلفة فى كتاباتهم .

٢ — والأمر الثانى هو أن المخطوطات الأصلية التى خرجت من يد الكتاب أنفسهم ليست موجودة ولا يمكن التأكد الكامل من أن الأجزاء التى اقتبسوها من الكتاب المقدس لم يجر عليها أى تصحيح أو تغيير خلال الأجيال التى كانت تنسخ منها باليد . ومع ذلك فإن الدور الذى يلعبه هذا المصدر الثالث لتحقيق النص الكتابى ليس دوراً ثانوياً بل له الأهمية الكبرى . إن الكمية التى اقتبسها الآباء كمية ضخمة حتى قيل إنه لو ضاعت كل مصادر العهد الجديد الأخرى لأمكن استرجاع كل العهد الجديد من هذه الاقتباسات.

يوجد من هذه القراءات حوالى ١٦٠٠ قراءة مكتوبة بالخط الكبير المنفصل ولكن مع أهميتها وكثرتها هذه فإن الدراسات فيها لم تأخذ النصيب المفروض أن يكون لها .

## ٣ ـ الترجمات الأساسية للعهد الجديد

المصدر الثالث المهم لنص العهد الجديد بعد المخطوطات اليونانية هو الترجمات التي ظهرت فى القرون المسيحية الأولى ، ولعل أهمية هذه الترجمات ترجع أولا وقبل كل شئ إلى قدمها ، فقد ظهرت الترجمتان السريانية واللاتينية للعهد الجديد حوالى سنة ١٥٠ م أى قبل ظهور النسخة الفاتيكانية بحوالى ٢٠٠ سنة أما الترجمة القبطية فقد ظهرت حوالى سنة ٢٠٠ م أى قبل كتابة هذه النسخة المشار إليها بحوالى ١٥٠ سنة كاملة .

ومع ذلك فلا يمكن أن تصل شهادة هذه الترجمات مهما كانت قيمتها وقدمها الزمنى إلى مستوى شهادة المخطوطات اليونانية ، فهناك مجموعة من النقصات التى شابتها ، أهمها عجز المترجمين فى التعمق فى فهم المعنى اليونانى وعدم تمكنهم الكامل من القواعد اللغوية اليونانية (Motzger, T.N.T. pp. 67-60) ثم عجز اللغات نفسها التى ترجم إليها العهد الجديد عن التعبير الكامل عن المعنى الموجود فى اليونانى ، وذلك لاختلاف تراكيب اللغات بعضها عن البعض . ثم كثرة المترجمين وعدم اتفاقهم فى تفسير وفهم بعض التعبيرات اليونانية . . كل هذه وغيرها جعلت هذا المصدر فى الدرجة الثانية بعد المخطوطات اليونانية الموثوق بها .

ولعل أهم الترجمات القديمة الموثوق بها هى الترجمات : السريانية ، اللاتينية ثم القبطية .

## ( أ ) الترجمة السريانية :

دخلت الديانة المسيحية أنطاكية مبكراً جداً ( أعمال ١١ : ٩ ) وكانت أنطاكية إحدى عواصم العالم الروماني الكبرى ، تزاحم فى ذلك الإسكندرية وأفسس . ومن هذه المدينة الكبيرة خرج الإنجيل إلى سوريا وما بين النهرين وغيرها حيث كانت السريانية هى اللغة السائدة .

ولهذا اضطر المبشرون والمعلمون إلى ترجمة الإنجيل إليها وظهرت منها خمس ترجمات هى :

### ١ ـ الترجمة السريانية القديمة :

لم يعرف العالم شيئاً عن هذه الترجمة سوى سنة ١٨٤٢ م حينما اكتشف العلماء مجموعة من الوثائق والمخطوطات فى مصر ، وبعد الفحص الدقيق وجد بينها ترجمة سريانية قديمة جداً للعهد الجديد . ويتضمن هذه الترجمة السريانية مخطوطتان :

الأولى : وهى التى تسمى .Syr C ووضع الحرف C نسبة إلى W. Curoton الذى نشرها فى سنة ١٨٥٨ وهى مكتوبة بخط جميل .

الثانية : واسمها .Syr S والحرف s نسبة إلى سيناء Sinai حيث وجدتها سيدتان سنة ١٨٩٢ . هاتان المخطوطتان السوريتان تحتويان على الأناجيل الأربعة فقط ؛ ويعود تاريخ كتابتهما إلى القرن الرابع والخامس ، ولكنهما تمثلان نصاً مبكراً يرجع إلى أواخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث مع أن .Syr S أقدم قليلا من .Syr C . وعلى العموم فهما تمثلان النص الغربى .

ولكن الترجمة السريانية القديمة لرسائل بولس والأعمال فلم توجد للآن

فى مخطوطات ومع ذلك فقد تمكن العلماء من معرفتها من الاقتباسات الكثيرة منها التى ملأت كتب الآباء .

**٢ – الترجمة السريانية البشيتا Peshitta, Version :**

وتتميز بالشعار Syr P . اعتبرت الترجمة الرسمية للكنيسة السريانية سواء الشرقية أو الغربية ، وتحتوى على اثنين وعشرين كتاباً فقط من العهد الجديد لأن ٢ بطرس ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا والرؤيا لم تترجم ، ويظن كثير من العلماء أنها ترجمت لكى تصحح الترجمات السريانية القديمة ولكنها هى بدورها نقحت على يدى ربولا أسقف إدسا Edessa . يوجد من هذه الترجمة حوالى ٣٥٠ ، مخطوطة معظمها يرجع إلى القرنين الخامس والسادس الميلادى . ويعتبر نصها من أعقد نصوص الترجمات . فى الأناجيل تتشابه مع النص البيزنطى ، أما فى سفر الأعمال فهو أقرب إلى النص الغربى .

**٣ – الترجمة الفيلوكسينية والهرقلينة :**

**Syr ph, Syr h Philoxinian Harclean**

اختلف العلماء كثيراً على الصلة بين هاتين النسختين ، هل هما نسخة واحدة وكل ما فى الأمر أن النسخة الثانية الهرقلينة تنقيح طفيف للأولى ؟ أم أنها ليست تنقيحاً بسيطاً ولكنها إعادة ترجمة بطريقة جعلتها تختلف تماماً عنها . فتعتبران نسختين مستقلتين ؟ قيل إن النسخة الأولى – الفيلوكسينية – عملها بوليكاربوس سنة ٥٠٨ م للأسقف « فيلوكسينوس » أسقف « مابوق » وهى عبارة عن تنقيح للبشيتا ، والغريب أنه لم يظهر فى هذه النسخة سوى الأسفار الغير موجودة فى البشيتا وهى ٢ بط ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا ، الرؤيا .

أما النسخة الهرقلينة فقد كتبت وفيها إضافات على الحاشية ، وهذه

الإضافات هى الشاهد المهم للنص الغربى الذى لايتفوق عليها فى ذلك سوى المخطوطة البيزية .

### ٤ – الترجمة السورية الفلسطينية :

هذه الترجمة جاءت فى اللغة السريانية الفلسطينية أى الأرامية . ولا توجد لها مخطوطة مستقلة بها ؛ بل انتقلت فى ثلاثة قراءات كنسية يرجع تاريخها إلى القرن الحادى أو الثانى عشر إلى جانب بعض القصاصات التى تحوى بعض أجزاء من الأناجيل وسفر الأعمال ، ويرجع تاريخها – حسب رأى كثير من العلماء – إلى القرن الخامس حيث ترجمت من نسخة يونانية ذات نص قيصرى . وفى هذه النسخة توجد قراءة غريبة متى ٢٧ : ١٧ «يسوع باراباس»

### (ب) الترجمات اللاتينية

فى ابتداء انتشار المسيحية لم تكن هناك حاجة ماسة إلى الترجمة اللاتينية ، إذ كانت اللغة اليونانية هى اللغة السائدة بين متعلمى القسم الشمالى من منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، لهذا لم يكن بولس ولا من تبعوه فى القرن الأول والثانى فى حاجة إلى الكتابة باللغة اللاتينية . بل كتبوا كتبهم ورسائلهم باللغة اليونانية . ولكن المسيحية لم تقف إلى حد الطبقات المثقفة المنحصرة فى العواصم الكبرى ، بل تعدتها إلى طبقات الشعوب الفقيرة فى كافة أنحاء الامبراطورية حيث كانت اللغة اللاتينية هى اللغة الوحيدة المعروفة لديهم ، ولهذا دعت الضرورة إلى ترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة اللاتينية . وكان هذا الأمر واضحاً جداً فى منطقة شمال أفريقيا حيث كانت اللغة اللاتينية هى اللغة الرسمية الحكومية ولغة التخاطب اليومية . وقد اختلف العلماء فيما بينهم على تحديد زمن الترجمات اللاتينية ، ولكن معظمهم الآن يعتقد أن أول ترجمة

لاتينية ظهرت كانت فى شمال أفريقيا فى الربع الأخير من القرن الثانى ، وكانت للأناجيل فقط ثم ظهرت بعد ذلك ترجمات أخرى فى إيطاليا وغالة وغيرهما .

تنقسم الترجمات اللاتينية عموماً إلى مجموعتين : مجموعة الترجمات اللاتينية القديمة ثم الفولجاتا .

### ١ ـ الترجمات اللاتينية القديمة

ظهرت ترجمات لاتينية متعددة فى القرن الثالث الميلادى فى كل من شمال أفريقيا وأوربا ، وقد كان الاختلاف بين هذه الترجمات كثيراً ومتعدداً حتى أن جيروم قال إن هناك اختلافات فى الترجمات بقدر ما هناك من مخطوطات ، أى أن كل مخطوطة تختلف عن الأخرى فى الترجمة . ولم يتبق كتاب واحد لاتينى يحتوى على كل أسفار الكتاب المقدس ، بل هناك عدد من المخطوطات تحتوى على أجزاء مختلفة ونص هذه كلها نص غربى . وتنقسم هذه الترجمة أو ( الترجمات ) القديمة إلى مجموعتين المجموعة الإفريقية والمجموعة الأوروبية .

**( ا ) المجموعة الإفريقية :**

كان ترتوليانوس يقتبس من ترجمة لاتينية إفريقية ولا بد أن كبريانوس كان يقتنى نسخة لاتينية للعهد الجديد . ولكن المخطوطات اللاتينية الإفريقية القديمة الباقية هى :

١ ـ المخطوطة اللاتينية بلاتينوس Palatinus ورمزها "S" وهى ترجمة عملت فى القرن الخامس تحتوى الآن على بعض أجزاء من الأناجيل الأربعة ونصها إفريقى الذى حول إلى الأوربية .

٢ – المخطوطة اللاتينية فلورى Floury ورمزها "H" وهى مخطوطة محيت كتابتها الأصلية وكتب عليها ثانية ، وبقى منها بعض النتف من الأعمال والرسائل الجامعة وسفر الرؤيا ويوجد بها أخطاء كتابية كثيرة . عملت فى القرن السادس الميلادى .

٣ – المخطوطة اللاتينية بوبيانسيس Bobbiensis ورمزها "k" وهى أشهرها جميعاً ولا تحتوى إلا على نصف متى ومرقس . كتبت فى سنة ٤٠٠ م ميلادية ونصها غربى واسكندرى وهى تحتوى على نهاية إنجيل مرقس .

(ب) المجموعة الأوربية :

لم يتفق العلماء إلى الآن على رأى بخصوص صلة هذه الترجمة ، هل هى ترجمة متفرعة من الترجمة الإفريقية أم هى ترجمة منفصلة مستقلة عنها ؟ لكن الأمر المهم أن هذه الترجمة كانت معروفة فى القرن الثالث الميلادى إذ أن إيرونيموس ، استخدمها فى كتاباته .

وأهم ما فى هذه المجموعة المخطوطات التالية :

١ – المخطوطة اللاتينية فرسللى Veronensisورمزها « A » وهى تلى المخطوطة "k" الإفريقية فى الأهمية ، فهى تحوى الأناجيل فقط ، ويقال إن القديس بوسابيوس أسقف فرسللى الذى استشهد سنة ٣٧٠ م هو الذى كتبها .

٢ – المخطوطة اللاتينية فيرونسز Veronen ورمزها "B" وهى مخطوطة فاخرة مكتوبة بالخط الفضى وأحياناً الذهبى وتحتوى على كل الأناجيل تقريباً بالترتيب متى ، يوحنا ، لوقا ، مرقس . كتبت فى القرن الخامس ونصها يشابه الفولجاتا .

٣ ـ الجانب اللاتيني من المخطوطة "D" أو بيزا ، وقد ترجمت في القرن الخامس أو السادس الميلادي ، ومع أن بعض التصحيحات قد جرت فيها نسبة لوجود النص اليوناني على الصفحة المقابلة ، إلا أن نصها لاتيني قديم قد تتفق كثيراً مع "K" الإفريقية ، "A" الأوربية وهي تمثل نص الربع الأخير من القرن الثالث .

٤ ـ المخطوطة اللاتينية جيجاس Gigas بمعنى عملاق ورمزها Gig وهذه المخطوطة تعتبر أضخم مخطوطة في العالم وقد كتبت في القرن الثالث عشر في دير بيوهميا ولكن الجيش السويسري أحضرها إلى سويسرا ووضعت في المكتبة الملكية باستوكهولم . وهي تحتوي على كل الكتاب المقدس في اللغة اللاتينية وكتابات يوسيفوس ، ودائرة معارف عبارة عن عشرين كتاباً وكتب أخرى .

وقد يطلق عليها « مخطوطة الشيطان » . فقد قيل إن أحد الرهبان أنهاها في ليلة واحدة بمساعدة الشيطان . وترجع أهمية هذه المخطوطة إلى أن سفر الأعمال والرؤيا يحتويان على نص لاتيني قديم يرجع إلى منتصف القرن الرابع الميلادي .

### ٢ ـ مجموعة الفولجاتا

عندما وصلت الاختلافات بين الترجمات اللاتينية حداً كبيراً ومزعجاً كلف البابا داماسوس سنة ٣٨٢ العالم الكتابي الفذ سفرونيوس يوسابيوس ايرينموس ، المعروف بالقديس جيروم أن يقوم بعمل تنقيح للترجمة اللاتينية للكتاب المقدس . وقد قام جيروم بعمل هذا التنقيح للأناجيل الأربعة في مدة سنة كاملة ، ويلوح أنه كان محافظاً في تنقيحه ، مع أنه كان يقيس الترجمة اللاتينية على أصل يوناني نصه اسكندري . أما بقية أسفار الكتاب المقدس

فلا يعرف بالضبط من هو المسئول عنها : هل هو جيروم أم أشخاص آخرون ، فهناك بعض الاختلافات فى طريقة التنقيح بين الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد .

ولكن بمرور الوقت بدأت الاختلافات تظهر بين النسخ العديدةللفولجاتا ، وذلك يرجع إلى إهمال الكتبة ، وإلى التعمد فى تغيير الترجمة لتطابق نصاً يونانياً يعرفه من يكتب النسخة . وعندما كثرت الاختلافات ولم يستطع المسئولون السكوت عنها ، حاول كثير من العلماء أن يوجد نصاً موحداً لهذه الترجمة ، ولكن المجهود لم يسفر إلا على تباعد أكثر عن الأصل اللاتيني ولهذا السبب فقد اختلفت الثمانية آلاف نسخة الباقية للفولجاتا الآن اختلافات بينة فى الألفاظ وأنواع النص . وأهم هذه النسخ .

١ ــ نسخة الفولجاتا إماتينس A Amiatinus ويعتبرها كثير من العلماء أحسن نسخة للفولجاتا باقية للآن، وهى تحتوى على الكتاب المقدس كله كتبت وأهديت للبابا جريجورى سنة ٧١٦ م .

٢ ــ نسخة الفولجاتا كافنسيس C Cavensis وهى إحدى النسخ الأسبانية كتبت فى القرن التاسع وتحتوى على كل الكتاب المقدس .

٣ ــ نسخة الفولجاتا دوتنسيس D Dutinensis وهى إحدى نسخ المتحف الإيرلندى وتحتوى على العهد الجديد ورسالة بولس إلى لاودوكية (أبو كريفا) وتكشف هذه النسخة أن أحداً من المصححين قد قارنها بنسخة يونانية . وهكذا توجد نسخ أخرى كثيرة للفولجاتا ، ويلاحظ أن الحرف الرمزى لكل نسخة هو الحرف الأول من اسمها .

هذه هى الترجمات اللاتينية للعهد الجديد .

## ٣ ـ الترجمات القبطية

لم تكن الكتب المقدسة جديدة على مصر ففيها ترجمت السبعينية وخرج منها فيلو الفيلسوف مؤسس المدرسة التفسيرية الرمزية ، ثم دخلها تلاميذ يوحنا المعمدان ومنهم أبولس الإسكندرى ( أعمال ١٨ : ٢٤ و ٢٥ ) وإلى جانب ذلك كانت اللغة اليونانية لغة منتشرة فى الوجه البحرى يعرفها كل السكان تقريباً .

أما اللغة القبطية فهى آخر شكل للغة المصرية القديمة ، وقد كانت تكتب بالأحرف الهيروغليفية ثم الديموطيقية ، وبعد أن دخلت المسيحية مصر تغيرت الأحرف إلى الأحرف اليونانية لكن زيد عليها سبعة حروف أخذت من اللغة الديموطيقية .

كانت اللغة القبطية لهجات متشعبة وكان أهمها اللهجة البحيرية ثم اللهجة الصعيدية ثم اللهجات الوسطى وهى الفيومية ثم الأخميمية . وقد ترجمت الكتب المقدسة إلى هذه اللهجات التى كانت تختلف فى النطق وبعض الألفاظ وبعض القواعد اللغوية . وأهم الترجمات هى :

**١ ــ الترجمة الصعيدية :**

ورمزها S بدئ فى الترجمة إلى اللهجة الصعيدية فى أوائل القرن الثالث ثم ترجمت معظم كتب العهد الجديد فى القرن الرابع . ويلوح أن هناك مترجمين عديدين لهذه الترجمة نسبة للاختلافات النصية المنتشرة فى العهد الجديد ، فالأناجيل تميل إلى النص الإسكندرى مع أن فيها بعض القراءات الغربية ، أما بقية الكتب فهى تتفق مع النص الإسكندرى مثل B .

وتوجد من هذه الترجمة نسخ كثيرة تحتوى على متى ومرقس ويوحنا كاملة

أما لوقا فقد فقد معظمه ، وتوجد أيضاً رسائل بولس الثلاث عشرة ورسالة العبرانيين ورسالتا بطرس وثلاث رسائل يوحنا : وغير ذلك فهناك قصاصات بسيطة .

٢ ـ الترجمة البحيرية :

ورمزها B وهى متأخرة عن الترجمة الصعيدية وهى الترجمة الرسمية للكنيسة القبطية اليوم ، ويوجد منها حوالى مائة مخطوطة . أقدم مخطوطة باقية كاملة ترجع إلى القرن ١١٧٤م. يلوح أن هذه الترجمة قد عملت فى النصف الأول من القرن الثالث ونصها على الإجمال اسكندرى به القليل جداً من القراءات الغربية ، وهى تعتبر أفضل الترجمات المصرية .

٣ ـ الترجمات الوسطى :

وجدت بين المخطوطات القبطية نسخة من ورق البردى تحتوى على يوحنا ٦ : ١١ ـ ١٥ : ١١ ويرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن الرابع ، هذه النسخة مكتوبة باللغة الفيومية وتتفق مع النص الصعيدى أكثر من اتفاقها مع النص البحيرى .

ثم هناك الترجمة الأخميمية : وهى نسخة تحتوى على إنجيل يوحنا وهى ترجع إلى الربع الثالث من القرن الرابع . وهى تتفق تماماً مع الترجمة الصعيدية بنصها الإسكندرى .

هذه الترجمات الثلاث : السريانية واللاتينية والقبطية هى أهم الترجمات للعهد الجديد . ولكن هذا لا يعنى أنه لا توجد ترجمات أخرى إلى جانبها ، هناك الترجمات الحبشية والجيروجيرية والأرمينية ، ولكنها لا ترتقى فى أهميتها إلى الترجمات الثلاث السابقة التى يعتمد عليها كثيراً فى معرفة النص الأصلى للعهد الجديد .

## ٣ ـ قانونية أسفار العهد الجديد

عندما يقرأ دارس العهد الجديد عبارة لوقا البشير ١ : ١ أن هناك مؤلفات كثيرة كتبت عن حياة المسيح ، وعندما يسمع شهادة التاريخ أن هناك رسائل وأناجيل أخرى غير التي بيدنا ظهرت فى القرنين الأولين للمسيحية ، يتساءل إذاً لماذا هذه الكتب المقدسة التي بين أيدينا بالذات ، لماذالم توضع كتب أخرى معها لتحظى بالتقديس الذى تحظى به السبعة وعشرون كتاباً ؟ هل هناك قانون أو معيار خاص أفرزت بواسطته هذه الكتب عن غيرها ، ووضعت معاً لتكون الكتاب المقدس المسيحى ؟ وهل اتفقت كل الكنيسة أو الكنائس المسيحية على هذا المعيار الخاص ومتى وضعت هذه الكتب معاً ؟ وهل اختلفت نظرة الكنائس المسيحية نحو الكتب ؟

هذه الأسئلة وغيرها تكون فى مجموعها دراسة فى غاية الأهمية للكنيسة المسيحية ، هذه الدراسة هى دراسة قانونية أسفار العهد الجديد وتاريخها .

**معنى القانونية :**

الكلمة قانونية تجئ فى الأصل من الكلمة اليونانية « كانون » Cannon وهى العصا المستقيم « كالمسطرة مثلا » التى تستخدم فى قياس استقامة شئ ما أو لحفظه مستقيماً وقد كان البناؤون يستعملونها كثيراً . لكن الكلمة استخدمت لتعبر عن معانى أخرى هى :

١ ـ المعنى الأول معنى مجازى ، أى أنه القانون أو القاعدة التى تقاس عليها الأمور وأهم مثل لذلك هو القاعدة اللغوية فى النحو . ولقد اعتبر الأدباء الإسكندريون علماء اليونان على أنهم قواعد ، بمعنى أن كتاباتهم هى الكتابات الكاملة الصحيحة التى تقاس عليها الكتابات الأخرى .

وبهذا المعنى المجازى انتقلت إلى الكنيسة فيذكر الرسول بولس فى ٢ كورنثوس ١٠ : ١٣ و ١٥ و ١٦ قانوناً يقيس به عمله فى الكورنثيون . ثم فى غلاطية ٦ : ١٦ يقول «كل من يسلك بهذا القانون عليهم سلام ...» هو القانون الذى يجب على المسيحيين أن يسلكوا بموجبه . ويذكر أكليمندس الإسكندرى أن التوافق بين العهدين الجديد والقديم هو القانون الكنسى الصحيح . ثم تطور الحال فأصبح القانون هو قواعد العقيدة أو السلوك الذى يحدد كل الأشخاص الذين ينتمون إلى الكنيسة ، وهذه القواعد إما أن يضعها قادة الكنيسة أو تؤخذ من الكتاب المقدس .

٢ ــ ثم تغير المعنى فأضحى القانون هو الشئ الذى يقاس ، وبهذا المعنى أطلق على الكتب المقدسة ، فيذكر أوريجانوس أن الأسفار هى القانون ، لأنها قبلت لدى الكنيسة ، وفى رسالته «السارة» يقول أثناسيوس عن الكتب المقدسة «إنها معتبرة قانونية» . وفى مادة ٥٦ من قانون مجمع لاودكية (٣٦٣ م) ، تطلق كلمة قانون على «الأسفار المقبولة المقدسة» .

بهذه الكيفية تحولت الكلمة عن معناها الأصلى لتعنى الكتب المقدسة ، فالكتاب القانونى هو الكتاب الذى اعترفت به الكنيسة ووضعته من ضمن كتبها المقدسة التى لها السلطان المطلق فى العقائد والسلوك .

**تاريخ القانونية :**

لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم فى وقت واحد ، ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة ، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار ، واستمرت فى ذلك حقبة طويلة . ولهذا فيلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد .

من المعلوم جيداً أنه لم تكن فى تلك الفترة كتب مقدسة تسمى « العهد الجديد » ، ولكن الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها فى كل شئ من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات ، وقد كان لها فى هذا المجال ثلاثة مصادر :

**أولا : العهد القديم :**

سبق أن عرفنا أن الكنيسة اتخذت من العهد القديم مصدراً للتعبير عن خبرتها وشهادتها ، ولقد اتخذته أيضاً مصدراً للسلطة فى أمر السلوك والعقائد مقتفية فى ذلك أثر سيدها الذى كان يكن له كل تقديس وإجلال . ولكن يسوع كان يعرف عمق دعوته وأن له سلطاناً يستطيع به أن يميز فى العهد القديم بين كلمة الله الحقيقية الحية الباقية وبين الإجراءات المؤقتة الغير باقية : فى مسألة الطلاق مثلا ( مرقس ١٠ : ٦ – ١٢ ) أنظر كذلك سلطانه فى موعظته على الجبل عندما يقول « سمعتم أنه قيل للقدماء . . أما أنا فأقول لكم » ( متى ٥ : ٢١ و ٢٧ . . إلخ ) .

أما الكنيسة الأولى فقد اتخذته أيضاً كتابها المقدس وكانت تبرهن منه صدق رسالة المسيح ، كما يظهر فى الأناجيل والرسائل . . وكل الكتابات التى ظهرت ، ومع ذلك فقد تأكدت أيضاً أن العهد القديم لا يمكن أن يفسر ولا أن يكون له معنى إلا فى نور المسيح نفسه . فهو الذى أعطاه معناه وهو الذى تمم ما فيه ، فالمسيح هو إتمام العهد القديم . فالسلطة الأساسية إذن ليست فى الكتاب بل فى المسيح فهو السيد الحقيقى الذى قام من الأموات وصعد إلى السموات . ولهذا صارت لأعمال السيد ولحياته وأقواله السلطة الكاملة التامة ، ( ١ كو ٧ : ١٠ ، ٩ : ١٤ – أعمال ٢٠ : ٣٥ ) . ولهذا

السبب بدأوا يدونون كلمات يسوع وأعماله فى زمن مبكر لوقا ( ١ : ١ – ٤ ) فى عبادتهم الكنسية .

وبعد سلطان كلمات السيد وأعماله يجئ سلطان الرسل الذين دعاهم فقد أعطاهم موهبة الروح القدس للمناداة بالإنجيل وبناء الكنيسة( لو ٢٤ : ٤٩ ، أعمال ١ : ٤ – ٨ ) ومع أن بولس لم يدع أنه كان مع يسوع أو أنه عرفه حسب الجسد ، إلا أنه يصرح بأنه قد أخذ الإعلان منه مباشرة ( غلاطية ١ : ١٥ و ١٦ ، رومية ١١ : ٢٥ ، أفسس ٣ : ١٤ ) . ولقد تركزت كتاباتهم فى مواجهة مواقف واجهت الكنائس الأولى إلا أنهم كانوا يطبقون أقوال السيد وحياته على تلك المواقف . ولهذا كان لأقوالهم ولرسائلهم سلطان كبير فى الكنيسة الأولى .

وبهذا كان للكنيسة الأولى ثلاثة مصادر للسلطان والإعلان هى العهد القديم ، المسيح ، الرسل . ومع ذلك فقد كان السلطان الأعظم هو المسيح وبمعنى أوضح فقد كان للعهد القديم وتعليم الرسل سلطانهما نسبة لأن صلتهما به كانت وثيقة . وكان هذا الموقف نقطة البداية للوجود كتب قانونية أخرى إلى جانب كتب العهد القديم مثل الوثائق التى كانت تحمل كلمات المسيح وكتابات الرسل ، حتى أنه فى منتصف القرن الثانى اعتبرت رسائل الرسول بولس مساوية تماماً فى قداستها وسلطانها لكتب العهد القديم ( رسالة اكليمندس ١٤ : ٢ ) .

لكن العامل الحاسم الذى دفع الكنيسة نحو هذا الاتجاه هو عقيدتها الراسخة أن حقبة جديدة من عمل الروح القدس قد بدأت ، وروح الرب الذى أوحى إلى الأنبياء هو الذى يفعل ذلك الآن . لقد تمت نبوة يوئيل وسكب الله روحه على الكنيسة . روح النبوة ( أعمال ٢ : ١٦ – ١٩ ) وهكذا يذكر الرسول

بولس أنه وجميع الرسل قد صاروا خدام عهد جديد ، لا الحرف بل الروح (٢ كورنثوس ٣ : ٦ ) وعندما حل الروح فإنه وزع المواهب والوزنات لبناء الكنيسة ولعمل الخدمة (١ كورنثوس ١٢ : ٤ — ١١ ) .

هذه الجماعة التي يقودها الروح القدس لا بد وأن يكون كلامها وكتاباتها مقدسين .

**ثانياً — ١٠٠ — ١٧٠ م ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد :**

كانت أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس الرسول . فهي أول ما جمع من كل كتب العهد الجديد . ولقد كتب الرسول رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصة ومواقف محددة ، وكان عليه أن يكتب ليواجه تلك المواقف ولقد نجح في معالجتها ويقول جود سبيد Good Speed إن هذه الرسائل ، بعد أن عالجت المواقف التي كتب لأجلها فقدت أهميتها للجيل اللاحق . ويستنتج هذا الرأي من أن الأناجيل الثلاثة الأول : متى ومرقس ولوقا ثم سفر الأعمال نفسه لم تشر من قريب أو بعيد إلى هذه الرسائل مع أن سفر الأعمال تكلم كثيراً عن خدمة الرسول ، وكان كاتبه واحداً من رفقاء سفره الأوفياء . ولكن سرعان ما ظهرت مجموعة منها عرفت في كثير من أنحاء الامبراطورية الرومانية . وهناك شواهد على ذلك : .

١ — يستشهد الفرد وايكنهوزر A. Wikenhauser العالم الكاثوليكي بما جاء في ٢ بطرس ٣ : ١٥ على أن كاتب هذه الرسالة كان يعرف رسائل بولس . ومع أن الكاتب يفصح عن عدد هذه الرسائل إلا أنه بدون شك لا يعرف كل ما نعرفه الآن من كتب .

٢ – وقد اقتبس أغناطيوس الانطاكى الذى استشهد فيما بين ١٠٧–١١٧ م فى رسالته إلى أفسس ١٢ : ٢٠ من رسائل رومية ، كورنثوس الأولى ، أفسس ، غلاطية وربما كان يعرف كولوس ، تيموثاوس الأولى ، تسالونيكى الأولى .

٣ – وقبل استشهاد أغناطيوس كتب بوليكاربوس رسالة إلى كنيسة فيلبى يذكرهم فيها بأن بولس كتب لهم رسائل من قبل ، ولعله كان يقصد – إلى جانب رسالة بولس الخاصة لهم – رسالة تسالونيكى الثانية .

٤ – وقبل ذلك أشار أكليمندس فى رسالته إلى كورنثوس سنة ٩٥ إلى معرفته بعدد من رسائل بولس . وغالباً ما عرف هذا الرجل رسائل رومية ١ و٢ كورنثوس وغلاطية ، فيلبى ، كولوس ، ١ و ٢ تسالونيكى وفليمون .

ويعتقد جود سبيد أن جامع رسائل بولس هو أنسيموس العبد الذى صار أسقفاً لكنيسة أنطاكية ، وكتب لها مقدمة عامة هى عبارة عن رسالة أفسس التى نعرفها الآن ، فرسالة أفسس – فى رأيه ، ليست من كتابات بولس الرسول بل من كتابة شخص غيره . ويظن جود سبيد أيضاً أن أول دليل على هذا الرأى يوجد فى سفر الرؤيا ، فقد قلد يوحنا بولس فى كتاباته ، ومع أنه كان يكتب كتاباً رؤوياً إلا أنه كتب له مقدمة طويلة هى عبارة عن رسائل إلى السبع الكنائس ، كل كنيسة لها رسالة محددة لظروف محددة ، ولكنه بدأ هذه الرسائل السبع برسالة عامة إلى كل الكنائس كما هو الحال فى رسائل بولس ، وبعد ذلك كتب كتابه الرؤوى الكبير . هذه وغيرها سوف تدرس فى دراسة الأسفار كلا على حدة ليظهر مدى صحتها ومطابقتها للواقع .

أما المجموعة الثانية فهى مجموعة الأناجيل الأربعة . وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات الرسول بولس . ومع أن

تاريخ اعتبارها كتباً قانونية مقدسة متساوية فى ذلك مع كتب العهد القديم ، لا يزال مجهولا ، لكن الاقتباسات العديدة التى وجدت فى كتابات آباء الكنيسة الرسوليين وشهاداتهم تلقى بعض الضوء على هذه الحقيقة الجوهرية فى العصر المسيحى . ويلاحظ الدارس الأمور الآتية :

١ ــ أن الرسول بولس لم يشر فى كتاباته إلى أى من الأناجيل المكتوبة ، ولا إلى أى كتاب عن حياة المسيح أو أقواله ، ولكنه عندما كان يذكر ذلك يذكره على أنه تقليد شفوى أخذه من الذين كانوا مع المسيح ، وتحقق من ذلك بالنبوات الواردة فى العهد القديم ( ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ، ١٥ : ٣)

٢ ــ لكن يلوح أن انجيل مرقس كان قد ظهر وتداولته المجتمعات المسيحية فى زمن مبكر ، والدليل على ذلك هو أن متى ولوقا قد عرفاه معرفة تامة ، واستخدماه فى كتابة كتابيهما ، وكان متى أكثر الاثنين استخداماً له .

٣ ــ ويستدل من البرديه P 52 أن إنجيل يوحنا كان متداولا فى مصر فى الربع الثانى من القرن الثانى ، وهذا يدل على أنه كتب قبل ذلك بوقت كاف حتى أنه وصل إلى مصر من مقره الأصلى الذى يغلب ما يكون أفسس .

٤ ــ وفى سنة ١٩٣٥ نشر ت. س اسكيت T.C. Skeat ، هـ. ج بل H.J. Bell نتفاً من إنجيل أبو كريفى مجهول المؤلف لكنه كتب حوالى ١٥٠ م فى مصر . ويستدل العلماء منه أن كاتبه كان يعرف الأناجيل الأربعة المعروفة لنا الآن أى متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، ويلوح أنها كانت معاً .

٥ ــ ويؤخذ من كتابات بابياس أسقف هيرابوليس ( ماتسنة ١٣٠ م ) أنه عرف إنجيل متى ومرقس ويوحنا وهو أول شخص يذكر تاريخ كتابة

هذه الأناجيل ؛ ولكنه مع ذلك لم يكن يفضل هذه المستندات المكتوبة على التقليد الشفوى فكتب يقول « إذا تقابلت مع تلميذ أو شيخ إسأله عما كان يقوله الشيخ : ماذا قال بطرس واندراوس ، أو ما الذى قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو أى تلميذ آخر من تلاميذ الرب ، أو ما هى الأشياء التى سمعها من سمعان أو يوحنا الشيخ تلميذا الرب ، لأننى لا أعتقد أن ما أقرأه فى الكتب يفيدنى مثلما تفيدنى الشهادة الحية التى تخرج من فم الأحياء » .

٦ ــ لكن رسالة أكليمندس الثانية التى كتبت حوالى ١٥٠ م تقتبس من الأناجيل على أنها كتباً مقدسة . فبعد أن يقتبس الكاتب من إشعياء يتقدم ويقتبس من متى ويقول « وكتاب مقدس آخر يقول : ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » ( ٢ أكليمندس ٤ مع متى ٩ : ١٣ ) . وبهذا يعامل هذا الكاتب الأناجيل على قدم المساواة مع العهد القديم ، قابل ( رسالة برنابا ٤ : ١٤ ، ٢ أكليمندس ١٤ : ١ ) .

٧ ــ أما جاستين الشهيد الذى كان سامرياً يونانياً وتحول إلى المسيحية ودرس فى روما واستشهد حوالى ١٦٥ م فيؤخذ من كتاباته أنه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معاً ، مع أنه لم يكشف النقاب عن من جمعها ولا فى أى مكان جمعت . وهو يصفها عندما يذكرها فى دفاعه ضد الوثنيين بأنها « الذكريات » ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرسل « هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كل الأشياء التى تختص بيسوع المسيح المخلص ثم يقول مرة أخرى « الذكريات التى عملها الرسل التى تسمى الأناجيل » .

وهو بذلك يظهر أن هذه الكتب أى الأناجيل تعامل فقط على أنها المصدر الوحيد لمعرفة حياة المسيح وأعماله ، ولكنها اعتبرت كتباً مقدسة تقرأ فى الكنائس والعبادات تماماً كما كانوا يفعلون بالعهد القديم .

٨ — أما الشاهد الأخير فهو « الدياطسرن » الذى كتبه تاتيان ، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معاً فى إنجيل واحد . وقد أضاف تاتيان هذا ، بضعة كلمات للمسيح لا توجد فى هذه الأناجيل ، ولكنها أخذت من كتب أبو كريفية أخرى . وهو بذلك يشهد أن الأربعة الأناجيل وجدت معاً . ولكن إضافاته مجرد اقتباسات لا تدل على أنه كان يعتبر أن هناك كتباً أخرى تضارعها فى سلطاتها وقداستها .

* * *

وفى هذه الحقيقة لا يمكن أن ينسى المرء مارسيون وشهادته للكتب المقدسة . وقد اختلف المؤرخون عن أصل مارسيون هذا Marcion ، فقيل عنه إنه كان صانع مراكب فى بنطس ، وقيل إن أباه كان أسقفاً ولكنه حرم ابنه مارسيون هذا من الكنيسة لأنه سقط فى ذلة أخلاقية . وقيل عنه إنه كان وثنياً وصار مسيحياً فى رحلته إلى روما سنة ١٤٠ م ، وقيل إنه كان مسيحياً ثم نزح إلى روما ، وكان عضواً غيوراً سخياً فى كنيستها ، ولكنه فجأة وقع تحت تأثير رجل غنوسى اسمه كريدو :

وترجع شهرة مارسيون إلى عقيدته اللاهوتية وموقفه من الكتب المقدسة فقد كان يعتقد أن هناك إلهين إله العهد القديم البار العادل وإله العهد الجديد المحب الكريم : وظهر الإله القديم فى الناموس والأنبياء وظهر الجديد فى يسوع المسيح فجأة فى سنة ١٥ من حكم طيباريوس قيصر ( لوقا ٣ : ١ ) . وكان هذا الظهور شيئاً مفاجئاً لم يحدث فى التاريخ من قبل . ويقابل هذا المسيح الذى أظهر إله العهد الجديد مسيحاً آخر هو المسيح أو المسيا الذى كان ينتظره اليهود .

أما موقفه من الكتب المقدسة فكان موقفاً غريباً طردته الكنيسة لأجله ، فقد قال إنه لا داعى لوجود العهد القديم إذ أنه انتهى وقد عقد مارسيون

مقارنة بين العهدين حتى أنه قال إن إله العهد القديم . أى إله إسرائيل الخالق البار يهوة أقل مرتبة من الإله الصالح الذى أعلنه يسوع تحت « اسم الآب » ولقد كان أولئك الذين يعبدون إله العهد القديم هم الذين قتلوا يسوع الذى أعلن الآب الصالح. ولقد أخطأت الكنيسة إذ تبعت جماعة التهوديين ولكن بولس الرسول وقف ضدهم . هذه هى معتقدات مارسون وقد كان له أتباع كثيرون وبقيت هرطقته مدة طويلة . وبناء على اعتقاده جمع الكتب التى ظن أنها « الكتب القانونية : وهى إنجيل لوقا فقط زائداً عشرة رسائل لبولس ، وحتى ما وجده من رسائل بولس مشابها العهد القديم حذفه . وإنجيل لوقا نفسه حذف منه الأجزاء الأولى وبدأ من الأصحاح الثالث ( فيسوع لم يأت من نسل يهودى بل أنه ظهر فجأة فى السنة الخامسة عشر من حكم طبباريوس قيصر) ولكن الكنيسة حكمت عليه على أنه هرطوقى . ثم لا ننس أيضاً إيرنيوس Irenaeus الذى كان الحلقة التى تربط العصر الرسولى بالكنيسة الجامعة.وقد كتب قائمة بالكتب القانونية وهى ٤ أناجيل ؛ أعمال ، رومية ١ و ٢ كورنثوس ، غلاطية ، أفسس ، فيلبى كولوس ١ و ٢ تسالونيكى ١ و ٢ تيموثاوس ، تيطس ، ١ بطرس ، ١ يوحنا والرؤيا ـ ( ١٨٠ م ) .

**ثالثا : قائمة موراتورى : Muratotian Lid**

فى سنة ١٧٤٩ اكتشف أحد الأثريين Muratau بعض القصاصات التى وجد فيها قائمة بالكتب المقدسة فى العهد الجديد ، ويلوح أنها قائمة كتبت ضد مارسيون هذه القصاصات تجمع ٤ أناجيل ؛ سفر الأعمال ( واسمه أعمال كل الرسل ) ثم ٩ رسائل لبولس للكنائس وأربعة لأشخاص يهوذا رسالتان ليوحنا وسفر الرؤيا ورسالة لبطرس وراعى هرمس Shepherd of Hermas ( وقد قال إنه يستحسن أن يقرأ فى الكنائس ولكن لا يوضع فى مستوى الكتب الباقية ) .

وهنا وجب علينا أن نورد الشهادات الكنسية المختلفة على قانونية الكتب المقدسة كلها فى العهد الجديد .

١ – كما سبق وعرفنا أن هناك عشرين كتاباً من الـ ٢٧ كتاباً قبلتها الكنيسة بكل فروعها بدون أية مناقشة أو جدال وهى ٤ أناجيل ١٣ رسالة لبولس ، رسالة بطرس الأولى ، رسالة يوحنا الأولى ، سفر الأعمال . أما السبعة الباقية التى حدثت بخصوصها مناقشة هى العبرانيين ، يعقوب ، ٢ بطرس ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا . الرؤيا . وهى كما كان يطلق عليها الجزء الثالث من العهد الجديد إذا افترضنا أن الأناجيل هى الجزء الأول والأعمال والرسائل التى للرسول بولس هى الجزء الثانى :

٢ – أما عن رسالة العبرانيين فقد ترددت الكنيسة الغربية فى قبولها ، وكان الشك لا يحيط بقانونيتها بقدر ما كان يحيط باسم مؤلفها ، ولكن هذا لا يهم كثيراً . أما مستندات قانونيتها فهى أنها قبلت فى : مجمع قرطاجنة ٣٩٧ م ، مجمع لادوكية ٣٦ م ، البيشتة السريانية ، يوسابيوس ، كيرلس أسقف أورشليم ، أبيفانيس ، أوريجانوس ، اثناسيوس كريسستم ، أغسطينوس ، جيروم . . وهكذا . وهذه شهادة قوية جداً .

٣ – رسالة يعقوب وهى مقبولة فى قائمة موراتورى والمجامع والآباء الذين قبلوا العبرانيين ، أما التردد فى قبولها فكان مبنياً على أمرين : الأول أنه لا يعرف أى يعقوب يقصد بكاتبها.الثانى أنها تختلف عن رسائل بولس فى مسألة التبرير بالإيمان . وهذان سببان واهيان .

٤ – أما عن بطرس الثانية ويهوذا فلهما الشهادة التى ليعقوب ما عدا البيشتة وأن بطرس الثانية ليست موجودة فى قائمة موراتورى . وتردد الكنيسة

السريانية فى قبولها هو التشابه الذى يكاد يكون تاماً بينهما وقد ظنوا أن أحدهما اقتبست من الأخرى ولكن لم يعرف إيهما الأصل ولهذا أسقطوا الآيتين ، ولكن فى القرن الرابع قبلت الاثنان فى الكتب القانونية . ( رغم معارضة لوثر فى عهد الإصلاح ) .

٥ — يوحنا الثانية والثالثة : سبب التردد هو عدم الاقتباس منهما فى كتابات الآباء ولكن هذا راجع إلى قصرهما والشهادة لقانونيتهما واسعة وقوية.

٦ — سفر الرؤيا . وله من الشهادة ما يجعله من أول الكتب التى توضع فى قائمة الكتب القانونية ، إنما كان التردد فى قبوله فى الكنيسة الشرقية فقد ظن بعض آباء هذه الكنيسة أنه يناصر بدعة Chilias ، ولكن فى القرن الثالث تغلبت الكنيسة على هذه البدعة ورد لهذا الكتاب اعتباره .

من هذا نرى : أن سبعة كتب فقط كانت موضع تردد لأسباب عقائدية أو غيرها ولكن الآباء المدققين والمجامع المسكونية أمكنهما أن ترد للكتب اعتبارها ككتب مقدسة ، وأن هذه الكتب رغم أهمية اسم المؤلف لها إلا أن سلطتها استمدت ليس فقط من رسولية المؤلف بل من ذاتها وفاعليتها .

# الباب الثاني

# الأناجيل

الفصل الأول

# نظرة عامة إلى الأناجيل ومقارنتها

عرفنا مما سبق أن كل كتب العهد الجديد سواء أكانت رسائل أم أناجيل أم تاريخ أم رؤيا كتبت لمواقف محددة وخدمة للكنيسة . وعرفنا أنها كتبت ليس من وجهة نظر موضوعية خالصة بمعنى أن الذين كتبوها كان قصدهم الوصف والتفلسف ، ولكنها كتبت من خلال عين الإيمان أى أن الذين كتبوها كانوا شهوداً على ما حدث فى التاريخ كحادثة تاريخية ولكنها حادثة كان لها أكبر الأثر فى حياتهم فغيرت نظرتهم للأمور وقلبت حياتهم رأساً على عقب فهى كتب كتبت من إيمان لإيمان .

هذه هى النظرة العامة إلى العهد الجديد ولكن هذه النظرة مقدمة فقط لدراسة هذا الكتاب ، ومع أن الأناجيل لم تكن أول الكتب زمنياً إذ سبقتها مجموعة من الرسائل إلا أنها وضعت أولا فى الترتيب نظراً لأهميتها القصوى ، فهى تتركز حول حوادث حياة المخلص ، ثم هى تصف كيف كان أساس الكنيسة والعهد الجديد كله ، ولهذا السبب سوف نركز عليها فى بداية دراستنا لكتب العهد الجديد كتاباً كتاباً .

## ١ ــ ماهية الأناجيل

من الأسئلة البديهية التى تقابل الدارس سؤال عن نظرته إلى الأناجيل الأربعة : ماهيتها ولماذا سميت هكذا وأى نوع من الكتب هى ؟ وجواباً على هذا التساؤل ظهرت عدة نظريات أهمها النظريتان التاليتان :

الأولى : أن الأناجيل ، وخاصة إنجيل مرقس الذى كتب أولا ، كتبت لكى تسجل تاريخ حياة المسيح . ولقد اتخذت كتاب حياة المسيح فى القرن التاسع عشر هذا الأمر بجدية ، وبدأت الكتب الكثيرة تظهر محالة التوفيق بين الأناجيل ، وكتابة حياة مكتملة له مبنية على الإنجيل الثانى . ولكن هذه النظرية هجرت الآن لسببين هامين :

السبب الأول : هو أن أشياء كثيرة تحتاج إليها كتابة قصة الحياة ليست موجودة فى الأناجيل ، حتى مولده لا نجده إلا فى إنجيلين فقط ، أما مرقس الذى يعتمدون عليه كثيراً لا يبدأ إلا بظهور يوحنا المعمدان عندما كان يسوع فى سن الثلاثين ، ولا يذكر أى إنجيل أى حادثة عنه فى هذه السنين الطويلة سوى حادثة واحدة يذكرها إنجيل لوقا عنه عندما كان فى سن الثانية عشر (لوقا ٢ : ٤٢) أما صفاته الطبيعية والجسمانية وغير ذلك مما يلزم لكتابة تاريخ الحياة لا تظهر فى الأناجيل .

السبب الثانى : الذى جعل الناس تترك هذه النظرية هو أن كل إنجيل رتب المادة التى فيه بحسب خطة أو فكرة تختلف بعض الشىء عن الإنجيل الثانى كما سنرى فيما بعد ، مما يدل على أن الكتاب لم يقصدوا أن يكتبوا تاريخ حياة بل شيئاً آخر . لكن هذا لا يعنى أن الإنجيليين لم يعتنوا بالحقائق التاريخية ولم يهتموا بتحقيقها ، ويكفى أن تقرأ قول لوقا البشير فى مقدمة كتابه الأول « رأيت أنا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق » ( لوقا ١ : ٢ ) لنعرف مدى الدقة والأمانة التاريخية التى يتبعونها مع أنهم لم يقصدوا أولا وقبل كل شىء أن يكتبوا تاريخ حياة السيد .

أما النظرية الثانية : فهى نظرية الذكرى ، بمعنى أن هذه الأناجيل هى ذكريات عزيزة حفظها الذين كانوا مع المسيح وسلموها لغيرهم ، هذه

الذكريات ليست قصصاً للرواية فقط ولكنها لإظهار فكر يسوع وحياته كشخص عزيز عظيم : عاش بينهم ثم تركهم إلى السماء وسوف يأتى مرة أخرى . تماماً كما فعل بعض كتاب اليونانيين من نحو معلميهم . نعم إن الأناجيل ذكريات ، ولكنها لم تذكر لمثل هذا القصد ولكن الأمر أعمق. إن معرفة الغرض بين هذه الذكرى تتضح فى قول السيد عندما قام برسم العشاء الربانى « اصنعوا هذا لذكرى » ( لوقا ٢٢ : ١٩ ، ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ — ٢٦ ) . هذه الذكرى تشير إلى موقف اليهود عندما كانوا يعيدون عيد الفصح . فإنهم عندما كانوا يأكلون الفصح كانوا يذكرون الله والعمل العظيم الذى قام به لأجلهم ، إذ أنقذهم من أرض مصر من بيت العبودية ، وأجازاهم فى البحر الأحمر ، هذه الذكرى ليست لماض سحيق انتهى يعيدون فى ذكراه . ولكنه ماض حى باق فى حياتهم ، إنه ماض متجدد فى كل يوم ، فهو ذكرى عمل الإله الحى الذى أنقذهم وما زال لهم ومعهم فى عهد مقدس ، هذه هى الذكرى التى يطلبها السيد ، إنهم يذكرونه كفاد قام بالعمل العظيم ، لكن ليس الفادى الذى مات وانتهى ، ولكنه الفادى الباقى معهم الذى يحيا فيهم وبينهم ، إنها ذكرى حية متجددة لأن فاديهم حى ، فالماضى ليس ماضياً انتهى ولكنه ماض حى ، ماض حاضر دائماً معهم فى فاديهم . ويؤيد هذا القول ما يذكره الرسول « تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » فهذا الرب الذى مات هو حى ولم تنته حياته ، والأخبار بموته يعنى أن لهذا الموت عملا عظيماً فى حياة الناس .. إذ أنه مات من أجل خطايانا .

وعلى هذا الأساس فإن الأناجيل ليست تاريخاً وذكرى لوقائع حدثت وفسرت فقط ولكنها تاريخ حى ، تاريخ لا يمكن وصفه بكلمة أبلغ من كلمة « شهادة » . نعم إنه شهادة حى لشهود أمناء اختبروه .

## ٢ ــ صلة الأناجيل بعضها ببعض

فى دراستنا للأناجيل نجد أن هناك صلة عميقة واسعة بينها ، هذه الصلة يحكمها أمران: التشابه الكبير والتمايز الواضح بينها . فبينما نجدها كلها تتفق اتفاقاً يكاد يكون تاماً فى أمور كثيرة، نجدها مع ذلك تمايز بعضها عن البعض . يعرف ذلك كل من له دراية فيها مهما كانت بسيطة . هذان العنصران : التشابه والتمايز يتحكمان فى كلا الشكل والمضمون أى فى التعبير والمعبر عنه ، فى الكلمة والرسالة ، ومع أن الأمر سهل وبسيط فى إظهار هذه الحقيقة بالنسبة للشكل ، إلا أن كشف ذلك من حيث المضمون يعتبر أصعب بكثير ويحتاج إلى جهد دارس متعمق .

وفى الصفحات التالية سندرس تشابه الأناجيل وخاصة الثلاثة الأول منها . ثم تمايزها بعضها عن البعض من جهة الأسلوب أو الشكل ، وبعد ذلك سندرس المضمون فى جميعها بما فيه من هذين العنصرين ، وهذه الدراسة الأخيرة هى الدراسة الأهم ، واضعين نصب أعيننا أن هدف الدراسة جميعها ليس أولا وأساساً اكتشاف التشابه والتمايز ، ولكن الرسالة العميقة فى الأناجيل ، رسالة الحياة والإيمان ، أما هذه الدراسة فهى واسطة فقط لإعلان تلك الرسالة الضرورية لكل الناس فى كل العصور ، ولكن قبل ذلك لنرى الصلة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأول .

**صلة انجيل يوحنا بالأناجيل الثلاثة الأول :**

هل هناك صلة بين إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس مثلا ؟ بعد الدراسات الواسعة اقتنع العلماء أن كاتب إنجيل يوحنا قد عرف إنجيل مرقس واستخدم بعضاً من مادته . ولعله عرف لوقا أيضاً ، ولكن صلته بهذا الإنجيل لم تكن مثل صلته بإنجيل مرقس . أما عن إنجيل متى فلم يقم أى دليل على أن البشير

يوحنا عرفه . ومع ذلك فيمكننا أن نحدد صلة يوحنا بالأناجيل الثلاثة من خلال صلته بإنجيل مرقس، نظراً للصلة الوثيقة التي نجدها بينهما . هذه الصلة ليست بسيطة ولكنها مركبة وتأتي تحت رءوس مواضيع كثيرة نجملها فيما يأتي :

١ – صورة الاتفاق الواضح في الحوادث :

هناك اتفاق بين إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس في الحوادث التالية وترتيبها :

( أ ) عمل وشهادة يوحنا المعمدان

( مرقس ١ : ٤ – ٨ ، يوحنا ١ : ١٩ – ٣٦ )

(ب) ذهاب السيد من اليهودية إلى الجليل

( مرقس ١ : ١٤ و ١٥ ، يوحنا ٤ : ٣ )

(جـ) إطعام الخمسة آلاف في الجليل

( مرقس ٦ : ٣٤ – ٤٤ ، يوحنا ٦ : ١ – ١٣ )

( د ) المشي على البحيرة في الجليل

( مرقس ٦ : ٤٥ – ٥٢ ، يوحنا : ٦ : ١٦ – ٢١ )

( هـ ) اعتراف بطرس

( مرقس ٨ : ٢٩ ، يوحنا ٦ : ٦٨ و ٦٩ )

( و ) الذهاب إلى أورشليم سراً

( مرقس ٩ : ٣٠ و ٣١ ، ١٠ : ١ و ٣٢ و ٤٦ ، يوحنا ٧ : ١٠ – ١٤ )

( ز ) الدخول الانتصارى لأورشليم ودهنه بالطيب

( مرقس ١١ : ١ – ١٠ ، يوحنا ١٢ : ١٢ – ١٥ )

( ح ) العشاء الأخير والإعلان عن الذى سيسلمه

( مرقس ١٤ : ٤٣ – ٥٢ ، يوحنا ١٣ : ١ – ١٧ و ٢٦ )

( ط ) الآلام والقيامة

( مرقس ١٤ : ٥٣ – ١٦ : ٨ ، يوحنا ١٨ : ١٢ – ٢٠ : ٢٩ )

ولم يقتصر الاتفاق على ذكر هذه الحوادث وترتيبها ولكنه يصل إلى حد التشابه فى كثير من الكلمات والعبارات ، مما يدل على أن يوحنا قد أخذ من مرقس بعض كلماته .

**٢ – صورة الاختلاف الواضح فى بعض الحوادث والتعاليم :**

( أ ) هناك حادثتان يختلف فيهما يوحنا ومرقس اختلافاً بيناً جعل البعض يظن أنهما متناقضتان : هاتان الحادثتان هما إخراج الباعة من الهيكل : فبينما يضعها مرقس فى بدء الأسبوع الأخير ويجعلها السبب المباشر فى أن يتآمر اليهود عليه لكى يقتلوه ( مرقس ١١ : ١٥ – ١٩ ) إذ بيوحنا يضعها فى أول خدمته ، ولم تكن هى السبب المباشر للمؤامرة . أما المؤامرة فقد بدأت عندما أقام السيد اليعازر من الأموات ( يوحنا ٢ : ١٤ – ١٧ ، ١١ : ٤٦ – ٥٢ ) .

أما الحادثة الثانية فهى موعد العشاء الربانى : فكلا الإنجيلين مرقس ويوحنا يؤكد أن المسيح صلب فى يوم الجمعة . ولكن مرقس يقول إن السيد مع تلاميذه صنعوا الفصح يوم الخميس ( مرقس ١٤ : ١٢ – ٢٦ ) بينما يقول إنجيل يوحنا إن اليهود أرادوا أن ينتهوا من الحكم على السيد وصلبه قبل

أن يأكلوا الفصح ، كأنما كان الفصح يوم الجمعة وليس الخميس ( يوحنا ١٨ : ٢٨ ) .

ولقد وضعت نظريات كثيرة لتفسير الاختلاف فى الحادثتين فمثلا يقول وستكوت فى تفسير الاختلاف فى تطهير الهيكل إن يسوع فعل ذلك مرتين : إحداهما فى الابتداء وهى الحادثة التى يذكرها إنجيل يوحنا والأخرى فى نهاية خدمته وهى التى يذكرها مرقس . ولكن هذا التفسير يواجه صعوبة كبيرة إذ أنه ليس من الممكن أن يسمح اليهود للسيد أن يكرر هذه الحادثة ولا أن يسمحوا له حتى بالدخول إلى الهيكل والتعليم فيه هكذا حراً .

أما الاختلاف الثانى فقد قيل إن السيد أكل الفصح كما يفعل الجليليون أو جماعة الإيسنيين وموعده كان مبكراً يوماً واحد عن فصح اليهودية ، أو أن يسوع وتلاميذه لم يأكلوا الفصح بل كانوا يأكلون ولمة اسمها «حبورا» وهى عادة يهودية يقوم بها الأصدقاء .

أما الاتجاه السائد بين العلماء فى تفسير ذلك هو أن يوحنا لم يكن يقصد أن يكتب حياة يسوع بتتابع زمنى ، ، ولكنه كان يفسر المعنى العميق كما ورد فى خطابات يسوع ، ولكن على أساس موضوعى . فعندما يعالج قضية صلة المسيح باليهود وأن عداوتهم له بدأت مبكراً يأتى بقصة تطهير الهيكل كعلامة واضحة جداً على الصراع بينهم وبين السيد . ثم لأنه الإنجيل الوحيد الذى يذكر قول المعمدان عن يسوع أنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، فإنه أراد أن يذكر أن يسوع مات يوماً الفصح لأنه هو فصحنا ، ولهذا فقد حل الفصح الجديد محل الفصح القديم .

(ب) هناك أيضاً اختلاف فى تقديم صورة المسيح . فإنجيل يوحنا يقدم المسيح تقريباً فى صورة المعلم اليهودى الذى يستخدم الطريقة اليهودية فى

الدراسة والمناقشة . بخلاف الأناجيل التى تقدمه رجلا قائداً للجميع محبوباً يتبعه الكل . ولكن تقديم السيد يظهر فى صورتيه المتمايزتين فى الإنجيل الرابع والأناجيل الأخرى فى تعاليمه . ففى إنجيل يوحنا نجد تعاليمه فى صورة خطابات طويلة بينما الطريقة الغالبة فى الأناجيل الأخرى هى الأمثال . فهل هذا يعنى وجود تناقض من الاثنين ؟ إن القول بأن يوحنا تنقصه الأمثال قول تعوزه الدقة لأن بعض الدارسين قد أظهروا سبعة أمثال فى إنجيل يوحنا ( الخبز الحى ص ٢٦ الراعى ص ١٠ ، الكرمة ص ١٥ . وهكذا) .فالتعليم الرمزى لا يختلف فى شئ عن الأمثال . أما لماذا لا نجد فى الأناجيل الثلاثة ، التعليم بواسطة الخطابات . واقتصر ذلك على إنجيل يوحنا ، فقد ذكر العلماء تفاسير مختلفة لذلك. فبعضهم قالوا إنها كانت مواعظ وعظها السيد ثم وضعها يوحنا فى إنجيله . وبعضهم قال إن يوحنا أخذها من مصدر لم تعرفه الأناجيل الثلاثة . ولكن هذه التفاسير تبنى على أساس خاطئ وهى أن يسوع تميز بطريقة واحدة فقط فى التعليم ، مع أننا فى الحقيقة نجد أن التعاليم فى الأناجيل الثلاثة بطريقة الأمثال قيلت كلها فى الجليل بينما خطابات يوحنا قيلت كلها فى اليهودية ما عدا خطاب واحد ( يوحنا ٦ ) ، وحتى هذا لم يقل للجموع بل قيل فى المجمع ، ويلوح أنه لجماعة مختارة يسميهم يوحنا «اليهود» ، وهو اسم يطلقه انجيل يوحنا على ممثلى اليهودية الذين يجيئون من طرف رؤساء اليهود . وإذا كان كذلك فإن الجماعة التى سمعت يسوع فى الجليل كانت أبسط فى تصورها ومفهومها للشريعة والدين عن جماعة اليهود ، ولهذا السبب كلمهم يسوع بالأمثال ، وهى الطريقة السهلة التى تشوق الجماعة التى تشابه جماعة الجليليين . أما فى إنجيل يوحنا فقد كان يخاطب اليهود المتفقهين فى أمور الدين ، ولهذا استخدم هذه الطريقة وهذا الأسلوب فى تعليمهم . فاختلاف التعليم فى

الأناجيل الثلاثة عنه فى إنجيل يوحنا كان سببه اختلاف الجماعة . . اختلاف السامعين . ولا يمكن أن يكون هذا مستحيلا أو حتى صعباً على معلم كالمسيح يسوع .

**٣ — الحوادث التى لا يذكرها إنجيل يوحنا :**

هناك كثير من الحوادث التى لا يذكرها يوحنا ، نعم إنه يشترك مع مرقس فى أنه لا يذكر ميلاد السيد كما يفعل الإنجيلان الآخران ، ولكنه لا يذكر أشياء كثيرة ترد فى إنجيل مرقس .

( أ ) إنه لا يذكر معمودية المسيح بواسطة يوحنا مع أنه يذكر أن يوحنا المعمدان يشير إليها (يوحنا ١ : ٣٢ — ٣٤) . إنه يفعل الأمر بالمعمودية ولا يذكر العشاء الربانى ، ولا يذكر أمر السيد « افعلوا هذا لذكرى » ( ١ كورنثوس ١١ : ٢٥ ) . ولكن هذا لا يعنى أن القديس يوحنا لا يهتم بالفرائض فإن من يقرأ يوحنا ٣ و ٦ فإنه يعرف تماماً الأهمية الكبرى التى يضعها على هاتين الفريضتين ، وذلك بأن يذكر شرح السيد لهما وإظهار المعنى العميق المتضمن فيهما .

(ب) لا يذكر حادثة التجلى وذلك لأنه يرى أن مجد السيد يكمن فى صلبه وموته وقيامته وأن هذا المجد قد أعلن الآن ( يوحنا ١٢ : ١٦ و ٢٣ — ٢٨ و ٣٢ و ٣٣ ) .

(حـ) يوحنا لا يذكر قوة السيد فى إخراج الشياطين ولم تأت فى الإنجيل معجزة واحدة من هذا القبيل . ولكن يوحنا يذكر أن رئيس هذا العالم قد دين أى أنه هزم وهذا هو المعنى اللاهوتى لإخراج الشياطين ( يوحنا ١٢ : ٣١ ) .

( د ) لا يذكر الإنجيل تعليم يسوع بالأمثال . ولكن البشير يذكر خطابات السيد فى اليهودية وعلى هذا الأساس نجد فرقاً فى الطريقة التى يعلم بها السيد ، لأن أورشليم واليهودية موطن المتمسكين والمثقفين فى الناموس . ولكن فى نفس الوقت نجد أن المعانى العميقة للأمثال توافق تماماً المعانى العميقة لخطاباته فى اليهودية .

( هـ ) لا يذكر البشير عدم سرعة استجابة التلاميذ بالإيمان فى السيد كما يفعل مرقس ، إذ يذكر بوضوح أن قلوبهم كانت غليظة ( مرقس ٨ : ١٣ — ٢١ ) . لكنه يذكر أن التلاميذ اعترفوا وآمنوا به أنه هو السيد ابن الله . هذا يدل على أن القديس يوحنا لا يريد أن يذكر تطور إيمان التلاميذ بالسيد ، بل هو يقارن من الابتداء بين العالم الذى لا يؤمن والمؤمنين بالمسيح ، بين اليهود والتلاميذ ، فهؤلاء يؤمنون بعكس اليهود الذين يظهرون قساوتهم وعصيانهم من الأول ( يوحنا ١ : ١٤ — ١٨ و ٤٣ — ٥١ ، قارن ٢ : ١٤ — ٢٢ وهكذا )

من هذا نعلم أن الأمور التى يحذفها البشير كان لديه سببان لحذفها الأول هو الجمهور الذى يكتب له . . إنه جمهور له ثقافته وخلفيته الهلينية ، ثم الهدف اللاهوتى الذى يسيطر على كتابته للإنجيل ، لأن وراء كل حذف أو إضافة سبب لاهوتى واضح .

**٤ — أشياء يضيفها يوحنا :**

فى إنجيل يوحنا حوادث لم تذكر فى الأناجيل الأخرى منها :

( أ ) يذكر إنجيل يوحنا أن السيد ويوحنا المعمدان عملا فى اليهودية مدة طويلة وأن تلاميذه الأوائل كانوا من ضمن تلاميذ يوحنا المعمدان مع أن الأناجيل الأخرى لا تذكر شيئاً عن خدمة يسوع الجهارية إلا بعد سجن يوحنا المعمدان ( يوحنا ٣ : ٢٢ — ٢٤ مع مرقس ١ : ١٤ ) .

(ب) يذكر إنجيل يوحنا أيضاً أن يسوع ذهب إلى أورشليم عدة مرات (٢ : ١٣ ، ٥ : ١ ، ٧ : ١٠ ، ١٢ : ١٢ ) ، وكان تعليمه ينصب بالأكثر فى المدينة وهذا بخلاف مرقس . مع أننا نلمح فى إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ وإنجيل لوقا ١٣ : ٣٤ توكيداً لما يقوله إنجيل يوحنا .

( حـ )من يقرأ مرقس ويعتقد أن يسوع لم يعيد فى أورشليم إلا عيد واحد للفصح وأثناء خدمته الجهارية وكان هذا آخر عيد عيده فى حياته الأرضية ( مرقس ١٤ : ١ — ٢٦ ) ، لأن خدمة يسوع تركزت بجملتها فى الجليل وبعدها قام برحلته الأخيرة إلى أورشليم ، أما يوحنا فيذكر أنه عيد الفصح ثلاث مرات ( ٢ : ١٣ ، ٦ : ٤ ، ١٢ : ١ ) .

ولكن القارئ المتأمل فى إنجيل مرقس ويقرأ ( ٢ : ٢٣ ، ٦ : ٣٩ ) أى تعدد فصول الحصاد والربيع فإنه يستنتج أن خدمة السيد كانت أطول من سنة واحدة إذ تكررت فيها الفصول . معرفته بصاحب الأتان الذى دخل به إلى أورشليم والعلية التى يعمل فيها الفصح يدل كل ذلك على أن ليسوع معرفة سابقة بأورشليم ( مرقس ١١ : ١ — ٧ ، ١٤ : ١٢ — ١٦ ) . وقد نجد فى يوحنا ومرقس اتفاقاً على حادثة تدل على أن يسوع ذهب إلى أورشليم سراً ( مرقس ٩ : ٣٠ ، يوحنا ٧ : ١٠ ) .

**٥ — حوادث فى الأناجيل الثلاثة التى يفسرها يوحنا :**

هناك بعض الأشياء التى تبدو غامضة فى الأناجيل الثلاثة أو فى إنجيل مرقس خاصة ، ولكننا نجد لها تفسيراً فى إنجيل يوحنا ومن تلك الحوادث هذه الحادثة المشهورة المذكورة فى مرقس ٦ : ٤٥ بعد أن أشبع يسوع الخمسة آلاف ، طلب من تلاميذه أن يذهبوا فى السفينة لكى يصرف هو الجموع ولم نعرف سبب جزمه على ذهاب تلاميذه أولا وتركه هو مع الجموع لكن

فى يوحنا ٦ : ١٥ نجد السبب وهو الأزمة السياسية التى سببها الجموع الذين لما رأوا معجزات يسوع أرادوا أن يختطفوه لكى يجعلوه ملكاً عليهم . وأراد يسوع أن ينقذ تلاميذه من التورط فى هذا العمل فصرفهم قبلا حتى لايندفعوا مع الجموع التى لم تكن قد فهمت قصد يسوع ولا هدف إرساليته بعد .

نأتى الآن إلى الأناجيل الثلاثة الأول :

تسمى هذه الأناجيل الثلاثة Synoptics ، وقد تترجم المتوازيات ، أى أنها متشابهة ومتوازية ومن السهولة بمكان أن نضعها فى أعمدة متوازية لنجد التوافق الكبير الذى بينها ، فى مقابل إنجيل يوحنا الذى يختلف عن ثلاثتها كثيراً كما رأينا سابقاً . ولكن هذه التسمية لا يمكن أن تعطى الصورة الكاملة ، فهناك أيضاً بعض التنوع والاختلاف يظهر للقارئ فى دراسته لهذه الأناجيل الثلاثة . ومن هذا التوافق الضخم والاختلاف الواضح نشأت دراسة كبيرة يسميها العلماء قضية الأناجيل الثلاثة الأول أو Syoptic Problem

وهذه القضية هى التى تشغلنا فى الصفحات التالية :

**١ — أوجه الاتفاق بينها :**

يتركز هذا الاتفاق فى الأمور التالية :

**اتفاق المضمون :**

يتكون إنجيل مرقس من ١٠٣ قصة نجد منها ٩٨ قصة فى إنجيل متى أما الخمسة الباقية فيورد إنجيل متى قصتين أو ثلاثة مشابهة وموازية لها . وفى لغة الأعداد فإن إنجيل متى يحتوى على ٦٠٠ عدداً من إنجيل مرقس الذى يبلغ ٦٦١ عدداً . أما إنجيل لوقا فيأخذ من إنجيل مرقس حوالى ٣٥٠ عدداً . ويلاحظ أن إنجيل مرقس يحتوى فقط على ٣١ عدداً غير موجودة فى الإنجيلين الباقين .

ونلاحظ أن هذا الاتفاق عجيب ومذهل لأن كل الأناجيل لا تحتوى على كل أقـوال يسوع أو حوادث حياته ، فإن إنجيل يوحنا يذكر فى ٢١ : ٢٥ أن أشياء كثـيرة صنع يسوع لم يكتب فى الأناجيل ، ولهذا نستطيع أن نؤكد أن المادة الموجودة فى هذه الأناجيل مادة مختارة ، إنتقاها البشيرون لتفى بغرضهم ، وإذا كان الأمر كذلك فإن توافقهم فى اختيار هذه المادة لم يكن عفواً ولا مصادفة بل هناك خطة تقوم وراء ذلك .

**اتفاقهم فى ترتيب وتنظيم حياة المسيح :**

إذا تغاضى الدارس عن مقدمة إنجيلى متى ولوقا فإنه يجد توافقاً عجيباً فى تنظيم حوادث حياة المسيح بين الأناجيل الثلاثة . ولقد رتبت هذه الحوادث حسب خطة واحدة . فالسيد يبدأ خدمته الجهارية عندما يذهب إلى يوحنا المعمدان عند الأردن فى اليهودية ليعتمد منه وعندئذ يذهب إلى البرية ليواجه إبليس وتجاربه ، ومن هناك إلى الجليل عندما يسمع أن يوحنا قد أسلم وسجن ، ويبدأ خدمته فى الناصرة ، ولكنه يتركها إلى كفر ناحوم ويبدأ خدمة طويلة مملوءة بالأعمال النافعة من شفاء مرضى وإخراج الشياطين وإشباع الجياع وغيرها ، ومملوءة أيضاً بالتعاليم للتلاميذ والجموع ، وحينئذ يذهب لوقت قصير إلى الأمم ليقدم بطرس اعترافه العظيم ثم يذهب إلى أورشليم وهناك يصلب ويموت ويقوم . هذه هى خطة ترتيب حوادث حياة السيد فى الأناجيل الثلاثة . ولم يقتصر هذا التوافق على الخطة العامة لحياة السيد ، بل فى ترتيب التفاصيل ، فهناك حوادث قد لا يربطها شىء ولكنها تتابع بنفس الكيفية فى الأناجيل الثلاثة مثلا فى مرقس ٢ : ٣ — ٢٢ ، متى ٩ : ٢ — ١٧ ، لوقا ٥ : ١٨ — ٣٨ تظهر الحوادث الثلاثة : شفاء المفلوج ودعوة العشارين ومناقشة الصيام . بل هناك مثال مشهور على ذلك عندما ينتقل البشيران متى ومرقس انتقالا فجائياً

من سرد قصتهما ليذكرا قتل يوحنا المعمدان ( متى ١٤ : ١ ، مرقس ٦ : ١٤ )
وهكذا لا نستطيع أن نقول إن هذا الترتيب المتشابه جاء عفواً ومصادفة .

اتفاقهم فى الأسلوب :

إن هذا التوافق يظهر جلياً لو درسنا الأناجيل فى لغتها الأصلية : أى اليونانية .
ولكن هذا لا يعنى أن ذلك لا يظهر فى الترجمة العربية ، وهناك المثل المشهور
الموجود فى متى ١ : ٦ ، مرقس ٢ : ١٠ ، لوقا ٥ : ٢٤ عندما يقطع
السيد حديثه فى نفس المكان : « ولكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً أن
يغفر الخطايا . . » وهنا نجد أن الأناجيل الثلاثة لا تكمل الكلام بل تذكر
نفس الجملة الاعتراضية بنفس الألفاظ « قال للمفلوج قم . . . » .

وهناك مثال آخر فى متى ٤ : ١٨ ، مرقس ١ : ١٦ عندما يذكر
البشيران نفس الجملة الاعتراضية « لأنهما كانا صيادين . . » .

وهناك تعبيرات لا تأتى إلا فى الأناجيل الثلاثة مثل « حين يرفع العريس »
متى ( ٩ : ١٥ ، مرقس ٢ : ٢١ ، لوقا ٥ : ٣٥ ) هذه العبارة لا نجدها
فى أى موضع آخر فى العهد الجديد .

اتفاق إنجيلى متى ولوقا فى ذكر تعاليم المسيح:

وهذا اتفاق ضخم فمن يقرأ الموعظة على الجبل ( متى ٥ — ٧ ) والموعظة
فى السهل فى لوقا ٦ : ١٧ — ٤٩ فإنه يجد أن الموعظتين تبدآن بالتطويبات
وتنتهيان بالتحذير بمثل البناء الحكيم والجاهل وفى العظتين نفسهما تشابهاً فى أشياء
كثيرة ، وإلى جانب ذلك نجد تعاليم وافرة متشابهة ليس فقط فى المضمون
بل فى نفس الأسلوب بين هذين الإنجيلين .

هذا التوافق وخاصة فى الاثنين الأخيرين ، أى الأسلوب والتعاليم تظهر بوضوح إذا عرفنا أن السيد وتلاميذه لم يتكلموا اليونانية أصلا ، وأن تعاليم المسيح قيلت فى الأرامية وعظات الرسل وتعاليمهم كانت فى نفس اللغة ، فإذا اتفقت الأناجيل الثلاثة فى الأسلوب واتفق انجيلا متى ولوقا فى ذكر تعاليم السيد اتفاقاً هذا مقداره ، فهذا يؤكد أن صلة خاصة قد ربطت هذه الأناجيل الثلاثة حيث أنها لم تكتب فى مكان واحد ، ولا إلى جماعة واحدة ، فما هى هذه الصلة :

إننا لا نستطيع أن نجزم فى ذلك إلا بعد أن نجد الأمر الغريب الآخر . وهو الاختلاف الواضح بينهما .

**الاختلاف بين الأناجيل الثلاثة :**

يظهر هذا الاختلاف عند ذكر التفاصيل الدقيقة : مثلا :

١ — بينما يتفقون فى ذكر حوادث المعمودية والتجربة والقيامة فإن هناك بعض الاختلافات فى التفاصيل : فمنطوق الصوت السماوى يختلف بعض الشئ فى لوقا عنه فى متى وكذلك فى ترتيب التجارب الثلاث .

٢ — هناك الاختلاف بين لوقا ومتى فى ذكر الموعظة على الجبل . فى طولها ومقدار المادة التى فيها ، وفى أسلوب التطويبات ، إذ تذكر فى متى فى لغة الغائب ، ولكن فى لوقا فى لغة المخاطب ، وعدم وجود الويلات فى متى . وهناك أشياء فى الموعظة على الجبل فى متى لم تذكر فى الموعظة كما هى فى إنجيل لوقا مثل الصلاة الربانية وغيرها .

٣ — وهناك اختلاف فى طول قصة الرحلة إلى أورشليم فبينما يذكرها متى فى أصحاحى ١٩ و ٢٠ يذكرها مرقس فى أصحاح واحد هو ١٠ أما لوقا فإنه يذكرها فى تسعة أصحاحات ٩ : ٥١ — ١٩ : ٢٨ .

٤ ـ هناك ما يسمى بالحذف الكبير بين لوقا ومرقس فبينما يتبع لوقا قصة مرقس فى الحوادث إلى ٦ : ٤٤ فإنه يترك الجزء الثانى من ٦ : ٤٥ ـ ٨ : ٢٦ ثم يرجع مرة أخرى ويتبع قصة مرقس بكل أمانة .

٥ ـ هناك أيضاً مادة تختص بكل إنجيل ولا توجد فى الأناجيل الأخرى مثل قصة المجوس عند متى ( متى ٢ : ١ـ١٢ )، بعض الأمثال مثل العذارى الحكيمات والجاهلات ( متى ٢٥ : ١ ـ ١٣ ) ومنظر الدينونة ( ٢٥ : ٣١ ـ ٤٦ ) وغيرها ثم حوادث كثيرة فى قصة الميلاد عند لوقا لم تذكر فى أمكنة أخرى( لوقا ١و٢ ) وبعض الأمثلة كمثل الإبن الضال ( لوقا ١٥ : ١١ ـ ٣٢ والوكيل الشرير ( ١٦ : ١ ـ ١٣ ) وغيرها .

* * *

هذا هو الموقف فهل هناك تفسير له ؟ بعد الدراسات المستفيضة استقر رأى غالبية العلماء على الأمور التالية :

١ ـ أن إنجيل مرقس كتب أولا ، وأنه كان معروفاً عند كاتبى الإنجيلين الآخرين متى ولوقا ، وأن هذين الكاتبين وافقا على انجيل مرقس بدليل أنهما استخدماه كأساس لقصتهما عن يسوع .

٢ ـ لكن هناك التعاليم المتشابهة التى توجد فى إنجيلى لوقا ومتى ولكنها لا توجد فى مرقس . يعتقد العلماء أن كاتبى الإنجيلين استقياها من مصدر آخر كان معروفاً لها ، وكان يحتوى على جزء كبير من تعاليم يسوع المسيح ، وقليلا من حوادث حياته ذكرت كمناسبة ومقدمة لهذه التعاليم ، هذا المصدر يطلق عليه العلماء اسم « Q » وهو الحرف الأول من الكلمة الألمانية التى تعنى مصدر . Quelle

٣ ـ لكن هناك مادة توجد فى متى ولا توجد فى أى من الإنجيلين الآخرين تحوى كثيراً من الأقوال وبعض الأمثال : مثل الزوان ( ١٣ : ٢٤ ـ ٣٠ )

الكنز المخفى (١٣ : ٤٤) ، اللؤلؤة كثيرة الثمن (١٣ : ٤٥ و ٤٦) . شبكة الصيد (١٣ : ٤٧ — ٥٠) العبد القاسى (١٨ : ٢٣ — ٣٥) ، العمال فى الكرم (٢٠ : ١ — ١٦) الابنان (٢١ : ٢٨ — ٣٢) ، عشاء العرس (٢٢ : ١ — ١٤) ، العذارى (٢٥ : ١ — ١٣) ، الوزنات (٢٥ : ١٤ — ٣٠) الدينونة (٢٥ : ٣١ — ٤٦) وقد كانت كل هذه الأمثال تتميز بالجملة القائلة « يشبه ملكوت السموات » . هذه كلها توجد فى إنجيل متى فقط ويعتقد كثير من العلماء أنه أخذها من مصدر خاص بهوقد أطلقوا عليه اسم « m » ، ويعتقدون أن هذا المصدر غالباً ما نشأ فى اليهودية أو فى أورشليم ، يدل على ذلك موقفه من اليهودية ، فهو ضد الفريسيين (٥ : ٢٠ و ٢٣) مع أنه يقدس رسالتهم إلى إسرائيل (١٠ : ٦) ، وعقيدته أن الإنجيل ليس ثورة ولكنه إصلاح ، وإكمال للقديم ، واليهودية . وذلك لكثرة الاقتباسات من العهد القديم .

٤ — وبالمثل يظهر الأمر مع لوقا البشير ، ففيه من المادة ما لا توجد فى أى إنجيل آخر . مثل قصة الميلاد وغيرها مما يصل إلى ٣٠ قصة و ١٤ مثلا ومن ضمن الأمثلة : السامرى الصالح (١٠ : ٢٩ — ٣٧) ، صديق نصف الليل (١١ : ٥ — ٨) ، الغنى الغبى (١٢ : ١٣ — ٢١) ، شجرة التينة العقيمة (١٣ : ٦ — ٢٩) العشاء العظيم (١٤ : ١٥ — ٢٤) بناء البرج (١٤ : ٢٨ — ٣٠) ، سفارة قبل المعركة (١٤ : ٣١ — ٣٣) الخروف الضال ، الدرهم المفقود ، الابن الضال (١٥) الوكيل غير الأمين (١٦ : ١ — ١٣) الغنى واليعازر (١٦ : ١٩ — ٣١) قاضى الظلم (١٨ : ١ — ٨) ، الفريسى والعشار (١٨ : ٩ — ١٤) .

هذه كلها استقاها البشير لوقا كما يقول العلماء من مصدر يطلقون عليه اسم « L » وفيه يظهر يسوع صديقاً للعشارين والخطاة ، ويظهر كنبي مع تلاميذه معتمداً على أصدقائه الأغنياء ، يعطي رسالة الاطمئنان والإيمان البسيط . ويعتقد هؤلاء العلماء أن هذا المصدر نشأ أولا في قيصرية .

مما سبق نستنتج أن هناك أربعة مصادر رئيسية وراء الأناجيل : المصدر الأول مرقس الثاني Q الثالث M والرابع L ، استقى منها البشيران متى ولوقا المادة التي فيهما ، وبهذا نستطيع أن نفسر الاتفاق الكبير ، وبعض الاختلافات التي بين الأناجيل الثلاثة . ولكن هذه النظرية ترفع أمامنا عدة أسئلة مهمة وهي :

١ ــ كيف نعرف أن مرقس قد كتب قبل متى ولوقا ؟ وما هي البراهين على ذلك ؟

٢ ــ هل يمكن أن يقتبس متى من مرقس إذا كان هو نفس متى تلميذ المسيح ؟ وإلا فمن هو متى هذا ؟

٣ ــ ألا تؤثر هذه النظرية على عقيدة الوحي .

يمكننا هنا أن نجيب على السؤال الثالث تاركين السؤالين الأول والثاني إلى أن ندرس الإنجيلين مرقس ومتى . أما بالنسبة لعقيدة الوحي في الأناجيل الثلاثة فإننا نؤمن بكل يقين وثبات أن الروح القدس كان فعالا وعاملا ومسيطراً في كتابة هذه الأناجيل ، وقد عمل بالكيفية التالية :

١ ــ أنه ذكر الرسل بما قاله المسيح سيدهم كما قال هو « وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » ( يوحنا ١٤ : ٢٦ ) .

٢ ــ أنه يفسر ويكشف عن أمور لم يستطع المسيح أن يقولها للتلاميذ ، لأنهم لم يكونوا فى حالة يستطيعون فيها أن يفهموها ، منها مثلا دخول الأمم إلى الحظيرة ونوالهم الروح القدس ، ومنها عدم أهمية الناموس فى الخلاص وغير ذلك ( يوحنا ١٦ : ١٢ ــ ١٥ ، أعمال ٨ : ١٤ و ١٥ ، ١٠ : ٤٤ ــ ٤٨ ، أفسس ٣ : ٥ ــ ٩ ) الخ .

٣ ــ أن الروح القدس هو الذى أرشد الكتاب المقدسين إلى انتقاء المادة التى يكتبونها من بين المواد الأخرى ( لو ١ : ١ ــ ٥٤ ، يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١ )

٤ ــ الروح القدس أرشد الكنيسة فى إعطاء الحكم الصحيح فى الأمور وعلمهم كيف يحسمون القضايا ( أعمال ١٥ : ٢٨ ) .

بهذه الكيفية أرشد الروح القدس الكتاب المقدسين فى كتابة الكتب المقدسة فى العهد الجديد كما فعل أيضاً فى العهد القديم كما يذكر الرسول ذلك.

## ٣ ــ الفكر المشترك فى الأناجيل

### ( لاهوت الاناجيل الثلاثة الاول )

عرفنا فيما سبق أن الحقيقة واحدة ، ولكن الخبرة متنوعة ، فإذا كان الأساس واحداً فإن البناء عليه متفرع وواسع . وهذا هو مجد الشهادة المسيحية إنها ليست شهادة ميتة لشئ تاريخى مضى وانتهى ، ولكنها شهادة حية لحقيقة حية قوية مؤثرة لأنها حقيقية ، ومن عمل الله نفسه .

ولأن الأناجيل هى سجل لهذه الشهادة المقدسة المتنوعة فهى ولا بد تحمل تنوعاً ، ليس فى المفاهيم الأساسية ، بل فى التعبير عنها وتفسيرها ، ولكن مع تنوع التفاسير ، كما سنرى فيما بعد ، نجد أن خطاً واحداً وحقيقة واحدة أساسية تتملك هذه الكتب ، تبرز فى كل صفحة وكل أصحاح منها . وعلينا فى الصفحات القادمة أن تبرز هذه الحقيقة لنعرف عمق الأساس الإلهى للشهادة المسيحية المجيدة .

وتكمن هذه الحقيقة الإلهية فى مجموعة من الاصطلاحات التى ترد كثيراً فى الأناجيل ، اصطلاحات لها مدلولها ومضمونها ولكنها مع ذلك تنطوى كلها تحت حقيقة واحدة ومضمون واحد يجمعها كلها ، هذه الحقيقة هى ما يطلق عليها فى الأناجيل ملكوت الله ، ولهذا يجب أن نعرف شيئاً عن هذا الملكوت ولكن ليس لدراسة شاملة عنه ( لدراسته دراسة وافية إرجع إلى كتاب ملكوت الله للمؤلف ) ولكن كاصطلاح جامع ، ففيه تكمن المفاهيم المشتركة بين الأناجيل الثلاثة الأول .

**ملكوت الله :**

١ — إن أول ما يقابلنا فى الأناجيل هو أن المسيح يسوع بكرازته بدأ عصراً جديداً طال انتظاره ، ولقد فهم البشيرون ذلك وأكدوه ، بل وفهمه كل كتاب العهد الجديد . وتطالعنا فى دراستنا للأناجيل الشواهد التالية ، عندما يبدأ مرقس إنجيله يذكر « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » ( مرقس ١ : ١ ) الإنجيلى يعترف إذن بوجود شئ جديد له بدء .

وعندما يسجل كرازة السيد : يختصرها فى جملة واحدة إذ يقول « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » ( مرقس ١ : ١٤ و ١٥ )

أما البشير متى فيقول « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ( متى ٤ : ١٧ ) .

وما يختصره متى ومرقس فإن البشير لوقا يذكره فى حادثة مطولة وهى حادثة وعظ السيد فى مدينته الناصرة ورفضهم لهذه الكرازة ( لو ٤ : ١٦ — ٣٠ ) وفى هذه الكرازة قال المخلص بعد أن قرأ النبوة فى المجمع « إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » ( عدد ٢١ ) .

ويلاحظ هنا أن الفعل « تم » هو نفس الفعل الذى يستخدمه البشير مرقس « كمل » . وهو يأتى من نفس الكلمة التى منها الاسم الذى يستخدمه الرسول بولس فى غلاطية ٤ : ٤ ولكن لما جاء ملء الزمان والمعنى الواضح البسيط هنا هو أن الزمان كان يسير إلى نقطة معينة ، يتطلع فيها الناس إلى شئ معين وعدهم الله به . هذه النقطة المحددة قد وصلت الآن ، وبدأ الإخبار عنها ، وفى مجئ هذا الوقت المعين أو بعبارة الرسول بولس : « ملء الزمان » بدأ عهد جديد لم يعرفه التاريخ من قبل . وقد ذكرنا من قبل أن كل البشيرين إلى جانب كل كتاب العهد الجديد كانوا يحسون ذلك ويعرفونه . فنى تصريحات السيد لتلميذى يوحنا المعمدان وتصريحاته عن يوحنا نفسه ( متى ١٩ : ٢ — ١١ وما يقابله من الأناجيل الأخرى ) وتصريحاته فى رده على انتقاد الفريسيين لتلاميذه عندما كانوا يقتطفون السنابل يوم السبت ليأكلوا ( متى ١٢ : ١ — ٨ ) . فى هذه التصريحات الأخيرة يعلن السيد أن شيئاً جديداً قد جاء أعظم من الهيكل والسبت اللذين كانا يعتبران أعظم ما فى الوجود طرا ، لأنهما كما يقول اليهود كانا موجودين قبل خلق العالم كله . ويؤيد السيد هذه التصريحات أيضاً بإعلان واضح قاطع عندما يطوب التلاميذ إذ رأوا ما لم يره أنبياء وملوك من قبل ( متى ١٣ : ١٠—١٧ ) . نعم إن عصراً جديداً ونظاماً جديداً بدأ بمجئ يسوع الناصرى .

٢ — لكن ما هو الاصطلاح الذى يعبر عن هذا العصر الجديد ؟ لقد ذكر كتاب العهد الجديد اصطلاحات عدة : منها الأيام الأخيرة ( أعمال ٢ : ١٧ عبرانيين ١ : ٢ — ١، بطرس ١ : ١٨ — ٢٠ ) ، ( الأزمنة ) الخليقة الجديدة ( غلاطية ٦ : ١٧ ، ٢ كورنثوس ٥ : ١٧ ) الحياة الأبدية : ( يوحنا ١ : ٤ ٣ : ٣٦ ، ١ يوحنا ١ : ٢ ، ٢ : ٢٥ ، ٣ : ١٤ ) أما فى الأناجيل الثلاثة

الأول فإن الاصطلاح الغالب جداً فيها فهو ملكوت الله أو ملكوت السموات. وهذا ما كان ينادي به السيد عند بدء كرازته كما سبق وذكر .

ولكن ماذا يعني هذا الاصطلاح ؟ إنه ليس اصطلاحاً جديداً قد صنعه يسوع لأول مرة ، لكنه قديم يعرفه اليهود والعهد القديم نفسه وخصوصاً الكتب الرؤية فيه ، إنه يحمل في طياته معنى المكانية فيقال عنه « يدخل فيه » ( متى ٧ : ٢١ ) أو ليست بعيداً عن ( مرقس ١٢ : ٣٤ ) ومعنى الزمانية فيقال « اقترب » ( مرقس ١ : ١٥ ) و « أقبل » ( متى ١٢ : ٢٨ ) إلا أن المعنى الأساسي والرئيسي في هذا الاصطلاح هو « حكم الله وسلطانه » . هذا ما تعنيه الكلمة العبرية والكلمة اليونانية . وهذا ما قصده كل كتاب الوحي المقدس . ومع أن اليهود اهتموا بالكلمة الأولى أي « الملكوت » لكن الكتاب المقدس بعهديه كان ينبر على « الله » نفسه ، أي أن هذا الملك مضاف إلى الله ، إنه هو الذي يجريه . ولنلاحظ هنا أن متى البشير يستعمل في أغلب الأحيان إصطلاح « ملكوت السموات » مع أن مرقس ولوقا يستخدمان الاصطلاح الثاني أي « ملكوت الله » ، ولكن هذا لا يغير من المعنى الذي ذكرناه ، لأن اليهود حتى الذين صاروا مسيحيين منهم ، كانوا يستخدمون ألفاظاً أخرى قصدوا بها « الله » ، نظراً لأنهم كانوا يقدسون هذا الاسم تقديساً منعهم من نطقه ، من هذه الألفاظ السماء ( لوقا ١٥ : ٢١ ) ، العظمة ( عبرانيين ١ : ٣ ، ٨ : ١ ) الملك العظيم ( متى ٥ : ٣٥ ) الحكمة ( متى ١١ : ١٩ ، لوقا ٧ : ٣٥ ) وهكذا ؛ ولهذا فلا يجوز أن نبني عقائد متنوعة ومتناقضة ظانين أن هذين الاصطلاحين مختلفان .

٣ — هذا السلطان : سلطان الله — أو ملكوت السموات لم يكن أبداً نظرية لاهوتية مجردة لا أساس لها في الواقع ، كلا فهو دائماً حقيقة مجسمة

ملموسة دخلت الخبرة البشرية وعرفها الناس ولمسوها ، ولقد ظهرت في كمالها وأعظم نقاوتها في حياة وأعمال ورسالة يسوع الناصري . ولقد أعلنت الأناجيل الثلاثة هذه الحقيقة . فقد كانت معجزات السيد أول إعلان على ذلك ، ولقد وضح السيد ذلك في رده على الكتبة والفريسيين الذين اتهموه أنه ببعلزبول يخرج الشياطين ، ولكنه رد عليهم بقوله « . . ولكن إن كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله ( متى ١٢ : ٢٨ ، لوقا ١١ : ٢٠ ) بمعنى أن هذه القوة هي قوة وسلطان وملكوت الله : ولهذا السبب لم يطلق على أعمال يسوع العظيمة اسم المعجزات . فهذه كلمة لم ترد في العهد الجديد بالمرة ؛ ولكن الكلمة الحقيقية التي تدل على هذه الأعمال هي كلمة « آية » ، ومع أن هذه الكلمة وردت ضمن ثلاث كلمات مترابطة وهي آيات وقوات وعجائب ( أعمال ٢ : ٢٢ ) لكن كلمة آيات أو آية هي الكلمة الفنية للتعبير عن أعمال يسوع . وكلمة آية تعني « علامة » ، فالآية علامة على شئ جديد أو إعلان عن حقيقة دخلت إلى الخبرة البشرية ، وآيات يسوع هي إعلان على أن ملكوت السموات قد أقبل .

ولم تكن آيات يسوع فقط ولكن كانت تعاليمه أيضاً هي الإعلان الكامل عن ملكوت الله ؛ ففي الموعظة على الجبل يظهر ملكوت الله في مقابل الناموس ، وعندما كان يعلم بأمثال عن ملكوت الله كان يفسرها لتلاميذه فقط وقال لهم « قد أعطي لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ » ( مرقس ٤ : ١١ ) ، فتعاليم السيد من أمثال ووصايا وغير ذلك كانت كشفاً وتوضيحاً لملكوت السموات ، وشرحاً للسلوك الإنساني عندما يخضع تحت نير الملكوت .

لكن الأمر يتعدى ذلك ، فالمهم ليس فقط مضمون التعاليم بل إعطاء

التعاليم نفسها ، فالسيد علم ولكن ليس ككل إنسان ، موقفه لم يكن موقف أى واحد من معلمى الناموس ، لأنه لم يكن واحداً منهم ، وقد أحست الجموع بذلك وعرفت الفرق المذهل بينه وبينهم ، ولذلك دهشوا « لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » ( مرقس ١ : ٢٢ ) فالتعليم أيضاً كان تعليم من له السلطان ، ولهذا السبب ربط الناس أيضاً بين التعليم وبين إخراج الشياطين ، ولهذا قال الناس « ما هذا ، ما هو هذا التعليم الجديد لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه » ( مرقس ١ : ٢٧ ) . فالتعليم أيضاً كان بسلطان هو سلطان الملكوت . ولكن سلطان الملكوت تجسم فى السيد ليس فقط فى معجزاته وتعاليمه ولكنه أعلن أيضاً فى أمر مهم جداً وهو غفران الخطايا . وهذا اتضح فى قصة المفلوج الذى أتى به أربعة ( مرقس ٢ : ٣ — ١٢ ) ، فبدلا من أن يأمر المرض مباشرة ليزيله فيريح هذا الإنسان ، نظر إليه وقال له « يا بنى مغفورة لك خطاياك » ( عدد ٥ ) ولما تذمر الفريسيون والكتبة متهمين إياه فى قلوبهم بالتجديف ، نظر إلى المريض ثم إليهم وقال « ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا . . » ( عدد ١٠ ) ثم أمر المفلوج أن يحمل فراشه ويذهب إلى بيته ، وكان هذا دليلا على أنه يستطيع أن يغفر الخطايا . ونرى هنا أيضاً أن هذا السلطان ارتبط بعمل المعجزات فعلامة غفران الخطايا هى إعطاء هذا المفلوج المسكين شفاء كاملا .

وهناك حادثة أخرى ظهر فيها سلطان يسوع سلطاناً كاملا ، وهى حادثة إخراج الباعة من الهيكل وتنظيفه من التجارة المهينة التى كانت تدار فيه باسم الدين ( متى ٢١ : ١٢ — ١٧ ، مرقس ١١ : ١٥ — ١٩ ، لوقا ١٩ : ٤٥ و ٤٦ ، يوحنا ٢ : ١٤ — ١٧ ) ، والشئ المهم فى هذه القصة هو أن اليهود أنفسهم عرفوا أن هذا العمل لم يصدر عبثاً ولا عفواً ، ولكنه

عمل يتسم بسلطان خاص ، ومع ذلك لم يعرفوا ولم يفهموا هذا السلطان فجاءوا إليه يسألونه « بأى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا ( مرقس ١١ : ٢٨ ) فأراد يسوع أن يقودهم إلى الطريق السليم ويعرفهم نوع السلطان عن طريق شهادة يوحنا له ، ولكنهم رفضوا أن يجاوبوا ، فرفض هو أن يجيب على سؤالهم ، لأنهم أظهروا عدم استعدادهم للتفهم وكان فى موقفهم قدر كبير من العناد .

هذه هى بعض مناطق السلطان التى أظهرها يسوع فى حياته كمجسم كامل لملكوت الله .

٤ – ويمكننا أن نفهم من تجسيم السيد لملكوت الله فى حياته وعمله ورسالته الدور الحاسم الذى يقوم به ملكوت الله ، هذا الدور يتلخص فى عملين الدينونة والخلاص .

أما الدينونة فقد ظهرت فى أمرين قام بهما السيد أولا : المقابلة الهامة التى وضعها بين رسالته ورسالة الناموس : وهذا يتضمنه قوله : سمعتم أنه قيل للقدماء . . أما أنا فأقول لكم ( متى ٥ : ٢١ و ٢٧ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٣ ) ، والدينونة هنا لا تعنى الحكم بالفساد ، لكن الحكم بعدم الكمال . إن الناموس إلهى المصدر ، ولكن الله أعطاه لجماعة ناقصة فلم يكن للناموس قدرة على أن يخلصهم ، فجاء الملكوت الكامل ، أو السلطان الكامل الذى يستطيع أن يفعل ذلك فظهر عدم كمال النظام القديم . ولقد استطاعت الكنيسة الأولى أن تفهم رسالة السيد معرفة حقيقية ، ونذكر فى هذا المجال الرسول بولس وكاتب الرسالة إلى العبرانيين فكلاهما عرفا المعنى الحقيقى لرسالة المسيح ، وكلاهما عرفا أن القديم قد انتهى بظهور ملكوت الله مجسما فيه ( غلاطية ٤ : ٢١ – ٣١ ، ٥ : ١ – ١٢ ، عبرانيين ١ : ١ – ٤ ، ٣ : ١ – ٦ ، ٥ : ١ – ١٠ ، ٧ : ١١ ، ٨ : ٧ – ١٣ ) .

أما الأمر الثانى الذى ظهرت فيه الدينونة فهو تنظيف الهيكل كما سبقت الإشارة ولكن فى هذا العمل اختلف معنى الدينونة ، فهى لم تكن إظهار عدم الكمال بل إظهار الفساد والشر والخطيئة ، هذه الخطيئة كامنة فى الناس أنفسهم ، لقد أفسدوا أنفسهم ثم أفسدوا الغرض والهدف من عطايا الله التى وهبت لهم كعطية الهيكل مثلا ، وكانت دينونة السيد عليهم شديدة قاسية . وليس عليهم فقط بل على تلك الهبة الثمينة وهى الهيكل ، إذ قال لهم « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » ( متى ٢٣ : ٣٨ ، لوقا ١٣ : ٣٥ ) : وتعتبر الأصحاحات الثلاثة الأول من رسالة الرسول بولس إلى رومية تفسيراً مفصلا على هذه الديونية الرهيبة إذ فيها أعلن غضب من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم سواء أكانوا يهودا أم أمماً :

أما الدور الثانى لرسالة الملكوت فهو الخلاص ، وهذا الخلاص الذى يقوم به السيد يشمل كل ملكات وقوى الإنسان ، فهو ينصب على الخلاص من الخطيئة وذلك عندما قال للمفلوج « مغفورة لك خطاياك » (مرقس ٢ : ٥) وعندما خلصهم من الأرواح النجسة وكل قوات الشر ، وعندما خلص أجسادهم من المرض ومن الإرهاق ، وهكذا قال هو « كل شئ قد دفع إلى من أبى . . تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم ، احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأنى نيرى هين وحملى خفيف » ( متى ١١ : ٢٥ — ٣٠ ) .فالسلطان الذى أعطيه للخلاص ولفداء الإنسان كله .

ويلاحظ هنا أن هذين الأمرين الدينونة والخلاص ليسا منفصلين بعضهما عن بعض بل هما فى الحقيقة دورين لعمل واحد أو وجهين لصورة واحدة ، فهو عندما يحكم على القديم بأنه غير كامل فلكى يكمله ، ويتمم الهدف الذى

جاء من أجله « ما جئت لأنقض بل لأكمل » . ( متى ٥ : ١٧ ) ، وإن كان قد قال لليهود إن بيتهم يترك لهم خراباً ولكنه يكمل قوله لهم « لأنى أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب» (متى ٢٣ : ٣٩) وهذا أيضاً ما عبر عنه الرسول بولس إذ بعد أن حكم بأن اليهود والأمم قد أخطأوا « الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا أحد » ( رومية ٣ : ١٢ ) يقول بعد ذلك « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس . . . بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . . . » ( ٢١ — ٢٣ ) . فبعد الدينونة جاء الخلاص ، ليس فقط تتابعاً زمنياً ولعلهما مرتبطان ارتباطاً عضوياً ضرورياً لأنهما معاً فى مشروع الفداء الإلهى العظيم .

هذا الملكوت الذى جسده المسيح كان ملكوتاً حاضراً ، بمعنى أن عمله ظهر بين الناس. نعم إنه الملكوت الأسخاتولوجى ، لكنه هو الذى يظهر فى هذه الأيام . وجزء كبير من تعاليم السيد تعلن هذه الحقيقة إعلاناً وافياً . فعندما أرسل يوحنا تلاميذه إلى يسوع ليسأله هل هو الآتى أم ينتظرون شخصاً آخر ، يقول السيد « اذهبوا وقولوا ليوحنا العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فى » ( متى ١١ : ٥ و ٢٦ ، لوقا ٧ : ٢٢ و ٢٣ ) . هذا القول يربط مجموعة من الأقوال التى ينطق بها إشعياء فى مواضع مختلفة إشعياء ٣٥ : ٥ — ٧ ، ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ٦٦ : ١ و ٢ ) وفيها يعلن النبى وقت مجئ الخلاص وما يحدث فيه ، وهذا قد تممه الرب يسوع ، وأعلن بقوة أن وقت الخلاص قد جاء وسلطة الله قد تحققت فى خلاص الناموس .

ولقد أعلن السيد هذا أيضاً فى وطنه عندما بشرهم فى المجمع وقال لهم إن

« اليوم قد تم هذا المكتوب بينهم » ( لوقا ٤ : ١٦ — ٢١ ) بمعنى أن أمام هؤلاء وتحت بصرهم وفى آذانهم قد تم وعد الله والمكتوب .

ونرى ذلك أيضاً فى حوار المسيح مع الفريسيين بخصوص عدم صيام التلاميذ وإعلانه أمام الجميع أن هذه الأيام هى أيام العريس ، وأنهم لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريس معهم ( مرقس ٢ : ١٨ و ١٩ ) .

ويعلن أن وقت الحصاد قد جاء حيث يفرح الناس ويستريحون من الأتعاب ومن الانتظار الممل ( يوحنا ٤ : ٣٥ ، مرقس ٤ : ٨ ، متى ٩ : ٣٧ و ٣٨ ) . بل وأن الخمر الجديدة الآن موجودة ولا يمكن أن توضع فى زقاق عتيقة . إن خمر ملكوت السموات هو وقت الخلاص ( مرقس ٢ : ٢٢ ) .

هذه عينة من الأقوال والإعلانات التى فاه بها السيد ليعلن أن ملكوت الله الذى قد جسمه وهو حاضر ويقوم بعمله الفدائى العظيم بين الناس ، أن الله قد أعلن نفسه فادياً فى سلطان غالب ومنتصر فى يسوع الناصرى . ولكن ليس هذا نهاية المطاف ، وهذه الحقيقة السامية لا تعلنها فقط تعاليم السيد بل أعماله أيضاً . ومن أهم الأعمال التى قام بها السيد إخراج الباعة من الهيكل ، وكان هذا العمل إتماماً لما يقوله زكريا « وكل قدر فى أورشليم وفى يهوذا تكون قدساً لرب الجنود ، وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها . وفى ذلك اليوم لا يكون بعد كنعانى فى بيت رب الجنود » ( زكريا ١٤ : ٢١ ) ، الكلمة كنعانى تترجم تاجر ومع هذه الترجمة يستقيم المعنى ، لأنه فى الحقيقة والواقع أن الكنعانى غير موجود أصلا فى الهيكل ، ولكن التجارة موجودة خاصة بعد أن أصبح كثير من الذين يزورون — الهيكل من يهود الشتات يحتاجون للمقايضة والشراء . وإذا كان هذا الرأى صحيحاً وهذه الترجمة هى التى يستقيم معها المعنى ، فإن يسوع بعمله هذا يعلن أن الهيكل ينظف لأن

وقت الدينونة والخلاص قد جاء . هناك عمل آخر قام به السيد وهو أنه تعامل مع الأمم وقدم خدماته لهم ففى مرقس ٧ : ٢٤ — ٣٠ يشفى ابنة المرأة الفينيقية بعد أن يدخل فى ديار الأمم وفى متى ٨ : ٥ — ١٣ ، لوقا ٧ : ١ — ١٠ يشفى ابن الرجل العسكرى ويقول فى كلتا الحالتين « إنه لم نجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا » يقول السيد ذلك فى الوقت الذى يعلن فيه أنه لم يأت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة ، لأنه بعمله هذا يعلن أن الأمم أيضاً يدخلون الملكوت فى آخر الأيام ، كما يقول فى متى ٨ : ١١ و ١٢ « وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبرهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات ، أما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ، نعم هذا هو اليوم الذى فيه أعلن الرب قبول الأمم فى ملكوت السموات. هكذا يعلن المسيح فى تعاليمه وأعماله أن فجر الخلاص قد جاء وأن ملكوت الله قد أعلن فى التاريخ .

لكن ليست هذه هى كل الحقيقة ، أن هناك وجهاً آخر لملكوت السموات الذى ظهر وأعلن ،هى المستقبلية ، بمعنى أن هذا الملكوت سيأتى بقوة ومجد بهاء فى زمن يعرفه الله .

وهناك مجموعة من الأقوال والتعاليم التى تبين أن الملكوت سيعلن بقوة فى المستقبل . ولقد أنذر يسوع تلاميذه بذلك إذ يقول لهم « وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة ( مرقس ٩ : ١ ) . وأياً كان تفسير هذا القول فإن الواضح فيه أن يسوع يعلن أن الملكوت فى المستقبل وسيأتى بقوة ، أما موعد ذلك فلا يعرفه إلا الله وحده . ويؤيد ذلك عندما يضع ملكوت الله فى مقابل جهنم النار . «وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن

تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار » ( مرقس ٩ : ٤٧ ) . ويظهر ذلك أيضاً فى وصفه لمشهد الدينونة العظيم فى متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦ ففى هذا المجد المشهد يظهر ابن الإنسان الملك (ع ٤٠ ) آتياً فى مجده ثم يجلس على كرسى (ع ٣١ ) ثم يعلن عن الجزاء الصالح الذى يناله الأبرار فيقول : « رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم (ع ٣٤ ). وهكذا نرى أن منظر الدينونة الأخيرة هو نفسه مجئ الملك بقوة فى ملكه وملكوته . وإلى جانب ذلك يصف مرقس يوسف الرامى على أنه « مشير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله» (مرقس ١٥ : ٤٣ ) . مع أن متى يصفه بأنه كان تلميذاً ليسوع (٢٧ : ٤٧) أما لوقا فيقول عنه وكان مشيراً ورجلا صالحاً باراً . . . وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله ( ٢٣ : ٥٠ و ٥١ ) . ويلوح لنا من ذلك أن هؤلاء التلاميذ الذين كانوا مختفين لسبب الخوف من اليهود كانوا ينتظرون ملكوت الله يأتى بقوة فى المستقبل. ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بناء على تعاليم السيد نفسه . بقى هناك قولان يعلن فيهما السيد هذه الحقيقة : الأول عندما كان يقوم برسم فريضة العشاء الربانى إذ يقول الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله » (مرقس ١٤ : ٢٥ ومقابله متى ٢٦ : ٢٩ ، لوقا ٢٢ : ١٨ ) ، ولعل البشير لوقا يضيف قولا آخر عن الفصح ، لأنى أقول لكم إنى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله ( لو ٢٢ : ١٦ ) . أما القول الأخير فيظهر فى الصلاة الربانية عندما يعلم تلاميذه أن يصلوا قائلين « ليأت ملكوتك » ( متى ٦ : ١٠ ، لوقا ١١ : ٢ ) . ويؤيد ذلك أيضاً طلبه « خبزنا كفافنا » خصوصاً إذا فسرناها على أنها « خبز الغد » أى ذلك الخبز الذى سوف نأكله فى ملكوت السموات .

هذا كله يبين لنا أن الملكوت الله — كما ظهر فى تعاليمه وأعماله وإرساليته

السيد ، وجهتين : وجهة حاضرة وهى التى تحققت بمجيئه ووجهة مستقبلية حينما يأتى بقوة ومجد .

٦ ـ لكن هناك عنصر آخر هام فى تعاليم يسوع عن ملكوت الله وهو أن مطالبه من الإنسان الذى يقع فى دائرته مطالب مطلقة ، لا يمكن فيها أى شئ من النسبية . وتتضح هذه المطالب المطلقة فى أمرين أو فى دائرتين : الدائرة الأولى تتعلق بقبول الملكوت نفسه ، بمعنى أن الإنسان الذى يريد أن يقبل ملكوت السموات ، عليه أن يعتبره ليس فقط من أعظم الأشياء فى حياته ، بل أنه الشئ الوحيد العظيم الذى لا يمكن أن يستبدل بشئ آخر . ويظهر هذا الأمر فى تعاليم السيد عنه فى مثلين مهمين جداً وهما مثل الكنز الموجود فى حقل ثم مثل اللؤلؤة كثيرة الثمن (متى : ١٣ : ٤٤ ـ ٤٦) : فى هذين المثلين إنسان وجد الكنز مخفى فى حقل، ذهب وباع كل ما يمتلك واشتراه لكى يحصل على الكنز ، وفى مثل الرجل التاجر الذى وجد لؤلؤة ثمينة فباع كل ما يمتلك واشترى تلك اللؤلؤة . لم يكن هناك وسط ولا مساومة : إما هذه وإما تلك ، فملكوت الله يضحى من أجله بكل شئ .

وإذا كان يسوع يجسم ملكوت الله ، ومطالبه من الإنسان هى نفسها مطاليب ملكوت السموات فلنقرأ ما يقوله للرجلين اللذين أرادا أن يتبعاه ، ولكن . . (لوقا ٩ : ٥٩ ـ ٦٢) .

لقد كانت أوامره صريحة ، أن من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات ، وكان تفسيره لذلك هو قوله الكريم لتلاميذه عند الإرسالية « من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ومن وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلى يجدها ( متى

١٠ : ٣٧ – ٣٩ ) ، ولعل هذا الموقف هو ما دفع الشاب الغنى ألا يقبل ملكوت الله، مع أن يسوع نظر إليه وأحبه إذ رأى إخلاصه فى طلبه، ولكنه لم يستطع أن يعرف أن ملكوت الله هو الخير الأسمى الذى يضحى من أجله بكل شئ ( مرقس ١٠ : ١٧–٢٢ ) هذا ما جعل بطرس يقول يا سيد ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك ( مرقس ١٠ : ٢٨ ) .

من هذا كله نعرف أن مطاليب ملكوت السموات هى الكل وإلا فلا. لا وسط بين العالم وبين الملكوت ؛ ومن يقبله فعليه بأن يضحى بكل شئ من أجله وإلا فلن يستحقه وسوف يفقده ويفقد كل شئ . ليس ذلك فحسب بل أن مطاليب الملكوت الأخلاقية وإن شئت فقل السلوكية هى الأخرى مطلقة . ولعل الموعظة على الجبل هى أعظم مثل على ذلك ، فهى لا تمنع فقط من القتل بل أنها تشجب كل كلمة قاسية ( متى ٥ : ٢١ و ٢٢ ) . وأنها الموعظة التى تطلب من الشخص ألا يقدم ذبيحته وصلاته إلا إذا اصطلح مع أخيه ( متى : ٢٣ و ٢٤ ) . إنها تشترط محبة الأعداء ومباركة الذين يلعنون . . والسير ميلين مع من يسخر المؤمن ميلا واحداً ( ٥ : ٣٨ – ٤٣ ) ولقد جاء بطرس إلى سيده يخبره أنه فعل المستحيل عندما سامح أخاه سبع مرات ، ولكن السيد يقول له « لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات ( متى ١٨ : ٢٢ ) ولقد حيرت هذه المطاليب الأخلاقية الدارسين فوضعوا تفاسير كثيرة لها ، فقال بعضهم إن هذه المطاليب عادلة لأنه إذا عملها الشخص فسينال ملكوت السموات وهى أعظم هبة . ولكن هذا التفسير خاطئ لسبب واحد وهى أن هذه المطاليب لم تطلب ممن هم خارج الملكوت

بل ممن قبلوها : إن الملكوت هبة وليست سلعة تشترى بمجموعة من الأعمال الصالحة مهما كان سموها .

وقال بعضهم إن هذا النوع من السلوك لم يقصد به هذا العالم الحى الذى نعيشه : ولكن العالم الآخر – العالم المثالى ، ولكن هذا التفسير لا يتذكر أن الأعمال التى يطلبها الملكوت من الشخص هى المميزة لهذا العصر المملوء بالحلف والكذب والقتل والطلاق والسخرية . . إلخ.

وغير ذلك من الآراء كرأى ألبرت شويتزر الذى كان يظن أن يسوع قال الموعظة على الجبل ليسلك فيها منتظرو الملكوت فى المدة القصيرة الباقية لظهوره ، أو رأى ردولف بولتمان الذى يقول إن هذه التعاليم تعكس شيئاً واحداً وهو جدية طلب المسيح أن تكون مع أو ضد الله .

ولكن هذه الموعظة على الجبل تعكس الحياة التى يجب أن يظهرها أولاد الملكوت فإرسالية الملكوت كما يقول ديفيز « لها قطبان الأول هو منحها للانسان مغفرة ورحمة ومحبة غير محدودة نعم فحبة المسيح تنسكب فى القلوب فتظهر فى حياة أبناء الملكوت .

لكن هذا الملكوت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإعلان السامى الذى أعلنه يسوع عن أبوة الله .

فعندما تتكلم الأناجيل عن ملك الله ، وأن السلطة له هو وأنه هو مطلق السلطان ، فإنها تظهر أن هذا الملك هو أيضاً الآب ، وأبوة الله مفهوم أساسى فى الأناجيل ، وقد ارتبط المفهومان معاً فى كلام يسوع فى أمكنة كثيرة ، ففى الصلاة الربانية علم التلاميذ أن يقولوا « أبانا الذى فى السموات . . ليأت ملكوتك » ( لو ١١ : ٢ ) . ثم هو يطمئن التلاميذ يقول لهم « لا تخف أيها

القطيع الصغير لأن أباكم سر أن يعطيكم الملكوت (لو ١٢ : ٣٢) . ثم يقول لهم ساعة العشاء الربانى « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً » (لوقا ٢ : ٢٩) . فى هذه الأعداد نجد أن الملك هو نفسه الآب وأنه عندما يمنح السلطة للمسيح أو لشعب المسيح فإنه يمنحها كأب وهذه الحقيقة واضحة فى كل الأناجيل .

**ولكن ما هو مفهوم يسوع عن أبوة الله :**

إن الإعلان الواضح الذى نجد فيه هذا المفهوم صريحاً وكاملا يكمن فى الاصطلاح الذى استخدمه يسوع : ومع أن اليهود استخدموا كلمة الآب ، والعهد القديم أيضاً استخدم كلمة الآب عن الله لكن ما أوسع الشقة بين المفهومين : مفهوم يسوع ومفهوم من سبقوه سواء أكان العهد القديم أم اليهودية بشقيها : يهودية فلسطين أم يهودية الشتات . ونظرة واحدة على العهد القديم واليهودية توضح لنا ذلك . ففى (إشعياء ٦٣ : ١٦) « فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبرهيم وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك . وبالمثل فى إرميا ٣ : ٤ . « ألست من الآن تدعينى يا أبى أليف صباى أنت » . وفى مزمور ٨٩ : ٢٦ حيث يقول عن الملك « هو يدعونى أبى أنت . إلهى وصخرة خلاصى » . فى هذه كلها يطلق على الله لقب آب ، ولكنها ليست فى صيغة المخاطب بل فى عبارة خبرية . إنها ليست فى صيغة المنادى ، وهذا كما سنرى سر اختلافها وتخلفها عن مفهوم يسوع عن الآب .

أما فى اليهودية فإننا نجد فى كتب الأبوكريفا وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب ، ولكنها متأثرة بالأدب اليونانى ، أما فى يهودية فلسطين فكانت هناك بعض الصلاة التى فيها نخاطب الله بالآب ، ولكنها كانت متأخرة ظهرت فى أوائل عهد المسيحية ثم أنها لم تكن صلاة فردية

شخصية ولكنها كانت صلاة جماعية تقال فى المعابد فى وقت العبادة فقط . ولهذا لم تكن ترقى إلى مفهوم يسوع عن أبوه الله .

فماذا إذن يميز مفهوم المسيح فى أبوه الله عن سائر الذين سبقوه ؟ يميزه أمران هامان :

الأمر الأول : هو اللفظ نفسه الذى استخدمه السيد وهو لفظ « أبا » وهى الكلمة الأرامية التى ترجمت إلى الآب أو أيها الآب أو تركت هكذا دون أن تترجم إلى اليونانية ( مرقس ١٤ : ٣٦ ) . وكانت هذه الكلمة غريبة جداً على مسامع اليهودى إذا كانت تطلق على الله وينادى بها من شخص ما ، مهما كان . إنها الكلمة التى كان ينادى بها الطفل الصغير والده ، ولكن أن يطلقها يهودى يخاف الله على إلهه فهذا لا يمكن أن يخطر على بال إنسان .

أما الأمر الثانى : الذى اختلف فيه يسوع عن بقية اليهود هو أنه استعملها فى صلاته الشخصية ، إنها ليست تعليم ولكنها صلاة . لقد عرفنا أن كل العبادات التى فيها تطلق على الله لقب الآب كانت عبارات خبرية ، ولم يخاطبه أى شخص بمفرده على أنه أبوه هو ، ولكنها وردت فى صلاة العبادة لتدل على أبوة الله للشعب ، أما يسوع فكان أول من خاطب الله فى صلاته الشخصية بكلمة يا أبا . وهذا العمل يدل على الصلة العميقة جداً بين يسوع والآب السماوى . إنه تكلم إلى الله كإبن يتكلم إلى أبيه ( متى ١١ : ٢٥ ) مرقس ١٤ : ٣٦ ، يوحنا ١١ : ٤١ ) .

ولكن عندما نذكر ذلك يجب أن نتذكر أمرين فى غاية الأهمية ، الأول أن هذه الحقيقة الكتابية الواضحة جعلت بعض الدارسين يعتقدون أن يسوع استخدم لغة الأطفال الصغار فى مخاطبته للآب ، لكن هذا ليس الحق كله ، فإن الأبناء البالغين والكبار فى السن كانوا يستخدمون لغة

أبا عندما كانوا يخاطبون والديهم . وهذا يعني أن يسوع عندما يستخدم هذه الكلمة كانت في فمه كلمة مقدسة ، وعندما أمر تلاميذه ألا يدعوا أحداً على الأرض « أبي » ( متى ٢٣ : ٩ ) : فلم يكن يمنعهم من مخاطبة والديهم الجسديين كذلك ، ولكنه يمنعهم من إطلاق الإسم على أناس عظام في الهيئة الاجتماعية : فهذا يفسد الكلمة ويجعلها غير لائقة بالله .

أما الأمر الثالث : فإن هذه الكلمة تبين السر العظيم في إرسالية يسوع نفسه ففي متى ١١ : ٢٧ ، يوحنا ١ : ١٨ ، ١٠ : ١٥ ) ، يصرح بنفسه أنه هو وحده الذي يعلن الآب ، لأنه وحده الذي يستطيع ذلك . إن الله بالنسبة له هو الآب الذي له به علاقة سرية لا يدركها العقل البشري ، ولا يستطيع أحد غيره أن يحوز تلك الخبرة الإلهية . فالآب السماوي يحب الإبن والإبن وحده يعرف الآب ، ولهذا فهو يستطيع أن يعلنه للناس إعلاناً حقيقياً عميقاً — لا أحد سواه .

والأناجيل تعلن أيضاً عن الطريقة التي أعلن بها السيد الآب السماوي للناس . وهناك حقيقتان واضحتان في هذا الصدد ، لا يمكن أن يغفلهما أي دارس . الحقيقة الأولى : أن يسوع لم يعظ عن أبوة الله لكل الناس ، إنه لم يتكلم عنها علناً ، فمثلا نجد أن المرات الأربع التي يذكرها مرقس عن حديث يسوع عن الآب لم تخرج عن دائرة التلاميذ . ( مرقس ٨ : ٣٨ ، ١١ : ٢٥ ، ١٣ : ٣٢ ، ١٤ : ٣٦ ) . وما يقابل ذلك في الأناجيل الأخرى . هذا يعلمنا أن أبوة الله لدى يسوع لم تكن نظرية أو قضية لاهوتية يبحثها مع اليهود ورؤسائهم لكي يقنعهم بها ، ولكنها كانت اختباراً عميقاً لا يذكره إلا للخاصة جداً من التلاميذ لتقويتهم وقيادتهم في حياتهم سواء في أوقات الحاجة أو الضيق أو غيرها . ويرتبط مع هذه الحقيقة أمر آخر هو أن يسوع لم يتكلم

علناً عن الآب السماوى ، وبكيفية تعليمية واضحة إلا بعد حادثة قيصرية فيلبس ( متى ١٦ : ١٣ - ٢١ ؛ مرقس ٨ : ٢٧ - ٣٠ ، لوقا ٩ : ١٨ - ٢١ ). ولقد كانت هذه الحادثة فاصلة فى حياة التلاميذ ، فبعدها تغيرت تعاليم السيد وتعمقت إعلاناته لهم . ونلاحظ قبلها ؛ أى قبل اعتراف بطرس به - نائباً عن التلاميذ - أن السيد كان يتطلب من التلاميذ أن يفهموا ويفتحوا عيونهم وآذانهم لعلهم يعرفون ، لأن قلوبهم كانت غليظة ( مرقس ٦ : ٥٢ ، مرقس ٨ : ١٥ و ١٧ و ١٨ ) .

أما بعد هذا الاعتراف فقد تغير مطلب السيد منهم وصارت وصيته لهم تنصب على إنكار الذات وحمل الصليب ( مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٨ ) ، وخدمة الآخرين فى تواضع ( مرقس ٩ : ٣٥ - ٣٧ ) ، وأن يعيشوا فى نقاوة وقداسة ( ٩ : ٤١ - ٤٥ ) وهكذا ، أى أنهم بعدما عرفوه من هو أعلن لهم كيفية التكريس الكامل لشخصه ولرسالته ، وهذا يختلف كثيراً عما كانوا عليه قبل الاعتراف . وعلى هذا الأساس ، عندما بدأت أعينهم تنفتح أضحوا مؤهلين أن يعرفوا بل ويختبروا شيئاً من عمق الشركة مع الله الآب فبدأ السيد يتكلم لهم بوضوح عن الآب كاختبار عميق له .

أما الحقيقة الثانية : فهى أن يسوع عندما كان يعلم عن أبوة الله لم يكن يعنى الأبوة العامة له ، بمعنى أن يسوع قصر اختبار أبوة الله على جماعة خاصة ، وهذا يظهر فى صلاته هو فهو يعلن أن الله أبوه هو ( متى ١٠ : ٣٢ و ٣٣ ، ١١ : ٢٧ ، ١٥ : ١٣ . . . إلخ ) وعندما يكلم تلاميذه يقول لهم أبوكم ( متى ٦ : ١٤ و ١٥ ، لوقا ٦ : ٣٦ مرقس ١١ : ٢٥ إلخ ) فليس هناك أبوة ولا بنوية عنده بالطبيعة ، بل من يريدها فعليه أن يخضع له ويؤمن بالابن نفسه ( يوحنا ١ : ١٢ ) . ثم أن ما يقوله يوحنا وخاصة فى يوحنا

١٤ : ٦ ) ليس أحد يأتى إلى الآب إلاّ بى توافقه أقوال البشيرين الآخرين ليس أحد يعرف الآب إلا الإبن ومن أراد الإبن أن يعلن له » ( متى ١١ : ٢٧ ؛ لو ١٠ : ٢٢ ) . ولعل الرب كان يقصد نفس المعنى عندما يقول لتلاميذه . « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » ( متى ١٨ : ٣ ) . فهو لم يقصد البساطة والتواضع فقط ، ولكنه كان ينبر بالأكثر على أنه إن لم يأت الإنسان إلى المسيح فى إيمان حتى يصبح ابناً للآب السماوى فلن تمكن أن يرث الملكوت ولا أن يدخل فيه . فهذا هو الشرط الأول لقبول الملكوت هو قبول أبوة الله ، وما لم يتعلم الإنسان أن ينطق يا « أبا » فهو ليس مستحقاً ولا مستعداً أن يدخل ملكوت السموات .

٨ ـ أما ما يكمل هذه الصورة التى نراها فى الأناجيل الثلاثة عن ملكوت الله فهو مركز المسيح ، فى هذا الملكوت . فماذا تقول الأناجيل عن هذا الأمر؟

إن الأناجيل تكشف عن هذا الأمر لا فى عقيدة محددة مصنوعة بل فى مجموعة من الألقاب الخاصة التى يسمى بها يسوع الناصرى . فاسم العلم له هو يسوع ( متى ١ : ٢١ ) ، أما باقى الأسماء فهى ألقاب أعطيت له أو تبناها هو لكى تكشف عن شخصيته ورسالته ومركزه بالنسبة لملكوت الله . ويلاحظ هنا أن كل هذه الألقاب مأخوذة من العهد القديم ومدلولها الأصلى موجود هناك ، ولكن رغم ذلك ففيها عنصر أساسى جديد وضعه فيها السيد نظراً لرسالته الجديدة الجيدة ، وسندرس هذه الألقاب متدرجين من الأسماء التى يلمح إليها أو تذكر قليلا ، إلى تلك التى لأهميتها الكثيرة تتملك الصورة كلها .

ابن آدم ، ابن إبرهيم :

لقد ظهر ارتباط السيد بهذين الشخصين فى الأنساب التى ذكرها لوقا ومتى . فقد أرجع لوقا نسب السيد إلى آدم ماراً بإبرهيم ( لوقا ٣ : ٢٣ــ٣٨)،

ويلوح أن البشير وهو يكتب إلى الأمم أراد أن يبين عمومية السيد وعمومية رسالته فأرجع نسبه إلى آدم ، إنه أصبح لحماً من لحمنا وعظماً من عظمنا فهو الأخ البكر للجميع ، نعم إننا لا نجد هذا اللقب فى الأناجيل ، ولكننا نراه بوضوح فى قصة التجربة فى البرية وخاصة فى إنجيل مرقس ١ : ١٢ و ١٣ : حيث يظهر المسيح فى البرية منتصراً على التجربة حيث سقط آدم الأول . أما متى البشير فإنه ينبر على نسب يسوع من إبرهيم لأنه يقف فى الأنساب إلى حد إبرهيم . وهو يفعل ذلك نظراً لأنه يكتب إلى اليهود الذين صاروا مسيحيين بل واليهود عامة لكى يظهر أن هذا المسيا هو من هذه الشجرة الطبيعية المقدسة . وهذا ما أظهره الرسول بولس فى رسالة غلاطية حيث يبين أن اسرائيل الجديد يرجع إلى إبرهيم أبى المؤمنين أيضاً ، وأن الموعد الذى قيل فيه وفى نسله كان يقصد به المسيح نفسه ، فمجئ المسيح من نسل إبرهيم لكى يتمم وعد النسل المقدس الذى به تتبارك جميع قبائل الأرض (غلاطية ٣ : ١٥ — ١٨ أنظر رومية ٤ : ٩ — ١١) .

نبى :

عندما تنسب الكنيسة الأولى هذا اللقب إلى المسيح فى قول بطرس « فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به » (أعمال ٣ : ٢٢ أنظر ٧ : ٣٧) ، لا بد أنها سمعت قبل هذا من المسيح نفسه . وهذا حق لأن السيد كان ينسب إلى نفسه عمل النبى فى ملكوت الله . ولقد ذكر ذلك مرقس ٦ : ٤ « ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته » وفى لوقا ١٣ : ٣٣ « بل ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » . وإلى جانب تصريحاته هذه توجد تعاليمه أيضاً ، ولعل هذا ما كان يميزه عن سائر الكتبة فى هذا المضمار ، فإنه كان يعلم ليس مثلهم ولكن مثل نبى مقتدر

فى الأفعال والأقوال ( لوقا ٢٤ : ١٩ ) . نعم فهو أعظم من سليمان ومن يونان ( متى ١٢ : ٤١ و ٤٢ ، لوقا ١١ : ٣١ و ٣٢ ) ولم يكن تلاميذه فقط هم الذين اعترفوا بذلك بل كان رد فعل الجماهير أيضاً وخصوصاً عندما كان يقوم بمعجزة عظيمة مثل إقامة ابن أرملة نايين ( لوقا ٧ : ١٢ — ١٧ ، أنظر متى ١٦ : ٤ وما يقابله ) فعمل النبوة يفسر رسالة المسيح . لأنه لا بد لملكوت الله من نبى مقتدر ، ولكن هذا العمل لا يمكن أن يغطى كل جوانب رسالته ، فهو أعظم من نبى حتى وإن قام بعمل الأنبياء .

ابن داود :

أيضاً فى الأناجيل لقب آخر للمسيح يرتبط بملكوت الله وهو ابن داود وتختلف الأناجيل فى عدد مرات إيراد هذا اللقب للمسيح . فهو يرد فى إنجيل مرقس ٣ مرات مرتين على لسان بارتيماوس الأعمى ( مرقس ١٠:٤٧ و ٤٩) حينما حاول الأعمى أن ينال الشفاء على يدى المسيح بكونه ابن داود أى المسيا والملك الذى يأتى من نسل داود . أما المرة الثالثة فهى فى ١٢ : ٣٥ حيث يلقى السيد على الكتبة سؤالا عن موقف المسيح من داود : هل هو ابنه أم ربه ، وكلام السيد مقتبس من مزمور ١١٠ : ١ ولعلنا نجد الجواب على هذا السؤال الذى عجز اليهود عن الرد عليه ( متى ٢٢ : ٤٦ ) فى قصة البشارة للعذراء المذكورة فى لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨ حيث يقول الملاك للعذراء . « ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه » . فالمسيح هو ابن داود بحسب الجسد لكى يكون الوارث الشرعى للملك ، كما يقول الرسول بولس عن ابنه «الذى صار من نسل داود حسب الجسد . . » . ولكنه فى مجده وتمجيده هو «ابن الله وهو رب داود نفسه » ( رومية ١ : ٤ ) .

ويلاحظ هنا أن إنجيل لوقا يتبع إنجيل مرقس فى ذلك ولا يزيد عنه إلا

ما ذكر فى قصة الميلاد ، أما إنجيل متى فإنه يختلف عن ذلك فهو يضع تنبيراً خاصاً على هذا اللقب . فقد أكد على نسب المسيح من داود توكيداً خاصاً : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبرهيم » وذلك لكى يبرهن لليهود أن هو أيضاً المسيا الذى يقوم بأعمال الفداء والشفاء ( متى ۹ : ۲۷ ) يصرخ الأعميان طالبين الشفاء من ابن داود ويمنح لهما . وكذلك المرأة الفينيقية أيضاً تطلب من ابن داود أن يرحم ابنتها ( ١٥ : ٢٢ ) . ولعل الجموع قد فهمت ذلك عندما رأته يقوم بأعمال عظيمة أمام أعينهم فلم يسعهم إلا أن يقولوا « ألعل هذا هو ابن داود » ( ١٢ : ٢٣ ) فابن داود الذى ينتظره الناس قد جاء أخيراً ، وهو الذى يفدى الناس من براثن العاهات والمرض والأرواح الشريرة . ولهذا فالجموع فى أورشليم تقابله بالهتاف القوى أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب » ( ٢١ : ٩ و ١٥ ) . ويلاحظ أن متى ينبر على المسيا ابن داود ولا يذكر شيئاً عن المملكة . . مملكة داود نفسها التى يذكرها مرقس فى نفس الحادثة ، لأن متى يرى ابن داود هو نفسه الذى يمثل المملكة وهو الملك فيها . ويلاحظ أيضاً أن متى يذكر لقبين للمسيح هنا الأول هو ابن داود والثانى الآتى باسم الرب ، وهو بذلك يعلن أن ابن داود هذا الذى صار من نسله حسب الجسد هو نفسه المسيح الآتى باسم الرب كما يقول بطرس فى اعترافه المشهور .

المسيا :

من أهم الألقاب التى لقب بها المسيح أو المسيا . ومع أن متى يذكر هذا اللقب أكثر من الإنجيلين الآخرين ، إلا أننا إذا حذفنا قصة الميلاد فإنه يتضح أن الأناجيل الثلاثة تقريباً تذكر هذا اللقب فى أمكنة واحدة . أهمها عند حادثة قيصرية فيلبس واعتراف بطرس العظيم ( متى ١٦ : ١٦ مرقس ٨ : ١٩ ،

لوقا ٩ : ٢٠ ) ثم أمام رئيس الكهنة عند المحاكمة ( متى ٢٦ : ٦٣ و ٦٨ ، مرقس ١٤ : ٦١ ؛ لوقا ٢٢ : ٦٧ ) .

وإلى جانب هذا فقد يتفق إنجيلان فى ذكر موضع آخر . وقد يذكر أحد الأناجيل مواضع لا يشاركه فيها أحد . مثل مرقس ٩ : ٤١ وكذلك متى ٢٣ : ٨ و ١٠ ويشترك متى ومرقس فى إيراد اللقب فى الخطاب الرؤى ( متى ٢٤ : ٥ و ٢٣ ، مرقس ١٣ : ٢١ ) . ولكن لوقا لا يفعل . ومع ذلك فإن الموضعين اللذين يتفق فيهما الأناجيل الثلاثة يعتبران أهم المواقف كلها .

ولكننا هنا نلاحظ شيئاً آخر وهو أنه عندما يتقدم بطرس اعترافه ويذكر أن يسوع هو المسيح يتقبل المسيح الاعتراف مع تطويب بطرس ، ولكنه يغير اللقب مباشرة فيتكلم عن ابن الإنسان ونفس العمل قاله فى شهادته هو أمام رئيس الكهنة ، فإنه يوافق رئيس الكهنة عندما يستحلفه بأنه يخبرهم إن كان هو المسيح ، ولكنه عندما يكمل شهادته فإنه يتكلم عن ابن الإنسان وليس عن المسيح .

ثم يذكر لبطرس أن مصدر معرفته به ليس بشرياً ولكن الله نفسه قد أعلنه له ، بمعنى أن الظواهر الخارجية لا تدل بتاتاً أمام الناس على أنه هو المسيح .

وهناك شئ أخير وهو أن يسوع لم ينسب لنفسه اللقب فى أى من المواقف التى ورد فيها اللقب ، نعم أنه قبله عندما وصفه الناس به ، لكنه لم يفعل كما فعل مع لقب ابن الإنسان مثلا .

فهل هناك سبب لهذا كله ؟ إن الجواب الواضح على ذلك هو أن هذا

المفهوم « المسيا » كان اليهود يملأونه بمعان لم يقبلها يسوع ولم يرض بها . والمفهوم اليهودى هو أن المسيا هو الذى يتمم نبوة موسى ، وكما أن موسى قد نفذ الخروج الأول وأطلق الشعب من العبودية وجعلهم أمة ، هكذا سيفعل موسى الثانى وبكيفية أمجد بها لا يقاس سياسياً وروحياً ، فالمسيا فى نظر اليهودية شخصية سياسية ينصب عمله الأساسى على خلاص اليهود السياسى والروحى من الأمم تماماً كما فعل موسى الأول .

أما يسوع فقد ملأ هذا المفهوم بمعنى آخر نفهمه فى رده على بطرس فى قيصرية فيلبس ، وعلى رئيس الكهنة أثناء المحاكمة . فعند اعتراف بطرس ربط السيد هذا المفهوم بالألم والموت وعند رده على رئيس الكهنة ربطه بالمجئ فى مجد على سحاب السماء ، أى أنه ليس لليهود بل للكون كله . وهكذا يختلف مفهوم المسيح اختلافاً واضحاً بل ومتناقضاً عن مفهوم اليهود . إنه المسيح الفادى الذى جاء للعالم كله ، وهذا ما لا يقبله اليهود بتاتاً . ولهذا كان حذراً فى إطلاق هذا اللقب على نفسه .

ابن الله :

يعتقد كثير من الناس أن لقب ابن الله يمثل الجانب الإلهى عند يسوع المسيح ، أما عندما يلقب « بابن الإنسان » فإنه يقصد بذلك الجانب الإنسانى . قد يكون فى هذا بعض الحق . ولكنه لا يمثل الحقيقة كاملة ، ففى الأناجيل وخصوصاً فى إنجيل يوحنا الذى يذكر اللقب « ابن الله » أكثر من أى إنجيل آخر تظهر إنسانية يسوع بشكل ملحوظ وواضح ( يوحنا ١١ : ٢٥ — ٢٧ مع ٤ : ٦ ) بينما نجد أن ابن الإنسان يمثل المجد والعظمة والجلال فى كثير من الأحيان ( مرقس ١٤ : ٦٦ ) . إن التفسير الصحيح للألقاب هو أن كل لقب من ألقاب السيد يمثل جانباً خاصاً وهاماً فى رسالته وعمله كمخلص العالم ،

ومعلن لملكوت الله بين الناس ، وقد يظهر فى كل لقب جانبان : التواضع والمجد ، ولا يخفى أى جانب من الاثنين الجانب الآخر ، ولا يمكن أن يكون أحد الألقاب ممثلا لجانب واحد سواء أكان التواضع أو المجد — فقط . بل لا بد أن يظهر الاثنان معاً . وهكذا يظهر فى هذا اللقب ابن الله . ظهر هذا اللقب فى الأناجيل الثلاثة الأولى حوالى ٢٤ مرة تصريحاً وتلميحاً ، ولكن قبل أن ندرس بعضاً منها يجب أن نجيب على سؤال أولى وهو : من أين استقى العهد الجديد هذا اللقب ؟ هناك جماعة من العلماء تقول إن هذا اللقب — بعكس لقب المسيح — كان منتشراً فى الأوساط الوثنية . فمثلا كان فرعون مصر يلقب بابن الآلهة ، وهكذا كانت أمم أخرى تعتبر ملوكها وحكامها أبناء للآلهة . إلى جانب ذلك كان هناك شخصيات أخرى أطلقوا عليها لقب أبناء للآلهة أو « ابن الله » . وكان الواحد منهم يدعى إتيان المعجزات والخوارق والكرامات ، وكان الناس يلقبونهم بهذا اللقب . وقد امتلأ العالم الوثنى بهؤلاء . يقول هؤلاء العلماء إن العهد الجديد اقتبس هذا اللقب من الوثنيين وأطلقه على المخلص الذى قام بالمعجزات . هذا رأى سنرى ضعفه فيما بعد . على أن هناك جماعة أخرى تعتقد أن هذا اللقب مقتبس من العهد القديم نفسه ففيه سمى الشعب كله إبن الله ، وهذا ما قاله الرب نفسه لموسى : « تقول لفرعون هكذا يقول الرب . إسرائيل ابنى البكر ، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر » ( خروج ٤ : ٢٢ و ٢٣ ) . ويقول هوشع « لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابنى » ( هوشع ١١ : ١ ) . ثم أطلق هذا اللقب أيضاً على الملك فقد جاء ناثان إلى الملك داود وأخبره بقضاء الرب وقال عن ابنه الذى يرث الملك « أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابناً » ( ٢ صموئيل ٧ : ١٤ ) . وقد اعتقدت اليهودية بأن الأمة هى ابن الله . ولكن هناك فرق واضح بين الاعتقاد الوثنى وعقيدة الكتاب

المقدس ، فبينما يظن الوثنيون أن ملوكهم أو الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم « أبناء الله » هم كذلك لشئ خاص فيهم يميزهم عن بقية الناس فإن الكتاب المقدس يعلن أن هذا اللقب أعطى فضلا ونعمة من الله لجماعة لا تتميز عن الباقين وهذا ما ينادى به هوشع ، وما قاله الرب على فم موسى « ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم ، لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم ..» ( تثنية ٧ : ٧ و ٨ ) ولكن الرب لم يختره هم أو ملوكهم عبثاً ، بل للقيام برسالة محددة . إنه قربهم إليه أكثر من الجميع ودعاهم أبناء له ثم أرسلهم برسالة إلى الجميع .

هذا هو المعنى الذى نجده فى العالم الوثنى وفى العهد القديم وما أبعد الشقة بين الاثنين . وهنا نتساءل . هل هناك صلة بين أحد المفهومين السابقين وبين ما يذكره العهد الجديد ، وبالأخص الأناجيل الثلاثة الأول عن هذا المفهوم ؟ إن الرأى الصحيح هو أن العهد الجديد يسير فى نفس النمط الذى سار فيه العهد القديم ويأخذ بعض معانيه ، ولكنه فى نفس الوقت يضع عمقاً جديداً وبعداً جديداً فى ذلك المفهوم لم يعرفه العهد القديم .

وفى الأصحاحات الأولى من إنجيل متى نجد برهاناً واضحاً على ذلك . فهذا الإنجيل يقتبس قول هوشع السالف الذكر « من مصر دعوت ابنى » ويذكر أن بقاء الصبى يسوع فى مصر وخروجه منها يمتم تلك النبوة إتماماً صحيحاً كاملا ، وحيث أن النبى القديم كان يذكر هذه العبارة فى معرض حديث الرب عن عمله مع إسرائيل ، فيتضح لنا أن البشير قصد أن يعلن بالروح القدس أن هذا الصبى قد تمم الهدف والغرض من إقامة ذلك الشعب ، ليس فقط لأن هذا الشعب قد فشل فى هذا الهدف والرسالة ، لكن لأنه أصلا

كان يشير إلى مجئ هذا الصبي العظيم ، فسواء فشل أو نجح الشعب فى رسالته فإنه كان يشير إلى الكامل الذى سوف يأتى ويتمم رسالته .

وبهذه الكيفية نستطيع أن نفسر قصة تجربة المخلص فى البرية . فإنه قضى أربعين يوماً وليلة يجرب من إبليس ، ولكنه انتصر عليه . وهكذا نجح وانتصر حيث فشل الشعب فى البرية فتاه فيها ، إنه كإبن الله قد انتصر حيث فشل إسرائيل القديم ابن الله وسقط منهم كثيرون فى القفر . فالابن الحقيقى قد أتم هدف وغرض ذلك الشعب ونجح حيث فشل وسار فى الأرض يصنع خيراً ويشفى المتسلط عليهم إبليس . . على أن هذا اللقب عندما أسند إلى السيد فى العهد الجديد كان يعنى عمقاً أبعد من ذلك . ولكن هذا العمق لا يأتى — كما سبق وأوضحنا — من الطبيعة الأزلية للابن الأزلى فهذا الأمر لم تتعرض له الأناجيل الثلاثة الأولى بل والعهد الجديد كله تقريباً ، بل يأتى من طبيعة الصلة بين السيد ، الذى تجسد وصار جسداً وصار مثلنا ، وبين الآب السماوى . هذه الصلة تظهر فى الأمكنة التى تكلم فيها يسوع عن نفسه كإبن أو عند ما لقبه الغير بهذا اللقب وقبله هو .

ثم هناك أمر واضح وعجيب نراه فى الأناجيل الثلاثة الأول وهو أن كل الذين أطلقوا على السيد هذا اللقب عرفوه بطريقة تعتبر فوق الطبيعة ، أى أن معرفتهم لهذا اللقب لم تكن معرفة بشرية يستطيع الإنسان أن يستنتجها ، ولكنها معرفة جاءت من السماء ، فمثلا عندما اعترف بطرس بالمسيح أنه ابن الله قال السيد له « إن لحماً ودماً لم يعلنا لك ( متى ١٦ : ١٦ ) . أى أنها معرفة ليست بشرية ، وهكذا اعترف الشيطان أنه ابن الله ( متى ٤ : ٣ ) وكذلك الأرواح النجسة .

وقد أعلن الآب نفسه أولاً أن يسوع هو ابن الله وقت المعمودية (متى ٣ : ١٧)

ووقت التجلى (متى ١٧ : ٥) . هذا إلى جانب إعلانه هو عن نفسه أنه الابن بكيفية مطلقة (متى ١١ : ٢٧ – ٣٠) . هذا يدل على أن هذا اللقب ، بخلاف الألقاب الأخرى ، له دلالة خاصة فى حياة المسيح الأرضية وعلاقته بالآب . فهل نستطيع تحديد هذه الصلة التى بين الآب والابن والتى يعلنها هذا اللقب ؟ نعم : فحيثما ذكرت بنوية السيد لله سواء تكلم بها عن نفسه أو نسبها إليه الغير فإنها كانت تعنى أمرين : الخضوع والإعلان .

أما من ناحية الخضوع فإننا نجد ذلك واضحاً فى قصة المعمودية فقد جاءه الصوت من السماء « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٧ وما يقابله) المهم هنا فى هذا الاقتباس هو أنه أخذ من مكانين مختلفين من العهد القديم (مزمور ٢ : ٢٧ ، إشعياء ٤٢ : ١) ، ويجمع الصوت السماوى بهذا الاقتباس المزدوج المصدر بين مفهومين هامين : الابن والعبد ، وكأنما ربط بين المفهومين ليحدد رسالة المسيح ، فحيث أنه ابن فهو العبد أيضاً ، فالبنوية ليست بنوية المجد الظاهر والتسامى والجلال المضئ ولكنها بنوية الخدمة والطاعة ، وأنها طاعة عبد الرب الذى يتمم مشيئة الله

هذا هو المفهوم الذى ساد حياة السيد . فعندما واجهه المجرب فى البرية ، قال له « إن كنت ابن الله » . وهذه العبارة لا تفيد التشكك فى بنوية يسوع الإلهية لأن التركيب اللغوى للعبارة يفيد بأن الشيطان يعرف غاية المعرفة أن يسوع هو ابن الله ، وعلى هذا الأساس يطلب منه أن يستخدم هذه البنوية والمجد الذى يحيط بها فى إشباع رغبة الجسد ، أو التسلط على العالم كله . لكن يسوع رد على المجرب معلناً أن هذه البنوية لا تعنى استخدام القوة للغرض الشخصى ، ولكنها تظهر فى الخضوع للآب ولعمل مرضاته ، « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة

تخرج من فم الله » ( متى ٤ : ٤ و ١٠ ) . وهنا نجح يسوع الابن حيث فشل آدم وفشل إسرائيل لأنهم لم يعرفوا ما معنى البنوية لله . وهذا ما يؤيده الرسول بولس بقوله « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد . . » ( فيلبى ٤ : ٦ — ١١ ) .

هذا الخضوع يظهر أيضاً فى اعتراف بطرس كما أورده البشير متى إذ قال « أنت هو المسيح بن الله الحى » ( متى ١٦ : ١٦ ) فى هذا الموقف يعلن السيد أن بنويته هى بنوية الخدمة والطاعة والألم . ولما أنكر بطرس هذا الأمر نهره السيد بشدة قائلا له « اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»(١٦ :٢٣ ) وأنه الابن الذى يرسله صاحب الكرم ولكن الكرامين الأردياء يقتلونه ( مرقس ١٢ : ١ — ٩ ) فالبنوية تعنى الخضوع والطاعة لله .

ولكنها تعنى ثانياً المعرفة العظمى بالآب وإعلانه للناس. ونجد ذلك واضحا فى متى ١١ : ٢٧ « كل شئ قد دفع إلى من أبى وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » . وأن معرفة الآب ليست متاحة إلا للابن وهذا الابن هو الذى يوصلها إلى الناس ويعلنها لهم . هذا الأمر يتضح أكثر من إنجيل يوحنا حيث يتكلم عن معرفة الله عن طريق الابن ، ومعرفة الابن العميقة بدرجة لا يعرفها بشرى عن الآب السماوى .

ولأن بنوية السيد تمتاز عن بنوية المؤمنين فإنه لم ينطق أبداً فى مخاطبته للتلاميذ أو لأية جماعة بالقول « أبانا » إنه لم ينطق بها سوى مرة واحدة فى الصلاة الربانية ( متى ٦ : ٩ ) ولكنها لم تكن إلا أنموذجاً وضعه للتلاميذ عندما علمهم كيف يصلون . « فمتى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات »

فهو لم يضم نفسه معهم . ودائماً يقول السيد أباكم السماوى . (متى ٦ : ٢٦ و ٣٢ ، ٧ : ١٢ ؛ ١٠ : ٢٠) وعن نفسه « أبى » أو « الآب » ( ١١ : ٢٥ ، يوحنا ١٠ : ١٨ . . إلخ ) . هذا يعلن أن صلة البنوية عند المسيح أعظم بما لا يقاس من صلة المؤمن بالله ؛ فهذه الأخيرة كما يقول يوحنا بكل وضوح ، تجئ من بنوية المسيح نفسه « أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » (يوحنا ١ : ١٢) .

**ابن الإنسان :**

هذا اللقب هو الذى اختاره السيد لكى يطلقه على نفسه ، ويجئ فى الأناجيل الثلاثة الأولى وحدها حوالى ٦٩ مرة . هذا الاسم لم يطلقه إنسان على يسوع ؛ فلم يذكر التلاميذ فى موقف ما أنه هو ابن الإنسان . ولم يذكروا عن أحد ناداه أو دعاه بهذا الاسم ، لكنه كان وحده الذى يذكره عن نفسه على خلاف كثير من الألقاب الأخرى مثل ابن داود أو المسيح .

ولكى نفهم ما كان يعنيه السيد بهذا اللقب يجب أن نرجع إلى العهد القديم واليهودية. لقد جاء هذا الاسم فى حزقيال بمعناه العبرى ابن آدم ولم يكن يعنى أكثر من أن هذا الشخص الذى يكلمه الملاك هو إنسان وواحد من الناس حزقيال .

ويقابل هذه الكلمة العبرية كلمة أرامية كانت تترجم بمعنى إنسان أو ابن الإنسان وقد وردت فى دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ . أما الاصطلاح بمعناه الآخر فقد ورد فى دانيال ٧ : ١٣ — هناك يرى الرائى بشبه ابن إنسان يقربونه إلى القديم الأيام ثم يعطى ملكاً وسلطاناً وفى عدد ١٥ يذكر أن ابن الإنسان هذا هو شعب قديسى العلى الذى أعطى السلطان والمملكة ، وقد

جاء ابن الإنسان هذا فى مقابل ممالك الأرض التى شبه ممثلوها بالحيوانات . ومن هذا نستخلص أن ابن الإنسان هو شخصية ولكنه يمثل قديسى العلى .

أما فى اليهودية فهو يظهر فى الكتاب المسمى عرزا الرابع ١٤ حيث يظهر ابن الإنسان خارجاً من البحر . وراكباً فوق السحاب وأن العلى القدير سيحفظه عنده مدة طويلة ليخلص الخليقة بواسطته .

ثم يظهر مرة أخرى فى الكتاب الذى يسمى أخنوخ ( النسخة الأثيوبية ) أى من ص ٣٧ — ٧١ ، وتعتبر الأصحاحات ٤٦ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٢ و ٦٢ و ٦٩ و ٧١ من أهم الأجزاء التى تتكلم عنه . وفيه يظهر ابن الإنسان شخصاً ممجداً ذكر اسمه أمام القديم الأيام من قبل الخليقة . ولكنه سوف يظل مخفى حتى النهاية حين يعلن ديانا وحاكماً على كل العالم .

هذه لمحة بسيطة عن تاريخ الاصطلاح فى مقابلها نستطيع أن ندرس ما كان يعنيه السيد عندما تبنى هذا اللقب وأطلقه على نفسه .

يظن بعض الدارسين أن يسوع فى بعض المرات التى تكلم فيها عن ابن الإنسان لم يكن يقصد نفسه بل كان يقصد الإنسان عموماً ، مثال ذلك ما ذكره عن علاقة الإنسان بالسبت فى مرقس ٢ : ٢٧ فيقول « إن السبت خلق للانسان لا الإنسان للسبت ، إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » ويظنون أن الأصل الأرامى لا يفرق بين الإنسان وابن الإنسان فالإثنان ترجمة الكلمة الأرامية بارناشا ؛ ولكن تفسير وصية السبت بكيفية جديدة شئ يستطيعه أى إنسان . إن الذى يعمل ذلك هو رب السبت أو ابن الإنسان . وقد أعطى السيد نفس التفسير فى ( يوحنا ٥ : ١٧ ) » « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » إن شفاءه للانسان فى يوم السبت لازم لأن الآب يعمل حتى الآن

وهو كابن يجب أن يعمل الخير للناس في السبت وفي غير السبت . . تماماً كما يفعل الآب .

لكن السؤال الذي يواجهنا هنا هو : هل كان اللقب على فم يسوع يعني الجماعة أم يعني فرداً واحداً ؟ ابن الإنسان وشعبه أم ابن الإنسان كرجل واحد ؟ الحقيقة التي نستشفها من أقوال السيد هي أنه كان يقصد الاثنين معاً ، فلا يمكن أن ينكر دارس أن دانيال ٧ : ١٣ — ١٤ و ٢٧ و ٢٨ ) تحوى المعنيين معاً ، فابن الإنسان هو لقب تمثيلي ، أي أن من يحمله هو شخص يمثل مجتمع قديسي العلي ، وعندما كان يذكر كان يعني أحياناً هذا المثل بعينه ومرة أخرى المثل والذين يمثلهم .

وإذا كان السيد يستخدم نفس الاصطلاح فهو يعني هذه الحقيقة المتكاملة فالذين له يشاركونه الملكوت كما يقول لهم « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم سر أن يعطيكم الملكوت » ( لوقا ١٢ : ٣٢ ) ويقول « وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر ( لوقا ٢٢ : ٢٩ ) ، وأنهم سوف يشاركونه في الألم » من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » ( مرقس ٨ — ٣٤ . أنظر لوقا ١٤ : ٢٧ ، متى ١٠ : ٣٨ ) . وهكذا يظهر أن الذين هم له يشاركونه آلامه ومجده . ويعتقد بعض الدارسين أن قول السيد عن السبت « إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » ( مرقس ٢ : ٢٧ ) يقصد به شعب قديسي العلي الذي لأجله خلق السبت ، فهو سيد هذا السبت لا عبد له ، أي أن ابن الإنسان هنا له معنى جماعي وليس فقط فردي . ولعل هذه الحقيقة هي التي جعلت الرسول بولس يتكلم عن الجسد والرأس ، والبكر والأخوة . . وهذا ما يدل على الحقيقة الجماعية للمسيح وشعبه .

ولكن هذا لا يعني أن السيد اقتصر على هذا المعنى فقط فعندما قال للكاتب الذى طلب أن يتبعه « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » ( متى ٨ : ٢٠ ) ، ولليهود « ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » ( مرقس ٢ : ١٠ ) وللتلاميذ « أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم » ( مرقس ٨ : ٣١ ) فإنه بذلك يعطى هذا اللقب لنفسه كفرد . ولعل يوحنا البشير يوضح هذه الحقيقة عندما يضع كلمة « أنا » كتفسير لابن الإنسان فى قوله « فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو . . . » ) يوحنا ٨ : ٢٨ ) .

ابن الإنسان إذن ، فى كلام السيد ، يقصد به نفسه ، ولكن كممثل لشعب قديسى العلى الذين هم البقية المقدسة .

وهناك أمر آخر يثير التساؤل فى تعليم السيد عن ابن الإنسان وهو : لماذا يتكلم عن ابن الإنسان فى صيغة الغائب كأنه يفصل بين نفسه وبين ابن الإنسان ويظهر هذا الفصل أيضاً فى قوله « وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله ومن أنكرنى قدام الناس ينكره قدام ملائكة الله ( لوقا ١٢ : ٩ و ١٠ ) ، فهل هما شخصان منفصلان ؟ فكيف نقول عنه إنه هو ابن الإنسان ؟ وقد ظن بعض العلماء أن يسوع يتكلم عن شخص آخر غير نفسه ، عندما يتكلم عن ابن الإنسان . ولكن هذا القول مردود لسببين هامين ؛ الأول هو أن متى فى نفس المناسبة يستعمل الكلمة « أنا » فلا يفصل بين من ينكره الناس ومن ينكر هؤلاء الناكرين ( متى ١٠ : ٣٢ ) ، فكأن متى عرف أن ابن الإنسان هذا هو بعينه يسوع الذى يتكلم ويقول « أنا » : أما السبب الثانى فهو أنه لو قصد يسوع أن يفرق بين

« أنا » وبين ابن الإنسان ، لكان بذلك يجعل من نفسه الشخص الذى يأتى قدام وجه المسيا ليهيئ الطريق قدامه ، وهذا أمر مستبعد جداً لأن يسوع ذكر عن يوحنا أنه هو ذلك الشخص الذى يتقدم قدام وجهه ( متى ١١ : ٢ — ١٥، ١٧ : ١٢ و ١٣ ). أما أنه يتكلم عن ابن الإنسان فى شخص الغائب . فهو يفعل ذلك فى المواقف التى يقارن فيها بين عمله الآن وعمله فى المستقبل : أى ما بين عمله فى وقت تواضعه عندما تخلى عن مجده ، وبين ما عمله عند ما يأتى فى مجده مع ملائكة أبيه كما سنرى فيما بعد . فهو لا يتكلم عن شخصيتين مختلفتين ولكن عن شخص واحد فى موقفين متنوعين ، وفى عملين مختلفين : أحدهما عندما يكون فادياً والثانى عندما يكون دياناً ، وهذا ما سندرسه الآن .

إذن ما هو مركز ودور ابن الإنسان ؟ وأى عمل له فى ملكوت الله ؟ تنقسم غالبية المرات التى نطق بها السيد بهذا اللقب إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول هو عمله الحالى فى الأرض أما القسم الثانى فهو عمله عند مجيئه فى اليوم الأخير .

أما من جهة عمله الحالى ، فلعل أهم المرات التى يعلن فيها ذلك هى التى ربط فيها عمله كابن الإنسان بعمله كعبد الرب المتألم الفادى فمثلا « أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » ( مرقس ١٠ : ٤٥ ) لا الخدمة فقط بل الموت والألم أيضاً « إن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل » ( مرقس ٨ : ٣١ ) ولعل هذا العمل ، أى عمله كعبد الرب هو الذى جعله يقول « إن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » ( مرقس ٢ : ١٠ ) . لأن السلطان الذى له لم يكن ممنوحاً له فقط ، بل لأنه قام بالعمل العظيم الفدائى عمل عبد الرب . إذن فعمل ابن الإنسان الحالى هو التواضع والألم

والحياة التي تخلص الآخرين من خلال آلامه وهذا شئ غريب على الأذن اليهودية . إن ابن الإنسان الذى تعرفه اليهودية هو الملك الذى له سلطان لا ينتهى وملك يدوم ، أما ابن الإنسان المتواضع الذى أخلى نفسه فهذا شئ جديد عليها لم تكن تعرفه ، أما يسوع فقد ربطه بين عمل عبد الرب وابن الإنسان .

أما عمله فى المستقبل فهو عمل المجد ، وأيامه فى المستقبل تدعى أيام ابن الإنسان ( لوقا ١٧ : ٢٢ ) . وقد وصف مجيئه فى خطابه الرؤى ( متى ٢٤ : ٢٧ و ٣٧ — ٣٩ ) حينما يأتى بمجد أبيه مع الملائكة القديسين ، ( مرقس ٨ : ٣٨ ) . ولنلاحظ هنا أمراً مهماً وهو أن يسوع عندما يتكلم عن ظهوره فى المستقبل لا يقسم مجيئه إلى قسمين ولا يذكر بتاتاً فى الأناجيل أنه سيأتى مرة ثانية ، ويظهر ذلك فى اعترافه العظيم أمام السنهدريم « وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب السماء » ( مرقس ١٤ : ٦٢ ) إنه يذكر مظهرين فى عمله : مظهر التواضع والألم ، ومظهر المجد ولكنه عمل واحد . إنه عمل مترابط فمجيئه على الأرض : ولادته ورسالته وموته لا يطلق عليها مجيئه الأول مع أنه فى هذا المجئ حقق ما كان ينتظره العهد القديم من إعلان ملكوت الله ، ولم يتكلم فى أى من أحاديثه وتعاليمه عن مجئ ثان ولكنه يقول عنه « مجئ ابن الإنسان » فقط . ولهذا يعلن أن عمله كامل متكامل ، فليس هنا مجيئان أول وثان ولكنه ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » ( لوقا ٢٤ : ٢٥ ) .

أما عمله فى مجيئه فهو الدينونة ، وقد وصف بنفسه ذلك المنظر العظيم منظر الدينونة فى متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦ . حينما تفصل الجداء ويضعها عن اليسار والخراف ويضعها عن اليمين . ومع أن العهد الجديد يعلم أن الدينونة هى عمل الله ، ولكنه فى نفس الوقت يعلن أن الآب قد أعطى كل الدينونة

للإبن ، حتى الرسول بولس نفسه يعلن ذلك . فبينما يدين الله سرائر الناس ، لكننا جميعاً سنظهر أمام كرسي المسيح ( كورنثوس ٥ : ١٠ ) .

وهنا نلاحظ أن السيد قد أدخل عنصراً جديداً في الدينونة ، فالديان ليس شخصاً محايداً موضوعياً لم يكن له عمل سوى الدينونة ، ولكنه هو بنفسه الفادي : فذلك الذي سوف يظهر ليدين في أيام ابن الإنسان هو بنفسه الذي ظهر ليتألم وليفدي الناس من خطاياهم . وعلى هذا الأساس فإن أساس الدينونة يتوقف على موقف الناس منه ، وفي ظهوره المتواضع ومن عمله كعبد الرب « لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين » ( مرقس ٨ : ٣٨ ) أو كما يورده البشير متى « فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات » ( متى ١٠ : ٣٢ و ٣٣ ) لكن ليس ذلك فقط بل أنه يضع عنصراً آخر في هذه الدينونة وهو موقف الناس من إخوته الأصاغر ( متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦ ) . فمن فعل الخير بأحد أخوة المسيح الأصاغر فبه قد فعل ، ومن لم يفعل فإنه قد رفضه هو ، لكن ليس هذا عنصراً جديداً ولكنه التفسير الذي يضعه السيد في لقب ابن الإنسان : أنه يشمله هو مع شعب قديسي العلي الذين يسميهم الأخوة الأصاغر .

وهكذا نرى أن لقب ابن الإنسان يشابه لقب ابن داود في أن له وجهين : فكما أن السيد في تواضعه يدعى ابن داود وفي مجده بعد القيامة يدعى رب داود ، هكذا ابن الإنسان له وجهتان التواضع والآلام في الوقت الحاضر والمجد والدينونة في المستقبل .

عبدالرب :

نأتى الآن إلى هذا اللقب الذى يتميز بأمرين مهمين :

الأول هو أن السيد لم يذكره جهاراً ولم يقل عن نفسه أنه عبد الرب لكنه مع ذلك أعان أنه يتمم رسالة ذلك العبد فى الألم والموت الفدائى ، كما يظهر فى نبوات إشعياء فى الجزء الثانى من الكتاب .

أما الأمر الثانى فإن رسالة العبد يربطها المخلص بكل لقب أطلق عليه ، فإذا قيل له أنت المسيح أو ابن الله فإنه يذكر أنه سوف يتألم ويقتل ( متى ١٦ : ١٦ و ٢١ ) . وإذا تكلم هو عن نفسه كابن الإنسان فإنما يتكلم عن آلامه وموته ( مرقس ٨ : ٣١ ) ، فرسالة عبد الرب تتخلل أحاديث السيد وعمله خاصة بعد اعتراف قيصرية فيلبس عندما اعترف به بطرس . أما قبل ذلك فلم يحدث أن تكلم عنه ولعل السيد عرف أن الكلام صعب على الأفهام ومستحيل فى قبوله ، ولذلك أرجأ الحديث عن هذه الرسالة إلى ذلك الوقت المحدد .

ولكن الارتباط الحقيقى هو الذى يظهر بين اللقبين ابن الإنسان وعبدالرب ، والسبب فى ذلك أنهما اللقبان اللذان استخدمهما السيد فى وصف رسالته وعمله ، ويلوح أن هناك ارتباطاً فى التشابه بين رسالة الشخصين فى العهد القديم نفسه ، فكما أن عبد الرب هو شخص ممثل لمجموعة ومجتمع (إشعياء ٤٩ : ٥ ــ ١٣ ، ٥٠ : ٤ ــ ٩ ، ٥٢ : ١٣ ــ ٥٣ : ١٢ ) هكذا ابن الإنسان هو ممثل شعب قديسى العلى كما جاء فى دانيال ٧ .

ولكن رغم ذلك فلم يحدث فى اليهودية أن ارتبطت رسالة الشخصين معاً لأن اليهود كانوا ينتظرون ابن الإنسان الممجد الآتى من السماء لا أن يتمم رسالة عبد الرب المتألم المتواضع . هذا الإعلان الجديد الذى أعلنه السيد ولم

يستطع حتى التلاميذ ، أن يقبلوه ( متى ١٦ : ٢٢ وما يقابله ) ولم يفهموه إلا بعد أن قام من بين الأموات ( متى ١٧ : ٩ ) ولكن مع ارتباط ابن الإنسان وعبد الرب فى تعليم السيد ورسالته إلا أنه كان يستعمل لقب ابن الإنسان أكثر كثيراً من لقب عبد الرب ، والسبب فى ذلك هو أن ابن الإنسان يغطى منطقة واسعة فى رسالة السيد أوسع كثيراً من رسالة عبد الرب. فبينما يقتصر لقب عبد الرب على تواضع المسيح وآلامه يمتد لقب ابن الإنسان ليشمل رسالة التواضع والمجد فى الفداء .

هذا هو عمل السيد فى ملكوت الله .

## الفصل الثانى

# إنجيل مرقس

نأتى الآن إلى دراسة كل إنجيل من الأناجيل الثلاثة على حدة ولنبدأ بإنجيل مرقس .

فى الدراسات التقوية والتفسيرية للأناجيل يبدأ الدارسون عادة بإنجيل متى لأنه هو الأول فى الترتيب المكانى بالنسبة لها .

أما الدارسون دراسة علمية فيبدأون بإنجيل مرقس لأنهم يعتقدون أنه هو الذى كتب أولا زمنياً » وأن كاتبى الإنجيلين : الأول ( متى ) والثالث ( لوقا ) قد اتخذاه مرجعاً لهما فى كتابة إنجيلهما ، ولعله من المفيد هنا أن نوضح بعض الأسباب التى جعلت هؤلاء العلماء يعتقدون بذلك .

السبب الأول : هو أن مرقس يعتبر فى حقيقة الأمر حلقة الوصل ما بين متى ولوقا ، ويظهر ذلك فى أنه فى حالة اختلاف متى ولوقا فى ترتيب قصة المسيح فإن مرقس يتفق مع واحد منهما ويختلف مع الآخر أى أنه يتفق مع متى ويختلف مع لوقا أو مع لوقا ويختلف مع متى ، ولكن لا يمكن أن يتفق لوقا ومتى ويختلفان مع مرقس لنأخذ مثلا لذلك ( مرقس ص ٢ و ٣ ) :

مرقس ٢ : ١ — ٢٢ يتفق مع متى ٩ : ١ — ١٧ ولوقا ٥ : ١٧ — ٣٩ لكن إنجيل متى يختلف عن مرقس ابتداء من متى ٩ : ١٨ — ١١ : ٤٢ بينما لوقا يستمر فى الاتفاق مع مرقس فى ترتيب الحوادث .

أما فى مرقس ٢ : ٢٣ — ٣ : ٦ فيتفق مع متى ١٢ : ١ — ١٤ ولو ٦ : ١ — ١١ ، لكن لوقا يختلف بعد ذلك عن مرقس فى لوقا ٦ : ٢٠ — ٨ : ٣ بينما يتفق متى ومرقس فيما ما عدا مرقس ٣ : ١٣ — ١٩ ، متى ١٢ : ٣٣ — ٤٥ . ولا يرجع لوقا إلى ترتيب مرقس إلا عند ٨ : ٤

ولكن ابتداء من مرقس ٦ : ٧ نادراً ما يختلف متى ولوقا عن الترتيب الذى يتبعه مرقس

وهذا يدل — كما يقول العلماء أن إنجيل مرقس هو الأساس وحلقة الوصل فى ترتيب الحوادث بين الإنجيليين الآخرين متى ولوقا .

وهناك سبب ثان هو أسلوب مرقس فى سرد قصة السيد ، ففى بعض الأحيان يضيف تفاصيل دقيقة فى القصة يحاول الإنجيلان الآخران ، وخصوصاً متى ، أن يتخلصا منها مثل جلوس الخمسة آلاف على العشب الأخضر (مرقس ٦ : ٣٩ و ٤٠ مع متى ١٤ : ١٩ ويسوع كان على وسادة نائماً ( مرقس ٤ : ٣٨ مع متى ٨ : ٢٤ ) ، ووصف حالة المرأة النازفة الدم ( مرقس ٥ : ٢٦ مع متى ٩ : ٢٠ ، لو ٨ : ٤٣ ) ولعلهما كانا يفعلان ذلك لكى يوجدا مكاناً للتعاليم التى يوردانها وليست موجودة فى مرقس . ومن صفات أسلوب إنجيل مرقس أيضاً الصراحة التامة فى سرد القصة مما جعل البشيرين متى ولوقا يحاولان تخفيف وقع هذه الصراحة قارن ( مرقس ٦ : ٥ مع متى ١٣ : ٥٨ ، مرقس ٣ : ٢١ ) وغير ذلك .

ولعل أهم مثل على ذلك هو رد المخلص على سؤال التلاميذ بخصوص سبب التعليم بالأمثال ( مرقس ٤ : ١١ و ١٢ مع متى ١٣ : ١٣ و ١٤ ) فبينما يذكر مرقس أن الغرض من الأمثال هو جعل ملكوت الله شيئاً غير مفهوم

وغامض ، يظهر متى أن غموض الأمثال يتحقق فقط فى أولئك الذين تعمدوا ألا يفهموها فأغمضوا عيونهم لئلا ينظروا .

وهناك قانون يسير عليه دارسو النصوص يقول : إنه إذا شابه نصان فى كل شيء ولكن كان أحدهما أكثر صعوبة عن الآخر من ناحية القراءة أو المضمون ، فإن هذا النص الأخير يعتبر أقدم من الآخر لأنه من المعقول أن الكاتب المتأخر حاول جهده أن يصقل النص ويجعله أكثر سهولة وقبولا — أما أن ينقلب الأمر فيجعل الشخص المتأخر من النص السهل نصاً أصعب ، فهذا أمر لا يقبله الدارسون بسهولة . وعلى هذا الأساس فقد فهموا من وجود هذه الصعوبات فى مرقس شهادة على أنه كتب قبل الإنجيليين الآخرين ، وأن متى ولوقا البشيرين حاولا بأن يصقلا أسلوبه بطرق كثيرة .

**معلومات أولية عن إنجيل مرقس :**

قبل أن نقوم بدراسة مفصلة نوعاً ما عن إنجيل مرقس يستحسن أن نذكر شيئاً عن بعض المعلومات الأولية المساعدة لفهم هذا الإنجيل ، هذه المعلومات يسميها دارسو الكتاب « المقدمة » أو « المدخل » وهى التى تفتح الطريق إليه .

**كاتب الإنجيل :**

يعتقد كثير من الناس ما دام الاسم قد كتب فى مقدمة الإنجيل فقد انتهى كل أمر ولم يعد هناك مجال حتى للسؤال عن شخصية الكاتب ، ولكن ليس هذا هو واقع الأمر ، فقد بدأ بعض الناس يتساءلون عندما قرأوا العنوان « الإنجيل بحسب مرقس » من يكون هذا الشخص ؟ واستمرت الدراسة المستفيضة فى تاريخ الكنيسة وفى شهادة الكتاب نفسه وفى كل العهد الجديد حتى يمكن التأكد القاطع من شخصية الكاتب .

أما عن إنجيل مرقس فإن يوسابيوس فى تاريخه الكنسى يقتبس ما قاله بابياس .

« ولقد قال الشيخ أيضاً إن مرقس الذى صار مفسراً لبطرس قد كتب بكل دقة كل ما تذكره من أقوال وأعمال الرب ، ولكن ليس بالترتيب ، لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه ولكن كما قلت قبلا عن بطرس الذى ذكر من تعاليم السيد مايوافق حاجة السامعين بدون أن يهدف إلى كتابة كل ماقاله الرب وعمله : وهكذا فصل مرقس ، إنه لم يعمل خطأ واحداً فى كل ما ذكره وكتبه . . . » وهذه هى أقدم شهادة عن مرقس الذى أخذ عن بطرس كل ما كان يعلم به ويذكره من أقوال وأعمال الرب ، وهى شهادة أخذ بها كل الدارسين تقريباً وفى العصر الحديث لم يجد العلماء ما يعترضون به على نسبة هذا الكتاب إلى مرقس . فمن هو مرقس هذا ؟

لقد ورد ذكر هذا الاسم فى سفر الأعمال ٣ مرات أولا فى ١٢ : ١٢ حيث ذكر أن الكنيسة كانت تجتمع فى بيت أمه ، ويقال إن العلية التى كان يجتمع فيها التلاميذ بعد الصعود كانت فى هذا البيت ( أعمال ١ : ١٣ ) ولعلها كانت العلية التى مارس فيها الرب أول عشاء ربانى ( مرقس ١٤ : ١٥ ، لوقا ٢٢ : ١٢ . أما المرة الثانية التى ورد فيها اسم مرقس فهى أعمال ١٢ : ٢٥ حيث يذكر أن شاول وبرنابا أحضرا مرقس معهما من أورشليم .

والمرة الثالثة ذكر فى قصة رحلة برنابا وشاول التبشرية حيث تركهما فى فرجية ( أعمال ١٣ : ١٣ ) وقد رفض الرسول بولس أن يرافقهما مرة أخرى فى رحلتهما الثانية وافترق عن برنابا لهذا السبب ( ١٤ : ٣٦ — ٣٩ ) .

وقد ذكره بولس فى رسائله ثلاث مرات أيضاً فى كورنثوس ٤ : ١٠ حيث يبلغ الكنيسة تحياته ويذكر عنه أنه ابن أخت برنابا . ثم فى فليمون

٢٤ حيث يذكر عنه أنه يعمل معه مع آخرين ، وأخيراً فى ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ عندما يمتدحه ويقرر أنه نافع للعمل جداً ويطلب من تيموثاوس أن يحضره معه .

وأخيراً يذكر مرقس فى ١ بطرس ٥ : ١٣ « تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس ابنى » ويلوح أن بطرس كان يعمل مع مرقس فى روما فى ذلك الوقت ، ويستدل على ذلك أيضاً من شهادة بابياس سالفة الذكر حيث يذكر أن بطرس كان فى روما ، ومرقس كان معه .

هذا هو يوحنا مرقس فى العهد الجديد أما فى التقليد الكنسى فإنه يذهب إلى مصر مرتين : المرة الأولى حوالى سنة ٣٧م حيث أرسله بطرس الرسول فدخل الإسكندرية حوالى سنة ٤٠ م ومكث هناك إلى سنة ٤٤ م . ثم ذهب مع بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله وفى حوالى سنة ٤٩ م رجع إلى مصر وهناك بقى إلى نهاية حياته يبشر فى مصر بكل نشاط وهمة .

هذا هو مرقس فى العهد الجديد والتقليد وحيث أن هدف هذه الدراسة هو إعطاء المعلومات فقط فلا داعى للدخول فى مناقشات لا طائل تحتها .

تاريخ كتابة الإنجيل :

هناك اختلاف فى الرأى عن التاريخ الذى كتب فيه هذا الإنجيل .

١ ـــ الذين يتمسكون بالتقليد المصرى يؤكدون أن الإنجيل كتب فى منتصف الأربعينات .

٢ ـــ هناك عالم اسمه س. س تورى Torry يذكر أنه كتب فيما بين سنة ٣٩ و ٤٠ م بانياً رأيه على العبارة « فمتى نظرتم رجسة الخراب قائمة حيث لا ينبغى » ورجسة الخراب هى صورة كاليجولا .

وقد وضعت فى الهيكل كما يعتقد هذا العالم ، ولكن هذا رأىمشكوك فى صحته ومبنى على أساس ضعيف .

٣ — قال عالم آخر اسمه هارينك إنه كتب فى الخمسينات .

٤ — معظم العلماء يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ — ٧٠ م ويبنون عقيدتهم على الأمور التالية شهادة إيريناوس الذى يقول إن مرقس كتب إنجيله بعدموت بطرس وبولس .

ثم أن الأصحاح ١٣ يصف الحالة فى أورشليم قبل خرابها ثم تأكيد الاضطهادات والآلامات بعكس الفترة التى كتب فيها وهى فى الستينات ومات بسببها بطرس وبولس . (مرقس ٨ : ٣٤ — ٣٨ ؛ ١٠ : ٣٨ و ٣٩ ، ١٣ : ٩ — ١٣ . . . إلخ ) .

وأخيراً التأكيد على حرية الأمم مما يدل على أن المناقشة فى هذا الموضوع كانت مشتعلة إلى ذلك الوقت ( ص ٧ ) .

هذه الآراء قوية ولا يمكن أن يتجاهلها دارس .

**مكان كتابته :**

هناك ٣ نظريات بخصوص المكان الذى كتب فيه هذا الإنجيل :

١ — ما قاله كريسستم ( يوحنا فم الذهب ) من أن الإنجيل كتب فى مصر ولكن هذا يناقضه أكليمندس الإسكندرى وأوريجانوس .

٢ — هناك رأى يقول إنه كتب فى أنطاكية . فيوحنا الشيخ الذى يقتبس بابياس شهادته كان يسكن فى الشرق . ثم أن ظهور بعض الكلمات الأرامية فى الإنجيل يؤيد ذلك ، ولكن هذه الآراء غير مقنعة .

٣ ــ أما غالبية العلماء فيعتقدون أنه كتب فى روما . فشهادة إيرينايوس وإكليمندس الإسكندرى يؤيد ذلك ، ثم هناك حقيقة تفسير الكلمات الأرامية .

تفسير الكلمات الأرامية : مثل طاليثاقومى ( ٥ : ٤١ ، انفثا ٧ : ٣٤ ) وغير ذلك وإلى جانب ذلك يعطى تفسيراً لعوائد اليهود وطقوسهم بطريقة تجعل القارئ يفهم أنه لم يكتب لجماعة يهود أو قريبين من اليهودية وذلك واضح فى ص ٧ : ٣ و ٤ .

مما يدل على أن القراء غرباء عن الأرامية ، وأخيراً ظهور بعض الكلمات اللاتينية فى الإنجيل مثل « دينار » ، « لجئون » ، كل هذه أدلة قوية على أن روما هى المكان الذى كتب فيه إنجيل مرقس .

**الطابع الأدبى للانجيل :**

للانجيل طابعه الأدبى الخاص به ومجمل أراء الدارسين عنه ما يأتى :

١ ــ لقد كتب بأسلوب شعبى بسيط يماثل كثيراً أسلوب التعامل اليومى الذى ظهر فى أوراق البردى والنقوش اليونانية التى وجدت خاصة فى مصر . وهو بذلك يختلف عن أجزاء كثيرة فصيحة فى إنجيل لوقا وسفر الرؤيا الأعمال ورسالة يعقوب ورسالة العبرانيين . ثم أنه يستخدم الجمل القصيرة الغير مركبة ولهذا يستخدم أداة الربط بكثرة وهى « و » ، « أيضاً » . . . إلخ .

ولكن هذا الأسلوب يمتاز بحيوية دافقة قوية ميزت هذا الإنجيل عن غيره من كتب العهد الجديد ، وتظهر هذه الحيوية فى كثرة استخدام ألفاظ السرعة مثل « حالا » ، « للوقت » ، وتظهر هذه الألفاظ حوالى ٤١ مرة ، مما يعطى القصة حركة سريعة مستمرة . ومما يزيد قصته حركة وسرعة استعمال

البشير لما نسميه « المضارع التاريخي » أى أنه يستخدم الفعل المضارع عندما يذكر قصة عن يسوع ، وقد ظهر المضارع التاريخي هذا حوالى ١٤١ مرة فى الإنجيل كله ( طبعاً هذا يظهر فى اللغة اليونانية ) .

وإلى جانب ذلك فالبشير يذكر تفاصيل مثيرة مما يؤكد أن من يذكرها هنا كان شاهد عيان ولم يكن سامعاً من آخرين ، أو قارئاً لقصة كتاب سبقوه ، فالخمسة آلاف الذين أطعمهم يسوع كانوا يجلسون مئة مئة وخمسون خمسون وذلك على العشب الأخضر ( ٦ : ٣٩ و ٤٠ ) . ويسوع كان فى المؤخرة على وسادة نائماً فى المركب ( ٤ : ٣٨ ) . وعندما يقبل الأطفال إنه يحتضنهم ويضع يديه عليهم ويباركهم ( ١٠ : ١٦ ) ، وهكذا مما يجعل للقصة قوة وتأثيراً كبيرين .

ويصف هذا الإنجيل عواطف يسوع بطريقة واضحة قوية . فيسوع عندما يسمع الشاب الذى يسأل عن الحياة الأبدية « ينظر إليه ويحبه » ( ١٠ : ٢١ ) وعندما يقابل المريض ويشفيه فإنه « أن » ( ٧ : ٣٤ ) ، ثم يتنهد من قساوة الناس ( ٨ : ١٢ ) ، ولكنه يتحنن عليهم ( ٦ : ٣٤ ) ، أحياناً يتعجب من عدم إيمانهم ( ٦ : ٦ ) ، ويغتاظ من أبعاد الأطفال عنه ( ١٠ : ١٤ ) ، ويغضب ويحزن على العناد الجاهل الذى يراه فى الفريسيين والكتبة ( ٣ : ٥ ) ، ولم يقدر أن يعمل آية واحدة لقساوتهم ( ٦ : ٥ ) .

وعندما يتكلم الإنجيل عن التلاميذ فإنه يذكر أيضاً أشياء جريئة حاسمة فعلامة الأرغفة عندما أشبع الآلاف بأرغفة قليلة لم تؤثر فيهم لأن قلوبهم كانت غليظة ( ٦ : ٥٢ ، ٨ : ١٧ و ٢١ ) ، وكانوا يحفظون الكلام دون أن يفهموه ( ٩ : ١٠ و ٣٢ ) ، وكانوا يتحيرون من أشياء كثيرة يقولها ويعملها ( ١٠ : ٢٤ و ٣٢ ) ، ولم يقتصر الأمر على تلاميذه ولكن تعداه

وبصورة أشد وأقسى إلى أقربائه فقد خرجوا لكى يمسكوه لأنهم حسبوه أنه مختل ( ٣ : ٢١ ) . وسامعوه من الشعب كانوا يتحيرون من عمله وتعاليمه ( ١ : ٢٧ ) .

هذه الصراحة التامة فى كتابة هذا الإنجيل تعطى لقصته كل حيوية ، بل تعطى الإحساس بأنه كان موضوعياً فى كتابته ، فلم يتأثر بأى عاطفة ، بل كتب كل ما وجده من قصة يسوع الرب وما سمعه . هذه الصراحة ينفرد بها مرقس البشير دوناً عن أى إنجيلى آخر ، ولعل مثلا واحداً أو مثلين يكفيان لتبيان هذا الموقف المنفرد فبينما يذكر مرقس أن أقرباء السيد كانوا يظنون أنه مختل ، يذكر متى البشير هذه القصة دون أن يشير إلى أى موقف من أقرباه ( متى ١٢ : ٤٦ — ٥٠ ) وكذلك لوقاالبشير (لوقا ٨ : ١٩ — ٢١). أما فى إنجيل يوحنا فإن الموقف يذكر بطريقة أخرى ، إذيكتبأنهم لم يكونوا يؤمنون به ( يوحنا ٧ : ٥ ) .

وهناك مثل آخر : ففى وطنه قابل يسوع عدم إيمان عنيف ، ولهذا يقول مرقس إن يسوع « لم يقدر أن يصنع ولا قوة واحدة » ( مرقس ٦ : ٥ ) ، فى حين أن متى البشير يذكر هذه الحادثة ويقول « ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم ( ١٣ : ٥٨ ) . وما أبعد الشقة بين التعبيرين ، أما لوقا فلم يذكر شيئاً من هذا القبيل ، مع أنه يذكر الموقف نفسه بتفصيل واسع (لوقا ١٦ — ٣٠ ) .

وهكذا يظهر تفرد إنجيل مرقس بهذه الخاصية مما يجعل لقصته حيوية وموضوعية متمايزتين .

## ٢ – اهتمامه بالقصة أكثر من التعاليم :

وهذه ميزة أخرى ينفرد بها مرقس البشير . ويستحسن أن نعمل مقارنة بين متى ولوقا من جانب ومرقس من جانب آخر ، وبذلك نستطيع أن نعرف القدر الضئيل لأقوال السيد المذكور فى إنجيل مرقس إذا قورنت بالإنجيلين الآخرين ، ناهيك عن إنجيل يوحنا . فإذا قارنا إنجيل مرقس بإنجيل متى فإننا نجد الفرق الكبير ، فمثلا نجد فى إنجيل متى الموعظة على الجبل ( ص ٥ – ٧ ) ولا نجد لها أثراً فى إنجيل مرقس سوى بعض الأجزاء الصغيرة المنثورة هنا وهناك فى مواقف مختلفة ومتعددة ( مرقس ٤ : ٢١ – ٢٥ ) .

وبالمثل فى الأمثال فإننا نجد ٤ أمثال فى ( ص ٤ ) بينما نجد ٧ أمثلة فى الأصحاح المقابل له فى إنجيل متى ( ص ١٣ ) . وفى إرسالية المسيح لتلاميذه ( متى ١٠ ، مرقس ٦ ). ففى متى يلقى تعليمات الإرسالية فى ٣٧ عدداً بينما مرقس يذكرها فى ٦ أعداد فقط ، وهكذا فى مقابلة الإنجيليين ، وبالمثل نجد نفس الأمر بينه وبين لوقا .

من هذا يتضح أن مرقس البشير لم يهتم كثيراً بالتعليم نفسه مع أنه – كما سنرى فيما بعد – عندما نتكلم عن لاهوته وسلطان المسيح ، كان يعتبر تعليم المسيح عنصراً أساسياً من عناصر سلطانه ( ١ : ٢٢ ) .

وأهم أنواع التعاليم التى يحتويها إنجيل مرقس ثلاثة : المثل ثم الأقوال ثم الكتابة الروؤية .

### الأمثال :

كل الأمثال التى وردت فى إنجيل مرقس أربعة فقط وهى مثل الزارع وتفسيره ( ٤ : ٢ – ٢١ ) ، ثم مثل النبات الذى ينبت سراً ( ٤ : ٢٦ – ٢٩ ) ،

ومثل حبة الخردل ( ٤ : ٣٠ — ٣٢ ) ، وأخيراً مثل الكرامين الأردياء ( ١٢ : ٣ — ١٢ ) . ولقد قال الرب الأمثلة الثلاثة الأولى فى الجليل ، ثم ذكر الأخير فى أورشليم . وفى تعليم السيد بالأمثال يذكر عنه إنجيل مرقس قولا هو فى الحقيقة اقتباس من إشعياء « . . وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم ( ٤ : ١١ و ١٢ ) . ولقد استمر هذا القول لغزاً لدى جميع المفسرين ، إذ كيف يتكلم المسيح بأمثال لكى يغلق على الناس مفهوم ملكوت السموات ؟ وما غرضه من ذلك ؟ هل هو حقيقة يفعل ذلك لكى لا يرجعوا إلى الله فتغفر لهم خطاياهم ؟ وهل يتفق هذا الموقف مع مجئ السيد نفسه ورسالته ؟

إن كثيراً من المفسرين يفهمون كلمة « مثل » فى هذا الموقف بمعنى آخر — خاصة فى كلمة الرب نفسه ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شئ (ع ١١ ) — أمثال هنا مرادفة لكلمة « ألغاز » ، وهى لا تنطبق فقط على نوع واحد من تعاليم السيد أى الأمثال ، ولكنها تنطبق على كل تعاليمه . . أى أن تعاليمه كلها هى عبارة عن الغاز لدى هؤلاء الناس لا يستطيعون فهمها . وهذا التفسير ليس غريباً على الكتاب المقدس .

وعلى هذا فقد اقتبس المسيح قول إشعياء الذى يصف صدود الناس عن سماع كلمة الله وصفاً ساخراً ، كأن الرب نفسه هو الذى طمس أذهانهم وقلوبهم حتى لا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم .

فإذا كان هذا المعنى والتفسير « ألغاز » ينطبق على كل تعاليم المسيح بالنسبة للذين هم من الخارج ، الذين قسوا قلوبهم فهذا لا يضير تعاليمه بالأمثال ، ولا يمكن أن نصفها على أنها معميات بل هى حقائق عظيمة سامية توضع

في قوالب سهلة ، أخذت من حياة الناس لكى توضح لهم هذه الحقائق ، أما هم فلقساوة قلوبهم لم يفهموها ، شأنها فى ذلك شأن سائر تعاليمه . فمهما كان نور الشمس باهراً فإنه لا ينفع الأعمى شيئاً .

**الأقوال أو إعلان حقائق روحية :**

هذا هو النوع الثانى من تعاليم يسوع فى إنجيل مرقس . ويقصد بذلك أن هناك قصصاً قصيرة ، ومواقف خاصة جاز فيها السيد وتلاميذه ، وفى هذه المواقف أعطى إعلاناً سامياً وحقيقة روحية عميقة ، تكشف عن الأعماق الجديدة التى للعهد الجديد . ولقد ذكر إنجيل مرقس حوالى ١٩ موقفاً منها ، ذاكراً فى نهاية كل منها إعلان حقيقة نطق بها المسيح .

٢ : ٥ — ١٠ قصة شفاء المفلوج وفيها يعلن السيد : « أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » .

٢ : ١٦ و ١٧ انتقاد الكتبة والفريسيين للمسيح على أنه يأكل مع عشارين وخطاة وفى هذا الموقف يعلن « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ، لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » .

٢ : ١٨ — ٢٢ السؤال عن عدم صيام تلاميذ المسيح وهنا يعلن « هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ .

٢ : ٢٣ — ٢٦ قطف التلاميذ السنابل وانتقاد الفريسيين لهم ، وينهى السيد كلامه بالقول « السبت إنما جعل للانسان لا الإنسان لأجل السبت ، إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً . » .

٣ : ١ — ٦ شفاء يد الرجل اليابسة فى السبت ، فيها يتساءل السيد « هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص نفس أو قتل ؟ .

٣ : ٢٢ — ٢٦ اتهام الكتبة إياه أنه ببعلزبول يخرج الشياطين فقال « كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً وإن انقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت »

٣ : ٣١ — ٣٥ أقرباء المسيح الحقيقيون « من أمى وإخوتى ؟ ها أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى » .

٧ : ١ — ٨ عن غسل اليدين وعادات اليهود يقول السيد رداً على انتقادهم للتلاميذ . لأنهم لم يغسلوا أياديهم « حسناً تنبأ عنكم إشعياء ، هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . . » .

٧ — — ١٣ إعلان يسوع عن القربان : « . . . لأن موسى قال أكرم أباك وأمك . . » .

٩ : ٣٨ و ٣٩ يوحنا يذكر لسيده أنهم منعوا شخصاً يخرج الشيطان باسمه وهو ليس يتبعهم يقول السيد « لا تمنعوه لأن ليس أحداً يصنع قوة باسمى ويستطيع سريعاً أن يقول على شرا » .

١٠ : ١ — ٩ عن الطلاق والزنى إذ يقول « من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . . » .

١٠ : ١٣ – ١٦ عند تقديم الأولاد له ليباركهم يقول « دعوا الأولاد يأتون إلى . . . » .

١١ : ٢٧ – ٣٣ عندما سأله رؤساء الكهنة عن السلطان الذى له لكى يخرج الباعة من الهيكل » فسألهم يسوع بدوره « وأنا أسألكم . . معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس . . . » .

١٢ : ١٣ – ١٧ عن الجزية عندما قال رداً على محاولة اصطياد الفريسيين له بكلمة « . . أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

١٢ : ١٨ – ٢٧ عن القيامة وقصة المرأة التى صارت زوجة للسبعة قال » . . « أليس لهذا تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . . . » .

١٢ : ٢٨ – ٣٤ الوصية الأولى فى الناموس قال يسوع « . . تحب الرب إلهك وتحب قريبك كنفسك » .

١٢ : ٣٥ – ٣٧ عن المسيح وكونه ابن داود « كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود لأن داود نفسه يقول بالروح القدس قال الرب لربى . . . . » .

١٢ : ٤١ – ٤٤ عن فلس المرأة إذ قال السيد « الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة . . . » .

١٣ : ١ – ٢ عن خراب الهيكل إذ أعلن أنه « لا يترك حجر على حجر لا ينقض » .

هذه هي المواقف التي أعلن فيها السيد الإعلانات الجديدة ويظهر من دراستها أن البشير في ذكره لهذا الموقف والإعلان كان ينبر بالأكثر على هذا الإعلان ويعتبره الجزء الأهم في القصة كلها ، وما القصة والموقف إلا إعداداً لهذا الإعلان السامي .

**٣ – الكتابة الرؤوية :**

ما نقصده بالكتابة الرؤوية هو ما جاء في ص ١٣ ولعل هذه التسمية غير صحيحة في كثير من جوانبها ، فالجزء الرؤوي في هذا الأصحاح لا يتعدى ١٣ عدداً وهي أعداد ٧ و ٨ و ١٤ – ٢٠ و ٢٤ – ٢٧ . والكتابة الرؤوية ، وهي التي كتب بها سفر الرؤيا وأجزاء من سفر دانيال ، تتلخص في وصف الحروب والصراع الذي بين الله وشعبه من ناحية والشرير أو الشيطان ومن له من ناحية أخرى ، وصفاً تتدخل فيه القوى الطبيعية من زلازل وبراكين وسقوط نجوم من السماء ، وتظهر فيه ألغاز يمكن حلها إذا عرف مفتاحها ، ولا بد أن ينتصر شعب الله أخيراً و يملك الله . هذا هو أسلوب الكتابة الرؤوية. ومقياساً على هذا نستطيع أن نقول إن هذه الأعداد السابقة الذكر تشابه إلى حد كبير هذا النوع من الكتابة مع أنها تختلف في بعض نواحيها . « فمثلا لماذا لا نجد في نهايتها وصفاً لنهاية الشيطان وإلقائه إلى أسفل ؟ ووصفاً للدينونية النهائية وزوال الشر من الوجود ؟ هذه العناصر التي لا بد من وجودها في الكتابة الرؤوية .

لكن إلى جانب هذا الجزء يوجد باقي خطاب المسيح ، ولكن سنبقي دراسة هذا الأصحاح كله إلى أن نصل إلى الجزء الخاص بلاهوت إنجيل مرقس لكي نتفهم معناه .

**نظرية نهاية الإنجيل :**

فى النسخة العربية التى بين أيدينا ينتهى الإنجيل عند ١٦ : ٢٠ ، ولكن هناك مشكلة كبيرة بخصوص الأعداد ٩ ــ ٢٠ من هذا الأصحاح وتتلخص المشكلة فى أمرين :

هل هذه الأعداد ٩ ــ ٢٠ أصيلة فى الإنجيل ، بمعنى هل كتبها مرقس فى نهاية إنجيله ليختتمه ؟ ظهر هذا السؤال نتيجة لعاملين مهمين جداً : الأول هو أن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية . والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد . وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منهما إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات القديمة المعتمدة مثل السريانية والأرامية .

ويتصل بذلك أن بعض المخطوطات والترجمات تتضمن نهايتين إحداهما كبيرة ٩ ــ ٢٠ والأخرى صغيرة ، ومنها الترجمة القبطية الصعيدية والبحرية وفى مخطوطة واحدة لاتينية قديمة لا توجد سوى النهاية فى الصغيرة ولكنها لا تحتوى على الأعداد ٩ ــ ٢٠ .

وإلى جانب هذه النهايات المختلفة يظهر . وخاصة فى اللغة اليونانية ــ اختلاف واضح فى الأسلوب بين الأعداد ٩ ــ ٢٠ وبقية الإنجيل والكلمات المستعملة فيه . وكذلك فإن من يدقق الدراسة فإنه يدهش لما يبديه( ع ٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى فى الأصحاح لأنه يحاول التعريف بها فى نفس الوقت الذى يذكرها فى العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تقل فى ذلك عن مريم أم يعقوب وسالومة .

على أساس هذين الاعتبارين فقد اعتقدت الغالبية العظمى من الدارسين أن هذه النهاية ليست من وضع البشير نفسه ، وأنها قد أضيفت إلى الإنجيل بعد ذلك .

٢ — وهنا يواجهنا الأمر الثانى وهو أن العدد ٨ الذى يظن العلماء أنه نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية ، فالترجمة الحرفية له تنتهى بكلمة « لأنه » ولا يعقل أن ينتهى كتاب هكذا ، وليس ذلك فقط ، بل كيف يمكن لمرقس وهو الإنجيلى الذى يظهر رسالة الإنجيل فى أول كتابه وأن ملكوت قد جاء ينهى هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات — إن المنطق لا يقبل ذلك .

وعلى هذا الأساس ينتهى الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن مرقس لم يترك إنجيله هكذا ، لا بد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما ، كأن قطعت الورقة أو تشوهت الكتابة ، وإلا فإن مرقس عندما وصل إلى العدد ٨ حدثت له حادثة منعته عن التكملة .

إن كل شئ جائز إلا أن ينتهى الإنجيل بنهاية عدد ٨ .

هذه هى مشكلة النهاية ، ويلوح أن أحد الكتبة الأقدمين أضاف النهاية الصغيرة التى ذكرت من قبل لكى يتفادى النقص الموجود فى النسخة التى بيده . ثم أضيفت النهاية الكبرى لإعلان ظهور المسيح لتلاميذه وإرساله لهم وذلك فى أسلوب مختصر يحتوى على ظهورات كثيرة فى أعداد قليلة بخلاف الأناجيل الأخرى .

هذا ما يؤكده الغالبية العظمى للدارسين .

ولاستكمال الدراسة يستحسن أن نذكر هنا النهاية القصيرة التى وجدت فى الترجمة القبطية وبعض المخطوطات اليونانية الأخرى وكل ما أمروا به أخبروا به بطرس ومن معه . وبعد هذه الأمور ظهر يسوع نفسه ومن الشرق إلى الغرب أرسل معهم الكرازة المقدسة الباقية دائماً . الكرازة بالخلاص » .

**رسالة انجيل مرقس :**

ما هى الرسالة التى ينفرد بها هذا الإنجيل ؟

١ — إذا اعتقدنا أن إنجيل مرقس هو أول إنجيل كتب فهذا يعنى أن القديس مرقس قد أوجد نوعاً جديداً من الآداب لم يكن معروفاً من قبل . فمن يقرأه قد يظن أنه تاريخ حياة لأنه يجدفيه قصصاً من حياة ورسالة يسوع . ولكن كما سبق وقلنا : لم يكن هذا الإنجيل يهدف إلى هذا أساساً . إنه لم يذكر هذه القصص لكى يعرفنا بتاريخ حياة السيد ، ولكنه كان يقصد شيئاً آخر يظهر بمجرد أن يبدأ الدارس فى القراءة.إنه يبدأ بالقول بدء إنجيل يسوع المسيح « ابن الله » . إن هذا الكتاب مملوء بالعقيدة والتفكير اللاهوتى ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن نعتبره كتاب لاهوت أو مقالة لاهوتية كتبت لهذا الغرض .

إن أصدق وصف لهذا النوع من الكتابة أنه« كرازى » Kérygmatic ، إنه إعلان خبر أو حقيقة للمجتمع ، وهو يستخدم القصص التى حدثت فى حياة هذا الإنسان : يسوع الناصرى ، وعقيدته فيه ، لكى يوضح هذه الحقيقة أو هذه الحادثة الجديدة ويشرحها . إنه إنجيل . وهذا يعنى أن المادة التى يحتوى عليها لها صلة خاصة بالبشارة المسيحية الأولى التى تسجلها كيرجما Kerygma وفى هذا يشترك البشير مرقس مع من تبعوه فى الكتابة مثل القديس متى والقديس لوقا والقديس يوحنا .

٢ — إذا استرجعنا ما سبق وقيل عن المميزات الأدبية لهذا الإنجيل ، كاهتمامه بالقصة والخبر أكثر من التعليم ، وطريقة تقديمه للمادة التى لديه ، والأسلوب الذى كتب به . . ذلك الأسلوب الحى المتدفق ، فيجب أن نذكر هنا أنه كتب هكذا لهدف ولغرض أساسى سوف نعرفه بعد أن نذكر صفة

أخرى فى إنجيل مرقس . لقد قيل عنه بحق ، إن أساسه هو قصة آلام السيد ، أى قصة الأسبوع الأخير بما يتخلله من مجابهات وآلام ثم موت السيد وقيامته هذه القصة تسبقها مقدمة طويلة تمهد لها. فحجم قصة أسبوع الآلام الأخير . أقل قليلا من نصف الكتاب ، وقد ذكرت بتفاصيل دقيقة ، وتتابع يومى لا مثيل له فى بقية الإنجيل ، مما يدل على أن هذا الأسبوع وما حدث فيه وما تبعه بعد ذلك كان الهدف الأساسى من الكتابة ويلاحظ القارئ لهذه المقدمة الطويلة أنها تقوده بالتدريج وتكشف له الغطاء رويداً رويداً ، فكلما تقدم فى القراءة كلما أحس أنه يقترب من قصة الآلام ، أو من مثل هذه النهاية التى ينتهى بها الكتاب . . ولعل أهم مثال لذلك تلك الأقوال التى نطق بها السيد مشيراً إلى موته وألمه وقيامته . فقد بدأ بالتلميح ، إلى ذلك، ثم بدأ يكشف رويداً وتدريجياً حتى يتمكن من وضعها فى قلب وعقل هؤلاء التلاميذ ، لكى يتحملوا الصدمة ولا يتحطموا نهائياً عند حدوثها . فبدأ بالصيام : إنهم يصومون متى رفع العريس عنهم ( ٢ : ٢٠ ) ثم تقدم إلى وصف الصراع الذى دار بين السيد والفريسيين ( ٣ : ٥ ) ، ثم إلى التصريح العلنى بقتله ( ٨ : ٣١ ) ، وهكذا سار (أنظر ٩ : ١٢ و ٣١ و ١٠ : ٣٣ و ٣٤ و ٣٨ و ٤٥ و ١٢ : ٦ – ٨ و ١٤ : ٨ و ١٧ – ٢١ و ٢٢ – ٢٥ و ٢٧ و ٣٤ و ٣٦ – ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٨ و ٤٩ ) . وبهذا الأمر يكشف الإنجيل أن الهدف الأساسى لعمل السيد وتعاليمه هو هذا العمل الأخير وهو ألمه وموته وقيامته من بين الأموات .

ولكن فى هذا الجو . . جو الألم لا يرسم الإنجيل صورة مقبضة لمسيح مظلوم : كشاة سيق إلى الذبح وهو منكسر ويستسلم لأعدائه دون مقاومة لأنه ضعيف لا يقدر أن يفعل غير ذلك . . كلا هذه ليست الصورة الأساسية

للسيد ، إنه يسير بنفسه إلى أورشليم مثبتاً وجهه نحوها ، ( ١٠ : ١ و ٣٢–٣٤) فيذهب إلى المكان والجماعة التي ستقتله . إنه يواجه الفريسيين بكل شجاعة لكي يعلن لهم الحقيقة والحق ، حتى ولو أدى ذلك إلى مؤامرتهم عليه لكي يقتلوه ( ٣ : ٥ و ٦ ) ويتحداهم في شرهم ويخرج تجارتهم من بيت الله بسوط من حبال ، ( ١١ ، ١٥ – ١٨ ) . وفي محاكمته أمام جميع ممثلي قوى العالم اليهودي والروماني وقف يشهد ، ويمتنع عن الكلام ، كما يجد الوقت مناسباً لذلك . ( ١٤ : ٦١ – ٦٥ ؛ ١٥ : ٢ – ٥ )

٣ – وهناك أمر آخر ينبر عليه الإنجيلي في كلامه عن السيد ، وذلك عندما ينبر على الأعمال العظيمة التي يقوم بها يسوع .

فبعد أن قام السيد بكثير من أعماله العظيمة أوصى الذين شفاهم أو الذين رأوا أعماله ألا يظهروه أو يتكلموا عنه كسيا ، فعندما أرادت الأرواح التي طردها من المرضى أن تعلنه أخرسها وأمرها بألا تتكلم بما تعرفه ( ١ : ٢٥ و ٣٤ ، ٣ : ١١ ) والذين رأوا معجزاته أو اختبروها أمرهم ألا يذيعوها ( ١ : ٤٤ ؛ ٥ : ٤٣ ؛ ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦ ) . واستمر يفعل ذلك حتى بعد اعتراف قيصرية فيلبس ( ٨ : ٣٠ ) وبعد أن أظهر نفسه لتلاميذه على جبل التجلي ( ٩ : ٩ ) . واتسمت تعاليمه كذلك بالسرية ، فعندما كان يشرح أسرار ملكوت السموات لم يكن معه غير تلاميذه ( ٤ : ١٠ – ١٢ ) وفعل نفس الشيء في تعليمه عن آلامه وموته ( ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٣ ) ، وعن المجيء الثاني ( ١٣ : ٣ – ٣٧ ) . وكانت له رحلات سرية يقوم بها وهو لا يريد أن يعلم أحد بها ( ٧ : ٢٤ ، ٩ : ٣٠ ) . وهكذا فرض السيد سرية تامة على شخصيته وهويته ولم يرد أن الجماهير تعلم بها . فلماذا ، ولماذا ينبر مرقس على هذه الحقيقة أكثر من أي إنجيلي آخر ؟

إن السبب الرئيسى وراء ذلك هو تلك الفكرة الخاطئة التى كانت تملأ عقل الناس عن نوعية المسيا ، وأعلن السيد مسيانيته ( أى مركزه كمسيا ) فحاول الناس أن يشنوه عن رسالته الأصلية وطلبوا منه رسالة أخرى خاطئة ، ليست لها صلة بعمله لا بما أراد أن يتممه فى الأرض . فقد حاولوا أن يختطفوه لكى يجعلوه ملكاً كما يذكر يوحنا ذلك ( يوحنا ٦ : ١٥ ) . وقد فعلوا ذلك عندما أشبع بطونهم وجوعهم بالخبز . إنهم يريدون مسيا نسجوه هم من حاجتهم الجسدية ، وخيالهم الأرضى ، أما مسيا يتألم ، مسيا يطيع الآب ، مسيا له ملكوت ليس من هذا العالم ، يشفى الناس من الخطية والشر ، فهذا ما لم يخطر لهم على بال . إن خطأ الفكرة عندهم جعلته يطلب من كل من عرفوه ألا يتكلموا عنه ، حتى يقوم من الأموات ، وبذلك يكتشفون بكيفية حاسمة نوع مسيانيته ، وبذلك يؤمنون لا بما صورته خيالاتهم بل بالمسيح المخلص ، المسيح عبد الرب الذى جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك .

هذه الحقيقة التى يذكرها الإنجيلان الآخران متى ولوقا ، ينبر عليهما إنجيل مرقس بتأكيد أكثر ، فهل كان هناك سبب خاص به وراء اهتمامه الزائد بها ؟ نعم وسنكتشف أن الموقف الخاص الذى دفعه لكتابة إنجيله جعله يفعل ذلك .

٤ — ومع ذلك فإنجيل مرقس يكشف حقيقة أخرى مناقضة للحقيقة السابقة تماماً ، فيذكر قصة جماعة أخرى عرفت حقيقة يسوع معرفة صحيحة وكاملة . معرفة لا تمنعها السيد بل بالحرى يشجعها . كان ذلك فى حادثتين هامتين ، اختتمت أولاهما النصف الأول من إرسالية السيد وهى اعتراف بطرس العظيم فى قيصرية فيلبس ( ٨ : ٢٩ ) وجاءت الثانية فى اختتام النصف الثانى من هذه الإرسالية الفدائية وهى اعتراف قائد المائة وهو ينظر السيد على الصليب ( ١٥ : ٣٩ ) الاعتراف الأول من رجل يهودى يمثل اليهود ،

والاعتراف الثانى من رجل أممى يمثل الأمم . وتتميز هذه المعرفة بأمرين فى غاية الأهمية : الأمر الأول هو أنها معرفة لا تعتمد على المظاهر بل يمكن أن يقال بكل ثقة إنها معرفة حقيقية بشخصية السيد رغم كل المظاهر القاسية التى لا توحى بها . ولهذا يقول السيد لبطرس « طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودماً لم يعلن لك ولكن أبى الذى فى السموات » ( أنظر متى ١٦ : ١٦ ) . وهل كان يمكن لقائد مائة أممى لا يعترف إلا بالقوة والشجاعة البدنية فى الحروب أن يعترف بإنسان مهان محطم الجسد ، وقد رفع على الصليب ، لا حول له ولا قوة عالمية ، ويقول عنه إنه « ابن الله » . إنها معرفة لا تنبع من الأرض بل من السماء . أما الحقيقة الأخرى التى تتميز بها هذه المعرفة فهى أنها جاءت مرتبطة بالألم والصليب . فما أن اعترف بطرس بالمسيح حتى أعلن لهم السيد أن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الكهنة والشيوخ ويقتل ، وكانت معرفة قائد المائة بالسيد على الصليب نفسه ، حين قتلوه . فى هذا الجو بزغ نور المعرفة الحقيقية ، وظهرت شخصية المسيح وعرفوه من هو . كان هذا أمراً غريباً ، ففى وقت القوة والانتصار على القوات المعادية ضل الناس عن معرفته ولكنهم عرفوه على حقيقته فى وقت الألم والضعف ، فهل كان البشير يقصد هذا عند كتابته ذلك ؟

٥ — من كل ما تقدم ، يمكننا أن نتلمس حقيقة هامة يرجح أنها كانت تحدو القديس مرقس فى انتخابه للمادة التى وضعها فى إنجيله . فقد أرشده روح الله القدوس أن ينتقى من حوادث حياة السيد وتعاليمه ما يلائم الرسالة التى من أجلها كتب هذا الإنجيل . فالسيد فى هذا الإنجيل يقوم بعمله فى إطار ومواجهة الأزمة ، فهو لم يكن يعمل ويتكلم من واقع فراغ لا صلة له بالحياة أو ترف أو إظهار قوته سلطانه الشخصى بقصد الاستعراض كما كان يفعل معاصروه ، ولكنه كان يفعل ذلك فى مواجهة أزمة بل وأزمات متتالية .

فأهم إعلاناته قالها فى مواجهة التحدى الشديد الذى واجهه به اليهود . ففى بدء خدمته نجد خمس مواجهات حادة ( ٢ : ١ – ٣ : ٦ ) وهى : غفران الخطايا ( ٢ : ١ – ١٢ ) . ثم مخالطته للعشارين والخطاة ( ٢ : ١٣ – ١٧ ) ، الصوم ( ٢ : ١٨ – ٢٣ ) ؛ السبت ( ٢ : ٢٣ – ٢٨ ) . الشفاء فى يوم السبت ( ٣ : ١ – ٦ ) . وكانت هذه المواجهات كلها فى الجليل . وفى مقابل ذلك كانت هناك خمس حوادث أخرى فيها مواجهات مع اليهود فى أورشليم ، وكان ذلك فى أواخر خدمته قبل موته وقيامته ( ١١ : ٢٧ – ١٢ : ٣٧ ) . وهى : سلطانه لتطهير الهيكل . ( ١١ : ٢٧ – ٣٣ ) غضبهم منه من أجل مثل الكرامين القتلة ( ١٢ : ١ – ١٢ ) . ثم مسألة الجزية لقيصر ( ١٢ : ١٣ – ١٧ ) . ومشكلة القيامة ( ١٢ : ١٨ – ٢٧ ) وأخيراً عن صلة المسيا بداود كيف يكون ابنه وربه فى نفس الوقت ( ١٢ : ٣٥ – ٣٧ ) . ويذكر القديس مرقس بين هاتين المجموعتين من المواجهات الأولى والأخيرة فى حياة السيد مواجهتين أخريين : اتهامهم إياه بأنه ببعلزبول يخرج الشياطين ( ٣ : ٢٢ – ٣٠ ) ثم المناقشة الطويلة عن الطاهر والنجس ( ٧ : ١ – ٢٣ ) . فى كل هذه المواجهات يعطى السيد الإعلانات التى تكشف عن نفسه وعن سلطانه الذى يرتقى إلى سلطان الله نفسه .

وظهرت شخصية يسوع فى المواجهة لحاجة الإنسان الملحة وفى إسعاف المحتاجين ابنه الوحيد الذى يعرف حاجة الإنسان العميقة كما يظهر ذلك فى غفران خطايا الرجل المفلوج ( ٢ : ١ – ١٢ ) وشفاء الرجل الذى به اللجئون ( ٥ : ١ – ٢٠ ) .

لقد واجهته القوى الأخرى كالشيطان ، والوحدة المؤلمة ولكنه انتصر ، كما حدث فى نصرته فى تجربته فى البرية ( ١ : ١٢ و ١٣ و ٢٤–٢٧ و ٣٤ ) .

كما واجه الطبيعة والبحر المهتاج بالأعاصير وبكلمة واحدة أعادها للهدوء ( ٤ : ٣٧ – ٤١ ) فى كل هذه المواقف أعلن السيد نفسه ، وقد جمعها القديس مرقس معاً فى كتابه .

٦ – من كل هذا التحليل والدراسة لإنجيل مرقس من حيث الأسلوب الذى كتب به البشير الإنجيل والمادة التى جمعها فيه والطريقة التى رتبت بها هذه المادة ينتج أمراً هاماً وهو أنه كان يقصد أن يقدم يسوع المسيح بطريقة خاصة لظرف خاص ، لجماعة مخصوصة ، هذه الجماعة هى الكنيسة فى روما . لقد سبق وعرفنا أن الإنجيل كتب فى روما . وللكنيسة هناك ، وكتبت فى وقت أزمة حادة قاسية . كانت روما تحت حكم الطاغية نيرون ، وكان هو الذى نصب من نفسه إلهاً لكى يعبد ، وكان المسيحيون فى موقف قاس لأنهم لا يستطيعون أن يعبدوا شخصاً آخر غير الرب . ونظراً لذلك فقد كانوا لا يختلطون بالناس فى مواسمهم وأعيادهم لأنهم لا يريدون أن يشاركوا فى النجاسة والفساد ، ولذلك التصقت بهم تهمة كراهيتهم للناس ، ولكن هذا كله لم يدفع المسئولين أن يتخذوا ضد المسيحيين أى عمل اضطهادى .

لكن الأمر تغير عندما شبت فى العاصمة نيران مدمرة ، استمرت سبعة أيام حطمت الكثير من المدينة ، وعندما بدأت تخمد شبت بشراسة مرة أخرى من المكان الذى كان يسكنه رئيس الحرس الامبراطورى ، وكان هناك غوغاء يطلقون شعلات ملتهبة يزيدونها اشتعالا ، ولما سئلوا عن سبب ذلك قالوا إن هذه أوامر عليا . وأتت النار على ثلاث مناطق فى المدينة فحولتها إلى رماد ، ثم أحدثت أضراراً بالغة بسبع مناطق أخرى ، ولم تنج من الخراب إلا أربع مناطق ، وبدأت الإشاعات تتهم الامبراطور بحرق المدينة . رغم ما أظهره لهم من المساعدات ، والسرعة التى أقام فيها المبانى والطرق والتعمير ،

وهنا أراد الامبراطور أن يجد كبش الفداء فلم يجد أمامه إلا المسيحيين ، وبدأت الاضطهادات الشديدة والمريرة ، وتفنن جنود الامبراطور وجلادوه في التعذيب . فألبسوا المسيحيين جلود الحيوانات وأطلقوا عليهم الكلاب المفترسة فمزقتهم ، وبعضهم أشعلوا فيه النار ليستعملوهم كمصابيح آدمية لتضيء حدائق الامبراطور ، وغير ذلك من العذابات الشاقة المريرة فهرب منهم الكثيرون وسكنوا في القبور ، لهذا الموقف كتب الإنجيل ، أي أنه كتب لجماعة تواجه أزمة إبادة وتعذيب لا حد له .

لمثل هذه الجماعة يقدم الرسول مرقس الإنجيل فيقول « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » إن هذه الكلمات هي نفس الوتر الذي لعب عليه إشعياء النبي في العهد القديم عندما قدم بشارة الخلاص الآتي للشعب المسكين المسبي « على جبل عال إصعدي يا مبشرة صهيون إرفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ، إرفعي لا تخافي قولي لمدن يهوذا هوذا إلهك ، هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له » ( إشعياء ٤٠ : ٩ و ١٠ ) . ففي وسط الضيق القاسي المرير يأتي صوت الإنجيل ، بشارة الفرح . بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله لهذه الجماعة التي في وسط بابل السبي ، والعذاب والضيق . ولقد أطلق على روما لقب بابل في العهد الجديد لأنها تقف من كنيسة الرب موقف بابل من إسرائيل (١ بطرس ٥ : ١٣ ، رؤيا ١٧ : ٥ و ٦ و ١٨ ) .

وعندما يكرز الانجيلي بالبشارة فإنه يضع أمامهم المسيح المخلص القوي .. الذي جاز قبلهم كل ما يجوزونه ، هل هم في المقابر تائهون ؟ لقد كان هو أيضاً في البرية بعيداً عن كل إنسان في وحدة قاسية في مواجهة الشيطان ، وكان هناك مع الوحوش . ولكن مع ذلك فقد كانت الملائكة تخدمه ، فلم يكن وحيداً . . إنه أراد أن يقول لهم إن المكان الذي يوجد فيه السيد حتى وإن كان برية قفر إلا أنه سيتحول إلى سماء وملك فيها الله .

ولكن أين هو المسيح ؟ أين هو فى هذا الوسط القاسى المظلم ، فى مكان العذاب والموت !؟ إن القديس مرقس بأسلوبه الحى ، المملوء بالقوة يتكلم عن المسيح القوى الذى ينتصر على كل قوات الشر ، لأنه يريد أن يعلن للكنيسة المضطهدة أنه لم يسكت بل لا يزال يعمل ، إنه هو هو حى عامل نشط فى وسط شعبه . هذه هى ميزة أسلوب مرقس ، إنه لم يكن أسلوب الشخص الذى لم يهتم بقواعد اللغة ولكنه أسلوب الشخص الذى أراد أن يعزى ويطمئن الكنيسة بأن سيدها لا يزال فى وسطها حى وقوى يحارب حروبها .

لقد تكلم السيد عن الاضطهادات التى ينتظرها كل مسيحى ولكن فى هذا الاضطهاد يظهر المسيحى المؤمن الحقيقى ، فالبذار قد ألقيت وجاءت على الأراضى وهناك من يقبلها ولكنه عندما يواجه الاضطهادات والأخطار الشديدة فإن الكلمة تختنق ، وهذا ما ينطبق على الكنيسة فى هذا الوسط الذى يظهر العداوة المرة . إن كلمات يسوع كانت ترن فى آذان أعضاء الكنيسة هناك : « إن أراد أحد أن يتبعنى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى . لأن من أراد أن يخلص حياته يهلكها ومن أراد أن يهلك حياته من أجلى ومن أجل الإنجيل فهذا يخلصها . . . من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسد الخاطئ سينكره ابن الإنسان متى جاء فى مجد أبيه مع ملائكته الأبرار » ( ٨ : ٣٤ — ٣٨ ) .

وإلى جانب ذلك فإن السيد الذى وقف بكل شموخ يقول لأولئك الذين أرادوا أن يجربوه « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ( ١٢ : ١٧ ) فيضع بذلك حدوداً واضحة لسلطة القيصر وما يطلبه ويتطلبه ، إنه ليس السيد ولا الرب ، هناك سيدنا وإلهنا الذى يجب أن يطاع أكثر من جميع الناس .

إن يسوع أمام الصليب والكل قد هربوا وقف بكل جلال أمام بيلاطس ممثل السلطة الرومانية . لقد اعترف الاعتراف الحسن . نعم أنهم حكموا عليه بالموت ومات ، ولكنه قام وانتصر وما أجمل كلمات الملاك « لا تخافوا أنتن تطلبن يسوع الناصرى الذى صلب ليس هو هنا لكنه قام . أنظروا أين وضعوه لكن اذهبوا وقولوا لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم » ( ١٦ : ٦و٧ ) .

هذه هى رسالة إنجيل مرقس . . رسالة التلمذة الحقة فى وسط الألم والعذاب رسالة العزاء والقوة . . رسالة إنجيل المسيح ابن الله .

الفصل الثالث

# إنجيل متى

يعتبر إنجيل متى من أحب الأناجيل إلى الكنيسة المسيحية عامة وأكثرها شعبية فيها ، فمن بدء ظهوره إلى الآن وهو الأقرب دائماً ، والأكثر استعمالا فيها . ولكن هذه الحقيقة لا تبرهن على أن هذا الإنجيل هو أحسن الأناجيل أو أكملها ، لأن لكل إنجيل اتجاهه وفكره وهدفه الذى كتب من أجله ، ولكن هناك أشياء أخرى سيأتى ذكرها فيما بعد جعلت منه إنجيل الكنيسة بحق . يكفى هنا أن نقول إن متى احتوى على الغالبية العظمى من المادة التى يتكون منها إنجيل مرقس ولكنه يزيد عنه تلك التعاليم الكثيرة التى انصبت على مواضيع مختلفة كانت الكنيسة فى مسيس الحاجة إليها ، لأنها كانت تعالج مشاكل كثيرة : وهل هناك تأثير يفوق تأثير الموعظة على الجبل التى يحتويها هذا الإنجيل ، على حياة الكنيسة وسلوكها ؟

ولكن قبل أن ندرس الإنجيل فى تركيبه ومضمونه يستلزم أن نجيب على بضعة أسئلة أولية تتطلبها الدراسة :

**من هو كاتب الإنجيل :**

انقسم الدارسون إلى ثلاثة فرق تجاه هذه القضية :

١ — فريق يتمسك بالتقليد الكنسى الطويل ويقول إن متى العشار تلميذ المسيح هو كاتب الإنجيل ويعتمد على أمرين : الأول : هو أن العنوان «بحسب متى » قديم جداً ظهر قبل نهاية القرن الثانى الميلادى . نعم إنه لم يكن من ضمن

النص الأصلى للإنجيل ولكنه مع ذلك فهو قديم جداً ظهر على الأقل سنة ١٢٥ م .

أما الأساس الثانى : فهو قول بابياس « إن متى كتب الأقوال Ta Logia باللغة العبرانية ، وكل واحد يفسرها على قدر معرفته ، ويعتقد المتمسكون به بأن بابياس يقصد « متى » التلميذ الذى كان عشاراً ودعاه يسوع وجعله تلميذاً ورسولا . ( متى ٩ : ٩ و ١٠ ) . ويقصد بكلمة الأقوال : الإنجيل كله . وعلى هذا الأساس يقولون إن كاتب هذا الإنجيل فى شكله الحالى هو متى أو لاوى العشار .

٢ ــ أما الفريق الثانى فينكر أن متى رسول المسيح كانت له صلة بهذا الإنجيل وينكرون أن قول بابياس ينطبق على هذا الإنجيل الحالى : ولهم فى ذلك عدة أسباب :

السبب الأول : هو أن بابياس يذكر أن متى كتب باللغة العبرية ، ولكن العارفين باللغات يقولون إن إنجيل متى الحالى كتب أصلا باللغة اليونانية ، ومن السهل بمكان أن نميز كتاباً مترجماً من لغة إلى لغة أخرى عن آخر كتب فى لغة أصلية ، وليس مترجماً .

أما السبب الثانى : فهو أن متى فى تكوينه قد اعتمد كثيراً جداً على إنجيل مرقس . فلقد استنتج العلماء بعد الدراسة أن إنجيل مرقس كان فى متناول يد البشيرين الآخرين متى ولوقا وأنهما قد استخدماه أساساً لكتابيهما ، ولقد كان البشير متى بالذات أكثر الاثنين استخداماً لهذا الكتاب فى ترتيب الحوادث ، وفى اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه . وهذه حقيقة أضحت معروفة لدى جميع الدارسين . ولا ينكر عالم أن لغة إنجيل مرقس وأسلوبه فى الكتابة يظهر أنه كتب قبل الإنجيلين الآخرين : وهنا يتساءل هذا الفريق : لو قيل

أن لوقا اقتبس من مرقس لما كان هناك من حرج لأن مرقس بحكم شهادة التقليد الكنسي كان أقرب إلى الأصول من لوقا ، لأنه أخذ كثيراً من مادته من الرسول بطرس نفسه وهو نفسه يقول إنه جمع مادته من مصادر متنوعة ( لوقا ١ : ١ — ٣ ) . لكن كيف يكون الحال مع متى لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف ؟ ألا يعتبر ذلك أمراً غير محتمل ؟ هل يعتمد التلميذ ، وخصوصاً تلميذ كمتى له عقليته المرتبة الواعية أن يعتمد على مصدر لم يكن له نفس القرب الذى له ؟ كيف يعتمد متى التلميذ على مرقس تلميذ التلميذ ؟

وهناك سبب ثالث يبنى على الثانى ، وهو أن من يقرأ الإنجيلين يرى اختلافاً فى حيوية الكتابة فإنجيل مرقس يؤكد أن المادة التى فيه قد خرجت من شاهد عيان والتفاصيل الدقيقة مثل « كان فى المؤخرة على وسادة نائماً » وجلسوا على العشب الأخضر ( مرقس ٦ : ٣٩) وغير ذلك كما ورد ذكره فى قضية الأناجيل الثلاثة الأول . أما متى فإنه يختلف عنه ، ولكنه اختلاف الشخص الذى أخذ المادة منه وأجرى فيها بعض « التلميع » إن جاز هذا التعبير ؛ وهذا يدل على أن مرقس كتب أولا : مستقياً مادته من شخص قريب من يسوع . بخلاف متى الذى أخذ من مصدر وسيط ، ولم يكن شاهد عيان ويدل أسلوبه على ذلك أنه أسلوب الشخص الذى جلس يفكر ويصلح وليس الشخص الذى شاهد بعينيه ثم ذكر ما رأى وعرف .

لهذه الأسباب الثلاثة ينكر هذا الفريق كتابة الرسول متى لهذا الإنجيل ، ويفسرون كلمات بابياس تفسيرات مختلفة أهمها أنه كان يذكر إنجيلا آخر هو « إنجيل العبرانيين » أو كان يقصد مجموع التعاليم التى أخذ عنها متى ولوقا والتى يسميها العلماء Q .

٣ ـ أما الفريق الأخير فهو يقف موقف الوسيط بين الموقفين السابقين . إنه لا يريد أن يقلل من قيمة التقليد الكنسي الذى بدأه بابياس وأخذ عنه كثير من الآباء أمثال ترتليان وأوريجانوس وغيرهما وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يذهب إلى آخر المدى مع هذا التقليد رغم معارضته لأشياء كثيرة علمية . هذا الفريق يربط متى الرسول بالكتاب ، ويعتقد أن « التعاليم » التى يذكرها بابياس من مجموعة التعاليم الموجودة فى متى حالياً . مثل الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها . وقد أخذها واحد آخر وربطها بمجموع الحوادث الموجودة فى إنجيل مرقس إلى جانب مصدر آخر أخذ منه بعض الحوادث كحوادث الميلاد . ربما كان هذا الرجل تلميذاً فى مدرسة اسمها « مدرسة متى » وقد يكون شخصاً آخر . وقد تكون مجموعة التعاليم هذه هى نفسها المصدر Q وقد كتبت أصلا باللغة الأرامية .

قد يكون كل ذلك إنما الأمر المهم هو أن متى كان مشتركاً فى كتابة هذا الإنجيل بوضعه نواته الأولية وجاء شخص من بعده وأكمل هذا الإنجيل على صورته الحالية .

وهنا يواجهنا السؤال : من هو الكاتب إذن ؟ لا نستطيع أن نعطيه اسماً قد يكون متى الرسول وقد يكون غيره ولكنه بدون شك هو شخص يتميز بالأمور التالية :

١ ـ أنه كان يهودياً يعيش خارج فلسطين والسبب فى ذلك أنه كان يكتب باللغة اليونانية وفى نفس الوقت يقتبس من الترجمة السبعينية ولكنه كان متعلماً وعارفاً بالكتب المقدسة أى العهد القديم معرفة واسعة .

٢ ـ كان متأكداً من أن يسوع قد أكمل كل انتظارات اليهود فى إطار الكتب المقدسة : موسى والأنبياء والكتب ، ولكنه لم يتمم انتظاراتهم التى

نسجوها من تاريخهم ووجودهم السياسي والاجتماعي ، ولهذا فقد كان جل هم الكاتب أن يظهر أن هذه الانتظارات الأخيرة كانت خاطئة ، وهذا يفسر اختلاف أعمال يسوع عما كان ينتظره العامة الذين خلطوا ما بين رغباتهم وتنبؤات الكتب المقدسة .

٣ ــ كان شخصاً ذا عقلية مرتبة واعية فهو لم يكتب الحوادث ويرصها رصاً ثم يفسرها ولكنه يرتبها بطريقة خاصة ــ كما سيجئ فيما بعد ــ مما يدل على أنه لم يكن شخصاً عادياً . نعم كان لترتيبه هذا دافعاً لاهوتياً ولكنه عبر عن رأيه بعقلية عملية متزنة .

٤ ــ كل من يتصفح كتابه يشعر أنه رجل لم يكن بعيداً عن اليهودية بل لعله كان واحداً من الربيين اليهود تخرج من مدارسهم وعرف أسرارهم ، ولقد ظهرت فى هذا الإنجيل حقائق لم تظهر فى الأناجيل الأخرى تبرهن على مدى قربه من الديانة اليهودية قبلا :

(أ) فهو أكثر الإنجيليين معرفة بأخلاق اليهود المتدينين والمتعلمين ودرايته بسلوكهم واسعة : فهو الذى ذكر قول السيد عنهم إنهم يحاولون أن ينتفعوا بتدينهم إلى أقصى حد ، إذ يأخذون المراكز الأولى فى المجتمع (٦ : ١ ــ ٦ ، ١٦ ــ ١٨ ، ٢٣ : ٥) ولأجل ذلك يعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم (٢٣ : ٥) ثم يسافرون فى البر والبحر لكى يكسبوا دخيلا واحداً إلى اليهودية (٢٣ : ١٥) . يعشرون أصغر الأعشاب (٢٣ : ٢٣) وغير ذلك .

(ب) إنه يذكر نوعين من الوصايا : الصغرى والعظمى (٥ : ١٩) ويذكر قضية الحل والربط (١٦ : ١٩) وهما تعبيران مشهوران عند معلمى

اليهود ، ومعناهما الحكم على عمل ما سواء أكان صالحاً أم شريراً ، ثم أنه يستعمل تعبير ملكوت السموات بدلا من ملكوت الله ، ويطلق على أورشليم أنها مدينة الملك العظيم أو المدينة المقدسة ( ٤ : ٥ ، ٢٧ : ٥٣ ) .

( ح ) هو الذى ذكر المناقشة الحادة عن قضية الطلاق التى شغلت معلمى اليهود أعواماً طويلة وخاصة بين مدرسة شماى المحافظة التى قيدت الطلاق ومدرسة هليل المتحررة التى تركت الرجل اليهودى يطلق لأى سبب وبأية علة ( ١٩ : ٣ ) .

لهذه الأمور نستطيع أن نستنتج أنه كان قريباً من اليهودية يفهم دقائقها ؛ وإلى جانب ذلك فإنه يفترض فى قارئيه أنهم أيضاً يفهمون هذه الأمور ويهتمون بها .

**تاريخ ومكان الكتابة :**

يقول إريناوس إن متى كتب إنجيله عندما أراد أن يترك شعبه ليذهب إلى بلد آخر للتبشير ، حتى يمكن أن يحتفظوا بأفكاره وهو بعيد عنهم . وكان ذلك عندما كان بطرس وبولس فى روما يؤسسان الكنيسة هناك . ويظن بعض العلماء أن هذا الأمر حدث فى وقت غير متأخر كثيراً عن زمن القيامة بعد حوالى ١٢ سنة ، أى أنه كتب حوالى سنة ٤٢ م .

ولكن هذا الرأى يقوم على أساس من الواقع ويناقضه ما جاء فى أعمال ١٥ ، غلاطية ٢ : ١ — ١٥ حيث يظهر أن الإرسالية خارج اليهودية لم تكن إلا عن طريق بولس وبرنابا ، وكان ذلك ابتداء من سنة ٤٩ م . أما بقية الرسل فلم يكن عندهم تفكير جدى فى اتخاذ هذه الخطوة لتقديم الإنجيل إلى الأمم .

وإلى جانب ذلك فهناك عبارات فى إنجيل متى تدل على أنه كان قد مضى وقت طويل على حدوث الأحداث العظيمة التى يسجلها هذا الإنجيل مثل « إلى هذا اليوم » (٢٧ : ٨ ، ٢٨ : ١٥) .

وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الإنجيل يفترض أن الإرسالية قد امتدت إلى الأمم ، وأن هناك عداوة بين اليهود والمسيحيين المنتشرين فى كل العالم ، وأن جزءاً من الخطاب الرؤوى يعكس تفكير المسيحيين بعد خراب أورشليم . . إذا أخذ كل ذلك فى الاعتبار ، فيمكن أن نقول مع كثيرين من العلماء أن الكتاب قد كتب بعد ٧٠ م . وربما ما بين ٧٥ — ٨٠ م .

على كل حال فإن هذا رأى غير قاطع .

**خصائص إنجيل متى :**

مع أن للأناجيل موضوعاً عاماً . واحداً يجمعها فى حزمة واحدة ، إلا أن لكل إنجيل خصائص ينفرد بها فى معالجته لهذا الموضوع ، وطريقة كتابته ونظرته إلى المواقف التى وجد فيها . ويمتاز إنجيل متى بخصائص يتفرد بها عن غيره من الأناجيل الأخرى نذكر منها ما يلى :

١ — إنه يبرز الاحتكاك Tension بين القديم والجديد بكيفية واضحة لا تخفى على القارئ ، وهذا الاحتكاك يظهر فى مواقف متعددة فى تعاليم السيد وعمله :

( أ ) هل كانت خدمة المسيح وتلاميذه خاصة باليهود فقط أم كانت عامة لجميع الناس ؟ عندما أرسل السيد تلاميذه لكى يكرزوا بملكوت السموات قال لهم بالحرف الواحد : « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١٠ : ٥ و ٦)

إنها إرسالية لليهود فقط دون غيرهم ، ولقد عبر هو أيضاً عن إرساليته الشخصية عندما طلبت منه المرأة الكنعانية الأممية أن يشفي ابنتها فقال لها « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فلما ألحت عليه ساجدة له : زاد قائلا « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب : ( متى ٥ : ٢٤ و ٢٦ ) . قارن هذا الكلام الواضح بأمره لتلاميذه بعد قيامته فى الإرسالية العظمى » فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ( ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ) .

هذا التناقض الظاهرى تنحل مشكلته إذا عرفنا أن التخصيص والقومية التى وضحت فى إرسالية التلاميذ الأولى وكلام السيد للمرأة الكنعانية تمثل فترة مرحلية ، فيها كان يحاول السيد أن يكشف لليهود عن إرساليتهم العظمى ورسالتهم الإلهية التى أغمضوا عيونهم عنها ، ورفضوا أن يطيعوا . لقد كانت الفرصة الأخيرة للقديم لكى يثبت أنه قد انحل وجاء مكانه الجديد فى ملكوت الله .

(ب) يظهر هذا الاحتكاك Fension أيضاً فى موقف السيد وتعليمه بخصوص الناموس . ففى الموعظة على الجبل نجد ما يشبه التناقض وخصوصاً فى ٥ : ١٧ — ٤٨ . ففى أول هذا الجزء يقول السيد : لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (١٧ و ١٨) . ولكن بعد ذلك يقول للسامعين : قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . . . وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم .. عدد ٢١ ويكرر هذا الشئ بخصوص الزنى (٢٧ و ٢٨) والطلاق ( ٣١ و ٣٢ ) والحلف ( ٣٣ و ٣٤ ) والمجازاة

( ٣٨ و ٣٩ ) والموقف من القريب والعدو ( ٤٣ و ٤٤ ) . فبينما يؤكد السيد بكل مرة أنه لا يمكن أن تزول نقطة أو حرف من الناموس نجده يعطى شيئاً آخر أعظم وأكبر من الناموس . هنا أيضاً نجد هذا الاحتكاك بين القديم والجديد . فالناموس لن يزول والأنبياء ستبقى حتى يتم ما قصد بهما . وهذا القصد قد تم فى هذا المسيح . . . إنه هو الذى أكمل . فالإتمام معناه إتمام القصد والغرض الذى من أجله ظهر الناموس والأنبياء .

(حـ) يظهر هذا الاحتكاك أيضاً فى موقف السيد من الكتبة والفريسيين فبينما يحث الناس على احترام مركزهم وما يقولونه ويطلب منهم أن يحفظوه ويعملوه إذ به فى نفس الوقت ينطق بالويلات الشديدة عليهم لأنهم لم يعملوا بما يعلمونه فصاروا كالقبور المبيضة من الخارج والمملوء بالعظام النتنة من الداخل ( ٢٣ : ٢٨ — ٣٦ ) .

وبالمثل كان موقفه من أورشليم فهو يعتبرها مدينة الملك العظيم ( ٥ : ٣٥ ) وأنها المدينة المقدسة ( ٢٧ : ٥٣ ) ولكنه يقول عنها أيضاً « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . . . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً ( ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ ) .

من هذا نرى هذه الظاهرة المميزة لهذا الإنجيل إنه ينبر على الاحتكاك بين القديم والجديد .

٢ — لكن هناك خاصية أخرى فى هذا الكتاب وهى أنه يجمع ما بين كتاب التعليم Didache والبشارة Kerygma ففى ترتيب الإنجيل نجده يسير وفق إنجيل مرقس فكل من سيتصفح إنجيل مرقس يجده مرتباً ترتيب

الإنجيل وهذا الترتيب ظهر أولا فى خطاب بطرس فى بيت كرنيليوس أعمال ( ١٠ : ٣٦ – ٤٣ ) وعناصر هذا الإنجيل هى : الكلمة التى أرسلت إلى بنى إسرائيل ظهور يوحنا – يسوع الذى من الناصرة – مسح بالروح القدس إرسالية الخدمة وهزيمة إبليس ثم ذهابه إلى اليهودية وأورشليم الصلب . القيامة الصعود . الديان – هذا الترتيب نفسه ظهر فى إنجيل مرقس : فيسوع ظهر بعد ظهور يوحنا المعمدان إتماماً للكلمة التى أرسلها الرب إلى بنى إسرائيل وقد مسح بالروح القدس عند معموديته ، ثم خرج ليكرز ببشارة ملكوت الله فى الجليل ثم ذهب فى نهاية خدمته إلى اليهودية وهناك صلب وقبر وقام وصعد إلى السماء .

هذا الترتيب الأساسى للانجيل موجود أيضاً فى إنجيل متى . فهو الإنجيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : يحتوى على قصة الميلاد وظهور يوحنا المعمدان ثم مجئ يسوع ومعموديته بنزول الروح القدس كحمامة عليه وتجربته ( متى ١ : ١ – ٤ : ١١ ) .

القسم الثانى : ( ٤ : ١٢ – ١٨ : ٣٥ ) وفيه يصف خدمة يسوع العظيمة عندما كان يجول يصنع خيراً ويشفى المتسلط عليهم إبليس وهذا القسم يوافق ويماثل مرقس ١ : ١٤ – ٩ : ٥٠ .

القسم الثالث : ( ١٩ : ١ – ٢٨ : ٢٠ ) وهو القسم الذى يحتوى على الحوادث التى قادت المسيح إلى الصلب فى أورشليم وبعدها القيامة ثم الصعود ووعد التلاميذ بالروح القدس .

فكتاب البشير متى إذن هو إنجيل مبنى على الترتيب الأساسى للإنجيل

كما فهمته الكنيسة الأولى ، وكما ظهر فى إنجيلى مرقس ولوقا ، وكإنجيل احتوى هذا الكتاب على الكرازة وحمله المبشرون إلى كل أنحاء العالم .

ولكن إنجيل متى يختلف عن الإنجيلين الآخرين فى أنه كتاب التعليم ، فهو على خلاف إنجيل مرقس يحتوى على كمية وافرة من التعاليم . ولقد سبق وعرفنا أن مرقس كان يهتم بالحوادث أكثر من اهتمامه بالتعليم ، لكن هنا فى متى فهو يختصر فى الحوادث كما سنعرف فيما بعد ، حتى يمكن أن يوفر مكاناً متسقاً لتعاليم السيد . يتفق فى هذا الأمر – أى اهتمامه بتعاليم السيد مع إنجيل لوقا . فلقد حفظ ذلك الإنجيل أيضاً كمية وافرة من التعاليم . لكنهما يختلفان فى أمر هام جداً وهو كيفية عرض هذا التعاليم ، هذا الاختلاف له مظهران : المظهر الأول هو أن إنجيل متى يجمع تعاليمه فى وحدات طويلة مثل الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها ، فى حين أن لوقا البشير ينثر هذه التعاليم فى كل إنجيله ، فإذا أخذنا مثلا الموعظة على الجبل فى متى ٥ – ٧ نجد جزءاً منها فى ( لوقا ٦ : ٢٠ – ٤٩ ) هذا الجزء يتكون من التطويبات والويلات ثم المحبة المسيحية الكاملة ( لوقا ٦ : ٢٧ – ٣٦ ) . وهذه تقابل متى ٥ : ٣٨ – ٤٨ ثم الحض على عدم إدانة الآخرين بل المغفرة لهم إذا أخطأوا ( لوقا ٦ : ٣٧ – ٤٢ ) وهى تقابل متى ٧ : ١ – ٦ . ثم مثل الشجرة ( لوقا ٦ : ٤٣ – ٤٥ تقابل متى ٧ : ١٧ – ٢٣ ) ثم الخاتمة ( لوقا ٦ : ٤٧ – ٤٩ تقابل متى ٧ : ٢٤ – ٤٧ ) . طبعاً هناك اختلاف بين الاثنين فى التفاصيل ولكن الأهم من ذلك أن متى يضع فى الموعظة على الجبل تعاليم يضعها لوقا فى مكان آخر مثل الصلاة الربانية فى متى ٦ : ٩ – ١٣ يضعها لوقا فى موقف آخر ( لو ١١ : ١ – ٤ ) . وكذلك عدم القلق والاهتمام بالطعام واللباس فمتى يضعه فى الموعظة على الجبل ( ٦ : ٢٤ – ٣٤ ) بينما

يضعها لوقا فى مكان آخر وموقف آخر ( لوقا ١٢ : ١ - ١٢ ) وهكذا فى أمكنة كثيرة .

وأما المظهر الثانى هو أن متى الإنجيلى عندما يجمع تعاليمه فى وحدات فإنما يجمع التعاليم المتشابهة التى تعالج موضوعاً عاماً واحداً . . وفى هذا الأمر يمتاز عن إنجيل لوقا . فقد تجد فى هذا الأخير مجموعة كبيرة من التعاليم موضوعة جنباً إلى جنب ولكنها تعالج موضوعات متنوعة قد لا ترتبط بعضها مع بعض برباط مباشر خذ مثلا ص ١٢ وانظر التعاليم التى يحتويها . وعدد المواقف التى قيلت فيها هذه التعاليم ؛ فهو يحذر تلاميذه من خمير الفريسيين ، ثم يأمرهم ألا يهتموا أو يخافوا معطياً لهم مثل العصافير ، ثم يتكلم عن التجديف على الروح القدس وابن الإنسان ؛ ثم ينتقل إلى موقف آخر وهو الطلب الذى تقدم به شخص ليقسم له الميراث مع أخيه ورد يسوع عليه ، ثم تحذيرهم من القلق ، ثم يبشرهم بأن الملكوت لهم فيجب أن يكونوا مستعدين ، وهنالك موقف ثالث وهو سؤال بطرس له ، فيذكر له مثل الوكيل الأمين والعبد الساهر ، ثم إعلان آخر ( ٤٩ - ٥٣ ) لا نعرف الموقف الذى فيه ذكر السيد هذه الكلمات ؛ ثم عدة أقوال مختلفة إلى نهاية الأصحاح . وهكذا يجمع البشير لوقا مجموعات من تعاليم السيد ويضعها فى مواقف متنوعة ، وقد يكون الارتباط بينها ضعيفاً .

على خلاف ذلك يفعل متى البشير ، فقد لاحظ العلماء أنه قد جمع غالبية تعاليم السيد فى خمس وحدات كاملة هى كالآتى :

١ - الموعظة على الجبل ٥ - ٧ .

٢ - خطاب الإرسالية ١٠

٣ - أمثال الملكوت ١٣

٤ ــ الطابع السلوكى الذى يجب أن يسود فى الكنيسة ١٨

٥ ــ الخطاب النهائى ٢٣ ــ ٢٥

ونلاحظ الأمور التالية بالنسبة لهذه الوحدات التعليمية :

الأمر الأول : هو أن كل وحدة تسبقها مجموعة من الأعمال العظيمة التى عملها السيد ، فقبل الموعظة على الجبل دون البشير كرازة السيد فى المجامع والبلاد وقيامه بعمل معجزات شفاء وإخراج شياطين ودعوة تلاميذه الأوائل ( ٤ : ١٢ ــ ٢٥ ) .

وقبل خطاب الإرسالية ( متى ١٠ ) يذكر أيضاً مجموعة كبيرة من المعجزات العظيمة فى أصحاحى ( ٨ و ٩ ) وهكذا قبل كل وحدة من التعاليم بحيث تكون كل من الاثنين : الأعمال والتعاليم : وحدة متكاملة ، تنتهى كل واحدة منها بالعبارة « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال . . . » ( متى ٧ : ٢٨ ، ١١ : ١ ، ١٣ : ٥٣ ، ١٩ : ١ ، ٢٦ : ١ ) . ولقد اعتقد كثير من العلماء أن الكاتب فعل ذلك وكان غرضه أن يظهر المسيح على أنه موسى الثانى العظيم ، فكما نسبت إلى موسى الأسفار الخمسة ، هكذا تقوم هذه الأقسام الخمسة مكان أسفار موسى وهى تنسب إلى المسيا نفسه . . وكما أن الرب عمل بواسطة موسى أعمالا عظيمة قبل أن يعطيهم الناموس والوصايا ، هكذا قام السيد بنفسه بأعمال مجيدة كشفاء المرض وإقامة الموتى وتسكين العواصف وغيرها ، وبهذا يبرهن البشير على أن يسوع هو المسيا . إن هذا التفسير جذاب وممكن ولكنه يقرأ فى الكتاب أكثر مما يقصد الكاتب أن يقوله نعم إن هذه التعاليم والأعمال هى أعمال وتعاليم المسيا ، ولا يمكن لغير المسيا أن يفعل أو أن يعلم مثل ذلك ، إنها ليست لشخص عادى ، ولكن لقارئ لا يستطيع أن يسير إلى آخر المطاف مع هذا التفسير ، زد على ذلك أن هنالك

تعاليم أخرى متناثرة فى الإنجيل لا تدخل تحت هذه الأقسام الخمسة ، مثل تلك الموجودة فى ص ١٩ و ٢٠ مثلا فكيف نفسرها ؟ وهل يمكن أن نرجع إلى الأسفار الخمسة مرة أخرى وعهدها الناموسى قد كمل فى المسيح ؟

الأمر الثانى : الذى نلاحظه هو أن لكل قسم رسالته الخاصة به التى تظهر فى الأعمال والتعاليم التى تليها :

١ – ففى الجزء الأول أى ٤ : ١٢ – ٧ : ٢٧ يبدأ السيد خدمته وكرازته ويدعو تلاميذه ليكونوا معه ثم يقوم بمعجزات شفاء وإخراج شياطين . وكان هذا الأمر بمثابة إعلان العصر الجديد . . . إن التحديات التى قام بها هى قوات الملكوت . . فملكوت السموات قد ظهر ، ولكن كيف يكون هذا الملكوت . وأى نوع من الجديد هذا الذى يعلنه السيد ؟ وما موقفه من النظام الحالى فى الديانة اليهودية التى ولد وتربى فيها هو ؟ هذه الأسئلة وغيرها تجد إجابتها فى الموعظة على الجبل . فالجديد لا يمكن أن يظهر على حقيقته إلا إذا قورن بالقديم ، فهذه المقارنة هى الطريقة المثلى لكشف الحقيقة أمام الناس . ولهذا السبب يعلن السيد – بعد التطويبات أنه لم يأت ليمحو القديم ويهدمه ، ولكن لكى يتممه ويكمله .

إن النظام القديم نظام إلهى ولكنه نظام إعدادى لا بد وأن يتم فى النظام الجديد ، فى المسيح نفسه ؛ ومن يرد أن يعرف هذا الجديد فليفتح عينيه وأذنيه لكى يرى ويسمع ، وهنا يضع السيد مجموعة من المقارنات بين القديم والجديد ، سواء أكانت هذه المقارنة مباشرة ( ٥ : ٢١ – ٤٨ ) أو غير مباشرة فى تصحيح الأخطاء العملية ( ٦ : ١ – ٢٣ ) أو فى إعلان بر الملكوت والعهد الجديد ( ٦ : ٢٤ – ٧ : ٢٧ ) . هذه هى رسالة القسم الأول .

٢ – ويأتى القسم الثانى ( ٨ : ١ – ١٠ : ٤٢ ) فنجد البشير يعد لهذا القسم بقوله « ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة . . جموع أخذت بسلطان تعليمه وأعماله وكانت جموع محتاجة فى كل شئ » ، ولهذا أقام السيد مجموعة كبيرة من الآيات والمعجزات . إن طبيعة الملكوت بدأت تظهر وتتضح فى أعماله العظيمة ، وأحس الناس بحاجتهم إليها . وكان يسوع يعرف تلك الحاجة والضرورة القصوى التى وضعت عليه وعلى تلاميذه لكى يتبعوها ولهذا السبب دعا تلاميذه وأعطاهم سلطاناً مزدوجاً : سلطان الشفاء والعمل ، وسلطان الكرازة لكى يعلنوا أن ملكوت السموات قد قرب ، وخاطب تلاميذه محذراً لهم من أن يذهبوا إلى طريق الأمم أو السامريين ، بل كان عليهم أن يذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، ثم كشف لهم عن كيفية الخدمة ومتاعبها وظروفها والمعونة الإلهية التى تظللهم فى كل خدمتهم .

٣ – أما القسم الثالث ( ١١ : ١ – ١٣ : ٥٢ ) فتتركز حوادثه أساساً على سؤال يوحنا المعمدان الذى أرسله للمسيح وهو فى السجن عما إذا كان هو المسيا الآتى حقيقة . ونقرأ عن دفاع السيد عن هذا الرجل الأمين وتوبيخه للناس على عدم تمييزهم لرسالته أو لرسالة يوحنا المعمدان ، وخصوصاً تلك المدن التى عمل فيها أكثر قواته ، إنها مدن قاسية سوف تكون حالتها أكثر ضيقاً وقسوة أمام الله عن سدوم وعمورة . . ولكن فى مواجهة هذه المدن القاسية يشكر السيد الآب لأجل البسطاء العظماء ببساطتهم الذين أعلن الله لهم أسرار ملكوت السموات عن طريقه هو ، الذى جاء ليريح من يأتى إليه . هذا كله فى الأصحاح الحادى عشر . أما الأصحاح الثانى عشر فيدور كله حول المجادلات بين المسيح واليهود على كثير من الأمور . عن السبت ، وعن موته فى إخراج الشياطين ، وعن عدم مقدرتهم على تمييز الأزمنة والأمور كما فعلت ملكة التيمن وأهل نينوى .

ولهذا فقد تبع ذلك مجموعة من أمثال السيد تكشف أن هذا الملكوت ليس لهؤلاء المرائين الجهلاء ، ولكن للبسطاء الذين أعطاهم الآب أن يعرفوا ويختبروا سرها ، ومهما كانوا ضعفاء بسطاء فإن ملكوت الله سوف يكبر وينتشر ، لأن العامل هو الله نفسه . فلن يعطل عمله زوان أو عدو أو قسوة الناس ، إن الملكوت ملكوت الله وسلطانه وليس عمل إنسان ضعيف .

٤ ــ القسم الرابع ( ١٣ : ٥٤ ــ ١٨ : ٣٥ ) هنا تظهر مجموعة من الحوادث الهامة فى مثل يوحنا المعمدان ، وقيام السيد بمعجزات عظيمة هى معجزات الطبيعة ، كإشباع الجموع بخمسة أرغفة وتسكين البحر والعاصفة ومجموعة أخرى من المعجزات والمجابهات بينه وبين الفريسيين . ولكن لعل أهم حادثتين هما اعتراف بطرس العظيم وإعلان السيد عن آلامه وموته ؛ وعن وضع أساس كنيسته العظيمة وكانت هذه الإعلانات عظيمة وباهرة حتى أن التلاميذ لم يستطيعوا إدراك أبعادها . كانت ثقيلة على أفهامهم وعيونهم وقلوبهم ، واحتاجوا إلى عمل عظيم يقوم به السيد فأخذهم على جبل التجلى . وهناك أظهر نفسه لهم . أعلن الآب أنه أعظم من إيليا ومن موسى وأنهما قد جاءا ليقدما له الخضوع والولاء لأنه سيدهم ، والملك الذى كانوا ينتظروه ، لقد انتهى القديم وبدأ الجديد . . ملكوت الله وكنيسة المسيح التى يرتبط بها هذا الملكوت .

وعلى هذا الأساس فقد كان خطاب السيد الذى ينبع عن الطريقة السليمة التى يجب أن تسير فيها الكنيسة . . إن أعضاء الكنيسة يجب أن يكونوا بسطاء كالأولاد ، لا يسببون العثرات ، شفوقين متسامحين إلى أقصى حدود المسامحة ، مرتبطين معاً بالولاء للسيد ولكنيسته ، إن أعضاء كنيسة المسيح يجب أن يعلنوا بر الملكوت فى حياتهم ويظهروا مجد العهد الجديد .

القسم الخامس ( ٥ — ١٩ : ١ — ٢٥ : ٤٦ ) هذا القسم يحتوى على مجموعة كبيرة متنوعة من الحوادث : المجابهات مع الفريسيين الآيات والقوات التى عملها السيد الإعلانات التى يعلم بها تلاميذه . . كل هذا حدث فى ما نسميه الرحلة إلى اليهودية ودخوله الانتصارى إلى أورشليم وتحديه للكتبة والفريسيين وإخراج باعتهم وتجارهم من الهيكل . وكانت هذه علامة النهاية لخدمته الجسدية على الأرض وقرب افتراقه عن تلاميذه . ولهذا السبب يضع متى مجموعة واسعة جداً من التعاليم : ملخصها إعلان الدينونة على القديم القاسى وزواله لأنه رفض ابن الله ، وإعلانات عميقة للكنيسة لكى تسهر وتنتظر سيدها ، إن هذه الأقوال التى جمعها متى تعكس حالة الكنيسة فى عصره إذ بدأت تقلق لتأخر مجئ السيد ولهذا يذكرهم بقول السيد لتلاميذه وتأكيده لهم عن مجيئه الفجائى ، ولكنه مجئ غير معروف الزمن . والوقت ، وما عليهم هم إلا أن يكونوا صابرين ساهرين موقدى السرج متممين مسئوليتهم التى وضعها الرب عليهم .

هذه هى رسالة الأقسام الخمسة ونلمح فيها نوعاً من التصعيد فى رسالة المسيح : والتصعيد فى توضيح الإعلان. فمن مقارنته الجديد بالقديم إلى إعلانه الدينونة على القديم وزواله ثم كشف أسرار ملكوت الله وكنيسته العظمى .

**التفكير اللاهوتى فى إنجيل متى :**

ما هى الأسس اللاهوتية فى هذا الإنجيل ؟ هل هناك حقائق كبرى يريد أن يبينها ويظهرها ؟ مهما قيل عن إنجيل متى فهناك على الأقل ثلاث حقائق هامة يتكلم عنها وتدور حولها هذه الحقائق الثلاث هى :

١ — القائد أو الوسيط الجديد .

٢ — الجماعة الجديدة التى أصبحت شعب الله .

٣ — البر الجديد فى ملكوت الله .

(أ) القائد أو الوسيط الجديد :

كان واحداً من الأهداف العظمى للبشير مرقس أن يظهر أن يسوع الناصرى هو المسيح الذى انتظره اليهود وتمم كل انتظارات العهد القديم .

ولهذا السبب فقد بدأ بالأنساب مبتدئاً بالقول « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبرهيم » ، ولم يكن قصد البشير أن يعرفنا بأسرة يسوع الناصرى ، ولكنه كان قصده أن يظهر أن هذا الشخص هو الملك ابن داود . وكان الوعد لداود أن لا ينقطع الملك من بيته إلى الأبد بل سوف يثبت ملك ابنه دائماً (٢ صموئيل ٧ : ١٢ — ١٧) . وهذا ما رآه إشعياء النبى فى قوله « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب » (إشعياء ١١ : ١ — ٥) . وتنبأ كذلك حزقيال النبى « . . فيكونون لى شعباً وأنا أكون لهم إلهاً ، وداود عبدى يكون ملكاً عليهم كلهم » . . (حزقيال ٣٧ : ٣٣ و ٣٤) . وكان البشير يقصد من هذه الأنساب شيئاً آخر هو أن التاريخ الإسرائيلى الذى تحطم وانتهى سوف يرجع مرة أخرى . ويظهر ذلك فى حساب الأجيال . فقد رواها البشير متساوية من إبرهيم إلى داود أربعة عشر جيلا . وهى عصر البداية المرتفعة التى وصلت قمتها فى داود ، ولكن هذا التاريخ بدأ ينحدر بعد داود حتى وصل إلى السبى فى أحط الحضيض ، ولكن هذا الحضيض ارتفع مرة أخرى وجاء المسيح ورد كل الأمجاد الروحية . ويقول بعض العلماء إن الأربعة عشر جيلا التى بين السبى والمسيح هى نفس المدة التى يذكرها دانيال فى كتابه بالسبعين أسبوعاً (٩ : ٢٤) أو هى السبعون سنة التى ذكرها إرميا وفيها يرد الرب السبى الأعظم بمجئ المسيا كما

يقول علماء اليهود ( إرميا ٢٩ : ١٠ ) أنظر J. Ropes The S. Gospels (ص ٤٦ و ٤٧) .

وهذا ما ظهر أيضاً فى قول رؤساء اليهود لهيرودس الذى سأل عن ملك اليهود واين يولد فقالوا فى بيت لحم اليهودية (٢ : ٤ — ٦) وفى معموديته نزل الروح القدس عليه كحمامة بهيئة مرئية وجاء صوت من السماء يعلن أن هذا الرجل هو ابنه الحبيب (٣ : ١٣ — ١٧) .

ولم تكن التجارب الثلاث التى يذكرها متى بتوسع تجارب إنسان عادى بل هى تجارب المسيا : بهذا ينطق المجرب بقوله « إن كنت ابن الله » ( ٤ : ٣و ٦ ) ولم تكن هذه صيغة تشكك من المجرب ولكنها صيغة اليقين من أن هذا الرجل الذى يجربه هو ابن الله حقيقة. وكانت أنواع التجارب غريبة على إنسان عادى لأنها كانت تنصب على إقامة سلطان الله وملكه بين الناس .

وبعد انتصاره يخرج ليعلن مجئ ملكوت الله ( ٤ : ١٧ ) وبعد ذلك يقف أمام الجموع ويكلمهم بالموعظة على الجبل معلناً لهم سلطانه العظيم عندما يقارن عمله العظيم وعهده الجديد ، بذلك العهد الفائت الذى انقضى فى قوله « سمعتم أنه قيل للقدماء . . أما أنا فأقول لكم » (متى ٥ : ٢١ و ٢٧ و ٣١ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٣) .

ثم نجد سلطان المسيح واضحاً فى إرساله لتلاميذه وخاصة فى تلك الكلمات التى يستهل بها الإرسالية « ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » ( ١٠ : ١ ) فهو ليس صاحب سلطان فقط ولكنه يستطيع أن يهب هذا السلطان العظيم . إنه يظهر قوته وسلطانه العظيم فى أعمال عظيمة ويشارك تلاميذه هذا السلطان .

وحتى فى صلبه لم يصلب كشخص عادى ، ولكنه صلب على أنه الملك ، ولا أدل على ذلك من تلك الكلمات التى كتبت على الصليب كعلة لصلبه « هذا هو يسوع ملك اليهود » ( ٢٧ : ٣٧ ) .

ولعل أعظم ما كتب فى إنجيل متى إعلاناً عن يسوع الملك المسيا هو تلك المجموعة من النبوات التى تممها الرب فى حياته وعمله . وقد كان متى أكثر من اهتم من البشيرين بهذه المسألة الهامة لدى اليهود . فإنجيله يحتوى على ما يزيد عن عشرين اقتباساً للنبوات التى تمت منها ما يزيد عن سبعة اقتباسات فى مقدمة الإنجيل أى فى قصة الميلاد والمعمودية والتجربة ، ثم يحتوى الجزء الخاص بأسبوع الآلام مجموعة كبيرة أيضاً من الاقتباسات التى تمت وكل هذه تنصب على يسوع كمتمم للعهد القديم كملك وكنبى وكعبد الرب وكمعلم . .

هذا هو المسيح كما يظهر فى إنجيل متى أنه المسيا الذى تمم نبوات العهد القديم مع أنه رفض كثيراً من انتظارات اليهود الأرضية التى لم تتوافق مع ملكوت الله .

(ب) لكن إنجيل متى يذهب إلى مدى أكثر عمقاً من ذلك فهو يظهر أن ابن داود هو أيضاً ابن الله . وهذا يظهر بكل وضوح فى أمور كثيرة : فولادته من عذراء يفسرها «الله معنا» ( ١ : ٢٣ ) فابن داود عند متى ليس شخصاً سياسياً من أصل بشرى ، ولكنه جاء من الله . لقد حبل به من الروح القدس ( ١ : ٢٠ ) وله صلة فريدة مع الله الآب السماوى .

ويظهر هذا السمو فى شخصية السيد فى قوله « كل شئ قد دفع من أبى وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » ( ١١ : ٢٧ ) . فالآب الذى وضع فى فم الأطفال أن يرنموا هاتفين

« أوصناً لابن داود » ( ٢١ : ١٥ و ١٦ ) هو نفسه الذى أعلن لبطرس أنه « هو المسيح ابن الله الحى » ( ١٦ : ١٦ – ١٧ ) فالرجل المختار رئيس شعب إسرائيل لم يكن إلا المسيح الإله المتجسد فى الكنيسة المسيحية .

هذا الإعلان السامى « كل شئ دفع إلى من أبى » ( ١١ : ٢٧ ) كان أساس الإعلان الأعظم الذى كشفه السيد وقت الإرسالية العظمى « دفع إلى كل سلطان مما فى السماء وما على الأرض » ( ٢٨ : ١٨ ) . هنا يبدأ يسوع المسيح فى سلطانه وعمله العظيم . فابن داود هو ابن الله الوحيد وهو فى نفس الوقت ابن الإنسان . فهو إذ يقول إن كل سلطان مما فى السماء وما على الأرض قد دفع له ، فإنما يشير بذلك إلى رؤيا دانيال عن شبه ابن إنسان الذى أعطى مملكة وسلطاناً على كل الأرض وسلطانه ما لن يزول وملكوته ما لن ينقطع ( دانيال ٧ : ١٤ ) . وهو هكذا يسيطر بسلطانه الفدائى على الجميع ، عده على كل الأمم . كابن الله وابن داود وابن الإنسان وابن إبرهيم .

٢ – الجماعة الجديدة :

كان من نتيجة حياة السيد وموته وقيامته ورسالته أن ظهرت الكنيسة العامة التى تتكون من الأمم واليهود معاً . . هذه الكنيسة هى إسرائيل الجديد الذى هو شعب الله الجديد . فالإنجيل يبدأ بالإعلان « الله معنا »( ١ : ٢٣ ) ثم ينتهى بالموعد العظيم الذى يعطيه السيد المقام لتلاميذه أن يكون مع تلاميذه الذين يجيئون من كل أطراف الأرض من الآن إلى انقضاء الدهر (٢٨ : ٢٠). فهو يبدأ وينتهى بشمولية الإنجيل فمن أول المجوس الأمم فى فاتحة الكتاب إلى الأمر بالذهاب إلى العالم أجمع . ولتكوين الجماعة الجديدة نجد :

( أ ) اهتمام الإنجيل بالأمم . ومع أنه كتب إلى جماعة يعتقد أنها من أصل يهودى ، ومع افتخاره بسمو اليهودية والناموس ، إلا أنه من أهم الأناجيل

الذى يهتم بالأمم . فإرسالية السيد كان جزء هام منها فى الأمم ، إذ يقول الإنجيل « لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم » ( ٤ : ١٤ و ١٥ ) . ثم يصف السيد على أنه عبد الرب الذى قيل فيه « هوذا فتاى الذى أخذته حبيبى الذى سرت به نفسى أضع روحى عليه ليخبر الأمم بالحق . . وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» ( ١٢ : ١٨ و ٢١ ) ولهذا فقد رأى السيد أن أممياً يحمل فى قلبه وحياته إيماناً لم يجده فى اسرائيل نفسها ( ٨ : ١٠ ) . وفى وليمة المسيا حيث يرفض المدعوون أن يأتوا إليها نجد أنها تمتلئ من أناس من الشرق ومن الغرب أما أبناء الملكوت فإنهم يطرحون إلى الخارج ( ٨ : ١١ و ١٢ ) . فمن هذا نستطيع أن نرى اهتمام الرسول متى بالأمم . ومع أنه من أصل يهودى لكنه متفتح إلى الإرسالية إلى الأمم التى تبدأ مع المسيح نفسه .

(ب) ولكن خدمة يسوع فى الأصل لليهود لكى يأتى بهم إلى الكنيسة العامة . فهو يقول للمرأة الكنعانية أو للتلاميذ « لم أرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة ( ١٥ : ٢٤ ) . وفى إرساليته لتلاميذه قال لهم « إلى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ( ١٠ : ٥ و ٦ ) هذا القول لا يتنافى مع ما سبق من موقفه من الأمم . فإن كان فيه نوع من التمييز أو الانغلاق على اليهود فقط ، لكن هذا كان واحداً من الأدوار التكتيكية فى خدمة السيد . فهو لا يستطيع أن يرسل التلاميذ إلى الأمم وهم لا يعرفون للآن العمل العظيم الذى سوف يعمله الله فى السيد لفداء العالم . إن مجئ الأمم يحتاج إلى تلك الخطوة الحاسمة التى لم تكن قد حدثت بعد : موته وقيامته ومجئ الروح القدس . وإلى جانب ذلك فإن الإرسالية فى أساسها هو أن يجعل من اليهود أمة تحمل الإنجيل إلى العالم لأن هذه كانت رسالتها من البدء . ولكنها لما رفضت أخذ منها الملكوت وأعطى

لأمة تؤتى ثماره ، ولكن إذا كان اليهود كافة قد رفضوا رسالتها لكن هناك الكثيرون منهم الذين قبلوه وأعطاهم الملكوت أيضاً . فالكنيسة هي الكنيسة العامة من الأمم واليهود .

( حـ ) إن إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد الذى يذكر كلمة الكنيسة فى موقفين ؛ فى ١٦ : ١٨ حيث يعلن أن أساس الكنيسة هو بطرس واعترافه العظيم ، وإعطاؤه مفاتيح ملكوت السموات التى تعنى سلطان الربط والحل . أما الموقف الثانى فى ١٨ : ١٧ و ١٨ فقد أعطيت هذه كلها : السلطان والحل والربط للكنيسة كلها . نعم قد تعنى هذه الكلمة « كنيسة » الجماعة فى ذاتها ، دون النظر إلى ما تشمله من تنظيمات مختلفة وأعمال إدارية وتنظيمية . بمعنى أنه يتكلم هنا عن جوهر الجماعة المفدية وليس عن مظهرها الخارجى أمام الناس فى نظمها وحكامها وغير ذلك . إن العمل الأساسى الذى يعطيه الرب للكنيسة هو عمل المصالحة ، عندما يقول « إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه . . وإن لم يسمع منك فخذ معك واحداً أو اثنين . . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار » ( ١٨ : ١٥ – ١٧ ) . وهذا يعطى للكنيسة ككل أو كجماعة كاملة . السلطان النهائى فى الحكم والمصالحة بين أعضائها . فهى فى الحقيقة مجتمع المصالحة .

( د ) ولكن ما هو معنى الكنيسة كما يفهمها إنجيل متى ؟ يظهر ذلك فى ١٨ : ١٩ و ٢٠ « وأقول لكم أيضاً إن اتفق إثنان منكم على الأرض فى أى شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » الكنيسة هى الجماعة التى تجتمع باسم المسيح ، وهم يريدون أن يروه . عندئذ يأتى بينهم . فالكنيسة هى الجماعة التى تجتمع باسم المسيح وهى التى يكون فيها هو . ويربطهم شئ

آخر وهو أن يجتمعوا فى فكر واحد وهدف واحد وعندئذ يتقدمون إلى الله فى الصلاة فى وحدة الفكر والطلب وهم يعلمون أنهم ينالون طلبهم .

لكن الكنيسة لها معنى مكمل لذلك ذكره السيد وهو يرسل تلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » ( ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ) ، فالكنيسة هى المجتمع المرسلى الذى يذهب إلى العالم كله لكى يتلمذ ويعمد ويعلم : : إن كل عضو فى هذا المجتمع هو الكنيسة كلها عندما يذهب إلى العالم لكى يتوسط بين الله والناس

٣ – البر الجديد :

يقول السيد لتلاميذه «فإنى أقول لكم إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » ( ٥ : ٢٠ ) . ولكى تكمل الصورة يقول فى سلطانه العظيم « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأنى نيرى هين وحملى خفيف » . ( ١١ : ٢٨ – ٣٠ ) . هذان هما حدا البر الجديد لملكوت الله : الحد الأول إنه يزيد على بر الكتبة والفريسيين والحد الثانى أنه نير المسيح . وكلمة النير أخذت عن المعلمين اليهود عندما كانوا يتكلمون عن نير ملكوت السموات ، فمن يحمل نير ملكوت السموات معناه أنه يظهر هذا الملكوت ويظهر البر الذى يتطلبه . وهكذا من يحمل نير المسيح معناه أن يظهر « بر المسيح » وفى هذا الأمر يشابه متى الإنجيلى والرسول بولس عندما يتكلم عن هذا الأخير عن«ناموس المسيح»أو بر المسيح ( رومية ٨ : ٢ ) .

( أ ) وهنا يواجهنا السؤال : ولماذا يربط السيد بر ملكوت الله ببر

الكتبة والفريسيين ؟ وما هو بر هؤلاء ؟ ألا يتركز برهم هذا فى الناموس ؟ وهل معنى ذلك أن بر المسيح يجب أن يزيد عن الناموس ؟ إجابة السؤال الأخير تظهر فى قوله « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » ( ٥ : ١٧ — ١٩ ) .

ينفى السيد هنا نفياً قاطعاً أنه جاء لينقض الناموس أو الأنبياء أى أنه يقدس العهد القديم ككلام الله ولا يمكن أن يزيله ، ولا يمكن أن يمحو سلطانه بل سوف يبقى إلى أن يكون الكل . ولكن السيد لم يقف إلى حد هذا الأمر السلبى ، إن كل معلم يأتى يستطيع أن يقول ذلك ، بل وهو ملتزم به ، وإلا فإنه يرجم . لا يمكن ليهودى أن ينقض الناموس أو الأنبياء . ولكن الأمر الذى يفوق فيه المسيح الجميع هو الناحية الإيجابية : وهو أنه جاء « ليكمل » . وبمعناها هنا لا يمكن أن تخرج من فم أى نبى ، مهما كان ولا من فم أى كاتب . إن التكميل ليس معناه الزيادة . ولكن إتمام الهدف منه والغرض الذى جاء من أجله ، فهو بذلك يشرح المعنى الحقيقى له . فالناموس ليس هدفاً فى ذاته ولكنه واسطة لمصالحة الناس بالله ، هذا ما فهمه السيد من الناموس ولهذا فلم يفرق فيه بين وصية وأخرى ، ثقيلة كانت أو خفيفة كما فعل الربيون ، ولكنه أخذ الناموس ككل . . كله متساو وكله يهدف إلى شئ واحد ، هذا الهدف هو ما أعلنه السيد وعلم بمعناه وتممه أو أكمله .

ولعل هذا المعنى السابق يتضح فى العبارة التى ظن كثيرون أنها تتناقض مع ما سبق « سمعتم أنه قيل للقدماء . . أما أنا فأقول لكم » ( ٥ : ٢١ — ٤٨ ) .

إن السيد هنا لا يقارن البر الذى يأتى به الناموس . . كلا إن المقارنة ليست بين ناموس وناموس ، بل بين تفسير وتفسير . يجب أن نلاحظ هنا الفرق بين الكلمة « سمعتم » والكلمة « مكتوب » ولقد استخدم السيد الكلمتين : الكلمة « مكتوب » عندما كان يقتبس العهد القديم نفسه ، وهذا استخدمه بكل الاحترام الذى يكنه رجل يهودى متمسك بالعهد القديم من تقديس واحترام . أما هذه الكلمة «سمعتم» فغالباً ما استخدمها السيد ليشير بها لا إلى العهد القديم أو الناموس وحده بل إلى تفسير ومفهوم الكتبة والفريسيين له . إن هؤلاء المعلمين كانوا يعطون تفسيرات خاصة للناموس عندما يعلمون الناس ويسمعونهم هذا فى المجمع ، فى مقابل هذا التفسير يعطى السيد تفسيره هو . ولهذا فهو لا يعطى وصية بدلا من أخرى ولكنه يضع تفسيراً إلهياً .ويظهر الهدف الأسمى الذى جاء الناموس من أجله . . فالبر فى ملكوت السموات . . بر المسيح هو نفسه الناموس ولكن بالمفهوم المسيحى . . المفهوم الذى أعطاه السيد له ، التفسير الذى فسره إياه . بهذا فقط يزيد بر التلاميذ عن بر الكتبة وكل اليهود المتمسكين .

(ب) ولكن بر ملكوت السموات أو بر المسيح . لو وقف عند ذلك الحد لأصبح ، مع كل السمو الذى يظهر فيه ، نسخة أخرى من التفسير القديم للناموس مع إضافة صعوبات أخرى تجعل من هذا الناموس مصدراً للألم لا للفرح . إن السيد قبل أن يعلن هذا الناموس وضع أساساً متيناً له ، بل وضع الأساس الوحيد الذى يجب أن يقوم عليه كل شئ . فإذا رجعنا إلى الموعظة على الجبل فى متى ٥ — ٧ نجدها تبدأ بداية أخرى : إنها تبدأ بالإنسان ذاته قبل أن تبدأ بالوصايا . ففى الجزء الذى نسميه بالتطويبات وفى ما يليه من القول « أنتم ملح الأرض . . أنتم نور العالم » ( ٥ : ١ — ١٦ ) نجد التنبير كله على الإنسان الذى وضع عليه أن يقوم بهذا الناموس . فقبل

الوصية هناك الإنسان الذى توضع له هذه الوصية . وإلا فما هى فائدة الوصية ؟ وقبل أن تأمر بعمل شئ يجب أن تجهز الإنسان الذى تطلب منه أن يقوم بهذا العمل . هذا هو المعنى الحقيقى للتطويبات، وما يليها . إن السيد يصنع الإنسان أولا . . المؤمن أولا يخلق هذا الذى يطلب منه أن يقوم بهذه الوصايا . ولعل هذا الأمر هو موطن الضعف الأساسى فى مفهوم اليهود والناموس . لقد ركزوا كل جهودهم على الناموس ، لقد حفظوه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ، ولكنهم نسوا الإنسان . جعلوا الناموس يأتى إلى إنسان ضعيف ، عبد ، لا يستطيع أن يفعل إلا القشور . وعندما نقول الإنسان لا نعنى مركز الإنسان فهذا أيضاً ينبر عليه اليهود لأنهم كانوا يتفاخرون على العالم كله إنهم أبناء إبرهيم ، ولكننا نعنى بالإنسان هو نفسه ، فى داخله ، فى حياته وكيانه وإمكانياته وقواه .

ونسيانهم للانسان كعنصر أساسى دليل على عدم فهم عميق وحقيقى للعهد القديم . فهناك أمران فى غاية الأهمية يظهران فى العهد القديم : الأمر الأول هو أن الله فى مجده قبل أن يكتب الوصايا التى تربط حياة الإنسان بالعالم قال هذه الكلمات « أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » ( ٢٠ : ٢ ) . أخرجهم من العبودية إلى أين ؟ ليقول « أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلى : فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض » . إن الرب أخذهم من العبودية وجاء بهم إليه ليجعلهم لنفسه . أى أنه أقام معهم علاقة حقيقية خاصة لم يقمها مع أى شعب آخر ، ولأجل ذلك طلب منهم أن يسمعوا لصوته .

أما الأمر الثانى : فى النبوات عندما يقول إرميا « ها أيام تأتى يقول الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد

الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم وأخرجتهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين إعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد » ( إرميا ٣١ : ٣١ – ٣٤ ) هنا يظهر أهمية الإنسان فى الناموس والأنبياء . فعندما عرف الإنسان أن حياته ليست فقط لعمل ناموس ولكن ليكون فى شركة مع إلهه ، وعندما يكون مفهومه للديانة على أنها علاقة معه ، سيكتب الله هذه الشريعة على قلبه . وعندئذ سيفهم الناموس . ويتممه به . هذا ما اهتم به السيد أولا وقبل كل شئ ، إنه أخذ نص وروح العهد القديم ، أعطاه معناه الصحيح وبذلك أظهر البر الحقيقى ، بر ملكوت السموات الذى يتلخص فى مفهوم وتفسير جديد للناموس، ثم فى تجهيز الإنسان لكى يتمم هو الناموس... ناموس الله .

الفصـــل الرابع

# إنجيل لوقا وسفر الأعمال

هناك شبه اجماع إن لم يكن إجماع تام على أن هذين الكتابين قد كتبا بقلم واحد ولهدف واحد وهما معاً يكونان أكبر كمية يكتبها فرد واحد في العهد الجديد ، فهما أكبر من الثلاث عشرة رسالة التي كتبها الرسول بولس وأكبر من كتابات الرسول يوحنا كلها ؛ ولهذا يفرضان نفسهما على أي دارس للعهد الجديد بكيفية عميقة .

ولكن السؤال الأول الذي يفرض نفسه هو ما هي الأدلة التي يبنى عليها العلماء حكمهم هذا ؟ وما هو الأساس الذي يجعل من الكتابين امتداداً واحداً ؟ هناك عدة أدلة على ذلك :

**١ ـ المؤلف الواحد :**

هذه حقيقة معترف بها في كل الأوساط ولقد أجمع العلماء على أن من كتب الإنجيل هو بنفسه الذي كتب سفر الرؤيا . والكتاب الثاني ـ سفر الأعمال ـ يعترف بذلك ( أعمال ١ : ١ ) . والمكتوب إليه شخص واحد وهو « ثاوفيلس » . ولسوف نعرف أن الشهادة الخارجية أيضاً ـ أي شهادة الآباء ـ تؤيد ذلك ، عندما ندرس عن شخصية المؤلف في الصفحات القادمة .

٢ – اللغة والأسلوب :

وهناك تشابه كبير فى اللغة بين الكتابين . فالعبارات والاصطلاحات التى يستخدمها تشابه إلى حد كبير العبارات والاصطلاحات التى استعملها كتاب اليونانية الكلاسيك . وفى كثير من أجزاء الكتابين يعتبر الأسلوب أسمى أسلوب ظهر فى العهد الجديد ، مما يدل على أن للكاتب مقدرة أدبية كبيرة . وقد سبق ورأينا فى مقارنة إنجيل لوقا بإنجيل مرقس الفرق بين الأسلوبين ، وكيف أن لوقا كان يخفف من أسلوب سابقه الذى كان يقتبس منه أو يترجمه إلى اليونانية ( كما ترجم كلمة الجمجمة بدلا من الجلجثة) ( ٢٣ : ٣٣ ) والمعلم بدلا من ربونى ، والغيور بدلا من القانونى ( لوقا ٦ : ١٥ مع مرقس ٣ : ١٨ ) . هذا كله لكى يحسن فى أسلوبه اليونانى مما يدل على أن كاتب الكتابين لوقا والأعمال شخص واحد لأن أسلوبهما يتميز عن بقية الأناجيل .

٣ – الدوافع الأساسية الواحدة فى كلا الكتابين :

كل من يقرأ الكتابين يجد أن الكتاب الثانى امتداداً للأول ، لأن الدوافع الأساسية التى تحكم الكتاب الأول هى نفسها التى تحكم الكتاب الثانى . لكن فى صورة امتداد وتكامل . ومن هذه الدوافع التى نجدها بين الاثنين :

**الروح القدس:** ودوره فى خدمة يسوع المسيا ورسالته وشخصيته كما هو واضح فى الإنجيل ، يظهر نفس هذا الدور ولكن مع الكنيسة ورسالتها كما فى سفر الأعمال : :

**العامل الجغرافى** : فى كلا الكتابين تكامل ، فالمسيح يبدأ خدمته من الجليل ثم يتقدم إلى الرحلة فى طريقه إلى أورشليم . ومن هناك ، فى سفر الأعمال ،

تبدأ الكنيسة إلى كل اليهودية ثم السامرة ثم إلى أنطاكية وأخيراً إلى روما . . .
كل ذلك فى مد لا رجعة فيه .

**والعامل التاريخى** : إذ أن من يقرأ الكتابين يجدهما متكاملين تاريخياً والتاريخ الذى فيهما يرتبط بالتاريخ العالمى ومن يقرأ الأعداد الأولى فى الأصحاح الثانى والثالث من الإنجيل وكذلك سفر الأعمال يجد أن التاريخ المقدس ليس منفصلا عن التاريخ العام بل مرتبط به مع أنه متميز عنه ، ونجد أن هذا العنصر التاريخى مهم جداً فى الكتابين مما يدل على أن عقلا واحداً وراء الإثنين وهذا كله سوف يدرس بتوسع فى الصفحات التالية ولكن من هو هذا الكاتب .

**كاتب لوقا — الأعمال :**

الكتابان لا يفصحان عن اسم الكاتب ، ولا نجد شيئاً فى هذا الاتجاه سوى ما يظهر فى سفر الأعمال الأصحاح السادس عشر والعدد الحادى عشر عندما تبدأ القصة فى لغة الشخص الأول « مما » يدل على أن الكاتب كان مشاركاً فيها . ولكن هذا الأمر ليس عاملا أساسياً فى كشف النقاب عن شخصية الكاتب . قد يكون عاملا مساعداً كما سيظهر فيما بعد ، ولعل المصدر الأول والأساسى لمعرفة الكاتب هو الشهادة الخارجية .

**الشهادة الخارجية :**

هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما ١٦٠ — ١٨٠ م اسمها « ضد مارسيون » فيها يقول الكاتب عن لوقا إنه من أنطاكية فى سوريا مهنته طبيب وكان أعزباً بدون زوجة مات وهو فى سن ٨٤ سنة فى بويتيه Boeotia ممتلئاً بالروح القدس . . . وقد كتب إنجيله كله فى المناطق التى تحيط بأخائية لكى يفسر

للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي وكتب قصة يوحنا المعمدان الذى يعتبر الشخص الذى أعد الطريق للرب الذى تنبأ عنه أحد الأنبياء الصغار ( ملاخى ) . وبعد ذلك كتب لوقا « سفر الأعمال » .

هذه مقتطفات من هذه الشهادة التى لا يعرف كاتبها وقد قبلها كثير من العلماء لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسيون من يكذبها . مما يدل على أنها تقليد كنسى قوى . وقد كانت قائمة الموراتورى فى توافق تام مع هذه الشهادة ؛ وكذلك إيريناوس ( ١٨٥ م ) يؤكد مسئولية لوقا عن إنجيل لوقا وسفر الأعمال . ومن قبله جاستن مارتر ( ١٥٠ م ) وأكلميضدس الإسكندرى ، وأوريجانس وترتليان وكل آباء الكنيسة يتفقون على أن لوقا هو الذى كتب الكتابين معاً . وهكذا يؤكد التقليد الكنسى هذه الحقيقة بدون أدنى شك ، ولا يوجد هناك أى سبب لأن يشك أى عالم فى هذا التقليد القوى .

الشهادة الداخلية :

كما سبق القول تكمن قوة الشهادة الداخلية فى أنها تقوى وتؤكد الشهادة الخارجية رغم أنه لا يوجد أى دليل صريح يقول إن لوقا هو كاتب الاثنين . ويمكننا أن نعرض هذا الأمر هكذا :

١ — يذكر الرسول بولس اسم لوقا فى ثلاثة مواضع فى كتاباته حيث يصفه بأنه رفيقه ، ( كولوسى ٤ : ١٤ ) . « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس » ثم فى فليمون ٢٤ « يسلم عليكم أبفراس . . . ولوقا العاملون معى » . وأخيراً فى تيموثاوس ٤ : ١١ يقول الرسول فى تعبير مؤلم « لوقا وحده معى » . هذه العبارات الثلاث توجد فى رسائل كتبت من السجن وهو سجن روما بحسب رأى غالبية العلماء . فإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الشواهد توافق سفر الأعمال الذى يشهد بأن لوقا كان مع الرسول بولس عند سجنه فى

روما . ولكن هذه الشهادة تبنى على شهادة أخرى أكثر صراحة منها وتتجه مباشرة إلى لوقا .

٢ - الشهادة المباشرة : هذه الشهادة تنبع من الظاهرة الموجودة فى سفر الأعمال وتبدأ من ١٦ : ١٠ وهى التى تدعى « فقرات - نحن » أى التى تكتب فى صيغة المتكلمين الجمع ، وهى تنحصر فى الأماكن التالية :

(أعمال ١٦ : ١٠ - ٤٠ ) وهو الجزء الذى فيه يذهب الرسول إلى مكدونية ثم تبشيره فى فيلبى إلى أن خرج منها بعد حادثة السجان .

(أعمال ٢٠ : ٥ - ١٦ ) وهو الجزء الذى فيه يأتى الرسول إلى فيلبى مرة أخرى وذهابه إلى ترواس ثم إلى ميليتس .

( أعمال ٢١ : ١ - ١٨ ) وهو الجزء الذى يتكلم عن رحلة العودة حتى وصوله إلى قيصرية .

( أعمال ٢٧ : ١ - ٢٨ : ١٦) وهو يتكلم عن رحلة الرسول من قيصرية إلى رومية كسجين ووصف الرحلة وانكسار السفينة .

هذه الفقرات تدل على أن الشخص الذى كتبها كان رفيق سفر للرسول . فقد قابله أولا فى فيلبى ثم افترق عنه ، وقابله مرة أخرى فى مكدونية أو فيلبى ثم ذهب معه إلى قيصرية . وبقى هناك إلى أن ذهب الرسول إلى أورشليم واحتجز هناك ، وبعد سجنه سنتين فى قيصرية رافقه إلى روما . نعم لقد رافقته مجموعة أخرى يذكرهم سفر الأعمال ( ٢٠ : ٤ و ٥ ) ولكن لم يكن أى واحد منهم لأن الكاتب كان شخصاً آخر يقول « نحن » .

فإذا قارنا هذه الصيغة « صيغة المتكلم الجمع » فى هذه الأجزاء . مع صيغة المتكلم المفرد فى لوقا ١ : ١ ــ ٤ ، أعمال ١ : ٤ فإن المقارنة تقرب إلى أذهاننا فكرة الكاتب وهى أنه يريد أن يظهر أنه كان حاضراً فى تلك الرحلات التى يكتب فيها الصيغة « نحن » .

على كل حال لا يمكن أن نأخذ القرائن الداخلية وحدها دون الشهادة الخارجية من آباء الكنيسة ، ولكن كليهما معاً يقويان الرأى القائل بأن لوقا الطبيب رفيق الرسول بولس فى سفراته هو نفسه الكاتب .

أما عن شخصية البشير فلا نعرف من العهد الجديد شيئاً كثيراً عنه سوى أنه كان طبيباً أممياً ( كولوسى ١١ و ١٤ ) ، ومع أن الشهادة الخارجيةالسابقة تذكر أنه من أنطاكية سوريا فإن « فقرات ــ نحن » توحى بأنه كان من فيلبى .

ويذكر أحد العلماء ( رمزى ــ القديس بولس الرحالة ١٩٢٠٠ ص ٢٠٠ ــ ٢٠٣ ) أن لوقا هذا هو الرجل المكدونى الذى رآه الرسول فى رؤيا ( وهى لا تعنى بالضرورة حلماً ولا حالة غيبوبة ) يقول له أعبر إلى مكدونية وأعنا ( أعمال ١٦ : ٩ و ١٠ ) . ويذكر العلماء أيضاً أن الاصطلاحات الطبية المذكورة فى إنجيل لوقا خاصة تدل على أن الكاتب كان طبيباً ورفيقاً للرسول بولس .

**تاريخ كتابة الكتابين :**

كتب سفر الأعمال بعد كتابة إنجيل لوقا وذلك واضح فى المقدمة ولسنا ندرى كم من الزمن مر بين كتابة الجزئين . ومع ذلك فيمكن أن ندرس تاريخ كتابة الاثنين معاً لأن سفر الأعمال مكمل ولا حق لإنجيل لوقا :

الشهادة الخارجية :

يؤخذ من كتابات الآباء واقتباساتهم أن الإنجيل كان معروفاً فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى ، وهذا يدل على أنه كتب قبل أواخر القرن الأول . يظهر هذا من مقارنة الديداكى أوتعليم الرسل مع إنجيل لوقا ، فقد ظهر أن هناك تشابهاً فى كثير من الآيات مما يدل على أن كاتب هذا الكتاب عرف إنجيل لوقا ، وإلى جانب ذلك فهناك الكتاب الغنوسيون مثل بارليدس وفالينتانس وفوق الكل شهادة مارسيون المنحرف الذى كان بين يديه إنجيل لوقا بعد أن حذف منه الأصحاحات الثلاثة الأول ، وهذا الرجل ظهر سنة ١٤٠ م . وجاستن مارتر الذى استخدم الإنجيل بكثرة فى منتصف القرن الثانى الميلادى أى حوالى ١٥٠ م .

وتوجد النظرية الثانية وهى أن الإنجيل كتب فى الستينات الميلادية أى قبل محاكمة الرسول بولس كما يظهر من نهاية سفر الأعمال . وقد دافع عنها كثير من العلماء المشهورين مثل هارنيك وهاستنجز وغيرهما . ومع ذلك فإن الشهادة الداخلية للكتاب لا تؤيد ذلك ، كما يتضح من الشواهد الآتية :

(أ) فى المقدمة (لو ١ : ١ — ٤) يذكر البشير أن أناجيل أو كتب أخرى ظهرت قد يكون من بينها إنجيل مرقس الذى يعتمد عليه هذا الإنجيل كثيراً ، وإلى جانب ذلك فالكاتب يقول إنه من الجيل الثانى الذى لم يكن من الشهود دلالة على تأخر تاريخه عن هذا التاريخ المبكر .

(ب) فى نبوات المسيح عن أورشليم إذا قارنا مرقس ١٣ : ١٤ وما بعده مع لوقا ٢١ : ٢٠ و ٢٤ نجد أن مرقس البشير لا يذكر إلا القول « حيث تكون الجثة هناك تكون النسور » فى حين أن إنجيل لوقا يذكر صراحة عن أورشليم أنها ستكون محاطة بجيوش . مما يدل على أنه يذكر حوادث رآها أو سمع عنها فأوضح ما قاله البشير مرقس فى العبارة الغامضة . وتصف النبوة

الأخرى (١٩ : ٤٣ و ٤٤ ) وصفاً دقيقاً لحصار أورشليم الذى حدث أيام تيطس الرومانى « فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » إن المسيح أعلن خراب أورشليم ، ويلوح أن إنجيل لوقا كتب بعد أن حدث ذلك، فوصفه وصفاً دقيقاً يتفق مع ما كتبه المؤرخون المعاصرون عن خرابها فى ٧٠ م . وهذا يدل على أن الكتاب لا بد وأنه كتب بعد هذه الحوادث . ويعطى العلماء العشر سنوات مابين ٨٠ و ٩٠ م كوقت محتمل لكتابة هذا الإنجيل .

أما من جهة سفر الأعمال فقد كتب بعد فترة وجيزة جداً من هذا التاريخ لأنه مكمل للانجيل ولا يمكن أن يكون متأخراً عنه كثيراً (أعمال ١ : ١)

**مميزات إنجيل لوقا :**

إذا قارنا إنجيل لوقا بالأناجيل الثلاثة الأخرى نجد هناك بعض الملامح التى تميزه عنها .

**١ — التفاصيل المتعددة :**

عندما يبدأ قصة حياة يسوع فإنه يبدأها بالبشارة بيوحنا المعمدان أى أنه يذهب إلى قبل ما وصل إليه متى البشير ، وعندما ينتهى من كتابة الإنجيل فإنه يذهب إلى بعدما ذهب إليه كل البشيرين الثلاثة فذكر قصة الصعود . ويظهر ذلك أيضاً فى قصة رحلة السيد من الجليل إلى أورشليم : فبينما يذكرها مرقس فى أصحاح واحد ومتى فى أصحاحين يذكرها لوقا فى حوالى تسعة أصحاحات : ويضع فيها تفاصيل عديدة غير موجودة فى الإنجيلين الآخرين ، ولأجل ذلك جاء هذا الإنجيل أطول كتاب فى العهد الجديد كله .

٢ ـ النظرة المتسعة للعالم كله :

بعض القصص والأحاديث فى هذا الإنجيل تظهر أن لوقا اهتم اهتماماً خاصاً بالمسكونية ويبين أن الإنجيل جاء العالم كله وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

- فى ترنيمة الملائكة نجد أن مسرة الله فى كل الناس ( ٢ : ١٤ ) .
- وكذلك المسيح ، فى ترنيمة سمعان الشيخ هو « نور إعلان للأمم» ( ٢ : ٣٢ ) .
- لم يقف البشير فى كلمات النبوة عن يوحنا المعمدان إلى حد القول « صوت صارخ فى البرية » ولكنه أكمل النبوة إلى قوله « ويبصر كل بشر خلاص الرب » ( إشعياء ٤٠ : ٣ ـ ٥ مع لوقا ٣ : ٤ ـ ٦ )
- يضع البشير السامريين فى مستوى واحد مع اليهود فوبخ التلميذين اللذين أرادا ناراً من السماء على السامريين ( ٩ : ٥٤ ) ، بل وأعلن أن السامرى صنع مع اليهودى ما لم يصنعه الكاهن ولا اللاوى ( ١٠ : ٣٣ ) بل كان السامرى أكثر شكراً لله وليسوع من اليهود الذين نالوا مثله الشفاء ( ١٧ : ١٦ ) .
- يذكر حادثتين من العهد القديم يركز فيهما المسيح على شخصيتين أمميتين كمثال ودينونة على إسرائيل ، هما أرملة صرفة صيدا ونعمان السريانى ( ٤ : ٢٥ ـ ٢٧ ) .
- هذا الإنجيل يضيف صبغة مسكونية عامة على مثل العشاء العظيم ، إذا قورن بإنجيل متى ، وذلك بأن يضيف كلمة « أزقة » وطرقات وسياجات على عبارة « شوارع المدينة» التى يذكرها متى وبذلك يضيف بعداً جديداً على اتساع دعوة يسوع . ( ١٤ : ٢١ ) .

— الإرسالية العظمى إلى كل العالم كما هو موجود فى متى ٢٤ : ٤٧ .

**٣ — اهتمامه بالإنسان :**

وهناك أيضاً أمثلة كثيرة على اهتمام لوقا بالإنسان كإنسان ، أكثر من أى إنجيل آخر وهذا بعضها :

**اهتمامه بالفرد :**

تدور معظم الأمثال التى يذكرها وتختص به وحده على الفرد بينما تتركز أمثال متى على الملكوت . ويفعل نفس الشئ فى القصص الخاصة به ، فهو يرسم الشخصيات بكيفية مميزة : كزكريا الكاهن ومريم العذراء ونسيبتها مريم ، الأختان مريم ومرثا ، زكا العشار تلميذا عمواس المتألمين ، وكثيرون غيرهم ممن يرسمهم بقلمه فى قوة وحيوية . ولا شك أنه تأثر فى ذلك من اهتمام يسوع نفسه بالإنسان .

**اهتمامه بالمنبوذين :**

يعتبر إنجيل لوقا أكثر من أى إنجيل آخر يبرز اهتمام يسوع بالمنبوذين اجتماعياً ، فهو يذكر المرأة الخاطئة ( ٧ : ٣٦ — ٤٨ ) ، ثم توبة اللص ( ٢٣ : ٣٩ — ٤٣ ) . ويذكر ثلاثة أمثلة تظهر فيها نعمة الله على شخصيات مثل هذه ، وهى الابن الضال( ١٥ : ١١ — ٣٢ ) المديونان( ٧ : ٤١ — ٤٣ ) والعشار ( ١٨ : ٩ — ١٤ ) . وموقف الرب تجاه السامريين الذين يحتقرهم اليهود كما سبق القول .

**اهتمامه بالمرأة :**

يذكر لوقا فى إنجيله حوالى ١٣ إمرأة لم تذكر فى الأناجيل الأخرى ولعله كأممى يعرف المستوى الوضيع الذى انحدرت إليه المرأة فى الوثنية ،

ولذلك فقد أراد أن يذكر كم قدسها الإنجيل ، وقدسها الرب يسوع . فهو يذكر أرملة نايين ، المرأة الخاطئة ، النسوة اللاتى كن يتبعنه ويعولنه فى خدمته ، واللاتى كن يبكين عليه عند الصليب ، وفى قصة ميلاده وقيامته تظهر المرأة فى مواقف مجيدة ( ٢٣ : ٤٩ ، ٢٣ : ٥٠ ، ٢٤ : ١١ ) .

اهتمامه بالطفل :

ينفرد لوقا بذكر طفولة يوحنا المعمدان ويسوع . وفى ثلاثة مواضع يذكر الأطفال الوحيدين لآبائهم ( ٧ : ١٢ ، ٨ : ٤٢ ، ٩ : ٣٨ ) . وفى إحضار الأولاد ليسوع يستعمل لوقا كلمة « طفل » فى حين يستعمل متى ومرقس كلمة يمكن أن تترجم « صبيان » ( ١٨ : ١٥ ) .

علاقات المسيح الاجتماعية :

٣ مرات يتغذى المسيح مع الفريسيين ( ٧ : ٣٦ — ٥٠ ، ١١ : ٣٧—٤٤ ، ١٤ : ١ — ٤ ) . وعلاقته الاجتماعية فى بيت عنيا ( ١٠ : ٣٨ — ٤٢ ) ، وفى بيت زكا العشار ( ١١ : ١ — ١٠ ) وفى عمواس ( ٢٤ : ١٣ — ٣٢ ) .

المقابلة بين الغنى والفقر :

يهتم البشير كثيراً بالأمثال التى لها علاقة بالمال فيكتب أمثال المديونان ، الغنى الغبى ، بانى البرج ، الدرهم المفقود ، وكيل الظلم ، الغنى واليعازر ، والوزنات . وفى هذه الأمثال يظهر السيد عطوفاً دائماً على الفقراء والمساكين ( ٦ : ٢٠ و ٣٠ ، ١٤ : ١١ ) ويصف البشير الفريسيين بأنهم محبون للمال ( ١٦ : ١٤ ) ويوحنا المعمدان يحذر العشارين من المغالاة من الضرائب والجنود من الطمع ( ٣ : ١٣ ) . فى الناصرة يبشر السيد المساكين ( ٤ : ١٧ — ٢١ ) . وفى تسبحة مريم العذراء يصرف الرب الأغنياء فارغين

بينما يشبع المعوزين ( ١ : ٥٣ ) . ويطوب الفقراء ( لوقا ٦ : ٢٠ قارن متى ٥ : ٣ ) .

٤ - الموضوعات التي ينبر عليها :

هناك موضوعات ينبر عليها البشير أكثر من أى إنجيل آخر ومنها :

الصلاة :

يسجل البشير ٩ صلوات ليسوع بينما لا تذكر الأناجيل الأخرى سوى صلاتين . وترتبط هذه الصلاة بحوادث هامة فى حياة يسوع : فى المعمودية ( ٣ : ٢١ ) بعد يوم مملوء بالمعجزات ( ٥ : ١٥ و ١٦ ) قبل اختيار التلاميذ ( ٦ : ١٢ ) قبل أول نبوة عن آلامه ( ٩ : ١٨ — ٢٢ ) فى التجلى ( ٩ : ٢٩ ) عند رجوع السبعين ( ١٠ : ١٧ — ٢١ ) قبل أن يعلم التلاميذ كيفية الصلاة ( ١١ : ١ ) فى جثسيمانى ( ٢٢ : ٣٩ — ٤٦ ) على الصليب ( ٢٣ : ٣٤ و٤٦ ) . وكان يصلى فى الصحراء ( ٥ : ١٦ ) ويقضى الليل كله فى الصلاة ( ٦ : ١٢ ) .

ويذكر البشير مثلين يختصان بالصلاة لا يذكران فى إنجيل آخر وهما صديق نصف الليل ( ١١ : ٥ — ٧ ) وقاضى الظلم ( ١٨ : ١ — ٨ ) . ويذكر أيضاً دون الأناجيل الأخرى أن يسوع يصلى من أجل بطرس ( ٢٢ : ٣١ و ٣٢ ) وأنه يحث تلاميذه فى جثسيمانى أن يصلوا ( ٢٢ : ٤٠ ) وأنه صلى لأجل أعدائه ( ٢٣ : ١٤ ) ولنفسه ( ٢٢ : ٤١ ) .

وهكذا يعتبر هذا الإنجيل إنجيل الصلاة .

الروح القدس :

ولعل البشير لوقا كان أكثر من اهتم بصلة الروح القدس بالمسيح ( فى الإنجيل ) وبالكنيسة ( سفر الأعمال ) ، فقد وصف يسوع بأنه ممتلئ بالروح

القدس ويقوده الروح ( ٤ : ١ ) ويبدأ خدمته بقوة الروح ( ٤ : ١٤ ) . ويتهلل بالروح عندما يصلى إلى الآب مظهراً روح النبوة العميقة للآب ( ١٠ : ٢١ و ٢٢ ) . وقد أمر المسيح المقام تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم بل ينتظروا قوة من الأعالى عندما يحل الروح القدس عليهم ( ٢٤ : ٤٩ ) وهذا ما تممه الآب فى يوم الخمسين . .

وهكذا كان الروح هو القوة التى أعطت الحياة لهذه الجماعة فحولتها إلى كنيسة الله الشاهدة ( أعمال ٢ ) وهو الذى كان يعلن دخول الناس إلى الملكوت (أعمال ٢ و ٨ : ١٧ ، ١٠ : ٤٤ و ٤٥ ) وهو الذى أهل الناس للخدمة ( أعمال ٦ : ٣ و ٥ ، ٩ : ١٧ ، ١١ : ٢٤ ) وهو الذى أرسل الرسولين للحقل المرسلى الواسع عند الأمم (أعمال ١٣ : ٢ و ٤ و ٩ ) وهو الذى قادهم فى الأمكنة التى يريدها ( ١٦ : ٦ و ٧ ) وغير ذلك من النشاط الهائل للروح القدس فى الكنيسة .

**الفرح :**

إنجيل لوقا مملوء بالفرح وبالتعبير عن الفرح ( ١ : ١٤ و ٤٤ و ٤٧ ، ١٠ : ٢١ ) وفى ثلاثة أمثلة يظهر البشير عنصر الفرح ومعناه عندما يجد الإنسان ما يفقده كالدرهم والخروف والابن ( ١٥ ) . وقصة زكا مملوءة بالفرح ، ولعل البشير هو الوحيد الذى يذكر فى إنجيله أغنيات وترانيم الفرح. كأغنية مريم ( ١ : ٤٦ - ٥٥ ) وأغنية زكريا ( ١ : ٦٨ - ٧٩ ) وأغنية الملائكة ( ٢ : ١٤ ) وأغنية سمعان الشيخ ( ٢ : ٢٩ - ٣٢ ) . وهكذا يبدأ الكتاب وينتهى بالفرح والترانيم .

**هدف لوقا من كتابة الإنجيل وسفر الأعمال :**

من أعظم الأمور التى أراح فيها هذا الكاتب كل الباحثين هو الهدف الذى

من أجله كتب كتابيه هذين . فهو يذكر صراحة أنه كتب الإنجيل إلى ثاوفيلس لكى يعرف « صحة الكلام الذى علمت به » (لوقا ١ : ٤) ، وكتب سفر الأعمال لكى يكمل الرسالة والقصة التى بدأها يسوع ويستمر فيها فى حياة الكنيسة الأولى . (أعمال ١ ، ١ — ٨) . ويتضح من المقدمة أن ثاوفيلس هذا كان مسيحياً وقد تعلم المسيحية من بعض المعلمين ، ولكن هناك أشياء كثيرة عنها لم يكن قد عرفها بعد ولا بد من ذكرها له حتى يعرف صحتها فى التاريخ والواقع .

ولكن السؤال الذى يجابهنا : هل ثاوفيلس هذا هو شخص محدد قصد البشير الكتابة إليه لفائدته الشخصية . أم أنه شخص يمثل جماعة من الأمم قبلوا المسيحية ولكنهم يحتاجون إلى تعاليم أوسع وبراهين تاريخية أعمق ، إن ثاوفيلس — كما يتضح من خطاب لوقا له — هو رجل هام فى الدولة نظراً للقب الذى يحمله « العزيز » . ولكن مع ذلك فنحن نشعر أنه فى شخصه وفى موقفه يمثل جماعة الأمم هذه ولذلك كتب البشير إليهم فى شخصه فماذا كان ينقصهم من المعلومات الهامة التى يحاول لوقا أن يوصلها لهم ؟

هناك سؤال آخر : هل اقتصر هدف البشير على هذا الأمر ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى جعلته يكتب كتابيه ؟ إن ما يلاحظه الدارس أن لوقا كتب لهدف آخر وهو الدفاع عن المسيحية مما كان يحيط بها من تيارات شديدة داخلية وخارجية لدمجها فى عقائد أخرى وإبعادها عن أصلها ، فأراد أن يزيل الأعشاب من المجرى ويبين أصالة المسيحية الحقيقية . هذان هما الهدفان اللذان سنركز عليهما الآن :

**أولا – توضيح الطريق المسيحي للأمم :**

هناك أشياء كثيرة كان يحتاج ثاوفيلس ممثل الأمم المثقفين أن يعرفها منها :

١ – توضيح معنى الأصالة التاريخية للمسيحية : كان ثاوفيلس يعرف الحوادث الهامة التي حدثت ليسوع المسيح في حياته على الأرض ، ولكن معنى هذه الحوادث وعلاقتها بعضها بالبعض لم تكن جد واضحة لديه . وكان يعرف الشخصيات الهامة التي أحاطت بيسوع ، كان يعرف أسماءهم ، والمدة التي مكثوها مع المسيح ، ولكن الدور الحقيقي الذي لعبوه في المسيحية وفي خدمة الكنيسة ، هذا لم يكن واضحاً لدى ثاوفيلس .

إن حوادث حياة المسيح وخاصة موته وقيامته كانت الأساس الذي بنى عليه إيمانه المسيحي ، لقد سمع عنها كثيراً وفهمها ، ولكن هناك ما تلاها من الحوادث كمجيء الروح القدس ، وخدمة التلاميذ ، واختبار الكنيسة الأولى في تنوعه ، كل هذا كان يجب أن يوضحه لوقا في رسالته لثاوفيلس . فما هو الدور الذي لعبه التلاميذ في التبشير والإرسالية المتسعة للعالم كله ؟ كيف أضحى بولس رسولا هاماً للأمم بعد أن كان مجدفاً على يسوع المسيح ومضطهداً مريراً لكنيسته ؟ وما هي صلته بالكنيسة الأولى وببقية رسل الرب ؟ وما هي الصلة بين إرساليته وإرساليتهم ؟ هل كانوا يتناقضون أم أنها إرسالية متكاملة ؟ ومن هم أبطال الحركة والتبشير المسيحي في بدء ظهور الكنيسة المسيحية ؟ .

هذه الحوادث التاريخية والأشخاص الذين عاصروها واندمجوا فيها كانت تحتاج إلى هذا الكاتب وهذين الكتابين لتوضيحها لثاوفيلس .

٢ – تحول الكنيسة من اليهودية إلى الأمم : لا بد أن هذا الأمر كان من الاهتمامات الخاصة التي كان ثاوفيلس يفتقر إلى شرحها ومعرفتها .

كيف انتقل المركز المسيحى من أورشليم إلى روما ؟ وهل كان الإنجيل الذى نودى به فى أورشليم والتعاليم التى أخذتها الكنيسة اليهودية من الرسل الأوائل هو نفسه الإنجيل الذى نودى به فى روما ؟

لقد كان الإنجيل ، كما أعلن فى أورشليم بسيطاً نسبياً ، فقد طلب الرسل من اليهود أن يؤمنوا بيسوع المسيح ويعتمدوا باسمه ويتوبوا. وعلى هذا الأساس يجب أن يعيشوا حياة تليق بصلتهم الجديدة بالله ، وهكذا يستطيعون أن يقبلوا المواعيد والبركات التى وعد بها الله آباءهم على فم الأنبياء . ولقد قبل الكثيرون هذا الإنجيل وآمنوا بالمسيح وصاروا مسيحيين ، ولكنهم فى نفس الوقت استمروا فى حياتهم الأولى اليهودية ممارسين لطقوسهم وشريعتهم الموسوية وعبادتهم فى الهيكل وقراءة العهد القديم فى المجمع ، ولم يحاولوا أن يمايزوا ويفرقوا بين الوصايا ، بل عاشوا تحت كلمة الله وحكمته كجماعة يهودية على أن هذه الكلمة تجئ إليهم الآن عن طريق الرسل لا الأنبياء القدامى .

ولكن هذا كله قد تغير الآن تحت بصر وسمع ثاوفيلس فأضحت الغالبية العظمى فى الكنيسة من الأمم ، وصارت أنطاكية وكورنثوس وروما هى المراكز المهمة بدلا من أورشليم . وبدأ التفكير اللاهوتى كذلك يتسع ويبدو مركباً أكثر من لاهوت أورشليم . وهذه بعض الأمثلة : اعترفت كنيسة الأمم بأن الله هو الملك كما كانت كنيسة أورشليم تعترف ، ولكن زادت على هذا بأنه لا يمكن معرفة الله ولا الوصول إليه إلا عن طريق ابنه يسوع المسيح .

وكذلك اعترفوا بأن يسوع هو المسيح ولكن زادوا عليه معنى أشمل وهو أنه سيد السماء والأرض :

وبشروا أيضاً بالروح القدس ولكنه الروح الذى جاء ليحيي الكنيسة وربط أعضاءها فى جسد واحد هو جسد المسيح .

وبشروا بشعب الله ولكنه فى صورة الخليقة الجديدة أى الكنيسة . إنهم يقومون بالإرسالية ولكن للعالم كله وليس لليهود فقط . هذا كله يحتاج إلى تفسير وتوضيح لا بد للوقا بأن يوضحه ويوضح كيف صار هذا الانتقال حقيقة واقعة .

**٣ - تفسير الإنجيل للبيئة الأممية :**

كان ثاوفيلس كأى أممى خائف الله ، يعرف السبعينية ، ويعرف كلمات يسوع المسيح وتعاليم الرسل : ولا بد أنه كان يعرف أن الإنجيل قد وضع فى ثوب يفهمه الأمم ، فمن ذا الذى وضعه فى ثوبه الجديد ؟ وبأى سلطان فعل ؟ وإلى أى مدى تتفق هذه التفاسير والعهد القديم ، وكذلك حياة يسوع ؟ إن ثاوفيلس يسمع كل من يقدم الإنجيل وهو يشهد بأن الإيمان المسيحى والعبرى يتفقان معاً ، بل ويكملان بعضهما البعض ، فهل هذه الشهادة صحيحة ؟ وهل حياة يسوع ، وخاصة حادثة موته وقيامته هى جزء من الإعلان الكتابى ؟ وهل كان الأنبياء ينتظرون حقيقة مجئ الروح القدس وميلاد الكنيسة والإرسالية إلى الأمم ؟

**٤ - مشاكل عملية :**

كانت هناك مشاكل عملية تواجه ثاوفيلس كشخص أممى . ففى كل مكان يكرز فيه بالإنجيل يتحتم على من يؤمن به أن يعيش بحسب ناموس الله . وقد كان هذا مفهوماً وسهلا بالنسبة للبيئة الفلسطينية ، فعندهم ناموس الله وهو نفسه العهد القديم . لكن عندما ينتقل الإنجيل إلى البيئة الأممية فالأمر جد مختلف ، فهو مجتمع وثنى تتحكم فيه عادات وعبادات وثنية : عبادة الأصنام

عبادة الامبراطور طقوس سرية ، وذبائح للوثن . هذه كلها تحيط بالمسيحي من أصل أممي . ولذلك فهو يحتاج إلى قوة قاهرة لتحميه منها ؛ إنه ليس مسئولا أمام جهات وسلطات دينية كما هو الحال مع اليهود بل أمام سلطات سياسية ؛ وهو لا يتمتع حتى بالامتيازات التي منحت ليهود الشتات ، ولهذا فقد كان عليه أن يعرف طريقاً للحياة في مجتمعه بحيث لا يضحي بعقيدته وحياته المسيحية ، وفي نفس الوقت لا ينكر عليه واجباً للدولة ، وإن لم يفعل ذلك فإنه لا يستطيع أن يعلن الإنجيل للمجتمع الذي يعيش فيه لأنه إذ ذاك يعد خارجاً على القانون . ولهذا فقد كان من الضروري لثاوفيلس أن يعرف هذا الموقف المسيحي مجسما في حياة يسوع وحياة تلاميذه :

هـ – المشكلة اللاهوتية :

كل هذه المشاكل السابقة ما هي إلا عوارض لمشكلة أساسية تتلخص في الأمر التالي : إذا كان المسيحي الأممي لا يمتلك وسيلة أو طريقة يستطيع أن يعرف بها مكانه ومكانته في عمل الله وتدبيره فكيف يمكنه أن يسلك ويتعامل مع موقفه الحاضر ؟ إنه يحتاج أن يعرف – وبعمق – خطة الله العامة في فداء الإنسان ، وفي نفس الوقت يحتاج أن يعرف مكان العصر الحاضر الذي يعيش فيه في هذه الخطة العامة . فإذا كان الله هو المتحكم في الأزمنة والأوقات فما هو المعنى الحقيقي لأعماله في القديم مع شعبه إسرائيل ؟ وما هي أهمية الوقت الذي عاش فيه يسوع على الأرض ؟ وكم من الزمن سيطول العصر الحاضر ؟ ومتى تأتي النهاية ويتمم الله قصده الأزلي ؟

عندما يعرف ثاوفيلس الذي يمثل جزءاً كبيراً من مسيحية الأمم أجوبة هذه المشاكل ، ويتعمق في كنهها فإنه يستطيع أن يقف على أرضية ثابتة ،

بل ويساعد بقوة على تقدم الإنجيل . ولهذا كله كتب لوقا إنجيله مع سفر الأعمال من بعده .

**ثانياً – حماية المسيحية من التيارات الغريبة :**

يذكر البشير فى مقدمة كتابه : إن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة للأمور المتيقنة . وعندما يقول إنه تتبع كل شئ من الأول بتدقيق فهذا يعطينا الانطباع أن هؤلاء الكثيرين لم يكونوا كلهم مخلصين فى شرح المسيحية الأصيلة ، بل حاول بعضهم ربطها بتيارات غريبة عنها ، وقد نستنتج من كتابات لوقا أن هناك تيارين غريبين كتب عنهما لكى يكشف غرابتهما عن الطريق المسيحى الحقيقى : التيار اليهودى ثم التيار الهلينى .

**١ – التيار اليهودى :**

لقد بدأ هذا التيار اليهودى مبكراً فى الكنيسة ، وكان يختص بالناموس وقدمه ومقدار تأثيره على الحياة اليهودية ، وقد ذكرنا سابقاً أن الكنيسة الأولى فى بدء خدمتها لم تكن تفترق عن اليهود فى أمور كثيرة ، فقد كان أعضاؤها يذهبون إلى الهيكل ، ويقومون بالطقوس وغير ذلك . ولكن الأمر تعدى ذلك بكثير خصوصاً عندما دخل الأمم إلى حظيرة المسيح بواسطة تبشير الرسول بولس . فقد فرق الرسول بين المسيحية كما هى فى المسيح وبين اليهودية ، ولم يكن هناك داع للناموس ولا للأعمال لنوال التبرير . ولكن جماعة من اليهود المتطرفين لم يعجبهم ذلك ، وهاجموا كرازة الرسول وهاجموا شخصه ، وقضى الرسول وقتاً طويلا فى محاربتهم وتخليص المسيحية منهم . ولم يكن هذا سهلا عليه ، ولكنه نجح فى ألا يجعل هناك ارتباطاً ضرورياً بين الأعمال الناموسية وبين الإنجيل ، وصار إنجيل المسيح نقياً من هذه البدعة

اليهودية . هذا الأمر كان لى علوقا البشير أن يدونه ويذكره حتى يحمى المسيحية فى الحاضر والمستقبل من هذه البدع اليهودية .

٢ – ومع ذلك فلم يكن اليهود المسيحيون وحدهم هم الذين حاولوا أن يقوموا بهذا الترابط اليهودى المسيحى . بل لعل كثيرين من الأمم أيضاً كانوا يعجبون باليهودية وناموسها وتاريخها الطويل وكتبها المقدسة ثم حاولوا خلق نوع من الطقس المسيحى اليهودى يتمثل فى الذبائح وغيرها . ولكن التيار الحقيقى الذى لم يكن قد ظهر بعد فى شكله النهائى فى أيام كتابة الإنجيل وسفر الأعمال بل كان فى بداءته هو التيار المضاد السابق . فقد رأى بعض الأمم أنه لا ضرورة بالمرة للارتباط بين الإنجيل وبين بيئته اليهودية التى نشأ فيها . وليس هناك أى صلة بين العهد القديم وبين حياة وعمل يسوع المسيح ، بل لعلهم رأوا ألا فائدة كبيرة للانجيل من حياة يسوع نفسه التى عاشها على الأرض ، طالما أنها ارتبطت بالحياة اليهودية . ولهذا فلا بد من ربط الإنجيل بنوع من الفلسفة النظرية ، وخلع الإنجيل من البيئة اليهودية ووضعه فى البيئة الهلينية . وخطورة هذا التطور هى أنه يؤدى إلى إنكار فائدة بل وحدوث تجسد الله فى الحياة البشرية ، ويؤدى أيضاً إلى التفرقة بين إله العهد القديم وبين الابن الإلهى يسوع . .

هذه التطورات كما سبق القول ظهرت بقوة فى وقت لاحق للإنجيل ، ولكن جذورها بدأت فى وقت مبكر عندما بدأ الإنجيل يغزو البيئة الهلينية ويبدأ الصراع بينهما . وعلى هذا فقد كان أمام لوقا البشير عمل هام وفريد : أن يشرح لثاوفيلس المعنى الحقيقى لكل الحوادث التى ترتبط بالعمل الفدائى ، وأهميتها الأساسية للكنيسة ، وأن يكشف لقرائه بوضوح التدرج الذى سار فيه عمل الله فى المسيح يسوع ومعناه الفدائى مبتدءاً من ميلاد يسوع ماراً بحياته

وموته وقيامته وصعوده ، ثم الإرسالية العامة الشاملة التى وضعها على شعبه الجديد الذى آمن به رباً ومسيحاً . . وقد فعل ذلك بربط المادة التى جمعها من الذين كانوا منذ البدء خداماً ومعاينين للكلمة . هذه الشهادة كلها كان لا بد أن يكلف الروح القدس شخصاً مثل لوقا بكتابتها ، وقد فعل .

**الطريقة الخاصة التى استخدمها لوقا فى الكتابة :**

رأينا سابقاً أن البشير قد وضع لنفسه برنامجاً محدداً وهدفاً لكتابته . وشخص كهذا لا بد وأنه يستخدم طريقة خاصة لإبراز هذا الهدف الخاص به ، فما هى الطريقة التى استخدمها لوقا وتميز بها وأصبحت طابعاً له فى كتابيه : الإنجيل وسفر الأعمال ؟ هناك على الأقل خمسة أوجه لكتابته :

**١ – الوجهة التاريخية :**

كان عليه أن يجيب على أولئك الذين يتساءلون عن الأصل التاريخى للكنيسة ، وحقيقة الحوادث التى أوجدتها ، ولهذا كان عليه أن يضع هذه الحوادث بكل دقة وخبرة تاريخية حتى يستطيع كل من يحاول معرفته أن يجد لديه سجلا تاريخياً دقيقاً . ولهذا الهدف وضع الحوادث الأساسية للكنيسة فى قلب التاريخ الإنسانى والرومانى ، فيذكر تاريخ الحوادث الكنسية مرتبطة بتاريخ الأباطرة والولاة ورؤساء الكهنة (لوقا ١ : ٥ و ٢ : ١ و ٢ ، ٣ : ١ و ٢) . وإلى جانب ذلك يذكر الأمكنة والمواقع بأسمائها الفنية (أعمال ١٦ : ٦ ، ١٨ : ٢٣) . وكعادة المؤرخين العظام فى عصره كان يذكر الحوادث التاريخية بلغة تناسب عصره والناس الذين يكتب لهم ، متحققاً من صحة هذه الحوادث .

ومع كل ذلك فقد كان لوقا متميزاً فى كتابته كمؤرخ ، فهو لم يقصد أن يكون فقط قصاصاً للتاريخ المقدس ، يذكر الحوادث لمجرد ذكرها ،

ولكنه كان يقصد هدفاً آخر هو تعليم ثاوفيلس صحة الأمور التى تعلمها عن طريق هذه الكتابة . ولذلك اهتم بطريقة اختبار المادة وتركيبها بحسب خطة فى ذهنه حتى يخرج منها أهم الفوائد . ونثق جداً أن البشير كان فى مركز طيب ساعده كثيراً على الوصول إلى هدفه ، فقد مر على الحوادث التى يكتب عنها وقت كاف بحيث يستطيع أن يتحقق ويفكر تفكيراً موضوعياً فى هذه الحركة العظمى التى حدثت فى ذلك العصر ؛ وبذلك يستطيع أن ينتقى أفضل الحوادث وأكثرها أهمية ؛ فالكنيسة قد تأسست منذ زمن ، وحرارة يوم الخمسين قد هدأت : واتسعت الإرساليات فى كل مكان ؛ وكلمات يسوع تجمعت فى مجموعات ، والأعمال التى قام بها كانت معروفة ؛ وأضحت الحوادث اللاحقة لها تفسيراً لهذه الأعمال والكلمات ، وصارت هذه بدورها مصدراً للنور الذى يعطى المعنى الحقيقى لكل هذه الحوادث .

الامتياز الثانى للبشير لوقا فإنه كانت لديه مصادر ممتازة عن هذه الحوادث والكلمات . كانت له علاقات متينة وشركة عميقة مع الشخصيات الأساسية فى الكنيسة ، مثل بولس وبرنابا وغيرهم من الرسل . وكانت تحت يده مكتوبات خطتها أيدى أناس لهم عميق الصلة بحياة يسوع وحياة الكنيسة الأولى ، وتقاليد شفوية تتناقلها الكنائس وتحتفظ بها وتحفظها . بل لعل الامتياز الكبير الذى كان للبشير هو الأسفار العديدة ومقابلة الكنائس والشخصيات ، وبذلك أمكنه أن يجمع مادة ثمينة لكتابيه هذين . وإلى جانب ذلك كان هو يتمتع بإحساس قوى بالتاريخ ، ويعرف كيف يكتبه ويرتب مادته فى حس سام وملكات نقدية دقيقة ، وهذا كان عاملا على نجاحه التام الذى يظهر فى الإنجيل والأعمال .

٢ – التفسير اللاهوتى للتاريخ :

لم يكتف البشير لوقا ، كمؤرخ ، أن يكتب تاريخاً عالمياً Secular يرص فيه الحوادث دون ذكر أى تدخل إلهى فيه ، ولكنه كتب هذا التاريخ على أنه تاريخ الخلاص ، فكان يهتم بوضع الحوادث فى نظام منطقى مترابط . يستطيع أن يرى فيه القارئ قصد الله فى حياة الإنسان . وبذلك يمكن أن نسميه التاريخ المقدس الذى خلق الله حوادثه وسيره بحكمته . ولكى يفهمه القارئ فهماً صحيحاً فيجب أن يفهم كل حادثة فيه ويعرف معناها العميق . ولم ينس البشير أن يفسر كل حوادث هذا التاريخ المقدس وأن يربط حوادث بكيفية جعلت منه تاريخاً أساسياً فى حياة البشر لأنه تاريخ الفداء .

ولم يكن البشير أول من فكر فى هذا التاريخ المقدس ، فقد سبقه اليهود فى ذلك فقسموا التاريخ إلى قسمين : الأول وسموه « الدهر الحاضر » . وهو الذى يبدأ بالخليقة وينتهى – بحسب رأيهم بمجئ الوقت الذى فيه يدين الله جميع الناس ، وفى هذا العصر يحكم الناموس حياة الناس . أما القسم الثانى فقد سموه « الدهر الآتى » . ولقد أعطتهم هذه العقيدة والتمسك بها حياة الثبات فى كل المحن التى واجهوها ، لأنهم كانوا يثقون أن الله سيتدخل فى التاريخ ، إما بنفسه أو عن طريق ابن داود الذى يقيمه ليرد مسبى شعبه ويعيد مجدهم القديم . ولم تكن هذه العقيدة نبتة برية ولكنها بنيت على أساس ثقتهم بمواعيد الله التى أعطاها للآباء » .

ولقد شارك التلاميذ المسيح اليهود هذا التفسير وكان بعضهم يتقبلها دون مناقشة ولهذا فقد واجهوا مشكلات خطيرة ، منها ظنهم أن وقت النهاية قد قرب جداً ما دام المسيا قد ظهر ، ولهذا فقد سألوا يسوع « هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل » (أعمال ١ : ٦) .

ولكن سرعان ما اكتشفت الكنيسة أن العقيدة اليهودية أبسط من أن تفسر عمل الله فى المسيح يسوع ، وأن لهذا العمل بعداً لم يعرفه البشر بعد . وكان لوقا أول من عرف هذه الحقيقة وأن مركز التاريخ المقدس هو المسيح يسوع الذى أعلن بمجيئه قصد الله فى أعماله . وهو المفتاح الحقيقى لأزمنة الله وكل ما مر قبل مجيئه كان يتطلع إليه ويجد معناه فى انتظاره إياه ، وكل ما يجئ بعده يعتمد عليه ويجد معناه فيه .

ولقد رأى لوقا أن هناك عصور ثلاثة فى التاريخ المقدس : الأول هو عصر إسرائيل : من البدء إلى ظهور يوحنا المعمدان وهو عصر الانتظار . العصر الثانى هو عصر المسيح وهو مركز أزمنة الله ويتلخص فى إرسالية يسوع إلى وقت صعوده وفيه أعلن خلاص الله . أما العصر الثالث فهو عصر الكنيسة وشهادتها للعالم ويبقى إلى انتهاء الإرسالية الإلهية . ويتميز هذا العصر الثالث بعمل الروح القدس النشط ، وهو ليس عصراً قصيراً ، ولكنه بدوره يحسب كتابات البشير ، ينقسم إلى طورين : الطور الأول هو عصر الكنيسة الأولى وهو عصر الرسل ويتميز بوضع الأساس للكنيسة ، ولهذا فقد حدثت فيه آيات وعجائب وقوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى ، لأنها آيات ظهور كنيسة الله فى التاريخ ، كما كانت آيات المسيح علامة على مجيئه كالمسيا المنتظر وابن الله الفادى .

أما الطور الثانى فهو طور الامتداد الكنسى ، مبنياً على تعاليم يسوع ونشاط الرسل والمؤمنين الأوائل . . وقد ظهرت مميزات هذا العصر فى خطاب الرسول بولس لقسوس أفسس (أعمال ٢٠ : ١٨ — ٣٦) . إنه عصر يجب أن يتميز بالخدمة والترقب والحذر من دخول الذئاب المفترسة ، وانتظار مجئ المسيح فى أى وقت يريد .

٣ ـ الأسلوب الأدبي الرفيع :

عندما وجه البشير كتابيه للعزيز ثاوفيلس فإنه كان يتبع نظام الأوساط الأدبية فى عصره ، وهو لم يقصد أن تكون كتاباته رسائل شخصية لا تتسم بالرسميات ، ولكنه كان يكتب بحسب الطرق الرسمية . وقد قسم كتابه إلى مجلدين وضع كل واحد على درج بحسب الإمكانيات المتاحة لذلك العصر .

ومن طريقة كتابته يتضح أن البشير كان يقصد نشر كتابه على جمهور واسع لقراءته ، ولهذا السبب اتبع القوانين الأدبية الخاصة بهذا النوع من الكتابة . ففى المجلد الأول ـ الإنجيل ـ كتب مقدمة عامة يصف فيها الظروف التى يكتب فيها والهدف الذى يقصد إليه . أما فى المجلد الثانى ـ الأعمال ـ فكانت المقدمة مختلفة بعض الشئ بسبب اختلاف الهدف والغرض منها . ففيها يعطى ملخصاً لما قد حدث من قبل ، ثم يضع خطة الجزء الباقى من قصته هذه . ولقد سهل هذا العمل على القارئ مهمته وكشف له عن طبيعة الجزء الذى يقرأه من هذا العمل العظيم ، حتى ولو كان يقرأه بعيداً عن الجزء المكمل له ، سواء أكان الأول أم الثانى .

وتظهر طريقته فى الكتابة الأدبية الرفيعة فى نوع اللغة والأسلوب الذى يكتب به ، مما يتفق مع الكتابة الأدبية المميزة لعصره . ويظهر ذلك بكل وضوح عندما نقارن إنجيله بإنجيل البشير مرقس الذى سبقه فى الكتابة ، فاعتمد عليه البشير لوقا كمصدر أساسى له . ومع ذلك هناك فرق واسع بين الاثنين . فالإنجيل الأول ـ مرقس ـ كتب بطريقة مباشرة بسيطة لا تضع أهمية كبرى على التحسينات اللفظية ولا الأساليب الأدبية ، وهذا يختلف عن كتابات البشير لوقا ، فهو عندما يقتبس منه ويتبع الترتيب الزمنى فى الحوادث فإنه يحاول أن يخفف من أسلوبه ، ويغير بعض الكلمات الشديدة ويستخدم

جملا وصيغاً بلاغية ، محسناً فى كيفية ربط الجمل والحوادث ، حتى يمكن أن تسير القصة بيسر وسهولة تامة . ولم يكن هدفه فى ذلك هو مجرد التغيير ولكن لكى يكون مخلصاً للأسلوب الأدبى المعاصر ، وخاصة لأنه يكتب لجماعة رفيعة المستوى . وبذلك برهن البشير لوقا على أنه متمكن جداً من الثقافة الهلينية ، وأسلوب الكتابة الرفيع الذى كان يسود عصره ؟

**٤ — تفهمه الفريد للكتاب المقدس :**

كانت طريقته فى الكتابة تنصب على الكتاب المقدس ، أى العهد القديم بكيفية اعتبره لأجلها الكثيرون أنه أول لاهوتى للكتاب المقدس فى الكنيسة الأولى . فهو ككل معلمى الكنيسة الأولى أظهر أن المواعيد التى أعطاها الله فى العهد القديم قد تمت فى العهد الجديد.ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه متعمقاً فى المفهوم الإلهى للاعلان ، وذلك بالتركيز العميق على بعض الحوادث والمواقف التى ربطت بين حقائق حياة يسوع ورسالته وبين العهد القديم . وهذا جعله يختار من المادة التى كانت بين يديه عن حياته وأعماله ، الحوادث التى تكشف عن المعنى الحقيقى للتاريخ المقدس والإعلان . ولنأخذ مثلين على ذلك من الإنجيل . . فعندما أراد أن يعرف عن حقيقة إرسالية يسوع ويكشف عن ما هيتها فإنه يختار لذلك عظة يسوع فى الناصرة ( لوقا ٤ : ١٦ — ٢١ ) وذلك لأنه يجد أن المفتاح الأساسى لحياة المخلص هو إشعياء ٦١ . إن البشير لم يكن يقصد أن يكشف عن سر المسيا ومن هو ، بل أن يكشف من الأنبياء عن نوع المسيا الآتى ونوع رسالته .

أما المثال الثانى فهو فى قصة الآلام . فى هذا الإنجيل حاول القديس لوقا أكثر من أى إنجيلى آخر أن يفسر حوادث الأسبوع بما جاء فى موسى والأنبياء ( لوقا ٢٤ : ٢٥ — ٢٧ ، ٤٤ — ٤٧ ) .

أما فى سفر الأعمال فقد تجلت مقدرة القديس لوقا فى هذا الأمر فأظهر نوع الارتباط العضوى بين العهد القديم والكنيسة .

فقد ذكر حوادث يوم الخمسين بالتفصيل وتفسيرها من نبوة يوئيل ٢ : ٢٨ – ٣٢ . وكذلك عظة بطرس كانت تحتوى على أجزاء كبيرة من مزامير ٢ و ١٦ و ١١٠ .

وخطاب اسطفانوس يحتوى تفسيراً لكل التاريخ الفدائى للعهد القديم وفى أعمال ١٥ يطبق الرسول عاموس ١٥ على حياة الكنيسة .

وبذلك يظهر القديس لوقا أنه اللاهوتى الكتابى الأصيل فى العهد الجديد ، فأينما وجد فى التقليد الذى بين يديه عن حياة يسوع والكنيسة وإرساليتهما حادثة أو موقفاً له علاقة تفسيرية للعهد القديم فإنه يذكرها ، لأنه يعرف أنه بذلك يبنى ويخدم الكنيسة فى عصرها الأول ، وأنه يعلم المسيحيين معنى الحق الكتابى .

٥ – الاهتمامات الرعوية :

كان القديس لوقا مؤرخاً ولاهوتياً وأديباً . . هذه حقائق هامة وواضحة فى كتابيه ، ولكنه كان فوق كل هذا يتمتع بإحساس رعوى يصل به إلى مرتبة أعظم الرعاة والرسل .

ويتجلى هذا الأمر أولا فى اهتمامه على أن يطبق عمل يسوع الفدائى على حياة الأشخاص . فى تنبيره على خطية الإنسان وحاجته إلى التوبة ، وسرعة استجابة الرب بالمغفرة والخلاص ما يوضح هذه الحقيقة . ومن يقرأ قصصه يحس بحماسة الكاتب وسعادته عندما يذكر أن إنساناً قد وقف فى مواجهة يسوع مستجيباً له . . أليس هو الوحيد الذى يذكر قصة المرأة الخاطئة

( لوقا ٧ ) ؟ وقصة زكا العشار ( لوقا ١٩ ) واللص التائب ( لوقا ٢٣ ) ؟ ألم يذكر الأمثال الثلاثة التى تلخص الإنجيل كله وهى الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الضال فى أصحاح واحد ( لوقا ١٥ ) ؟

ولكن فى مجال الرعوية لا يتوقف اهتمام البشير فى متابعة الإنسان المؤمن إلى حد استجابته للمخلص وتمتعه بالخلاص ، بل يتعداه إلى كشف سر الحياة المسيحية والسلوك المسيحى . ففى الإنجيل تواجهنا مطاليب أخلاقية عالية ، توجه المؤمن فى الطريق المسيحى الصحيح . فى وسط العالم ، ففى مثل السامرى الصالح ( ص ١٠ ) ، ومثل الغنى الغبى ( ١٢ ) ، ومثل الغنى واليعازر (١٦)، نجد ذلك واضحاً ومكتملا .

وكذلك الحال فى سفر الأعمال ، ففيه تظهر حاسة القديس لوقا الرعوية وذلك فى وصفه للحياة السامية المترابطة للجماعة المسيحية الأولى ، وفى إظهار المكانة الأولى والأساسية للروح القدس فى حياة الكنيسة ، وفى كشفه لأهمية وطبيعة الإرساليات . . كل هذه الأمور تظهر أن لوقا كان كاتباً وراعياً يفيض قلبه بحب سيده وكنيسته وأعضاء جسده .

**المصادر التى اعتمد عليها القديس لوقا :**

يقول البشير فى مقدمة إنجيله « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى . . . » ( لوقا ١ : ١ — ٣ ) وهذا يدل على أن البشير اعتمد على من سبقوه فى الشهادة للمسيح لكى يجمع ويستقى منهم المعلومات الخاصة ، ويدل أيضاً على أن هذه المعلومات قد أخذها من مصادر مكتوبة وأخرى شفوية . وقد سبق ودرسنا ماهية المصادر التى اعتمد عليها فى كتابته للانجيل

وذلك فى دراستنا لقضية الأناجيل الثلاثة الأولى .وقد مر بنا نظرية الأربعة مصادر التى أضحت مقبولة لدى الغالبية العظمى من الدارسين : هذه النظرية تتلخص فى أن الإنجيلين الأخيرين : متى ولوقا قد اعتمدا على أربعة مصادر وهى إنجيل مرقس ثم المصدر Q ثم المصدر ل والمصدر م وعلى أساس هذه النظرية تكون المصادر التى اعتمد عليها لوقا البشير فى كتابة إنجيله ثلاثة :

مرقس فى ترتيب الحوادث فى حياة يسوع : ثم

Q فى تعاليم يسوع ويشترك فيها مع متى . ثم

ل : وهو المصدر الذى أخذ منه الأشياء الموجودة بإنجيله ، ولكنها لا تظهر فى الأناجيل الأخرى ، مثل قصص الميلاد وبعض الأمثال كالسامرى الصالح وأمثال ص ١٥ وغير ذلك . وهذه يمكن دراستها بالتفصيل فى الفصل المعنى بذلك .

هذا عن الإنجيل ولكن عندما نأتى إلى سفر الأعمال فإننا نجد قصة أخرى يجب أن ندرسها هنا .

قضية المصادر التى استخدمها القديس لوقا فى كتابه سفر الأعمال لها صعوباتها الكثيرة ، ولعلها أكثر تعقيداً من قضية مصادر الإنجيل ، وذلك لأن للانجيل نظائر مثله ، أى مرقس ومتى تلقى كثيراً من الضوء على هذه المشكلة . أما فى سفر الأعمال فلا يوجد فى العهد الجديد غيره ينصب على هذه الفترة الحاسمة فى تاريخ المسيحية الأول ، ويختلف الدارسون فى هذه القضية على أساس نظرياتهم عن المؤلف نفسه ، فبعضهم يظن أن مؤلف الكتاب ليس شخصاً واحداً بل عدة أشخاص كتبوا عدة أجزاء أو كتابات ، وجاء مؤلف

واحد وجمع هذه الكتابات معاً ، ويدلل هؤلاء على وجود ثنائيات أو تكرار فى نوعيات الكتابة ( كما يقول هارنيك فى كتابه عن سفر الأعمال ) . ففى الأصحاحات الخمسة الأولى مثلا : عظتان للرسول بطرس ( ٢ : ١٤ – ٣٦ ؛ ٣ : ١٢ – ٢٦ ) يقبض على الرسل مرتين ( ٤ : ٣ ، ٥ : ١٨ ) . مرتان يدافع الرسل عن رسالتهم أمام السنهدريم ( ٤ : ٨ – ١٢ ، ٥ : ٢٩ – ٣٢ ) مرتان يذكر عدد المسيحيين ( ٢ : ٤١ ، ٤ : ٤ ) مرتان يصف الحياة المسيحية داخل الجماعة المسيحية ( ٢ : ٤٤ – ٤٧ ، ٤ : ٣٢ – ٣٧ ) .

وبعض الدارسين يضعون نظرياتهم فى تعدد المصادر على تعدد الأساليب فى كتابة السفر ، فبعض الأجزاء تظهر فيها الترجمة من الأرامية بشكل واضح مثل الجزء الأول ، وبعضها كتب فى لغة يونانية أصيلة وفصيحة مثل الأجزاء الأخيرة ، والتى كتب فى أسلوب الشخص المتكلم الجمع ( نحن ) . ولكن بعض الدارسين لا يعترفون بمثل هذه الاختلافات . .

وهكذا خرجت نظريات كثيرة بنى عليها بعض العلماء تعدد المصادر التى أخذ منها سفر الأعمال ، وهؤلاء الذين يتمسكون لهذه النظريات ينكرون أن كاتب السفر هو لوقا ، وهو ذات الشخص الذى كان رفيقاً للرسول بولس فى سفرياته . الحقيقة التى اقتنعنا بها فى الصفحات السابقة عندما درسنا عن شخصية مؤلف هذا السفر ، عندما اتضح أن الشهادة الداخلية والشهادة الخارجية معاً تؤكدان على أن الكاتب هو نفس كاتب الإنجيل الثالث ، وهو نفسه لوقا الذى كان واحداً من أصحاب الرسول بولس الملازمين له .

ولكن اقتناعنا هذا لا ينفى أن القديس لوقا قد يستخدم بعض المصادر لمعرفة المادة التى كتب منها كتابه المعنون « سفر أعمال الرسل » فما هى هذه المصادر ؟ وكيف استخدمها الكاتب ؟

١ ــ كان للقديس لوقا فرصة أوسع كثيراً للتعرف على المعلومات التي وضعها في سفر الأعمال عن تلك التي كانت له أثناء كتابته الإنجيل ، ولعل تلك الأجزاء التي كتبها في صيغة المتكلم الجمع ، حتى وإن كانت قليلة ، أن هناك فقرات أخرى في هذا الجزء من الكتاب كان الكاتب حاضراً الحوادث التي تحتوى عليها دون أن يتكلم عنها بصيغة المتكلم هذه .

فالمصدر الأول إذن هو مصدر شخصى وهو اختباره فى السفر مع الرسول بولس ربما كان يكتبها فى مفكرة يحملها معه ويدون بها كل الأحداث.

٢ ــ أما الأحداث والقصة كلها المدونة فى ( ص ١ ــ ٨ ، ٩ : ٣٢ ــ ١١ : ٢٤ ، ١٢ : ١ ــ ٢٤ ) فلم يكن لوقا حاضراً فيها ، ولم يكن للرسول بولس أى يد فى تحريكها أو تخطيطها ، فكيف وصلت إليه ؟ إن الجواب على ذلك لا بد وأن يكون استنتاجياً . وهناك نظرية قوية يقول بها كثير من العلماء وهى أن لوقا البشير اعتمد فى هذا الجزء على كتابات القديس مرقس ، كما اعتمد عليه أيضاً فى كتابة إنجيله . ويقولون إنه مما لا شك فيه ان ضياع نهاية إنجيل مرقس تعطى الانطباع بأن هذه النهاية لا تتكون فقط من مجموعة من الآيات ، بل كانت جزءاً كبيراً لم يتوقف فيه الكاتب إلى حد قيامة المسيح وظهوره وصعوده ، بل تعداها إلى كتابة جزء من تاريخ الكنيسة الأولى . ويقولون إن مرقس هذا الذى كان رفيقاً لبطرس وابن أخت برنابا ظهر أولا فى ( أعمال ١٢ : ١٢ ) حيث يذكر الكاتب أن الكنيسة كانت فى بيت أمه ، ولا بد أن الشاب مرقس كان يعرف الكثير عن الحركة الأولى للمسيحية ، وكما دون حياة المسيح دون الحركة المسيحية كتتمة لهذا العمل . وقد اعتمد لوقا على هذا الجزء قبل ضياعه .

ولكن بعض العلماء لا يثقون كثيراً فى هذا الاستنتاج ويقولون إن لوقا

استقى هذه المعلومات من أورشليم عندما زارها سنة ٥٧ م (أعمال ٢١ : ١٥ و ١٦) وخصوصاً أن هذه الأجزاء تظهر آثار الكتابات الأرامية .

٣ – هناك جزء من القسم السابق وهو ٦ : ١ – ٨ : ٣ وهو الخاص تقريباً بقصة اسطفانوس ، يتكون من وحدة واحدة وغالباً ما كان المصدر الأساسى للوقا هو الرسول بولس نفسه . فلا بد أن الرسول سمع خطاب هذا الشهيد الأول ، ورأى محاكمته ورأى كل ما أحاط بموته . وقد يكون مصدر المعلومات فيلبس المبشر الذى كان زميلا لاسطفانوس وحضر كل ما حدث له ، وهرب نتيجة الاضطهادات . وقد نزل لوقا ضيفاً عليه فى قيصرية (أعمال ٢١ : ٨) . ولا بد أن قصة السامرة ودخولها فى حظيرة الرب ونزول الروح القدس على المؤمنين فيها عندما حضر الرسولان بطرس ويوحنا قد ذكرها فيلبس أيضاً .

فى ١١ : ١٩ – ٣٠ تبدأ قصة كنيسة أنطاكية ثم تذهب القصة فى طريقها إلى الإرسالية الأولى لبولس وبرنابا ، وهذه القصة لها مصادر متعددة قد يكون هو الرسول بولس نفسه وقد تكون وثيقة مكتوبة فى أنطاكية مثل تقرير كتبه الرسولان بولس وبرنابا إلى الكنيسة هناك عن رحلتهما ، وما حدث فيها والكنائس التى بنيت نتيجة لها . ولا بد أن أورشليم وأنطاكية كانتا تمتلكان تقريراً عن المجمع الذى حدث فى أورشليم (أعمال ١٥) ، ولا بد أن الكاتب قد اطلع على هذه التقارير .

٤ – الخطابات الأولى :

هناك قضية هامة مرتبطة بالمصادر التى استقى منها القديس لوقا وهى قضية الخطابات التى ذكرها فى كتابه . فبدون شك كانت الخطابات أطول مما

نجدها الآن فى الأصحاحات الأولى فى سفر الأعمال ، ولا بد أن خطابات الرسول أيضاً قد اختصرت بعض الشئ . فماذا فعل القديس لوقا ؟ هل كانت لديه نسخة من هذه الخطابات فاختصرها ووضعها فى مكانها ؟ لقد اختلف العلماء فى هذا الأمر وسبب اختلافهم هو العادة التى كانت متفشية فى ذلك العصر التى يعبر عنها « سيوسيديس » بقوله « أما عن الخطابات التى يقولها مختلف القادة فى اليوم السابق للحرب أو أثناءه فمن الصعوبة بمكان أن أتذكر الكلمات الحقيقية التى كانوا يقولونها . . . ولكنى سجلتها بحسب ما كنت أعتقد ماذا يقول المتكلم فى تلك المناسبة عاملا كل جهدى ألا أحيد عن ذلك » ( مقتبسة من ب ف بروس . : سفر الأعمال ص ١٨ ) . ولكن إذا كانت الخطابات التى ظهرت فى كتب سيوسيديس تقترب إلى أقصى حد ممكن إلى الخطابات الأصيلة ، فإن من تبعوه قد خالفوا هذه القاعدة ، وألقوا هم خطابات من عندهم ، ووضعوها فى فم المتكلم وكتبوها فى أسلوب فصيح يقترب من الشعر . حتى أن أسلوب هذه الخطابات كان يفوق بقية الكتاب فصاحة وبلاغة ؛ هذا مع عدم الاهتمام بما قاله الخطيب .

فهل فعل القديس لوقا ذلك ؟ هل وضع فى فم بطرس خطاب يوم الخمسين وما تبعه من خطابات ، وهل ألف خطاب اسطفانوس ، وخطابات الرسول بولس ؟ إن الدراسة الدقيقة تكشف نقيض ذلك . . فهو أولا لم يرد أن يظهر بلاغة أسلوبه فى تأليف الخطابات لسبب بسيط وهو أن أسلوب الخطابات التى تظهر فى سفر الأعمال أقل فصاحة من بقية الكتاب ، وخصوصاً فى الأصحاحات الأولى منه مما يدل على أن معرفة الذين نطقوا بهذه الخطابات باليونانية أقل كثير من معرفة الكاتب نفسه .

وإلى جانب ذلك يجب أن نتذكر أن لوقا البشير عندما اقتبس من إنجيل

مرقس كان أميناً فى اقتباساته ، ولم يفعل شيئاً سوى تخفيف بعض الكلمات التى كان يجب أن تخفف ، وهذا ما فعله البشير متى أيضاً ( إرجع لقضية الأناجيل الثلاثة الأولى ) . وهذا يدل على أن لوقا كان أميناً أيضاً فى كتابة ما وجده من الخطابات فى العصر المسيحى الأول .

ومما يدل على أمانة القديس لوقا فى هذا الأمر هو ما جاء فى الخطابات . من اقتباسات من العهد القديم ، وهذا يدل على أنها قيلت فى مجتمع يهودى . ومع أن هذا كان سهلا على كاتب مثل البشير لوقا أن يؤلفه لكن وجود هذه الآيات والفقرات والتفاسير التى من العهد القديم فى أسفار متعددة كالأناجيل والرسائل ، ومشابهتها بعضها لبعض فى التفسير . ( أنظر أعمال ٢ : ٢٥ وما يلى مع ١٣ : ٣٣ وما يلى ) يدل على أن هذه الاقتباسات كانت ملكاً عاماً للكنيسة ، وربما — كما ذكرنا ذلك سابقاً — كانت هناك مخطوطة كتبت خصيصاً لليهود لكى تكشف لهم أن يسوع المسيح وكل ما يتعلق به قد أكمل العهد القديم كله مع رسالة الشعب الإسرائيلى . وقد اقتبس الرسول بطرس وغيره من هذه المخطوطة أو هذه النبوات المتعارف عليها فى الكنيسة الأولى .

وهذا الأمر يفسر لنا التشابه الذى نجده بين خطابات الرسولين بطرس وبولس ( قارن مثلا أعمال ٢ : ٢٥ وما يليه مع ١٣ : ١٦ وما يليه ) ، لأن الاثنين كانا يبشران بإنجيل واحد ولهذا فهم يتشابهان فى موضوع البشارة وفى الاقتباس من العهد القديم . . وصارت الكرازة واحدة ومتشابهة فى عرضها عند الاثنين .

ولكن هذا لا يعنى أن الرسول بولس لم يضف شيئاً جديداً إلى الإعلان الكنسى . فمن يتأمل ١٣ : ٣٨ و ٣٩ يجد أنه هو الشخص الأول الذى

أعلن الروح بواسطته التبرير ، وتضم هذه الفقرة من خطابات بولس أول مكان تظهر فيه عقيدة التبرير هذه .

أما خطابات الدفاع التى تظهر فى سفر الأعمال وأهمها خطاب اسطفانوس الشهيد ، فإنها تحتوى أفكاراً لاهوتية قد وسعها الرسول بولس وشرحها فى رسائله . أما خطاب الرسول بولس إلى رعاة كنيسة أفسس فهو الخطاب الوحيد الذى ذكر فى سفر الأعمال موجهاً إلى جماعة مسيحية ، ولهذا فإننا نجد تشابهاً كبيراً بين الأفكار التى يحتويها هذا الخطاب وبين رسائل الرسول بولس .

وبهذا نرى أن الخطابات التى فى سفر الأعمال تشابه كلها المواقف التى قيلت فيها ، مما يدل على أن الكاتب لم يخترعها من عنده . بل بالعكس فإن التدرج اللاهوتى الذى فيها،من عقيدة المسيح البسيطة التى تظهر فى خطابات الرسول بطرس إلى العقيدة المتطورة فى خطابات الرسول بولس يكشف لنا الحقيقة وهى أن لوقا لم يكتب هذه الخطابات من عندياته ، بل هى ملخص ما قيل فعلا فى تلك الظروف ، ولذلك فهى عظيمة القيمة ، فى كشف تفكير وأحوال الكنيسة الرسولية الأولى .

**رسالة القديس لوقا :**

كان يمكن أن نقول رسالة إنجيل لوقا وسفر الأعمال ونذكر محتويات ومضمون كل كتاب على حدة ، ولكن هذا العمل لا يعطينا الفكرة الصحيحة عن هذا العمل العظيم ، ولا يمكن أن يكون فى صالحهما . ولهذا السبب رأينا أن ندرس ماذا يريد أن يقول القديس لوقا فى كتابيه ، إنها رسالة واحدة مستمرة ، يكمل كل كتاب الكتاب الآخر فى توضيحها وإظهارها . . ولكن ما هى الطريقة المثلى التى نستطيع بها أن نكشف رسالته؟ إن الطريقة المثلى هى أن

نقتفي أثاره ونسير وراءه ، وفى اتباعنا له نستطيع أن نعرف العلامات البارزة فى عمله ، هذه العلاقات البارزة تتركز فيها وحولها رسالته . لقد كان القديس لوقا مؤرخاً من الدرجة الأولى لأنه يتوخى الدقة فى ذكر الحقائق كما يقول هو فى مقدمته . وكما أثبتت الدراسات القديمة والحديثة . ولكنه لم يكن مؤرخاً لقصد التاريخ وحده . ولكنه كان يقرأ فى هذا التاريخ عملا عظيماً ويرى يد الإله تقوده وتقود أحداثه إلى مركز خاص وهدف مقصود . نعم إن هذا الهدف وهذا المركز يتحدان فى شخصية واحدة وفى كل ما يتعلق بها من أحداث وهى شخصية المسيح . فكل ما سبقه من أحداث وشخصيات كانت تشير إليه وتسير نحوه ، وكل من لحقه من أشخاص وما اتصل بها من أحداث كانت تنبع منه وتشهد له .

كل هذا يدل على أن القديس لوقا لم يكن فقط مؤرخاً ، بل كان لاهوتياً يدرس فى الحوادث الواقعة والمتسلسلة عمل الله ، ولهذا السبب لم يرص الحوادث رصاً ، ولكنه كان لاهوتياً فى اختياره للحوادث وترتيبها ، لكى يسلط ضوءاً قوياً على هذا التاريخ المقدس ، تاريخ الخلاص .

وهنا يعن لنا أن نذكر حقيقة هامة وفى غاية الأهمية . . وهى أن القديس لوقا فى كتابته للتاريخ المقدس كان يقتفي آثار الأنبياء العظام فى توضيح صلة هذا التاريخ بالتاريخ العام . فمن يقرأ الأصحاح الأول والثانى والثالث . وغيرها من الإنجيل يجد أن البشير يربط الحوادث التى يذكرها فى إنجيله بالتاريخ العام ، فماذا كان يقصد من ذلك ؟ بدون شك كان يرمى إلى ثلاثة أمور .

الأمر الأول هو بيان تاريخية الأحداث التى يكتبها، فهو لا يسطر أسطورة إله يونانى ، أو يكتب عن ديانة من الديانات السرية التى تبنى على الأساطير

الدينية ، ولكنه يؤرخ لحادثة تاريخية وقعت فى الوقت المحدد والمكان المحدد أثناء حكم هذا أو ذاك من القياصرة والولاة ورؤساء الكهنة ، إنها حقائق واقعية حقيقية ملموسة .

أما الأمر الثانى فهو أنه لا يفصل فصلا تاماً بين التاريخ المقدس ، تاريخ الخلاص وبين التاريخ العام . إن المسيطر على التاريخ هو الله وهو الذى يسيره ويقوده إلى الهدف المحدد له . هذا التاريخ العام هو الحقل الذى فيه يعمل الله أعماله القوية والعظيمة . فالتعداد كان الحادثة التى يولد فيها المسيا فى المكان الذى يجب أن يولد فيه ، والوالى هو الذى يحكم على المسيح بالصلب ، ورئيس الكهنة هو الذى يعمل جاهداً على موت المسيح . إن الله وحده هو الذى يسيطر على الجميع . ويعمل كل شئ ، والمسيح الذى هو مركز التاريخ المقدس يدفع الضريبة ويقوم بكل أعمال الناموس ويخضع لكل القوانين الأرضية .

أما الأمر الأخير فهو أن هذا التاريخ المقدس لا يختلط اختلاطاً تاماً ولا يذوب ذوباناً كاملا فى التاريخ العام . إنه فى وسط التاريخ العام وجزء منه لكى يعمل ويحول هذا التاريخ العام إلى الهدف الذى وضعه الله له ، إنه تاريخ إيجابى فعال ، إنه الخميرة الصغيرة التى وضعت لتخمر العجين كله ، إنه جزء من التاريخ العام ولكنه يحمل عنصراً جديداً فعالا إيجابياً ، إنه تاريخ الفداء .

هذا هو ملخص نظرة القديس لوقا عندما يكتب مؤرخا ولاهوتياً فما هى العلامات البارزة فى تاريخه ؟ هذه العلامات تتلخص فى تقسيمه للتاريخ المقدس إلى ثلاث حقبات عظيمة :

الحقبة الأولى — حقبة شعب إسرائيل أو الانتظار .

الحقبة الثانية — حقبة يسوع المسيح أو يوم الخلاص .

الحقبة الثالثة — حقبة الكنيسة أو حقبة الإرسالية .

الحقبة الأولى — اسرائيل أو الانتظار :

فى الأصحاحين الأول والثانى يلخص الكاتب كل تاريخ العهد القديم ورسالته ، وحيث أنه يكتبه فى مساحة ضيقة فهو شديد التركيز جداً . وفى هذا التلخيص المركز نجد صورة مثالية للعهد القديم فى ثلاثة أمور : الناس والنبى والهيكل .

١ — أما الناس فإنهم أولئك الذين يعيشون أمام الله بحياة كاملة لا عيب فيها بحسب ناموس الله . والأمثلة على ذلك كثيرة فنجد اليصابات وزكريا اللذين كانا يعيشان أمام الله تماماً كما كان يعيش إبرهيم وسارة ، وقد قيل عنهما « وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما » . ( لو ١ : ٦ و ٧ ) . وقد تقبلا البركات التى أعطاها الله لهما علامة على أمانته الكاملة لعهده للبقية الأمينة فى شعبه « مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنــا قرن خلاص فى بيت داود فتاه كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر » ( ١ : ٦٨ — ٧٠ ) . وهم إذ يمتلئون بالفرح عندما يسمعون بالخلاص المقبل الذى يعلنه الرب لهم ، فإنما هم يمثلون إسرائيل فى كمالها عندما تستقبل بركات عصر المسيا العظيم بما يحمله من غفران للخطايا وظهور المخلص الأعظم الذى ينتظرونه ، إنهم البقية الباقية الأمينة التى تعيش على أبواب عصر المسيا . ( ١ : ٧٠ — ٨٠ ) .

بل هنا نجد الطريقة الكاملة التى بها يتكلم الرب مع هذا الشعب ، فإنه

إنما يكلمهم بواسطة الملائكة ، فجبرائيل يأتى إلى زكريا ليبشره بيوحنا (١ :١٩) ، ويرسله أيضاً إلى العذراء مريم (١ : ٢٦) ليبشرها بالحبل بالمسيا ابن الله . ويكلمهم أيضاً بواسطة الأنبياء الذين لا يتركون بيت الرب ، كما كلمهم فى سمعان الشيخ (٢ : ٢٥ — ٣٥) ، وفى حنة النبية (٣٦ — ٣٨) كلمهم بالرؤى وبأقوال الأنبياء لكى يعرفوا إرادته . وفى هذا كله هم الجماعة التى تمثل البقية المخلصة الأمينة ، يعبدون الرب عبادة بدون عيب فى أصوامهم وصلاتهم وذبائحهم ، وفيهم نجد تاريخ الشعب مركزاً وهو ينتظر عصر الخلاص . . عصر المسيا ببركاته الكثيرة .

٢ — كل هذا الكلام عن شعب الله فى مثاليته يتركز حول مولد يوحنا المعمدان . وهذا يدل على أن ليوحنا شأناً عظيماً وله دور كبير فى هذا الأمر ، فكما كان الذين حوله يمثلون البقية الأمينة التى يخصها الرب بإعلانه ، كان هو يمثل النبى المثالى الذى قال عنه السيد نفسه ، لأنى أقول لكم إن من بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان » (لوقا ٧ : ٢٨) . ولكن لماذا اعتبر يوحنا المعمدان هكذا ؟

إن عظمته لاتنبع من شخصيته ، أو من اختباره الذى فاق الجميع ولكنها تأتى من موقفه الذى وضع له . إنه حلقة الوصل بين العهدين : القديم والجديد . إنه نهاية العهد القديم والذى يقف على أعتاب الجديد ، فمشورة الله الأزلية أن يأتى العهد الجديد على أساس شهادة العهد القديم له ، ولهذا فقد كان دور يوحنا المعمدان دوراً فريداً . إنه يمثل العهد القديم كله وقد وقف يشهد للجديد ، هذا ما تبينه مواعظه كما هى مدونة فى الأناجيل ، وما يشهد به له العهد الجديد نفسه (رومية ٣ : ٢١) .

إن مضمون وعظ يوحنا يبين هذه الحقيقة ، فهو لم يناد بالتوبة والرجوع

إلى الرب فقط ، كما كان يفعل الأنبياء فى القدم ، ولكنه زاد على ذلك بأنه دعا الناس بأن يعدوا طريق الرب . إنه الملاك الذى قال عنه السيد إنه يعد له طريقه ( ملاخى ٣ : ١ ، ٤ : ٥ ، لوقا ١ : ١٧ ) . إن فى مناداة يوحنا تجمعت مناداة موسى وكل الأنبياء .

ولأجل ذلك كان يجب أن يتبع يوحنا نفسه فى الهيكل . نعم لقد ظهر فى البرية ، وكان ينادى هناك ، ولكن أصوله الأولى كانت فى الهيكل . فقد جاء من أبوين هما من سبط لاوى ، وأبوه كان من الكهنة ، وبشره الملاك به وهو يكهن أمام الرب ، فهو لم يكن شجرة برية ولكنه كان من قلب إسرائيل من جذور الكهنوت .

ومما يزيد فى موقف يوحنا إجلالا أنه كان على غرار إسحق ، جاء بمعجزة . لقد بشر الله إبرهيم باسحق لكى يبدأ معه وعداً ، وبشر الرب زكريا بمولد يوحنا وهو فى سن الشيخوخة لكى يظهر أنه قد تمم المواعيد السامية وأنه أمين على أن يقيمها فعلا .

هذا هو النبى الذى جمع النبوة كلها فى شخصه لكى تشهد للعهد الجديد . تكلم الكلمة النهائية للعهد القديم ؛ ولذا فهو أعظم من جاء فى القديم وهو أقرب الجميع إلى العهد الجديد . . إلى المسيح . ولكنه مع ذلك فهو بعيد جداً عنه . هناك فجوة بينه وبين ملكوت الله ، ولهذا فقد أكمل السيد شهادته عنه « ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » ( لوقا ٧ : ٢٨ ب ) . فشهادة يوحنا إذن ليست كاملة ولكنها تكمل فى العهد الجديد فى الإنجيل ، ومعموديته لا قوة لها إن لم يكملها الروح القدس ، ولهذا فالرب يكمل القديم ويتممه بالإنجيل والروح القدس .

إن ليوحنا — كما يظهره البشير لوقا — مركزاً عظيماً فى تاريخ الخلاص ، ولكنه فى ذات الوقت ينتمى فقط إلى العهد القديم . هذا هو المعنى العظيم الذى تتضمنه أغنية زكريا أبوه عند ولادته ( لوقا ١ : ٦٧ — ٧٩ ) وبدون هذا الضوء لا نستطيع أن ندرك جلال تلك الأغنية .

ولكن البشير لا يترك الأمر عند هذا الحد فى إظهار مركز المعمدان بالنسبة للعهد الجديد ، فكما أن البشير يذكر المقارنة التى يعقدها يسوع بين يوحنا المعمدان وجميع المولودين من بين النساء ، فيظهر أن يوحنا أعظم من الجميع ، هكذا يذكر البشير أيضاً مقارنة أخرى بين يوحنا المعمدان وبين المسيح وخاصة فى ولادته . فى هذا الأمر لا بد أن يتجلى منذ البدء عظمة وجلال مؤسس العهد الجديد . بالمقارنة للنبى الذى يمثل العهد القديم كله . لقد ولد يوحنا المعمدان بمعجزة ولكنها كانت معجزة فى حدود القوانين الطبيعية . ولد من زكريا واليصابات ، كان له أب وأم بشريان أما يسوع فقد ولد من مريم العذراء وقد حل عليها الروح القدس ، إنها معجزة لا تفوق الطبيعة فقط بل هى من خارج هذه الطبيعة . إن البشير أراد أن يظهر منذ الولادة أن يسوع هو ابن الله ، لذلك يقول الملاك لمريم « هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » ( لوقا ١ : ٣٢ ) . بل يظهر هذا من البدء عندما تذهب العذراء مريم إلى اليصابات فتصرخ هذه فرحة بابتهاج قائلة « . . . فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى » ( لوقا ١ : ٤٣ و ٤٤ ) . هذا هو النبى وهذا هو مركزه . إنه يمثل العهد كله فى اقترابه وشهادته للعهد الجديد ولكن ما أبعد الفجوة بين الاثنين ؟ ؟

### ٣ – الهيكل :

إذا كان للشعب وللنبي دور هام فى إنجيل لوقا لتمثيل الحقبة الأولى فى تاريخ الخلاص فإن للهيكل دوراً لا يقل أهمية ، إن لم يكن يفوق عنهما . ففى الكتابين : الإنجيل والأعمال نجد أن الهيكل يقف فى الصدارة دائماً فى كل المواقف . فإذا تتبعنا الهيكل فى كل الظروف فإننا نجده مركزاً هاماً فى حياة إسرائيل ، وحياة المسيح نفسه ، وحياة الكنيسة الأولى ، وفى هذه الأدوار جميعاً يظهر الله بمجده وحكمته ليقود تاريخ الفداء إلى هدفه وإتمام مسرة مشيئته .

( أ ) أما الهيكل وإسرائيل فإنه يتضح من القصص الأولى أن له دوراً هاماً فى حياة هؤلاء الذين يمثلون إسرائيل فى نقاء البقية التى تنتظر خلاص الرب . فالهيكل هو الميراث العظيم الذى يفتخر به هؤلاء الذين يأتون من نسل الكهنة ( لوقا ١ : ٥ و ٦ ) . ولقد افتقد الرب زكريا بالبشرى بولادة ابن له فى الهيكل بينما كان يخدم ( ١ : ٨ – ٢٠ ) . وبعد ختان الصبى يسوع أحضره أبواه إلى الهيكل حسب عادة اليهود وقدما له الذبيحة المطلوبة ( ٢ : ٢٢ – ٢٤ ) . وعندما أراد الروح أن يعلن ، بواسطة سمعان الشيخ ، ظهور المسيا أرسله إلى الهيكل ، فرأى الطفل وباركه مع أبويه ( ٢ : ٢٥ – ٣٥ ) . وكذلك حنة النبية كانت فى الهيكل تتعبد لله بصيام وصلوات ليلا ونهاراً ( ٢ : ٣٦ – ٣٨ ) .

فى هذا الجزء يظهر البشير المركز الحقيقى للهيكل للبقية المخلصة فى جماعة العهد القديم ، وهو المركز الذى أراده الله لهذا الهيكل منذ أن أمر بإقامة خيمة الاجتماع : إنه المكان الذى فيه تظهر التقوى الحقيقية وتتغذى فيه روحياً . وهو المكان الذى يعمل به روح الرب فى الأنبياء والمخلصين ، فمنه تسمع

كلمة النبوة . وبهذه الكيفية يوضح البشير الكيفية التي يصبح فيها الهيكل كحلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد خصوصاً عندما يقدم فيه الطفل يسوع المخلص الذي يخلص العالم ويبدأ العهد الجديد .

(ب) الهيكل والمسيح : يظهر أهمية دراسة صلة المسيح بالهيكل عندما ندرس موقفين هامين في حياة المسيح تجاهه . موقفه وهو صبي في الثانية عشر من عمره . ثم موقفه أثناء خدمته الجهارية .

أما موقفه في صبوته يذكر عنه لوقا وحده حادثة ذهابه مع العذراء ويوسف إلى الهيكل وهو في سن الثانية عشرة ( لوقا ٢ : ٤١ — ٥٢ ) . وفي هذه الحادثة أظهر يسوع صلة فريدة بالهيكل تتمثل في صورتين :

الصورة الأولى هي اهتمامه بالهيكل من وقت صباه بكيفية تفوق اهتمام أي يهودي عادي . فعندما صعد في الثانية عشر إليه في عيد الفصح كان الهدف أن يظهر طاعته للناموس كإرادة الآب بمحض إرادته ، ودون أن يأخذه أحد . وبقي هناك حتى بعد سفر أبويه . فالهيكل هو بيت أبيه وهو يشعر تجاهه بمسئولية خاصة حتى وإن كان هذا يفوق إدراك الأبوين ولم يستطيعا فهمه ( ٢ : ٤٨ — ٥١ ) .

أما الصورة الثانية فهي صورته وهو يسأل ويجيب هذه الجماعة المتصرفة في حياة الهيكل وتعاليمه ، وكان يدهشهم ( ٢ : ٤٦ و ٤٧ ) ، ولعل لوقا البشير رأى في ذلك نبوة تكشف عن مستقبل علاقته بهؤلاء الرؤساء . إن وقته لم يحن بعد لكي يظهر سلطانه على الهيكل ولا سلطانه في التعليم ، ولكن هذه الحادثة أظهرت أن هذا الصبي هو رب الهيكل وسيده .

أما الموقف الثاني كان عندما خرج يسوع إلى خدمته الجهارية .

وكان موقفاً جديداً . فلم يعد هناك سمعان الشيخ ولا حنة النبية ولا زكريا ، هؤلاء الذين كانوا ينتظرون تعزية إسرائيل . لقد أصبح الهيكل فى أيدى عصابة من كاسرى الناموس ومحتقريه . إنهم يقاومون روح الله وعمله . فرفضوا معمودية يوحنا المعمدان . ووقفوا بمرارة ضد يسوع الناصرى . وبهذه الكيفية منعوا الهيكل من أن يؤدى أية خدمة حقيقية لإرسالية المسيح ، لم يعد مكاناً للصلاة ولا للقوة بل كان مغارة لصوص .

وهنا أراد المسيح أن يعمل عملا عظيماً ، أن يخلص الهيكل من يد هذه العصابة ، فثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم ( ٩ : ٥١ ) . وكان أول عمل يعمله عندما وصل إلى هذه المدينة هو أن خلص الهيكل من أيديهم ( ١٩ : ٤٥ — ٤٨ ) وأصبح الهيكل فى ذلك الأسبوع منبره الذى منه يعلن بشارة الملكوت للجميع ( ٢٠ : ١ — ٨ ) . ومع أنه كان يذهب كل مساء إلى بيت عنيا لكنه كان يرجع كل صباح إلى بيت أبيه ليعلم هناك وليظهر سلطانه العظيم عليه ( ٢١ : ٣٧ و ٣٨ ) . وبهذه الكيفية أرجع للهيكل عمله الأساسى الذى وضع له وهو إعلان البشارة . وعندما رفع السيد على الصليب حدث فى الهيكل عمل رمزى إذ انشق حجابه من أعلى إلى أسفل إلى اثنين دلالة على انفتاح الطريق إلى الله .. إلى قدس الأقداس ( ٢٣ : ٤٤ — ٤٦ ) .

( حـ ) الهيكل والكنيسة : من يتأمل علاقة الهيكل بالكنيسة فى كتابات القديس لوقا يجدها تجوز فى صورتين متتابعتين : الصورة الأولى عندما ولدت الكنيسة . وقد يعجب الدارس أو يرى أن الهيكل قد اختفى من الصورة تماماً فى ظهورات السيد لتلاميذه . فكل ظهوراته إما فى العلية أو فى الطريق أو على البحيرة . أو فى أمكنة مختلفة ، أما الهيكل فلا دور له فى ذلك . ولكن على العكس من ذلك فقد لعب دوراً كبيراً فى حياة الكنيسة . فعلى الأرجح جداً

بدأ يوم الخمسين فى أرجاء الهيكل ( أعمال ٢ : ١ ) . ولعل أمر السيد لهم أن يمكثوا فى أورشليم لكى يلبسوا قوة من الأعالى لا يقصد به أورشليم لذاتها بل يقصد به بيت الرب ( لوقا ٢٤ : ٤٩ و ٥٣ ) . وعلى هذا فيكون المكان الأول الذى شهد انسكاب الروح القدس على كنيسة العهد الجديد إتماماً للنبوة ، وتكملة لمواعيد العهد القديم كان الهيكل . . ومن ذلك الوقت بدأ الهيكل يكون المكان الذى رأى كل نشاطات الكنيسة ، ففيه ومن حوله قام الرسل وخاصة بطرس بعمل معجزات ( أعمال ٣ : ١ — ١٠ ) ، مع أن يسوع نفسه لم يعمل معجزة واحدة فى الهيكل سوى عند تطهيره إياه ، ولكن خبر هذه المعجزات لم يذكرها لوقا بل ذكرت فى متى ٢١ : ١٤ . وهناك فى الهيكل أعلنوا البشارة بالمسيح المقام من بين الأموات وشهدوا للجميع عنه ( أعمال ٣ و ٤ ) . وعندما سجنوهم أخرجهم الملاك وأمرهم أن يذهبوا إلى الهيكل ليشهدوا ( أعمال ٥ : ١٩ ) . ومن هناك جاوبوا أعداءهم . إن البشير لوقا يظهر التلاميذ كهنة الهيكل الحقيقيين الذين يذهبون إليه كل يوم مقدمين الصلاة والذبائح المجيدة لله . . ذبائح العهد الجديد من حمد وتسبيح وشهادة . إنهم هم الذين يمثلون الهيكل ومن هناك كانوا يبشرون بالعهد الجديد ( لوقا ٢٤ : ٥٣ ، أعمال ٢ : ٤٦ و ٤٧ ) .

لكن الصورة الثانية تتناقض مع هذه الصورة الأولى عندما بدأت الكنيسة تتسع وتصبح كنيسة مسكونية ، ومع أن الرسل فى أورشليم وشعب المسيحيين هناك ظلوا يهتمون بالهيكل لكن صورته الأولى تغيرت ولم يعد له دور على الإطلاق ليقوم به . إن الهيكل لم يعد هو المكان الوحيد لاجتماع القديسين بالرب. والروح القدس يسكن فى كل مكان مهما بعد ،حيث يكون المؤمنون. وعندما جاء الوقت المعين وهدم الهيكل لم تتراجع الكنيسة المسيحية بل بالعكس

وجدت فى ذلك الأمر قوة ودافعاً لاتساع الإرسالية بين الأمم . إن خرابه كان يعنى أن رسالته قد انتهت وهذه كانت العلامة العظمى لانتشار جماعة الرب فى العهد الجديد . . إسرائيل الحقيقى .

هذه هى الحقبة الأولى فى تاريخ الفداء كما تتضح فى كتابات القديس لوقا . . رأينا فيها الشعب والنبى والهيكل فى عملهم وخدمتهم واتصالهم بالعهد الجديد . إنها فترة الإعداد والدافع لمجئ العهد الجديد . .

الحقبة الثانية : يوم الخلاص – يسوع المسيح :

هذه الحقبة الهامة فى تاريخ الخلاص يقسمها البشير لوقا إلى ثلاثة أقسام أو فصول ، الفصل الأول خدمته فى الجليل وهى تبدأ من ٣ : ٢١ – ٩ : ٥٠ والفصل الثانى وهو يغطى رحلته إلى أورشليم وهذه من ٩ : ٥١ – ١٩ :٢٧ . والفصل الثالث خدمته فى أورشليم نفسها وهذه تغطى من ١٩ : ٢٨ ، إلى آخر الإنجيل .

من ينظر إلى هذه الأقسام المحددة يجدها وحدات ، كل وحدة منها قائمة بنفسها ، لها شكلها الخاص ورسالتها المدروسة ، ولكنها فى نفس الوقت مترابطة ، وتسلم الواحدة إلى الأخرى . بمعنى أن القارئ يحس فى نهاية الوحدة أنها تقوده إلى التالية وإلا بقيت ناقصة . وإلى جانب ذلك فهى متوازية أى أن كل واحدة تتكون من عناصر متشابهة . فكل ما نجده فى وحدة نجده فى الوحدتين الأخريين حتى وإن كان لها طابعها الخاص . هذا التقسيم الثلاثى فى خدمة المسيح – أو يوم الخلاص – الذى يتميز بتمايز الوحدات وتكاملها وتوازيها هو الطابع الذى يميز إنجيل لوقا والتفكير اللاهوتى الذى يتحرك فيه البشير لكى يشرح خدمة المسيح الخلاصية .

خدمة يسوع فى الجليل :

هذه الفترة قضاها يسوع فى الخدمة فى الجليل . وكانت هذه البلاد ، بالقياس إلى اليهودية ، متخلفة ، على الأقل دينياً ، وكان سكان اليهودية يتكبرون ويحتقرون سكان الجليل . وهكذا بدأ يسوع خدمته فى وسط الجماعة المحتاجة الفقيرة معبراً عن نوعية خدمته فى الكنيسة كلها ، كما يقول الرسول بولس لأهل كورنثوس « فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » ( ١ كورنثوس ١ : ٢٦ ) .

وقد بدأت هذه الخدمة الأولى برؤيا سماوية عند المعمودية ، وجاء صوت من السماء قائلا له « أنت ابنى الحبيب بك سررت » ( لوقا ١ : ٣١ ) . ويؤكد البشير لوقا أن هذا الصوت جاءه مؤكداً له أنه فى تواضعه ووضعه لنفسه فى مصاف هؤلاء الخطاة . هو الابن الحبيب . . إنه عبد الرب الذى به سر .

ولكن ماذا كان الهدف من هذه الإرسالية ؟ فى هذه الإرسالية قام يسوع بعملين عظيمين : العمل الأول هو إعلان البشارة والإنجيل بواسطة التعليم والأعمال العظيمة . إن كلماته كانت كلمات النعمة التى يتعجب منها الناس وينجذبون بها ( ٤ : ٢٢ ) . وقيل عن الجموع « بهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان » ( ٤ : ٣٢ ) . فكلماته هى كلمة الله نفسه ( ٥ : ١ ) وجوهر تعليمه أن يوم الخلاص قد قرب وفيه يغفر الله خطايا شعبه التائب ( ٧ : ٣٦ — ٥٠ ) ولكن يسوع أعلن مجئ يوم الخلاص أيضاً بالأعمال العظيمة التى قام بها ، من شفاء أمراض وإخراج شياطين وإقامة موتى ( ٧ : ١٢ — ١٧ ) . وهكذا جاء دور الإنجيل والخلاص المرتقب فى شخص المسيح .

لكن لهذه الإرسالية هدفاً آخر وهو جمع أولئك الذين سوف يكونون شهوداً له . فبمعجزة عظيمة يدعو بطرس ليكون معه على الدوام ( ٥ : ٤-١١ ) وهكذا كانت دعوة رفقائه الآخرين . وبكلمة واحدة يدعو لاوى العشار فيترك هذا كل شئ ويقوم ويتبعه ( ٥ : ٢٧ و ٢٨ ) . ولكى يختارهم من بين كثيرين قضى الليل كله فى الصلاة ( ٦ : ١٢ - ١٦ ) . وبعد اختيارهم أعطاهم موعظته الشهيرة لكى تكون نبراساً لهم فى حياتهم ( ٦ : ٢٠ - ٤٩ ) .

ولكن سر هذه الإرسالية يكمن فى قصة يسوع فى الناصرة ( ٤ : ١٦ - ٣٠ ) . لقد وضع البشير لوقا هذه الحادثة فى أول خدمته لكى تلقى نوراً على خدمة يسوع كلها . فعندما أخذ الدرج لكى يقرأ من الأنبياء كانت القراءة فى ذلك اليوم من ( إشعياء ٦١ : ١ و ٢ ) « روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة » . فى هذا الجزء وفى الموعظة التى يذكر البشير عنوانها فقط نجد ثلاثة قضايا هامة جداً فى حياة المسيح يسوع وفى حياة الكنيسة أيضاً . ولهذا فهى تصبح أساساً لدراسة إنجيل لوقا وسفر الأعمال أيضاً :

القضية الأولى هى حضور الروح القدس بكيفية جديدة لم يعرفها العهد القديم ( ٤ : ١٨ ) . فالقضية التى يريد البشير أن ينبر عليها فى كلام السيد هى أنه أينما حل الله عاملا لفداء شعبه فإنه يفعل ذلك من خلال الروح القدس . فالروح القدس هو الذى خلق الكنيسة . ولولاه لما كانت هناك إرسالية ولا رسول . ولكنه هو الذى يعمل فى الكنيسة مقوياً ومرسلا .

أما يسوع فهو رجل الروح القدس ، فإلى جانب عمل الروح فى ولادته فإنه نزل عليه بهيئة جسمية كحمامة ( ٣ : ٢٢ ) ، ومن ذلك الوقت ذهب

بقوة الروح إلى البرية ليواجه الشيطان ، وهناك انتصر عليه ( ٤ : ١ ) وبعد ذلك رجع بقوة الروح ليكشف عن إرساليته ( ٤ : ١٤ ) ، وبه أيضاً شفى كل المرضى ومن به أرواح شريرة ( ٥ : ١٧ ) . ونلاحظ هنا أن لوقا وحده هو الذى يذكر أن يسوع كان يصلى عندما نزل عليه الروح عند المعمودية ( ٣ : ٢١ – ٢٧ ) . وهذا مثال تحتذيه الكنيسة ، فقبل يوم الخمسين كانت تجتمع كجماعة لتصلى ( أعمال ١ : ١٤ ) ، وقد امتلأوا بالروح القدس ( أعمال ٢ : ٤ )، وقد وضعوا فى بوتقة التجربة ( ٤ : ١ – ١٨ ) وبعد أن انتصروا على التجربة امتلأوا أكثر بقوة الروح القدس ( ٤ : ٣١ ) وإلى جانب هذا كانت قوة الروح معهم لينشروا البشارة وليشفوا الشعب ( أعمال ٤ : ٣٣ ، ٥ : ١٢ – ١٦ ) . وكما رفضت الناصرة يسوع رفضهم اليهود ؛ ولكن هذا الرفض كان دافعاً إلى إرسالية الأمم بأمر الروح القدس .

أما القضية الثانية فهى إتمام المكتوب ، كما قال السيد نفسه « اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » ( ٤ : ٢١ ) . إن ملكوت الله الذى ينتظره العهد القديم قد ظهر فى حياة ونشاط السيد ؛ فهو الذى قال « إن كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » . ( لوقا ١١ : ٢٠ ) . إنه هنا فى قوة وعمل . . والملكوت ليس حالة روحية ولكنه قوة الله لفداء البشر . وأينما وجد يسوع وجد الملكوت وقيد القوى وهو الشيطان ( ١٠ : ١٨ ) لقد تم المكتوب فى المسيح فهو الذى أعلن ملكوت الله الآن . . مع أنه سيعلنه بقوة فى المستقبل ( لوقا ١٩ : ١١، ٢١ : ٣١ ، أعمال ١ : ٦ ) . اليوم يوم خلاص .

أما القضية الثالثة فى حادثة الناصرة فهى رفضهم إياه . إن القرية التى تربى فيها وعرفته صبياً وشاباً قد رفضته ولذلك ذهب إلى كفر ناحوم . إن

الناصرة فى نظر لوقا تمثل رفض اليهود ، وعندئذ يذهب الإنجيل إلى الأمم ، لقد كان اليهود فى عنادهم يمثلون مشكلة خاصة للمسيحية ، ولكنها كانت دافعاً لتقديم الإنجيل للعالم كله ، الحجر الذى رفضه اليهود قد صار رأس الزاوية لكل هيكل الله بناء الله .

الرحلة :

تمثل الرحلة ، بحسب إنجيل لوقا فترة هامة فى خدمة السيد . وهذا هو السبب وراء طول وصفها ووضعها فى عشرة أصحاحات ( لوقا ٩ : ٥١ – ١٩ : ٢٧ ) . ولم يكن هدف البشير من ذلك مجرد ذكر الأمكنة التى مر فيها المسيح ولكنه كان يقصد أن يجعل من كل الحوادث التى ذكرت فى هذه الرحلة كمقدمة لآلامه وموته وقيامته . هناك بعض العبارات التى تصف هذه الرحلة لا تظهر إلا فى هذا الإنجيل ، فيسوع « ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم » ( ٩ : ٥١ ) ؛ وعلى جبل التجلى كان مع موسى وإيليا يتكلمون عن « خروجه الذى كان مزمعاً أن يكمله فى أورشليم » ( ٩ : ٣١ ) . فالرحلة لا تعنى فقط تغييراً فى المكان ولكنها تعنى امتداداً فى الإعلان وتطوراً فى الخدمة الجهارية للسيد .

هذا الجزء من الخدمة يبدأ بإعلان سماوى موجه هذه المرة إلى التلاميذ أنفسهم « هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا » ( لوقا ٩ : ٣٥ ) . . هذا الإعلان السماوى يكمل اعتراف بطرس فى قيصرية فيلبس « مسيح الله » ( ٩ : ٢٠ ) . إنهم عرفوه أنه المسيح ولكن ما هى صفات ورسالة المسيا ؟ لم يستطيعوا أن يفهموا هذا ، خصوصاً عندما أخبرهم أنه المسيا عبد الرب الذى سوف يتألم ( ٩ : ٤٤ ، ١٣ : ٣٢ و٣٣ ، ١٨ : ٣١ ) . . إن الصوت السماوى فى ذلك الوقت بالذات وجه أسماعهم إليه لكى يفتحوا أذهانهم ويفهموا مركزه ورسالته ؛

ولكن هذا الأمر استمر عسيراً على إدراكهم إلى أن قام من الأموات فتذكروا وعرفوا معنى ما قاله لهم . ولماذا كان يقوله ( ١٨ : ٣١ ) .

أما رسالة هذا الجزء من خدمة السيد فكانت تتركز على تعليمه للتلاميذ . لقد علمهم بالقول والعمل معنى التلمذة الحقيقية . علمهم المعنى الحقيقى لاتباعه « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى . . » ( ٩ : ٢٣ — ٢٧ ) . ولم يكن تعليمه ، فقط بل مثاله أيضاً ، الوسيلة الفعالة لفتح أذهانهم . فى طاعته للآب وتكريسه لنفسه للعمل ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم ، وهو يعلم أنه سيتألم ويموت هناك . ومع ذلك فالتلمذة الحقيقية هى أن يطيع الآب ويعمل مشيئته . يقول لهم « لى صبغة أصطبغ بها وكيف أنحصر حتى تكمل » ( ١٢ : ٥٠ ) . ويرد على اليهود ليردوا جواباً على هيرودس « . . قولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً ، وفى اليوم الثالث أكمل بل ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » . ( لوقا ١٣ : ٣٢ و ٣٣ ) . وهكذا يعلم المسيح تلاميذه ويقدم لهم المثال الكامل فى معنى التلمذة ومطاليبها .

وعلى هذا الأساس فيكون التجلى هو المفتاح الحقيقى لفهم هذا الجزء من خدمة المسيح ، ففيه يظهر المسيح المعنى الحقيقى للمسيا والمعنى الحقيقى للتلمذة . وهنا أيضاً يعد لتلاميذه لمواجهة ما سوف يأتى : ففى وقت التجلى يذكر لوقا وحده أن التلاميذ كانوا مثقلين بالنوم حتى فى تلك المناسبة الجليلة ، فلم يقدروا أن يحتملوا . . وهكذا فعلوا فى بستان جثسيمانى عندما كان معلمهم يصارع قوات الشر وحده ( ٩ : ٣٢ مع ٢٢ : ٤٥ ) . فالتجلى أعمق من أن يدركوه ويفهموه ( ٩ : ٣٣ ) كما كانت القيامة أيضاً . فإنهم لم يستطيعوا

أن يفهموها إلا مؤخراً ( ٢٤ : ٥ ) . فالرحلة إذن انصبت كلها على خاصته . أعنى تلاميذه لكى يؤهلهم لما كان ينتظرهم من شهادة له والآلام من أجله .

**( ح ) الخدمة فى أورشليم :**

هذا الجزء من خدمة السيد كان التتويج لكل ما عمله من قبله . لقد بدأ هذه الرحلة بالدخول الانتصارى وانتهى منها بالصعود . وفى مكان الهيكل المقدس وبين الشعب اليهودى المتكبر جاء يسوع بخدمته العظيمة .

كانت خدمة يسوع خدمة تعليمية موجهة إلى الجماعة القاسية فكانت فى معظمها دينونة على قساوتهم : أدانهم بمثل الكرم والكرامين ( لوقا ٢٠ : ٩ — ١٩ ) . أدان رياءهم فى حادثة إعطاء الجزية ( ٢٠ : ٢٠ — ٢٦ ) . أظهر غباوة وقساوة الصدوقيين فى مسألة القيامة ( ٢٠ : ٢٧ — ٤٠ ) ، تحداهم فى معرفتهم وتفسيراتهم ( ٢٠ : ٤١ — ٤٤ ) ، وفى سلوكهم ( ٢٠ : ٤٥ — ٤٧ ) ، وأدان الهيكل وكل اليهودية فى الخطاب الرؤوى ( لوقا ٢١ ) .

وفى هذه الفترة العصيبة تلقى إعلاناً سماوياً وقوة من الله ، إذ جاءه ملاك من السماء يقويه وهو يجاهد فى جثسيمانى ( ٢٢ : ٤٣ ) .

ويعطى البشير تفسيراً خاصاً لجثسيمانى ، فهى لم تكن حادثة واحدة حدثت عندما جاء اليهود ليقبضوا عليه ويحكموا عليه بالموت ، ولكنها كانت فرصة عادية معتادة . كان فى النهار يعلم فى الهيكل وفى الليل كان يذهب إلى جبل الزيتون ليصلى هناك ( ٢٢ : ٣٩ ) . فصلاته النهائية فى جبل الزيتون وجهاده كان تتويجاً لعمله الدائم وصلاته المستمرة كل ليالى الأسبوع ، وهذه الصلاة ليست بنت وقتها ولدها الاضطراب والخوف ولكنها كانت نهاية عمل دائب انتظاراً للموت والقيامة .

وفى هذه الفترة أعلن يسوع سلطانه كابن الإنسان ، فهو ليس إنساناً ضعيفاً ولكنه ابن الله الذى يمتلك الهيكل ويطهره من مدنسيه ( ١٩ : ٤٥ و ٤٦ ) إنه ابن الله ( ٢٢ : ٧٠ ) ، وملك اليهود ( ٢٣ : ٣ ) ، وهو الذى سيجلس عن يمين الله فى سلطانه على كل الخلائق ( ٢٢ : ٦٩ و ٧٠ ) ، وعندما قام من بين الأموات أعلن أنه الرب والسيد . فالقيامة يفسرها البشير ليس فقط معجزة عملها الله مع المسيا ، بل إنها إعلان لاهوت المسيح ومجده فالتلاميذ كانوا يؤكدون « الرب قام بالحقيقة » ( لوقا ٢٤ : ٣٤ ) . هنا وصل البشير فى إعلان مركز المسيح إلى الذروة . . إنه الرب .

ولعل أهم حادثة تعتبر مفتاحاً لهذا الجزء هى محاكمة المسيح أمام السلطات التى صلبته . فلقد حوكم أمام ٣ شخصيات رومانية وفى كل مرة كان يعلن كل واحد منهم أنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه الموت . . إنه بار ( لوقا ٢٣ : ٤ و ١٥ و ٤٧ ) . وكانت أهم شهادة فى هذا الموقف هى شهادة قائد المئة الذى رأى ما لم يره الآخرون . واقتنع أنه كان باراً . ورغم هذه البراءة والبر صلبوه وهنا ظهر مجده عند صلبه فى صلاته « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون » ( ٢٣ : ٣٤ ) :

وهذه الحوادث التى يكشف عنها البشير يضعها أمام الكنيسة التى تتألم أيضاً ، رغم إنجيل الخلاص والسلام التى تنادى به ، فسيدها قد تألم وهو بار ويذكر البشير فى سفر الأعمال أن الرسول بولس أيضاً قد فحصه ثلاثة من القضاة الرومان ولكنهم وجدوه بريئاً من كل تهمة ( أعمال ٢٣ : ٩ ، ٢٥ : ٢٥ ، ٢٦ : ٣١ ) . وعلى هذا فيجب أن تعرف الكنيسة أن سيدها قد تألم ، وقد صلى طالباً الغفران لمن صلبوه ، ولا بد أن تفعل هى هكذا أن تصلى

للعالم المملوء بالحقد والمرارة تطلب له الغفران ». وقد فعلت فى شخص اسطفانوس عند رجمه (أعمال ٧ : ٥٩).

الحقبة الثالثة ـ الكنيسة ـ الإرسالية :

نأتى الآن إلى الحقبة الثالثة وهى التى تتلخص فى سفر الأعمال. وفى هذا السفر أيضاً تظهر عبقرية القديس لوقا فى وضع هذه الحقبة فى إطار الخطة الإلهية التى سميناها تاريخ الخلاص، ويعنى هذا كله على أساس جغرافى وزمنى وفكرى ، وبهذا يكشف لنا عن التطور الظاهرى والداخلى للكنيسة. وكما وضع فى إنجيله ملخصاً كاملا لعمله. (لوقا ١ : ٤) وضع ملخصاً كاملا لهذا السفر فى ١ : ٨ عندما يقول السيد لتلاميذه ولكنكم ستنالون قوة من الأعالى وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض ». هذا التحرك من أورشليم حتى الوصول إلى أقصى الأرض وضعه الكاتب فى ستة صور. متكاملة أو ستة أجزاء لصورة واحدة. كل جزء منها يقترح الآخر ويفترضه ويؤدى إليه بحسب التفكير الزمنى والجغرافى هذه الأجزاء الستة هى :

١ ـ الإعداد ويشمل الصعود وانسكاب الروح والشهادة (١ : ٤ ـ ٦ : ٧).

٢ ـ الرسالة فى اليهودية والسامرة (٦ : ٨ ـ ٩ : ٣١) عن طريق مرسلين جدد.

٣ ـ الرسالة تصل إلى الأمم (٩ : ٣٢ ـ ١٢ : ٢٤).

٤ ـ ابتداء الخدمة فى آسيا (١٢ : ٢٥ ـ ١٦ : ٥).

٥ ـ ابتداء الخدمة فى أوربا (١٦ : ٦ ـ ١٩ : ٢٠).

٦ ـ من أورشليم إلى روما (١٩ : ٢١ ـ ٢٨ : ٣١).

ويلاحظ أن كل فترة من الفترات الستة كانت تنتهى بملخص صغير يعلن فيه الكاتب أنه رغم كل ما واجه الكنيسة من صعوبات فى هذه الفترة لكن الله بروحه القدس قد سار فى قصده ونجح فى إخضاع كل الأعداء تحت قدمى يسوع المقام، وازداد عدد المخلصين. فينهى الجزء الأول بالقول « وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم وجمهور كثير من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان » ( ٦ : ٧ ).

الجزء الثانى ينتهى بالقول « وأما الكنائس فى جميع اليهودية والسامرة فكان لها سلام وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » ( ٩ : ٣١ ).

الجزء الثالث ينتهى بالقول « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » (١٢ : ٢٤)

الجزء الرابع « فكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم » ( ١٦ : ٢٥ ).

الجزء الخامس « هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة » ( ١٩ : ٢٠ ).

أما الأخير فيتكلم عن الرسول بولس « وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » ( ٢٨ : ٣٠ و ٣١ ).

الآن لندرس كل جزء من هذه الصورة على حدة

**١ — الصعود والروح والشهادة :**

( ١ : ٤ — ٦ : ٧ ) هذه الأمور الثلاثة تكون الجزء الأول من الصورة ( ١ : ٤ — ٦ : ٦ ) فماذا تعنى كل واحدة من هذه الأمور ؟

(أ) الصعود :

يذكر القديس لوقا قصة الصعود فى موقفين كل واحد فى واحد من كتابيه : الموقف الأول يتلخص فى إعلان نهاية عمل الرب عندما كان فى الجسد على الأرض ( لوقا ٢٤ : ٥٠ و ٥١ ) لقد كانت آخر من يظهر لهم فيها . أما فى الموقف الثانى فيربط القديس لوقا هذه الحادثة بإرسال الروح القدس . وخلق الكنيسة ، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الخلاص ( أعمال ١ : ٨ – ١٢ ) .

ويكشف الكاتب مفهومه لصعود السيد فى هذين الموقفين ، فهو يريد أن يعلن أن هذه الحادثة هى ختم الله على عمل ابنه على الأرض : إنه أقامه من بين الأموات ، ثم رفعه إليه فى السماوات ، أو كما تقول النبوات : الحجر الذى رفضه البناؤون هوذا قد صار رأس الزاوية ( أعمال ٢ : ٣١ و ٣٢ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٣١ ) ، هذا الرب الممجد الذى أصبح رأساً لكل شئ ، أرسل الروح القدس من السماء إتماماً لوعد الآب ، وبذلك بدأت الكنيسة فى الأرض. فالكنيسة ليست عملا من أعمال الإثنى عشر رسولا ولا هى نتيجة طبيعية لإيمانه بالقيامة ، ولكنها عمل الله ، هو الذى أقامها بالروح القدس لتكون شعباً لمسيحه وجسداً له . فالكنيسة منذ البدء هى بين يدى الله العلى الذى كان يضم كل يوم إليها الذين يخلصون ( ٢ : ٤٧ ) .

(ب) الروح القدس :

اهتم الكاتب جداً لإظهار جلال حلول الروح القدس وخصوصاً فى يوم الخمسين : لقد كان لهذا الانسكاب تأثيران عظيمان على امتداد الكنيسة وظاهرها ، ثم فى داخل الكنيسة فى أفرادها . ففى ظاهر الكنيسة تظهر هناك أربعة أمور :

الأول أن نزول الروح يعلن أننا الآن فى الأيام الأخيرة التى انتظرها العهد القديم . فعلامة هذه الأيام هى انسكاب الروح على جميع الذين يؤمنون بالمسيح المقام ، وانسكابه علامة على وصول عمل الله الفدائى إلى ذروته فى المسيح يسوع . . إن المؤمنين يعيشون الآن فى الأسخاتولوجى : فليس هو بعد وقت الانتظار والرجاء ولكنه وقت العطية ونوالها . إن اليوم هو يوم الخلاص ولكن هذا لا يعنى أن النهاية قد اقتربت ، ولكنه يعنى أن الله قد تمم مواعيده (٢ : ٣٩ . ٣ : ١٩ و ٢٠) .

الأمر الثانى يعلن أن الروح القدس هو للجميع . . لكل من يؤمن باسم ابن الله . فالرسول بطرس يقول « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب إلهنا (٢ : ٣٩) . ولقد قبل اليهود الذين آمنوا يوم الخمسين من كل أقاصى الأرض (٢ : ٥) ، انتظاراً لدخول الأمم والسامرة إلى الحظيرة ونوالهم الروح القدس (٨ : ١٧ ، ١٠ : ٤٣ و ٤٤)

الثالث هو أن كل من يتوب يعتمد على اسم ربنا يسوع المسيح لغفران الخطايا ينال موعد الروح القدس . هذه المعمودية كانت تتضمن الإيمان به . (٢ : ٣٧ و ٣٨) . ولم يكسر هذا الأمر إلا فى حالتين فقط فى السامرة عندما آمنوا ولكن الروح لم يأت إلا عندما جاء الرسولان يوحنا وبطرس (٨ : ١٤ — ١٧) ، وفى بيت كرنيليوس عندما جاء عليهم من قبل المعمودية (١٠ : ٤٤ — ٤٨) . ولكن هاتين الحالتين كانتا خاصتين جداً فى تدبير الله لحفظ الكنيسة من التنوع والانقسام . أما فيما عدا ذلك فقد جاء الروح القدس كعطية لكل من يؤمن ويعتمد على اسم يسوع المسيح (١٩ : ٥ و ٦) .

أما الأمر الرابع والأخير : إن الروح القدس يأتى إلى الكنيسة .

وهنا يجب أن ننبر على هذا الأمر فالمؤمن لا يشترك فى عطية الروح

القدس إلا لأنه عضو فى الكنيسة . حتى التلاميذ الإثنى عشر انسكب عليهم الروح القدس فى اجتماعهم ككنيسة فى يوم الخمسين . إذحل على جميع الذين كانوا فى المنزل . هذا يكشف لنا على أن الذى يغش الكنيسة فإنه يكذب على الروح القدس نفسه . لأنها مجتمع الروح ( ٥ : ٣ و ٤ ) . وكل ما تعمله الكنيسة من مشورة ( ١٥ : ٢٨ ) ، أو من شهادة ( ١٣ : ٢ ) . هو عمل الروح القدس نفسه . إن للروح القدس السلطة والعمل الحر المطلق فى الكنيسة ، وما عليها إلا أن تخضع له ولتوجيهه وإرشاده . .

ولكن كان للروح القدس التأثير الواضح داخل الكنيسة ، كما كان خارجها ، بمعنى أن تأثيرها كان فى حياة أعضائها قوياً وظاهراً . وكان هذا مشهوداً له بواسطة الأعداء أنفسهم ( ٤ : ١٣ ) . فبعد أن كان الرسل يعتمدون اعتماداً كلياً فى مشورتهم وتحركاتهم على يسوع سيدهم ، عندما كان معهم على الأرض ، معطياً إياهم السلطان والمشورة والأوامر ، وبعد أن علمهم كل ما يختص بملكوت الله فى ظهورهم لهم ( أعمال ١ : ٣ ) ، بعد كل ذلك وجدوا أنفسهم وحيدين بلا مرشد ولا قائد فى وسط أورشليم . ولكن كان هذا لمدة قصيرة ، فقد جاء الروح القدس فى يوم الخمسين ، وملأهم بنور جديد وحياة جديدة هى حياة الشهادة ، وغيرهم تغييراً واضحاً لكل من عرفهم ، ظهر فى ثباتهم وشهادتهم بكل قوة بالإنجيل ( ٤ : ٨ ) ، وفى مقدرتهم على عمل الآيات والقوات بكيفية أكبر من تلك التى اختبروها سابقاً فى وجودهم مع يسوع سيدهم ( ٢ : ٤٣ ) ، وفى تغيير حياتهم الشخصية وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، فبينما كان السيد يوبخهم على حبهم للعظمة وغباوتهم وحسدهم بعضهم لبعض ( مرقس ١٠ : ٣٥ ــ ٤٥ ) أصبحوا الآن يحبون بعضهم البعض ويساعد من له الذين ليس لهم مما عنده ( ٢ : ٤٣ و ٤٤ ، ٤ :

٣٢ ) . عرفوا الحياة الجماعية ، وكانت « نعمة عظيمة على جميعهم » ( ٤ : ٣٣ ) . فى كل هذا ظهر آثار عمل الروح القدس فى حياتهم وعلاقتهم بعضهم ببعض .

هذا كله ظهر فى الفرح الحقيقى الذى ملأ حياتهم . والفرح هو عطية عظمى كما يقول القديس لوقا ، فكل من خبر الإنجيل يذهب فى طريقه فرحاً ( ٨ : ٣٩ ) ، هذا الفرح يعيش ويبقى منتصراً رغم الصعوبات والاضطهادات التى نزلت على الكنيسة « جاءت عليهم فلم تفقدهم فرحهم بل بالعكس أعلنته أكثر لأنه عطية الله بالروح القدس ( ٥ : ٤١ ، ١٣ : ٥٢ ، ١٦ : ٢٥ ) .

(ح) الشهادة :

كانت هذه الفترة الأولى فى حياة الكنيسة هى فترة الشهادة ولقد أمر السيد تلاميذه الأوائل ( ١ : ٢ و ٨ ) فهم الذين كانوا معه ورأوه بعد قيامته من الأموات ( ١ : ٢١ و ٢٢ ) ، وبذلك أصبحوا مؤهلين تماماً للشهادة له فى قيامته وانتصاره ، ولقد أكد السيد لهم مساندته لما يشهدون به بواسطة غفران الخطايا لجميع من يؤمنون به بشهادتهم ، ويعتمدون على اسم يسوع المسيح ( ٢ : ٣٢ و ٣٣ ) . وبواسطة الآيات التى يعملها بواسطتهم ( ٣ : ٦ و ١٦ ) . ولهذا السبب كان الرسل يشهدون بكل جراءة وشجاعة للجميع قائلين « أن ليس اسماً قد وضع تحت السماء به ينبغى أن نخلص ( ٤ : ١٢ ) .

إلى جانب هؤلاء كان هناك أيضاً جماعة كانوا يخدمون الكلمة ، وبعضهم كانوا يشهدون لها مقدمين اختبارهم للروح ، لكن الشهود الحقيقيون ، كانوا هم الرسل . . هم وحدهم الذين أعطاهم الرب السلطان لذلك ، ولذلك

دعيت شهادتهم «بالكلمة»، أو «كلمة الله» أو «كلمة الرب» أو «كلمة الخلاص». إنهم كانوا مسئولين أن يعلنوا الحق ويعطوا شهادتهم لكل موقف جديد. وهذا يكشف عن السبب الذى لأجله تكلم بطرس فى يوم الخمسين، ولماذا لم يأت الروح القدس على السامرة إلا عند مجئ بطرس ويوحنا، ولماذا أرسل بطرس إلى بيت كرنيليوس. كل هذا كان سابقاً لإرسالية الرسول بولس إلى آسيا وأوربا..

هذا هو الجزء الأول من الصورة المتكاملة التى يضعها القديس لوقا فى سفر الأعمال: هذا هو أساس العمل التبشيرى العظيم الذى بدأه الروح بواسطة الكنيسة.

٢ـ المرسلون الجدد إلى اليهودية والسامرة (٦ : ٨ـ٩ : ٣١):

فى هذا الجزء يكشف القديس لوقا عن مرسلين جدد ظهروا على المسرح كلفهم الروح بالبشارة والشهادة فى كل اليهودية والجليل والسامرة.

ولعل أشهر إثنين منهم هما اسطفانوس (٦ : ٨ و ٩) وفيلبس المبشر (٨ : ٤ ـ ٨) ومع أن شاول الطرسوسى ظهر على المسرح فى تلك الفترة ولكن فى تجديده فقط أما إرساليته فلم تكن قد بدأت فى مرحلتها العظمى بعد (٩ : ١٥ ـ ٣٠). وتنتهى هذه الفترة بالعبارة المشهورة التى قيلت سابقاً فى ٩ : ٣١.

هذان المرسلان لم يكونا مع يسوع، ولم يريا الرب المقام ولم ينضما إلى الاثنى عشر رسولا الأصليين، أما المؤهل الذى وصفا به هو «مملوئين من الروح والحكمة»(٦ : ٣)، ويعتقد غالبية المفسرين أن كلمة الحكمة تشير إلى أنهما درسا وتعلما كلمة الرسل (٢ : ٤٢)، وكانا قادرين على التكلم

بالأشياء التي تختص بيسوع . . هذان وغيرهما من الرجال كانوا مسئولين عن انتشار كلمة الرب خارج أورشليم . ولقد كان لشجاعة اسطفانوس وشهادته القوية أمام مجمع السنهدريم ولمواجهته الموت بشجاعة وقوة ، وللاضطهاد المرير الذى صبه اليهود على الكنيسة بعد قتله ( ٦ : ٨ — ٨ : ٢ ) ، الدور الكبير فى هذا الانتشار لكلمة الإنجيل . لقد ذهب كثيرون بعد الاضطهاد من أورشليم وساروا فى كل البلاد يبشرون بكلمة الله لليهود ولغيرهم . ولقد ضرب لنا القديس لوقا بعض الأمثلة على هذا الانتشار ربما حدث فى السامرة على يدى فيلبس المبشر الذى بعد ما بشر خصى ملكة الحبشة ، كان يبشر جميع المدن التى على الساحل من أشدود إلى قيصرية ( أعمال ٨ ) .

والهدف الأساسى للقديس لوقا من كتابة هذا الجزء هو أن يعلن أن الله أقام أناساً آخرين مسئولين عن التبشير والتعليم إلى جانب شهادة الرسل . إن ما يعمله الرسل منفردين هم يعملونه لوحدهم . . الشهادة ليسوع ووضع أساس الكنيسة ، أما انتشار الإنجيل إلى كل العالم واليهودية فكان على يدى أناس آخرين . إن الله لم يحد نشاطه بعمل الرسل بل هناك أعمال أخرى يعملها بأناس آخرين . وفى هذا الأمر يكشف القديس لوقا عن أمرين :

الأمر الأول هو أن يقدم لمجئ الرسول بولس على المسرح . إنه هو أيضاً لم يكن مع المسيح فى أيام جسده ومع ذلك قد أصبح له المركز السامى الذى يتساوى فيه مع بقية الرسل كرسول للأمم . ومع أن الله استمر فى استخدام الشهود الأصليين . ولكنه أقام آخر هو الرسول بولس ، ولأجل ذلك مد الرب أيضاً فى عدد ظهوراته ، فظهر لبولس على الطريق إلى دمشق ليدعوه رسولا أصيلا ، عليه ما عليهم من مسئولية ( ٩ : ٣ — ٦ ، ١ كورنثوس ٩ : ١ ، ١٥ : ٨ ) فهو ليس كالآخرين بل هو أيضاً واحد من الرسل .

الأمر الثانى هو التأكيد الذى يريد القديس لوقا أن يعطيه لقرائه فى أن الله بعد سنين طويلة لم يترك العمل كله لأيدى الرسل الذين كانوا فى ذلك الوقت إما انتقلوا أو فى السجن أو فى سن الشيخوخة ففى تدبيره أقام أناساً آخرين مبشرين ووعاظ ومعلمين ورعاة وشيوخ وبواسطتهم يوضح كلمة الله للمؤمنين ويقدمها إلى البعيدين . إن الإرسالية استمرت ولن تتوقف ومهما كان عنف الاضطهاد فلن يوقفهم ، إنه لم يوقف الكنيسة فى الماضى بل بالعكس زاد نموها فى العدد والمكان ، وهكذا يفعل الله أيضاً وستزداد الكنيسة حتى ولو لم يبق فيها رسول أصيل واحد . إن الله هو الذى يقيم خدامه .

هذا هو الجزء الثانى من الصورة .

**٣ ـ الرسالة تصل إلى الأمم : (٩ : ٣٢-١٢ : ٢٤) :**

وصلت الرسالة إلى الأمم أيضاً نتيجة للاضطهاد الذى حدث بعد قتل اسطفانوس ، لقد جال الذين تشتتوا فى البلاد فوصلوا إلى أنطاكية ولكنهم لم يكلموا أحد بالكلمة سوى اليهود فقط (١١ : ٢٢) . ولكن جماعة منهم وهم قبرسيون وقيروانيون الذين لم لما دخلوا أنطاكية كانوا يبشرون اليونانيين بالرب يسوع (١١ : ١٩ و ٢٠) ، واليونانيون هنا ليسوا هم المذكورين فى (٦ : ١) لأن هؤلاء الأخيرين كانوا يهوداً فى الشتات أما المذكورون فى ١١ : ١٩ و ٢٠ فهم أمم يتكلمون اليونانية . ومعنى ذلك أن الإنجيل وصل إلى الأمم .

ولكن لم يكن هذا بداية الأمر بل كانت هناك خطوات سابقة اتخذها الله بواسطة الكنيسة لكى يدخل الأمم إلى الحظيرة . وكانت أهم خطوة منها هى قبول قائد مئة رومانى كان يخاف الله واسمه كورنيليوس لرسالة الإنجيل ،

وقبول الله إياه وإعطاؤه هو وجميع من له موهبة الروح القدس . لم تكن هذه حادثة من ضمن الحوادث ، ولكن كان لها طابعها الخاص وأهميتها الحاسمة فى تاريخ الكنيسة . ولهذا السبب يذكرها البشير مرتين فى ص ١٠ ثم ص١١ ثم يعود إليها فى ص١٥ . إن قبول هذا الأممى للانجيل ومعمو ديته لم تأتى مصادفة بل كانت على أساس رؤيا حدثت له ولبطرس نفسه ، وعلى هذا الأساس بنت الكنيسة النتيجة الحتمية وهى أن الأمم قد فتح لهم الله الباب ليؤمنوا بالمسيح (١١ : ١٩) .

لقد كانت من عناية الله أن يكون للرسول بطرس دور هام جداً فى هذه الحادثة . كما كان فى قبول السامرة للانجيل . إن هذا الدور لا يستنتج منه فقط أهميته كشخص ولكن للمغزى العميق لذلك . إن عمله مع الرسول بولس كان هكذا : هو لإنجيل الختان وبولس لإنجيل الغرلة أى للأمم فلو لم يكن لبطرس دور فى دخول الأمم إلى الحظيرة لانقسمت الكنيسة إلى معسكرين : معسكر اليهود وهو يخضع لبطرس وسائر الرسل الأصليين ومعسكر الأمم وهو يخضع ويتبع الرسول بولس ، ولربما انقسم المعسكران بعضهما على بعض . ولكن وجود بطرس الرسول فى تلك المواقف وأهميته فى البشارة للأمم جعلت جعل عمل الرسولين متكاملين . . كل يكمل رسالة الآخر فهى رسالة واحدة بالرب المقام الواحد يقدمها الروح الواحد بواسطة هذين الرسولين .

وهذا أيضاً يدل على أن القديس لوقا يوبخ توبيخاً صارماً أولئك الذين عارضوا دخول الأمم ومساواتهم باليهود ما لم يخضعوا للناموس أولا قبل قبولهم للمسيح . فيكشف لهم أن بطرس كان مهماً جداً ، وأن الكنيسة فى أورشليم لم تعارض بتاتاً خدمة الرسول بولس بين الأمم ، بل بالعكس أعطوه

بمين الشركة معهم . لقد فرحوا مع بطرس لهذا التدخل العظيم لله فى دعوة الأمم ( ١١ : ١٨ ) .

ويبرز الكاتب أيضاً أن الكنيسة فى أورشليم لما سمعوا أن أنطاكية أيضاً قبلت الإنجيل لم تتذمر أو تعارض بل بالعكس فقد أرسلت برنابا مع بعض أنبيائهم ليساعدوا فى العمل هناك ( ١١ : ٢٢ و ٢٧ ) . وعلى هذا فمع أن بعض المسيحيين المتزمتين عارضوا دخول الأمم إلا أن الكنيسة عامة قد فرحت لذلك وساعدت المسيحيين الجدد على أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب ( أنظر ١٥ : ٢٣ – ٢٩ ) .

٤ – ابتداء الخدمة فى آسيا : (١٢ : ٢٥ – ١٦ : ٥) .

من هنا يبدأ القديس لوقا فى إظهار الرسول بولس كالشخصية الرئيسية التى يستخدمها الروح القدس فى تقديم الإنجيل للأمم ، بعد أن كان الرسول بطرس هو الرسول الأول فى الخدمة . ويشرح أيضاً كيف أن الله نفسه هو الذى اتخذ الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه الجديد ( أعمال ١٣ : ٢ و ٣ ) وكل دارس لهذه الفترة يجد هناك توازياً لخدمة الرسولين بطرس وبولس فكما بدأت خدمة بطرس بالتدخل المباشر للروح فى يوم الخمسين ( ٢ : ٤ ) بدأت خدمة الرسول بولس بنفس التدخل فى كنيسة أنطاكية ( ١٣ : ٢ ) ثم يتبع ذلك عظة طويلة من كل واحد منهما (١٣ : ١٦ – ٤١ أنظر ٢ : ١٤ – ٣٦ ) ثم شفاء رجل أعرج فى فناء هيكل وثنى ( ١٤ : ٨ – ١١ ) كما شفى بطرس الرجل المقعد أمام باب الجميل فى الهيكل ( ٣ : ١ – ١٠ ) ثم اضطهاد شديد رجم فيه الرسول بولس ، حتى ظنوه قد مات فجروه بعيداً عن المدينة ( ١٤ : ١٩ و ٢٠ ) كما اضطهد بطرس ( ٥ : ١٧ – ١٩ ) . وهنا نجد أن التوافق كبير فما معنى ذلك ؟ قد تكون هناك تفسيرات متعددة ولكن الشئ

الوحيد الذى نعرفه هو أن الله فى حكمته وعنايته أراد أن يظهر لكنيسة أورشليم أن كنيسة الأمم ليست بعيدة عن نعمة الله ، بل هو يعمل فيها كما عمل ويعمل فى كنيسة اليهودية . فبقوة الروح القدس وإرشاده وبكلمة الإنجيل وحدها دون ناموس أو أساطير ، وبالآيات والقوات وبالاضطهادات الكثيرة هكذا يفعل الله وهكذا يجذب الجميع إليه . لعل كنيسة أورشليم عندما سمعت التقرير الذى رفعه الرسول بولس والرسول برنابا رأت يد الرب تعمل تماماً بمثل ما عملت فى وسطهم فصاروا يمجدون الله ( ١٥ : ٣ و ٤ ) .

وينتهى هذا الجزء من الصورة بالمجمع الذى عقد فى أورشليم لما حدث من تدخل جماعة ناموسية لكى يفسدوا ما فعله الرب بواسطة بولس وبرنابا وجعلوا يعلمون الأمم « إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا » ( ١٥ : ١ ) . وفى هذا المجمع تتقرر حرية الأمم من كل أعمال الناموس كطريقة مساعدة للخلاص . وكان هذا العمل دافعاً قوياً للارسالية بين الأمم ولكن الخطاب الذى أرسل إلى كنائس سورية وأنطاكية وكيليكية من المشايخ والرسل كان يحتوى أيضاً تحذيراً وتنبيهاً إلى كنيسة الأمم ألا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم ببطل ذهنهم بل أن يعيشوا بحسب ناموس الله . إن هذا الناموس لا يخلص خاطئاً ولكنه يرشد مؤمناً بالرب يسوع إلى السلوك الحقيقى ، ومن لا يسلك بموجبه فهو لا يسئ إلى موسى وناموسه بل إلى الله نفسه لأنه يريد أن الجميع يكونون قديسين .

**٥ — ابتداء الخدمة فى أوربا : ( ١٦ : ٦ — ١٩ : ٢٠ ) :**

فى هذا الجزء نرى أيضاً إرشاد الروح القدس فى الخدمة . فهو يمنع الرسول من الذهاب إلى الجنوب أو إلى الشمال ( ١٦ : ٦ و ٧ ) ثم أرشدهم

بواسطة رؤيا أن يذهب إلى أوربا ثم ذهب الرسول وهناك بشر مع رفقائه في فيلبي وتسالونيكي وكورنثوس . ويعتبر هذه الفترة هامة جداً في إرسالية الرسول لأنها تعطينا خلفية لا بد منها لكي نفهم الرسائل التي أرسلها إلى هذه الكنائس . فهي تلقي ضوءاً على الظروف والأحوال في كل مدينة ، والحوادث التي حدثت فيها . وتظهر أهميتها أيضاً لأننا نجد فيها الكاتب يتكلم بصيغة الجمع المتكلم « نحن » مما يدل على أنه كان رفيقاً للرسول ، وكان يكتب من مفكرته مباشرة . ونسبة لوجود أسماء كثيرة في ذلك الجزء من الكتابة فإن الدارسين يعتقدون أن الكاتب كان معروفاً في تلك النواحي أو أنه كان أحد سكانها .

هذه الإرسالية إلى أوربا تتميز بأمرين هامين جداً :

الأمر الأول هو أنها أنجح جزء من خدمة الرسول بولس ، ففيها ظهرت قوة الله وإرشاداته بالآيات كما حدث في فيلبي : إخراج روح العرافة ( ١٦ : ١٦ — ١٩ ) وزلزلة السجن ( ١٦ : ٢٥ و ٢٦ ) وآيات كثيرة في كورنثوس ( ٢ كورنثوس ١٢ : ١٢ ) ورؤى تشجيع ( أعمال ١٨ : ٩ و ١٠ ). ومواجهة أكبر فلاسفة العصر في أثينا ( ١٧ : ٢٢ — ٣٢ ) . ونجد أيضاً مرة أخرى التشابه في خدمة الرسولين بولس وبطرس : ففي فيلبي ينقذ الرسول بولس من السجن كما حدث مع الرسول بطرس ( ١٦ : ٢٥ — ٤٠ مع ٥ : ١٩ ، ١٢ : ٦ — ١٠ ). في أفسس يضع الرسول يديه على رأس تلاميذ يوحنا فينالوا الروح القدس كما فعل بطرس مع جماعة السامرة ( ١٩ : ١ — ٧ مع ٨ : ١٧ ) . كانت المآزر التي تؤخذ من بولس تشفي الأمراض وتخرج الشياطين وهكذا كان ظل بطرس ( ١٩ : ١١ و ١٢ مع ٥ : ١٥ ) . وعندما حاول أبناء سيكاوا السبعة أن يقلدوا الرسول بولس غلبهم الروح النجس

وكاد يقتلهم فأذينوا وهكذا فعل بطرس الرسول مع سيمون الساحر ( ١٩ : ١٣ و ١٤ مع ٨ : ١٨ — ٢٤ ) .

أما الأمر الثانى المهم الذى نراه هنا فهو طول المدة التى كان الرسول يقضيها فى المكان التبشيرى الواحد وخصوصاً فى كورنثوس حيث يمكث حوالى ١٨ شهراً ( ١٨ : ١١ ) وأفسس حيث يمكث حوالى سنتين ( ١٩ : ١٠ ) وذلك لكثرة الذين كانوا يقبلون الإنجيل ويعتمدون مؤمنين بالرب يسوع المسيح ، وكانوا يحتاجون إلى رعاية طويلة وتعليم كثير حتى يمكنهم أن يتركوا عاداتهم الوثنية ويثبتوا فى الرب سالكين بحسب الدعوة التى دعوا إليها .

ويلاحظ الدارس هنا أن القديس لوقا لم يذكر الرسول بولس بلقب « رسول » إلا مرة واحدة فقط ، ويلوح أنه لم يكن يستخدمها نفس الاستخدام الفنى الذى كانت تعنيه عندما كانت تطلق على الرسل الأوائل ، لأنه يطلقها هنا أيضاً على برنابا (أعمال ١٤ : ١٤) فهل كان هذا يعنى أن لوقا لم يعترف برسولية بولس ؟ إن الحادثة التى ذكرناها عن قصة أبناء سيكاوا السبعة الذين حاولوا أن يستخدموا نفس القوة التى يستخدمها الرسول بولس تشير إلى الناحية الأخرى وهى أن بولس كان يمتلك سلطاناً لا يمكن لإنسان آخر ممن معه أن يتشبه به ،مما يدل على أن الرسول بولس هو رسول حقيقى له سلطان موهوب له من الله يشابه تماماً الرسل الآخرين ، فإن لم يكن بالقول فبالعمل أظهر الكاتب أن بولس كان رسولا لسيده بالمعنى المعروف عند التلاميذ الإثنى عشر .

٦ — أورشليم وروما : ( ١٩ : ٢١ — ٢٨ : ٣١ ) :

هذا الجزء يعتبر أطول الأجزاء ويساوى تقريباً ثلث الكتاب كله وهو يحتوى على زيارته الأخيرة إلى مكدونية وأخائية ثم مجيئه إلى أورشليم ومواجهته

لليهود والقبض عليه ورفعه قضيته إلى قيصر ومجيئه إلى روما فى طريق يجرى خطر طويل ومكوثه هناك كأسير ولكنه كان يبشر بالرب يسوع جميع الذين يأتون إليه فى السجن. ويعتبر هذا الجزء أيضاً من أهم الأجزاء التى فيها يتكشف بكل وضوح تفكير الرسول بولس وما أعمقه وتفكير الكاتب نفسه .

١ ــ أما عن تفكير الرسول فإنه يظهر فى ذلك الإصرار على أن يزور أورشليم تلك الزيارة الأخيرة رغم كل التحذيرات التى وجهت إليه من كل أصدقائه . ففى صور حذروه من الصعود إلى أورشليم ( أعمال ٢١ : ٤ ) وفى قيصرية أيضاً واجه مثل هذا التحذير ( ٢١ : ١٠ ) ولم تكن هذه نبوات إعجازية ولكنها كانت نتيجة التفكير السليم . إن اليهود لا يمكن أن يتركوه هكذا حياً . لقد رآه كثير من يهود الشتات فى أوربا وهو ينادى بتعاليم ظنوها ضد ناموسهم ، ولا يمكن أن تكون هناك فرصة أفضل لهم من أن يروه فى أورشليم حتى ينتقموا منه انتقاماً سريعاً وحاسماً . وقد ظهر ذلك واضحاً فى الطريقة التى قبضوا بها عليه ( ٢١ : ١٧ ــ ٣٠ ) . كان هذا الأمر واضحاً ومعروفاً ولكنه لم ينثن عن عزمه ، بل ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم كما فعل سيده من قبل فلماذا ؟ إن الشئ الواضح هو أن الرسول بولس مع أنه كان رسولا للأمم فى حين أن بطرس كان رسول الختان ( غلاطية ٢ : ٧ ) إلا أن قلب الرسول بولس كان مع بنى جنسه اليهود ، وكان يود بكل قلبه لو أنه يربحهم إلى المسيح. بل أن كل خدمته بين الأمم ، وما كان يفعله بكل قوة هو أن يربح اليهود إلى المسيح بواسطة إغارتهم عن طريق ربحه للأمم ( رومية ٩ : ١ ــ ٣ ، ١١ : ١٣ و ١٤ ) . ولهذا السبب كان يذهب فى تبشيره إلى اليهود أولا ، ولكنه بعد أن يغلقوا الباب فى وجهه يذهب إلى الأمم ، لأنه يعرف أن الخلاص لا يكمل إلا بدخول اليهود والأمم معاً ( رومية ١١ : ٢٥ ) .

ولهذا السبب أيضاً كان يريد أن يربح اليهود ، فيذهب إليهم فى عقر الدار ، ونلاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين رحلة المسيح إلى أورشليم ورحلة بولس الرسول إليها ، ومن أهم ما يتشابهان فيه هو تقديم الإنجيل بكل اهتمام كفرصة أخيرة أعطيت لهم لعلهم يقبلونه . فكما جلس السيد كل يوم فى أسبوع الآلام يبشر ويعلم فى الهيكل ، مقدماً الدعوة لهم ، هكذا فعل الرسول عندما قبضوا عليه ، إنه حاول من خلال مجموعة من الخطابات أمام الحكام أن يدعوهم لقبول البشارة . طلب أن يتكلم إليهم وكلمهم ( ٢١ : ٣٩ — ٢٢ : ٢١ ) . وواجهه القادة الأعداء الذين كانوا يعملون جاهدين للتخلص منه ( ٢٣ : ١ ) ، وعندما تكلم أمام أغريباس لم يرد أن يقدم شكاواه ويفند مزاعم أعدائه واتهاماتهم له ، بل قدم الإنجيل لأغريباس نفسه ( ٢٦ : ١ — ٢٩ ) . ولكنه عندما وجد أنهم يسدون آذانهم وأذهانهم رفع دعواه إلى قيصر : وهناك فى روما كان يبشر اليهود ، ويدعوهم بقبول الخلاص ( ٢٨ : ١٧ ) . هذا هو الهدف الأساسى الذى كان الرسول بولس يسعى إليه بكل همة .

٢ — وفى ذهابه إلى روما كانت هناك يد الرب واضحة فى ذلك . فالرب ظهر له يقويه ويشجعه فى الذهاب إلى روما ( ٢٣ : ١١ ) ، والمعجزة التى قام بها الرب فى إنقاذه مع الركاب من الموت المحقق ( ٢٧ : ١ — ٢٨ : ١٠ ) فالسفينة كانت تحت إرشاد وقيادة الرب نفسه .

ولكن لماذا ؟ لأن رحلة الرسول إلى روما تشابه رحلته إلى أورشليم . فكما أن أورشليم تمثل اليهود هكذا روما تمثل الأمم فى مجموعهم . وفى وصول الرسول إلى روما تكملت وصية الرب إلى التلاميذ «وتكونوا لى . . شهوداً . . إلى أقصى الأرض ( ١ : ٨ ) . وبهذا يكون الرسول قد قدم الإنجيل من أورشليم إلى روما تحقيقاً لوصية المسيح .

٣ — ولكن ما هو تفكير الكاتب نفسه فى هذا الجزء ؟ إن لوقا قصد فى هذا الجزء أن يقدم دفاعاً عن الرسول نفسه . إن الرسول فى رسائله يعلن أن اتهامات كثيرة وجهت إليه من اليهود والمسيحيين على السواء ، فالمسيحيون لم يستطيعوا أن ينسوا سريعاً أن بولس هو شاول الطرسوسى الذى كاد يحطم الكنيسة (٨ : ٩ ، ٩ : ١ و ٢ ، ٢٦ : ١٠ و ١١) ، ولذلك حفظوا له ذلك مدة طويلة (٩ : ٢٦) .

ومع ذلك فلم يكن هذا شيئاً إلى جانب سخط اليهود عليه كما عرفنا سابقاً ، فى إعلانه أن غفران الخطايا يجئ من الإيمان بيسوع وحده ، وفى تأكيده على أن الأمم يستطيعون أن ينالوا الخلاص دون أن يكون لهم اتصال بالناموس ، وفى عادته فى أن يجمع المسيحيين من اليهود والأمم معاً فى شركة الطعام ، فى كل هذا كان اليهود يرون أنه يحطم تقاليد اليهود وناموسهم ولهذا فهم يريدون أن يقتلوه . إزاء هذا وذاك كان هدف لوقا أن يدافع عن الرسول ضد هذه الاتهامات . ولهذا كان ذهابه إلى أورشليم وقيامه بالعوائد التى كان يقوم بها اليهود دون أن ينقض تقاليد موسى (٢٤ : ١١ و ١٧ و ١٨) . إن الرسول يعلن أن الخلاف بينه وبين اليهود ليس من العوائد والتقاليد ولكن فى نبع رجاء إسرائيل (٢٣ : ٦ ، ٢٤ : ١٥ ، ٢٦ : ٦ ، ٢٨ : ٢٠) . إن القضية هى أن قام يسوع الناصرى من الأموات (٢٣ : ٦ ، ٢٥ : ١٩ ، ٢٦ : ٨) وأنه ظهر لبولس (٢٢ : ٨ ، ٢٦ : ١٥) ، مرسلا إياه إلى الأمم (٢٦ : ١٦ و ١٧) . فهل يستطيع الرسول أن يعاند الرؤيا السماوية وألا يخضع لأمر الرب ، ويذهب للأمم لكي يؤمن الجميع ؟ إن الرسول لا يرى شيئاً آخر خلاف ذلك (٢٦ : ١٩) ، فكما أن الله يعينه دائماً فهو سيقوم بهذا العمل (٢٦ : ٢٢) .

إن لوقا الذى يدافع عن الرسول ليس إنساناً محايداً ولكنه رجل معجب

به ، كان معه مرافقاً إياه ، وقد رأى ما عمله الرب معه من قوات وآيات ، لقد عرف اختبار الرسول بالرب وصلته به ، إذ أراه نفسه فى رؤى وكلمه فى الأحلام وقواه . . هذا شئ حقيقى يذكره لوقا دون أن يقدم شرحاً عنه . . إنه شخص عملى ليس حالماً ، فرغم كل اختباره أخذ نفسه بكل حزم وهكذا طلب من رفقائه ( ١٥ : ٣٨ و ٣٩ ) . إن الرسول رجل عاقل له تفكير واحد مترابط . .

٤ — ولكن لوقا البشير لم يكتب هذا دفاعاً عن الرسول فقط بل عن الإنجيل أيضاً . فهو يظهر أن الذين يتهمون الرسول بأنه ينادى بعوائد وتقاليد تسبب صراعاً فى المجتمع أنهم لا يفهمون الرسالة ( ١٩ : ٢٣ — ٣٠ ) . أما الحقيقة فهى أنهم أنفسهم الذين سببوا الشقاق ، إن الإنجيل لم ينادِ ضد قيصر ( ١٩ : ٢٧ ، ٢٥ : ٩ ) ولكنه يحث الناس أن يسيروا بكل خوف و ضمير صالح أمام الله والناس ( ٢٤ : ١٦ ) .

وقد ظهر الدفاع هذا فى خطابات الرسول أمام من كانوا يحاكمونه من ولاة أو ملوك أو غيرهم . إنه إنجيل السلام والمحبة والخلاص .

٥ — وهنا ينتهى سفر الأعمال بطريقة مفاجئة . وقد وضعت تفاسير كثيرة لذلك : هل كان لوقا ينوى أن يكتب سفراً آخر ولكنه مات قبل أن يفعل ؟ هل كتبه ولكنه ضاع ؟ هل ضاعت نهاية السفر ؟ هذه كلها ليس لها سند تاريخى . ولكن هناك تفسير آخر نكتشفه فى طريقة لوقا فى الكتابة :

إن القديس لوقا لم يكن يهتم بالأشخاص لذاتهم بل كان يهتم بالإنجيل ، فمثلا عندما تكلم عن بطرس جاء إلى حد لم يظهر بطرس مرة أخرى ، ولا يوحنا والسبب فى ذلك هو أن الإنجيل قد وصل إلى كل اليهود وخرج

إلى الأمم . وعندما وصل إلى هذا الحد انتهى الأمر ولا داعى لذكر بطرس أو يوحنا . وهكذا الرسول بولس ،إنه لم يكتب تاريخ حياة الرسول،ولم يرد أن يكتب عنه لذاته بل كان يشرح كيف استخدمه الرب فى تقديم الإنجيل إلى الأمم وامتد الإنجيل وأخيراً جاء إلى روما عاصمة العالم . . وهكذا تم أمر المسيح اذهبوا إلى العالم أجمع وذهبت الكلمة إلى الجميع : . وهذا هو الأمر كله فلا داع إذن للتكلم عن الرسول مرة أخرى . . لقد كمل السيد وعده ...

# الباب الثالث

# كتابات الرسول بولس

مقدمة :

يعتبر الرسول بولس أهم شخصية ظهرت فى تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه . ولقد وضح فى خدمته الواسعة المتصلة ، وغيرته المتقدة للعمل الذى يقوم به ، وكتاباته الكثيرة ، إنه الرجل الذى استطاع أن يفهم عمل سيده ويفسره أكثر من أى رجل آخر . وكاتب سفر الأعمال ، كما سبق القول ، يخصص حوالى نصف كتابه عن نشاطه وإرساليته .

ولكن مع أهمية هذا الشخص وأهمية خدمته ، فليس لدينا معلومات كثيرة منفصلة عن تاريخ حياته ، شأنه فى ذلك شأن سيده . . فيسوع نفسه مع أن حياته كانت عنصراً هاماً وأساسياً فى الإنجيل : إلا أن الرسل الذين كتبوا عنه لم يقصدوا أن يكتبوا تاريخ حياته ، بل كتبوا عنه كإنجيل وبشارة . إنه موضوع الإيمان ، أما بولس الرسول فلم يكن هكذا ، ولم تكن لحياته دخل بالبشارة سوى فى تقديم الإنجيل وخدمته وإعلان الحياة المسيحية ، ولهذا فلم يهتم هو ولا لوقا الطبيب أن يكتبا كثيراً عن حياته الخاصة ، فالمهم عنده كانت البشارة ، أو الكيرجما التى كان له نصيب وافر جداً فى نشرها فى العالم .

تنقسم حياة الرسول إلى ٣ حقبات :

الحقبة الأولى :

تختص بحياته الأولى إلى وقت تجديده ، ويظهر فيها أنه ولد من أبوين يهوديين عبرانيين ( أصلا من سكان فلسطين الذين يتكلمون الأرامية ) ، (٢ كورنثوس ١١ : ٢٢ ، رومية ١١ : ١) وهو من سبط بنيامين ( فيلبى ٣ : ٥)

ولكونه ولد فى طرسوس وهى مدينة رومانية فقد صارت له الرعوية الرومانية بالولادة وليس بالشراء ( أعمال ١٦ : ٣٧ ) . وكانت له أخت متزوجة فى أورشليم ( أعمال ٢٣ : ١٦ ) . كان مثقفاً فكان يعرف العبرية والآرامية إلى جانب معرفته باليونانية ( أعمال ٢١ : ٤٠ ، ٢٦ : ١٤ ) . وعندما وصل شاول إلى سن العشرين أو ما حولها أرسله أبواه إلى أورشليم ، لكى يتعلم عند رجلى غمالائيل معلم الناموس ( أعمال ٢٢ : ٣ ) . وتظهر رسائله أنه كان متمكناً جداً من أساليب معلمى اليهود فى المناقشة . وتفسير الكتب المقدسة . ولقد تعلم شاول فى طرسوس صناعة الخيام ليكتسب منها ، لأنه لم يكن لائقاً بالمعلم اليهودى أن يتقاضى أجراً عن تعليم الناموس ( أعمال ١٨ : ٣ ) . ولكنه كان غيوراً جداً فى تقليدات آبائه وعلمها ، فلما رأى أن الطريق المسيحى وتعاليم المسيحيين لاتتفق مع الناموس بل تناقضه . فقد بدأ يضطهد الكنيسة اضطهاداً مراً ، ويصف الرسول ذلك فى غلاطية ١ : ١٣ — ٢٣ ، فيلبى ٣ : ٤ — ٦ . واستمر فى ذلك إلى أن أخذ رسائل من رؤساء الكهنة إلى دمشق لكى يضطهد المسيحيين هناك ( أعمال ٩ ) وفى الطريق قابله السيد بنفسه وتغير طريق حياته تغيراً تاماً .

**وهنا تبدأ الحقبة الثانية فى حياته :**

وهى حقبة لا نعرف عنها الكثير سوى أن هذا الغيور على تقليدات آبائه أصبح للرب وصار عبداً ليسوع المسيح ، وبعد أن كان يتقدم عن أترابه فى اليهودية أصبح ينسى كل ما هو وراء ويمتد إلى ما قدام فى معرفة الرب ( فيلبى ٣ : ١٤ ) . أما الحوادث القليلة فى هذه الفترة فتتلخص فى أنه بعد معموديته ذهب إلى صحراء العربية فى الجنوب الشرقى من دمشق ، وبعد أن قضى بعض الوقت رجع إلى دمشق ( غلاطية ١ : ١٧ ) . وكان يعظ فى المجمع . ولكن

اليهود اضطهدوه ( ٢ كورنثوس ١١ : ٣٢ و ٣٣ أنظر أعمال ٩ : ٢٣-٢٥ ) فهرب وذهب إلى أورشليم وكان له ٣ سنوات بعد معموديته ( غلاطية ١ : ١٨ و ١٩ ) وقد قدمه برنابا إلى الإخوة فى أورشليم بعد أن كانوا خائفين منه ، ومكث ١٤ يوماً ثم ذهب إلى بلده طرسوس ( غلاطية ١ : ٢١ ، أعمال ٩ : ٢٦ - ٣٠ ) . وبعد بضعة سنين طلب منه برنابا أن يأتى إلى أنطاكية ليخدم فى الكنيسة الأممية القوية المتزايدة فى النشاط والخدمة فمكث هناك سنة كان ناجحاً فيها ( أعمال ١١ : ٢٥ و ٢٦ ) ثم أرسلتهما الكنيسة معاً إلى أورشليم حاملين عطاياها إلى الإخوة فى أورشليم بناء على نبوة أغابوس ( أعمال ١١ : ٢٧ - ٣٠ ) . هذه الحقبة طويلة نسبياً ومعلوماتنا عنها قليلة ، ولكننا نعتقد أنها كانت هامة جداً وضرورية لخلق رسول كبولس ، ولعل تفكيره المسيحى قد تبلور فيها واحتكاكه باليهود أعطاه فكرة عميقة عن عمله بين الأمم ولليهود معاً .

الحقبة الثالثة :

تبدأ الحقبة الثالثة بدعوة من الروح القدس لكنيسة أنطاكية أن تفرز له شاول وبرنابا للعمل والخدمة ، فأرسلوهما . وهنا بدأت الرحلات التبشيرية الهامة التى اعتبرها لوقا أنها أهم فترة نشطة ومثمرة فى حياة الرسول فكرس لها تقريباً باقى سفر الأعمال :

الرحلة الأولى (أعمال ١٣ و ١٤) :

وكانت فى الفترة ما بين سنتى ٤٥ م ، ٤٩ م . واستمرت ما بين سنتين وثلاث سنوات . وكانت الرحلة مكونة من ٣ أشخاص برنابا وشاول (وسمى فيها بولس) ، ويوحنا مرقس كخادم لهما . ولكن هذا الأخير لم يكمل الرحلة معهما . وتركهما ( أعمال ١٣ : ٤ - ١٣ ) . وسارت الرحلة هكذا

من إنطاكية بحراً إلى قبرص موطن برنابا ( أعمال ٤ : ٣٦ ) . وهناك تعمد الوالى سرجيوس بولس . ثم ذهبوا إلى أسيا الصغرى . وقدما الإنجيل فى برجه بمفيلية ثم أنطاكية بيسيدية ثم إيقونية ، لستره ودربى وكلها فى الجزء الجنوبى من مقاطعة غلاطية الرومانية . ثم رجعا من نفس الطريق يشددان أنفس التلاميذ حتى وصلا إلى أنطاكية مرة أخرى . فى هذه الرحلة نلاحظ عدة أمور :

أولا : كان البرنامج فى التبشير هو أن يذهبا إلى اليهود أولا ( أعمال ١٣ : ٤٦ ) . ومن خلال الدخلاء أو الأمم خائفى الله كانوا يصلون إلى الأمم . وكانت طريقة ناجحة جداً ، وخصوصاً بين الأمم إذ تكونت جماعات كبيرة مسيحية .

ثانياً : نظراً لأن الأمم قبلوا الإنجيل بهذه الكيفية السريعة والقوية فقد تكونت جماعة فى اليهودية غيورة جداً على ناموس موسى ، وخافت لئلا يطغى تبشير بولس على هيبة الناموس وسلطانه وعزمت على أن ترسل مندوبين إلى الكنائس الأممية حتى ترى بماذا يشر بولس وتصححه وتطالب من الأمم أن يؤمنوا ويتمموا ناموس موسى وإلا فلا خلاص . وعندما وصل هؤلاء المندوبون إلى أنطاكية ، ورأت الكنيسة الكارثة المحققه التى سوف تنتج من هذا الموقف أرسلوا بولس وبرنابا مع جماعة أخرى إلى الرسل والمشايخ فى أورشليم ، وهناك اجتمع أول مجمع رسولى ( أعمال ١٥ ، غلاطية ٢ : ١- ١٠ ) غالباً سنة ٤٩ م . وقرر هذا المجمع ألا يوضع ثقل على الأمم غير أنهم يجب أن يبعدوا عن المخنوق والدم والزنى وما ذبح للأوثان . وفى هذا المجمع اتفق بولس وبرنابا على أن يكوناهما لخدمة الأمم وباقى الرسل لخدمة اليهود ( غلاطية ٢ : ٩ ) . ووعدا أن لا تنسى كنائس الأمم كنيسة أورشليم فى

احتياجاتها المادية . وهكذا بدأت الكنيسة فى وضع اللبنة الأولى فى حرية الأمم والمسيحية ، مع أن هذا الأمر تطلب نضالا عنيفاً لوقت طويل بعد ذلك حتى بين الرسل أنفسهم (غلاطية ٢ : ١١ – ٢١) .

**الرحلة الثانية :**

بدأت سنة ٤٩ أو ٥٠ – انفصل بولس عن برنابا لرفض الأول أن يصحبا معهما يوحنا مرقس مرة أخرى فأخذ بولس معه عضواً من كنيسة أورشليم وهو سيلا (سلوانس) (أنظر أعمال ١٥ : ٣٦ – ١٧ : ٢١) .

سارت الرحلة هكذا : من طريق برى زاروا المدن التى بشرها بولس وبرنابا أولا ، أى الجزء الجنوبى من غلاطية . وفى مدينة لسترة كسب رفيقاً جديداً محبوباً هو تيموثاوس (أعمال ١٦ : ١ – ٣) ثم بعد ذلك سافر إلى الشمال ليعظ فى فريجية وغلاطية الغربية . . ويؤخذ من غلاطية ٤ : ١٣ أنه مرض هناك أو أصيب بنوع من ضعف الجسد ولعله مكث هناك ، وبشر جماعات كثيرة : وعندما أراد أن يكمل رحلته إلى الجنوب منعه الروح وأرسله عن طريق رؤيا ظهر فيها رجل مكدونى يطلب إليه أن يعبر ويعينهم . ويصف (ص ١٦) اختباره فى فيلبى حيث عرف السجن والجلد والضيقات ولكنه أسس جماعة قوية فى هذه المدينة . ومن هناك سافر إلى إخائية ثم إلى أثينا حيث عرض إنجيله على الفلاسفة الرواقيين والأبيقوريين ولكنهم لم يقبلوه وعندئذ ذهب إلى كورنثوس شمالا وهناك قابل أسرة مسيحية مكرسة ، أكيلا وبريسكلا. وفى كورنثوس كتب رسالتى تسالونيكى . ولما رفض الحاكم طرده بناء على شكوى يهودية . مكث حوالى سنة ونصف هناك (٥١ – ٥٣ م) ثم ذهب إلى قيصرية ومنها إلى أورشليم ثم أنطاكية .

الرحلة الثالثة :

بدأت حوالى ٥٤ م وبدأها بغلاطية الشمالية ثم فريجية (أعمال ١٨ : ٢٣) ثم ذهب من هناك إلى أفسس حيث مكث فيها ٣ سنوات (أعمال ١٩ : ٨ و ١٠ ، ٢٢ : ٣١) ونجح نجاحاً كبيراً رغم كل الصعوبات التى واجهها ، ويظن بعض الدارسين أن الرسول قد قضى بعضاً منها فى السجن مستندين فى ذلك على الشواهد التالية :

فى ٢ كورنثوس ١١ : ٣ يتكلم عن سجون كثيرة وضع فيها مع أنه لم يكن قد سجن غير مرة واحدة فى فيلبى عند كتابة الرسالة بحسب ما جاء فى أعمال الرسل .

فى ١ كورنثوس ١٥ : ٣٢ يذكر أنه حارب وحوشاً فى أفسس ويقول أصحاب هذه النظرية إن الرسول ألقى به فعلا أمام الأسود ولكنه أنقذ منها بمعجزة .

فى ٢ كورنثوس ١ : ٨ يذكر أنه جاز فى ضيقة عظيمة فى أسيا حتى أنه يئس من الحياة .

فى رومية ١٦ : ٣ و ٤ يذكر عن أكيلا وبريسكلا أنهما وضعا عنقيهما من أجل حياته ولا بد أن هذا قد حدث فى أفسس حيث كانا ساكنين بعد تركهما لمدينة كورنثوس .

وذلك إلى جانب شواهد أخرى خارجية كشهادة أكليمنصدس الرومانى ثم فى كتب أبو كريفا العهد الجديد « أعمال تيطس » وغير ذلك من الشواهد .

ولا ينكر دارس أن الرسول قابل متاعب كثيرة فى أفسس وأنه رأى

ضيقات متنوعة ، ولكن لا توجد أية شهادة جادة تدل على أنه سجن فى أفسس. ولعل لوقا الطبيب ما كان يغفل هذه الحادثة لو أنها حدثت بالفعل . وربما كتب ما كتب من تعبيرات قوية عن محاربة وحوش وغيرها لكى يعبر عن مقدار هذه الضيقات . ويظن أصحاب هذه النظرية أنه كتب بالفعل فى سجن أفسس بعض رسائل السجن مثل رسالة فيلبى ، ولكن لا يوجد أى دليل على ذلك .

ترك الرسول أفسس وذهب إلى مكدونية عن طريق ترواس ، ثم إلى اليونان ثم سار إلى فيلبى ، وذهب إلى ميليتس وقابل قسوس الكنيسة هناك ، واستمر فى طريقه إلى أورشليم رغم التحذيرات الكثيرة التى واجهته .

فى هذه الرحلة كتب الرسول أربع رسائل : رسالة غلاطية فى بدء خدمته فى أفسس وبعد سماعه عما كان يجرى هناك .

وبعد مدة كتب رسالة كورنثوس الأولى ( ١ كورنثوس ١٦ : ٧ و ٨ ) . ويظن بعض الدارسين أنه قام بزيارة قصيرة إلى كورنثوس ثم كتب لهم رسالة مؤلمة ولكنها ليست موجودة بين كتب العهد الجديد الآن .

وبعد أن ترك أفسس وذهب إلى مكدونية كتب رسالة كورنثوس الثانية بعد أن جاءه تيطس ببعض الأخبار من هناك .

وأخيراً وفى نهاية الرحلة تقريباً ربما فى أواخر شتاء سنة ٥٨ م كتب رسالة رومية غالباً وهو فى كورنثوس .

من أورشليم إلى رومية :

ذهب الرسول إلى أورشليم وهناك حدث ما كانوا يحذرونه منه إذ رآه بعض يهود أسيا فى الهيكل يقوم ببعض مطاليب الناموس إرضاء لجماعة

متزمتة فى كنيسة أورشليم ، حتى هيجوا عليه الشعب ، وكاد اليهود يقتلونه لولا أن أنقذه قائد حرس الهيكل ثم أرسله إلى قيصرية ، وهناك بقى فى الحبس لمدة سنتين ( ٥٨ — ٦٠ ) وبعد جلسات المحاكمة رفع بولس أمره لقيصر كأى مواطن رومانى ، فأرسله الوالى ، فذهب إلى رومية بعد رحلة قاسية صعبة ، وهناك بقى فى السجن مدة سنتين كاملتين .

وبحسب الرأى السائد بين الدارسين أن الرسول كتب ٤ رسائل فى روما تسمى رسائل السجن وهى أفسس وكولوسى وفليمون وفيلبى .

* * *

تنتهى قصة الرسول بحسب سفر الأعمال عند هذا الحد ، ولكن هناك اتجاه قوى بين العلماء أن هذا السجن لم يكن نهاية حياة الرسول ولا نهاية خدمته ، ويبنون رأيهم على أساس النهاية العجيبة لسفر الأعمال ، إذ لا تكشف عن أى شئ سوى أن الرسول مكث مدة سنتين فى السجن يبشر الذين يأتون إليه ، ثم أن هناك رسائل منسوبة إليه وهى ما تسمى بالرسائل الرعوية : تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس لا نجد لها مكاناً فى أية فترة فى حياته قبل سجن رومية . وأخيراً هناك التقليد القوى الذى يقول إن الرسول خرج من السجن ثم ذهب إلى أسبانيا ، وبشر هناك ورجع إلى رومية ، وأخيراً قبض عليه فى عهد نيرون ثم قتل فى أواخر ذلك العهد ، بعد أن انفجر الاضطهاد العنيف ضد المسيحيين الذى أمر به هذا الامبراطور .

من هنا يتضح أن رسائل الرسول تنقسم إلى ثلاث مجموعات :

١ — المجموعة الأولى وهى المجموعة التى كتبت أثناء الرحلات وهى — تسالونيكى الأولى والثانية (الرحلة الثانية) . غلاطية ١ و ٢ كورنثوس ، رومية (الرحلة الثالثة) .

٢ ـ المجموعة الثانية وهى رسائل السجن وتتكون من أفسس و ٢ كولوسى وفليمون وفيلبى .

٣ ـ المجموعة الثالثة المسماة بالرسائل الرعوية وهى ١ و ٢ تيموثاوس وتيطس .

ومجموع الكل ثلاث عشرة رسالة . أما مسألة الاختلاف بين الدارسين على عدد الرسائل التى كتبها الرسول بنفسه وعدد الرسائل التى نسبت إليه ؛ وكذلك بالنسبة لبعض الرسائل التى فقدت فكلها سيجئ ذكرها ودراستها فى دراسة الرسائل واحدة واحدة .

# الفصل الأول

## رسائل الرحلة الثانية

والآن نتكلم عن رسالتى تسالونيكى أولى الرسائل التى كتبها الرسول فى الرحلة الثانية .

**الرسالتان إلى كنيسة تسالونيكى :**

كما سبقت الإشارة فإن رسالتى تسالونيكى تعتبران من الرسائل الأولى التى كتبها الرسول بولس ؛ ولعل الرسالة الأولى هى أول رسالة زمنية كتبها إلى كنيسته أو إلى أفراد كما نفهم ذلك من العهد الجديد وخاصة أعمال الرسل .

**مدينة تسالونيكى :**

كانت تسالونيكى تقع فى عمق خليج ترمايك Thermaic يحيط بها واد سهل غنى ، ولهذا كانت المدينة كبيرة ومزدحمة بالسكان وتعتبر الميناء الأول فى كل مكدونية . وكان يخترقها الطريق العسكرى الشهير من شرقها إلى غربها ؟ . بنيت المدينة سنة ٣١٥ ق . م وقد بناها صهر الإسكندر الأكبر وسماها باسم زوجته سالونيكا أخت الإسكندر غير الشقيقة . فى سنة ١٦٨ ق. م صارت مكدونية منطقة رومانية . وقد قسمتها الحكومة إلى أربع مقاطعات ، صارت تسالونيكى عاصمة واحدة منها ، ولكن فى سنة ٤٨ ق . م صارت العاصمة لكل مكدونية ووضعت بها حامية عسكرية كبيرة وفى سنة ٤٢ ق. م عندما

حدثت المعركة الكبرى بين أكتافيوس وأنطونى من جانب وبروتس من جانب آخر — والتى تسمى معركة فيلبى انحازت تسالونيكى إلى أكتافيوس ولذلك كافأها عندما تولى السلطة فجعلها مدينة حرة . وهذا هو السبب الذى جعلها تختار قضاتها منها ، وبرلمانها كان يقوم بأعمالها العامة (أعمال ١٧ : ٥ و ٨) ولكنها كانت شديدة الإخلاص لروما العاصمة وللامبراطور . وفى سنة ٤٤ م صارت تسالونيكى قاعدة للأسطول الرومانى . وهذا ساعدها على أن تكون عاصمة تجارية سياسية عسكرية . كان سكانها خليطاً من جنسيات كثيرة وكانت بها جماعات دينية كثيرة من جالية يهودية كبيرة وبها مجمع كبير . وإلى جانب ذلك كانت مركزاً لعبادتين من عبادات الديانات السرية : عبادة ديانسيوس الإله الأسطورى الذى يقولون عنه إنه مات وقام ، وأورفيوس وهى عبارة عن نسخة منقحة من الأولى ، وكان الاثنان إلهى الخصب ، ولهذا فقد شاب عبادتهما النجاسات الأممية الكثيرة .

**كيف دخلت إليها المسيحية :**

بعد أن خرج الرسول من فيلبى (أعمال ١٦ : ٤٠) ذهب هو وسيلا ومعهما تيموثاوس غرباً على الطريق الحربى الكبير الذى يمتد بطول ٥٣٠ ميلا من الشرق على طول ساحل بحر الأدرياتيك مخترقاً مكدونية إلى ناحية الغرب . ودخلوا أمفيبوليس ثم أبولونية ثم وصلوا إلى تسالونيكى حوالى ٤٩ م. وحالماً وصلوا دخل بولس إلى المجمع ،وكان يحاج اليهود هناك ثلاثة أسابيع كاملة يبرهن لهم من الكتب أمرين فى غاية الأهمية : أولا أن المسيح يجب أن يتألم وهذا ضد الرأى اليهودى العام ، وثانياً أن يسوع هو نفسه المسيح المتألم الذى تكلمت عنه الكتب المقدسة (أعمال ١٧ : ٣) . فاقتنع منهم جماعة يهودية قليلة ، ولكن فى مقابل ذلك آمن كثير من اليونانيين القريبين من اليهودية ، ونساء

شريفات أرستقراطيات ( أعمال ١٧ : ٤ ) . وهنا لم يستطع اليهود الصبر إذ ألهبتهم نار الغيرة ، فأرادوا أن يجروا الرسول ورفقاءه إلى الحكام ، ولما لم يجدوهم أخذوا بدلا منهم رجلا كان يسكن الرسول عنده اسمه ياسون، ورفعوا عليهم قضية ، فأخذ الحكام كفالة مالية منه ومن باقى المسيحيين وأطلقوهم .

ويؤخذ من ١ تسالونيكى ١ : ٨ — ١٠ أن التبشير الحقيقى قد حدث فى الشوارع والأزقة والسوق حيث ربح المبشرون كثيرين وبنيت كنيسة ضخمة فى تسالونيكى . وبينما هم يعملون كان الرسول يشتغل بكل همة فى النهار لكى يكسب قوته مع الذين يعملون معه . ولعل ذلك كان بسبب مجاعة اجتاحت العالم اليونانى فى ذلك الوقت ، ولأنه لم يرد أن يكون مثل أولئك المعلمين الذين كانوا يبيعون الكلام والفلسفة ولا يهتمون إلا باستغلال سامعيهم ( أعمال ١٣ : ٦ — ١٢ ، ١٩ : ١٣ — ٢٠ ) ومع أنه كان يمكنهم أن يأكلوا من الإنجيل كما فعل رسل المسيح ، إلا أن الرسول ورفقاءه رغبوا فى أن يستقلوا عن الكنيسة ولا يستغلوها . ( ١ تسالونيكى ٢ : ٦ و٧ و٩ ، ٤ : ١٠ ، ٢ تسالونيكى ٣ : ٧ — ٩ ) . ويؤخذ من فيلبى ٤ : ١٦ أن الكنيسة هناك أرسلت له معونة مرة ومرتين . ويلاحظ هنا وجود الفرق فى التبشير بين اليهود وبين الأمم . فقد رأينا أن الرسول كان يكرز بآلام المسيح وقيامته لليهود ، وأن يسوع الناصرى هو نفسه المسيح . ولكنه كان يكرز للأمم أن يرجعوا من عبادة الأصنام التى تنفع : إلى عبادة الله الحى . وفى هذا الأمر اشترك المسيحيون واليهود معاً فى تبشيرهم . . ولكن المسيحيين زادوا بأن بشروا بيسوع المسيح المخلص الذى أرسله الله للبشر حتى يخلصوا من هذا الجيل الشرير ، ويهربوا من غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس ( ١ تسالونيكى ١ : ٩ و ١٠ ) وهكذا تكونت كنيسة تسالونيكى الكبرى .

لماذا كتبت الرسالة :

بعد أن خرج الرسول من تسالونيكى سار إلى بيريه وبشر هناك وكانت بها جالية يهودية كبيرة ولكنها كانت أشرف من سكان تسالونيكى من اليهود الذين جاءوا وهيجوا الشعب ضد الرسول فذهب إلى أثينا . ويلوح أنه كان يحاول بكل جهده أن يرجع إلى تسالونيكى ، ولكن عوائق شديدة كانت تقف فى وجهه ( ١ تسالونيكى ٢ : ١٧ ) . ولذلك أرسل إليهم تيموثاوس الذى ذهب لكى يعظهم ويثبتهم فى ضيقاتهم التى سببها لهم اليهود ( ٣ : ١ — ٥ ) ثم رجع وتقابل مع الرسول فى كورنثوس وقدم له تقريراً عن الكنيسة وعلى أساس هذا التقرير كتب الرسول هذه الرسالة . فهل يمكن أن نعرف بعضاً من عناصر هذا التقرير الذى بنيت عليه الرسالة ؟ يلوح أنه يتكون من ٣ عناصر رئيسية :

١ — تقرير عن حالة الكنيسة وما أصابها من اضطهادات كثيرة من أهلهم ، كما حدث للكنيسة اليهودية فى اضطهاد اليهود لهم ، ومع ذلك فهى كنيسة صامدة وصابرة ( ١ تسالونيكى ٢ : ١٤ ) .

٢ — تقرير عن اتهام يوجه للرسول ولإنجيله الذى يبشر به ، فقد قال بعضهم إن إنجيله مبنى على أخطاء لأنه إنجيل بشرى . وليس إلهياً . ولا يمتاز بولس عن جماعة المشعوزين الذين يسيرون شرقاً وغرباً يوزعون كلاماً كثيراً دون عمل ، ولا يهمهم إلا مصالح أنفسهم ، والدليل على ذلك أنه هرب ليلا من المدينة ولن يرجع إليها مرة أخرى ( ٢ : ١ — ١٣ ) .

٣ — أما العنصر الثالث فى هذا التقرير الضخم يختص بأفراد مخصوصين من الناس يصفهم فى ٥ : ١٤ أنهم « بلا ترتيب . . صغار النفوس وضعفاء » ، كان عيب بعضهم أنهم ما زالوا يسلكون فى نفس الطريق التى

كانوا يسلكون فيها من قبل عندما كانوا بعيدين عن المسيح ، فى النجاسة والزنا أى الخطايا التى كانت متفشية فى تسالونيكى ( ٤ : ١ — ٨ ) . أما البعض الآخر فقد لفهم الحزن على جماعة ماتوا بعد أن تركهم الرسول ، وقد كانوا يظنون أن المسيح سوف يأتى سريعاً وسوف يأخذون معه . ولكنهم ماتوا قبل أن يأتى ، ولهذا فلا نصيب لهم فى مجد المسيح ، فكانت عقيدة مجئ المسيح الثانى سبباً فى حزن هؤلاء ( ١ تسالونيكى ٤ : ١٣ — ١٨ ) .

هذه هى العناصر الرئيسية فى تقرير تيموثاوس وهذا ما دفع الرسول أن يكتب لهم هذه الرسالة فماذا قال لهم الرسول ؟

مضمون الرسالة :

١ — كان الإحساس بالشكر العميق لله لأجلهم وللأخبار التى حملها له تيموثاوس عنهم قوياً يملأ الأصحاحات الثلاثة الأولى من الرسالة . هذا الفرح جعله ينظر إلى الوراء أى إلى خدمته بينهم وتأثير الكلمة فيهم وظهورها بقوة فى حياتهم فيذكرها فى الأمور التالية .

( أ ) إنه يذكر بلا انقطاع حياتهم بعد الإيمان التى تميزت بالفضائل المسيحية العظيمة : الإيمان والرجاء والمحبة ( ١ : ٣ ) . ولكن هذه الفضائل لم تكن كلمات لاهوتية ولكنها مواقف عملية ، فالإيمان له عمل والمحبة لها جهاد . والرجاء مثمر فى الصبر رغم كل الضيقات المريرة . هذه الحياة المسيحية هى الدليل على أن الإنجيل الذى قدمه لهم لم يكن كلاماً ككلام الفلسفة ، ولكنه كان يتميز بقوة الروح القدس ( ١ : ٥ ) ، ولقد تجسم هذا الإنجيل فيهم ، حتى أن كلمة الله قد انتشرت لأن إيمانهم ذاع بين الناس وأخبر به كثيرون ( ١ : ٩) حتى أن الرسول نفسه لم يكن له حاجة أن يعظ ، لأن أخبار

إيمانهم وحياتهم قد سبقته ، وعمل الروح القدس بواسطتها . فآمن الكثيرون وقبلوا الإنجيل ورجعوا إلى الإله الحى الحقيقى تاركين الأوثان وانتظروا ابنه من السماء (١ : ٩ — ١٠) .

(ب) ثم يذكر الرسول موقفه منهم وعمله بينهم ، إنه لم يكن معهم كما أشيع عنه ، مثل المعلمين الكذبة الذين كان كل همهم كان منصب على أنفسهم فلا يهتمون بالرعية (٢ : ٣) . ولكنه قبل رسالة الإنجيل من الله فهو أمين لها لأنه أمين لله . وحاول ألا يثقل عليهم بشيء ، ولم يطلب منهم مالا ، وكان يمكنه بل ومن حقه أن يفعل ذلك (٢ : ٦) . ليس ذلك فقط ولكنه عمل معهم فى حنان الأم المرضعة وفى تشجيع وإرشاد الأب لأولاده (٢ : ٧—١١) وهم أيضاً قد استجابوا له وللرسالة فقبلوا كلام الإنجيل ككلمة الله وليس من إنسان (٢ : ١٣) .

(ح) ويذكر ما أصابهم من غير المؤمنين من حولهم وخاصة من اليهود ولم يكن جرم اليهود قاصراً عليهم فقط فهم سبقوا فاضطهدوا المسيح نفسه وكنيسته فى اليهودية وصاروا معاندين لله مرفوضين قد أدركهم الغضب إلى النهاية (٢ : ١٤ — ١٦) .

ويعتذر الرسول عن عدم مجيئه إليهم : لقد كانوا على قلبه منذ أن تركهم وحاولوا مرتين أن يذهب إليهم ولكن أسباباً قاسية سببها الشيطان منعته من ذلك ، وكان هذا فوق ما يحتمله هو (٢ : ١٨ — ٣ : ١) فلم يجد طريقة غير أن يرسل إليهم تيموثاوس مع أنه كان فى مسيس الحاجة إليه ، لكنه يقول « استحسنا أن نترك فى أثينا وحدنا » . فوجود تيموثاوس معه كان ضرورياً ليس للرسول فقط ولكن للعمل أيضاً فى أثينا وكورنثوس ، ولكن محبة الرسول لتسالونيكى وقلقه عليهم جعله يرسله إليهم (٣ : ٢) . وهذا

يبطل قول الذين ادعوا ضده أنه هرب من تسالونيكى ولن يعود إليهم ، لأنه ككل المعلمين الذين ينتشرون فى هذه البلاد لكى يستغلوا السامعين بكل طريقة ممكنة ثم يتركونهم هكذا وينسونهم ، لأن كل همهم هو نفسهم . إن الرسول ليس من هذا النوع ، لقد كان قلبه ملتهباً عليهم وعلى إيمانهم ، فأرسل تيموثاوس للمهمة العظيمة الحبيبة لقلبه هو : حتى يثبتهم ويعظهم ، وليعرف هل أمكن للمجرب أن يزحزح إيمانهم ، وبذلك يكون تعب الرسول ومن معه فى تبشيرهم قد ذهب هباء ( ٣ : ٥ ) .

ولكن تيموثاوس يأتى حاملا معه البشرى العظيمة : إيمانهم ومحبتهم ما زالا قويين ( ٣٠ : ٦ ) ، وأن كل إدعاءات وافتراءات الأعداء عليه لم تزحزح محبتهم له ، بل إنهم يحبونه ويذكرونه دائماً ذكراً حسناً ، بل وجدهم تيموثاوس مشتاقين أن يروه . ولهذا فقد فرح فرحاً عظيماً وتعزى رغم كل ضيق وألم ( ٣ : ٧ — ٩ ) وأنه يطلب من الله أن يزيدهم فى المحبة بعضهم لبعض وللجميع ( ٣ : ١٢ ) وأن يستمروا فى طهارة وقداسة القلب فى كل حين أمام الله إلى أن يأتى المخلص من السماء مع جميع قديسيه ( ٣ : ١٣ ) .

٢ — وهنا يأتى الجزء الثانى من الرسالة ( ص ٤ و ٥ ) حيث يعالج الرسول بعض نقصات الإيمان التى تظهر فى بعضهم . إن غالبية أعضاء الكنيسة بخير ولكن هناك مجموعة من الأعضاء لا بد من تقويمهم .

( أ ) هؤلاء الذين لازالوا يمارسون العادات الأممية التى كانوا غارقين فيها من قبل ، وخاصة نجاسة الزنى ؛ يجب أن يعرفوا أن إرضاء الله يتطلب القداسة الخلقية ، لأن هذه هى إرادة الله قداستكم » ( ٤ : ١ — ٨ ) . إنه أوصاهم بهذا وعرفهم أن القداسة هى هدف دعوة الله لهم ( ٤ : ٧ ) وهى إرادته فى حياتهم ، وهى السلوك المسيحى الحقيقى .

(ب) أولئك الذين يعيشون عالة على الآخرين يجب أن يهتموا بأن يعملوا ويسلكوا بلياقة حتى يراهم الذين هم من الخارج فى منظر يليق بمسيحيتهم ، وألا يكون لهم حاجة إلى أحد فى وقت يستطيعون فيه أن يعملوا كل ما يقدرون عليه حتى يعيشوا معتمدين على أنفسهم وعملهم ( ٤ : ١١ — ١٣ ) .

( ج ) أولئك الخائفون على موتاهم يجب أن يطمئنوا . إن الرجاء الذى لنا فى المسيح مبنى على أنه قهر الموت ، ولذلك فكل الذين هم له قد غلبوا الموت فعلا فيه ، وسوف تعلن تلك الغلبة عند مجئ الرب . فكما قام هو من بين الأموات هكذا سيقوم كل من مات فى المسيح . فعندما يأتى الرب ويقابل الأحياء فإنه لا يأخذهم إليه إلا بعد أن يقيم الذين ماتوا فيه . إنهم يقومون أولا أى قبل الاختطاف وهكذا سيكون لكل المؤمنين ، سواء الذين رقدوا قبل مجئ الرب أو الذين يبقون أحياء إلى مجيئه ، معه فى كل حين ، فلا يستطيع الموت أن يحرم المؤمن من بقائه بجسده الممجد مع سيده ولنلاحظ هنا أن كلمة أولا لا تقابل قيامه الأبرار بقيامة الأشرار لأن لا ذكر للأشرار هنا ، والرسول لا يتكلم عن المجئ الثانى عامة بل إنها تقارن قيامة الأبرار باختطاف المؤمنين ، إن القيامة تحدث قبله ( ٤ : ١٣ — ١٨ ) .

( د ) أما الذين يجلسون ويحسبون الأزمنة والأوقات ويقولون إن الرب آت اليوم أو غداً فليعلموا أنه لا داعى لذلك لأن يوم الرب كلص وسوف يأتى فجأة وفى مجيئه سيفاجئ المطمئنين الذين يبنون سلامهم على الباطل فلا ينجون منه ومن عقابه لهم . لكنكم أنتم المؤمنين يجب أن تسهروا وتصحوا . لأن الوقت ليس فى يد الإنسان بل تحت تحكم الله . فلا يجب أن تنزعج من أى شئ سواء كان مجئ الرب بعيداً أم قريباً بل لنكن مستعدين وليأتى فى الوقت الذى يشاء ويسر أن يأتى فيه ، وبذلك نكون أبناء نهار وليس أبناء ليل ( ٥ : ١ — ١١ )

وأخيراً يعطى الرسول بعض الوصايا العامة للمؤمنين وخصوصاً بالنسبة للذين يدبرونهم . فإن كان الرسول ومن معه قد تعبوا ليل نهار لكى لا يضيفوا عليهم ضيقاً أكثر ، فهذا الأمر يجب ألا يكون القاعدة العامة . إنهم الآن للرب ويجب أن « يعرفوا الذين يتعبون بينهم ويدبرونهم فى الرب وينذرونهم وأن تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة من أجل عملهم » ( ٥ : ١٢ — ١٣ ) .

الرسالة الثانية :

هذه الرسالة كتبت بعد الرسالة الأولى ولم يكن قد مضى عليها أكثر من شهرين أعنى سنة ٥٠ م ويلوح أن الرسول وسلوانس ( سيلا ) وتيموثاوس كانوا فى كورنثوس ( ٢ تسالونيكى ١ : ١ ) . ومن يقرأ هذه الرسالة يجد أن الظروف التى كانت تسود تسالونيكى عند كتابة الرسالة الأولى لم تتغير كثيراً . فهو ما زال يفتخر بهم لأجل صبرهم وإيمانهم رغم استمرار الاضطهادات الكثيرة التى كانت تقع عليهم من العالم ( ١ : ٤ ) . وأنه يثق فيهم وأنهم يعملون كل ما يوصيهم به . نفس ما قاله لهم فى الرسالة الأولى ( ٢ تسالونيكى ٢ : ١٧ ، ٣ : ٣ — ٥ )

لماذا كتبت هذه الرسالة :

يذكر الرسول أنه سمع أن هناك من سلك بلا ترتيب ( ٣ : ١١ ) ويلوح أن جماعة من الكنيسة ذهبوا إليه فى كورنثوس وأعطوه تقريراً عن أشياء جديدة حدثت فى الكنيسة سببت أزمة وبعض الاهتزازات فيها فقد فهموا كلام الرسول خطأ وأشاعوا أن يوم الرب قد حضر وأنه قد جاء ( ٢ : ٢ ) . وهذه الإشاعة دفعت أولئك الكسالى ، الذين كانوا يرفضون العمل ويظنون أن الرب قد جاء ، وسوف يظهر فى الحال ، إلى التمادى فأصبحوا أكثر

كسلا واستمروا عالة على الناس ( ٣ : ١١ و ١٢ ) وليس ذلك فقط فقد زادت من ضعف الضعفاء فى الإيمان .

فعندما سمع الرسول هذا التقرير كتب هذه الرسالة الثانية ليحاول علاج هذا الموقف الجديد .

**مضمون الرسالة :**

قبل أن نذكر مضمون هذه الرسالة يجب أن نذكر أمرين فى غاية الأهمية لفهم الرسالة . الأمر الأول هو أن الرسول لم يكتب هذه الرسالة ، بكل ما فيها من عناصر لاهوتية ، كرجل لاهوتى يريد أن يكتب عقائد ، ولكنه كتبها فى روح الراعى الذى يحب رعيته ويشفق عليها ، ولهذا ذكر هذه الأمور اللاهوتية لا لذاتها بل لكى يعزى هؤلاء الذين يتألمون من هذا الموقف . . ولو كتب الرسول هذه العقائد اللاهوتية لذاتها لكان أكثر تفصيلا ، ولذكر أموراً لم يذكرها فى الرسالة ، إذ ترك أموراً هامة كان يجب أن يذكرها كما سيظهر لنا فى مضمون الرسالة :

أما الأمر الثانى فهو الأهمية القصوى التى يعطيها الرسول للتعاليم التى أعطاها لهم ؛ سواء فى وعظه بينهم . . أو فى رسالته . إنه يذكرهم بكل ما قاله لهم وهو عندهم ( ٢ : ٥ ) ثم يأمرهم بالثبات والتمسك بالتعاليم التى تعلموها منه سواء بالكلام أم بالرسالة ( ٢ : ١٥ ) أما الأخ الذى لا يطيع هذا التعليم الذى أخذه من الرسول فيجب عليهم أن يتجنبوه ( ٣ : ٦ ) . ثم يذكرهم بكل ما أوصاهم به وما كلمهم عنه وغير ذلك ، مما يدل على أنه ينبر كثيراً على التعاليم التى علمها لهم . حتى أن هذه الرسالة التى يرسلها لهم يجب أن تعتبر من ضمن التعاليم التى يجب أن يطيعوها، ومن يعصها فليحسب أخا ناشزاً ( ٣ : ١٤ ) . . هذه التعاليم المهمة التى قالها وأرسلها لهم فى الرسالة تدل على

الإحساس بالسلطان الذى لدى الرسول بولس ، هذا الإحساس جعله فى رسائل لاحقة يسمى ما يكرز ويبشر به أنه « إنجيلى ( ٢ : ١٤ أنظر رومية ١٦ : ٢٥ ) وأن له دراية واسعة بسر المسيح الذى أعطاه إياه بإعلان ( أفسس ٣ : ١-٤)فهوإذن راع ولكنه راع له سلطان وأن كل ما يقوله هو من صميم الإنجيل الذى أعلنه له السيد نفسه ، فيجب أن يطاع : لأنه هو اختبار لأمانة ومسيحية الشخص .

وإذ نرجع إلى مضمون هذه الرسالة نجده يقول :

١ - إنه لا يزال يشكر الله من أجلهم لأن إيمانهم رغم كل الضيقات بل فى كل الضيقات ينمو ويزداد،ومحبة كل واحد لأخيه تزداد أيضاً ( ١ : ٣ و ٤ ) . وهذه الضيقات تؤهلهم للملكوت ربنا يسوع المسيح ، لأنهم يتألمون لأجله ولأجل حياتهم فيه . أما الذين يضايقونهم فالرب سوف يجازيهم ضيقاً ، أما هم فسيعطيهم الرب نعمة وراحة وذلك عند مجيئه ( ١ : ٥ - ٧ ) .

٢ - وهنا ينتقل الرسول أيضاً ليؤكد لهم ما يزيد من تعزيتهم أن الرب سوف يجئ ومجيئه لا شك فيه : إنه سوف يجئ للدينونة لأنه سيجئ فى ملائكة قوته ليعاقب الذين لا يطيعون الإنجيل بهلاك أبدى ( ١ : ٨ و ٩ ) ولكنه فى نفس الوقت يتمجد فى قديسيه إذ يرفعهم ويمجدهم ويعزيهم ولسوف ينظر الذين يضطهدون المؤمنين إليهم وهو يمجدهم فيتعجبون لذلك بل ويخزون ( ١٠ و ١١ ) .

٣ - ولكن رغم التأكد من مجئ الرب يلوح أن بعضهم لم يستطع أن يفهم ما قاله الرسول لهم بهذا الخصوص . لقد بشرهم بمجئ الرب كحقيقة هامة ينتظرها كل مسيحى محب للرب ، فإن ما بدأه السيد لا بد وأن يكمله ، لقد بدأ عمل الخلاص وسوف يكمله بمجيئه الثانى . هذه حقيقة ثابتة ، ولكن الخطأ الذى وقع فيه هؤلاء الأعضاء هو أنهم لم يأخذوا قول الرسول كله :

لقد قال لهم إن هناك حوادث سوف تسبق مجئ الرب . إن ارتداداً عظيماً ومرعباً سوف يأتى أولا ، الشيطان لن يسكت ، ذلك الذى حارب مجئ السيد الأول بكل ما أوتى من خداع ومن فكر لا بد وأن يحارب مجيئه الثانى ، بإيجاد البلبلة فى عقل المؤمنين من جهة المجئ كما يحدث الآن فى تسالونيكى ، ثم بواسطة الارتداد الفظيع الذى يأتى قبل.إن هذا الارتداد يتلخص فى ظهور شخصية يسمبها الرسول « إنسان الخطيئة . ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس فى هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله » ( ٢ : ٣ و ٤ ) . من هو هذا الإنسان ؟ ماذا يعمل ؟ هل هو بشرى أم هو قوة أخرى ؟ إن الرسول لا يكشف فى رسالته ذلك لأنه كان قد قال لهم شيئاً ما عنه . قال لهم . « أما تذكرون أنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا » ( ٢ : ٥ ) ؟ لكننا لا نعرف ماذا قال لهم . هل كشف لهم عن هذه الشخصية ؟ هل عرفوا أبعادها ؟ أغلب الظن أنه لم يفصح كثيراً عنها ولهذا فلم يستطيعوا أن يدخلوها فى اعتبارهم عندما كانوا يفكرون فى مجئ السيد .

هناك شئ آخر يذكره الرسول لهم وهو ما يحجز ظهور إنسان الاثم واستعلانه . وهو يتكلم عن ذلك بكيفية تكشف عن معرفتهم له « والآن تعلمون ما يحجز . . » ( ٢ : ٦ ) . من هو الذى يحجز ؟ هل الروح القدس ؟ هل قوة أخرى ؟ لا نعرف . إن أفكاراً كثيرة ذكرت ولكنها اجتهادات لا تستند على برهان قاطع أو رأى حاسم ، لأن الرسول لا يكشف عن الحقيقة فى الرسالة كما كان يكشفها لهم فى كلامه معهم . فهم كانوا يعرفون ما يقول ، وكان هذا شيئاً مفترضاً لدى الرسول ولديهم . ولكننا نحن لا نعرف ولهذا فلسنا مطالبين أن نجتهد اجتهادات قد تكون أبعد ما يكون عن فكر الرسول ، وحتى إذا اجتهدنا فيجب أن نعرف الحدود التى نقف عندها وألا نفتكر أننا قد وصلنا إلى فك الألغاز التى تحيط بهذا .

ما يريدنا الرسول الآن أن نعرفه هو أن الرب سيأتى ، هذا أمر مؤكد وجزء من إيماننا الأقدس ، وأن موجة من الارتداد سوف تحدث . لكن ما نوعها وكيف تكون فلا نستطيع أن نعرف . ولنذكر أن موجات كثيرة من الارتداد قد حدثت فى تاريخ المسيحية ، وفى كل مرة كان كثيرون يعتقدون أنها الموجة التى تسبق مجئ الرب ، ولكن لم تحدث ذلك . وهذا يعطينا درساً واضحاً وهو أن هناك أشياء كثيرة يعرفها الرب نفسه ولم يكشفها لنا إلى الآن .

إنها رسالة تتكلم لنا كما كانت تتكلم لجماعة تسالونيكى .

# الفصل الثانى

## رسائل الرحلة الثالثة

### « رسالة رومية »

رسالة رومية تعتبر من أهم ما كتب الرسول بولس واضعاً فيها كل خبرته واختباره طيلة سنوات طويلة . ومع أنها تأتى كأول رسالة فى ترتيبها فى العهد الجديد ، إلا أنها فى الحقيقة تعتبر من ضمن الرسائل التى كتبت متأخراً ، ومع أنها أيضاً مملوءة بالنظريات اللاهوتية العميقة إلا أنها رسالة مرسل يكتبها صاحبها وهو يجرى فى الحقول المترامية الأطراف ، ويضع فيها ما يهم الكنيسة والأفراد ، والرسالة قبل أن تكون رسالة لاهوت نظامى هى رسالة لاهوت عملى ، يخاطب فيها الرسول كل المؤمنين من خلال كلامه إلى كنيسة رومية . إن محتوياتها ليس نظريات ولكنه إيمان حى لرجل قد خبر الله وإن كان قد استخدم بعض المنطق لكنه وراء المناقشة نحس الاقتناع الحى من شخصية قد خبرت المسيح وخلاصه ، فآمن أنه يستطيع أن يخلص العالم كله .

**متى كتبها الرسول :**

عرفنا فيما سبق أن الرسول كتبها فى أواخر رحلته الثالثة . فبعد أن انتهى من عمله فى أفسس سافر إلى مكدونية ليأخذ منهم العطاء الذى جمعوه لأجل أورشليم ( أعمال ٢٠ : ٢ مع ٢ كورنثوس ٨ : ١ و ٢ ) ومن مكدونية إلى هلاس ومن هناك إلى كورنثوس لكى يأخذوا منهم ما جمعوه لأجل القديسين

( ٢ كورنثوس ٩ : ٤ ) . ويلوح أنه كتب رسالة رومية فى تلك الفترة التى مكثها فى كورنثوس ، وقد كانت معه كل العطية ( رومية ١٥ : ٢٦ ) ومما يؤيد هذا الرأى أيضاً توصيته بفيبى خادمة كنيسة « كنخريا » وهى مدينة ميناء كورنثوس (رومية١٦ : ١ و ٢ ) . وأنه كتب هذه الرسالة من بيت غايس، ربما الذى عمده الرسول ( رومية ١٦ : ٢١ و ٢٢ ، ١ كورنثوس ١ : ١٤ ) وكان ذلك حوال شتاء ٥٦/٥٧م .

لماذا كتب الرسول رسالة رومية :

يذكر الرسول نفسه سبباً هاماً جداً لكتابة رسالته هذه . (فى ص ١٥ : ١٤ — ٣٢ ) يذكر أنه قام بتبشير الجزء الشرقى من العالم الرومانى المعروف فى ذلك الوقت ، حتى أنه بشر من أورشليم إلى الليريكون ( وهى منطقة على الساحل الشرقى من بحر الأدرياتيك ) ، ولم يبق له مكان بعد فى هذه المناطق ليبشر فيها ، ولكنه لا يريد أن يكتفى بذلك . بل سيذهب إلى الغرب ، إلى أسبانيا . وسيمر بهم و يمكث معهم .

إن الرسول يعتذر أنه لم يستطع أن يأتى إليهم ( عدد ٢٢ أنظر ١ : ١٣ ) ولعل انشغاله الكثير فى العمل أعاقه عن الذهاب إليهم ، ولعل عدم رغبته فى أن يبنى فى مكان أسسه آخرون كان عاملا مساعداً فى عدم ذهابه إليهم (عدد ٢٠) ولكنه مع ذلك يريد أن يتخذ رومه قاعدة ومن هناك يتجه ناحية الغرب ، مثلما اتخذ من أنطاكية ، التى لم ينشر المسيحية فيها أيضاً قاعدة له للتبشير مدة السنوات العشر الماضية فى رحلاته . ولذلك فهو يكتب لهم ممهداً الطريق لنفسه .

ولكن بعض العلماء يرون أن هذا التمهيد ، خاصة وقد جاء قرب نهاية الرسالة وفى أعداد قليلة نسبياً ، ليس هو السبب الوحيد لهذه الرسالة ، بل هناك ما هو أعمق من ذلك ، ولقد اجتهدوا فى استنباط الأسباب فمثلا :

١ — قال باور فى القرن التاسع عشر إن بولس الرسول أراد أن يضرب المتهودين الذين يطلبون أن يدخل الأممى اليهودية ويخضع للناموس قبل أن يصبح مسيحياً وقد ظهروا فى رومه ؛ ولهذا كتب هذه الرسالة ، وشدد بقوة على عدم نفع الناموس وحتمية الخلاص بالإيمان . ولكن هذا الرأى لم يعد مقبولا من أحد فى هذه الأيام لأنه أضعف كثيراً من أن يفسر رسالة كهذه ويكشف الغرض منها .

٢ — قيل إنه أراد أن يضع عناصر الإنجيل الذى يبشر به أمام كنيسة من الكنائس الكبرى ويفسره حتى يصبح عقيدة ثابتة . وهذا رأى مقبول لدى كثيرين ، إلا أنه يواجه الاعتراضات التالية : أولا : وجود مسحة شخصية فى الرسالة فى الأصحاحات ١ : ٧ — ١٥ مما يدل على أن الرسالة لها طابع شخصى لا يوجد فى رسالة عقائدية . ثانياً : غياب بعض العقائد المسيحية الكبرى التى ينبر عليها الرسول فى أمكنة أخرى مثل عقيدة الكنيسة والأسخاتولوجى وغيرها مما لا يمكن أن يحدث إذا كان الغرض منها أن تكون رسالة عقائدية . ثالثاً : وجود الأصحاحات ٩ — ١١ يضعف هذا الرأى .

٣ — إن الرسول إذ يجلس الآن لكى يكتب هذه الرسالة فإنه يضع فيها كل اختباره كرسل إلى الأمم . إن ما فى هذه الرسالة — كما سبق القول — ليس نبذة لاهوتية ، ولكنه لاهوت مبنى على الواقع ، على ما رأته عيناه . واختبره فى الحقل ، وقد فتح الروح القدس عينى الرسول على الكثير فى خدمته ، وكشف له أسراراً متعددة ( رومية ١١ : ٢٥ ، أفسس ٣ : ١—١١ ... إلخ ) . وهو يريد أن يشارك المؤمنين الذين لم يبشرهم ولم يقابلهم ككنيسة فى اختباره هذا . وليس أدل على ذلك من وجود ٩ — ١١ ومن اقتباساته الكثيرة من العقائد المشتركة فى الكنيسة وشرحها مثل ١ : ٣ و ٤ ، ٣ : ٢٤—

٢٦ . . إلخ ) . مما يسهل على القارئ قبول رأيه والتمسك به . إنه يريد أن يكشف عن الإيمان المشترك إيمانه وإيمانهم فيتعزيان معاً . ( ١ : ١٢ ) .

ومما يقوى هذا الرأى أن الرحلة إلى أورشليم لم تكن شيئاً سهلا ، بل كان الرسول يحس كأن شيئاً سوف يحدث له فيقول لكنيسة رومية « فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات من أجلى إلى الله لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية .. » ( ١٥ : ٣٠ و ٣١ ) فهل كان يخاف لئلا يحدث له أمر ما فى أورشليم كأن يقتلوه مثلا ولهذا فإنه يكتب اختياره كمسيحى وكرسل وكخادم للمسيح ؟ » .

٤ — لكن يجب ألا ننسى الواقع التاريخى للكنيسة . فلا بد أن الرسول سمع من أكيلا وبريسكلا عما هو موجود فيها من مشكلات بين اليهود المسيحيين والأمم المسيحيين ( ١٥ : ٧ — ١٣ ) وربما كانت هناك مشكلات أخلاقية أيضاً . فأراد أن يعالج هذا أيضاً وخصوصاً فى الأصحاحات ١٢ — ١٥ وقد فعل ذلك إلى جانب أنه شرح الإنجيل الذى هو أساس الكنيسة والمسيحية إذ يقول عنه « لست استحى بإنجيل المسيح الذى هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى لأن فيه معلن بر الله من إيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا ( ١ : ١٦ و ١٧ ) . وهذا الإنجيل يخلص به اليهودى والأممى فلا فرق بين الاثنين أمام الله .

هذه هى بعض الدوافع التى نلمسها فى الرسالة التى دفعت الرسول إلى كتابتها فى ذلك الوقت .

**كنيسة رومية :**

ولكن ماذا يمكن أن نعرف عن كنيسة رومية ؟ إن أول ما نسمع عن كنيسة رومية فى أعمال الرسل ٢٨ : ١٥ إذ يطلق عليهم الرسول لقب

« الأخوة » ، ثم فى رسالة رومية نفسها ( ١ : ١٣ ، ١٥ : ٢٢ ) . ومن هذه الشواهد نعرف أن الكنيسة كانت هناك قبل كتابة الرسالة نفسها . وفى كتاب ( تاريخ كلوديوس ) يقول سوتينوس ٢٥ : ٢ إن كلوديوس طرد اليهود من روما لأنهم يسببون اضطراباً مع خرستوس المضلل » ولعل هذا الاسم خرستوس هو اسم المسيح ، وأن المسيحية انتشرت فى روما قبل طرد اليهود منها الذى حدث فى سنة ٤٩ م . ويؤيد هذا ما جاء فى أعمال ١٨ : ٢ . ويلوح أن الرومانيين لم يفرقوا بين اليهود والمسيحيين ، فطردوهم أجمعين فذهب أكيلا مع زوجته بريسكلا إلى كورنثوس.وهناك تقابلا مع الرسول بولس . فإذا كانت المسيحية ثم الكنيسة قد وجدت فى روما قبل سنة ٤٩م. فكيف جاءت إليها ؟

فى أعمال ٢ : ١٠ نجد أن اليهود الذين جاءوا إلى العيد كان منهم رومانيون وكانوا يهوداً أصلا ودخلاء ، ومن يدرى فلعل بعضهم آمن بالرب يسوع وقبله ثم رجع لكى يبشر بالإيمان الجديد .

ولعل بعض الذين هربوا من الاضطهاد بعد قتل اسطفانوس ، وربما كانوا مثله من يهود الشتات ، قد ذهبوا إلى روما حاملين معهم دفعة للايمان المسيحى وبشروا هناك .

وربما جاءهم الإنجيل عن طريق التجار الذين ذهبوا إلى روما وقد يكون هناك عنصر عسكرى فى ذلك لأن بعض الذين آمنوا كانوا من الجنود والعساكر مثل قائد المئة الذى كان عند الصليب ( لوقا ٢٣ : ٤٧ ) .

ومعنى ذلك أنه لم يكن هناك شخص بمفرده ولا حتى رسول مسئول عن تبشير رومية ، وبنى الرب الكنيسة فى روما كما بناها فى دمشق وغيرها بواسطة

أناس مجهولين لم نسمع عنهم ، بل رآهم الرب واستخدمهم . أما الرأى بأن بطرس الرسول هو أول من أقام كنيسة روما فلا يظهر له أثر فى العهد الجديد، لأن بطرس نفسه كان فى أورشليم عند انعقاد المجمع الكنسى الأول فى أورشليم سنة ٥٠ م ( أعمال ١٥ : ٧ ) وفوق ذلك فإن الرسالة لا تذكر اسم الرسول بطرس بالمرة وهذا أمر يصعب تفسيره لو كان هو الذى أسسها . نعم تذكر التقاليد أن بطرس وبولس استشهدا فى روما . لكن ذلك لايعنى أنهما أو أن أى منهما مسئول عن تأسيس هذه الكنيسة .

تكوين الكنيسة :

انقسم علماء القرن الماضى إلى فريقين ، فبعضهم ومنهم باور وأتباعه كانوا قد اعتقدوا أن غالبية الكنيسة كانت من اليهود المتنصرين الذين قبلوا المسيح ولكنهم كانوا قد أبقوا على الناموس كعامل مساعد فى الخلاص ، أى أنهم كانوا أقرب إلى اليهوديين ، وبذلك كانوا ضد بولس فى آرائه .

أما الفريق الثانى وعلى رأسه Zahn زهن فإنه يوافق على رأى باور ولكنه يعارضه فى أنهم كانوا على خلاف شديد مع الرسول بولس .

أما علماء العصر الحاضر فيعتقدون أن الغالبية كانت من المسيحيين الأمم . أما الرسالة فإنها تظهر هذه الحقائق :

( أ ) كان فى الكنيسة جناح قوى من أصل يهودى ففى ( رومية ٢ : ١٧ — ٣ : ٨ ) . يعلن الرسول أن اليهود أنفسهم مهما عملوا وبرروا أنفسهم لازالوا خطاة .

فى ٣ : ٢١ — ٣١ يظهر الطريق الصحيح للبر وهو الإيمان بالمسيح ويبنى على ذلك دفاعه عن نفسه من أنه لا يبطل الناموس بعقيدته هذه ولكنه بالعكس فهى تثبت الناموس ( ٣ : ٣١ ) .

في ٤ : ١ يسمى إبرهيم « أبونا » ويضع نفسه مع اليهود في صيغة الجمع .

في ٦ : ١ — ٧ يحارب الموقف اللاناموسي على أنه موقف لامسيحي من ص ٩ — ١١ يدرس بعمق المسألة اليهودية المستعصية لذلك العصر الأول .

من ١٤ : ١ — ١٥ : ٣ يصف حالة بعض المسيحيين الضعفاء ، ومن يدقق النظر في هذا الجزء يلاحظ أنه كان يقصد اليهود .

أما الدليل الرئيسي على وجود عنصر يهودي قوي في الكنيسة فهو مضمون الرسالة نفسها إذ يؤكد تماماً على أن الخلاص ليس بأعمال الناموس بل ببر الإيمان بالمسيح يسوع .

(ب) ولكن كان بها أيضاً جناح أممي قوي وهذا يظهر :

( ١ : ٥ ، ١٣ — ١٥ ) يخاطبهم كأمم وأنه هو رسول الأمم ويؤكد ذلك في ١٥ : ١٥ — ١٩ إذ يقول « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولا مقدساً بالروح القدس » ( ع ١٦ أنظر ١٣ ) .

في ٦ : ١١ — ١٣ يذكرهم بخطاياهم السالفة وهي الخطايا التي تفشت في الأمم .

في ١١ : ١١ — ٢٤ : يحذر الأمم من الافتخار على الإسرائيليين والاعتقاد بأنهم أفضل منهم لأنهم مقبولون في الزيتونة بينما الاسرائيليون قد قطعوا منها . . إنه يحذرهم بشدة .

هذه كلها تدل على الكنيسة فى رومية كانت تتكون من جناحين قويين : الجناح اليهودى والجناح الأممى ، ويلوح أن هناك بعضاً من الجناحين من كان يريد أن يقوم بانشقاق فى الكنيسة ولكن الرسول يحذره بشدة ويدينه ( ١٦ : ١٧ و ١٨ ) .

**بعض مشاكل الرسالة :**

هناك بعض الأمور التى يتساءل عنها العلماء وعادة ما يسمونها مشكلات : من هذه الأسئلة ما يختص بالأصحاحات ٩ — ١١ وهل كانت إصلاح الرسالة أم أنها كتبت وحدها ثم أضافها الرسول إلى الرسالة عندما أرسلها إلى رومية ، ولكن المشكلة الأكثر تعقيداً فى هذه الرسالة هو أصحاح ١٦ وهذه المشكلة تتكون من شقين وهما :

( أ ) أصحاح ١٥ ينتهى فى ع ٣٣ بنهاية هى فى الحقيقة نهاية رسالة ؟

(ب) ص ١٦ مملوء بأسماء يرسل إليهم الرسول السلامات والتحيات مع أنه لم يزر الكنيسة من قبل حتى يعرف كل هذا العدد ، ثم أن معظم هذه الأسماء تظهر فى كنيسة أفسس . وعلى هذا فقد قيل إن ص ١٦ هو رسالة أرسلت إلى أفسس ثم وضعت مع رسالة رومية عندما جمعت رسائل الرسول بولس ولكن الحقيقة غير ذلك : فمن عادة الرسول أنه لم يكن يرسل تحيات إلى أشخاص فى الرسائل التى كان يرسلها إلى كنائس خدم فيها مثل كورنثوس وغلاطية وغيرها لئلا ينسى واحداً من الأعضاء فتحدث غيرة وانشقاقات ؟

ثانياً — هناك كثيرون ممن قابلهم الرسول فى أفسس كانوا أعضاء فى رومية ، ربما قضوا فى أفسس بعض الوقت ثم رجعوا إلى كنيستهم قبل أكيلا وبريسكلا وغيرهما .

**بعض المصطلحات الهامة فى الرسالة :**

تتميز رسالة رومية أنها كتبت فى ظرف لم يكن فيها الرسول فى حالة من الألم الرعوى من أجل كنيسة من الكنائس تجرى فيها اضطرابات وانشقاقات كما كان حاله عندما كتب رسائل كورنثوس أو غلاطية . . وغيرهما ، ولكنه كان فى حالة من الهدوء والراحة والتأمل العميق فيما عمله الرب معه فى السنوات العشر الماضية . وإلى جانب ذلك كان يريد أن يضع إنجيل المسيح ، كما اختبره هو فى حياته ، وكما رآه فى حياة الناس فى الحقول التبشيرية ، فى رسالة يرسلها إلى كنيسة لم يرها ولم تره من قبل ولذلك فقد جاءت هذه الرسالة أقرب إلى المقالات اللاهوتية فى كيفية صياغتها ، منها إلى رسالة شخصية تعتمل بالانفعالات المختلفة . ولقد استخدم فيها مجموعة ضخمة من الاصطلاحات التى وردت منثورة هنا وهناك فى رسائله الأخرى ، اصطلاحات أخذها من العهد القديم ومن اليهودية ومن الكتابات الهلينية ، ولكنه وضع فيها مفهوماً جديداً من الخبرة المسيحية التى خلقها إنجيل الله فى حياة كل من آمن من اليهود أو الأمم . وبذلك أضحت هذه المصطلحات قوالب لمفاهيم أخرى لم نعرفها من قبل . ولهذا يستحسن أن نعرف شيئاً عنها فى هذه المقدمة لكى تفتح لنا الطريق لنفهم فكر الرسول فى رسائله .

وتنقسم هذه المصطلحات إلى ثلاث مجموعات :

الأولى تتعلق بالإنسان وحالته فى خطيته قبل الإيمان .

والثانية تتعلق بعمل الله الفدائى فى المسيح يسوع .

والثالثة تتعلق بالإنسان المفدى الذى فى المسيح يسوع .

**اولا ــ ما يتعلق بحالة الانسان قبل الايمان :**

**١ ــ خطية :**

الخطية فى مفهومها هى كسر ناموس الله وقانونه ( رومية ٢ : ١٢ و ٢٣ ) ولذلك فعندما لا يعرف الناس الناموس فإنهم لا يعرفون الخطية لأن بالناموس معرفة الخطية ( ٣ : ٢٠ ) . وعندما يوجد الناموس فالناس يخطئون وتحسب عليهم خطاياهم لأنهم قد عرفوا ذلك عن طريق الناموس ( ٥ : ١٣ ) . وبحسب رسالة رومية فإن الناموس الذى يكشف الخطية لا يقتصر فقط على ناموس موسى المكتوب بل يمتد إلى الناموس الأدبى الطبيعى الذى يشير إليه الضمير ، الذى وضعه الرب فى قلب الإنسان ليقوم بتوبيخ الإنسان والاحتجاج ضده عندما يكسر هذا الناموس الأدبى ( رومية ٢ : ١٤ ــ ١٦ ) . فالخطية هى كسر للناموس بهذا المعنى الشامل . هذا الكسر ينتج من حالة تمركز الإنسان حول نفسه ووقوفه ضد الله فى عصيان وتمرد . أى أنه يضع نفسه فى مقابل الله فى ثورة ضده وعصيان لأمره ( ١ : ٢١ ــ ٣٢ ) وهذا ما يسميه الرسول بكلمة فجور ( ١ : ١٨ ، ٤ : ٥ ) .

ويستخدم الرسول مجموعة من الاصطلاحات ليعبر بها عن الخطية . فإلى جانب الكلمة أسيبيا asebeia ومعناها فجور وهى تصف الخطية ضد الله ( رومية ١ : ١٨ ) ، وتظهر الكلمة أديكيا وتترجم « إثم » ( ١ : ١٨ ) ومعناها الخطية فى مظهرها الاجتماعى أى عندما توجه إلى النفس أو إلى الآخرين. ثم يستخدم الكلمة Parakoé ( ٥ : ١٩ ) ومعناها معصية وهى الخطية إذا وجهت إلى الناموس . وفى وصف خطية آدم سماها Paraptooma . وغير ذلك .

٢ – ناموس Nomos :

إذا جاءت الكلمة بدون «الـ» التعريف فإنها قد تعنى الناموس فى معناه العام (٢ : ١٤ ب) ولكنها إذا جاءت معرفة فإنها بذلك تشير إلى ناموس موسى

وفى بعض الأحيان تعنى التوراة (٢ : ١٧ و ١٨) بما يحويه من وصايا وقوانين وفرائض وطقوس .

وقد تأتى هذه الكلمة لتعنى مبدأ : إما مبدأ مميت وهو مبدأ الخطية (٧ : ٢٣) وإما مبدأ محيي يؤدى بى إلى العتق والحرية (٨ : ٢) (مبدأ بمعنى عامل أو قوة فعالة تؤثر فى الإنسان norm) . ولهذا يجب أن نفرق بين هذه المعانى حتى لا نقع فى خطأ

٣ – جسد Sarx :

هـذه الكلمة لهـا معان كثيرة فى هذه الرسالة ولكن كل معانيها تتجه اتجاهين رئيسيين : المعنى الطبيعى والمعنى الأخلاقى .

أما المعنى الطبيعى الذى يشترك فيه الرسول مع كثير من كتاب العهد الجديد فهى :

– النسل الطبيعى (١ : ٣) صار من نسل داود حسب الجسد .

– جسم الإنسان (٢ : ٢٨) (الختان) فى اللحم أى فى الجسد .

– الإنسان بصفة عامة (٣ : ٢٠) كل ذى جسد لا يتبرر أمام الله بأعمال الناموس .

– الضعف الطبيعى للطبيعة البشرية التى لا تحتمل كثيراً (٦ : ٩) أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم .

أما المعنى الثانى فهو المعنى الأخلاقى .

— الحالة الشريرة والتى يعيش فيها الإنسان قبل قبوله للمسيح وسكنى الروح القدس فيه ( ٧ : ٥ ) إنها نقيض وجود الإنسان فى الروح .

— الطبيعة البشرية وقد سكنتها الخطية وحولتها إلى بؤرة فساد قاتل ( ٧ : ١٨ ) « ليس ساكن فى أى فى جسدى شئ صالح » .

ويظهر هذا المعنى فى غلاطية ٥ : ١٧ « لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسدوهذان يقاومان أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون » .

٤ — غضب :

الكلمة اليونانية orgos معناها هياج شديد مخرب ولكن أنبياء العهد القديم وضعوا فيها مضمونا أخلاقياً إذ جعلوها تعنى القضاء الإلهى المقدس الذى ينبع من طبيعة الله المطلقة ، القدوسة على كل ما هو شرير وفاسد . ولكن الغضب ليس فكرة نظرية أو لاهوتية ، ولكنه موقف نشط عامل لعقاب الشر فى العالم الشرير .

وعندما استعمل الرسول هذا الاصطلاح فى هذه الرسالة فإنه نسبه إلى الله ليعنى « غضب الله » ( ١ : ١٨ ) « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم . » . وهذا يعنى العقاب المستمر المعلن على جميع فجور الناس ، وهذا يتمثل فى ترك الله لهم وتسليمهم لذهن مرفوض ( ع ٢٤ و ٢٦ أنظر ٩ : ٢٢ ) . ثم تأتى ق ٢ : ٥ « وكذلك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب » هنا يعطى لهذا الموقف الإلهى مضموناً إسخاتولوجيا بمعنى أن لهذا الغضب كمال إذ يصل إلى النهاية ، وذلك فى يوم الغضب .

وترد هكذا بدون إضافة فى ٤ : ١٥ « لأن الناموس ينشئ غضباً » ، وفى ٥ : ٩ « . . بدمه نخلص به من الغضب » .

وهكذا نرى أنه إذا كان غضب الله هو موقفه ضد الشر فذلك لأن الإنسان هو الذى يزخر لنفسه الغضب بكسره للناموس فى هذا الدهر والدهر الآتى :

**ثانيا — ما عمله الله للفداء وكيف يناله الانسان :**

١ — نعمة : **Charis**

النعمة : هى المحبة الإلهية المقدسة فى حنانها الفادى وهى تتدفق على الخاطئ الذى لا يستحق . « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » ( ٣ : ٢٤ ، ٥ : ١٧ و ٢١ ، ٦ : ١ ) . ونوال البر بالنعمة هو ضد التبرر بالأعمال أو على سبيل أجرة ( ٤ : ٤ ) . والنعمة قد تعنى حالة التبرير والسلام التى يعيش فيها المؤمن نتيجة لتبريره بالإيمان ( ٥ : ٢ ) .

والنعمة هى نعمة الله ( ٥ : ١٥ ) وهى بيسوع المسيح ( ٥ : ١٥ )

٢ — بر dikaiosune :

أهم معنى لهذه الكلمة هو عندما تضاف إلى الله فتصبح « بر الله » . وهو الذى أعلن فى الإنجيل ( ١ : ١٧ ) وذلك فى مقابل « غضب الله » المعلن من السماء ( ١ : ١٨ ) . وقد ظهر هذا البر بدون أى عمل من الإنسان أو واسطة ناموسية ، مع أن الناموس يشهد له هو والأنبياء ( ٣ : ٢١ ) فما هو بر الله هذا ؟ جاءت الكلمة مرة بمعنى صلاح الله الطبيعى فى ثبات وعده فلا ينقضه ) . ( ٣ : ٣ و ٤ ) ولكنها تعنى أمراً آخر أكثر عمقاً فى العهد القديم ، يعنى اصطلاح « بر الله » عمل الله الفدائى لشعبه ونصرته لهم حتى وإن كانوا لا يستحقون

( إشعياء ٤٣ : ٢٢–٢٥ ) فهو أكثر من أن يكون صفة . كأن يكون الله عادلا يقيم عدله فيجازى المسئ ويحسن إلى الصالح . إنه يقف فى صف شعبه ويخلصه ويفتديه من الشر . وقد أخذ الرسول بولس هذا المعنى فالكلمة تعنى حركة الله وعمله للفداء وللخلاص ، ولكن مع فارق واحد وهو : إن كان الله فى العهد القديم يفتدى شعبه الذى دخل معه فى عهد، فإن بر الله كما يصفه الرسول بولس يعمل أكثر من ذلك إنه « يبرر الفاجر » ( ٤ : ٥ ) وهذا المعنى لا يستطيع أى يهودى أن يقبله . فبر الله إذن ليس شيئاً ميتافيزيقياً ولكنه عمل الله فى التاريخ لفداء البشر .

٣ – تبرير :

تأتى من الأصل اليونانى للكلمة « بر » وهى كلمة قضائية وليست فضيلة أخلاقية ، فالإنسان عندما يتبرر يصبح فى علاقة صالحة – علاقة صالحة – فى الموقف الصحيح من الله . ( ٥ : ١٠ ) . وقد يحاول الإنسان أن ينال ذلك بواسطة بره هو وأعماله ، كما فعل بنو إسرائيل ولكنهم فشلوا ( ١٠ : ٢و٣ ) أما الموقف الصحيح فهو أن الإنسان يناله بالإيمان . . وليس من أجل الإيمان وإلا لأصبح الإيمان عملا ، فيكون التبرير بالأجرة ( ٤ : ٣–٥ ، ٥ : ١ ) .

وإذا استعرنا المثل الذى قاله المسيح عن « الفريسى والعشار » ( لوقا ١٨ : ٩–١٤ ) نجد أن الفريسى لم يتبرر بأعماله ولكن العشار فى خجله طلب من الله الرحمة لأنه خاطئ ، ونزل هذا الرجل مبرراً إلى بيته .

فالتبرير لا يعنى العصمة من الخطية ولكنه وضع الإنسان فى المكان الصحيح من الله . .

٤ – فداء apolutroosis رومية ( ٣ : ٢٤ ) :

ومعناه فى اليونانية الفك من العبودية أو الأسر . وهو لايعنى ذلك فقط . . إن الرسول عندما يستعمل هذه الكلمة فإنه يعنى أن شخصاً آخر قد تدخل وأخذ الخطوة الأولى ودفع الفدية لكى يحرر هذا الشخص . والفدية كانت بيسوع المسيح بل هى يسوع المسيح ( ٣ : ٢٤ ) . فالإنسان لا يتحرر بمجهوده بل بفداء الله . . بالمسيح يسوع .

٥ – دم heima رومية ( ٣ : ٢٥ ) :

« بالفداء بدمه » ، ( ٥ : ٧ ) « بالجهد بموت » . وقد فسرها بعض العلماء على أنها تعنى « الحياة » وذلك لأنهم بنوها على لاويين ١٧ : ١١ « لأن نفس الإنسان هى فى الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس » ويقولون إن الدم معناه الحياة فإذا كان المسيح قد سفك دمه فهذا تعبير على أن حياته قد انسابت فى حياتنا لتعطينا حياة جديدة ، وهذا ما فعله المسيح – كما يقولون – على الصليب . فأينما استخدم الدم أو الموت بالنسبة للمسيح ولعمله الفدائى فهو يعنى أن حياته إتحدت بحياتنا .

ولكن الرسول بولس فى الحقيقة لا يعنى ذلك ، إن الدم يعنى الإجهاز على الحياة . . سلبها . فالمسيح لم يحرر حياته بل بذلها وضعها إلى الموت لأجلنا. إن هذا الفعل يقصد به عملا حرفياً ؛ ودم المسيح كفارى بمعنى حرفى وليس بمعنى تصوفى ، إن حياته تجئ فى حياتنا ، نعم ولكن هذا لا يعبر عنه بالدم ، الدم يعنى أنه مات من أجلى سافكاً دمه .

٦ – إيمان :

إن ص ٤ هو أعظم تفسير للايمان فى هذه الرسالة . فإيمان إبرهيم هو

موقف مستمر لإبرهيم من الله . إن موضوع الإيمان ليس مجموعة من العقائد ، ولكن الله نفسه : ثقة كاملة فيه واعتماد كلى عليه وذلك كرد على دعوته ووعده .

بهذه الثقة الكاملة أن الله يستطيع أن يعمل كل شئ ، نحن ننال التبرير والخلاص .

أحياناً قد يقوم الإيمان مقام الإنجيل .

**٧ – اختيار :**

( رومية ٨ : ١٨ – ٣٠ ، ٩ : ٢٩ – ٣٦ ) : هى كلمة تعبر عن الطريقة التى بها يجرى الله قصده الأسمى لفداء البشرية . فإذا كانت كل الخليقة تفدى من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فذلك مبنى على قصد الله فى الاختيار .

ولكن هناك اختيار فى الاختيار . فى العهد القديم اختار الله أناساً من الشعب لخدمته : إبرهيم ، موسى ، داود . وفى هذا المعنى الخاص فقد اختيرت إسرائيل نفسها لكى تحمد الرب . كورش اختاره الرب وهو لم يكن يعرف الرب ( إشعياء ٤٥ : ٤ ) . وبهذه الكيفية يعلن العهد القديم الاختيار الذى يفوق عقولنا .

والرسول بولس يعرف ذلك . فهو يهودى أصلا شديد التزمت ولكنه صار الآن رسولا للأمم ولا سبب لذلك سوى أن الرب اختاره بل سره أن يختاره لهذا العمل ( غلاطية ١ : ١٥ و ١٦ ) .

فالاختيار العام أى للفداء والخلاص أو الخاص أى للخدمة إنما يشير إلى الوراء إلى السر الأزلى لسلطان الله ومعرفته السابقة وتعيين النعمة المتفاضلة

ولكن الاختيار يشير أيضاً إلى المستقبل إلى مجد الكمال أى إلى الوقت الذى فيه تصبح الكنيسة فى صورة ابنه ( رومية ٨ : ٢٩ ) .

وأخيراً فإنه يشير إلى طرق الله النشطة فى العصر الحاضر . إننا نتأكد من عمل الله ومن تدبيره الذى يسود هذا العصر ، ولكن إن حاولنا أن نتفحص هذه الطرق أو ندرك سرها الأكمل فلن نستطيع ، يكفى أن يقول الرسول « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ . لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين » ( رومية ١١ : ٣٣ - ٣٦ ) .

**ثالثاً - الحالة التى يحيا فيها المفديون :**

**١ - قديس :**

فى هذه الرسالة وفى كل العهد الجديد تعنى عضو فى الكنيسة ( رومية ١ : ٧ ، ١ كورنثوس ١ : ٢ . . إلخ ) هذا هو معناها الأساسى . إنه إنسان قد أفرز وأصبح لله فى جسد المسيح .

ولكنها لا تعنى وجود أفراد أو جماعة مخصوصة داخل الكنيسة فهى ليست رتبة تمنح ولكنها إفراز من الله للشخص فهو قديس .

هذا العمل وهذا الوجود فى الكنيسة متضمن التقوى والإخلاص والحياة المسيحية الكاملة فالقديس هو الشخص المقدس الذى ظهرت فيه حياة المسيح.

**٢ - الروح : pneuma**

عندما تستعمل مع « الـ التعريف » دائماً تعنى الروح القدس ما لم يكن

هناك معنى آخر واضح ، أو أن يكون هناك مفهوم آخر تتطلبه القرينة . مثل (رومية ١ : ٩ ، ١١ : ٨) .

والروح القدس قد يسمى روح الله أو روح القداسة ( ١ : ٤ ) أو روح المسيح ( ٨ : ٩ ) أو روح الحياة ( ٨ : ٢ ) .

وبحسب الرسول بولس وخصوصاً فى رومية ٨ يجب أن نفسر عبارة « يسلك بحسب الروح » ( ع ١ و ٤ ) وعبارة « يهتم بما للروح أو اهتمام الروح » ( ع ٥ و ٦ ) لا تعنى الروح البشرية أو تعنى الاهتمامات الروحية بعكس المادية . كلا ، ولكنها تعنى بحسب روح الله أو الروح القدس الذى يسيطر فى الإنسان المؤمن الذى قبل المسيح .

٣ - المجد :

كلمة المجد doxa تنسب فى الغالب إلى الله نظرا لأن هذا المجد كان يظهر للشعب قديماً فى الهيكل أو خيمة الاجتماع أو على جبل سيناء ولهذا يقول الرسول بولس عن الامتيازات التى كانت لإسرائيل « لهم التبنى والمجد ... » . ( رومية ٩ : ٤ ) أى أنهم كانوا يرون مجد الله فى وسطهم . هذا المجد ظهر بكماله فى وجه يسوع المسيح ( ٢ كورنثوس ٤ : ٦ ) . هذا الإشراق فى وجه يسوع المسيح يعلنه الإنجيل الذى يسمى « إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله » ( ٢ كورنثوس ٤ : ٥ ) لكن رسالة رومية تكشف أن المؤمنين يشاركون هذا المجد أيضاً الذى وإن كانوا يختبرون شيئاً منه الآن ، لكنه هو ما زال رجاء يفتخرون به « ونفتخر على رجاء مجد الله » ( ٥ : ٢ ) لسوف يستعلن فى مجئ المسيح « فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » ( ٨ : ١٨ ) . إن هذا المجد يتضمن استعلان المؤمنين على أنهم أولاد الله ( ٨ : ١٩ ) . لا يعرفهم العالم الآن ولكن سوف يستعلنون . يعنى

المجد أيضاً فداء الأجساد « وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا » ( ٨ : ٢٣ ) .
هذه هى لمحات من المجد الذى يتمتع به المؤمنون الذين يئنون فى العالم الحاضر .

**فكر الرسول فى رسالة رومية :**

يلخص الرسول بولس معنى الإنجيل فى رسالة رومية فى ( ١ : ١٦و١٧) إذ يقول « لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا» . والكلمة «يستحى » ليست هى الوحيدة التى يستخدمها بهذا المعنى فى كتاباته ، فهو يكرر ذلك أيضاً فى كورنثوس وإن كان بتعبير مختلف ( ١ كورنثوس ١ : ١٨ — ٢ : ٥ ) ، إنه إذ ينادى بإنجيل يتركز حول شخص أسلمه شعبه للسلطة الرومانية ، متهمين إياه بالضلال فيرفعونه على صليب ويقتلونه كمجرم ، إذ ينادى بذلك يجب عليه أن يخجل فى نظر العالم وبحسب مقاييسه ، خاصة وهو يعلن إنجيله هذا فى أعظم مدن الأرض وأكثرها ثراء وأبشعها فساداً . ولكن الرسول لا ينظر إلى الإنجيل نظرة أهل العالم ، بل نظرة متناقضة ، نظرة لا يمكن أن تخطر على بال بشر .

فبدلا من أن يعتبره خبراً مملوءاً بالأسى عن شخص مات فإن الرسول يسميه إنجيلا . . بشارة مفرحة ، وفرحها لا يقتصر على إنسان واحد بل هو خبر مفرح للجميع لليهودى واليونانى . . للكل .

وبدلا من أن يعلنه كضعف ، يتكلم عنه كقوة الله التى لا يمكن أن تقاوم .

وبدلا من أن يملأه بالاتهامات ضد قاتلى سيده يصفه بأنه خلاص للجميع فهذا المصلوب الذى لم ينزل من على الصليب لكى يخلص نفسه ، هو نفسه المخلص العظيم . . مخلص العالم من عبودية الشر والفساد . . مخلصه من الخطية .

إن العالم الذى ينظر إلى مضمون الإنجيل باستهزاء واستنكار لا يعرفه ولا يفهمه ، أما هو قد اختبره فى حياته واختبر قوته فعرف أنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن .

هذه المقابلة الجذرية والحاسمة بين مفهوم العالم لحادثة المسيح والتفسير الحقيقى لها : هى الأساس للمقابلات التى تمتلئ بها هذه الرسالة ، فهى بالحق رسالة المقابلات .

فهناك مقابلة زمنية بين ما يسبق « الآن » وما يتبعها ( ٣ : ٢١ ) .

وهناك مقابلة بين آدم والمسيح ( ٥ : ١٢ — ٢١ ) .

وأخرى بين الروح والجسد ( ٨ : ١ — ١٧ ) .

ورابعة بين الإيمان والأعمال أى التبرير بالإيمان والتبرير بالأعمال ( ٤ : ١ — ٥ ) .

وخامسة بين الناموس والنعمة ( ٥ : ٢٠ — ٢١ ) .

وهكذا تظهر المقابلات الكثيرة التى أوجدها الإنجيل عندما جاء وعندما أعلنه الرسول بولس فى هذه الرسالة ، فهى مقابلات ترتبط بعضها ببعض وتتركز كلها حول الإنجيل .

**الحاجة لهذا الإنجيل ( ١ : ١٨ — ٣ : ٢٠ ، ٥ : ١١ — ٢١ ، ٧ : ٧ — ٢٥ ) :**

هذا الإنجيل الذى هو عمل إلهى عظيم ، لم يكن عملا ترفيهياً ولكنه جاء لحاجة ماسة . . حاجة الإنسان القاسية الأليمة . هذه الحاجة خلقتها الخطية التى تملكت العالم : اليهود والأمم جميعاً خطاة وينظر الرسول حوله ليجد علامات الخطية المروعة ويعددها فى كل بشاعتها . أما الأمر المهم فى هذه الخطية هو

أنها موجهة ضد الله الذى أعلن نفسه وإرادته للانسان . لقد أعلن نفسه للأمم ، لأن أموره الغير منظورة أى قدرته السرمدية ولاهوته ، أعلنها منذ خلق العالم فى المصنوعات التى خلقها ، ولكنهم مع ذلك لم يمجدوه ولم يشكروه ( ١ : ١٨ — ٢١ ) . وإلى جانب ذلك أعلن إرادته لهم إذ كتبها على قلوبهم ، ووضع فى داخلهم الضمير الذى يحتج ويشتكى عندما يكسرون إرادة الله ( ٢ : ١٤ — ١٦ ) .

ولكن رغم ذلك فقد أسلموا أنفسهم للشر ، وعبدوا المخلوق دون الخالق وحطموا كل المقاييس الأخلاقية ( ١ : ١٩ — ٣٢ ) .

وهذا لم يكن حال الأمم فقط بل اليهود أيضاً . الذين أعطاهم الله امتيازات أكثر فى إعلاناته : إذ أعلن لهم نفسه وإرادته فى الناموس الواضح ، ومع ذلك أخطأوا إليه . حفظوا الناموس ولكنهم لم يفهموه ، ولذلك لم يعملوه . عملوا بحسب حرفه ولكنهم جهلوا روحه ، عملوا ما تقوله الوصايا لا لكى يخضعوا لله . ولكن ليبرهنوا بر أنفسهم ( ٢ : ١٧ — ٢٩ ) إن روح الناموس هو أن يصبح الإنسان لله فى طاعة كاملة ومحبة بنوية ولكنهم رغم ذلك أخذوه على أنه افتخار كاذب . . إنهم لم يخضعوا لبر الله ( ١٠ : ٢ و ٣ )

إذن فالأمم واليهود قد أخطأوا ، ليس من يعمل صلاح ليس ولا واحد . الجميع زاغوا وفسدوا معاً ( ٣ : ٢٣ ) . هذه الحالة لم تكن متفشية فقط فى عهد الرسول ، بل كانت منذ البدء ، لأن الخطية دخلت إلى العالم بإنسان واحد الذى هو آدم ، وملك الموت على البشرية نتيجة لملك الخطية ( ٥ : ١٢ و ١٣ ) نعم إن الخطية لا يمكن أن تعرف أو تحسب إذا لم يكن هناك ناموس يكشفها ، ولكن الناموس العام الذى وضعه الله فى الإنسان جعله مسئولا . وهناك ما هو أخطر وأعمق من ذلك .

فالخطية قد ملكت على العالم نتيجة لخطية آدم لأن البشرية كانت واحدة فيه . هـــذه الوحدة Solidarity بين البشرية فى آدم عنصر هام جداً فى مفهوم الرسول بولس فهو يؤكد أن الجميع ،سواء أكان لديهم ناموس،أو بدون ناموس مكتوب ، قد ملك عليهم الموت نتيجة للخطية لأنهم أخطأوا بخطية آدم . ( ٥ : ١٢ – ٢١ ) .

ولكن كيف تحكمت الخطية فى الفرد ؟ لم يقتصر الأمر على الموقف الخاطئ الذى وجد الإنسان نفسه فيه بسبب آدم ، فهذا موقف خلق فيه الميل للخطية فصار يخطئ ، وبذلك صار مذنباً . إنه خاطئ من جراء خطية آدم وخطيته ، ولعل نقطة الضعف فى الإنسان حيث تكمن الخطية هى ما يسميها الرسول « بالجسد » ( ٧ : ١٨ و ٢٥ ) أى الطبيعة البشرية فى ميولها إلى العالم . ويصف الرسول بوضوح لا حد له عبودية الإنسان للخطية وعدم جدوى محاولته التخلص منها ، إنه أضعف من أن يعمل الصالح الذى يريده ؛ بل هو مدفوع لعمل الشر الذى لا يريده ، لأنه « لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى . فإنى أعلم أنه ليس ساكن فى أى فى جسدى شئ صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى أما أن أفعل الحسنى فلست أجد » ( ٧ : ١٧ و ١٨ ) . ما أبشع الدرك الذى نزل فيه الإنسان بسبب الخطية التى استعبدته .

ولكن أين الناموس ؟ ألم يعط الله البشر الناموس ؟ فلماذا لا يفعلونه لكى يحيوا به ؟ هنا يعطينا الرسول جواباً ، ما كان يخطر على بال إنسان أن شاول الطرسوسى الغيور على الناموس ، الذى فاق كل أترابه فى حفظه قد تغير رأيه فى الناموس تغيراً لا يمكن أن يحدث إلا بمعجزة . . بإعلان سماوى :

( أ ) لا ينكر الرسول أن الناموس مقدس وروحى ( ٧ : ١٢ و ١٤ ) . وأنه حسن ( ٧ : ١٦ ) . وهو مصدر الفخر والتعليم والتمييز فى كل الأمور ( ٣ : ١٧ و ١٨ ) ولكن فوق الكل إنه أقوال الله ( ٣ : ٢ ) .

(ب) ولكن الناموس لم يأت لكي يخلص الإنسان من الخطية : بل جاء لكي تكثر الخطية وكثرة الخطية تحدث في عدة أمور .

أولا : إظهارها : لأن بالناموس معرفة الخطية « بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس ، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته » ( ٧ : ٧ ) .

ثانياً : الحكم عليها وإعلان أن الإنسان مذنب حقاً « على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس » ( ٥ : ١٣ ) وبذلك أدان الناموس الإنسان الخاطئ إلى الموت . ولهذا فقد سمى ناموس الخطية لأنه يظهرها وناموس الموت لأنه يدين الإنسان ( ٨ : ١ و ٢ ) .

ثالثاً : إنه يدين فقط ثم يقف ضعيفاً أمام الخطية التي استخدمته لتكثر هي « ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة ، لأن بدون الناموس الخطية ميتة ، أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلا ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا » ( ٧ : ٨ و ٩ ) . ولهذا صارت الوصية التي كانت أصلا للحياة سبباً للموت ( ٧ : ١٠ ) ، وماذا عن إنسان كشاول الطرسوسي الذي كان يسير بحسب الناموس ، هل تستطيع الخطية أن تؤذيه ؟ نعم : وهنا يصل الرسول إلى الأعماق القاسية فيما عملته الخطية في الإنسان إذ يقول « لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني » ( ٧ : ١١ ) . لقد خدعت اليهودي المتمسك ودفعته لأن يستنفد كل جهده في إتمام الوصايا ، لا لكي يرضي الله ، بل لكي يرضي غروره ويظن أنه قد تمم كل شيء ، وما على الله الآن إلا أن يبرره ، لقد فعل اليهود ذلك لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله » ( ١٠ : ٣ ) ألا يعتبر هذا الكلام تفسيراً لاهوتياً لقصة الفريسي في مثل المسيح في ( لوقا ١٨ : ٩ — ١٤ ) .

هذا هو حال الناموس مع الإنسان الخاطئ . لا يمكن أن يتبرر به ( ٣ : ٢٠ ) بل دخل لكى تكثر الخطية ، لكى يدان الإنسان . فالخطية خاطئة جداً .

**كيف ظهر الإنجيل : ( ٣ : ٢١ — ٣١ )**

إذا كان الأمر هكذا . فهل يترك الله الإنسان ؟ كلا « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح . . . » ( رومية ٣ : ٢١ — ٣١ ) . عرفنا من قبل أن « بر الله » لا يعنى فقط صلاح الله الطبيعى ولكنه يعنى عمل الله ونشاطه الفدائى للانسان . هذا العمل ظهر الآن أى فى العصر الحاضر ( ٣ : ٢٦ ) . ويشدد الرسول على كلمة « الآن » لسببين هامين أولها : أن يظهر أنه جاء بالمسيح يسوع وفيه ، وثانيهما أن هذا البر ليس نظرية ولكنه عمل تاريخى قد حدث وظهر . فالرسول يشير بكل صراحة إلى حادثة خاصة ، أعلن الله فيها بره . . سماها من قبل « إنجيل يسوع المسيح » ( ١ : ١٦ ) .

( أ ) هذا البر ظهر فى يسوع المسيح . فى عمل خاص وحادثة محددة وهى حادثة موته . وبموت المسيح حدث الخلاص للجميع . ويعبر الرسول عن ذلك بكلمتين هامتين : الفداء هو اتخاذ الخطوة الأساسية فى فك الأسر وإنقاذ الإنسان من عبودية الخطية والموت . والكلمة الثانية هى كلمة كفارة وهى إرضاء قداسة الله الكاملة التى لا يمكن أن ترضى بالخطية ، ورفع غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس . وقد اختلف الكثيرون على معنى « كفارة » ( ٣ : ٢٥ ) . فقد رأى بعضهم فيها فكرة وثنية وهى محاولة إرضاء الله بواسطة ذبيحة تقدم له فيزول غضبه ، وهذا لا يليق بالله ربنا يسوع المسيح الذى « بين محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ( رومية ٥ : ٨ ) . ويقول أصحاب هذا الرأى إن كلمة كفارة تعنى كرسى

الرحمة أو غطاء التابوت الذى كان السيد يحل عليه ومن هناك ينادى بالغفران للكهنة والشعب معاً . من داخل قدس الأقداس فى يوم الكفارة العظيم .

ولكن الحقيقة التى لا يمكن تغافلها هى أن محبة الله محبة مقدسة وقدوسة ، ولا يمكن أن نتساهل فى الخطية ، ولا بد أن تكون هناك كفارة ، وقد أعدها هو . لن تنسى الخطايا الماضية (ع ٢٥) ، ولا تتغافل عن الخطايا فى العصر الحاضر (ع ٢٦) ولهذا فكلمة كفارة يجب أن تبقى بمعناها الأصلى ، ونعرف أن المسيح مات كفارة عن خطايانا . وخطايا كل العالم أيضاً .

(ب) ولكن كيف ينال الإنسان هذا الفداء وهذه الكفارة ؟ إن الجواب الوحيد للرسول بولس على ذلك هو الإيمان . إنه يكرر هذه الكلمة فى هذا الجزء (٣ : ٢١ — ٣١) أكثر من ٧ مرات : الإيمان بيسوع المسيح (ع ٢٢و ٢٦) الإيمان بدمه (ع ٢٥) ثم يكرر كلمة الإيمان مطلقة ، وذلك لأهميتها القصوى عنده والذى جعله يشدده هكذا هو جهل اليهودالذين ظلوا يؤكدون على الأعمال . . وإتمام الفرائض والطقوس لنوال التبرير .

ويكشف لنا الرسول مفهومه عن الإيمان فى ص ٤ حيث يضع أبانا إبرهيم وإيمانه كمثال لنا . إن الكتاب يقول عنه « فآمن إبرهيم بالله فحسبه له براً » (٤ : ٣) ، هذا الإيمان فى جوهره هو تصديق وعد الله ومحبته رغم كل الظروف التى تحيط بالإنسان وتدفعه للشك فى هذا الوعد والمحبة .

هذه الظروف تتلخص فى ضعف الإنسان المميت ، سواء أكان هذا الضعف خطية وتمرداً وعصياناً مما يسميه الرسول « فجراً » (٤ و ٥) أو ضعف جسمانى كضعف إبرهيم وسارة (٤ : ١٧ — ٢١) ، إنه ثقة كاملة تجعل الإنسان المفلس المائت يرتمى على الله الغنى الكامل فى محبته والقادر على كل شئ (ع ٢٠ و ٢١) .

فالخاطئ مهما كان فجره ، عندما يقف أمام الله مؤمناً وواثقاً فى شخصه وقدرته ومحبته ، سوف يبرره الله . فإبرهيم رغم موته الجسمانى قد تمم له الله الوعد وأعطاه النسل .

هذا الإيمان الواثق يتناقض تماماً مع الأعمال التى يظن الإنسان أنه بها ينال ما يرجوه . إن الإيمان يعتمد على نعمة الله « متبررين مجاناً » أما الأعمال فتطالب بالأجرة كأنها دين على الله ( ع ٤ ) وهذا افتراء عليه . بهذا الإيمان يستطيع الإنسان أن ينال التبرير .

هذا الإيمان موضوعه الله نفسه كما أعلن ذاته محباً وباراً فى يسوع المسيح الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا » ( ٤ : ٢٤و ٢٥ ) .

( ح ) بهذا الإيمان قد تبررنا ، إننا لم نتبرر كأجرة للايمان ولكن فيه فهو يصف موقفنا أمام الله . هذا التبرير يسميه الرسول المصالحة . فيموت المسيح قد نلنا المصالحة ، صالحنا الله فيه لنفسه قاتلا العداوة التى فصلت بيننا ( ٥ : ١٠ أنظر ٢ كورنثوس ٥ : ١٨ و ١٩ ) وخلصنا من الغضب الذى كان لنا بالمرصاد ( ٥ : ٩ ) . وتغيرت العداوة إلى سلام مع الله ( ٥ : ١) ودخلنا إلى نعمة الحياة الحقيقية . . الحياة الجديدة ( ٥ : ٢ ) . هذه الحياة فى النعمة ليست عطية حاضرة فقط ولكنها عطية المستقبل أيضاً . . إننا نفتخر على الرجاء الذى فيه يتمجد الله فينا وفى حياتنا ( ٥ : ٢ ) . وعلى هذا فإننا نفتخر أيضاً فى الضيقات التى تحيط بنا ، عالمين أن هذا الضيق لا يؤدى إلى تحطيمنا وكسرنا وانهزامنا بل إلى المجد لأنه ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى ، هذا كله يأتى لأن محبة«الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » ( ع ٣ — ٥ ) .

هذه الحالة المجيدة أعطانا الله إياها لأنه وهب لنا المسيح باذلا إياه عن خطايانا ووهب لنا الروح القدس ساكباً المحبة فى قلوبنا .

هذه هى الحياة التى ينالها المؤمن عندما يتبرر بالإيمان .

**سر الحياة الجديدة ( ٥ : ١ – ١١ و ٦ و ٨ )**

لكن الرسول لا يترك الأمر عند هذا الحد ولكنه يذهب إلى الأعماق فيرينا سر هذه الحياة المجيدة ، كيف تنساب فينا وكيف تظهر ؟ ما هو مداها وما هو مجدها ؟ .

( أ ) هذه الحياة الجديدة يكشفها الرسول عندما يتكلم عن المعمودية فى معرض حديثه عن نعمة الله المتكاثرة التى تستوجب الحياة المسيحية الحقيقية. فيقول « نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ، أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع اعتمدنا لموته . . » ( ٦ : ٢ و ٣ ) يربط هذه الحياة المجيدة بالمعمودية ، ليس لأن المعمودية هى التى تعطى الحياة الجديدة أو الولادة الجديدة ، كلا لأن هذه كلها هى عطية الله قد جهزها كلها فى المسيح يسوع « إنما المعمودية هى الخضوع الكلى بالإيمان لعمل الله فى المسيح » ولهذا فإننا ندفن مع المسيح ونتحد معه بشبه موته ( ع ٥ ) .

وكما أقيم هو نصير متحدين معه بقيامته فنسلك فى جدة الحياة . يعطى الرسول هنا أهمية كبرى للمعمودية ليس كسر ولكن كعمل فيه نسمع بالإيمان كلمة الله : إنه كما أعطانا الحياة الأبدية فى المسيح يسوع لغرسنا فى جسد المسيح أى فى كنيسته ، وبذلك نصبح فى المسيح أى متحدين معه فى جسده فى حياة مجيدة . . أعضاء فى الجسد .

هنا يصلب إنساننا العتيق وبذلك يبطل جسد الخطية. فلا نستعبد بعد لها

(ع ٦) . ويجب أن نفرق هنا بين إنساننا العتيق وجسد الخطية . فالإنسان العتيق ليس هو الجسد ولا هو الطبيعة البشرية الفاسدة التي تتحكم فيها الخطية. هذا يسميه الرسول الجسد ، ولكن الإنسان العتيق هو نفسه الأشياء القديمة (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) إنها البشرية الموحدة في آدم في مقابل الخليقة الجديدة التي هي جسد المسيح ، فالإنسان العتيق هو صلتنا بآدم الخطية ، انتقلنا منه ، صلب مع المسيح ، ماتت هذه الصلة القديمة بآدم فأصبحنا في المسيح . . انغرسنا في جسده . . وبهذا يضعف أو يبطل جسد الخطية . . إنه لا يموت ولكنه يبطل أي تنهد قوته ولا نعود بعد مستعبدين تحت الخطية .

هذه هي الناحية التي قد نسميها سلبية الحياة الجديدة ، إنساننا العتيق يصلب وتنتهي صلتنا بآدم : الإنسان الأول ، ونصبح أحياء للمسيح وفيه . . أعضاء في جسده . وبذلك لا يمكن أن نستعبد للخطية مرة أخرى .

(ب) ولكن هذه الحياة حياة إيجابية . . إنها حياة الروح (ص٨) . ولعل الرسول يصل هنا إلى المستوى الأسمى في معرفته للحياة المسيحية . لقد أصبحنا في المسيح الآن ، إذن فلا توجد علينا دينونة ، تبررنا بالإيمان فلنا سلام مع الله (٥ : ١ ، ٨ : ١) . هذه التبرير والتمتع به والإيقان منه هم من فعل روح الله القدوس الذي وهبنا الله إياه (٨ : ٩) . وهو أيضاً روح المسيح الذي لنا الذي يؤكد لنا أن المسيح أيضاً لنا وهو فينا (ع — ٩) . ويلاحظ هنا أن الرسول لا يذكر أي نوع من الأعمال التي يجب أن نتركها أو يجب أن نقوم بها ، ولكنه يذكر مبدأ أشمل : إن الذين يسلكون بالروح فبما للروح يهتمون ، مقابل أولئك الذين يسلكون بحسب الجسد فإنهم يهتمون للجسد ولكن ما هو اهتمام الجسد ؟ عداوة لله أما اهتمام الروح فهو الخضوع لناموس الله وعمل رضاه (ع ٧) . إن اهتمام الجسد هو موت أما اهتمام الروح فهو حياة وسلام (ع ٦) .

فإذا كانت الحياة المسيحية هى حياة الروح فماذا يعمل الروح القدس ؟ إنه يؤكد لنا — كما سبق — انتماءنا للمسيح (ع ٩) .

وهو الذى سيحيى أجسادنا وهو الذى يميت أعمال الجسد أى يحارب الجسد معنا ويقاومه حتى لا نعود للاستعباد له مرة أخرى (ع ٣) غلاطية ٥ : ١٦ و ١٧) وهو الذى يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فيطرح الخوف وروح العبودية إلى خارج ، لكى نتقدم بكل ثقة إليه واثقين أننا أبناء لله وأخوة للمسيح ووارثين معه (ع ١٥ — ١٧) .

وهو الذى يخلق فينا الرجاء لأنه يعلن لنا الأمجاد التى لنا رغم كل ما يحاصرنا من آلام وتعب . إنه الباكورة التى تكشف ما هو آت بعد من أمجاد ، وبذلك يخلق فينا الرجاء وسط الضيق . وليس فينا فقط بل فى كل الخليقة التى تئن متوقعة استعلان أبناء الله . فتحرر هذه الخليقة نفسها من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله (١٨ — ٢٥) .

أما ضعفاتنا ضعف صلاتنا فهو الذى يعيننا فيه ، لأنه يكشف لنا قلب الله ويكشف قلوبنا لله (ع ٢٦ و ٢٧) .

إنه يؤكد لنا محبة الله الذى اختارنا ودعانا بعد أن عيننا . وعرفنا ، ولهذا فهو يسير نا فى طريق السمو حتى نصبح مشابهين صورة ابنه ، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين (٢٨ — ٣٠) .

ولعل من يقرأ الجزء الأخير فى هذا الأصحاح يجد عمق اليقين والرجاء ، وهو شئ لا يمكن للعالم أن يتمتع به ، ولا أن يعرفه « فماذا نقول لهذا إن كان الله معنا فمن علينا . . من سيشتكى على مختارى الله ؟ الله هو الذى يبرر . . من سيفصلنا عن محبة المسيح . . فى هذه جميعها يتعظم انتصارنا بالذى أحبنا

فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة أو مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله فى المسيح يسوع ربنا ( ٣١ – ٣٩ ) ما أمجدها من حياة .

بر الله فى الاختيار التاريخى : ( ٩ – ١١ ) .

النظرة السطحية إلى نهاية الأصحاح الثامن وبداية الأصحاح التاسع تكشف أن لا ارتباط بين الإثنين ، فإذ ينهى الرسول وصف اختباره للحياة الروحية الجديدة فإنه يرفع من أعماق حياته أغنية النصرة ، ولكنه فجأة يصرخ من الألم أن له حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبه لا ينقطع . . أى صلة بين الاثنين ؟ لكن لدى التأمل العميق يجد الدارس أن الصلة وثيقة وكاملة بل ضرورية . ومكملة . ولو لم يكن هناك ص ٩ – ١١ لأحسسنا أن سؤالا هاماً وجذرياً لم يجب عليه الرسول . . فما هو ؟ وما هى هذه الصلة ؟ وماذا يريد أن يقول لنا فى هذه الأصحاحات ؟

سؤال حتمى :

أسلوب الرسول فى كتابة هذه الرسالة كان أسلوب الحوار ، فالقارئ يجد عدة أسئلة فى الأصحاحات السابقة . كأنما يقف واحد من اليهود لكى يعارضه ويحاول أن يجد خطأ فى مناقشته . ويوجد فى الأصحاحات الماضية لا أقل من ثمانية أسئلة : ٣ : ٥ و ٩ ، ٤ : ١ ، ٦ : ١ و ١٥ ، ٧ : ٢٧ ، ٨ : ٣١ و ٣٣ و ٣٤ . هذه الأسئلة واضحة يجيب عليها الرسول ، ولكن هناك سؤالا آخر لم يظهر ولم يذكر بوضوح . ولكن الرسول جلس ليجيب عليه فى ٣ أصحاحات كاملة هى ٩ – ١١ . ونستطيع أن نستنبط هذا السؤال من خلال مناقشته ويجرى على هذا المنوال : إذا كان الله البار قد أظهر بره فى تبرير الإنسان الخاطئ الذى يأتى إليه ، وإذا كان يفى بوعده

لكل إنسان يقبل فى إيمان كامل ، فهل تعتقد أن الله قد وفى بوعده لإسرائيل ؟ ألم يقل النبي إن الله سيبرر شعبه حتى ولو كان خاطئاً ؟ ألم يعدهم بالخلاص ؟ أين بره إذن فى هذه الأزمة القاصمة ؟ إننا نجدهم قد تقسوا ، ولعله رفضهم ولم يعد يقبلهم ، فكيف يمكننا أن نعتمد على بر الله وأمانته فى المدى البعيد إذا كان قد ترك هذا الشعب ، الذى اختاره ، هكذا يهلك ؟

هذا هو السؤال وهو سؤال حتمى وحاسم تسأله الأمم . وهم ينظرون باحتقار ، وفى نفس الوقت ، بخوف وشك إلى اليهود الذين رفضوا ابن الله وصلبوه . لقد جاء إليهم ولم يترك أرضهم بل بشرهم وقدم لهم نفسه ، ولكنهم لم يقبلوه . وفوق ذلك لم يريدوا أن يصدقوا أنه قام ولم يخضعوا ابن الله فيه : فلماذا هذا التقسى ؟ ولما جاء رسله يبشرون بالإنجيل أرادوا أن يقتلوهم بل قتلوا بعضهم فعلا وشردوا آخرين . فكيف نفسر هذه الظاهرة المحيرة ؟ هل سقطت كلمة الله ووعده ؟ هل رفض شعبه ؟

على هذا السؤال يجيب الرسول فى ثلاث نقاط : طبيعة إسرائيل — حاضر إسرائيل — رجاء إسرائيل .

**طبيعة إسرائيل :**

يبدأ الرسول بأن يكمل الإجابة على السؤال الذى وضعه فى ٣ : ١ . إذن ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان ، فهناك لم يذكر سوى جملة واحدة فى ع ٢ إذ يقول كثير على كل وجه : « أما أولا فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله » ثم لم يكمله ، فلم نجد ثانياً أو ثالثاً . . ولكنه يكمل هنا الإجابة ويعدد الامتيازات العظيمة التى كانت لهم ( ٩ : ٤ و ٥ ) « لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ، ولهم الآباء ومنهم المسيح

حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين » هذه الامتيازات العظيمة التى أعطاها لهم ، منها مواعيده ووعده تدل على أنه لا يمكن أن يترك كلمته هكذا تسقط ، إذن لماذا تقسى بعضهم بل والأكثرية منهم ؟

هنا يضعنا الرسول أمام تلك العقيدة القديمة التى أعلنها الروح القدس للأنبياء فى العهد القديم ، وأضحت واحداً من أعمدة اللاهوت الكتابى بل جوهر المعاملة الإلهية التى حكمت كل تاريخ شعب بنى إسرائيل : وهى عقيدة « البقية » فهذه العقيدة تحكم هذا الأصحاح الذى أسئ فهمه فى غالبية العصور المسيحية وظنه كثير من المفكرين المسيحيين إنه ملخص عقيدة الرسول بولس فى الاختيار والقضاء الإلهى ، ولم يعرفوا أن العبارات التى جاءت فى هذا الأصحاح التى يبنون عليها رأيهم هذا أوردها الرسول خصيصاً لكى يوضح عقيدة البقية التى هى الحل الأمثل للمشكلة اليهودية .

ويورد الرسول هذه العقيدة بالتدرج الآتى : البقية تبنى على الوعد الإلهى وليس على العلاقات البشرية ، فلأن اسحق ابن الموعد أضحى هو النسل الحقيقى دون إسماعيل الذى يشترك مع اسحق فى علاقته البشرية بإبرهيم ، ولكنه ليس ابن الموعد كإسحق ( ٩ : ٨ و ٩ ) .

وهى تبنى على بر الله وليس على البر البشرى كما حدث فى قصة يعقوب وعيسو ، فقد اختير يعقوب وهو لم يولد بعد لا هو ولا عيسو أخوه الذى رفض ، فالدعوة لا تبنى على الأعمال بل من الذى يدعو ( ١٠ — ١٣ ) .

وهنا يجاوب الرسول على سؤال بشرى يبنى على المنطق البشرى ولا يلحظ الدور الإلهى الذى يفوق تفكيرنا المحدود وجبلتنا الناقصة : « هل عند الله ظلم إذ يفعل ذلك ؟ » إن الرسول يواجه السائل نفسه لأنه فكر فى هذا السؤال : لماذا تسأل هكذا ؟ هل تستطيع الجبلة أن تقول لصانعها لماذا خلقتنى هكذا ؟ .

إن فرعون نفسه بكامل جبروته لا يستطيع أن يقاوم هدف الله وغرضه . إن جواب الرسول على السائل لا يقصد به إجابة السؤال بل إسكات السائل وتوبيخه لأنه لم يتأدب فى حضرة الله ( ٩ : ١٤ — ٢٣ ) .

ثم يبدأ الرسول قصة البقية بعد أن يهيئ القارئ فى ع ٢٤ عن دعوة الله لليهود وللأمم . ثم يورد أقوال الأنبياء فى هوشع ٢٥ و ٢٦ ثم إشعياء ٢٧ — ٢٩ . أنظر هوشع ٢ : ٢٣ ، ١ : ١٠ وإشعياء ١ : ٩ .

وبعد أن يبرهن الرسول « عن البقية » من تاريخ الشعب وأقوال الأنبياء يطبقها على الوقت الحاضر فى الأمم واليهود . وهنا يدخل الرسول عنصرين جديدين فى عقيدة البقية لم يعرفهما العهد القديم : العنصر الأول هو عنصر الأمم . لقد كانت البقية قديماً هى يهود أبرار فى وسط أمة ضالة . . كلهم من أمة واحدة ، ولا دخل للأمم هنا ، أما الرسول فقد رأى فى البقية يهوداً وأمماً لأن الحاجز بين الاثنين قد انتهى .

أما العنصر الثانى فهو عنصر الإيمان ، وهذا ما أراد الرسول أن يثبته من أول الأصحاح وخاصة فى قضية يعقوب وعيسو ، إن الأنبياء قديماً فهموا أن البقية هى الجماعة البارة التى لم تسجد لبعل بل حفظت كل وصايا الله ( ١١ : ٤ ، إشعياء ١ : ٩ ، ١٠ : ٢٢ ) . أما الآن فقد صار الإيمان لا البر الناموسى هو الأساس الكامل للبقية ، وإلا فكيف ينجو الأمم ، وكيف دخلوا إلى حظيرة الرب كما هو واضح فى ( ٩ : ٣٠ — ٣٣ ) .

إذن فإسرائيل الحقيقى ليس هو ابن الجسد ولا هو من يريد أن يبرر نفسه ويعتمد على قدرته ، ولكنه إسرائيل الموعد ، إسرائيل الإيمان . . إنه البقية الحقيقية التى نبتت فى وسط الضلال ، بقية قوامها الإسرائيليون الذين يخضعون

لبر الله والأمم الذين قبلوا المسيح . . هذه هى طبيعة إسرائيل وعلى هذا الأساس فكلمة الله لم تسقط بل هى باقية ووعده البار كما هو .

موقف إسرائيل الحاضر :

إذا كان الوعد للبقية إذن فما هو موقف اليهود أبناء إبرهيم بالجسد ؟ وماذا يقول عنهم الرسول ؟ يصف الرسول حالهم مستخدماً مجموعة من الألفاظ المؤلمة عنهم ( ١٠ : ١ — ١١ : ١٠ ) فيقول عنهم :

جهلاء :

ولكنه ليس جهلا عقلياً ، فما أكثر علماؤهم . ولكنه جهل دينى لاهوتى . لقد جهلوا بر الله فحاولوا أن يثبتوا بر أنفسهم ( ١٠ : ٣ ) ظنوا أن البر الذى يطلبه الله هو أن يقوموا بإتمام الناموس حرفياً ، فلما فعلوا ذلك خدعتهم الخطية ووثقوا فى أنفسهم ولم يخضعوا لبر الله .

وقد جهلوا القصد الأسمى من الناموس ، ولم يعرفوا أن « غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن ( ١٠ : ٣ ) . ظنوه أنه هدف فى ذاته ولم يريدوا أن يعرفوا أنه مؤدبنا إلى المسيح ، فجعلوا منه صنماً يعبدونه . لو فتحوا أذهانهم لعرفوا الطريق الصحيح الذى يلخصه الرسول « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » ( ١٠ : ٩ ) .

ولكن ألم يكونوا معذورين فى هذا الجهل ؟ ألم يأتمنهم الله على الناموس ؟ ألم يشدد عليهم أن يعملوه ؟ الجواب كلا . . لقد أرسل لهم الرب كارزين ليبشروهم بالمسيح بر الله لقد دوت فى آذانهم كلمات النبى قديماً مشيراً إلى المسيح « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » ولكنهم رفضوا وتقسوا ولم يريدوا أن يسمعوا . . إن جهلهم صار مطبقاً ( ١٠ : ١٤— ٢١ ) .

**وهم قساة :**

عندما جاء الكارز ، قبلته البقية ، وهذا دليل على أن الله لم يرفض شعبه ، فمعنى الرفض عند الرسول هو إنهاء حالة العهد مع الشعب كله ، بكل أفراده وحرمانهم من الفرصة للتوبة ، وإذا كان كذلك فإن قبول البعض منهم للمسيح وخضوعهم لبر الله يدل على أن الله باق على عهده وأنه أبقى لهم بقية . ولعل أهم برهان على ذلك هو الرسول نفسه ، فهو كواحد من أعتى اليهود وأقساهم قد جذبته النعمة وقبل المسيح ( ١١ : ١ — ٧ ) .

هذا عن البقية ، أما الشعب كافة فقد تقسى . وتمت فيهم النبوات التى قيلت عنهم « أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم (أنظر تثنية ٢٩ : ٢٤، إشعياء ٢٩ : ١٠ ، ٣٥ : ١ ) وداود يقول : لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم لتظلم أعينهم كى لا يبصروا ولتحن ظهورهم فى كل حين » مزمور ٦٩ : ٢٢ و ٢٣ ) ، (٧ — ١٠ ) .

**وهم عثروا :**

يقول الرسول « فأقول ألعلهم عثروا لكى يسقطوا . . » ( ١١ : ١١ ) لقد صار المسيح لهم حجر صدمة وصخرة عثرة اصطدم به هؤلاء فعثروا ، ويقول الرسول نفسه عن الصليب إنه صار لليونانيين جهالة أما لليهود فقد صار عثرة ( ١ كورنثوس ١ : ٢٣ ) . لأنهم طلبوا مسيحاً آخر يحقق لهم ما أرادوه بالجسد ، أما من يخلصهم من خطيتهم ويعلن لهم بر الله فهذا قد عثروا واصطدموا به .

**رجاء إسرائيل: ( ١١ : ١١ — ٣٥ )**

ولكن هذا كله كان فى علم الله وتدبيره السابق فلم يكن نهاية المطاف .

فإن عثرتهم هذه لم تكن للسقوط الأبدى كما عرفنا من قبل ويورد الرسول خطوات الرجاء الباقى لإسرائيل :

أولا : استخدم عثرتهم هذه فى دخول الأمم إلى الإيمان إذ « بزلتهم صار الخلاص للأمم » ( ١١ : ١١ ) . ولم يكن هذا القول « مقولة » لاهوتية نظرية بل اكتشف الرسول السر فى حقل الخدمة فعندما كان يذهب إلى مكان ليبشر فيه كان يدخل إلى اليهود أولا ليقدم لهم الإنجيل ، وكانت العادة أن يرفضوه إن لم يكن كلهم فعلى الأقل أكثرهم . وعندئذ ينفتح الباب للأمم فيذهب إليهم بإنجيله (أنظر أعمال ١٣ : ٤٦ — ٥١ ، ١٤ : ١ — ٧ . . إلخ ) هذه القساوة دفعت المبشرين إلى الأمم . وهكذا بدأت البقية من الأمم تدخل إلى الحظيرة . وهنا يعطينا الرسول تشبيهاً من الزيتونة ؛ فالزيتونة البرية التى لم تثمر هى زيتونة الأمم قطعت منها أغصانها ثم طعمت فى الزيتونة الحقة ، وهى زيتونة الكنيسة بكل ما يتصل بها ، وزيتونة ملكوت الله فصار الأمم شركاء فى أصل الزيتونة ودسمها . . كل هذا جاء نتيجة قساوة اليهود وعدم قبولهم للمسيح . . إنه باب عظيم للأمم .

ولكن هناك أمراً ثانياً ، وهو أن قبول الأمم يثير شيئاً آخر وهو « إغارة » اليهود ، أى أنهم يحسون بالغيرة من الأمم فينجذبون إلى الإنجيل . ولهذا السبب يقول الرسول « فإنى أقول لكم أيها الأمم . بما أنى رسول للأمم أمجد خدمتى لعلى أغير أنسبائى وأخلص أناساً منهم » ( ١١ : ١٣ و ١٤ ) . فخدمة الرسول للأمم لها هدف بعيد هو إرجاع إخوته وأنسبائه حسب الجسد وأن يغيرهم فتتم النبوة القديمة « أنا أغيركم بما ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم ( ١٠ : ١٩ أنظر تثنية ٣٢ : ٢١ ) . هذه الغيرة تدفعهم لا إلى المحاربة البشعة الجاهلة كما فعلوا فى أول الخدمة ، ولكن إلى انفتاح الأعين وقبول المسيح

كما يفعل الأمم ، فيرجعون إلى امتيازاتهم العظيمة . ولعل الرسول كان مهتماً جداً بهذا الأمر . وكان يعتقد أن جمع الأموال من الأمم لليهود لتوزيعها على فقرائهم فى أورشليم واليهودية هو عامل فعال فى إغارتهم وحثهم على الرجوع .

وفى هذا الموقف يتجه الرسول إلى الأمم الذين كانوا على غير وفاق مع اليهود ، وغالباً ما كانوا يحتقرونهم فيقول لهم « إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون إقتبالهم إلا حياة من الأموات » ( ١١ : ١٥ ) فرفضهم كان بركة للأمم فيجب ألا يحتقروهم ، بل بالعكس يصلون إلى الله لعلهم يرجعون ، فبركة رجوعهم ستكون أعظم وأمجد . ثم أنه يحذرهم ألا يفتخروا عليهم فيسقطوا فى نفس العثرة التى وقع فيها اليهود . إنهم زيتونة برية قد قلمت وطعمت فى الزيتونة الحقيقية فإن لم يخافوا ويتمموا خلاصهم بخوف ورعدة فما أسهل قطعهم . . « لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً » ( ع ٢١ ) .

إن الله قادر أن يطعمهم فى زيتونتهم الطبيعية كما فعل مع الأمم الذين طعمهم فى زيتونة مغايرة .

ولكن الرسول يوجهنا إلى أمر ثالث وأخيراً وهو كشف سر لم يعرفه الأمم مفاده أن « القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل ، إلى أن يدخل ملؤ الأمم » أى أن القساوة ليست تامة لا رجعة فيها وكلمة « جزئياً » قد تعنى أنها حصلت لجماعة دون أخرى من إسرائيل وهذا القول يؤيده الموقف الذى يصفه الرسول من أن الرب لم يرفض شعبه لأنه قبل جماعة منهم وهو واحد من المقبولين ( ١١ : ١ ) . وقد تعنى مدة من الزمن وتؤيدها عبارة « إلى أن يدخل ملؤ الأمم » ( ع ٢٥ ) . على كل حال فالكلمة جزئياً قد تعبر عن

المعنيين معاً أى أن جماعة منهم حتى وإن كانت أغلبيتهم قد تقسوا ، وأن هذه القساوة سوف تستمر مدة من الزمن وتنتهى . .

أما العبارة الصعبة فهى « وهكذا يخلص جميع إسرائيل » ( ع ٢٦ ) فماذا يقصد بجميع إسرائيل؟هل هم إسرائيل حسب الجسد؟ أم هم إسرائيل الروحى الذى يتكون من اليهود والأمم الذين يقبلون المسيح ؟ لقد انقسم المفسرون إزاء هذه العبارة الصعبة ، ولكن رغم كل انقسام فإننا نرى أن كلمة «جميع» ليست مطلقة ، فالرسول لا يقصد كل اليهود الذين تقسوا وماتوا والذين لم يتقسوا ، وفكر الرسول كله يقف ضد هذه العبارة . . إن الذين يخلصون هم جميع المعينين للحياة الأبدية . . إن رجاء إسرائيل فى المستقبل هو الرب .

وهنا يلخص الرسول كل تفكيره من جهة اليهود وعلاقتهم بالأمم « من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم . . وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء » ( ع ٢٨ ) . فى عصر الإنجيل هذا قد أظهروا عداوتهم له لكى يخلص الأمم ، ولكن هذه ليست النهاية فإن وعد الرب لآبائهم لن يسقط أبداً وكلمته لن يغفل عن إقامتها ، ولهذا فسوف يغيرهم بالأمم ويعمل بقوة لكى يرجعوا ويقبلوا المسيح . هذا هو الطريق «فإنكم كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضاً برحمتكم ( ع ٣٠ و ٣١ ) فالله قد أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع » الطريق الوحيد هو الخلاص المقدم الآن . . هو الإنجيل . . هو الرحمة التى قدمت للأمم وتقدم أيضاً لليهود لكى يقبلوها كما قبلها الأمم .

وهنا فى رهبة الإعلان ينطق الرسول بمجد حكمة الله « ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ، لأن

من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ لأنه منه وله وبه كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين ( ٣٣ – ٣٦ ) .

ب الحياة الجديدة :

هذه الحياة الجديدة – حياة البر تظهر للجميع فى أمور عديدة :

١ – الصلة العميقة بالله بأن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية وأن يتغيروا عن شكل العالم ليكونوا لله ( ١٢ : ١ – ٣ ) .

٢ – الصلة العميقة التى تحكم المؤمنين فهم جسد المسيح وقد قسم الله لكل واحد موهبة فيجب أن يستخدمها فى خدمة الآخرين كأعضاء للجسد الواحد ( ١٢ : ٤ – ١٣ ) .

٣ – صلتهم بالجماعة الخارجين حتى الذين يضطهدونهم فلا بد أن يصلوا لأجل الجميع ويظهروا بمنظر حسن أمام جميع الناس ( ١١ : ١٥ – ٢١ ) .

٤ – خضوعهم لأصحاب السلطان طالما هم يفعلون كل عمل لأجل خير الجميع وكل من تحت سلطانهم ( ١٣ : ١ – ٧ ) .

٥ – المحبة هى الدين الوحيد الذى يجب أن يوفره للجميع ( ١٣ : ٨–١٠ ) .

٦ – الاستعداد الكامل لمواجهة العالم ومجئ الرب ( ١٣ : ١١ – ١٤ ) .

٧ – يجب أن يقبل الأقوياء الضعفاء بما هم فيه فلا يعثروهم ولا يهتمون بأمور طقسية قد لا تنفع بل تضر . ويلخص الرسول ذلك فى قوله « فلنعكف إذن على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض ( ١٤ : ١٩ ) .

وبعد أن ينبر الرسول على هذه العلاقة الخاصة فى كنيسة المسيح .

وفى ( ص١٤ ، ١٥ : ١–١٤ ) يبين لهم سبب زيارته لهم كما سبق أن عرفنا .

فى ١٥ : ١٤ — ٣٣ ويقدم له التحيات الكثيرة والبركة الرسولية ص ١٦ :

وإلى هنا تنتهى هذه الرسالة البالغة العمق التى صار لها فى كل تاريخ المسيحية سلطان قوى كما وضح فى أغسطينوس ولوثر وكارل بارت وغيرهم من عمالقة الإيمان المسيحى .

# رسالتا كورنثوس

رسالتا كورنثوس من أطول الرسائل التى كتبها الرسول بولس . فهما ورسالة رومية أطول رسائله . ولكنهما ليسا كرسالة رومية فى أسلوب الكتابة . فبينما تسير رسالة رومية فى انتظام فكرى ملحوظ يسيطر على الرسالتين تنوع غريب فى أسلوب الكتابة كما سنرى فيما بعد .

**مدينة كورنثوس :**

ولكن قبل الدخول فى تفاصيل الرسالة علينا أن نعرف شيئاً عن مدينة كورنثوس : هذه المدينة بنيت على أنقاض كورنثوس القديمة الشهيرة فى العالم الهلينى ، التى هدمت سنة ١٤٦ ق. م وفى سنة ٤٥ ق. م أعاد يوليوس قيصر بناءها وجعلها مقاطعة رومانية يسكنها الجنود القدامى ، وفى سنة ٢٧ ق. م عندما انعزلت اليونان عن مكدونية لتكون مع أبيروس إقليم أخائية صارت كورنثوس عاصمة هذا الإقليم الكبير وموطن الحاكم الرومانى . ولكن لم تكن هذه المقاطعة تحت إشراف الامبراطور بل تحت حكم مجلس الشيوخ الرومانى .

أما موقع كورنثوس الجغرافى فقد أعطاها امتيازاً هائلا ، فهى تقع بين بحرين يحدانها من الشرق والغرب وعلى كل واحد منهما أقيم ميناء ضخم ،

فالميناء الشرقى اسمه كنخريا والميناء الغربى كاليخيوم . وهذا جعل من كورنثوس مركزاً تجارياً لا يبارى فى مجده .

ومما زاد فى أهميتها مرور الطريق العظيم الذى يربط بين الشرق والغرب بها ، فجعلها أيضاً مركزاً برياً للتجارة إلى جانب أنها مركز بحرى عظيم .

ونظراً لأن السفن كانت تخشى الدوران حول الجزء الجنوبى من بلاد اليونان فكانت ترسو على أحد الميناءين وتنقل البضائع بواسطة سفن صغيرة إلى الميناء الآخر ليعاد شحنها فى سفن كبيرة ، وكانت السفن الصغيرة تحمل على قوارب أرضية تسير على عجل وتدفع إلى الناحية الأخرى . فصارت كورنثوس من أشهر المدن التجارية .

لهذا السبب كثرت فيها الجنسيات وتعددت أنواع الناس الذين سكنوها فصارت مدينة عالمية من حيث التجارة وتنوع الجنسيات التى تسكنها .

وكان لهذا التنوع الكبير أثره الواضح ، فالمدينة لم تضارع أثينا مثلا فى ثقافتها وحضارتها ولكن فى غناها واقتصادها كانت مشهورة جداً . وفيها أيضاً التقى آلهة الغرب والشرق فالتقى فيها جوبيتر وأرطاميس وأفرودتس مع آلهة الشرق كإيزيس وسيرابيس وغيرها . ولكن كان أهم معبد فى المدينة هو ما أقيم لأفرودتس على رابية عالية جداً وهناك كرست أكثر من ألف امرأة أجسادهن لخدمة هذه الآلهة مما جعلها تشابه عشتاروث آلهة الشرق القديمة فى شرها وفجورها . لقد أثر ذلك على سمعة المدينة فأصبحت كورنثوس مرادفة للرذيلة والانحطاط الأخلاقى ولعل الرسول بولس كان يصف الجو الذى كان يسودها فى ذلك الوقت عندما كتب عن خطايا الأمم فى رسالته إلى رومية ( ١ : ١٨ - ٣٢ ) ؛ وظهرت فيها أيضاً الفروق الاجتماعية المتطرفة

فكان فيها الفقر المدقع إلى جانب الغنى والترف المبتذل . فكانت كورنثوس لذلك بلد الفساد مشهورة فى أنحاء الامبراطورية بفسادها وتطرفها فى كل شئ .

ومما زاد فى شهرة المدينة تلك الألعاب التى كانت تقام سنوياً فى أسثيموس Isthmes التى لا تبعد عنها أكثر من عشرة أميال . وكان الاستعداد لهذه الألعاب يستمر شهوراً حيث تتدفق على كورنثوس جموع غفيرة من الرياضيين والزوار والتجار وطالبوا المتعة . ولعل الرسول بولس رأى بعض هذه الألعاب فى ربيع سنة ٥١ م فاتخذ منها تشبيهاً للحياة المسيحية ووصفها وصف من رآها مرأى العين ( ١ كورنثوس ٩ : ٢٤ — ٢٧ ) .

**كيف تكونت كنيسة كورنثوس :**

سبق أن عرفنا أن الرسول بولس فى رحلته الثانية مضى إلى أوربا فذهب إلى فيلبى فى مكدونية ، وبعدها ذهب إلى تسالونيكى ثم إلى بيريه ثم إلى أثينا ، وبعد خطابه المشهور هناك أقلع إلى كورنثوس بعد أن لحق به سيلا وتيموثاوس هنا بدأ الرسول معسكراً للتبشير يعد من أقوى ما فعل فى رحلاته التبشيرية .

تعرف قبل كل شئ على زوجين أكيلا وبريسكلا وقد كانا يهوديين مسيحيين يعملان فى صناعة الخيام فى روما ، ولكنهما طردا مع اليهود الذين طردهم كلوديوس قيصر من رومة فجاءا إلى كورنثوس ، وتقابل معهما الرسول وأقام معهما ، فكانا له عوناً كبيراً ( أعمال ١٨ : ١ — ٣ ) . ومما ساعد الرسول أيضاً أن كان فى المدينة مجمع لليهود كبير ، فركز خدمته فيه ونجح فى اجتذاب الكثيرين منهم وعلى رأسهم كريسبس رئيس المجمع وأهل بيته ( أعمال ١٨ : ٨ ) . ولكن لما رفضه اليهود بعد أن ناقشهم فى المجمع عدة سبوت وقاوموه بشدة نفض ثيابه وقال لهم « دمكم على رؤوسكم . أنا

برئ ، من الآن أذهب إلى الأمم » ( ١٨ : ٤ ــ ٦ ) وذهب إلى يوستس رجل متعبد لله ، بيته يلاصق المجمع . مكث الرسول سنة ونصف يعظ ويبشر فى المدينة بعد أن شجعه الرب فى رؤيا فى الليل وتكونت كنيسة كبيرة لها وزنها فى المجتمع المسيحى .

وأخيراً أراد اليهود أن يطردوه من المدينة ولكنهم فشلوا ، لأن الحاكم رفض طلبهم وطردهم من محضره . . فمكث بعد ذلك مدة وذهب هو وأكيلا وبريسكلا إلى أفسس وتركهما هناك وسافر هو إلى قيصرية وأنطاكية .

ولقد زار بولس هذه الكنيسة بعد أن تركها الرسول بولس . وأبولس هذا كان يهودياً إسكندرياً مدرباً تدريباً عالياً فى الخطابة ، وله ثقافة واسعة ومعرفة عميقة فى الكتب المقدسة ، ولكنه كان لا يعرف إلا معمودية يوحنا . فلما وصل إلى أفسس أولا : أخذه أكيلا وبريسكلا إلى مكانهما وهناك شرحا له كل ما يختص بيسوع المسيح بكل وضوح . ثم أراد أن يذهب إلى أخائية فأخذ وصية من الأخوة وذهب إلى كورنثوس وساعد كثيراً بقوة حجته على إفحام اليهود مبيناً من الكتب أن يسوع الناصرى هو المسيح . وقد كانت خدمته ناجحة قوية كما يشير الرسول نفسه إلى ذلك ( ١ كورنثوس ٣ : ٥ ــ ٩ ) . وبهذا العمل الذى قدمه أبلوس تقوت كنيسة كورنثوس وتثبتت كثيراً فى طريق الرب . ومع ذلك فقد كانت هناك نتائج أخرى لخدمته ، نتائج لم يسر لها بولس ولا أبولس بل حزنا جداً لها كما سنرى فيما بعد (١ كورنثوس ١٦ : ١٢ ) .

**نوعية الكنيسة :**

ولكن ما نوعية هذه الكنيسة ؟

١ ــ كانت الغالبية العظمى منها من أصل أممى (١ كورنثوس ١٢ : ٢ )

ومع ذلك فقد كان بها عدداً لا بأس به من اليهود ، يخاطبهم الرسول فى ١ كورنثوس ١٠ : ١ — ١١ فيقول عن إسرائيل البرية « آباؤنا » . وكانت الغالبية أيضاً من الطبقات الفقيرة التى لم ترتفع إلى مستوى الارستقراطية التى ظهرت فى المدينة . ولهذا يخاطبهم الرسول بقوله « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » ( ١ كورنثوس ١ : ٢٦ — ٣١ ) . ومع ذلك فقد كان فيهم أيضاً جماعة من الأغنياء والشرفاء والمتعلمين ( ١ كورنثوس ١١ : ٢١ و ٢٢ ، أعمال ١٨ : ٨ ، رومية ١٦ : ٢٣ ) وبهذا تكون الكنيسة عبارة عن طبقات اجتماعية متمايزة فى الدين والثروة والعلم جمعتهم جميعاً كلمة الله التى نادى بها الرسول .

٢ — إلى جانب ذلك حمل كثيرون منهم عاداتهم الوثنية إلى الكنيسة ، فظهرت فيها أمور لم تظهر فى كنيسة أخرى . فمثلا لم ينسوا تلك العادة القديمة المتفشية وسط المتعلمين حيث ينضوى كل واحد منهم تحت راية معلم من المعلمين ويفاخر الآخرين به ( ١ كورنثوس ٢ : ١٠ — ١٣ ، ٣ : ١ — ١١ ) فبعضهم فاخر بالرسول بولس على أنه الرجل الذى أسس الكنيسة ونشر كلمة الله ، وفاخر الآخرون بأبولس الرجل الفصيح الذى لا يستطيع بولس مهما أوتى من ذلاقة لسان ، أن يجاريه فى العلم والخطابة ، ومن هو بولس هذا ؟ وما هى بشارته ؟ أليست كلمات بسيطة خالية من الحكمة والفلسفة والعلم ( ٢ كورنثوس ١١ : ٦ ) ؟ وماذا عمل ؟ لو كان يعرف أن لنفسه قدراً ولرسالته أهمية لطلب ثمنها أموالا طائلة كما يفعل الفلاسفة . كلا إن أبولس هو الرجل وهو المعلم والفيلسوف . وفاخر بعض ثالث بصفا أى بطرس . ونحن لا ندرى أية صلة لبطرس بهذه الكنيسة ؟ هل زارها ؟ يظن البعض ذلك نظراً لأن الرسول يذكر إسمه فى الرسالة كشخص معروف جيداً لهم ( ١

كورنثوس ١ : ١٢ ، ٩ : ٥ ) . ولو افترضنا أنه لم يزرهم فلا بد أنهم قد سمعوا عنه الكثير . فهو التلميذ المشهور ليسوع المسيح وهذا ما يميزه عن بولس وأبولس . وفاخر البعض الرابع بأنه للمسيح ، ولسنا ندرى أى نوع كان هؤلاء ، لعلهم لم يكونوا أحسن حالا من الباقين وإلا لما أدخلوا المسيح نفسه فى الانقسامات .

وحمل بعضهم فكرة الزواج الروحى فيتزوج رجل من عذراء ويبقيان هكذا دون صلات جسدية ( ١ كورنثوس ٧ : ٣ — ٥ ، ٣٥ — ٣٧ ) وظنوا أن هذا هو النظام المسيحى الحقيقى .

وظهرت فى الكنيسة مجموعة من النساء الموهوبات للقيادة ، اللاتى طالبن لهن بحرية أوسع فى الكنيسة للكلام ، فكانت الواحدة تنادى زوجها فى وسط الاجتماع لتسأله بصوت مرتفع عن أمرما ، وإلى جانب ذلك تركن غطاء الرأس الذى كانت تضعه النساء الشريفات على رؤوسهن بحسب عادة ذلك العصر . ( ١ كورنثوس ١١ : ٥ — ١٦ ، ١٤ : ٣٤ — ٣٦ ) .

كان لدى بعضهم فكرة أسطورية تقترب من الخوف والسحر بالنسبة للمعمودية ، فكانوا يظنون أن الذين يعتمدون لا يمكن أن يخطئوا أو يهلكوا ( ١ كورنثوس ١٠ : ١ — ٥ ) ، بينما جعلوا من فرصة عشاء الرب فرصة اجتماعية للأكل والشرب والتباهى بالغنى والثروة ومعايرة الفقراء الذين ليس لهم ( ١١ : ١٧ — ٣٤ ) . كان بعضهم يتمسك بالبشارة التى وعظ بها الرسول وقدمها لهم للخلاص ، ولكن البعض الآخر ترك ذلك الإنجيل إلى تفكير آخر ، خصوصاً فى مسألة القيامة من الأموات حيث قالوا إنه لا قيامة أموات ( ص ١٥ ) .

بعضهم ظل يتباهى بمعرفته وقوة إيمانه حتى كان يعثر الأخ الفقير ، غير عابئ به ولا بضعف معرفته ( ١ كورنثوس ٨ : ١ — ١٣ ) .

هذا هو الخليط العجيب الذى ظهر فى هذه الكنيسة وميزها عن غيرها من الكنائس .

**صلة الرسول بها بعد تركه إياها :**

لكى نفهم رسالتى كورنثوس يجب أن ندرس تطورات صلة الرسول بولس بهذه الكنيسة ، بعد أن أنهى تبشيره لها فى أواخر رحلته الثانية وتركها . ماذا حدث بينهما ؟ وكيف سارت الأمور ؟ إن دارس الرسالة يجد هناك من التنوع الشديد للموضوعات ما يجعله يفكر فى نوعية صلة الرسول بهذه الكنيسة الغير عادية . من محتويات الرسالتين يمكن للدارس أن يعرف الأمور التالية :

١ — يبدو أن الرسول قد سمع أن بينهم أناس وقعوا فى خطية الزنى ، وأنهم يسيرون فى طريق فاسق شرير ولهذا كتب لهم رسالة أولى كما يظهر فى ( ١ كورنثوس ٥ : ٩ ) حيث يقول « كتبت إليكم فى الرسالة ألا تخالطوا الزناة » . ولكن هذه الرسالة قد أساءوا فهمها ، فظنوا أنه يطلب منهم أن يتركوا العالم كله ، لأن الزناة فى هذا العالم كثيرون ، وهذا ما لم يطلبه منهم ( ع ١٠ ) . إنه يطلب منهم ألا يخالطوا الزناة من أعضاء الكنيسة ، حتى يمكنهم أن يعزلوا الخبيث ويتنقوا ( ١١ — ١٣ ) . ولكن أين هذه الرسالة التى كتبها إليهم ويعلن عنها فى الرسالة الأولى؟ يعتقد كثيرون من العلماء أنها ضاعت. أرسلها إليهم أولا ولكنها لم تصل إلينا مع الرسالتين الباقيتين . ولكن هناك رأى قوى جداً بين العلماء مفاده أن جزءاً منها باق فى الرسالة الثانية وهو فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤ — ٧ : ١ . « لا تكونوا تحت نير مع غير

المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والاثم وأية شركة للنور مع الظلمة . . إلخ ) . ويؤكدون ذلك لاعتقادهم أن هذا الجزء يظهر وكأنه محشور فى المناقشة : وأن ٧ : ٢ يأتى بعد ٦ : ٣ بكل سهولة ويكمل المناقشة . هذه نظرية قد يكون لها ما يبررها إذ تفسر هذه الأجزاء التى ذكرت .

٢ ــ بعد أن عرف الرسول أنهم أساءوا تفسير رسالته ، وصلته أخبار غريبة عن انقسامات فى الكنيسة وأحزاب متعددة حملتها إليه جماعة اسمها أهل خلوى » . لعلهم كانوا عبيداً لأسرة مسيحية إسمها بيت خلوى ، ( ١ كورنثوس ١ : ١١ ) . ثم وصلته أيضاً رسالة أرسلتها له الكنيسة بيد ثلاثة ممثلين لها هم : اسطفانوس وفرتونانوس وأخائيكوس ( ١ كورنثوس ١٦ : ١٧ ) . ومضمونها مجموعة من الأسئلة والمشكلات التى تتطلب حلا .

وعلى أساس هذه المعلومات كلها كتب لهم الرسالة الأولى التى بين أيدينا الآن ، وهى رسالة أشبه ما تكون برسالة عمل ، فيها مجموعة متعددة من المواضيع التى تكلم فيها بطريقة منظمة .

وفى نفس الوقت أرسل إليهم تيموثاوس لكى يذكرهم بكل التعاليم التى علمهم إياها ( ١ كورنثوس ٤ : ١٧ ، ١٦ : ١٠ و ١١ ) . . ولكن ، على قدر ما نستخلص من الرسالتين اللتين بين أيدينا ، أن هذه الزيارة غالباً لم تتم لأنه يرسل سلامه لهم مع تيموثاوس فى أول الرسالة الثانية ( ٢ كورنثوس ١ : ١ ) .

٣ ــ الزيارة المؤلمة : يؤكد العلماء أن الرسول قام بزيارة خاطفة إلى كورنثوس فى الوقت الذى انقضى بين كتابة الرسالتين . ويستنتجون ذلك من ( ٢ كورنثوس ١٢ : ١٤ ، ١٣ : ١ ) حيث يقول لهم إنه سيذهب إليهم

للمرة الثالثة ، وهذا معناه أنه قد زارهم مرة ثانية بعد تبشيره إياهم ، وبعد كتابة الرسالة الأولى التى بين أيدينا . وعن هذه الزيارة الثانية يقول « قد سبقت فقلت وأسبق فأقول كما وأنا حاضر المرة الثانية وأنا غائب الآن ... أنى إذا جئت أيضاً لا أشفق » ( ٢ كورنثوس ١٣ : ٢ أنظر ٢ كورنثوس ١٢ : ٢٠ و ٢١ ) . ويبدو أن هذه الزيارة الثانية كانت مؤلمة وسببت لهم حزناً شديداً ، لأجل المرارة التى كانت بينه وبين الكنيسة ( ٢ كورنثوس ٢ : ١ — ٤ ) . هذه المرارة لم تجد لها صدى فى الرسالة الأولى مما يدل على أن ذلك حدث بعد أن أرسلها لهم . إنها زيارة مواجهة بينه وبين بعض الأشخاص وجهوا إليه كثيراً من الاتهامات التى تظهر فى الرسالة الثانية . ويبدو أن الرسول لم يبق طويلا هناك بل ترك المدينة مسرعاً .

ولكن متى حدثت هذه الزيارة لا نستطيع أن نقرر بالضبط ، ولكن يتفق كثير من العلماء على أنها حدثت أثناء إقامته فى أفسس وقبل حدوث المظاهرة التى قادها ضده الصائغ ديمتريوس ( أعمال ١٩ : ٢١ — ٢٤ ) وبعدها رجع إلى أفسس وهناك عمل شيئاً آخر .

**٤ — الرسالة المحزنة :**

فى ٢ كورنثوس ٢ : ٤ يقول الرسول لهم « لأنى من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكى تحزنوا بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولا سيما من نحوكم » . متى كتب لهم الرسول ؟ كان الرأى السائد أن الرسول يتكلم عن الرسالة الأولى . ولكن هذه الرسالة لا توحى بهذا الضغط العاطفى على الرسول الذى يظهر فى هذا العدد . نعم كان فى الرسالة الأولى بعض الأجزاء المؤلمة خصوصاً فى الأصحاحين الخامس والسادس ، ولكن هذا لا يمكن أن يعبر عن الموقف الذى يصفه هنا . خصوصاً وأنه يؤكد فى

٢ كورنثوس ٧ : ٨ أن هذه الرسالة المؤلمة التى يفترضها العلماء لم تسبب حزناً لأهل كورنثوس فقط بل جعلت الرسول نفسه يندم على كتابتها . فأى جزء فى الرسالة الأولى يندم عليه الرسول ؟ يبدو أن هذه الرسالة الصعبة التى يشير إليها لا صلة لها بالرسالة الأولى . إذن أين هى الرسالة ؟ هناك رأيان يتمسك بهما العلماء الذين يؤكدون نظرية الرسالة المحزنة :

( أ ) الرأى الأول يقول إن هذه الرسالة تتضمن الأصحاحات ( ١٠ — ١٣ ) من الرسالة الثانية ، وأن تيطس أخذ هذه الرسالة إليهم فتألموا جداً وحزنوا وتابوا ، أو على الأقل تابت الغالبية العظمى منهم ومحوا الذين تألبوا ضد الرسول واتهموه اتهامات كثيرة . وعندما رجع تيطس إليه بهذه النتيجة ، كتب إليهم مرة أخرى نادماً على تلك الرسالة ، وفرحا لأنهم رجعوا إلى الحالة الطبيعية فى علاقة المحبة المتبادلة بينه وبينهم . هذا ما قاله فى ٢ كورنثوس ٧ وخصوصاً ٦ — ١٥ . ويعتقد العلماء أن الرسالة المؤلمة والجزء الأول من الرسالة الثانية ( ١ — ٩ ) قد وضعا معاً ولكن بطريقة مختلفة لسبب لا نستطيع أن نعرفه . ولكن ما هى الأسباب التى تجعل العلماء يعتقدون مثل هذا ؟ يعطون ثلاثة أسباب :

الأول هو اختلاف اللهجة فى كلا الجزئين من الرسالة . ففى الجزء الأول ( ١ — ٩ ) لا نجد الشدة والقسوة والشعور بالمرارة التى نجدها فى الجزء الثانى ( ١٠ — ١٣ ) هذا الأمر جعل العلماء يعتقدون أنه من غير المعقول أن يبدأ الرسول بهذه اللهجة ثم يغيرها ويكتب بمثل هذه اللهجة الشديدة ، ومن غير المعقول أن الرسول يخاطب جماعتين فى الرسالة الواحدة ، كأن يكتب — كما يقول البعض — الجزء الأول ( ١ — ٩ ) إلى الأغلبية التى تؤيده هو ، أما الجزء الأخير ( ١٠ — ١٣ ) يكتبه إلى أقلية تقف ضده . نقول من غير

المعقول وإلا لكان يشير إلى ذلك فى غضون الخطاب ، وخصوصاً عند تغيير اللهجة . وهناك تفسير آخر لتغيير لهجة الجزء الأخير فى الرسالة ،هو أن الرسول بعد أن كتب الجزء الأول من الرسالة جاءته أخبار من مصادر ثانية أن هذه الجماعةالتى تناوءه ارتفع صوتها من جديد، ولذلك غير الرسول أسلوب كتابته ليواجه هذا الموقف الجديد ، ولكن الرسول لم يشر من قريب أو بعيد إلى أى نوع من المصادر التى استقى منها هذه الأخبار ، وهو الشخص الذى كان دائماً يذكر مصدر معلوماته وخصوصاً عن هذه الكنيسة ( أنظر ١ كورنثوس ١ : ١١ ، ٧ : ١ ، ٢ كورنثوس ٧ : ٦ . ) .

أما السبب الثانى الذى لأجله يعتقد هؤلاء العلماء أن الجزء الثانى من رسالة كورنثوس الثانية هو نفسه الرسالة المحزنة هو الإشارات إلى زيارة الرسول ، فهناك انتظارات فى الجزء الثانى ( ١٠ — ١٣ ) تم فى الجزء الأول ( ١ — ٩ ) مما يدل على أن الجزء الثانى كتب قبلا : فمثلا :

١٠ : ٦ « ومستعدين أن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم » هذا تم فى :

٢ : ٩ « لأنى لهذا كتبت لكى أعرف تزكيتكم هل أنتم طائعون فى كل شئ » .

١٣ : ٢ « . . . أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أنى إذا جئت أيضاً لا أشفق » . هذا له صدى فى : ١ : ٢٣ « ولكنى إشفاقاً عليكم لم آت إلى كورنثوس » . فهو لم يذهب فى غضبه .

١٣ : ١٠ « لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب للبنيان لا للهدم » . تقارن

هذه مما جاء فى ٢ : ٣ « وكتبت لكم هذا عينه حتى إذا جئت لا يكون لى حزن من الذين كان يجب أن أفرح بهم واثقاً بجميعكم أن فرحى هو فرح جميعكم » .

هذه الشواهد توضح إن كل انتظاره كان يتم بكيفية ما فى الجزء الأول من الرسالة . وهذا معناه أن الجزء الثانى من الرسالة كتب فى زمن يسبق كتابة الجزء الأول ( ١ — ٩ ) .

ويقول أصحاب هذا الرأى أيضاً إن هناك اختلافاً فى الموقف الذى استدعى كتابة كل من الجزئين ، وبالتبعية فلا بد أن يختلف الأسلوب . ولعل مزاج الرسول فى كتابة الأصحاحات ١٠ — ١٣ كان حاداً فجاء مملوءاً بالمرارة والألم ، وكأنه كان فى موقف دفاع عن النفس ، وبالتالى عن رسالته . وهذا يختلف كثيراً عن الجزء الأول ، ويرجح أنه كان الرسالة المؤلمة التى يتكلم عنها فى مكان آخر ، التى كتبها وأرسلها مع تيطس فكانت سبباً فى حزنهم وندمهم . ولما عرف تأثيرها هذا فيهم كتب إليهم الرسالة الأخيرة وتظهر فى ١ — ٩ لكى يعزيهم على كتابته هذه الرسالة المؤسفة .

لكن هناك جماعة من العلماء لا يؤيدون هذا الرأى السابق ويوجهون إليه الاعتراضات التالية :

لو كانت الرسالة الثانية تنقسم إلى جزئين كل منهما كتب فى زمن مختلف وتحت ظروف غير متشابهة ، فأين خاتمة الرسالة الأخيرة التى تتضمنها الأصحاحات ١ — ٩ ومن الذى وضع الرسالتين معاً دون الاهتمام بالترتيب ؟

وإلى جانب ذلك فالدليل التاريخى على ذلك غير موجود لأنه لم يعثر بعد على مخطوطة أو ترجمة أو أى شاهد يشير إلى ذلك .

أما الاختلاف بين الجزئين فقد بالغ فيه أنصار هذه النظرية السابقة ، فكما أن هناك اختلافاً بينهما هناك أيضاً تشابه . فبمقارنة الأصحاحين الرابع والسابع من ناحية والحادى عشر نجدهما متوازيين بالافتخار .

إنهم لا ينكرون أن الرسول كتب رسالة ثالثة قاسية ، ولكنهم ينكرون أنها متضمنة فى الأصحاحات ( ١٠ – ١٣ ) من الرسالة الثانية . ويعتقدون أنها ضاعت .

٥ – الرسالة المعنونة بالثانية :

غالباً ما كانت هذه الرسالة هى آخر ما كتب الرسول إلى كورنثوس فى الرحلة الثانية له . نعم أنه زارهم فى نهاية رحلته الثالثة ، وغالباً ما كتب من عندهم رسالته إلى كنيسة رومية ، ولكن لم يكتب لهم شيئاً بعد هذه الرسالة . ولعل أهم ما فيها هو التعبير عن فرحه وابتهاجه عندما سمع الأخبار الطيبة التى حملها إليه تيطس وأخبره أن موقف الكنيسة قد تحسن كثيراً من جهته ؛ وهذا واضح فى كل الرسالة وخاصة فى الأصحاح السابع . إلى جانب ذلك فقد كانت هناك بعض الأمور التى أراد الرسول أن يشرحها لهم . إنه يطلب منهم أن يظهروا العطف على الأخ المذنب الذى تاب ( ٢ : ١–١٢ ) وهو يريد أن يطلعهم على نوع الحياة المسيحية والخدمة التى أرسله لأجلها الرب يسوع ، والقوة التى يعطيها له لإتمام هذه الخدمة رغم كل ما فيها من أتعاب ومفشلات .

هذا كله موجود فى الأصحاحات السبعة الأولى . ثم يخصص جزءاً كبيراً منها لفكرة الجمع لأجل القديسين فى أورشليم ، ويحثهم على أن يهتموا كثيراً حتى يمكن أن يأخذ منهم عطاياهم عندما يأتى إليهم فى زيارته القادمة .

**تاريخ وغرض كتابة الرسائل :**

أمر الرسالة الأولى سهل فنحن نقرأ فى ١ كورنثوس ١٦ : ٨ و ٩ « ولكنى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعال ويوجد معاندون كثيرون » ونحن نعرف أنه مكث فى أفسس حوالى ٣ سنين ابتداء من ٥٣ م إلى حوالى ٥٦ م ( أعمال ٢٠ : ٣١ ) وهذا معناه أن كورنثوس كتبت فى السنة الأخيرة من بقائه فى أفسس إما فى سنة ٥٥ أو ٥٦ م .

وكان غرض كتابة الرسالة كما سبق القول هو المعلومات التى وصلت إليه من أهل خلوى ( ١ كورنثوس ١ : ١١ ) وتتضمن هذه المعلومات وجود انقسامات فى الكنيسة تتلخص فى أحزاب أربعة ( ١١ و ١٢ ) ويعتقد كثير من العلماء أن أهل خلوى أخبروه عن بضعة مشكلات أخرى فى الكنيسة ، مثل الرجل الذى سقط فى الخطية مع زوجة أبيه ( ٥ : ١ ) أو مقاضاة بعضهم البعض فى المحاكم الحكومية ( ٦ : ١ — ١١ ) وانتشار خطية الزنى بينهم ( ٦ : ١٢ — ٢٠ ) . وربما أخبروه عن مخالفاتهم التى كانوا يقترفونها فى وقت العبادة ( ص ١١ ) .

وكتب هذه الرسالة أيضاً ليرد على الأسئلة التى أرسلتها إليه الكنيسة وحملها إليه الأخوة الثلاثة اسطفانوس وفرتوناتوس وأخائيكوس ( ١٦ : ١٧ ) وهى التى كان يرد عليها مبتدأ بالقول « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها . . » ( ٧ : ١ ) . وهى تضم الأسئلة التالية :

١ — ما ذبح للأوثان ثم الزواج والطلاق ( ٧ : ١ ) قيمة المواهب الروحية ( ١٢ — ١٤ ) عقيدة القيامة ( ١٥ ) .

أما تاريخ وغرض كتابة الرسالة الثانية فهو أمر أكثر تعقيداً لأنه

يتوقف على موقف الدارس من الرسالة سواء أكان يعتبرها رسالة واحدة أم رسالتين أم ثلاثة .

فالذين يعتقدون أنها رسالة واحدة فيقولون إنها كتبت من مكدونية سنة ٥٧ م ، بعد أن سمع أخباراً من تيطس أن الكنيسة قد رجعت إلى صوابها ( ٢ كورنثوس ٧ : ٦ ) ، فكتب لهم مشجعاً ومعزياً : ويقولون إن سبب تغير اللهجة فى ص ١٠ — ١٣ هو أنه سمع أخباراً أخرى بعد أن كتب الجزء الأول فأملى ١٠ — ١٣ بلهجة عنيفة قاسية .

أما الذين يعتبرون الرسالة مكونة من مجموعة رسائل ، فيقولون إن ص ١٠ — ١٣ كتبت بعد رجوعه من الزيارة المؤلمة عندما كان ينوى ترك أفسس أما الثانية كتبها بعد أن ذهب إلى ترواس ولم يقابل تيطس بل قابله فى مكدونية حاملا معه أخباراً طيبة سنة ٥٧ م مشجعاً إياهم وطالباً منهم أن يهتموا بالجمع لكى يأخذه منهم عند رجوعه إلى أورشليم .

## فكر الرسول فى رسالتى كورنثوس

**كنيسة الله فى كورنثوس :**

هذه الجملة التى يذكرها الرسول فى المقدمة « بولس . . إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس » ( ١ كورنثوس ١ : ٢ ، ٢ كو ١ : ١ ) من أروع ما كتب ، ولها فعل عظيم فى المسيحية وحياة المسيحيين فكما عرفنا سابقاً عن نوعية المدينة التى أصبح اسمها مرادفاً للفساد والحياة المنحلة ، وصارت مرتعاً للديانات المتعددة والتيارات التى لا صلة لها بالأخلاق ، فى هذا الوسط — شكراً لله — أقام الله كنيسة له . وهكذا يقول لهم الرسول بنفس التعبير . « لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان . . . وهكذا كان أناس منكم

لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » ( ١ كورنثوس ٦ : ١١ ) .

إنها جماعة قد دعاها الله ليس لسبب فيها بل فى الرب يسوع وقدسهم فيه ، وأطلق عليهم لقب قديسين أى مفرزين من بين العالم ليكونوا له ( ١ كو ١ : ٢ ) . هذه الدعوة ليكونوا فى شركة الرب يسوع ويصبحوا جزءاً لا ينفصل من كنيسة الله عامة وعضوا فى جسد الرب يسوع فى كل هذا العالم ( ١ كو ١ : ٩ ) . ولذلك هم بناء الله بناه لكى يسكن فيه وليصبح مسكناً له ، وفلاحته يعمل فيها بكل قوة لكى يحييها وينميها لكى تأتى بثمر ( ١ كو ٣ : ٩ ) .

وقد حباهم بكل علم وكل موهبة ، ليس العلم البشرى الإنسانى بل العلم الإلهى الذى فيه يعرفون محبة الله الآب . وأعطاهم أن يستغنوا ويصبحوا أغنياء فى الله وعن العالم . وما فيه ( ١ : ٧ ) . وملأهم بالرجاء فهم ليسوا كأهل العالم حولهم يعيشون حاضرهم فى فساد ودنس إلى أن يأتيهم الموت ، ولكنهم ينظرون إلى المستقبل إلى استعلان سيدهم ربنا يسوع المسيح ( ع ٧ ) . ولن يضيعوا أو يخوروا لأن الله سيثبتهم إلى النهاية بلا لوم فى يوم ربنا يسوع المسيح » ( ع ٨ ) .

أليس هذا شيئاً مذهلا حين نسمع كل هذا الكلام عن كنيسة امتلأت بالانقسام من كل نوع ؟ إنقسام حزبى واجتماعى ودينى وعلمى وغيره ؟ بل عن كنيسة حدث فيها من خطايا وإفساد وكل ما هو محزن وحملوا معهم كل ما كان موجوداً فى العالم ؟ كنيسة كهذه لا ينظر إليها الرسول فى ذاتها ، بل فى المسيح . . إنها فى العالم وقد دخل العالم إليها ولكنها رغم ذلك هى كنيسة الله التى يجب أن تشهد لعمله فيهم . شكراً لله إنها كنيسة الله رغم العالم ورغم حالتها هى . . إن الله يعرف كيف يثبت مختاريه .

٢ — حكمة الله وحكمة الناس :

بعد المقدمة يدخل الرسول مباشرة فى مسألة الأحزاب التى فى الكنيسة . أربعة أحزاب ، واحد لبولس والآخر لأبولس والثالث لصفا ( بطرس ) والرابع للمسيح ( ١ : ١٢ ) هذه الأحزاب سمع عنها من أهل خلوى . وكان الرسول يتكلم عن أبولس بكل احترام ( ٣ : ٤ — ٧ و ٢٢ ، ٤ : ٦ ) . ولعلهم سمعوا عن صفا وعن المسيح من معلميهم . هذا الانقسام لم يكن انقساماً أيديولوجيا أو انقسام فكرى لجماعة لا تتلاقى أبداً ، ولكنها روح الحزبية التى ملأت الكنيسة فتجعل كل واحد يحبذ هذا أو ذاك .

والرسول بولس لم يحارب رسالة قدمها أبولس أو فكراً يرتبط ببطرس . ولكنه يحارب روح التحزب فى الكنيسة .

ولكى نعرف معنى هذا التحزب علينا أن ندرس الخلفية وراءه ، وهى تكمن فى بضعة ألفاظ وعبارات يستخدمها الرسول مثل « الحكيم » ، « الكاتب » ، « مباحث هذا الدهر » ( ١ : ٢٠ ) « حكمة » ، « شرفاء » ( ع ٢٦ ) وهكذا .

هذه الألفاظ ترتبط بجماعة السفسطائيين الذين تدربوا على المناقشة والمباحثة ، وكانت لهم المقدرة الفذة فى الخطابة وإقناع الغير بأية نظرية يتبنونها . ولم يكن لهؤلاء السفسطائيين مدرسة فلسفية معينة ولكن كان همهم الأول هو إقناع الناس بأى نوع من الفلسفة . وكانوا يحضرون إلى كورنثوس خصوصاً فى وقت الألعاب التى كانت تقام فى اسثمايا ، وكانوا يبهرون الناس بخطاباتهم وحججهم وكانوا يسمون أنفسهم الحكماء . ولعل المسيحيين فى كورنثوس قد تأثروا بالروح التى كانوا يبثونها ، ولذلك عملوا على إيجاد أحزاب مسيحية إحداها لبولس والثانى لأبولس والثالث لصفا والرابع للمسيح ، هذه هى الروح ، إنها روح إدعاء الحكمة ، فخلطوا بين الإنجيل

المسيحي والحكمة الهلينية ، المعلمين المسيحيين والسفسطائيين المحترفين ، بين أنفسهم وحكماء هذا العالم . هذا هو أساس الانقسام الموجود فى كورنثوس فكيف عالجه الرسول ؟

( أ ) إنه يهاجم ، أولا وقبل كل شئ ، وضع الشخصيات البشرية سواء أكان بولس أو أبولس أو صفا فى صف واحد مع المسيح ، مع أن المسيح هو الذى يحتوى الجميع . فالكل فيه وهو الذى صلب لأجل الجميع وباسمه يعتمد الناس ليكونوا جسده . أو بولس أما أبلوس فليسا سوى خادمين أهلهما الرب ليكونا رسولين للانجيل . بولس غرس وأبلوس سقى — ولكن الله هو الذى يعطى الحياة والنماء . إن هذا التفاخر والتشاحن هو تطاول على المسيح وعلى الله ( ١ : ١٠ — ١٦ ، ٣ : ٥ — ٩ ) .

(ب) أما حكمة العالم فهى جهالة عند الله . إن اليهود يسألون آية واليونانيين حكمة ، ولكن الله استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ( ع ٢١ ) . ولماذا ؟ لأن حكمة هذا العالم قد ضلت ولم تستطع أن تعرف طريق الله( ع ٢١—أ) بل على العكس من ذلك ففى حكمتهم البشرية ، صلبوا رب المجد ، وهذا دليل على مدى ما وصلت إليه هذه الحكمة البشرية من جهل ( ٢ : ٨ ) ولأجل ذلك فسوف يبيد الله حكمة الحكماء ويرفض فهم الفهماء ( ١ : ١٩ و ٢٠ ) . ولكن فى مقابل هذه الحكمة البشرية الجاهلة أعلن الله حكمته وكانت دينونة قاسية على حكمة البشر . إنها الصليب : فالصليب عثرة لليهود وجهالة لليونانيين لأنهم لم يعرفوه » ( ٢ : ٨ و ٩ )أما للذين عرفوه واختبروه فهو قوة الله وحكمة الله ( ٢ : ٢٣ و ٢٤ ) . فالحكمة البشرية هى كلام ومباحثات غبية أما حكمة الله فهى بالروح القدس ( ٢ : ٤ ) . ولأجل ذلك فجهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس ( ١ : ٢٥ ) . هذه الحكمة الإلهية عرفناها

بإعلان الروح القدس ( ٢ : ١١ ) . وكل من عنده روح الله يعرف ويختبر عمل الله وأموره التي يهبها له ( ٢ : ١١ — ١٣ ) .

( ج ) ويعطى الرسول برهانين قويين على ما يقول : برهاناً من خدمته هو : لقد جاء إليهم ليس بسمو الكلام ولا بالحكمة ، بل نادى بشهادة الله وبيسوع المسيح مصلوباً بكل ضعف وبساطة وخوف ( ٢ : ١ — ٣ ) . ولكن مع ذلك الخوف والضعف والرعدة . . مع تلك البساطة والجهالة فى الكلام فإن روح الله قد عمل فى الكرازة فآمن الكثيرون وجاءوا إلى المسيح . ( ٢ : ٤ ) ولهذا فإيمانهم ليس بالحكمة البشرية المقنعة ولكن ببرهان روح الله وقوته ( ع ٤ ) .

أما البرهان الثانى فهو هم أنفسهم . ومن هم هؤلاء الكورنثيون ؟ يقول لهم الرسول « فانظروا دعوتكم أيها الأخوة ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » ( ١ : ٢٦ ) ولكن هل يعنى ذلك أنهم مرفوضون ؟ كلا ، لقد « اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء واختار الله أردنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود » ( ٢٨ ) . وهم الذين اختارهم الله هكذا ، وبهذه الطريقة . . إنه لم يختر هم لشئ فيهم ، ولا لحكمة بشرية ، أو امتياز إنسانى ، لأنهم لا يملكون شيئاً من ذلك ، ولكن « منه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء » ( ع ٣٠ ) . ولذلك فيجب ألا يفتخروا بشئ بل بالرب الذى اختارهم وأهلهم ليكونوا أبناء الله وغرسه ( ١ : ٣١ ، ٣ : ٩ ) . هذان هما البرهانان اللذان يقدمهما الرسول على حكمة الله وقوته التى ظهرت بالصليب وفيه .

( د ) ولكن هناك جماعة قليلة فى الكنيسة يبدو أنهم كانوا مثقفين

أو أغنياء أو شرفاء . هؤلاء كانوا يفتخرون على الباقين ، ويدينون الآخرين ، ولهذا فالرسول يوبخهم . يضع أمامهم نفسه وأبلوس مثالا ، إنه لا يشعر بوخذ ضمير من جهتهم ، ويريد ألا يحكم فيه أحد ولكنه مع ذلك يشعر أنه ليس مبرراً ( ٤ : ١ ــ ٥ ) . وهكذا يجب ألا يفتخروا على الآخرين ألا ينتفخوا ( ٤ : ٦ ) ولماذا يفتخر الواحد منهم ؟ ما هو امتيازهم ؟ إن ما يميزهم لم يكن شيئاً فى ذواتهم بل نالوه من الله ، هو عطية منه ، فكيف يفتخر الواحد كأنه لم يأخذ شيئاً من الله ؟ ( ٤ : ٧ ) إن كل امتيازهم هو أنهم أخذوا من الله ، ما يمتلكونه الآن فليفتخروا بالرب لا بأنفسهم . وهنا يوبخهم الرسول ويسخر منهم مقارناً إياهم بالرسل ، لأنهم يظنون أنهم أعظم من الرسل ( ٤ : ٨ ــ ١٤ ) ولكنه فى سخريته منهم ومن كبريائهم الذى لا أساس له ، لا يريد أن يخجلهم ، لأنه أبوهم قد ولدهم فى قيوده ، فهم أعزاء على قلبه ، لا يريد منهم سوى أن يكونوا فى المركز الذى وضعهم الله فيه بتواضع ومحبة . وفى ذلك يجب أن يتمثلوا به هو ( ٤ : ١٥ و ١٦ ) وعندما يأتى إليهم تيموثاوس يجب أن يعاملوه كابنه الذى سيذكرهم بالرسالة التى قدمها لهم ويكرموه . . أما من انتفخ . فسوف يأتى هو بنفسه ليختبره إن كان حقاً قوياً أم أنه مملوء فقط بالكلام ( ٤ : ١٧ ــ ٣١ ) .

**٣ ــ التناقضات المؤسفة فى الكنيسة :**

لم يكن الانقسام الحزبى فقط هو ما سمعه من أهل خلوى عن الكنيسة فى كورنثوس ولكنه سمع عن أمرين مؤسفين آخرين وجد الرسول فيهما متناقضات لا يصح أن يظهر فى الحياة المسيحية أو فى كنيسة المسيح الأمر الأول حالات الفساد والزنى المتفشية عند بعض الأعضاء والثانى المحاكمات التى تجرى فى المحاكم العالمية وليس فى الكنيسة .

(أ) لقد شدد الرسول على القداسة التى يجب أن تهيمن على الحياة المسيحية ، فيذكر فى مقدمة رسالته أنهم قديسون . . ودعوا للقداسة (١:١ و ٢) والقداسة هنا إذا كانت بمعنى الانفصال عن العالم فلا بد أن يكون لها ثمرها ، وعندما يذكر أنهم بناء الله فى (٣ : ٩) فإنه يقصد أن الله سيسكن فيهم ، ولهذا فيجب أن يكونوا مقدسين (٦ : ١٩) . وهو ينبر على ذلك لأنه سمع أن شخصاً عاش مع امرأة أبيه وهى محرمة عليه ؛ وهذا أبشع مايسمع عنه فى الحياة الفاسدة التى تعيشها المدينة ، وعلى هذه الحادثة يعلق الرسول تعليقاً مريراً :

فهو يذكرهم بأن هذا الأمر لا يمكن أن يقبله المجتمع الوثنى المملوء بالفساد ، فهل يمكن أن تقبله الكنيسة ؟ (٥ : ١) إن الكنيسة تسمح للعالم بأن يدخل فيها بأقبح وجه له ، بكافة المقاييس حتى العالمية نفسها ومع ذلك — وهنا التناقض المرير — تنتفخ الكنيسة وتنقسم ويحس بعض منها أنهم أفضل من الآخرين اجتماعياً ودينياً ، نعم كبرياء وتفاخر وهم فى الوحل . تظاهر بالصحة ومن الداخل مرض قاتل (٥ : ٢) لماذا لم ينوحوا ويحزنوا على ذلك ؟ لماذا لم يحكموا عليه ولم يعزلوه حتى لا يفسد آخرين أو يشجعهم على الفساد ؟ من كلام الرسول يظهر أن هذا الرجل كان له شأن فى الكنيسة ، ولعله كان يتمتع بتأثيره على الكثيرين مما يجعله خميرة فاسدة تبعث على الخوف والانزعاج . ولهذا فالرسول يدفع الكنيسة على أن تحكم عليه . . إنه هو بروحه والكنيسة كلها مجتمعين مع المسيح يسلمون هذا الإنسان للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع (٥ : ٤ و ٥) . هذا الحكم سرى وغامض علينا فى فهمه ، ولسنا ندرى بالضبط ماذا يعنى الرسول ، وغالباً ما كان يقصد أمراً مثلما حدث مع حنانيا وسفيره أى يموت (أعمال ٥ : ١ — ١١) أو ما كان يحدث بين الكورنثيين أنفسهم فى إفسادهم للعشاء الربانى ، إذ كان

فيهم كثيرون مرضى وكثيرون يرقدون » (١١ : ٣٠ و ٣١) . ولعل هذا الحكم يحمل معه دفعة قوية للرجل على التوبة حتى تخلص روحه في يوم الرب يسوع المسيح . هذا الحكم أو البتر هو الطريقة المثلى لإزالة الخميرة التي تفسد العجين كله حتى يمكن أن يقيد المسيحيون فصحهم الأمجد الروحي بفطير الإخلاص . والحق (٥ : ٧ و ٨) . ويبدو أن عيد الفصح كان على الأبواب ولهذا يتذكر الرسول فصحنا المسيح الذى ذبح من أجلنا .

وهنا يسخر منهم الرسول ويسخر من فهمهم لرسالته الأولى ، فقد كتب لهم ألا يخالطوا الزناة ، وهذا يدل على أنه كان يعرف مجتمعهم وأن هناك بعض الزناة فيه ، ولكن الأمر السخيف هو أنهم فهموا أنه يجب ألا يخالطوا زناة العالم ومع ذلك فإنهم يغمضون أعينهم عن زناة الكنيسة . . إنها سخرية وسخافة فإنهم يجرون من اللهيب ولكنهم يحتفظون بالنار فى أحضانهم . إنه يقصد بالأحرى أن يعزلوا الخبيث . ولما لم يفهموا قوله . . بل لما تعاموا عنه وتجاهلوه تفاقمت المشكلة فحدث بينهم ما لم يحدث بين الأمم (٥ : ٩-١٣).

(ب) أما التناقض الثانى فهو الذى يختص بشكوى بعضهم البعض عند الظالمين أهل العالم (٦ : ١) . وفى هذا الأمر يذكرهم الرسول بمرارة بأمرين الأول هو مركزهم كمؤمنين إنهم سيدينون العالم فكيف يتخلون عن مركزهم هذا ويقلبون الأمر ويحاكمون إخوتهم عند العالم ؟ هل نسوا ذلك ؟

ولكن الأمر الأكثر هو أنهم سيدينون ملائكة ، ولعلها الملائكة التى سقطت . أى أنهم أعطوا بصيرة روحية لم يستطعها الملائكة أنفسهم ، فهل تعمى بصيرتهم عن مشكلات هذا العالم فلا يستطيعون حلها ؟ (٦ : ٣ و ٤)؟ والأمر المحزن والمبكى معاً هو ادعاؤهم الحكمة . ومع ذلك فيلوح أنه لا يوجد حكيم واحد يحكم فى وسطهم يا للعار !! (٣ : ٥ - ٩) .

وهنا يوبخهم الرسول توبيخاً صارماً ثم يحذرهم بأن ملكوت الله لن تقبل ما يسير فى العالم ( ٦ : ٧ — ١١ ) .

وهنا يضع الرسول :

المبدأ المسيحى فى مواجهة المبدأ الفلسفى الوثنى ( ٦ : ١٢ — ٢٠ ، ٧ : ١ ، ٣٥ — ٤٠ )

فى معرض حديثه عن خطية الزنى وعن الزواج هذه المبادئ وضعت لكى تتعامل مع الفكرة الوثنية عن الجسد . فمن المعروف أن أساس الفلسفة الأفلاطونية هو التفريق بين الجسد والنفس ، وسمو هذه الأخيرة عن الجسد الذى يعتبر سجناً لها ، ترجو دائماً أن تتركه وتتحرر منه . ولقد تحولت هذه الفكرة فى العصر الهلينى إلى اعتبار الجسد شراً لأنه مادة ، والمادة شر .. وزادوا على ذلك وجعلوه شراً فى طبيعته لا يمكن أن يصلح . . ولأنه شر فقد وقف الناس منه موقفين متعارضين : الموقف الأول هو ألا يهتموا به فيتركونه يشبع كل احتياجاته أكلا وشرباً وجنساً وغير ذلك فإنه سوف يموت ولا قيمة له ، أما الموقف الثانى فهو : لأنه تافه وله مطاليب كثيرة كهذه ، فعلينا أن نكبحه ونحرمه من كل ما يطلبه إلا ما يقيم أوده . ولذلك عاشت الجماعة الأولى حياة إباحية وعاشت الجماعة الثانية عيشة الزهد المتطرف .

ويلوح أن هذين التيارين كانا موجودين فى الكنيسة كما يتضح من وجود الزناة ( ٥ ) والشرهين فى الأكل والشرب ( ١٠ : ٦ — ١١ ) وغير ذلك . ولهذا يضع الرسول المبدأ المسيحى الإلهى فى مقابل ذلك :

أساس هذا المبدأ هو أن أجساد المؤمنين هى أعضاء للمسيح وهم روح واحد مع الرب ( ٦ : ١٥ و ١٧ ) وأن هذا الجسد هو هيكل الله وروح الله ساكن فيه ( ٦ : ١٩ ) وأن هذا الجسد هو ليس ملكاً للمؤمنين لأنه قد اشترى بثمن . فالمؤمن كله ملك لله .

والمبدأ الثانى هو أن الرجل والمرأة عندما يتزوجان يكونان جسداً واحداً والعلامة على هذا الجسد الواحد هى العلاقة الزوجية التى بينهما ، فالرجل ليس له تسلط على جسده وكذلك المرأة فكلاهما معاً واحداً ويمتلك أحدهما الآخر . هذه العلاقة الزوجية هى من وضع الله وهى المبدأ المسيحى ( ٧ : ٣ — ٥ ) . ومن هذين المبدأين يستنتج الآتى :

أولا : سمو الجسد ، بخلاف ما يقوله الوثنيون . فهو ليس شراً فى ذاته بل يمكن أن تسكن فيه الخطية فيصبح ضحية لها ، ولكن جسد المؤمن الذى حرره المسيح من الخطية هو ملك الله مسكن للروح عضو فى جسد المسيح ( ٦ : ١٥ ، ١٩ — ٢٠ ) .

ثانياً : يجب ألا يزنى المؤمن فإنه بذلك يأخذ هذا الجسد ويجعله جسداً واحداً مع زانية وهذا ما لا يمكن تخيله ( ٦ : ١٤ — ١٦ ) .

ثالثاً : إن لهذا الجسد حقاً فى أن يصبح واحداً مع شريك له ، لأنه من البدء ذكراً وأنثى خلقهما ، فيجب ألا يسلب الرجل المرأة ولا المرأة الرجل حق كل منهما ( ٧ : ٢ — ٧ ) .

رابعاً : من يريد أن يمتنع عن معاشرة عذرائه ، كما كان يحدث فى كورنثوس ، إذ كان الزوج والزوجة يمتنعان عن المعاشرة الزوجية لاحتقارهما الجسد ، فليكن هذا الامتناع إلى حين ثم ليكن لهدف الصوم والصلاة ( ٧ : ٣٥ — ٤٠ ) . أما غير ذلك فهو ليس مسيحياً .

وهنا يصحح الرسول المبادئ الوثنية بأن يضيف إليها المبدأ المسيحى وهى :

| وثنى | | مسيحى |
|---|---|---|
| كل الأشياء تحل لى | نعم | ولكن ليس كل الأشياء توافق ( ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ ) |
| كل الأشياء تحل لى | نعم | لكن لا يتسلط على شئ ( ٦ : ١٢ ) |
| كل الأشياء تحل لى | نعم | ولكن ليس كل الأشياء تبنى ( ١٠ : ٢٣ ) . |
| الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والرب سيبيد هـذه وتلك | نعم | ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته ( ٦ : ١٣ و١٤ ) . |

ويلاحظ أن المبدأ الموجود فى ١٠ : ٢٣ وضعه فى معالجته لمشكلة أخرى وهى الأطعمة التى تباع فى الملحمة .

**الكنيسة تستفهم :**

وعند هذا الحد يبدأ الرسول في الإجابة على الأسئلة التي أرسلتها إليه الكنيسة . وكان يبدأ إجابته على كل سؤال بالقول « وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها .. » . ( ٧ : ١ ) . وكانت هذه الأسئلة تختص بالزواج والطلاق ـ ما ذبح للأوثان ، مركز العبادة في الكنيسة ، المواهب الروحية وخصوصاً التكلم بألسنة ، قيامة الأموات .

**الزواج والطلاق : ( ص ٧ )**

ليس لدينا في الرسالة صيغة السؤال ولكننا نعرفه من مضمون الإجابة عليه . وقبل أن ندرس إجابته على قضية الزواج والطلاق علينا أن نستنتج المبادئ التي بنى عليها الرسول حكمه :

أولا : كانت الزيجات في الكنيسة مختلطة فقد يكون أحد الزوجين مسيحياً والثاني لازال وثنياً ولم يقبل المسيح بعد . وكان هناك من كان متزوجاً بأكثر من زوجة .

ثانياً : كانت الكنيسة في ذلك الوقت المبكر تنتظر رجوع المسيح السريع ، ولهذا كان الرسول ينبه الكنائس بأن «الوقت منذ الآن مقصر» ( ٧ : ٢٩ ) .

ثالثاً : إن هدف الزواج هو إنجاب الأولاد ، وهو العنصر المهم فيه ولهذا لا داعي لطلاق الزوجين إذا قبل أحدهم المسيح ورضى الآخر أن يسكن معه وهو لازال في وثنيته ، لأن الأولاد مقدسون بالزواج . ومن يدري فلعل الشريك المسيحي سبباً في خلاص شريكه ( ٧ : ١٢ ـ ١٦ ) .

ولهذا كله يدعو الرسول بولس إلى بقاء الحال كما هو ، لأن الوقت قريب وقصير أما المسيحي الذي لا يستطيع البقاء من غير زواج فليتزوج وإن تزوج فينبغي ألا يكسر زواجه ( إقرأ ص ٧ كله ) .

**(ب) ما ذبح للأوثان : ( ص ٨ و ١٠ : ١٥ – ٣٣ )**

كان هذا السؤال هاماً جداً فى ذلك الوقت حتى وإن لم يكن له ما يبرره فى عصرنا الحاضر ، ولكن المهم ليس فى السؤال بل فى الجواب فالرسول يضع مبدأ ينطبق على كل عصر . إن المشكلة تختص بأمرين :

الأمر الأول : هو أن الوثنيين كانوا يذبحون الذبائح للوثن وكانوا يأكلونها فى الهياكل وكانوا يعتقدون أنهم بذلك يشتركون مع الإله . وكان هؤلاء الوثنيون يدعون أصدقاءهم من المسيحيين ليأكلوا معهم فى الهيكل ( ٨ : ١٠ ) . وأحياناً كان هذا اللحم الذى ذبح للوثن يباع فى الملحمة ليشتريه الناس ويأكلونه فى بيوتهم ( ١٠ : ٢٥ ) . ولقد كان فى كورنثوس فئتان. فئة كانت تأكل اللحم إذا دعوا لأنهم لا يعتقدون بوجود وثن ، والفئة الثانية كانت تؤمن بوجود هذه الآلهة وكان ضميرها ضعيفاً . وقد أرسلت الفئة الأولى التى تأكل ، هذا الاستفهام وغالباً ما كان هكذا . « نحن نريد أن نسألك بخصوص اللحم الذى يذبح للوثن . » فكلنا يعلم تماماً أن ليس وثن فى العالم وأن ليس إله آخر إلا واحد. ولكن ليس العلم فى الجميع بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن فضميرهم إلى الآن يتنجس ، ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص ( فنحن لا نستطيع أن نخرج من العالم أو أن نرفض دعوة أصدقاءنا لنأكل معهم فى موائدهم فى الهيكل ، ونحن لا نستطيع أيضاً أن نجد لحماً خارج الملحمة وكلها مما ذبح لوثن فماذا نعمل مع اخوتنا هؤلاء الضعفاء ؟ ) .

هذا ملخص خطابهم من واقع رد الرسول عليه ومنه نعرف أنه كان يقتبس من هذا الخطاب ليكتب رسالته وكان رده عليهم كالآتى :

( أ ) العلم لا ينفع بل هو ضار إذا كان وحده ( ٨ : ١ ) . فإنه يدعو

إلى الكبرياء والانتفاخ . والحقيقة أن علمهم ناقص وليس كاملا : فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف » ( ع ٢ ) وهذا هو الموقف فى كورنثوس وكثيراً ما وبخهم الرسول على ذلك لأن المعرفة وحدها ضارة ( ٣ : ١٨ ) . إن المعرفة الصحيحة هى تواضع ووداعة .

(ب) المحبة إذا سادت فإنها تحول العلم إلى خير ونفع : العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى ( ١ ) . هذه المحبة التى يقصدها الرسول ليست محبة الأخوة ولكنها محبة الله ( ع ٣ ) من هذه المحبة الأساسية فى الحياة المسيحية تنبع المحبة للأخوة ، « إن معرفتهم هذه جعلت منهم أناساً يظنون أن لهم سلطاناً يفعلون ما يعتقدونه حلالا لهم ، والرسول يخشى أن يصبح هذا السلطان ضرراً للآخرين الذين ليس لهم قوة ضميرهم ( ٨ : ٩ ) وبهذا يصبح العلم عثرة وتضعف المحبة للآخرين .

(ج) ولكن ما هو مضمون المعرفة التى يتكلمون عنها ؟ إنها تنصب على أمرين : الأول سلبى وهو أنه لا يوجد وثن فى العالم . (٨ : ٤ و ٥) مهما ادعى الآخرون بوجود آلهة كثيرة ، أما الأمر الثانى فهو إيجابى وهو عبارة عن قانون إيمان « لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » ( ٨ : ٦ و ٧ ) . هذه المعرفة منحتهم الحرية الكاملة لأن يأكلوا دون عثرة . ويضع الرسول قانون المحبة فوق المعرفة والحرية وبذلك يغير المفهوم السائد فى كورنثوس عن المعرفة . إن المعرفة الحقيقية ليست هى أن تعرف الله ، ولكنها أن تعرف من الله أو تكون معروفاً عنده ( ٨ : ٣ ) . ولقد وضع التنبير على معرفة الله لهم لا على معرفتهم هم لله . وهذه المعرفة الإلهية هى التى تولد المحبة فى الإنسان ، فوجود المحبة فى الإنسان هى العلامة الحقيقية على أن الإنسان لديه المعرفة الحقة . فالمعرفة التى ينالها الإنسان من الله تظهر فى محبة الله ومحبة القريب . وعلى هذا فيجب أن تظهر محبتنا للقريب حتى ولو امتنع عن أكل اللحم الذى يعثر به قريبى

( ٨ : ١٣ ) . فالمشكلة كما كان يفهمها الكورنثيون الذين كتبوا الرسالة تتلخص فى المعرفة والضمير ، ولكن الرسول وضعها فى إطار الحرية المسيحية والمحبة : إذاً فالسؤال الذى كان يجب أن يسألوه ليس « هل هو مسموح أن آكل هذا ؟ » بل « هل أكلى هذا نافع لأخى الذى يسكن معى ؟ فالمسيحى يفتش عن مجد الله بأن يفتش عن نفع أخوته وزملائه حتى يختبروا أعماق المسيحية . وبهذا فهو يتمثل بالمسيح الذى يسير وراءه الرسول ويتبعه ( ١٠ : ٣١ - ١١ : ١ ) .

ويستحسن هنا أن نشير إلى أن الأخ الضعيف الضمير يختلف عما نفهمه نحن فى عصرنا الحاضر فإننا نفهم ذلك على أنه الشخص الذى لا يهتم كثيراً بالمبادئ الأخلاقية ، أما الرسول فهو يقصد به الأخ ذا الضمير البالغ الحساسية وفى نفس الوقت لم يستطع أن يتخلص من التفكير الوثنى ، فمتى رأى هذا الأخ الضعيف أخاه القوى يأكل اللحم المذبوح للوثن فقد يتشجع ويأكل ولكنه فى نفس الوقت يتألم ويظن أنه فعل خطية ويشعر بالذنب ، وبذلك يدمر الأخ القوى بعلمه ومعرفته أخاه إذ يلقيه فى العذاب والألم .

(ح) قداسة العبادة فى الكنيسة : يبدو أن العبادة فى كنيسة كورنثوس لم تكن تسير وفق اللياقة الصحيحة التى يجب أن تظهر فى الكنيسة ، وقد ظهر عدم اللياقة فى أمور ثلاثة هامة : المرأة والعبادة ، إفساد الهدف من عشاء الرب وأخيراً عدم فهم رسالة المواهب الروحية .

**المرأة والعبادة ( ١١ : ٢ - ١٦ ، ١٤ : ٣٤ - ٣٦ )**

ربما سمع الرسول عن هذه المشكلة من مصدر آخر غير رسالتهم إليه ، وربما تكون واحداً من الأسئلة التى وضعوها له ليجيب لهم عنها . إن هذه

المشكلة خاصة ببعض النساء اللاتى كان لهن نشاط فى الكنيسة وفى الخدمة وهى تتلخص فى أمرين : الأول هو تغطية المرأة لرأسها عندما تتنبأ أو تصلى ( ١١ : ٢ — ١٦ ) الأمر الثانى هو كلام النساء فى الكنائس ( ١٤ : ٣٤ — ٣٥ ) ولنأخذ المشكلة الثانية :

أولا : ما معنى لتصمت نساؤكم فى الكنائس ؟ ( ١٤ : ٣٤ ) ألا تعتبر هذه الكلمات متناقضة مع قوله فى ١١ : ٥ « وأما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها » ؟ إن الأمر الذى لا يمكن إنكاره هو أن المرأة تستطيع أن تصلى أو تتنبأ فى الكنيسة . وهذا يعنى أن الأمر بالصمت لا يأتى فى نطاق النبوة أو الصلاة ، لأن الروح القدس إذ يرشد المرأة أن تصلى أو تتنبأ لا يستطيع الرسول أن يأمرها بالصمت . إن الجواب على هذا السؤال غالباً يكمن فى ١٤ : ٣٥ « ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى الكنيسة » . إن الكلام هنا ينصب على الاستفهام عن بعض الأمور التى يقولها الأنبياء ويلوح أن بعض النسوة كن ينادين على أزواجهن ليسألنهم عن بعض الأمور ، وبذلك يصبح الاجتماع فى حالة تشويش . هذا هو الأمر الذى يمنعهن الرسول منه لكى يجعل الاجتماع فى حالة روحية ثم ليحفظ النساء فى حالة الخضوع للرجل .

أما الأمر الآخر فهو غطاء الرأس ويبدو أن بعض النسوة خلعن غطاء رؤوسهن ليكن متساويات مع الرجال . ولكن الرسول يمنع ذلك بشدة ، لأنه من الأليق أن تغطى النساء رؤوسهن . ويعطى الرسول تبريراً لذلك لا على أساس اجتماعى بل لاهوتى : رأس المرأة الرجل ورأس الرجل المسيح ورأس المسيح الله . وكلمة رأس هنا لا تعنى السيادة المطلقة ولكنها تعنى الطاعة لمن هو

الرأس فمثلا كابن لله كان المسيح إبناً طائعاً للآب وكانت طاعته كاملة (عبرانيين ٥ : ٨).

وهكذا الرجل ، يجب أن يظهر هذه الطاعة للمسيح وعلى المرأة أن تطيع الرجل كذلك . المرأة خلقت من الرجل والرجل خلق لأجل المسيح والمسيح جاء لكى يطيع الله ويمجده . . فإذا تنبأت المرأة ، أو صلت بدون تغطية رأسها ، فهذا عار على رأسها ( الرجل ) وإذا صلى الرجل ورأسه مغطى عار على رأسه ( المسيح ) وهذا أمر تحتمه الطبيعة نفسها إذ خلقت المرأة بشعر طويل والرجل بشعر قصير ، ويورد الرسول شيئاً آخر عن المرأة التى يجب أن تغطى رأسها فيقول من أجل الملائكة أى حراس قانون الله فى الكون .

**— العشاء الربانى وعدم اللياقة عند إجرائه فى كنيسة كورنثوس ( ١٠ : ١٥ — ١٨ ، ١١ : ١٧ — ٣٤ ) :**

فى هذه الرسالة نجد تناقضاً واضحاً بين فهم كثير من أعضاء الكنيسة للفرائض الروحية أى العشاء الربانى والمعمودية وبين كيفية القيام بها وخاصة العشاء الربانى . أما عقيدتهم فى هاتين الفريضتين فيلوح أنها كانت تقرب من عقيدتهم فى السحر ، ويؤخذ من ١٠ : ١ — ٢٢ أنهم كانوا يظنون أنهم ما داموا قد اعتمدوا وما داموا قد اشتركوا فى عشاء الرب فلا بد أنهم سيحفظون من كل شر وخطية ، وفى نفس الوقت لن يهلكوا ، فهى تحميهم من الأضرار الجسدية والروحية . وعلى هذا الأمر يرد عليهم الرسول بشدة مبيناً لهم أولا أن المعمودية ليست بالأمر الذى يظنونه ، فالشئ المهم عنده هو التبشير أولا وقبل كل شئ لأن المسيح « لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر » ( ١ : ١٧ ) ولهذا فلم يهتم بأن يعمد كثيرين بل ترك المعمودية لآخرين لكى يقوموا بها .

أما الخط الثانى فى كلامه عن الفرائض فإنه يقتبس ما حدث لإسرائيل منذ القدم فقد اجتازوا فى البحر الأحمر مع موسى ومن أجله ، كانوا فى وسط البحر وكانت السحابة فوقهم وهذا مثال للمعمودية فى المسيحية فقد اعتمدوا لموسى أو فى شركة عميقة معه ، ثم أكلوا المن الذى نزل من السماء وشربوا من الصخرة التى تابعتهم وهى المسيح وهذا رمز للعشاء الربانى الذى يمارس فى العهد الجديد . ومع ذلك فلم تحفظهم المعمودية ولا العشاء الربانى من السقوط فى الخطية وعبادة الأصنام فأكلوا وشربوا وقاموا للعب ( ١٠ : ٧ ) ، ولم يحفظهم أيضاً من العقاب الشديد الذى نزل بهم ، فأهلكتهم الحيات وسقطوا فى القفر بعد أن جربوا الرب . هذا كله مثال لنا وتحذير لنا عندما نسقط فى الخطية وعندما نعبد الأصنام ، وعندما نأكل مما ذبح للوثن ، وفى ضميرنا أننا نشترك مع الوثن . هذا كله سوف يأتى علينا رغم أننا اشتركنا فى المعمودية وعشاء الرب . فلا يظن واحد فى الكنيسة أنه محفوظ من كل هذا لأنه اعتمد ويشترك فى عشاء الرب وبذلك يسقط فى الخطية . ولماذا يذهبون بعيداً ؟ إنه هو نفسه الذى بشر الكثيرين والذى قدم الإنجيل للكثيرين والذى أسس الرب على يديه كنائس كثيرة . . هو نفسه الذى لم يعتمد ويشترك فى عشاء الرب فقط ولكنه اشترك فى تجديد الآخرين والكرازة لهم . . هو نفسه يخاف لئلا يكون مرفوضاً ( ٩ : ٢٦ و ٢٧ ) . فالمسيحية لا تعنى فقط ممارسة للفرائض بطريقة ميكانيكية تضمن للانسان كل شئ ، ولكن المسيحية هى أن يقمع الإنسان جسده ويستعبده، حتى الرسول نفسه .

ولقد عوقبت كورنثوس نفسها عندما أكلوا الخبز وشربوا الكأس بدون استحقاق يقول لهم الرسول « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأنه لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ( ١١ : ٣٠ و ٣١ ) . ولكن ماذا فعل الكورنثيون فى عشاء الرب ؟ لقد كانوا يصنعون

عشاء الرب فى إطار وليمة حبية يشتركون فيها كلهم ، وفى أثناء العشاء أو فى نهايته كانوا يمارسون عشاء الرب ، ولقد كان كل واحد منهم يحضر عشاؤه معه وينتظر إخوته إلى أن يحضروا ثم يأكلون كلهم . ولكن الأمور تطورت فأضحى الناس يأكلون طعامهم بمجرد أن يذهبوا إلى الكنيسة ، وكان الأغنياء ينفردون بما يأتون من أطعمة ولا يهتمون بالفقير ( ١١ : ٢٠ – ٢٢ ) ، وبهذا العمل كانوا يرجعون إلى عاداتهم الوثنية إذ كانوا يظنون أن الطعام يربطهم بالوثن ويوحدهم معه . ولم يفهموا الفكرة المسيحية فيه ، وهو أن هذا العشاء لا يربط الجسد بالرأس فقط ولكنه علامة على ارتباط الجسد نفسه . . ارتباط أعضائه بعضهم بالبعض ، وبهذه الكيفية أهانوا جسد الرب ، أى لم يستطيعوا أن يميزوه أو يعرفوا مركزه وقيمته ( ١١ : ٣٠ ) ويعتقد كثيرون من المفسرين أن جسد الرب هنا تعنى الكنيسة ( ١٠ : ١٧ ) . أى أنهم لم يفهموا مركز ومعنى الكنيسة وعشاء الرب بالنسبة لها . وغيرهم يعتقد أن جسد الرب تعنى جسده الحقيقى الذى رفع على الصليب ( ١٠ : ١٦ ) . ولكن سواء هذا أم ذاك فالإثنان فى النهاية يصلان إلى هدف واحد . إن الموقف الصحيح يصفه الرسول فى ١٠ : ١٦ و ١٧ « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح ؟ الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد » إننا لا نأكل الخبز ونشرب الخمر لكى نشترك فى جسد المسيح فهذا قد حدث من قبل بل لكى نتقوى ويتقوى الرباط المتين بين المسيح والكنيسة وبيننا وبين الآخرين » .

ـ المواهب الروحية : ( ص ١٢ و ١٤ )

عندما يختبر المؤمن عمل الروح القدس فإن المواهب الطبيعية التى يمتلكها تتطور وتتقوى ، ولكنه قد يعطى بعض المواهب الخاصة كموهبة النبوة

والألسنة . . وقد اختبرت ذلك كنيسة كورنثوس ، ولكن حدثت هناك عدة مشكلات لم يستطع الأعضاء حلها ولذلك كتبوا للرسول عنها ، ويلوح أن هذه المشكلات كانت تتلخص فى الأمور الآتية :

١ — بعض الأعضاء عندما كانوا يصبحون فى حالات حماس شديدة كانوا ينطقون بعبارات غير مسيحية بل عبارات تجديف على يسوع كانوا يقولون « يسوع أناثيما » ( ١٢ : ٣ ) .

٢ — الذين تمتعوا بهذه المواهب لم يمارسوها بوجهها الصحيح بل قادتهم هذه المواهب إلى التنافس البغيض والكبرياء . وجميع من كانوا يمتلكون موهبة غير طبيعية ، كالشفاء والتكلم بالسنة وغيرها كانوا ينظرون إلى الآخرين بعين الاحتقار لأن مواهب هؤلاء لم يكن لها المظهر اللامع مثل مواهبهم . ولهذا شك أصحاب المواهب الغير طبيعية فى الآخرين وفى نوالهم عطية الروح القدس .

٣ — لهذا السبب السابق انحطت معنويات الأعضاء الذين لم تكن لهم سوى المواهب المختفية أو التى ليس لها الصوت المرتفع ، وبدأوا هم يشكون فى أنفسهم ، وأنهم تحت سيطرة الروح القدس .

٤ — بعضهم لم يكتف بمواهبه واشتهى بحسد أن تكون له المواهب التى للغير .

وكان على الرسول أن يجيب على هذه الأسئلة والقضايا :

١ — يبدو أن بعض الوثنيين عندما كان يحدث لهم الهياج الدينى ويريدون أن يتخلصوا من هذه الحالة كانوا يلعنون الإله الذى كانوا يظنون أن الاتحاد به يسبب لهم هذا الهياج لكى يستريحوا ، وهذه الحالة كانت تحدث مع بعض أعضاء كنيسة كورنثوس فكان الواحد « يلعن » يسوع لكى يتخلص من حالة

الهياج . وإلا فلماذا لم يعرف الكورنثيون أن هذا الكلام كان من الشيطان ؟ ولهذا يذكرهم الرسول بأنهم كانوا قبلا وثنيين وهذا ما كانوا يفعلونه عندما كانوا يتهيجون ، ولكن ما دام روح الله هو الذى يسوقهم فلا يمكن لروح الله أن يقول يسوع أناثيما ، بل يعترف أنه رب ( ١٢ : ١ — ٣ ) .

٢ — أما الأمر الثانى فهو أنه لا خلاف بين موهبة وأخرى طالما أنها موهبة من الروح القدس وهى موهبة نافعة ، فإن الكنيسة تحتاج إلى خدمات كثيرة ، « فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » ( ١٢ : ٦ ) . كل المواهب والخدم مصدرها الله وهى كلها متساوية فى قيمتها وفى أصلها لأنها تأتى من الروح القدس ، لا فرق فى ذلك بين من يمتلك مواهب غير طبيعية ومن يمتلك المواهب العادية الطبيعية ( ١٢ : ٧ — ١١ ) .

ويضرب الرسول مثلا لذلك بالجسد الذى فيه أعضاء كثيرة ولكنها تعمل كلها فى اتساق وانسجام لخير الجسد كله . وهكذا نحن ككنيسة ، « لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً » ( ١٢ : ١٣ ) وعلى هذا فهناك اختلاف فى المواهب لأن الله «وضع أناساً فى الكنيسة أولا رسلا ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع ألسنة » ولكن هذه كلها تعمل للخير وللنفع فى الكنيسة التى هى جسد المسيح .

٣ — ولكن ليحذر أى إنسان من أن يفتخر على إخوته بمواهبه الغير عادية ظناً منه أنه أعظم منهم لأنه « لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لى إليكما بل بالأولى أعضاء الجسد

التى تظهر أضعف هى ضرورية ، وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل لكى لا يكون انشقاق فى الجسد بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض » (١٢ : ٢١ – ٢٤) . وعلى هذا القياس فلا يستطيع أولئك الذين لهم مواهب القوات والشفاء والألسنة أن يفتخروا لأن المواهب التى لا تظهر فى مثل حجمها لها نفعها الأكثر وخدمتها الأعظم .

أما أعظم المواهب جميعاً هى موهبة يجب على الجميع أن يسعوا وراءها . وأن يمتلكوها ، بل يجب أن تتملكهم وهى المحبة . ولهذا فهو لا يسميها موهبة ، وإلا لصارت للبعض فقط ، ككل المواهب الأخرى ، ولكنه يسميها « طريقاً أفضل » . فهى تمتلك كل الحياة . وكل عضو فى جسد المسيح . ويتكلم الرسول عن المحبة بكيفية توحى بأنه كان يتأملها دائماً . . بل يتأمل المحبة المتجسدة فى حياة المسيح كما سمع عنها . إن هذا الأصحاح من أغنى وأعمق وأجل ما كتب الرسول فى كل حياته ( ص ١٣ ) .

فى الأصحاح الرابع عشر يرجع الرسول إلى دراسة المواهب ويضع المبادئ الأساسية التالية :

أولا : بعد المحبة يضع الرسول موهبة النبوة فى رأس القائمة والسبب فى ذلك لأنها تبنى السامع والكنيسة ، فهى أعظم من التكلم بألسنة لأن الذى يتكلم بلسان « يبنى نفسه وأما من يتنبأ فإنه يبنى الكنيسة » ( ١٤ : ٤ ) فمن يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة .

ثانياً : اللسان بدون ترجمة لا يبنى إلا المتكلم وقد يكون سبب سخرية

تجئ من السامع الأمى أو الغير مؤمن ( ٢٣ ) ولكن إذا ترجم اللسان فقد يكون نافعاً للجميع .

ثالثاً : يجب أن يكون هناك نظام وترتيب فى التنبؤ وفى التكلم بالسنة لأن إلهنا ليس إله تشويش بل إله سلام .

**٥ ـ قيامة الأموات : ( ص ١٥ )**

قبل أن ينتهى الرسول من هذه الرسالة يكتب مطولا عن قيامة الأموات . ويلوح أن جماعة فى الكنيسة أنكرت هذه الحقيقة ، وذلك واضح فى قول الرسول « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات ( ١٥ : ١٢ ) . فما هى طبيعة هذه البدعة ، لا أحد يدرى على وجه التحقيق ، ومن دراسة الأصحاح ومناقشة الرسول لأفكارها يستنتج الدارس أنها ربما كانت واحدة من اثنين :

إما أنها رد على بدعة أخرى مفادها أن الجسد سوف يقوم كما هو بدون أى تغيير . ويؤخذ هذا من مقاومة الرسول نفسه لهذه البدعة الأخيرة فى قوله « إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم فساد » ( ١٥ : ٥٠ ) .

وإما أنها كانت مقدمة لبدعة هيمينايس وفيليتس اللذين قالا « إن القيامة صارت » ( ٢ تيموثاوس ٢ : ١٨ ) وهم الآن يملكون فى ملكوت الله » ولهذا رد الرسول نفسه عليهم ساخراً منهم فى ٤ : ٨ « أنكم قد شبعتم ، قد استغنيتم ملكتم بدوننا وليتكم ملكتم لنملك نحن أيضاً معكم » .

أما رد الرسول على هذه الضلالة فكان هكذا :

١ ـ يضع قيامة المسيح أساساً لكل شئ . وقيامة السيد مؤكدة بحسب

الكتب المقدسة وبحسب ما تسلمه من الذين عاينوا . وبحسب ما اختبر هو إذ ظهر له المسيح المقام بعد أن ظهر لجميع التلاميذ ( ١٥ : ١ — ١١) . وقيامة الأموات تبنى على قيامة المسيح . فإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيماننا وإن كانوا قدشهدوا أن الله أقام يسوع من الأموات تكون شهادتهم زور ولم يعد لنا رجاء فى المسيح إلا فى هذه الحياة فقط وما أبأسه من رجاء ( ١٢ — ١٩ ) . ولكن المسيح قد قام ، وهو يملك الآن إلى أن يخضع كل شئ وبذلك تتم أعمال المسيح فى الفداء ومصالحة العالم ويسلم الملك لله الآب فيكون الله هو الكل فى الكل ( ٢٠ — ٢٨ ) .

٢ — إن هذا الرجاء فى القيامة هو الذى يدفع الرسول للمخاطرة فى التبشير فحياته هى شهادة حية للرجاء الكامل فى القيامة . ويأخذ من حياتهم هم مثلا على رجاء القيامة وهو المعمودية من أجل الأموات . ( ٢٦ — ٣٤ ) إن الرسول لا يعنى أن يؤيد هذه العقيدة عندما يتخذها مثلا على رجاء القيامة ، ولكنه يوبخ الكورنثيون بأنهم يمارسون أشياء تتنافى مع عقائدهم النظرية » .

٣ — إن القيامة لا بد وأن تكون جسدية ، وهذا ما يسميه الرسول بطرس الخلاص المستعد أن يعلن فى الزمان الأخير ( ١ بطرس ١ : ٥ ) . ويسميه الرسول بولس « التبنى أى فداء أجسادنا » ( رومية ٨ : ٢٣ ) . ولكن هذا الجسد ليس جسداً كهذا الذى نلبسه ولكنه جسد روحى ، وهذا ما يؤيده سيدنا عندما سأله الصدوقيون عن أمر القيامة والزواج فقال لهم « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » ( متى ٢٢ : ٣٠ ) . ولكن هذا الجسد الروحانى لا يعنى أن الشخصية الفردية قد انتهت ، فالعلاقة بين الجسد الحالى والجسد المقام هى كالعلاقة بين البذرة وما ينبت منها . إنهما مرتبطان ولكنهما مختلفان . فالإنسان الواحد هو فى آدم

الخليقة القديمة — إنسان مائت ، ولكنه فى المسيح — الروح المحيى والخليقة الجديدة — إنسان حى ، فكما لبسنا صورة الترابى — آدم — سنلبس صورة السماوى الرب يسوع ( ٣٥ — ٥٠ ) .

٤ — ويكشف الرسول عن سر التغيير ، قد لا يكون الموت هو النهاية ولكن الأمر المؤكد هو التغير . ولعل الرسول يتكلم هنا من وجهة نظر ما قاله من قبل « لأن الوقت منذ الآن مقصر » ( ٧ : ٢٩ ) أى أنهم كانوا ينتظرون رجوع المسيح السريع . ولكن التغير يعنى أن سلطان الموت قد انتهى وأننا نشارك فى الغلبة ليسوع المسيح ( ٥١ — ٥٨ ) .

أما قصة الجمع لأجل القديسين التى كتبوا له عنها ( ١ كورنثوس ١٦ : ١ — ٤ ، ٢ كورنثوس ٩ : ٥ ) فلعلها كانت من إيحاء الرسول نفسه كما فعل فى سائر كل الكنائس ( ١٦ : ١ ، رومية ١٥ : ٢٦ وهكذا ) وذلك وفاء لتعهده للرسل فى أورشليم أن يفعل ذلك ( غلاطية ٢ : ١٠ ) . ولقد فعلت كنيسة أنطاكية نفس الشئ أيضاً ( أعمال ١١ : ٢٩ و ٣٠ ) . ولم يقصد الرسول من الجمع إحساناً إلى الفقراء بقدر ما كان يقصد به أشياء أخرى :

١ — ألا تنقسم الكنيسة إلى كنيستين يهودية وأممية وتكونان منفصلتين بل أن تنضم كلها كنيسة واحدة فى المسيح ، إذا تألم عضو تألمت معه كل الأعضاء لأن القديسين فى أورشليم يمجدون الله من أجل الأمم لأنه عمل فيهم وسكنت محبته الفياضة حتى أنهم يقدمون مما لهم ويقول الرسول «إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع وبدعائهم لأجلكم مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم ( ٢ كورنثوس ٩ : ١٣ و ١٤ ) .

٢ – إن الأمم مديونون لليهود بالروحيات فليس كثيراً عليهم أن يردوا لهم شيئاً من هذا الدين بالجسديات . ( رومية ١٥ : ٢٧ ) .

٣ – يريد الرسول أن يجعل هذه العطايا عملا من العبادة ، بل هى جزء لا يتجزأ منها فلذلك يطلب منهم أن يضع كل واحد منهم ما يتيسر له فى خزانته للعطاء كل يوم أحد ، ولم يكن هذا ترتيباً وتنظيماً وتسهيلا للعمل فقط ، بل كان تذكيراً لهم بعطية الرب يسوع ، التى لا يعبر عنها الذى مات وقام من أجل تبريرنا يوم الأحد ( ٢ كورنثوس ٩ : ١٥ ) . ولأجل ذلك يصبح هذا العطاء عاملا على زيادة المحبة والشكر لله ( ٢ كورنثوس ٩ : ١١ ) .

## الرسالة الثانية

إذا كانت الرسالة الأولى تهدف إلى تقويم الأمور المعوجة فى الكنيسة ومحاولة تنوير الأعضاء فى أمور اختلط الأمر عليهم فيها ، نظراً لمجيئهم من الوسط الوثنى إلى المسيحية وهم لم يكونوا قد تعمقوا فى الإيمان الجديد بعد ، فإن الرسالة الثانية تحاول أن تقوم الصلة التى بين الرسول نفسه وبين الكنيسة ، فكل الرسالة تقريباً تدور حول أمور أثرت فى علاقته بهم ، أمور قد أساءوا تفسيرها أو أخذوها ضده أو رآهم مخطئين فى تصورهم أشياء لم تكن حقيقية . وقبل أن نتقدم إلى دراسة هذه الأمور يستحسن أن نشير إلى بعض الأمور التى تعبر عن قلب الرسول من نحوهم وبعد ذلك ندرس موقفهم منه : فهو يعبر عن نفسه أنه أبوهم ( ١ كورنثوس ٤ : ١٥ ) الذى ولدهم فى المسيح يسوع بالإنجيل ، وهو كأب فإنه يستخدم سلطان الأبوة معهم فقد يقسو عليهم ولكنها قسوة الأبوة والمحبة وليس لتخجيلهم ( ١ كورنثوس ٤ : ١٤ ) وهو كثيراً ما يمدحهم بقدر الإمكان ( ١ كورنثوس ١ : ٤ – ٩ ، ١١ : ٢ ) ومحبته لهم لا تنحصر فى جماعة بل تتجه إلى الكنيسة كلها ( ١ كورنثوس ١٦ : ١٤ ) وهو يخاطبهم

فى مرات كثيرة كأخوة ( ١ كورنثوس ١ : ١٠ و ٢٦ ، ٢ : ١ ، ٣ : ١-٨) وأحباؤه ( ١ كورنثوس ١٠ : ١٤ ، ١٥ : ٥٨ ) . وشركاؤه فى التعزية والضيقة ( ١ كورنثوس ١ : ٧ ) .

ويقول إن ما يقويه ويجعله يحتمل الموت كل يوم هو افتخاره بهم ( ١ كو ١٥ : ٣١ ) ويعتبر هذه الكنيسة ختم خدمته وعلامة رسوليته ولذلك فهو يتوجه إليهم بتثبيت إرساليته لهم ( ١ كورنثوس ٩ : ٢ ) . وبهذا يظهر الرسول محبته لهم وفخره بهم ومسئوليته من نحوهم ، ولعل هذا الموقف والإحساس من ناحيته جعله يكتب فى الرسالة الثانية مدافعاً ومحذراً وشارحاً نوع علاقته بهم .

**( أ ) هل بالغ الرسول فى تقدير سلطانه :**

يبدو أن الكورنثيين اشتكوا من أن الرسول كان يظن فى نفسه أكثر مما ينبغى ، مع أنه لم يكن بارعاً فى علم الكلام ولا الخطابة ، وأنه أحياناً كان يتصرف كإنسان غير متزن أو مختل . هذا نفهمه من ردوده عليهم ، فهو يسرع لكى يوضح لهم الدوافع التى كانت وراء بعض الأشياء التى بدرت منه وجعلتهم يظنون فيه هكذا ( ٢ كورنثوس ١ : ١٣ و ١٤ ، ٥ : ١٣ ، ١٠ : ٨ و ١٠ ) . من جهة عدم براعته فى الخطابة والكلام فلعله يرضيهم إذ يرسل لهم أخاً محبوباً مشهوداً له ولكفاءته فى هذه الأمور ( ٨ : ١٨ ) . ولكنه يعود فيبرر عدم اهتمامه بهذه الناحية لأنه يعرف أن الإنجيل لا يقدم بالحكمة البشرية أو سمو الكلام ، فهذا ليس الأساس الحقيقى له كما يظهر ذلك فى الفلسفات البشرية ، ولكن الإنجيل يعتمد أساساً على قوة الله واقتناعه وهو ما يعتمد عليه . ( ٢ : ١٧ ، ٤ : ٢ ، ١٣ - ١٤ ، ٥ : ١١ ) .

### (ب) لماذا يمدح نفسه كثيراً؟

اتهموه أنه كان يمدح نفسه كثيراً وشكوا من الطريقة التى يقترب بها منهم . ولكن الرسول يرد على ذلك بالإنكار فيقول لهم « أفنبتدئ نمدح أنفسنا أم لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم » ( ٣ : ١ — ٣ ، ٥ : ١١ و ١٢ ) . إن الهدف الأساسى فى خدمته ليس إعلان نفسه ولكن إعلان ربنا يسوع المسيح . « بل قد رفضنا خفايا الخزى غير سالكين فى مكر ولا غاشين كلمة الله بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله . . فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع » ( ٤ : ٢ و ٥ ) ثم يكرر ذلك بقوة فيقول « ولسنا نجعل عثرة فى شئ لئلا تلام الخدمة ، بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير فى شدائد فى ضرورات فى ضيقات فى ضربات فى سجون فى اضطرابات فى أتعاب فى أسهار فى أصوام فى طهارة فى علم فى أناة فى لطف فى الروح القدس فى محبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار » ( ٦ : ٣ — ٧ ) . إنه يريدهم أيضاً أن يكونوا فخره لأنهم « رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية » ( ٣ : ٢ و ٣ ) .

### ( ح ) لماذا يغير فى خطته لماذا يعدهم أن يزورهم ولا يفعل :

لقد وعدهم الرسول فى الرسالة الأولى أنه سيأتى إليهم عندما يمر بمكدونية وسوف يمكث عندهم طيلة فصل الشتاء ( ١ كورنثوس ١٦ : ٣ — ٦ ) . ولكنه مع ذلك لم يفعل ، ولهذا السبب اتهموه بأنه ليس مستقراً ولا يفى بمواعيده كما يقول لهم « وبهذه الثقة كنت أشاء أن آتى إليكم أولا لتكون

لكم نعمة ثانية وأن أمر بكم إلى مكدونية وآتى أيضاً من مكدونية إليكم وأشيع منكم إلى اليهودية فإذ أنا عازم على هذا . العلى استعملت الخفة أم أعزم على ما أعزم بحسب الجسد لكى يكون عندى نعم نعم ولا لا » ( ١ : ١٥ – ١٧ ) . ولكنه يرد على ذلك معلناً أنه ليس كذلك ، لأنه فى المسيح ويخضع لإرادة الله الذى فيه كل النعم والآمين ، وكان قوله قوياً «لكن أمين هو الله. أن كلامنا لكم لم يكن نعم ولا . . . ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا ولكنى أستشهد الله على نفسى أنى إشفاقاً عليكم لم آت إلى كورنثوس » ( ١ : ١٨ ، ٢١ – ٢٣ انظر ٤ : ٢ ، ١٠ : ٢ – ٦ ) . إن علامة خدمة الرسول وختم إرساليته هو عدم الغش فى الكلام وقوة الله ( ٦ : ٧ ) . وهكذا فهو لا يتذبذب ولا يخاف ، ولكنه يرى الأحسن لمجد الله ولخيرهم ولذلك يخضع لإرادته .

( د ) لماذا يسبب آلاماً لهم ؟ إنهم يشتكون منه ومن الجراح التى فجرها فى قلوبهم . وتظهر هذه الشكوى فى قوله لهم « لأنى إن كنت أحزنكم أنا فمن هو الذى يفرحنى إلا الذى أحزنته » ( ٢ : ٢ ) بل واشتكوا من لهجة رسائله لأنه هو يقول « لئلا أظهر كأنى أخيفكم بالرسائل » ( ١٠ : ٩ ) . لقد كان فى كلامه نغمة مرارة تخرج من قلب متألم حزين ، والرسول نفسه شعر بذلك وتألم لأجل رسالته القاسية لهم إذ يقول لهم « لأنى من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكى تحزنوا بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولا سيما من نحوكم »( ٢ : ٤ ) . وهو لم يكتب لهم هكذا إلا لأنه أراد أن يجنبهم زيارة قاسية فيها مواجهة لا يستطيعون تحملها ( ١ : ٢٣ – ٢ : ٣ ) . ومع ذلك فهذا الخطاب لم يكن بلا فائدة ، ولكنه فعل فيهم بقوة روح الله لكى يقودهم إلى توبة مخلصة « لأنى وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست

أندم مع أنى ندمت فإنى أرى تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة ، الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكى لا تتخسروا منا فى شئ » ( ٧ : ٨ و ٩ ) . وفى الحقيقة لقد استمر ألمه إلى أن سمع من تيطس الأخبار المفرحة عن توبتهم وعن الحالة الجديدة التى أصبحوا فيها من اتضاع وفرح قلب وتعزية ( ٧ : ٥ — ٧ ) .

( ٨ ) هل كان الرسول متزمتاً ؟ يؤخذ من القول « لستم متضيقين فينا بل متضيقين فى أحشائكم » ( ٦ : ١٢ ). إن كنيسة كورنثوس كانت تشتكى من التزمت الشديد الذى يفرضه الرسول عليهم . وإلى جانب ذلك فإنهم غالباً ما اشتكوا من الإلحاح الكثير فى جمع التقدمات لكنائس اليهودية ( ٩ : ٥ ) فأصبح هذا الجمع ثقلا كبيراً عليهم ( ٨ : ١٣ ) ؛

أما بالنسبة للأمر الأول يرد عليهم الرسول قائلا لهم إنه يجب أن ينفصلوا وكان أمره فى ذلك مشدداً نظراً للخلفية الغير أخلاقية التى تفشت فيما بينهم ، ونظراً لأن الإنجيل يتطلب قداسة فى خدمة الله ويرجع مرة أخرى إلى صورة الكنيسة كهيكل الله التى يذكرها لهم فى الرسالة الأولى فيقول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والاثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شئ » ( ٦ : ١٤ — ١٨ أنظر ١ كورنثوس ٣ : ١٦ ، ٦ : ١٨ — ٢٠ ) هذه الصورة : صورة هيكل الله تبنى على صورة أخرى هى صورة العهد الجديد

الذى عمله الله مع شعبه كما حدث فى العهد القديم (خروج ٢٥ : ٨ ، ٢٩ : ٤٥ ، لاويين ٢٦ : ١٢ ، إرميا ٣١ : ٣١ — ٣٤) هذه الصورة تتطلب من الإسرائيليين أن يكونوا قديسين ، وهكذا يتطلب من شعب العهد الجديد أن الله قد أعطاهم المواعيد فيجب أن يكونوا مخلصين فى حياتهم « فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله (٧ : ١) وهكذا فبسبب خلفيتهم وبسبب العهد الذى دخل فيه الله معهم يشدد على نبرة القداسة والانفصال عن أعمال الناس .

أما بخصوص العطاء فإن الرسول يتكلم بتطويل فيه (ص ٨ و ٩) ويضع قدامهم المكدونيين كمثال كريم يجب أن يحتذيه الجميع فى السخاء (٨ : ١—٥) ومن الجانب الآخر يفتخر بأهل أخائية أمام المكدونيين (٩ : ١ — ٥) ، ولقد حث الرسول بكل الطرق الممكنة على هذا العطاء ، فيقول لهم « لكن كما تزدادون فى كل شئ فى الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبتكم لنا ليتكم تزدادون فى هذه النعمة أيضاً » (٨ : ٧) ويقول لهم إنه ينصح ولا يأمر بذلك لأن هذا العمل هو اختبار لمحبتهم (٨ : ٨) ويرشدهم لما يجب عمله (٨ : ١٠) وسيرسل لهم من يعاونونهم فى هذه الخدمة المجيدة (٩ : ٥) . إن الهدف الأعظم من هذه الخدمة هو تمجيد الله والإحساس بنعمته فى المسيح (٩ : ١٣) . وبهذه الكيفية حول الرسول قضية العطاء من منطقة المقدرة على العطاء والإرادة إلى منطقة الشكر لله على عطيته التى لا يعبر عنها (٩ : ١٥) وأنه فى عطائنا إنما نرد جميله العظيم .

(و) هل يحتقرهم الرسول ؟ لقد اشتكى بعض الأعضاء أنه لا يحبهم بل يحتقرهم لأنه رفض أن يقبل منهم ما يسد أعوازه ، بينما قبل من كنائس أخرى كثيرة (١١ : ٧ — ١١ ، ١٢ : ١٣) . لقد حاول الرسول جهده منذ بدء

الأزمة أن يعبر لهم عن محبته لهم ، حتى الخطاب القاسى الذى أرسله لهم كان هدفه « لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيا من نحوكم » ( ٢ : ٤ ) . ولعل الرسول عندما يتكلم عن إرساليته وبمجدها فى ٥ : ١٦ — ٦ : ٢ فإنه يرى أن ثمرها يظهر فى علاقته مع كنيسة كورنثوس . وفى محبة جياشة يقول لهم « فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون قلبنا متسع لستم متضيقين فينا بل متضيقين فى أحشائكم فجزاء لذلك أقول كما لأولادى كونوا أنتم أيضاً متسعين » ( ٦ : ١١ — ١٣ ) ثم يقول وهو يلتمس ويرجو فى المحبة « إقبلونا لم نظلم أحداً لم نفسد أحداً لم نطمع فى أحد » ( ٧ : ٢ ) . أما عن رفضه معونتهم المالية فلأنه لم يرد أن يثقل عليهم. إنه أذل نفسه لكى يرتفعوا هم إذ بشرهم مجاناً بالإنجيل ( ١١ : ٧ )« ولماذا ؟ ألأنى لا أحبكم ؟ الله يعلم » (١١ : ١١ ثم يتحداهم أن يظهروا أى دليل على أنه تركهم فى محبته « لأنه ما هو الذى نقصتم عن سائر الكنائس إلا أنى لم أثقل عليكم ؟ سامحونى بهذا الظلم » ( ١٢ : ١٤ ) . إنه اتهام باطل .

( هل كان الرسول فى ضعف تعثرت منه الكنيسة ؟ لقد اتهموه بأنه ضعيف وذلك يظهر فى قولهلهم«ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه أنا نفسى بولس الذى فى الحضرة ذليل بينكم أما فى الغيبة فتجاسر عليكم » ( ١٠ : ١ أنظر ١٠ : ١٠ ) ويلوح أن التواضع المسيحى الذى أظهره الرسول فى حياته ومعاملته لهم لم يكن يروقهم ، فحسبوا تواضعه ضعفاً . ولم يستطيعوا أن يفهموا أن هذه الضعفات هى فى الحقيقة قوة إرساليته ( ١٢ : ٧ — ١٠ ) إنها لكى تظهر قوة الله فيه . وأنه ليس أعظم من سيده فى « وداعته وحلمه » ( ١٠ : ١ ) ويقول لهم بهذا الخصوص « إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فى الذى ليس ضعيفاً لكم بل قوى فيكم لأنه وإن كان قد صلب من ضعف لكنه حى بقوة الله ، فنحن أيضاً ضعفاء فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله من

جهنكم » ( ١٣ : ٣ و ٤ ) . إن هذا الأمر هو المفتاح الحقيقى لمعاملة الرسول معهم ، إنه وإن كان قد أظهر ضعفاً جسدياً ولكنه فى المسيح قوى ولا يمكن أن يضعف .

* * *

هذه هى بعض الأمور الرئيسية التى أوردها الرسول فى رسالته لكى يدافع عن نفسه ويشرح لهم ما عسر عليهم فهمه ، ولكن السؤال الهام هنا : هل كانت الكنيسة كلها تظهر تجاهه هذا الموقف ؟ طبعاً يمكننا أن نجيب على هذا السؤال بالنفى ، وإلا لما كان هناك حزب يقف بجانبه مع أنه لم يكن يرضى عن هذا الحزب . ومن الواضح من كلامه أنه كان هناك جماعة خاصة محددة تثير هذه المتاعب يسميهم هو « فائقى الرسل » ( ١١ : ٥ ، ١٢ : ١١ ) . ونحن لا نعرف شيئاً عن أصلهم ولا من أين جاءوا ، ربما جاءوا برسائل توصية الأمر لم يرض الرسول ولم يفكر فيه أبداً ( ٣ : ١ ) . وما ميزهم أيضاً عنه هو كبرياؤهم وافتخارهم وطلبهم المتواصل للمال ( ١١ : ٧ — ١٥ ، ١٢ : ١٣ — ١٨ ) . سخروا الكنيسة لأغراضهم الخبيثة مما جعل الرسول يتكلم عنهم بشدة وبقسوة إذ يقول « ولكن ما أفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة لكى يوجدوا كما نحن أيضاً فى ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » ( ١١ : ١٢ و ١٣ ) . أما الرسول الحقيقى فهو عكس ذلك تماماً لأنهم «حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت » ( ٤ : ١٠ و ١١ ) إنهم مثل سيدهم أقوياء فى الضعف ويفتخرون به ( ٢ : ١٤ — ١٦ ، ٤ : ٧ — ١٢ ، ٦ : ٤ — ١٠ ، ١١ :

٢٣ – ٢٩ ) . إن الرسول يشكو أن الكورنثيين قد عجزوا أن يروا هذا الفرق الواضح فسببوا حرجاً للرسول فيقول « قد صرت غبياً وأنا أفتخر أنتم ألزمتمونى لأنه كان ينبغى أن أمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل وإن كنت لست شيئاً . إن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات » ( ١٢ : ١١ و ١٢ ) إن هذا الأمر هو سبب المتاعب كلها فى كنيسة كورنثوس. إنها لم تستطع أن تميز بين المجد الحقيقى الداخلى الذى يظهر فى إطار الألم الجسدى وبين المظاهر الخارجية التى لا أساس لها إلا الافتخار البشرى الكاذب . ما أبهى مجد المسيح ومجد رسله الذين هم سفراء عنه يطلبون من الناس أن تصالحوا مع الله .

## « رسالة غلاطية »

تعتبر رسالة غلاطية وثيقة الرسول بولس فى استقلاله عن الناس واعتماده على الله وأهم من ذلك وثيقة الإيمان المسيحى الذى لا ينبع من أى سلطان بشرى أو طقس أو ناموس بل مما فعله الله فى يسوع المسيح لفداء البشر ، الذى يعطى المؤمن المفتاح الحقيقى للاقتراب إلى الله :

ولكن قبل أن نتكلم عما تعنيه هذه الرسالة ومحتوياتها ينبغى أن نعرف خلفيتها حتى نفهمها على حقيقتها .

**غلاطية :**

يدعو الرسول الذين أرسل لهم هذه الرسالة « الغلاطيون » ( ٣ : ١ ) وهم جماعة من « كنائس غلاطية » ( ١ : ٢ ) . فما هى منطقة غلاطية هذه ومن هم سكانها ؟

يطلق اسم غلاطية على منطقتين تكونتا فى مرحلتين متتاليتين : فالاسم غلاطية فى معناه الضيق تطلق على الجزء الأوسط من أسيا الصغرى ، حيث كان يسكنها قبائل سلتية ، كانوا أصلا فى غالة حول الدانوب ، ولكنهم طردوا من هناك فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، فجاءوا إلى أسيا الصغرى. وفى ٢٤٠ ق. م هزمهم أتالس ملك برغامس وجعلهم يتجمعون فى هذه المنطقة حول المدن الثلاث انقيرا Ancyra التى هى أنقرا حديثاً . وبسينوس Pessinus تفيوم Tavium .

ولكن هذا الاسم أطلق على منطقة وسعها الرومان الذين أخذوا المملكة من آخر ملوكها سنة ٢٥ ق. م ، وأضافوا عليها بعض المقاطعات فى الجنوب

مثل بيسيدية أسوريا وفريجية وليكاؤنية . وجعلوا هذه كلها مقاطعة رومانية يتخذ الوالى الرومانى أنقيرا عاصمة له .

ومن هنا يلاحظ أن غلاطية لم تكن بلداً واحداً ولم تكن بها كنيسة واحدة ، ولهذا كتبت الرسالة إلى كنائس «غلاطية» ( ١ : ٢ ) فى صيغة الجمع ، والظرف الذى لأجله كتبت هذه الرسالة لم يكن لكنيسة واحدة بل لكنائس هذه المنطقة وعلى هذا الأساس تواجه الدارس بعض المشكلات فى دراسة الرسالة لم يستطع العلماء البت فيها نهائياً هذه المشكلات هى لمن كتب الرسول هذه الرسالة؟هل لكنائس المنطقة كلها،شمالا وجنوباً التى بشرها فى رحلته الثانية ، أم لكنائس الجزء الجنوبى التى بشرها فى الرحلة الأولى ؟ ويبنى على ذلك مشكلة تاريخ كتابة الرسالة ثم المكان الذى كتبت فيه ولعل السبب فى هذه المشكلات هو صعوبة البت فى التوفيق بين ما ذكره لوقا فى سفر الأعمال عن زيارتى الرسول لأورشليم ( فى أعمال ١١ : ٢٩ و ٣٠ وفى ١٥ ) وبين ما كتبه هو عن زيارته إلى أورشليم فى ( غلاطية ٢ : ١ — ١٠ ) ، هل هذه الزيارة المذكورة فى غلاطية هى التى حدثت فى أعمال ١١ أم ١٥ . والأمر الآخر الذى بنيت عليه المشكلة هو المكان الذى كان يقصده لوقا والرسول عندما كانوا يتكلمون عن غلاطية ، هل هو اسم يدل على منطقة سياسية فيحوى الجزء الجنوبى أم يقتصر على جنسية السكان فيقتصر على الجزء الشمالى الذى كان يسكنه السلتيون قبل ٢٥ ق.م وقبل أن يضيف إليه الرومانيون المقاطعة الجنوبية ؟

سنمر سريعاً على هذه المشكلات لقصد الدراسة فقط لأن الجواب على هذه الأسئلة مهما كان لا يغير من طبيعة الرسالة ولا من الهدف والمعنى الموجود فيها .

**صلة الرسول بهذه المنطقة ( أعمال ١٣ و ١٤ ) :**

كما عرفنا سابقاً كان الجزء الجنوبى الذى أضافه الرومانيون على غلاطية الأصلية هو حقل الرسول التبشيرى فى رحلته الأولى حيث تكونت مجموعة من الكنائس خاصة فى دربة ولسترة وأيقونية وغيرها من المدن والمناطق، وفى طريق العودة مر الرسول مع برنابا مرة أخرى على هذه الكنائس « يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان . . وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة » ( أعمال ١٤ : ٢٢ و ٢٣ ) .

أما فى الرحلة التبشيرية الثانية فقد ذهب إليهم الرسول بولس مع سيلا وكانا يجتازان فى كل المدن ليسلماهم القضايا التى حكم فيها مجمع أورشليم . ولقد أرادا أن يقدما الإنجيل فى آسيا فى الجنوب الغربى ولكن الروح منعهما ( أعمال ١٦ : ٦ ) فحاولا أن يذهبا إلى بيثينية فى الشمال الغربى ولكن الروح أيضاً منعهما ( أعمال ١٦ : ٧ ) ويذهب كثيرون من العلماء على أن العبارة « اجتازوا فى فريجية وكورة غلاطية التى توجد فى أوائل الرحلة الثانية ( أعمال ١٦ : ٦ ) وفى أوائل الرحلة الثالثة ( أعمال ١٨ : ٢٣ ) تعنى أن الرسولين أسسا هناك فى هذه المنطقة الشمالية المسماة « بكورة غلاطية » كنائس كثيرة .

**لمن كتب الرسول رسالته ؟ :**

هل لغلاطية الشمالية التى تسمى كورة غلاطية قبل أن يوسع الرومان تخومها ؟ أم إلى الجزء الجنوبى من غلاطية الواسعة التى بشرها الرسول فى الرحلة الأولى له ؟

كان الرأى السائد إلى أوائل القرن التاسع عشر هو أن الرسول كتب هذه الرسالة إلى غلاطية الشمالية . ولكن بدأ بعض العلماء يشكون فى ذلك

ويقولون إن الرسول كتبها إلى غلاطية الجنوبية التى بشرها فى رحلته التبشيرية الأولى .

أما مؤيدو النظرية الأولى الذين يعتبرون أن الرسالة وجهت إلى غلاطية الشمالية فيثبتون رأيهم بما عرفوه عن لوقا كاتب سفر الأعمال من أنه عندما يذكر اسم « غلاطية » أو كورة غلاطية فإنه يقصد غلاطية الشمالية ، أما إذا كان يريد أن يتكلم عن غلاطية الجنوبية فلا يسميها هكذا ، بل يذكر مقاطعاتها بأسمائها مثل بمفيلية ، بيسيديه . . وغيرها . وفى سفر الأعمال لم يشر الكاتب إلى غلاطية بالاسم إلا فى ابتداء الرحلة الثانية ( أعمال ١٦ : ٦ ) وابتداء الرحلة الثالثة ( ١٦ : ٦ ) . أما قبل ذلك فلم يذكرها أبداً . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نجزم أن الرسول بولس كان يقصد غلاطية الشمالية بهذه الرسالة لأنه يذكرها بالاسم .

ويجيب أصحاب هذه النظرية على التساؤل عما إذا كان الرسول قد أسس فى غلاطية الشمالية أية كنائس ؟ بأن الرسول قد أسس مجموعة من الكنائس فى بدء رحلته الثانية بعدما منعه الروح من العمل فى الجنوب ، فسار شمالا وبشر الناس فى رحلته وليس من الضرورى أن يذكر لوقا ذلك فى سفر الأعمال .

أما مؤيدو نظرية غلاطية الجنوبية فيردون على ذلك بأن الرسول بولس كان يسمى المناطق لا بحسب موقعها الجغرافى بل بحسب موقعها السياسى . وعندما كتب الرسالة كان اسم غلاطية يطلق على كل المنطقة شمالا وجنوباً وهذا ما فعلته السلطة الرومانية . فالرسالة أرسلت أصلا إلى الجزء الجنوبى من غلاطية الذى بشره الرسول فى رحلته الأولى .

ومما يؤيد ذلك أن المنطقة الجنوبية امتازت بالجالية اليهودية الضخمة التى

كان لها التأثير الكبير (أعمال ١٣ : ١٤ ، ٤٣ – ٤٦ ، ١٤ : ١ – ٧ و ١٩) بعكس غلاطية الشمالية التي سكنها السليتون واحتفظوا بعوائدهم وتقاليدهم مدة طويلة . ونظراً لأن الرسالة موجهة إلى جماعة اليهوديين ، فلا بد أن وجهتها كانت إلى الجنوب لا إلى الشمال .

على كل حال لا يمكن القطع برأى حاسم فى هذا الأمر لأن كل نظرية لها ما يؤيدها من الشواهد والبراهين ، وضدها ما ينفيها من شواهد وبراهين أيضاً . وكل دارس يرجح ما يجده أكثر إقناعاً له . وإن كنا هنا نرجح نظرية غلاطية الجنوبية .

**تاريخ كتابة الرسالة :**

يتوقف البت فى تاريخ كتابة الرسالة على عدة أمور :

الأول : إلى أى قسم كتب الرسول الرسالة : فإذا كان قد كتبها إلى غلاطية كلها فهذا دليل على أنها كتبت متأخراً على الأقل أثناء رحلته التبشيرية الثالثة . أما إذا كان قد كتبها إلى غلاطية الجنوبية فيجوز أن يكون كتبها مبكراً ربما قبل الرحلة الثانية أو بعد ذلك بقليل . وحيث أننا هنا نرجح الموقف الثانى فإننا نرجح أنه كتبها مبكراً ، ولكن هذا لا يمنع أنه كتبها متأخراً . فهل من دليل آخر لترجيح كتابتها مبكراً ؟

الأمر الثانى : التوفيق بين غلاطية ٢ : ١ أى الرحلة بعد ١٤ سنة وبين سفر الأعمال الذى يذكر رحلتين الأولى فى أعمال ١١ : ٣٠ عندما ذهب شاول وبرنابا حاملين العطايا إلى كنيسة أورشليم ، والثانية فى أعمال ١٥ : ١ و ٢ عندما ذهب مع برنابا وأناس آخرين ليحسموا الموقف مع قادة الكنيسة بخصوص المعلمين الذين ذهبوا وراء شاول أى بولس وبرنابا ليحارباهما فى صحة الإنجيل الذى كانا يبشران به بين الأمم .

الأرجح جداً أن الرحلة التي يشير إليها الرسول في غلاطية هي نفس الرحلة التي يذكرها البشير لوقا في أعمال ١٥ . وأن الرسول ذهب إلى أورشليم من أجل الإنجيل وحصل على حكم الكنيسة في أورشليم ورجع إلى الكنائس التي بشر فيها وجدت فيها الاضطراب وأراهم هذا الحكم ، ولكن بعد ذلك حدث الاضطراب بشدة في كنيسة غلاطية ولذلك كتب لهم الرسول هذه الرسالة .

ومما يؤيد ذلك قوله لهم « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم . . . » ( غلاطية ١ : ٦ ) . الكلمة سريعاً تصف المدة القصيرة التي انقضت بين سماعهم للحكم الذي جاء من كنيسة أورشليم وبين انقلابهم ضد الإنجيل . ومع أن الرسول لم يشر في رسالته إلى هذا الحكم ، لكن هذه كانت عادته . . وإلا لماذا لم يشر إليه عندما كتب رسالة كورنثوس ٢ أنه كان يفضل أن يشير إلى المبادئ المسيحية دون أن يشير إلى أحكام كنسية . هذا الأمر يجعلنا نرجح أنها كتبت مبكراً .

**ماذا حدث في كنيسة غلاطية :**

ولكن ما الذي حدث في هذه الكنائس والذي دفع الرسول إلى أن يكتب هذا الخطاب إليهم ؟ .

يبدو أن الرسول بشر في غلاطية على الأقل مرتين ( ٤ : ١٣ ) ولقد كان في المرة الأولى منهكاً وضعيفاً في جسده ، ولكن الغلاطيين قبلوه كملاك الله ورحبوا به وأحبوه ، ولم يجدوا شيئاً يمكن أن يقدموه له ولم يفعلوه . ( ٤ : ١٢ — ١٥ ) . وكانت الكنيسة تتكون من جماعة من اليهود الذين قبلوا المسيح ( أعمال ١٣ : ٤٣ ) ، ولكن غالبية أعضاء هذه الكنائس كانوا من أصل

أممى ( أعمال ١٤ : ٢٧ ) الذين كانت ديانتهم السابقة تحتوى على تقديس أيام وشهور وسنين وذبائح وهى ما يسميه الرسول «عبودية» ( غلاطية ٤ : ٨ - ١٠ ) : ولكن الرسول بشرهم بالحرية وطلب منهم أن يتعلموا كيف يستخدموا الحرية الجديدة ويثبتوا فيها ( ٥ : ١ ) . وكان الرسول أيضاً رسم لهم صورة المسيح المصلوب فى كل عظاته ( ٣ : ١ ) . وقد تجاوب الغلاطيون مع هذه البشارة بالإيمان فأخذوا موهبة الروح القدس ( ٣ : ٢ - ٥ ، ٥ : ١٦ ) وبذلك صاروا خليقة جديدة وأعضاء فى جسد المسيح وصار لهم الختان تماماً كالغرلة لا ينفع شيئاً ( ٣ : ٢٧ - ٢٩ ، ٦ : ١٥ ) . ولقد فرح بهم الرسول واعتقد أنهم بدأوا بداية حسنة لأنهم أظهرو استعداداً للسعى والألم من أجل المسيح ( ٥ : ٧ ). هذا الأمر جعله يندهش بشدة ويتعجب أنهم ينتقلون هكذا سريعاً عن الإنجيل إلى تعليم آخر ليس هو بإنجيل بل ضد المسيح ( ١ : ٦ و ٧ ، ٣ : ١ ) . فما الذى حدث إذن ؟

لقد بدأت جماعة من الوعاظ الآخرين يبشرون بإنجيل آخر أوتعليم آخر يتلخص فى أن هذا الإيمان الذى ينادى به الرسول ليس كافياً للدخول فى ملكوت الله ، ولكن هناك تكملة له ، وهو أن يقوم الإنسان بعمل الناموس وحفظه ، فإلى جانب المسيح يجب أن يكون موسى ، وهذا يتطلب منهم أن يمتنعوا من أن يخالطوا الأمم الذين لا يلتزمون بذلك ( ٢ : ١١ - ١٤ ) وهكذا بعد أن نبر الرسول بولس بشدة على أنه إما موسى أو المسيح فإن هؤلاء جاءوا لينبروا على موسى والمسيح معاً ، النعمة والناموس الإيمان والختان ( ٥ : ٢ - ٦ ) .

ولكنهم لم يكتفوا بأن يشككوا فى كفاية عمل المسيح للخلاص بل عملوا كل جهدهم للتشكيك فى الرسول بولس ومؤهلاته كرسول للمسيح : فهو

لم يكن واحداً من الرسل الأوائل الذين كانوا مع المسيح ، ولذلك فوعظه يختلف عن وعظهم بل ويختلف عن وعظ يسوع نفسه ورسالته الذى يعتمد كثيراً على العهد القديم موسى والناموس. فقالوا إن قصد بولس من ذلك هو أن يرضى الناس لا الله ( ١ : ١٠ ) . ولو اتبع الناس تعاليمه لاعتقدوا أنه لا داعى لأن يعملوا شيئاً سوى أن يتعمدوا ثم يستمروا فى خطاياهم ، ويظنون أن الحرية التى أعطاها لهم المسيح تكمن فى حرية الجسد ، وبذلك يجعلها الرسول المسيح خادماً للخطية ( ٢ : ١٧ ) . إن العلاج الصحيح هو حفظ الناموس إلى جانب الإيمان بالمسيح .

ولم تقتصر كنيسة غلاطية على جماعة واحدة بل كان هناك جماعة أخرى ، تنادى بعقيدة تناقض عقيدة الجماعة الأولى ، ويهاجمون الرسول فى قوله بأن نصلب الجسد مع الشهوات ، لأن هذا القول هو عبودية جديدة للناموس ، ( ٢ : ١٩ ، ٢٠ ، ٥ : ١٤ و ٢٢ — ٢٤ ) . اتهموه بأنه ما زال يبشر بالختان والديانة الطقسية ( ٢ : ١٨ ، ٥ : ١١ ) . إن الديانة الحقيقية عند هؤلاء تفوق وتعلو عن الأخلاق ولا صلة لها بالآداب العامة ولهذا فلا داعى للعهد القديم ولا لأوامر جديدة . . إنها الحرية التى حررنا المسيح بها .

وبهذه الكيفية كان الرسول يهاجم فى غلاطية من جماعتين مختلفتين متناقضتين ، أما هو فقد ارتفع فوق التفكير الناموسى والتفكير الطقسى ، وكان مدفوعاً بالمحبة والرجاء فاختلف إيمانه اختلافاً جذرياً عن هؤلاء وأولئك ، وارتفع إلى مستوى حياة الروح فى المسيح يسوع : وكانت المناقشة حامية قاسية بين الجماعتين : المحافظين والأحرار حتى أنه حذرهم لئلا ينهشوا بعضهم البعض . وأما هو فكتب إليهم رسالته الحادة هذه .

**محتويات الرسالة :**

تنقسم الرسالة إلى أقسام ثلاثة : الدفاع عن رسوليته ١ و ٢ ثم الإنجيل والناموس ٣ و ٤ الحرية والعبودية ٥ و ٦ .

**(أ) الرسول وإرساليته :**

الأصحاحان الأول والثانى من هذه الرسالة إجابة على التحدى المرير لرسولية الرسول . وتتسم إجابته فيهما بالغضب وفى نفس الوقت الخوف ، لأن الكنيسة كانت على شفا السقوط فى براثن هذه الجماعات المتطاحنة ، وخصوصاً جماعة المتهودين الذين هاجموا الرسالة والرسول فى نفس الوقت . وكان رده فى هذين الأصحاحين يتلخص فى الأمور التالية :

١ - إن إرسالية الرسول لم تكن من الناس ولا على أساس سلطة إنسان ، يضيفه ، بل أرسله يسوع المسيح ، والله الآب الذى أقامه من الأموات ( ١ : ١ و ٢ ) . إن الله وحده هو الذى ، فى مسرته ، أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته ( ١ : ١٥ ) . وهو بذلك يضع إرساليته فى مصاف إرسالية الأنبياء فى العهد القديم ، وخصوصاً إرميا ( إرميا ١ : ٥ ) . وإن كان الله هو الذى اختاره لرسالة ودعاه فلا يمكن أن تكون إرساليته من إنسان ولا من كنيسة خاصة . إنه لم يرسل من أنطاكية لأن الروح القدس هو الذى أرسله ، وهو الذى طلب من الكنيسة أن تفرزه مع برنابا ( أعمال ١٣ : ٢ و ٤ ) . ولم يأخذ سلطانه من الرسل أنفسهم ، لأنه لم ير واحداً منهم إلا بعد مقابلته للرب بثلاث سنوات . لقد قضى هذه المدة كلها فى صحراء العربية ودمشق يبشر بالرب وبالإنجيل دون أن يعرف واحداً من الرسل وبعد السنوات الثلاث صعد إلى أورشليم وهناك لم يقابل سوى يعقوب أخى الرب وبطرس ( ١ : ١٨ ) وهذا يعنى أن سلطان تبشيره وخدمته لم تنبع من أى واحد من الرسل . بل

والأكثر من ذلك ، فإنه ذهب إلى أورشليم بعد تجديده بأربع عشرة سنة لكى يدرس مع الأعمدة فى أورشليم مشكلة الأخوة الذين دخلوا خلسة لكى يتجسسوا حريتنا ( ٢ : ١ — ١٠ ) ، وهناك واجههم ولم يخضع لهم أبداً خصوصاً فى مسألة ختان تيطس ( ٢ : ٥ ) . إنه لا يهتم بالناس ولا بوجوههم . نعم لقد أعطاه الرسل يمين الشركة ، ولكن بعد أن عرفوا إنجيله لا قبله وعرفوا أن الرب قد ائتمنه على إنجيل الغرلة أى التبشير بين الأمم ( ٢ : ٧ — ٩ ) إنهم لم يشيروا عليه بشئ ولا طلبوا منه إضافة أى أمر سوى أن يتذكر الفقراء فيجمع لهم من الأمم وهذا ما أراد أن يفعله من قبل أن يقولوا له ( ٢ : ١٠ ) .

بل رد على ذلك أنه عندما رأى بطرس يرائى مع بقية اليهود فيرجع إلى عزل نفسه عن الأمم — بعدما كان يأكل معهم — قاومه مواجهة لأنه كان ملوماً ( ٢ : ١١ — ٢١ ) . فالذى يفعل ذلك لا يظهر أنه قد أخذ سلطانه من إنسان بل من الله ، حتى يستطيع أن يوبخ شخصاً مثل بطرس . ويعلم أيضاً أن ما ينادى به هو الحق بعينه ، وإلا فكيف يسلك بطرس قبلا كأممى ثم يرجع لكى يسلك سلوك اليهودى ؟ هل نعتبر نحن الذين لا نقوم بعمل الناموس بل نؤمن بالمسيح فقط لأجل الخلاص ، هل نعتبر خطاة ؟ إذا كان كذلك فيكون المسيح خادماً للخطية ( ٢ : ١٧ ) إن من يفعل ذلك فهو متعد ، لأنه يهدم ما عمله المسيح . وهنا يعلن الرسول الأساس الكامل لإرساليته فى قوله « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » ( ٢ : ٢٠ )

٢ — إن الإنجيل الذى يبشر به لم يأخذه من إنسان ولا علمه . ( ٢ : ١١ و ١٢ ) ، لا ينكر أحد أن الرسول بولس بعد تجديده مباشرة سمع شيئاً كثيراً عن المسيح وعن خدمته ، ولا بد أنه سمع عن حياة يسوع الناصرى خصوصاً

من الرسول بطرس عندما زاره بعد ثلاث سنوات من تجديده ، ولكن هذا لا يعني أنه أخذ إنجيله من إنسان . لقد أخذه بإعلان يسوع المسيح ( ١ : ١٢ ) وحتى ذهابه إلى الرسل في أورشليم ليعرض عليهم الإنجيل ذهب « بإعلان » ( ٢ : ٢ ) وعندما يتكلم الرسول عن إعلان فإنه يقصد الإرشاد الملموس من الرب ، إنه يقصد مقابلته له على طريق دمشق ، وفتح ذهنه لكي يفهم الأمور على حقيقتها ويعرف أن يسوع الذي يضطهده هذا هو يسوع الحي ، فليس هو الرجل المضل الملعون كما يقول الناموس ويؤكد ، ولكنه الرب المقام الذي مات لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا ( رومية ٤ : ٢٥ ) .

هذا الإنجيل لم يجد فيه هؤلاء المعتبرون الذين في أورشليم شيئاً يشينه بل هو إنجيل ربنا يسوع المسيح . ففي تبشيره لا يمكن أن يرضي إنسان أو يستعطف بشراً لأنه عبد للمسيح وأخذ إنجيله منه ( ١ : ١٠ ) ولأجل ذلك فهو يحذر الغلاطيين تحذيراً شديداً قاسياً « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما ، كما سبق فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما » ( ١ : ٦ - ٩ ) . إن إرساليته ورسالتيه هما من الله الآب والرب يسوع المسيح .

**(ب) الإنجيل والناموس (٣ ، ٤) :**

وفي القسم الثاني يتكلم الرسول عن الإنجيل والناموس . وفي هذا المجال يقابلهما الرسول ويضع صورة كاملة أمام الغلاطيين عن كمال الإنجيل ويبنيها على الأمور التالية :

١ - خبرتهم الحديثة بعد أن قبلوا الإنجيل ، ولعل أهم عنصر في هذه

الخبرة هو نوالهم الروح القدس . ويقول لهم الرسول فى هذا الأمر « أريد أن أتعلم منكم هذا فقط أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان . . فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان » ( ٣ : ٢ و ٥ ) . إن العلامة التى عرفتهم أمجاد الإنجيل هو الروح القدس علامة العهد الجديد كله ( أعمال ٢ : ١٧ — ٢١ ، رومية ٨ : ٢٣ ) . ويعرفون عمل الروح بالقوات التى عملت فيهم ( ٣ : ٥ ) . .«والرسول يقصد إما المعجزات التى عملت بينهم أو يقصد الحياة الجديدة التى أحسوها وغيرتهم عن حياتهم الماضية . . هذه المعجزات هى العلامة الظاهرة للروح القدس الذى أخذوه بالإيمان » .

وهناك عنصر آخر فى اختيارهم يبنى على العنصر الأول وهو عنصر الحرية المسيحية « لكنكم حينئذ إذا كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها » ( ٤ : ٨—١٠) إنهم تحرروا بالمسيح لأنه هو الذى حررهم من العبودية ( ٥ : ١ ) وهذه الحرية اختبروها فى فلك أسرهم من الناموس وأعمال الناموس ، ومن الخطية وأعمال الجسد . فخبرتهم هذه تبين لهم مقدار الفرق بين الإنجيل والناموس .

٢ — الوعد لإبرهيم :

وكان « الوعد لإبرهيم ونسله » هو الورقة التى يلعب بها هؤلاء التهوديون ، ويقولون للأمم إنه لا يمكن أن ينالوا الوعد ما لم يكونوا كإبرهيم ويختتنوا ، ودون ذلك وبغيره لا يمكن للانسان أن ينال هذا الخلاص . ولكن الرسول يرد عليهم بثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو أن هذه المواعيد قيلت لإبرهيم المؤمن وليس لإبرهيم المختون ، إن الوعد أخذه إبرهيم قبل أن يختتن فلم يكن للختان فضل فى ذلك ، وأكثر من ذلك فلم يكن الناموس قد أعطى بعد ؛ فلا فضل للناموس ولا للختان فى الموعد ، إن الفضل كله يرجع إلى الإيمان ، ولهذا « . . إن الذين هم من الإيمان أولئك هم أبناء إبرهيم (٣ : ٧) إذاً « الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبرهيم المؤمن (٣ : ٩) أما الناموس فإنه يجلب اللعنة والغضب لأنه لم يثبت إنسان ما فى الناموس ولا يمكن أن يتبرر به (٣ : ١٠ و ١١) أما المؤمن فقد افتدى من هذه اللعنة بواسطة المسيح الذى صار لعنة لأجلنا ، « لتصير بركة إبرهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح (٣ : ١٣ و ١٤) » :

الأمر الثانى : هو أن المواعيد قيلت فى إبرهيم ونسله الذى هو المسيح (٣ : ١٥ و ١٦) وهذا النسل الذى هو المسيح لا يقصد به الرسول المسيح كفرد ولكن كرأس الخليقة الجديدة المفدية . . الخليقة المؤمنة . ولهذا فالمواعيد التى وجهت للمسيح والكنيسة لا يمكن أن ينسخها الناموس لأن عهد الرب لا ينسخ . فالمواعيد ليست لأبناء الجسد ولكن لأبناء الإيمان النسل الذى فى المسيح يسوع (٣ : ١٧ و ١٨)

والأمر الثالث : والأخير هو كشف الوظيفة الحقيقية للناموس : إنه لم يعط للانسان لكى يتبرر به ولكن لكى يعرف الإنسان أنه خاطئ (٣ : ١٩) إنه جاء ليكشف خطية الإنسان لكى يجعله ينظر إلى مصدر البر الحقيقى . إنه ضعيف لا يبرر (٣ : ٢١) ولهذا فقد أعطى عن طريق وسيط لأن قيمته ليست عظيمة (٣ : ١٩ و ٢٠) ، الأعظم هو الآتى الذى يشير الناموس إليه . . هو المسيح الذى يبرر كل من يأتى إليه بالإيمان (٣ : ٢٢ — ٢٤) وفى هذه الحالة

يسمى الرسول الناموس « مؤدب » ( ٣ : ٢٤ ) وهو الإنسان أو العبد الذى يهتم بالصبى إلى أن يبلغ رشده ويسميه وصياً ( ٤ : ١ – ٧ ) ، ولكن الله إفتدانا من هذه العبودية وجعلنا أبناء نصرخ يا أبا الآب :

إذن فكيف يرتد الغلاطيون إلى هذه الأركان الضعيفة ؟ هل يخضعون لهؤلاء الذين يريدون أن يفتخروا بواسطتهم ؟ إن هؤلاء سينالون دينونة أعظم لأن غيرتهم ليست حسب الخير بل حسب الشر ؟

(ح) الحرية والعبودية :

فى الأصحاحين الأخيرين ٥ و ٦ يتكلم الرسول عن الحرية المسيحية : وقد بدأ هذا الأمر فى ٤ : ٢١–٣١ إذ أعلن لهم عن طريق هذا الرمز سارة وهاجر إن المؤمن هو من أبناء سارة الحرة وليس من هاجر العبدة : هذه الحرية من أعمال الناس ويقول الرسول لهم « ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة » ( ٥ : ٢ – ٤ ) المسيح حررنا من الالتزام الناموسى الذى يستعبد له كل من يعتقد أنه مجبر أن يعمل كل الناموس . فى المسيح لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة . إذا كان المسيحى اليهودى يقوم بعمل ما يطلبه الناموس لا شئ عليه ولا ضده لأن الناموس لا ينفعه ولا يضره ، ولكن أن يجبر المؤمن الأممى أن يعمل الناموس فهذه هى العبودية كلها .

ولكن كيف تظهر هذه الحرية المسيحية ؟

١ – إنها ليست حرية للجسد كما يفعل الفريق المضاد للفريق اليهودى إذ يجعل من الحرية دافعاً لأن يعمل ما يريد ، إنه يظن أن الجسد شئ تافه لا قيمة

له ، فليفعل ما يريد لأن هذا لا يقدم ولا يؤخر طالما أن الإنسان فى المسيح وقد تحرر ( ٥ : ١٣ ) ويظهر الرسول هذه الأعمال الجسدانية التى لا يمكن أن يتحلى بها المؤمن لأنها فاسدة بطالة يعيش فيها الأمم ( ٥ : ١٩ — ٢١ ) .

٢ — الحرية هى الخضوع لروح المسيح :

الروح الذى وهبنا الحرية لنقرب إلى الآب ونصرخ يا أبا الآب ( ٤ : ٦ — ٨ ) وحررهم من أركان العالم الضعيفة من حفظ أيام وشهور وسنين (٤ : ١٠) . هذا الروح هو الذى سيثمر أيضاً فينا ثمراً حقيقياً « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » ( ٥ : ٢٢ و ٢٣ ) وهو الذى يقاوم الجسد ويحررنا منه ومن أعماله الشريرة . ولهذا « فإن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بالروح » ( ٥ : ٢٥ ) :

٣ — الحرية هى المحبة الكاملة ، فهى التى تكمل الناموس وتتممه ( ٥ : ١٤ ) :

وهذه المحبة تظهر فى الخدمة بعضهم لبعض ( ٥ : ١٣ ) . وتظهر فى تحمل ضعفات ( ٦ : ١ و ٢ ) وتظهر فى المشاركة فى الخيرات وسيما للمعلمين ويقول الرسول « فإذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير ولاسيما لأهل الإيمان » ( ٦ : ١٠ ) .

ويختم الرسول رسالته برجاء يقدمه إليهم ألا يتعبوه مرة أخرى ثم يطلب منهم ألا يهتموا بالختان كعلامة الجسد ، لأن العلامة الحقيقية التى يتمتع بها الرسول هى « سمات الرب يسوع » ( ٦ : ١٧ ) فهى أسمى من الختان ومن كل شئ لأنها علامة الإيمان المحب . وهنا يقول بلغة النصرة « وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به صلب العالم لى وأنا للعالم . . . » .

# الفصل الثالث

## رسائل السجن

إذا أحصينا عدد الرسائل التي يذكر العهد الجديد أن الرسول بولس كتبها فى سجنه فإننا نجدها خمس رسائل . ويمكن أن ترتب على النحو التالى :

أفسس : أفسس ٣ : ١ ، ٤ : ١

فيلبى : فيلبى ١ : ٧ و ١٣

كولوسى : كولوسى ٤ : ٣ و ١٠ و ١٨

٢تيموثاوس : ٢ تيموثاوس ١ : ٨ ، ٤ : ٦ – ٨

فليمون : فليمون ١ و ١٠ و ١٣ و ٢٢ و ٢٣

وبحسب إجماع الآراء فإن تيموثاوس الثانية تختلف فى الزمان كثيراً عن بقية الرسائل الأربع . وعلى ذلك فتبقى أربع رسائل .

ولكن لدى التأمل العميق يتضح للدارس أن الرسائل الثلاث أفسس وكولوسى وفليمون لها صلة عميقة بعضها ببعض جعلت كثيراً من العلماء يقولون إنها كتبت فى وقت واحد ، وهذه الثلاثة تختلف عن الرابعة وهى فيلبى فى الاتجاه والمزاج حتى أن الدارسين يظنون أن وقتاً طويلا مضى بين كتابتها وكتابة الرسائل الثلاث الأخرى .

أما الصلة بين الرسائل الثلاث الأخرى فهى محل دراسة واسعة ، والرأى السائد هو أن الرسول كتبها فى وقت واحد من سجن رومية لكى ترسل مع تيخيكس إلى كولوسى فى صحبة أنسيموس العبد الذى هرب من سيده فليمون ( كولوسى ٤ : ٧ - ٩ ، أفسس ٦ : ٢١ و ٢٢ ، فليمون ١٠ و ١٢ ) . وإلى جانب ذلك فإن رسالة كولوسى ترتبط برسالتى أفسس وفليمون برباط يختلف فى كل حالة ، فهى ترتبط بفليمون فى ظهور الأسماء المشتركة فى كل منهما مثل أرخبس وتيخيكس وأنسيموس وأبفراس وأرسترخس ولوقا وديماس . . إلخ . مما يقطع بأن الرسالتين كتبتا فى وقت واحد .

وترتبط مع رسالة أفسس فى المضمون الكلى لها . وبحساب الأرقام فالدارس يجد حوالى ٢٥٪ من محتويات أفسس متضمنة فى كولوسى أى حوالى ٣٧ عدداً من ١٥٥ عدداً هى كل رسالة أفسس . ومن الناحية الأخرى فإن ٣٣٪ من الكلمات الموجودة فى كولوسى تظهر فى أفسس .

أما التشابه فى الاصطلاحات بينهما فهو عجيب خصوصاً فى مصطلحات مثل الجسد والرأس والملء والسر وفى الأفكار أيضاً : فالكنيسة هى جسد المسيح وهو رأسها ( أفسس ١ : ٢٢ و ٢٣ ، ٤ : ١٥ و ١٦ مع كولوسى ١ : ١٨ و ٢٤ ) والرياسات والسلاطين والقوات وانتصار المسيح عليها أفسس ١ : ٢١ و ٢٢ (ا) مع كولوسى ٢ : ١٥ ، وعمل السلام بدم المسيح ( أفسس ١ : ٧ ، ٢ : ١٣ - ١٦ مع كولوسى ١ : ١٩ - ٢٢ ، ٢ : ١٤ ) وفكرة الإنسان الجديد ( أفسس ١ : ١٥ (ب) ، ٤ : ٢٢ - ٢٤ مع كولوسى ٣ : ٩ - ١١ ) .

وإذا تقدمنا خطوة أبعد فنجد أن هناك تشابهاً كبيراً فى كثير من العقائد التى تظهر فى كل منهما : ففى كولوسى تظهر أهمية المسيح الفريدة فى الخليقة والخلاص ( ١ : ١٤ - ٢٢ ، ٢ : ٩ - ١٥ ) وفى أفسس يظهر المسيح

الفريد الذى لا شريك له فى عمله فى الفداء وجمع كل شئ فيه ( ١ : ١٠ — ١٢ ، ٢٠ — ٢٣ ، ٢ : ٢١ و ٢٥ ، ٣ : ٥ ) وإذا قارنا الرسالتين من الناحية العملية فنجد تشابهاً كبيراً بينهما :

ومن الناحية الأخرى نجد هناك اختلافاً واضحاً بينهما فحوالى ٣٠٪ من رسالة كولوسى لا نظير له فى أفسس مثل « مجد المسيح » ( ١ : ١٥ — ٢٠ ) ثم محاربة المعلمين المضلين ( ٢ : ١ — ٩ ، ١٦ — ٢٣ ) ثم النظر إلى ما هو فوق ( ٣ : ١ — ٤ ) وكثير من التحيات والوصايا ( ٤ : ٩ — ١٨ ) . ومن الناحية الأخرى نكتشف أنه حوالى ٥٠٪ من رسالة أفسس تنفرد به ولا نظير له فى كولوسى مثل ترنيمة الشكر ( ١ : ٣ — ١٤ ) والحياة الجديدة ( ٢ : ١ — ١٠ ) الصلاة حتى يعرفوا سر المسيح ( ٣ : ١٤ — ٢١ ) دعوة للوحدة ( ٤ : ١ — ١٦ ) السير فى النور ( ٥ : ٨ — ١٤ ) زواج الكنيسة السرى بالمسيح ( ٥ : ٢٣ — ٣٢ ) السلاح الروحى ( ٦ : ١٠ — ١٧ ) ؛

بل هناك ما هو أبعد من ذلك ، فمثلا قد تستخدم كلمة واحدة فى الرسالتين ولكنها تؤدى معنى مختلفاً فى كل رسالة ، فكلمة « سر » فى أفسس تشير إلى الربط بين اليهود والأمم ( ٣ : ١ — ٦ ) وفى كولوسى تشير إلى المسيح وصلته بالمؤمن . ولفظ « تدبير » تظهر فى أفسس لتعنى قصد الله ( ٣ : ٢ ) وفى كولوسى لتعنى عملا موكولا إلى شخص ليقوم به ( ١ : ٢٥ ) .

هذا الموقف جعل العلماء ينقسمون فى تفسيره إلى فرق ثلاث :

( أ ) الرأى الأول الذى تتمسك به الكنيسة هو أن الرسول كتب الاثنتين فى زمن متقارب إن لم يكن فى وقت واحد لكى يرسلهما مع رسالة فليمون مع شخص واحد يذهب إلى نفس المكان . أما سبب التشابه بين

الرسالتين أفسس وكولوسى فهو الاتجاه العقلى للرسول فى ذلك الوقت ؛ أما سبب الاختلاف فهو اختلاف الموقف الذى أرسلت له كل رسالة، فبينما كتبت كولوسى لتحارب بدعة ما — كما سنعرف فيما بعد ، كتبت أفسس كرسالة عامة لتظهر قصد الله فى المسيح يسوع ، أى أنها كتبت إلى الكنيسة عامة فى حين أن كولوسى كتبت إلى كنيسة بعينها فى موقف خاص ولهدف يتعلق بتلك الكنيسة .

(ب) أما الرأى الثانى فيقول إن رسالة كولوسى كتبها الرسول بولس إلى الكنيسة فى كولوسى أما رسالة أفسس فقد كتبها شخص من أتباعه وتلاميذه معتمداً فى كتابته على رسالة كولوسى .

(حـ) الرأى الثالث يقول إن كلا الرسالتين كتبهما إثنان من أتباع الرسول بعد موته معتمدين على تفكيره وكتاباته وذلك لأنهما يعكسان حالة فى الكنيسة متأخرة عن وقت الرسول وسوف ندرس ذلك فى كل رسالة على حدة :

## رسالة كولوسى

**مدينة كولوسى :**

تقع مدينة كولوسى فى وادى نهر ليكس Lucus وهو أحد روافد نهر المياندر فى مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى وهى إحدى ثلاث مدن فى هذه المنطقة ، الاثنتان الأخريتان هما لاودكية وتبعد عنها بحوالى ٢٠ كيلو متر وهيرابوليس وتبعد عنها حوالى ٢٢ كيلو متراً .وتبعد كولوسى حوالى ١٧٠ كيلو متر إلى الشرق من مدينة أفسس . وتاريخ هذه المدينة ينقسم إلى فترتين : الأولى كانت قبل ظهور « الاسكندر الأكبر وانتشار الثقافة الهلينية » وكانت

على الطريق العظيم الذى يصل الشرق بالغرب وهو الطريق الذى سلكه إرتحشستا إلى ساردس سنة ٤٨١ ق. م ثم كورش الصغير سنة ٤٠١ ق. م . وفى ذلك العصر يصفها هيرودتس بأنها « مدينة كبرى فى فريجية » . وذلك لأنها كانت أهم مدينة فى مقاطعة فريجية فى وادى نهر ليكس . أما الفترة الثانية ففيها بدأت تفقد أهميتها وأخذت تتضاءل نسبة إلى التنافس الذى حدث بينها وبين جارتيها لاودكية وهيرابوليس . ولعل السبب فى ضعفها عن المنافسة هو انتقال الطريق التجارى منها ( كولوسى ٤ : ١٣ ) . . وكانت كولوسى تشتهر بصناعة المنسوجات وخاصة غزل الصوف ونسجه . . ولقد انتهت مدينة كولوسى فى القرن الثامن الميلادى واقتلعت أحجارها لتبنى بها مدينة صغيرة مجاورة اسمها « خونى » وهى التى تدعى هوناز فى العصر الحديث فى تركيا .

**المسيحية فى كولوسى :**

من المؤكد — كما تقول الرسالة نفسها — إن الرسول بولس لم يؤسس الكنيسة فى هذه المدينة ولم يكن قد زارها من قبل . وفى هذا يقول « إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين ( ١ : ٤ ) ويؤكد ذلك فى ٢ : ١ « فإنى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم ولأجل الذين فى لاودكية وجميع الذين لم يروا وجهى فى الجسد » وهذا يعنى أنه لم يؤسس أيضاً كنيستى لاودكية وهيرابوليس . ومع ذلك فهو يعتبر مسئولا مسئولية غير مباشرة فى ظهور الجماعات المسيحية فى تلك المنطقة ، نعم إنه لم يستطع أن يذهب إلى الجنوب الغربى من مقاطعة فريجية حيث تقع المدن الثلاث ولكنه أرسل رجلا آخر غالباً من مدينة كولوسى ( ٤ : ١٢ ) اسمه أبيفراس ربما تقابل معه فى مدينة أفسس ، ويتضح ذلك من العبارة « لأجلنا » Huper hemoon أى

أنه كان يبشر فى هذه المدن بحسب ما كان يسمع من الرسول وصار حلقة الوصل بينه وبين الكنائس الثلاث وكان يخبره بمحبتهم فى الروح (١ : ٨) . وكانت الكنائس تتكون من الأمم غالباً ( كولوسى ١ : ٢١ و ٢٧ ، ٢ : ١٣ ) ولكن هذا لا ينفى أن جزءاً مهماً منها كان من اليهود الذين قبلوا المسيح خاصة وأن الجاليات اليهودية كانت تنتشر فى تلك المناطق .

**ظروف الرسالة :**

يذكر الرسول فى فليمون ١٣ أن أبيفراس مأسور معه ، ولا نستطيع أن نعرف بالضبط ماذا كان نوع هذا الأسر : هل كان اختيارياً بمعنى أنه ذهب إلى الرسول فى رومية ومكث معه . أم كان موضوعاً فى الحبس لأجل مسيحيته ، مع أن غالبية العلماء تميل إلى الرأى الأول . وعلى ذلك فإنه ذهب إلى الرسول لكى يسأله النصيحة فى معضلة واجهته وكانت قاسية وصعبة ، هذه المشكلة تتلخص فى أن بدعة ظهرت بين الكولوسيين يروج لها جماعة لها تأثيرها وثقافتها الواسعة ولم يستطع هو — أبيفراس — أن يصدها أو أن يجاوب عليها . وفى سفره إلى الرسول إلى رومية ترك الكنيسة تحت رعاية أرخبس ( كولوسى ٤ : ١٧ ) .

ولكن ما هو هذا الانحراف وما هى عناصره ؟ من الأمور الصعبة أن يحاول المرء دراسته دراسة عميقة ، لأن الرسول لم يصفه فى رسالته إلا من خلال رده عليه وتفنيده له ، لأنه كان يكتب إلى جماعة يعرفونه ولم يكن من داع لوصف هذا الضلال وصفاً مفصلا ، ولهذا فكل معرفتنا به تعتمد على هذه الفقرات الصغيرة التى يذكرها الرسول رداً على جماعة المنحرفين .

ولعل العلامة المميزة لهذا الانحراف وكل انحرافات القرن الأول الميلادى هو ما يسمى « المزجية » Syncretism وهى عبارة عن ربط آلهة وطقوس وعقائد وتفاسير متعلقة بشعوب مختلفة بعضها مع بعض ثم استخراج مذهب جديد منها . ولقد غير كثيرون عاشوا فى ذلك العصر معتقداتهم الدينية بتبنى بعضاً من عقائد وطقوس ديانات أخرى مجاورة لهم ، أو واردة عليهم ، من أمكنة أخرى ، وكان ذلك يحدث خاصة فى أعقاب التغييرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية . ولقد كانت المسيحية فى نظر البعض عبارة عن ديانة أخرى ظهرت ضمن الديانات الجديدة ، وعلى ذلك فيمكن تطعيمها وإثراؤها بنظريات وعقائد وعبادات أخرى من الثقافة الهلينية والطقوس اليهودية والعقائد التى سبقت الغنوسية وأدت إليها ، وقد جرى ذلك فى مدينة كولوسى وكنيستها . ويمكن أن نستخرج بعضاً من عناصر هذا الانحراف فى الأمور التالية :

**١ ـ شخصية المسيح :**

أبرز عناصر هذه الضلالة كان ينصب على شخص المسيح نفسه ويبدو أن المعلمين الكذبة ذكروا عنه أنه لم يكن سوى واحد من القوات أو العناصر الإلهية ، وأنه محدود فى قوته ولا يمكن أن يتغلب على كل قوات الشر ، ولذلك فقد التجأوا إلى الملائكة ( ٢ : ١٨ ) ، ولربما كان هذا الاتجاه مؤدياً إلى غنوسية القرن الثانى ، وكان هذا هو سبب تنبير الرسول بشدة على مجد المسيح ورفعته فوق الجميع كما سنرى ( ١ : ١٥ ـ ١٩ ، ٢ : ٩ ـ ١١ ) .

**٢ ـ العناصر اليهودية فى ٢ : ١١ :**

يفسر الرسول الختان على أنه ختان القلب لا الجسد . وفى ٢ : ٨

يذكر عبارة « تقليد الناس » وهى غالباً تعكس عادة يهود ذلك العصر فى تعظيم شأن التقاليد واعتبارها أكثر من كلمة الله نفسها . وفى ٢ : ١٦ نجد إشارة واضحة عن الفرائض والطقسيات مثل الأكل والشرب والعيد والهلال والسبت وكلها تعكس الأعياد اليهودية . كل هذه الإشارات تدل على أن هناك عنصراً ضخماً فى هذا الانحراف من اليهودية .

٣ ـ عبادة الملائكة :

وهذا العنصر الثالث قد يكون مأخوذاً من عناصر يهودية متطرفة إذ صار للملائكة مركز وشأن ضخم بعد أن أوجد التفكير اليهودى ، فى فترة ما بين العهدين ، فجوة ضخمة بين الله والناس ، فصار الملاك هو الوسيط الذى ساعد فى إعطاء الناموس نفسه ( غلاطية ٣ : ١٩ ، أعمال ٧ : ٣٠ و ٣٥ ) ومع أن اليهودى المتحفظ لا يمكن أن يعبد الملائكة ، إلا أن التطرف قد أدى ببعض اليهود إلى ذلك الموقف . ومن الناحية الأخرى قد يكون هذا العنصر مأخوذاً من الديانات والتفكير الهلينى ، فقد كان هناك عبادة لبعض العناصر الفوق طبيعية بين الشعوب اليونانية .

٤ ـ العناصر اليونانية :

وكانت تظهر هذه العناصر اليونانية الخالصة فى بعض الأمور التى تكشف عنها المصطلحات الآتية :

ـ الفلسفة ويذكرها الرسول فى العبارة « أنظروا ألا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل » ( ٢ : ٨ ) وكلمة يسبى كلمة قوية بمعنى يغريهم بطريقة مخادعة براقة وقوية ليأخذهم تحت سلطانه وربما كان هذا خطر

المعلمين الكذبة إذ بهروا الناس بكلامهم ثم بتظاهرهم بأنهم يعطونهم مسيحية غنية أكثر ثراءاً في الفكر وغناء في العبادة عن المسيحية العادية. ويذكر الرسول بعضاً من اصطلاحات هذه الفلسفة مثل الملء ( ١ : ١٩ ) معرفة ( ٢ : ٣ ) قهر الجسد( ٢ : ٢٣ ) وهذا يدل على أن المنبع الذى بدأت منه الغنوسية بدأ يظهر ويتضح .

ـ أركان العالم ( ٢ : ٢٠ ) والكلمة اليونانية التى تترجم أركان العالم قد يكون لها واحد من معان أربعة : الأول الحروف الهجائية الأولى(عبرانيين ١ : ٥ ) ( بداءه ) وفى هذا الموقف قد تعنى المعرفة الأولية . وقد يكون المعنى الثانى وهو العناصر الأولى التى يتركب منها الشيء أو العالم كالماء والهواء والتراب والنار ، وقد يعنى النجوم والكواكب وتحكمها فى مصائر الناس وقد تعنى أخيراً الأرواح التى تتحكم فى هذا العالم وقد اتفق العلماء على تفضيل المعنى الثانى والرابع ولكنهم لم يتفقوا على ما هو المعنى المقصود هنا . ولعل دراسة المعنى الذى عبر عنه الاصطلاح فى كولوسى ٢ : ٨ و ٢٠ ، غلاطية ٤ : ٣ ) يرجح كفة المعنى الثانى أى أنها تعنى العناصر الأولية التى يتكون منها هذا العالم أنظر ٢ بطرس ٢ : ١٠ عناصر .

هذه هى ملامح الانحراف الذى ظهر فى كنيسة كولوسى وقد اعتقد بعض العلماء أن هذا الانحراف قد ظهر فى جماعة الايسينيين الذين كانوا يتمسكون بشدة بتقاليد الآباء مع نوع من التصوف الشديد وإلى جانب ذلك تمسكوا بخليط من الأفكار الغريبة. لكن هذا الرأى لم تؤيده الاكتشافات الحديثة التى أكدت أن هذه الجماعة لم تعبد الطبيعة ولا الشمس كما ظن يوسيفوس من قبل ولم تظهر أية شواهد تدل على أنهم كانوا يعبدون الملائكة ومع ذلك فيمكن القول بأن هذا الانحراف هو أقرب إلى انحراف إيسينى منه إلى انحراف غنوسى فى القرن الثانى الميلادى .

### كيف واجه الرسول هذا الانحراف :

يبدو أن أبيفراس — كما سبق القول — عجز عن مقاومة هذا التيار الشديد فلجأ إلى معلمه فى رومية لكى يساعده وينقذ الكنيسة من هذا الخطر ( ١ : ٧ ، ٤ : ١٢ ) ، وعليه فقد كتب الرسول هذه الرسالة ليواجه مشكلتين حادتين فى الكنيسة : المشكلة العقائدية ثم المشكلة السلوكية وهذا يقودنا إلى تحليل الرسالة لنعرف فكر الرسول من خلالها .

### مقدمة الرسالة :

بعد أن يذكر الرسول عنوان الرسالة يتقدم لكتابة المقدمة ويضمنها أمرين : وصف الاختبار المسيحى الذى يتمتع به أهل كولوسى ويتلخص هذا فى الإيمان والمحبة والرجاء ، ولم يكن الرسول هو أول من وصف هذه الاختبارات ولكنه كان أول من ربطها بعضها ببعض كتغيير كامل عن الاختبار المسيحى ( ١ كورنثوس ١٣ : ١٣ ) وهو هنا يذكرها بنوع من التفصيل : إيمان بالمسيح يسوع ، ومحبة لجميع القديسين ورجاء مع أنهم يختبرونه الآن ولكنه فى السماء . إنه ليس مبنياً على أمور أرضية ولكنه مبنى على أمور سماوية . والرسول لا يفاضل بينها هنا كما فعل فى ١ كورنثوس ١٣ : ١٣ فيجعل المحبة أعظمها لأنها أكبر من كل المواهب وأبقى .

أما الأمر الثانى فى المقدمة فهو صلاة لكى يمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى ، وكأنه يوبخ أهل كولوسى لأنهم لم يهتموا كثيراً بالنمو فى معرفة مشيئة الله ، هذه المعرفة المتزايدة هى الأساس فى نمو الاختبار المسيحى كاختبار حى يظهر فى السلوك كما يحق للرب ويثمرون فيه . لاحظ هنا الفرق بين معرفة مشيئة الله ومعرفة الرب نفسه ( ١ : ٣ — ١١ ) .

**مجد المسيحية فى مقابل التعاليم الفاسدة :**

ولكن على أى شئ يبنى الرسول مجد المسيحية والإيمان المسيحى وعظمته اللامتناهى فى وجه هذا الضلال ؟ لقد ظن هؤلاء المضلون أنهم يثرون المسيحية ويعطونها مظهراً أسمى وأضخم بما أضافوه إليها ، فهل هذا صحيح ؟

بعد أن يعبر الرسول من المقدمة إلى هذا الغرض فى قوله « شاكرين الله الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » ( ١ : ١٢ و ١٣ ) فيجعل المسيحى فى النور . وعندئذ يضع الأسباب الثلاثة التى تجعل المسيحية مجيدة وعظيمة : الأول : المسيح نفسه ( ١ : ١٥ — ٢٢ ) الثانى : الرسول نفسه وهو يكشف لهم عن المسيح الأعظم ( ١ : ٢٣ — ٢ : ٧ ) ثم اختبارهم فى المسيح ( ٢ : ٨ — ١٥ ) ويلاحظ أن هذه الأسباب الثلاثة ليست منفصلة ولكنها تدور كلها حول شخص المسيح .

**مجد المسيح : ( ١ : ١٥ — ٢٢ ) :**

ويظهر هذا المجد فى ناحيتين متكاملتين : الناحية الأولى هى مجده كخالق ( ١٥ — ١٧ ) ويوازى لها مجده كفادى ( ١٨ — ٢٢ ) . أما مجده كخالق فيذكر عنه الرسول أنه صورة الله غير المنظور . وقد فسر لايتفوت Lightfoot كلمة صورة بمعنيين أنه ممثل لله ثم أنه إعلان الله وإذا كان كذلك فهو بالطبع من طبيعة الله . أما صلته بالخليقة فهو :

١ — واسطة خلقها جميعاً ، ليس فقط الأرض والإنسان بل جميع الكائنات وكل الكون ما يرى وما لا يرى .

٢ — مالكها فالكل له وبه قد خلق وهو المعتنى بها فهو قبل كل شئ وفيه

يقوم الكل . ونلاحظ هنا أمرين فى غاية الأهمية الأول أن الرسول يتكلم فى هـذه الرسالة عن المسيح « الكونى» Cosmic Christ فمجده لا يقتصر فقط على الكائنات ولكن على كل الخليقة مثله فى ذلك مثل ما قاله البشير يوحنا فى مقدمة إنجيله ( يوحنا ١ : ١ — ١٠ ) الأمر الثانى هو معنى كلمة « بكر » ( ع ١٥ ) فهى تعنى الرياسة والسبق : إنها ترتبط بالوقت ولكن البكر لا يجعله سبقه فى الوقت فقط بكراً ولكن الرئاسة والمجد ، فقد أصبح يعقوب بكراً وهو بعد عيسو زمنياً ، وأصبح إسرائيل بكراً وهو أصغر جميع الشعوب ( هوشع ) .

ويظهر مجد المسيح أيضاً كفادى أى ارتباطا ثبته بالكنيسة ، إذ هو رأسها ويلاحظ أن الكنيسة ليست كجسد ولكنها الجسد ؛ وقد صار المسيح كذلك لأنه انتصر على الموت وقام من الأموات بكراً وهو الذى عمل الصلح بدم صليبه .

ويلاحظ هنا فى ( ع ١٩ ) « لأنه فيه سر أن يحل كل الملء » وفى ٢ : ٩ « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» ، إن كلمة الملء نفسرها فى ضوء تعليم هؤلاء المعلمين الكذبة . فعندهم أن الله لا يستطيع أن يصل إلى الكائنات لأنه أرفع من أن يتصل بأى شئ مخلوق أو مادى ، ولكنه يفعل ذلك عن طريق سلسلة متدرجة من الكائنات الروحية تنزل إلى أن تصل إلى الأرض . هذه كلها مع الله نفسه تكون ما يسمونه الملء : ملء الألوهية . ولكن الرسول هنا يقول إن المسيح وحده هو الذى حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً . فملء الله بمجده وكمالاته فيه وحده لا شريك له . ولا يمكن أن يكون فرداً من جماعة أو حلقة فى سلسلة إنه وحدة .

٢ – وينتقل الرسول إلى الأمر الثانى فهو يتكلم عن نفسه كمقدم للانجيل وحامل للرسالة إلى الأمم (١ : ٢٣ – ٢ : ٧) ويستخدم الرسول هنا ثلاث كلمات هامة وهى كلمة «تدبير» (١ : ٢٥) وكلمة سر (١ : ٢٦) وكلمة «آلام أو شدائد»(١ : ٢٤) . وكلمة تدبير هنا تعنى عملا موكولا إلى شخص ليقوم به – وهى بذلك تختلف عن معناها فى أفسس ، كما سبق القول . كأنه يقول إنه هو الذى وكل إليه الله أن يبشرهم وأن يقدم لهم هذا الإنجيل .

أما الكلمة الثانية فهى كلمة سر وتتكرر مرتين فى هذا الجزء ومعناها قصد وتدبير إلهى كشفه الله لقديسيه ، وينصب السر هنا على شركة الأمم فى المسيح الذى يسكن فيهم ويكون معهم أساساً للرجاء الكامل .

أما التعبير عن الألم والتعب والشدائد فالرسول يعلن على أنها ليست عبثاً ولا هى آلام عادية ولكنها جزء من تدبير الله بواسطتها ينتشر الإنجيل ويقبل الجميع إلى الله (فيلبى ١ : ١٣ و ١٤) وهى بهذا المعنى مكملة لآلام المسيح نفسه (١ : ٢٤) . إن آلام المسيح ليست ناقصة وإلا لما صارت سبباً وأساساً لفدائنا ولكنها الأساس الكامل الذى عليه ، وفى اتجاهه يبنى كل البناء إن آلام الرسول امتداداً لآلام المسيح وبناء عليها يتألم لامتداد الإنجيل. هذا هو مجد المسيحية الثانى ، إن الذين يقدمون الإنجيل لا يعملون ذلك من كبرياء ومحاولة سبى الناس بالكلام الملق ولكن بالتضحية والألم وباكتشاف سر الله وإعلانه .

٣ – أما المجد الثالث فهو الاختبار المسيحى نفسه (٢ : ٨ – ١٥) وهذا الاختبار يبنى أيضاً على المسيح الذى يجسد كل كمالات الله . ويعبر عن الاختبار المسيحى بكلمتين «الختان» وهو الختان الروحى الغير مصنوع بيده ختان القلب الذى انتظره العهد القديم (حزقيال) .

ثم المعمودية حيث يتصل المؤمن ويتحد بالمسيح فى موته وقيامته فالاختبار المسيحى ليس شيئاً عقلياً أو تفكيراً نظرياً لا صلة له بالحياة ولكنه اختبار حياة يظهر ثمره فى السلوك والحياة المسيحية الحقيقية . هذا كله مبنى على ختان المسيح وهذه كلمة قد تعنى ثلاثة أمور : إما ختانه اليهودى كطفل وهذا مستبعد وإما ختانه الروحى بالصليب وإما ختانه الذى هو مصدره أى يساعدنا على خلع جسم الخطايا وربما كان هذا المعنى الثالث هو المقصود بذلك .

إن المسيح لكى يقوم بذلك انتصر على كل قوات الشر على الرياسات والسلاطين فهو أقوى من الجميع وأعظم منهم وصانع الخلاص العظيم .

نتيجة ذلك :

إن الذين للمسيح أحرار لا يستطيع أن يحكم عليهم فى طقوس أو تقاليد ولا أن يخضعوا لأحد غير سيدهم . لقد ماتوا مع سيدهم عن العالم وقاموا معه . فهم يحيون معه وحياتهم مستترة فى المسيح يسوع فى السماوات (٢ : ١٩ — ٣ : ٤) .

السلوك المسيحى :

بعد ذلك يذكرهم الرسول بالسلوك المسيحى الذى يجب أن يكونوا فيه وهو يذكر ذلك فى ٣ : ٥ — ١٧ وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين : الأول سلبى أو نهى إذ يطلب منهم ألا يسلكوا كما سلكوا قبلا فى نجاسة النفس والجسد معاً (٥ — ١١) والسبب فى ذلك « . . إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (٩ و ١٠) هذا الإنسان العتيق ثم الجديد لا يمسان الطبيعة البشرية فى الإنسان ولكنهما يعنيان موقفين مختلفين : كانوا قبلا بين أبناء المعصية وسلكوا فى كل هذه

الخطايا ( ع ٦ ) فى ذلك الوقت كانوا فى الإنسان العتيق . . كانوا يلبسون آدم . . فى آدم . . فى الخليقة القديمة . . أما الآن فهم فى المسيح خلعوا آدم بكل أعماله ولبسوا المسيح فصاروا إنساناً جديداً . إنه لا يتكلم عن فرد بل عن وحدة الخليقة الجديدة فى المسيح يسوع (أفسس ٢ : ١٥) .

ثم هناك الوجهة الإيجابية فى السلوك المسيحى ( ١٢ — ١٧ ) وهى مبنية على حياتهم كمختارى الله القديسين المحبوبين .

بعد ذلك يطلب الرسول من الأسرة أن تتماسك : النساء والرجال ، الأولاد والآباء العبيد والسادة . هل كان الرسول ينبر هنا على موقف خاص أوجده هؤلاء المعلمون الكذبة إذ أوجدوا انقسامات حادة فى الكنيسة بين كل هؤلاء ؟ أم أنه يذكر ذلك كنصائح عامة ؟ أعتقد أن الأمر الأول أقرب إلى الموقف من أجل البلبلة التى سببتها هذه الضلالة .

ثم يختم الرسول الرسالة بأن يرسل تحياته وسلامه إليهم ويصحب معه فى السلام مجموعة من الأحباء .

## رسالة أفسس

تعتبر رسالة أفسس واحدة من أهم رسائل العهد الجديد ، وفى دراستها سنجد أنها فى القمة من حيث تفكيرها ولاهوتها واتجاهها ؛ ومع ذلك فقد أثارت هذه الرسالة جدلا واسعاً فى نقطتين ، هامتين هما : هل فعلا كتبها الرسول بولس ؟ وهل فعلا كتبها إلى كنيسة أفسس ؟ حول هذين السؤالين كتبت كتب عديدة وقيلت آراء كثيرة . . ولكن قبل أن نتعرض لشئ من هذا التفكير هنا نذكر شيئاً عن هذه المدينة أفسس وعن الكنيسة التى فيها .

**أفسس :**

تعتبر مدينة أفسس مدينة ذات أهمية عظمى فى آسيا الصغرى تقع على البر الشرقى لبحر إيجة تقريباً ، فى مواجهة أثينا . وهى مقاطعة يونانية جذبت إليها كثيرين من جنسيات متعددة . لأنها تقع على طريق رئيسى يربط بين الشرق والغرب . وكان فيها جالية يهودية كبيرة وقوية ( أعمال ١٨ : ١٩ ، ١٩ : ٨و ٩ و ١٣ ) . وكانت هذه المدينة تشتهر بأمرين :

الأمر الأول : أنها مركز عبادة أرطاميس التى يقول أتباعها إن صورتها نزلت من السماء ، وقد بنى لها فيها معبد كان يعتبر من عجائب الدنيا السبع .

أما الأمر الثانى فكان مسرحها الضخم الذى كان يتسع لخمسين ألف متفرج ، وكانت تقام به ألوان من الأنشطة الرياضية أهمها مصارعة الوحوش ولهذا فقد كانت المدينة مركزاً للحضارة القديمة وملتقى حضارتى الشرق والغرب .

**الرسول بولس وأفسس :**

كان الرسول بولس هو الذى أسس هذه الكنيسة الضخمة ، ويبدو أنه مكث فى أفسس أطول مدة تبشيرية مكثها فى مدينة أخرى . زارها لأول مرة مع أكيلا وبريسكلا ، ومكث فيها مدة قصيرة وذلك فى أواخر رحلته التبشيرية الثانية وهو فى طريقه إلى أورشليم ( أعمال ١٨ : ١٧ — ٢١ ) . ولا بد أن هذين الزوجين — أكيلا وبريسكلا قد عملا على تقديم الإنجيل بعد أن تركهما الرسول هناك ، وقد كان لهما الفضل فى شرح رسالة الإنجيل لعامل من عمال المسيح العظام وهو أبلوس ، إذ كان يعرف معمودية يوحنا فقط ( أعمال ١٨ : ٢٤ — ٢٦ ) .

وجاء الرسول بولس إلى أفسس فى رحلته التبشيرية الثالثة ، وقابله هناك جماعة من تلاميذ يوحنا ، فكلمهم عن المسيح وقبلوه وحل عليهم الروح القدس (أعمال ١٩ : ١ — ٧) . ثم دخل مجمع اليهود ومكث يحاجهم لمدة ٣ شهور ، ولكنهم تقسوا ولم يعودوا يسمحون له باستخدام مجمعهم ، فاستأجر مدرسة إنسان اسمه تيرانس (أعمال ١٩ : ٨ و ٩) . واستمر يعظ فيها مدة سنتين : ولأن أفسس كانت مركزاً للقادمين والذاهبين فقد سمع كلمة الله منه ومن الذين تجددوا على يديه من البلاد الأخرى ، كل الساكنين فى آسيا الصغرى . ونجحت كلمة الله حتى أن السحرة الذين آمنوا حرقوا كل كتبهم التى كانت تساوى خمسين ألفاً من الفضة (أعمال ١٩ : ١٣—٢٠). ولكن لما رأى الصياغ أن تجارتهم التى تتمركز حول عبادة أرطاميس كادت تفلس قاموا بمظاهرة شديدة تحت زعامة شخص منهم اسمه ديمتريوس ، وكادوا يفتكون بالرسول ثم حملوه إلى الحاكم الذى طلب منهم أن يسيروا بحسب الطرق القانونية (أعمال ١٩ : ٢١ — ٤١) . وعندئذ ، لما وجد الرسول أن إقامته أصبحت مستحيلة هناك ، ترك المدينة بعد أن تكونت هناك كنيسة قوية أضحت مركزاً عظيماً للتبشير بل لعل إنجيل يوحنا وسفر الرؤيا كتبا فيها .

لنستعرض الآن أهم مشكلتين تواجهان الدارس لهذه الرسالة :

**١ — من هو كاتب الرسالة :**

القراءة السريعة لهذه الرسالة تعطى الجواب على هذا السؤال بأن الرسول بولس هو كاتبها . فالرسالة نفسها تشهد بذلك (أفسس ٣ : ١ ، ٤ : ١ ، ٦ : ٢٠ و ٢١) . وهى تمتلئ بعبارات واصطلاحات الرسول نفسه ، وفوق الكل فإن شهادة الآباء والكنيسة كلها تؤيد هذا الأمر . ولكن منذ ١٨٢٩ بدأ العالم دى ويت يتشكك فى ذلك الأمر ، وبدأ جناح قوى من الدارسين فى

السنوات التالية يتبعه فى ذلك ، ويمكن تلخيص الأدلة التى يبنون عليها رأيهم فى الأمور التالية :

**( أ ) اللغة والأسلوب :**

هناك اختلاف واضح بين الألفاظ التى تظهر فى هذه الرسالة وبين ما يستخدمه الرسول فى الرسائل الأخرى ، وبالعكس يظهر تقارب عجيب بينها وبين كتابات لوقا البشير ورسالة بطرس الأولى والعبرانيين وأكليمندس وكل هذه — كما يقولون كتبت فى عصر متأخر عن عصر الرسول بولس ، مما يدل على أنها كتبت فى زمن كتابة هذه الكتب ، أما عن الأسلوب فيقولون إنه يختلف عن أسلوب الرسول ، فالرسالة مملوءة بالحشو الزائد بجمل كثيرة مثل « حسب مسرة مشيئته ( ١ : ١١ ) ، « حسب شدة قوته » ( ١ : ١٩ ). . إلخ . بينما نجد الرسول فى كتاباته يختار الكلمة لتؤدى المعنى الذى يقصده ، ويوجد كذلك أشياء أخرى كالجمل الطويلة التى تتخللها الجمل الاعتراضية ثم الأسماء المتعددة التى ترتبط بالإضافة أو حروف الجر ( ٢ : ١٤ و ١٥ ، ٤ : ١٣ ) وغير ذلك مما لا يتفق مع أسلوب الرسول .

(ب) الصلة الخاصة بين هذه الرسالة ورسالة كولوسى — كما سبق الذكر — من تشابه واختلاف أخذها معتنقو هذه النظرية على أنها دليل على عدم صحة نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس .

(جـ) اختلاف لاهوت هذه الرسالة عن لاهوت الرسول كما يظهر فى رسائله العظمى مثل رومية وغلاطية وكورنثوس وتظهر هذه الاختلافات فى الأمور التالية :

١ – شخصية المسيح :

هناك أعمال ينسبها الرسول بولس إلى الله بينما تنسب فى هذه الرسالة إلى المسيح مثل : اختيار الرسول والأنبياء ( أفسس ٤ : ١١ مع ١ كورنثوس ١٢ : ١٨ ) ثم المصالحة ( ٢ كورنثوس ٥ : ١٨ و ١٩ ، كولوسى ١ : ٢٠ مع أفسس ٢ : ١٦ ) .

هناك شئ آخر وهو أن رسالة أفسس لا تظهر موت المسيح ولا تعطى له الأهمية العظمى التى تعطى له فى رسائل الرسول بولس ، فمثلا فى أفسس ١ : ١٥ – ٢ : ١٠ ) حيث يذكر عمل الله الفدائى لا يذكر موت المسيح مطلقاً بينما تذكر القيامة مرتين . هذا بالمقابلة بما يذكره الرسول فى رومية ٣ : ٢١ – ٣١ ، ٤ : ٦ – ١١ ، ١ كورنثوس ١ : ١٨ و ٢٣ . . إلخ ) . شئ ثالث وهى أن أفسس تذكر « نزول المسيح إلى أقسام الأرض السفلى » ( ٤ : ٩ ) وهذا لا يعكس تفكير الرسول بولس بل بالأحرى تفكير رسالة بطرس الأولى ( ١ بطرس ٣ : ١٨ – ٢٠ ) والألفاظ اللاهوتية « فى المسيح » أو « فى المسيح يسوع » ( ٣ : ١١ ) أو « فى يسوع » ( ٤ : ١١ ) أو « فى الرب يسوع » ( ١ : ١٥ ) لا يمكن فى هذه الرسالة أن تعطى نفس العمق الذى لها فى كتابات الرسول بولس » .

أما مجئ المسيح الثانى فلا ذكر له فى هذه الرسالة ، بعكس رسائل الرسول بولس مما يدل على أنها – كما يقولون – كتبت فى عصر متأخر عن عصره ،

٢ – الكنيسة :

الكنيسة عند الرسول تعبر عن اجتماع محلى أو مجموعة من الكنائس أما فى أفسس فالكنيسة هى الكنيسة الجامعة ( ١ : ٢ ، ٣ : ١٠ و ٢١ ، ٥ : ٢٣ – ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٢ ) .

رسالة أفسس تصف الرسل والأنبياء بأنهم قديسون ( ٢ : ٢٠ ) وهذا لم يذكره الرسول فى مكان آخر ، وتصفهم على أنهم أسس الكنيسة (٢ : ٢٠) مما يتناقض مع قول الرسول فى ١ كورنثوس ٣ : ١١ على أن المسيح هو الأساس .

هذا يعكس تفكيراً متأخراً عن زمن الرسول بولس . فالكنيسة قد أصبحت جامعة عالمية ، فيها الأمم واليهود قد اتحدوا معاً ، بل قد تغلب فيها العنصر الأممى ، مما يدل على أنها كتبت بعد ٧٠ م بعد أن مات الرسول بولس .

هذه هى الأسس التى يبنى عليها منكرو نسبة الرسالة إلى الرسول بولس رأيهم . ولكن هذه الأسس لا يمكن أن تقبل للأسباب الآتية :

١ ــ الشهادة الخارجية على نسبتها للرسول قوية جداً ، فاسمه ظهر فى العنوان فى عصر مبكر جداً ، وكل شهادات الآباء تؤيد ذلك ، ووجدت فى قائمة مارسيون الهرطوقى تحت اسم لاودكية ــ ١٤٠ م ثم فى قائمة الموراتورى ١٨٠ م ، ثم فى الترجمات اللاتينية والسريانية :

٢ ــ بناء الرسالة نفسها يؤيد نسبتها إليه ، ففيها يظهر طريقته فى الكتابة لمقدمة ، الشكر ، الشروح اللاهوتية والحث الأخلاقى والسلام الختامى والبركة . . ومع أن هذه كانت طريقة العصر العامة فى الكتابة ، لكن من يقارن هذه الرسالة برسائل أخرى نسبت إلى الرسول كرسالة كورنثوس الثالثة يجد الفرق واضحاً بين الاثنين :

٣ ــ أما اللغة والاصطلاحات والأسلوب الأدبى فالرسالة أقرب إلى كتابات الرسول منها إلى أى كتابات أخرى فى العهد الجديد ؛ ففيها التقابل الذى يشتهر به الرسول ( ٦ : ١٥ و ٢٠ ) « سفير وسلاسل » وفيها الاقتباس

الحر ــ الذى من الذاكرة ــ من العهد القديم ( ٦ : ٨ ــ ١١ ، رومية ١٠ : ٦ ــ ٨ ) واقتباس لغة العهد القديم ( ١ : ٢٢ ، ٢ : ١٣ و ١٧ ، ٤ : ٢٥ ، ٥ : ٢ ، ٦ : ١ ــ ٣ ) .

٤ ــ أما المشكلة اللاهوتية والاعتقاد بأن فيها ما يخالف لاهوت الرسول بولس فإن القارئ المتعمق يرى بخلاف ذلك . نعم هناك عقائد درسها الرسول بعمق مثل عقيدة الكنيسة الجامعة ، وهى عقيدة تظهر فى رسالة كولوسى أيضاً ( كولوسى ١ : ١٨ ) فهو فى سجنه فى رومية يرى أنه قد أتم تبشيره فى الشرق كله من الليريكون إلى أورشليم ( رومية ١٥ : ١٩ ) وهو ينظر إلى هذا كله نظرة كلية وليست مفككة ، إنها كلها كنيسة المسيح وجسده حتى وإن كانت تتكون من مجموعات من الكنائس . فالنظرة الجامعة إلى الكنيسة هى نظرة الذى رأى الروح الواحد يعمل فى كنيسة واحدة . وإلى جانب ذلك فكل عقيدته واضحة فى هذه الرسالة كما فى الرسائل الأخرى : عقيدته فى إلهه ( ١ : ١٧ و ١٩ ــ ٢٢ ) . والارتباط السرى بالمسيح ( ١ : ٣ و ١٠ و ١١ ) وفكرة المصالحة على الصليب ( ٢ : ١٣ ــ ٢٢ ) . ثم عمل ورسالة الروح القدس ٢ : ١٨ ، ٣ : ٥ ، ٤ : ١ ــ ٤ و ٣٠ ، ٥ : ١٨ ) . ثم عقيدته فى قصد الله والاختيار ( ١ : ٥ ــ ١٤ ) .

كل هذه البراهين مع ما تعلنه الرسالة نفسها عن نسبتها إلى الرسول روصف الرسول نفسه بأنه أسير الرب ( ٣ : ١ ، ٤ : ١ ) وأنه اختير بواسطة الرب ( ٣ : ٤ ) ودعوته للقراء أن لا يحزنوا كثيراً لشدائده ( ٣ : ١٣ ) ، وأنه يصلى من أجلهم ( ٣ : ١٤ ــ ١٧ ) ، وغير ذلك تؤيد تأييداً تاماً أن كاتبها هو الرسول بولس نفسه .

لمن كتبت هذه الرسالة :

هذا السؤال أيضاً يجاوب لأول وهلة فعنوان الرسالة « إلى أفسس » والمقدمة « . . إلى القديسين الذين فى أفسس . . » يجيبان عليه . ولكن الأمر ليس بهذه السهولة . فمنذ بدأ المصلح البروتستانتى بيزا يتشكك فى ذلك بدأ كثير من العلماء يدللون على أن الرسالة لم تكتب لكنيسة أفسس . وهذه هى الشواهد على ذلك :

١ — العنوان لم يظهر على الرسالة إلا فى نهاية القرن الثانى ، والمقدمة لم تظهر فيه كلمة أفسس إلا فى القرن الرابع . وفوق ذلك فالعنوان لا يوجد فى أعظم المخطوطات وهى الفاتيكانية (مضافاً فى الهامش) والسينائية والبردية ٤٦ وبعض المخطوطات الأقل شأناً . وشهادة الآباء غير واضحة وغير متفقة فى ذلك . وبنفس الشئ ينطبق على المقدمة فهى لا تظهر فى المخطوطات القديمة نفسها السينائية ℵ والفاتيكانية B وغيرها ، ولم تظهر كلمة « فى أفسس » إلا فى منتصف القرن الرابع فى كتاب تفسير ألفه أحد العلماء أما فيما عدا ذلك فقد كانت تقرأ فيما سبق « . . . إلى القديسين والمؤمنين فى المسيح يسوع » .

ويستند هؤلاء العلماء فى رأيهم على الشهادة الداخلية للرسالة ، فهى تخلو من أية شواهد تبين أنه كانت هناك صلات شخصية بين الكاتب والمكتوب إليهم ، وهذا أمر غريب على الرسول بولس الذى قضى فى أفسس ما يقرب من ثلاث سنوات يبشر فيها . بل على العكس من ذلك فإن الكاتب يظهر أنه لا يعرف المكتوب إليهم معرفة شخصية ، فهو قد سمع عنهم فقط ( ١ : ١٥ ) وهو يتساءل عما إذا كانوا قد عرفوا بتدبير الله المعلن له ( ٣ : ٢ ) وهو يتساءل عما تعلموه عن المسيح وعرفوه عن عمله لهم وفيهم ( ٤ : ٢١ ) . أما المكتوب إليهم فيصفهم الكاتب على أنهم أمم ( ٢ : ١١ — ٢٢ ، ٣ : ١ — ٨ )

والوصايا التى يكتبها لهم والتحذيرات التى يوجهها إليهم كلها تنطبق على الأمم فقط ( ٤ : ١٧–٢١ ، ٥ : ٣ – ١٤ ) . وهذا لا يتفق كثيراً مع ما نقرأ فى سفر الأعمال عن كنيسة أفسس من أنها تحتوى على عنصر يهودى قوى ( أعمال ١٩ : ١ – ٢٠ ، ٢٠ : ٢١ ) .

وإلى جانب ذلك لا توجد تحيات من رفقاء الرسول إلى المكتوب إليهم ، مع أن تيموثاوس وارستريخس كانا معروفين جيداً لكنيسة أفسس ( أعمال ١٩ : ٢٢ و ٢٩ ، ١ كورنثوس ٤ : ١٧ ) .

وعلى هذا فهم يؤكدون أن الرسالة لم تكتب أصلا إلى كنيسة أفسس . وهذه شهادة لا يستهان بها وخاصة الشهادة الداخلية ، فإذا كان الأمر كذلك فلمن كتبت هذه الرسالة ؟

**لمن كتبت الرسالة والغرض منها :**

هناك نظريات كثيرة ولكن يمكن جمعها كلها تحت رأيين : رأى من ينكر نسبتها إلى الرسول بولس ثم رأى من يعتقد أن الرسول بولس نفسه هو الذى كتبها .

أما أراء الفريق الأول فتتلخص فى النظريات التالية :

١ – بعد موت الرسول بولس نسيه الناس ولكن عندما انتشر كتاب سفر الأعمال بدأ ذكره يرجع إلى الأذهان وهذا شجع أحد تلاميذ الرسول على جمع رسائله بعضها مع بعض ثم كتب لها مقدمة طويلة هذه المقدمة هى نفسها الرسالة إلى أفسس . هذه النظرية نادى بها جودسبيد **Goodspeed**

٢ – إنها رسالة كتبت فى القرن الثانى لتحارب الغنوسية وتحذر الناس

منها . ومع أن لاهوت الرسالة يشابه لاهوت الرسول بولس إلا أنها أكثر تعقيداً وتطوراً يقول بهذه النظرية Kummel كيميل .

٣ ـ هناك نظرية ثالثة وهي أن كاتبها كان من تلاميذ الرسول كتبها كمقالة لاهوتية لينشر فيها لاهوت الرسول وذلك بعد موته . وهذه نظرية W. Beare و. بير .

ولكن هذه النظريات ضعيفة وتقف في وجهها عقبات كثيرة أهمها عقبة « تيخيكس » . فالرسول يذكر القصة في رسالة كولوسي ٤ : ٧ و ٨ وتظهر هذه القصة في أفسس ٦ : ٢١ و ٢٢ فلماذا يقتبسها كاتب أفسس هكذا من رسالة كولوسي وهي لا داعي لها . ولكن لو قلنا إن الرسول كتب الاثنين معاً وأرسلها كلها في وقت واحد مع شخص واحد لكان هذا المنطق معتدلا وصحيحاً .

أما الذين يتمسكون بنسبتها إلى الرسول فإنهم يذكرون مجموعة من النظريات أيضاً أهمها :

١ ـ إنها رسالة إلى اللاودكيين ، فمارسيون يذكر أنها كتبت إلى لاودكية ثم أن هارنيك يعتقد أنها كتبت إليها بناء على ما جاء في كولوسي ٤ : ١٦ وقد وضع بدلا من لاودكية اسم أفسس نظراً لأن اسم لاودكية قد صار رديئاً ( رؤ ٣ : ٤ ) . ولكن الصعوبة في هذه النظرية هي أنه لا توجد أية مخطوطة أو ترجمة قديمة أو حديثة كتبت فيها لاودكية بدلا من أفسس .

٢ ـ هناك نظرية أخرى مفادها أن الرسول كتبها رسالة عامة وليست لكنيسة محددة لكي يضع فيها كل اختباره عندما عرف أن نهايته قد قربت

فى السجن . ولكن هذه الرسالة لا تظهر بما فيها من بعض الأمور الشخصية أنها كتبت إلى الكنيسة عامة .

٣ ــ النظرية الأخيرة أنها عبارة عن منشور أرسله إلى مجموعة من الكنائس فى نفس الوقت الذى أرسل فيه رسالتى كولوسى وفليمون . وقد ترك الرسول فراغاً لملء اسم الكنيسة التى تأخذ نسخة من هذه الرسالة . هذا الرأى يفسر تقارب رسالتى أفسس وكولوسى ثم يفسر قصة تيخيكس فهو الشخص الذى أرسل بيده هذه الرسائل .

إن هذه النظرية أقرب إلى الصحة من النظريات الأخرى ولا تثير كثيراً من المشاكل التى تثيرها النظريات المختلفة .

إذن فرسالة أفسس كتبها الرسول كمنشور عام لمجموعة من الكنائس فى لغة عامة وأرسلت بيد تيخيكس عندما أخذ معه رسالتى فليمون وكولوسى .

**محتويات الرسالة :**

التحيات ١ : ١ و ٢

(أ) سر الإنجيل ــ إرادة الآب ١ : ٣ ــ ١٤

مقــدمة ٣

الاختيار ٤

التبنى ٥ و ٦

الفداء ٧ و ٨أ

التنوير ٨ب ــ ١٠

الميراث ١١ و ١٢

الختم ١٣ و ١٤

(ب) قوة الإنجيل – عمل الابن ١ : ١٥ – ٢ : ١٠

عمل قوة الله فى المسيح ١ : ١٥ – ٢٣

عمل قوة الله فى المسيحى ٢ : ١ – ١٠

الحالة التعيسة السابقة ٢ : ١ – ٣

عمل الله لأجلنا فى المسيح ٤ و ٦

نعمة الله وعملها ٧ – ١٠

(ج) هدف الإنجيل – الحياة فى الروح ٢ : ١١ – ٣ : ٢١

– المصالحة معاً فى بيت الله ٢ : ١١ – ٢٢

الحالة السابقة بعيداً عن المسيح ١١ و ١٢

المركز الجديد فى المسيح ١٣ – ٢٢

– إعلان حكمة الله ٣ : ١ – ٢١

لبولس السفير ١ – ١٣ ويتضمن :

سر المسيح ١ – ٧ ثم

وظيفة الرسول بالنسبة لهذا السر ٨ – ١٣

للكنيسة ١٤ – ١٩

تمجيد ٢٠ – ٢٥

(د) آداب الإنجيل – السلوك المسيحى ٤ : ١ – ٦ : ٢٠

– موقع السلوك (الكنيسة المسيحية) ٤ : ١ – ١٦

— المميزات الأخلاقية للسلوك ٤ : ١٧ — ٦ : ٩

القديم والجديد ٤ : ١٧ — ٢٤

خطايا محددة بين الأمم ٤ : ٢٥ — ٥ : ١٤

طريق التواضع المسيحى ٥ : ١٥ — ٦ : ٩ ويتضمن:

المبدأ العام ٥ : ١٥ — ٢٠

مثال الزوج والزوجة ٥ : ٢١ — ٣٣

مثال الأبناء والوالدين ٦ : ١ — ٤

مثال السادة والعبيد ٦ : ٥ — ٩

— كيفيات السلوك المسيحى ٦ : ١٠ — ٢٠
(سلاح الله الكامل)

التحيات الختامية ٦ : ٢١ — ٢٤

**مضمون الرسالة :**

من أهم ما تمتاز به الرسالة وخصوصاً الجزء الأول منها (ص ١ — ٣) ، وهو ما يسمى عادة بالقسم اللاهوتى أو الحقيقية Indicative ، هو أنها رسالة تعبدية تأملية وليست جدلية ؛ ففيها نجد الترنيمة العظيمة التى يمكن أن نطلق عليها ترنيمة الخلاص (١ : ٣ — ١٤) ثم المرات التى فيها يصلى (١ : ١٦ ، ٣ : ١٤) . وهذا يفسر سمو الأسلوب الذى كتبت به هذه الرسالة وعمق أفكارها . إنها ليست رسالة جدلية يجابه فيها الرسول بدعاً أو هرطقات أو انقسامات كنسية فينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن مواجهة إلى أخرى ، ولكنه يذكر كل ما يعتمل فى قلبه من أفكار وتأملات فى شركته مع الله . إنه يذكر فى مكان آخر أنه يعرف إنساناً اختطف إلى الفردوس

وسمع بكلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها ( ٢ كورنثوس ١٢ : ١ – ٤ ) ولكننا نعتقد أنه هنا فى هذه الرسالة يشارك الآخرين فى هذه المعرفة السماوية ، التى جاءته فى تلك الساعات المجيدة . . إنه يكتب هذه الرسالة وهو جاث على ركبتيه .

هذه الرسالة التعبدية المجيدة ما مضمونها وما هو فكر الرسول الذى يضمنه فيها ، سوف نذكر كلمة بسيطة عن أهم الموضوعات التى تظهر فى هذه الرسالة .

١ – يلاحظ القارئ أن الرسول يكرر كلمة سر فى موضعين : الأول فى ترنيمة الخلاص ( ١ : ٩ ) « إذ عرفنا بسر مشيئته ، والموضع الثانى فى ٣ : ٣ و ٤ و ٩ « . . تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح » ؛ ثم « وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور . . » . ومع أن معنى السر واحد فى الموضعين إلا أن مضمون السر يتميز أحدهما عن الآخر : فمضمون السر فى ١ : ٩ هو تدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذلك » ( ع ١٠ ) أما فى الموضع الثانى فمضمونه « أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل » . ومع أن الاثنين متمايزان إلا أنهما مرتبطان تماماً ؛ بل لعل الرسول خرج من كشف وإعلان السر الثانى أى السر الخاص بالأمم إلى السر الأول وهو جمع كل شئ فى المسيح وتفسير ذلك كما يلى :

رأى الرسول بولس ، وهو الشخص الذى أفرز من أجل الأمم ، أن هؤلاء الأمم يقبلون إلى ينبوع الخلاص وإلى قبول المسيح مخلصنا ، أى أنهم قد صاروا شركاء فى المسيح ، وفى موعد الروح القدس ، وفى الميراث ، وفى الكنيسة ، أى جسد المسيح . هذا سر عندما كشف أذهل أهل الختان واستغربوا

(أعمال ١٠ : ٤٥) ، بل لعلهم رفضوه أولا ( ١١ : ٢ ) ولكن الرسول بولس رأى سر الله ينكشف ويعلن فى هذه الحقيقة الواقعة المذهلة . وعندما آمن الأمم لم يكونوا كنيسة لوحدهم مستقلة بعيدة عن اليهود ، ولكنهم مثل اليهود تماماً أصبحوا جسد المسيح الواحد ، أو كما يقول الرسول عن المسيح « لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ( أى اليهود والأمم ) ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين ( اليهود والأمم ) فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به » ( ٢ : ١٤ــ ١٦ ) . إذن فقد صار الاثنان جسد المسيح . لا فرق . رعية واحدة . . بناء مركباً معاً وينمو هيكلا مقدساً للرب . . مسكن لله فى الروح ( ٢ : ١٩ــ٢٢).

هذا يعنى أن هذا السر أعلن فى واقع تاريخى رآه الجميع ولمسه العالم ولا يمكن أن ينكره أى إنسان .

٢ ــ ولكن هذا السر الذى صار واقعاً تاريخياً يشير إلى السر الآخر الذى أعلن للرسول فوضعه فى ترنيمة الخلاص المجيدة ( ١ : ٣ ــ ١٤ ) هذه الترنيمة التى تتوازى وتتساوى مع ترنيمة المحبة فى ( ١ كورنثوس ١٣ ) تنقسم إلى ٣ مقاطع كبيرة بعد المقدمة فى ( ع٣ ) .

المقطع الأول : ٤ ــ ٦ وتظهر فيه البركتان الروحيتان الاختيار والتعيين :

المقطع الثانى : ٧ ــ ١٠ ا وفيه أيضاً بركتا الفداء ( غفران الخطايا ) والاستنارة .

المقطع الثالث : ١٠ ب ــ ١٤ وفيه بركتا الميراث وختم الروح .

هذه البركات ، التي تتمتع بها الكنيسة ، التي هي الواقع التاريخي للسر المقدس ، هي بركات الإنجيل وهذا الإنجيل نبع من مسرة مشيئة الله .

ولنلاحظ هنا المرات العديدة التي وردت فيها الكلمة « حسب » ( ع ٥ و ٧ و ٩ و ١١ ) . هذا يكشف أن كل عمل يعمل وكل تدبير يجرى وكل بركة تعطى وراءها إرادة الله ومسرته ؛ فإرادته هي أساس كل شئ . وإرادته القدوسة تقود كل شئ إلى قصد عظيم يذكره في ع ١٠ بقوله « لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك » إذن فقصد الله السامى لا يقتصر على الإنسان فقط بل على كل شئ مما في السماء وما على الأرض ، كله يجمع في المسيح يسوع ليصبح هو رأساً لكل شئ وسيداً عليه (أنظر فيلبى ٢ : ٩ — ١١) .

هذا إذن تدبير الله وهو هناك في الأزلية ثم في الواقع التاريخي ثم إلى الأبد . لقد دبر الآب كل شئ فاختار القديسين ودعاهم في واقعنا التاريخي وهم سيكونون الواسطة في جميع كل شئ في المسيح يسوع رأس كل شئ :

٣ — وعلى هذا نرى أن عنصراً أساسياً وهاماً يتخلل هذه الرسالة هو التنبير على الوحدة : وحدة قصد الله ، إذ سوف يجمع كل شئ في المسيح ، ووحدة الكنيسة إذ وحد وربط الأمم واليهود معاً ليكونوا واحداً في المسيح ، هذه الوحدة لا تعني صب كل شئ في قالب واحد ، فيكون الكل متطابقين ، ولكنها وحدة في تنوع ؛ فكل أعضاء الكنيسة من يهود ومن أمم لم يشكلوا من جديد ولكن أصبح فيهم التوافق المسيحى الكامل . وهكذا كل شئ . إنها وحدة في تنوع . هذه الوحدة والجمع له مركز واحد . سواء أكان في الواقع التاريخي أم في الأبدية فهو مركز باق . وهو المسيح فكل شئ يجمع في المسيح (١ : ١٠ ، ٢ : ١٤ — ٢٢) .

٤ — فإذا كان المسيح هو مركز الوحدة وأساسها فكيف يتممها ؟ لقد بدأ فى إتمامها بنفسه هو إذ صار جسداً ، وفى موته أباد كل القوات التى تسبب الانقسام والعداوة . ويفكر الرسول هنا فى الناموس الذى كان حاجزاً فاصلا بين شعب الله . فعلى الصليب هدم المسيح هذا الحائط أو السياج المتوسط ، وأدخل حياة جديدة فى مبادئ جديدة ، مبادئ التوافق والمحبة ، فصار الاثنان إنساناً واحداً يفوق كل تنوع واختلاف . ويتكلم الرسول هنا عن الكنيسة ويسميها جسد المسيح ليس بطريق الاستعارة أو التشبيه ولكنها هى جسده فعلا (١ : ٢٣ ، ٣ : ١٢ و ١٦ ، ٥ : ٢٣ و ٣٠) « فكما أنه اتخذ جسداً لحياته الأرضية هكذا الآن أضحى فى تجسد أوسع وأكبر ، فالكنيسة جسد المسيح يحيا ويتقوى بحياته ، لأنه هو الرأس » فى هذا الجسد ظهر نوع آخر من البشرية : إنسان جديد يفوق كل اختلاف وجنس . إنه ارتباط بين اليهود والأمم .

وهناك طريقة يستخدمها السيد فى تمكين وإنماء هذا الجسد العظيم : وهى المواهب الروحية « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . . . » (إقرأ ٤ : ١ — ١٦) . إنها مواهب مختلفة فى أناس مختلفين ، ولكنهم أصبحوا إنساناً واحداً . جسداً واحداً للمسيح . هذه الوحدة الكنسية هى البداية . فالمسيح بكنيسته سوف يكمل هذا الجمع العظيم كما يقول « وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا » (٣ : ٩ — ١١) . ففى الكنيسة يصبح المسيح مركزاً لكل شئ فيتغلب على كل انقسام واختلاف إلى أن يصبح كل شئ فى توافق

تام فيه . وعلى هذا تصبح الكنيسة جسد المسيح ملء الذى يملأ الكل فى الكل . فإذا كان المسيح يملأ الكون كله بقوته إذ كل شئ له وبه قد خلق ، فالكنيسة هى ملؤه بمعنى أنها جسده ، وحياته تنتشر فى هذه الكنيسة ، فإذا كان الرأس يحوى كل الكمالات فإن الجسد هو الذى يعلن هذه الكمالات والواسطة لإظهارها للجميع .

٥ ـ هذه الأسرار العميقة المجيدة كيف عرفها الرسول ؟ هو نفسه يقول « الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تعرفوا درايتى بسر المسيح » ( ٣ : ٤ ) . إن الرسول قد وصل إلى أسرار عميقة ومعرفة لم يعلن عنها فى أية رسالة أخرى سابقة ،ولقد قال المفسرون إن كان موضوع الرسول فى الرسائل السابقة هو الإيمان فإن موضوعه فى هذه الرسالة هو المعرفة . ولكن هذه المعرفة ليست لذاتها كما يظن الغنوسيون . إنهم يطلبون المعرفة لذات المعرفة بل يظنون أن خلاصهم يجئ عن طريق هذه المعرفة لأنها هى الخلاص نفسه ولكن المعرفة هنا واسطة لشئ أعمق وأسمى يطلبه المسيحى ، إنها الحياة المسيحية ، حياة الشركة مع المسيح ، فهى المعرفة الحقيقية السائدة ، ولهذا فهو يقول « كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته » ( ١ : ١٧ ــ ١٩ ) ثم يقول « . . حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » ( ٢ : ١٨ و ١٩ ) . فالمعرفة المسيحية هى الشركة الحبية مع المسيح . . هى معرفة النمو الروحى فى المسيح يسوع .

٦ — تعتبر هذه الرسالة أيضاً من أهم الرسائل التى كتبها الرسول حيث أنها تحتوى على الأساس الذى عليه بنيت العقيدة المسيحية السامية عقيدة التثليث . وتظهر فيها بكيفيات متنوعة ، وأهم فقرة هى التى يقول فيها « جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم » ( ٤ : ٤ — ٦ ) وهناك فقرات متفرقة متصلة بالآب أو الابن أو الروح إما منفصلين أو فى ثنائيات أو ثلاثيات ( ١ : ٢ و ٣ و ١٣ و ١٧ ، ٢ : ٢٢ ) .. إلخ . وكما يقول بومن هذه الرسالة وحدها من دون الرسائل الباقية تكشف عن المجهود الأول لربط طبيعة الله المثلث الأقانيم بالإنجيل المسيحى وتظهر العمل الخاص الذى عمله كل أقنوم فى تدبير الإنجيل وتنفيذه ، نعم إن هذه الرسالة مثل كل الرسائل الأخرى تكشف أن الرسول لم يكن يحاول أن يتكلم عن طبيعة الله ، فهو إنسان يعرف حدوده ، ويعرف أن الله يعرف من خلال إعلانه لنفسه فى أعماله الفدائية العظيمة فقط ، ولكن لا يسمح بالكشف عن طبيعته وجوهره الإلهى لأنه أعظم من الطبيعة ومن الإنسان نفسه . وفى الأصحاحات الثلاثة الأولى ثلاثة أقسام ، فى كل قسم منها ينبر الرسول على عمل واحد من الأقانيم الثلاثة ( ١ : ٣ — ١٤ ) عمل الآب ( ١ : ١٥ — ٢ : ١٠ ) عمل الابن ، ثم ( ٢ : ١١ — ٣ : ٢١ ) عمل الروح القدس . ونلاحظ أن الرسول لا يفصل بين الثلاثة ، ففى كل قسم يظهر الثلاثة معاً كإله واحد ولكنه ينبر فقط على عمل كل شخص بعينه فى اللاهوت . وبهذه الكيفية يحذر الرسول القارئ من أن يظن أن هناك آلهة ثلاثة بينهم اتفاق فى العمل ، إنه يتكلم عن الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح وعن الله : إله ربنا يسوع المسيح الذى بروحه لنا كلينا قدوماً إلى عرشه المقدس .

إن هذا القول ليس ميتافيزيقاً ولكنه وصف لعمل إلهى فى التاريخ وفى المؤمنين وفى الجسد »

٧ – القسم العملى :

لم يكن قصد الرسول أن يتوقف إلى حد الدراسات اللاهوتية ولكنه وضعها لكى تكون أساساً لحياة مسيحية حقيقية . وفى القسم العملى هذا . . أو القسم السلوكى يظهر عدة أمور :

( أ ) إن هذه الدعوة السماوية العظيمة دعوة للجميع ليكونوا واحداً فى المسيح ، ويجب أن تظهر فى ارتباط كامل . . ارتباط تغذية الكنيسة بكل طاقاتها وإمكانياتها ، بكل المواهب التى أعطاها الرب لها حتى يمكن أن يبنى المؤمنون وتبنى الكنيسة ، حتى تتقدم إلى الثبات والاستقرار . . إلى أن يصلوا إلى قياس قيامة ملء المسيح »

(ب) هذا أيضاً يتطلب السلوك اليومى المسيحى وذلك على النقيض مما كانوا قبلا يسلكون مثل سائر الأمم ، لقد عاشوا فى الإنسان العتيق أى الحالة القديمة وهم فى آدم بعيدون عن المسيح ، أما الآن فيجب أن يعيشوا حياة إيجابية كلها صدق ومحبة . . وكما أحبنا المسيح يجب أن نحب بعضنا البعض .

(حـ) هناك فى الأسرة تظهر الحياة المسيحية الحقيقية ، فالرباط المسيحى بين الزوج والزوجة يشابه الرباط بين المسيح والكنيسة وعلى هذا فكما أحب المسيح الكنيسة يجب أن يحبوا بعضهم البعض »

وكذلك الأبناء والوالدين – العبيد والسادة حتى تكون الأسرة مسيحية حقيقة .

(د) عليهم أن يحاربوا ولاة العالم . . الرؤساء السلاطين . . أجناد الشر الروحية . . أن يلبسوا سلاح الله الكامل . . أن يصلوا لأجل الجميع ولأجله هو لكي تعطى له قوة ليعلم جهاراً بسر الإنجيل .

## رسالة فليمون

تعتبر الرسالة إلى فليمون واحدة من أقصر رسائل العهد الجديد . وهي أقصر رسالة كتبها الرسول بولس . وغالباً لم تكن هي الوحيدة التي كتبها لأفراد ، مع أنها الوحيدة التي بقيت من هذا النوع من الرسائل ولا تثير هذه الرسالة أية مشاكل بخصوص نسبتها إلى الرسول ، فكل ألفاظها والمشاعر التي فيها التي تعبر عنها ، وطريقة الكتابة تشير إلى الرسول بولس وتؤكد أنه هو الذي كتبها . ولم ينكر ذلك إلا أفراد متطرفون جداً من مدرسة توبنجن . ولكن الآن لا يوجد عالم واحد ينكر هذا الأمر .

**من هو فليمون :**

يعتقد دارسو الكتاب المقدس أن فليمون كان واحداً من سكان واد ليكوس وكان رجلا غنياً ولعله كان يعمل بالتجارة وفي سفراته تقابل مع الرسول وقبل الإيمان وأصبح مسيحياً ويعتقد أن أبفيه هي زوجته وأرخبس هو ابنه (ع ٢) وكان قد فتح بيته لاجتماعات الكنيسة في المدينة التي هو فيها .

ولكن يختلف الدارسون على البلد التي كان يسكن فيها ، هل هي كولوسي أم لاودوكية . فالذين يظنون أنها كولوسي يبنون رأيهم على ما جاء في كولوسي ٤ : ٩ حيث يذكر اسم أنسيموس ، وهو الذي كتبت الرسالة بسببه ، على أنه من سكان كولوسي ؛ فيكون بالحرى سيده فليمون من سكان

هذه المدينة . ولكن الذين يرون أنه من سكان لاودوكية فيبنون كلامهم على ما ورد فى كولوسى ٤ : ١٧ « وقولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التى قبلتها من الرب لكى تتممها » وقبل ذلك بقليل يطلب أن نقرأ الرسالة التى كتبت إلى لاودوكية ؛ ويظن هؤلاء أن الأمرين مرتبطين معاً مما يدل على أن أرخبس وهو إبن فليمون من سكان لاودوكية والكن الأرجح هو أن فليمون كان من سكان كولوسى .

**من أين كتبت الرسالة :**

من دون شك كتبت هذه الرسالة من أحد السجون وقد ذكرنا فى مقدمة رسائل السجن مشكلة مكان السجن الذى كتبت منه هذه الرسائل هل هو أفسس أم رومية بعد أن استبعدنا سجن فيلبى وقيصرية . ومع ذلك فهذه الرسالة تظهر المشكلة بشكل حاد فهى تشير إلى مدينة أفسس كمكان للسجن الذى كان فيه الرسول . ومع أن أفسس لم تظهر لا فى سفر الأعمال أو فى الرسائل أن الرسول سجن فيها إلا أن الشواهد التى ذكرت من قبل توحى بذلك .

أما الأمران اللذان يشيران إلى أفسس كمكان للسجن فهما أن أنسيموس العبد الهارب لايعقل أنه ذهب إلى روما وهى البلد البعيد والمتسع جداً الذى فيه يصعب أن يتعامل مع الرسول بولس . إن أفسس هى المدينة الأقرب إلى المنطق .

أما الأمر الثانى : فإن الرسول يقول لفليمون « ومع هذا أعدد لى أيضاً منزلا لأنى أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم » ( ع ٢٢ ) مع أنه فى رومية ( ١٥ : ٢٣ و ٢٤ ) يذكر أنه يريد أن يتجه إلى الغرب إلى أسبانيا وليس إلى

الشرق . ولكن مع ذلك فالمرجح أن رومية هى المدينة التى كتب منها الرسول ولابد أن أنسيموس سمع من سيده عن الرسول وسجنه فذهب إلى روما مباشرة»

**سبب كتابة الرسالة :**

من الواضح أن الرسول كتب هذه الرسالة بخصوص أنسيموس وهو عبد لفليمون[1] وقد كان شريراً ولم تكن خدمته نافعة ، وقد هرب أنسيموس إلى روما ويلوح أنه قد سرق بعض المال من سيده فليمون ( ع ١٨ ) ولقد تجدد أنسيموس على يدى الرسول ( ع ١٠ ) وأصبح يقدم للرسول كل خدمة ممكنة ونافعة ( ع ١١ ) . ولعل الرسول ناقش طويلا أمر رجوع أنسيموس إلى سيده وبعد تردد من كلا الطرفين وخصوصاً من الرسول لأنه كان يخدمه ( ع ١٣ ) عزم على أن يرسله إلى سيده ، وأرسل معه هذه الرسالة . ولكن ما هو الهدف من كتابة هذه الرسالة ؟ إن الرأى التقليدى يقول إن الرسول كتبها لكى يطلب من فليمون أن يقبل أنسيموس رغم أنه أساء التصرف معه ، ولم يكن طيباً قبل هروبه ، وأن يسامحه على هذا الهروب حتى وإن كان يستحق بحسب القانون الرومانى الموت ، وقد تعهد الرسول أن يدفع لفليمون كل الأموال التى سرقها هذا العبد ، وفوق ذلك فقد طلب منه أن يعامله الآن — وفيما بعد — لا كعبد بل كأخ فى المسيح . هذا هو مضمون الرسالة . ولكن عند التدقيق فى الرسالة نجد هناك بعض العبارات التى تحتاج إلى تفسير

---

(١) يعتقد جون نكس فى كتابه « فليمون من بين رسائل بولس » أن فليمون ليس هو سيد انسيموس بل هو أرخبس . وهو شخص لا يعرفه الرسول بولس والدليل على ذلك هو ما يقوله الرسول لأرخبس « قولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التى قبلتها فى الرب لكى تتممها » « كولوسى ٤ : ١٧ ومعنى الخدمة هى إرجاع انسيموس الى الرسول لكى يخدمه فى الرب » والرسالة كتبت ليس لفليمون وحده بل إلى « الكنيسة التى فى بيته لتكون شاهدة على هبة أرخبس للرسول بولس . هذه أفكار لا تقوم على دليل قوى ،

خاص ، أو إلى قراءة ما بين السطور : مثلا فى ع ١١ « ولكنه الآن نافع لك ولى » ( ع ١٣ و ١٤ ) « الذى كنت أشاء أن أمسكه عندى لكى يخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار » . وهكذا فى ع ١٥ أن انسيموس سيخدم الرسول نيابة عن فليمون ، إن المعنى الذى يستفاد من هذه الكلمات . هو أن الرسول كتب هذا الخطاب لكى يطلب من فليمون أن يرد إليه أنسيموس مرة أخرى لكى يخدمه فى سجنه ، إنه لا يرده لسيده الأول فحسب بل يطلب منه ولكن على استحياء أن يرجعه مرة أخرى له — أى للرسول — لكى يكون عنده ، معيناً إياه فى خدمة الإنجيل . هذه الخدمة التى كان يجب أن يقوم بها فليمون ليقم بها عبده أنسيموس بدلا منه ( ١٣ ) ؛ ولأجل هذا لم يشر الرسول فى رسالته إلى توبة أنسيموس وإلى ندمه ولا إلى أى شئ يشبه ذلك كما فعل بلنى Pliny . وهو أحد مشاهير خطباء الرومان فى موقف يشابه موقف الرسول ، إذ كتب إلى سيد العبد الهارب يظهر له ندم ذلك العبد وحزنه وتوبته ثم يرجوه أن يقبله . هذا لم يفعله الرسول وعلى هذا فقد كان خطاب الرسول أعمق من مجرد خطاب رجاء لإعادة عبد ، وطلب الغفران له من سيده . ولا يوجد اعتراض على هذا الرأى وربما كان أقرب إلى منطوق الرسالة وفحواها .

وعندما نقرأ رسالة أغناطيوس إلى أفسس ، بعد نصف قرن من كتابة رسالة فليمون ، نسمع عن شخص اسمه أنسيموس كان أسقفاً لأفسس ولعله كان هو نفس أنسيموس العبد ، ومن يدرى فربما رجع أنسيموس إلى الرسول مرة أخرى وكان خادماً له ثم أصبح واحداً من رجال الكنيسة المحبوبين المتقدمين فى الخدمة .

مضمون الرسالة :

لا نجد فى الرسالة أى بحث أو رأى لاهوتى فهى أبعد ما يكون عن هذا الأمر . إنها خطاب شخصى بالغ المحبة ، معبر عن الصداقة الإنسانية. فالرسول هنا يكشف عن عمق مشاعره ونراه فى صلته الشخصية بعيداً عن المشكلات الكنسية الحادة ، التى تظهر فى كثير من رسائله التى أرسلت إلى الكنائس . ومع ذلك فإننا نرى فى هذه الرسالة موقفاً من أشد المواقف حساسية وأهمية . . هو موقف الرسول من مسألة العبودية . وإذا أردنا أن نعرف رأى الرسول فيجب أن نرجع إلى رسائله المبكرة حتى نعرف التطور الذى حدث لهذا الرأى . ففى ١ كورنثوس ٧ : ٢٠ — ٢٤ يقول « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهمك بل وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى ، لأن من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح . قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس ما دعى كل واحد فيه أيها الإخوة فليلبث فى ذلك مع الله » .

وفى كولوسى ٣ : ٢٢ — ٤ : ١ « أيها العبيد أطيعوا فى كل شئ سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح وأما الظالم فسينال ما ظلم به . وليس محاباه . أيها السادة قدموا للعبيد العدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً فى السموات » .

الرسالة إلى كورنثوس كتبت سنة ٥٥ م أما رسالة كولوسى فقد كتبت فى سنوات متأخرة عن ذلك . ورأيه فى تسالونيكى يدل على أن الرسول قد

أخذ هذا النظام ، نظام العبودية بكل جدية ، ولم يقف بلا مبالاة أمام هذا الأمر الذى لا يتفق مع الإرادة الحقيقية للرب . وتفكيره كان يتطور ويتعمق فى هذه المشكلة ، إنه لا يستطيع بجرة قلم أن يدين نظاماً قام عليه المجتمع لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، ولو استطاع لتقوض المجتمع الرومانى وحدثت كارثة اجتماعية مروعة . فى كورنثوس كان يقول للعبيد « دعيت وأنت عبد فليكن هكذا ، إذا واتتك الفرصة لتكون حراً فاغتنم هذه الفرصة ، عالماً أنك أنت عتيق الرب .. كما أن الحر هو عبد للمسيح . فالإثنان يتساويان أمام الرب .

أما فى كولوسى فإنه يتعامل مع نظام العبودية بتفاصيل أكثر من وصاياه لأهل البيت (أهل البيت ٤٢ كلمة ع ١٨ ـــ ٢١ أما عن علاقة العبيد بالسادة ٧٤ كلمة ٣ : ٢٢ ـــ ٤ : ١ ) . هذا يدل على أنه كان فى ذلك الوقت مشغولاً بهذه العلاقة وترجح أن كولوسى كتبت فى وقت كتابة فليمون . فى هذه الفقرة إنه يوصى العبيد والسادة أيضاً ، ويقارن السادة الأرضيين بالسيد على الجميع يسوع المسيح . ويقول للعبيد إنك تخدم ليس لأنك عبد لبشرى ولكن لأنك مسيحى وعبد ليسوع المسيح . إنكم تخدمون يسوع المسيح . أما السادة الأرضيون الظالمون فسيدينهم الرب لأجل ظلمهم للعبيد ، وهذا مفهوم لا يخطر لرومانى على بال . هذا السيد الذى سوف يعطيهم المجازاة والميراث سوف يعاقب الظالم ، فالعبد التقى المؤمن عبد سيده السماوى أعظم من السيد الأرضى الظالم . ثم يأمر السادة الأرضيين أن يقدموا العدل والمساواة ليس رحمة بهم كأنهم ملكهم ولكن لأن هناك سيداً عليهم أيضاً هو نفس سيد هؤلاء العبيد وسيجازى الكل .

فى هذا المناخ وبهذه الكيفية يكلم الرسول فليمون . وهنا يضع المبدأ العميق : إنه هنا لا يكلم عبداً مؤمناً وسيداً ظالماً ، ولكنه يكلم اثنين من المؤمنين أحدهما عبد فى نظر الناس والآخر سيد فى نظر الناس .

ولكن الاثنين فى نظر الله أخان وعبدان له. هما ليسا فقط متساويين ولكنهما مرتبطان فيه كل فى دعوته وخدمته . إن الرسول لا يرفع قدر الإنسان فحسب بل إنه يرفع من قدر العمل مهما كان نوعه .

# رسالة فيلبى

مع أن رسالة فيلبى تعتبر من رسائل السجن إلا أنها تختلف كثيراً عن الرسائل الأخرى أعنى كولوسى فليمون وأفسس ، ولعلها كتبت فى زمن مبكر أو متأخر عنهم . وخاصة أنها أرسلت بيد شخص آخر هو أبفرودتس . ومناخ الرسالة يختلف عن الرسائل الأخرى ولا نجد فيها أى إشارة إلى المواضيع التى أثيرت فى الثلاثة الأخرى . ولا نستطيع أن نعرف مقدار الصلة بينها جميعاً سوى أنها إحدى الرسائل التى كتبت فى السجن كما سبق التنبير على ذلك .

**مدينة فيلبى :**

لم تكن مدينة فيلبى كبيرة فى الحجم مع أنها كانت عظيمة الشأن ، وقد سميت باسم فيليب المكدونى أبى الاسكندر الأكبر وقد اشتهرت هذه المدينة بموقعها الاستراتيجى وغناها العظيم وتجارتها الواسعة . فحولها كانت توجد مناجم الذهب والفضة مما ساعد الاسكندر المكدونى أن يقوم بفتوحاته العظيمة . ومع أنها لم تكن تقع على البحر ، وكان ميناؤها مدينة صغيرة اسمها ميناپوليس إلا أنها كانت مركزاً تجارياً ضخماً . وكان يمر بها طريق عسكرى ضخم جداً كان يعتبر من أهم الطرق العسكرية الرومانية وكان يمر مباشرة فى سوق المدينة .

أما شهرتها العسكرية فقد بدأت عندما حدثت عندها معركة شهيرة بين الرومانيين ، اشتبك فيها جيش أوكتافيوس وأنطونى ضد جيش بروتس

وكاشيوس بسنة ٤٢ق. م بعد أن اغتيل يوليوس قيصر . وانتصر أوكتافيوس وأنطونى وانتقما ليوليوس قيصر ، ثم تولى أوكتافيوس حكومة الدولة الرومانية باسم أوغسطوس قيصر ، وقد بنى فيلبى من جديد وأسكن فيها عساكره المتقاعدين ، وأصبحت مستعمرة عسكرية رومانية ، وأعطيت لها امتيازات كبيرة عن بقية المدن ، ثم ارتبطت بروما بهذا الطريق العسكرى الضخم . وكانت هذه المدينة مرآة للحضارة الرومانية بكل ما فيها من عادات وتقاليد . وربما لم تكن هناك مدينة فى الامبراطورية تشعر بعظمتها وأهميتها بعيداً عن رومة مثل هذه المدينة فيلبى .

المسيحية فى فيلبى :

فى رحلته الثانية يقول سفر الأعمال عن الرسول بولس إن الروح القدس منعه من الذهاب إلى بيثينية ( أعمال ١٦ : ٧ ) . وفى ترواس ظهرت رؤيا له رجل مكدونى يطلب إليه قائلا « اعبر إلينا وأعنا » ( ع ٩ ) فذهب عن طريق ساموتراكى ثم نيابوليس ودخلوا إلى فيلبى ، وهناك وعظ الرسول لأول مرة فى أوربا ، وكان ذلك فى اجتماع على البحر ، وربما كان هذا الأمر هو الذى جعل لفيلبى مكاناً خاصاً فى قلبه ، فهى كما يقول « بداءة الإنجيل » ( فيلبى ٤ : ١٥ ) . وهناك فى الاجتماع اليهودى عند النهر آمنت امرأة اسمها ليديه كانت تتاجر فى الأرجوان الذى اشتهرت به فيلبى . وكانت هذه السيدة أممية أعجبتها الديانة اليهودية فكانت تتعبد معهم . هذه قبلت الإنجيل وفتحت بيتها للرسل . وربما مكث الرسول هناك عدة أسابيع ، ومع قصر المدة فقد تكونت كنيسة قوية ، وجاءت نهاية هذه الزيارة فجأة . بعد أن أخرج الرسول روح العرافة من فتاة كانت تتبعهم وتقول عنهم إنهم عبيد الله الحى ، فهاج مواليها واشتكوا الرسول وكانت التهمة من شقين ، أنهم يهيجون المدينة

ثم ينادون بعوائد وعبادات جديدة لا يجوز لهم أن يقبلوها أو يعملوا بها لأنهم رومانيون ، ( أعمال ١٦ : ١١ ) وقد كانت العادة والمألوف أن يعبد الإنسان إلهه ويقوم بممارسة ديانته بشرط ألا تتعارض مع العوائد الرومانية . فكانت التهمة أن هذه العبادة تتعارض مع عوائدهم كرومانيين . ولعل هذه التهمة نفسها تعطينا الإحساس أن الرسول لم يقتصر فى تبشيره على الاجتماع الذى على النهر ، أو فى بيت ليديه وإلا لما استطاع الناس أن يوجهوا إليهم اتهاماً ظالماً كهذا ، إن الأرجح أنهم كانوا يتكلمون علناً فى الشوارع ولهذا استطاعوا أن يحاكموهم فى السجن .

وهناك بعد الصلاة تزلزل السجن وفتحت الأبواب . . وبعدها تجدد السجان ( أعمال ١٦ : ١٦ — ٤٠ ) . لقد كان كل يهودى موضع شك فى الامبراطورية ولهذا فقد خرج بولس من فيلبى رغم أن القضاة هم الذين طلبوا منهم برجاء أن يخرجوا منها ، ولكن الكنيسة كانت كنيسة قوية وعاملة وسخية وكانت تمتاز بأمرين الأمر الأول أن الجالية اليهودية فيها كانت قليلة وهذا يعنى أن الكنيسة كانت أساساً كنيسة أممية . أما الأمر الثانى فكانت أقرب الكنائس إلى قلب الرسول بولس فمنها وحدها قبل المعونة المالية مرتين ( فيلبى ٤ : ١٥ و ١٦ ) وهى الكنيسة التى اهتمت به شخصياً .

والقصة توحى بأن الكنيسة لم تكن تتكون إلا من ليديه وأهل بيتها والسجان وأهل بيته والفتاة التى بها روح عرافة ولكن الدراسة العميقة تظهر أن الكنيسة كانت أكبر كثيراً من هذا العدد حتى أن الرسول ترك لوقا فيها لكى يهتم بها . ويقول بعض العلماء إن الرسول تقابل مع لوقا البشير هنا ولعله كان من أهل فيلبى أو من أهل منطقة مجاورة والدليل على ذلك أن ضمير المتكلم الجمع يبدأ من هنا ( نحن ) دليل على بدء مرافقة لوقا للرسول بولس ( أعمال ١٦ : ١٧ ) .

ومن المؤكد أن الرسول زار فيلبي بعد ذلك مرتين : الأولى ذكرت في أعمال ٢٠ : ١ – ٦ ، ٢ كورنثوس ٢ : ١٢ و ١٣ ، ٧ : ٥ و ٦ أي قبل سجنه في أورشليم وقيصرية وروما . والثانية مذكورة في فيلبي ١ : ٢٦ ، ٢ : ٢٤ . أما بعد موت الرسول لم نعد نسمع عن هذه الكنيسة شيئاً . غالباً لأن المسيحية وحركتها تركزت في المدن العظيمة أنطاكية والاسكندرية وأفسس وروما ، ولم تعد هذه الكنائس التي تكونت في مدن صغيرة لها الأهمية التي كانت لها في العهد الجديد . ولكننا نسمع عنها – أي عن فيلبي – في خطاب كتبه إليها بوليكاربوس من روما ، رداً على خطاب أعضائها الذي أرسلوه إليه بخصوص أغناطيوس ، الذي مر بهم وهو في طريقه إلى روما للإستشهاد : وفي هذا الخطاب كانوا يذكرون بكل افتخار ومحبة مؤسس كنيستهم العظيم الرسول بولس ، وكان ذلك بعد موت الرسول بحوالي «ستين سنة» .

لماذا كتب الرسول الرسالة :

كما سبق القول إن هذه الرسالة أكثر من أية رسالة أخرى امتلأت بالعواطف والمحبة ، فكانت رسالة شخصية بين الرسول وكنيسته المحبوبة ، وقد كتبها بمناسبة رجوع أبفرودتس إليهم . وكان أبفرودتس هذا عضواً من كنيسة فيلبي أرسلته الكنيسة إليه في روما في سجنه لكي يحمل إليه عطاياها ومعونته ( ٤ : ١٨ ) بل لقد طلبت الكنيسة منه أن يمكث مع الرسول لكي يخدمه ، ولكنه مرض مرضاً قاسياً وكان بين الحياة والموت ، ولقد سمع أهل فيلبي بمرضه فحزنوا حزناً عظيماً واهتموا كثيراً بالرسول ، ولكن الرب رحم أبفرودتس وشفاه ولهذا أرسله سريعاً إليهم لكي يطمئنهم عليه ولكي يشكرهم على جميع العطايا التي أرسلوها إليه . ( فيلبي ٢ : ٢٥–٣٠ ) . ولكن الحقيقة لم تكن العطية هي السبب الأول والأساسي الذي دفعه ليكتب

هذه الرسالة ، والدليل على ذلك أنه يذكر هذه العطية فى أواخر الرسالة ، وفى لغته كثير من الاستحياء ، وفوق ذلك فإنه يؤكد لهم أن العطية ليست هى كل ما يطلبه ( ٤ : ١١ — ١٣ ) . ويعتقد بعض العلماء أن الرسول قد حصل على مبلغ كبير من المال من مصدر خاص ربما كان ميراثاً من أحد أقربائه الأغنياء ويظهر ذلك من محاولة فيلكس أن يأخذ رشوة منه لكى يطلقه ( أعمال ٢٤ : ٢٦ ) ومن غير المعقول أن يطلب حاكم فاسد رشوة من سجين فقير معدم كما كان بولس فى أوائل خدمته . ثم يعد فليمون أن يدفع له كل ما سرقه أنسيموس العبد منه ( فليمون ١٨ و ١٩ ) واستطاع أن يعيش فى روما فى بيت استأجره لنفسه ( أعمال ٢٨ : ٣٠ ) فلم يكن الشكر لأجل هذه العطية هو السبب الأساسى لكتابة الرسالة ، وإن كان ذلك الأمر واحداً من الدوافع لكتابتها .

٢ — هناك سبب آخر من أجله يكتب الرسول هذه الرسالة وهو أن الفيلبيين كانوا متألمين وقلقين عليه وعلى خدمته ، فالحالة قد تغيرت بالنسبة له ؛ وهو الآن فى السجن ولا يعرف أحد ماذا سيحدث له فإن أى حكم يصدر عليه فلن يكن له نقض ولا إبرام فإما أن يطلق سراحه وإما أن يموت وهذا أمر مؤلم بالنسبة لهم ( ١ : ١٢ — ٢٦ ) .

ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك بل إنه هو نفسه مهتم بهم لأنهم أيضاً يجوزون فى آلام كثيرة واضطهادات مريرة وأن أعداءهم يقفون ضدهم بكل قسوة ( ١ : ٢٧ — ٣٠ ) .

٣ — يبدو أيضاً أن بعض اليهود الذين كانوا يحيطون بهم كانوا يعيرونهم بأنهم جماعة يتبعون إنساناً قد حكم عليه بالموت ، وهذه خسارة كبيرة ولا يستحق هذا الإنسان أن يضحوا من أجله كثيراً ( ٣ : ١ — ١٦ ) .

٤ ــ وهناك أشياء كثيرة أخرى تحدث فى الكنيسة سببت بعض الضيق للرسول بولس ولهم أيضاً ، فهناك جماعة يحسون فى أنفسهم أنهم كاملون وأنهم أعظم وأحسن من غيرهم . ومن كل أعضاء الكنيسة ( ٢ : ١ ــ ٥ ) . وهناك أيضاً بعض الانقسامات التى سببتها بعض السيدات فى الكنيسة وقد كان لهن مركز ممتاز فيها . وكان هناك اثنتان هما أفودية وسنتيخى كان التنافس بينهما شديداً وسببتا بعض التعب للكنيسة .

هذه هى أهم الأسباب التى من أجلها يكتب هذه الرسالة فماذا يقول فيها ؟

١ ــ من الأمور الهامة التى يلاحظها القارئ أن الرسول لم يحاول أن يدافع عن رسوليته كما يفعل فى معظم الرسائل الأخرى، إنه يذكر أنه هو وتيموثاوس « عبدا يسوع المسيح » ( ع ١ ) ، وذلك لأنه ليس محتاجاً إلى أن يثبت لأهل فيلبى أنه رسول يسوع المسيح ، فهم يقبلونه ويحبونه ولا يشكون دقيقة واحدة فى ذلك . وعندما يرسل الرسالة فإنه يفتتحها ليس فقط بذكر الكنيسة ككل ، ولكنه يذكر قادة الكنيسة « أساقفة وشمامسة » ، ولعله يفعل ذلك لأنهم الجماعة الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية الجمع لأجل القديسين فى أورشليم ، ولأجل الإنجيل الذى يخدمه هو ( ع ٥ ) . وهو هنا يفعل ما لم يفعله بل يترفع عن أن يفعله فى كنائس أخرى . فبينما هو يشكرهم على مشاركتهم فى الإنجيل يقول لكنيسة كورنثوس « سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت لم أثقل على أحد لأن احتياجى سده الإخوة الذين أتوا من مكدونية ، وفى كل شئ حفظت نفسى غير ثقيل عليكم وسأحفظها » ( ٢ كورنثوس ١١ : ٨ و ٩ ) . وكما سبقت الإشارة فإنه يذكر تلك العطية التى أرسلوها له فى رومية فى ( فيلبى ٤ : ٨ ــ ٢٠ ) بكل فرح وبهجة مع أنه لا يريد أن يثقل عليهم كثيراً ، إذ أنه قبل الكثير منهم

وأمتلاً ، فهذه العطية لا تعبر فقط عن نفسها ولكنها هي ذبيحتهم التي يقدمونها بشكر أمام الله للمساعدة في تقديم الإنجيل إلى العالم .

٢ — أما قلقهم عليه فيجب أن يختفي لأن هذه الساعة الحرجة التي يجوز فيها يجب أن يتعظم الله فيها . ولماذا يحزنون ؟ إن الآمه الكثيرة قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل ، لقد عرف عنه الناس كثيراً وسمعوا عنه ثم جاءوا إليه ليسمعوه ولذلك انتشر الإنجيل حتى في بيت قيصر نفسه أي بين عساكره وخدامه الذين يعملون في خدمته ( ٤ : ٢٢ ) . بل أن الإخوة الذين يعرفون أنه مسجون لأجل الإنجيل يجترئون أكثر على الخدمة ، إنهم يتكلمون بلا خوف (١ : ١٣و١٤) ولهذا ، فكلمة الرب تنتشر . وحتى أولئك الذين ينادون بالمسيح عن حسد وعن خصام ، ولعله في ذلك يقصد جماعة التهوديين الذين ذهبوا وراءه في خدماته وإرسالياته ليتكلموا ضده ، فهما عملوا ومهما كانت نيتهم وقصدهم فإنهم يكرزون بالمسيح . وهذا ما يجعل الرسول يفرح لأن كل ما هو موضوع لأجله هو تقديم الإنجيل إلى المحتاجين وهكذا يفعل أصدقاؤه لكي يساعدوه وكذلك أعداؤه ظانين أنهم يضيفون على وثقة وثقاً (١ : ١٣ — ١٩) .

ثم لماذا يقلقون عليه ؟ هل ستقترب الساعة ويموت بعد أن يحكم عليه بالإعدام ؟ وهل هذا يؤلمهم ؟ إن المسيح وحده هو الذي يتعظم في موته وفي حياته إنه مشتاق أن يكون مع المسيح ويبقى معه هناك ؟ ولكن إن لم يحكموا عليه فلسوف يبقى من أجلهم يخدمهم ويقويهم ويعظهم ، وكلا الأمرين عزيز عليه ومحبوب لقلبه ، وجوده معهم في الخدمة أو انطلاقه إلى المسيح والبقاء معه . إنه يطلب منهم أن يصلوا من أجله ، وليفعل السيد ما يريد لأن هذا هو الخير أن نخضع لإرادته الكاملة ( ١ : ١٩ — ٢٦ ) . إن ما يفرح قلبه

ألا يهتموا بشئ ولا يقلقوا «لا تهتموا بشئ بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع (٤ : ٦ و ٧) .

٣ - وبالمثل فإنه يطلب منهم أيضاً ألا يخافوا أو يضطربوا فى وجه كل الضيقات التى يواجهونها بل يجب أن يثبتوا (١ : ٢٧ - ٣٠) وفى هذا الجزء يذكر الفيلبيين العسكرى بماضيهم المجيد، ولقد انتصر فيليب المكدونى على كل بلاد اليونان وانتصر ابنه الاسكندر الأكبر على كل القوى بواسطة أبطالهم العظماء . فهكذا يجب أن يفعلوا هم كمسيحيين ، إن قائدهم هو الرب نفسه ولا بد أن ينتصروا . ومن كلامه فى ٣ : ٢٠ و ٢١ يظهر أن عبادة الامبراطور كان لها شأنها فى فيلبى . نعم إن الوقت لم يكن قد جاء بعد حين أضحت عبادة الامبراطور هى الديانة الوحيدة التى يجب أن يمارسها كل رومانى ، ولكن فيلبى كمدينة رومانية قد عرفت ذلك معرفة واضحة ، وتفشت فيها عبادة الامبراطور ، وكان الامبراطور يدعى المخلص ، ولذلك فالرسول يذكر أعضاء كنيسة فيلبى بأنهم جماعة لها رعوية سماوية . نعم إنهم فى الأرض وفى الدولة الرومانية ولهم الرعوية الرومانية ، ولكن دعوتهم الحقيقية هى فى السماء وسوف يأتى منها المخلص العظيم الذى ينتظرونه . فيجب ألا يفتكروا فى الأرضيات كما فعل قوم كذلك وأصبحوا بذلك أعداء صليب المسيح . إن كلمة رعوية تعنى أصلا جالية أو مجتمع يعيش فى اكتفاء ذاتى وحكم ذاتى وسط المدن الكبرى ، كما كان يفعل اليهود ، وهكذا يجب أن يكونوا كمسيحيين .إنهم وسط العالم ولكن لهم اهتمامهم الروحى ومخلصهم السماوى وحياتهم المجيدة التى يشهد لها الجميع .

٤ - ولعل من أهم الأمور التى تضايقهم هم اليهود وتعييراتهم لهم . وهذا

يظهر مما يذكره الرسول فى ٣ : ١ – ١٦ وفى هذا الجزء نجد أمرين ثار حولها جدل كثير . الأمر الأول هو نوع اليهود الذين يضايقونهم ويقيدونهم ؛ هل هم جماعة التهوديين أى جماعة المسيحيين الذين جاءوا من أصل يهودى وظلوا يدققون فى التمسك بالناموس حتى بعد إيمانهم بالمسيح ، والذين أثاروا القلاقل الكثيرة فى كنائس غلاطية وكورنثوس ، أم هم اليهود أنفسهم ؟ وأغلب الظن هم اليهود أنفسهم ، لأننا نجد التنبير الشديد على أنواع من الأطعمة أو الختان كما كان يفعل عندما يجابه التهوديين ، إنها تعييرات اليهود لهم بأن سيدهم قد مات وصلب ( ٣ : ١٠ ) . أما الأمر الثانى فهو التغيير الفجائى الذى يظهر فى هذا الأصحاح بين عددى ( ١ و ٢ ) . فإن القارئ يجد تحولاً سريعاً جداً فى عدد ٢ . وقد ظن بعض العلماء أن هذا التحول يعنى فى الحقيقة أن الرسول قد كتب أكثر من رسالة إلى أهل فيلبى وأن هذا الجزء أى من ٣ : ٢ – ١٦ هو جزء من رسالة أخرى لعلها سابقة على هذه الرسالة التى نحن بصددها الآن ، وأنه كتبها عندما كانت زوبعة التهوديين فى أوج شدتها ، وأن هذه الزوبعة قد وصلت إلى فيلبى نفسها أو أنها كانت على وشك أن تصل إليها ، ولهذا كتب الرسول إلى فيلبى لكى يحذرهم منها . واحتفظت الكنيسة بالرسالتين ثم أضافها أحدهم ليكون الاثنين من قلم الرسول نفسه . ويقول أصحاب هذه النظرية إن الرسول كتب إلى كنائس كثيرة عدة رسائل بعضها فقد وبعضها أضيف بعضه إلى بعض مثل رسالته الثانية إلى كورنثوس فإنها كما يذكرون تتكون من رسالتين على الأقل دمجتا معاً ( ٢ كورنثوس ١٣ : ١ ) كما مر بنا ذكره .

ومع أن هذه النظرية لها وجاهتها وما يبررها لكن ليس من الضرورى كما سبق ذكره ، أن يكون هذا الجزء موجهاً ضد التهوديين ، بل لعله يكون

أكثر معقولية وقبولا إذا قلنا إنه موجه ضد اليهود أنفسهم الذين كانوا يضايقون ويضطهدون كنيسة ومسيحيين فيلبي . أما التحول الفجائي في نبرة الرسالة فلعل دافعه كان مرور فترة قصيرة من الزمن بين كتابة الجزء الأول من الرسالة ( ١ : ١ — ٣ : ١ ) . والجزء الأخير منها يحس القارئ منه أن هناك تحولا فجائياً يحتاج إلى تفسير .

ولكن الأمر المهم هنا سواء أكان من يكتب عنهم وضدهم هم اليهود أنفسهم أم المتهودين ، هو أنه في كلا الحالتين يعطي نفسه كمثال واقعي حي وكقدوة للجميع . لقد كان هو نفسه يهودياً أصيلا من نسل إبرهيم من سبط بنيامين الذي خرج منه أول ملك لإسرائيل وسمي باسمه « شاول » ، وهو يتكلم الأرامية ، أي أنه ينتمي إلى يهود فلسطين ( عبراني من العبرانيين ) من جماعة الفريسيين بل أنه كان متحمساً شديد التحمس للناموس واليهود ، ولهذا اضطهد الكنيسة بكل قسوة ومرارة ، وهذا ما لا يستطيع أي يهودي عادي أن يفتخر به ، لأن قليلين جداً قد وصلوا إلى هذا الحد في اليهودية ، ولا بد أنه كان مثار الإعجاب بل والفخر للجميع . كان يمكنه أن يفتخر بذلك ولكنه عندما عرف المسيح أحس أن كل افتخاره بكل هذه الألقاب افتخار باطلا لا قيمة له . إنه نفاية لو قورن باختباره في المسيح . هل مات المسيح نعم ولكنه قام ، وموته نفسه هو اختبار عميق للمؤمن لا يعرفه اليهود ولا يستطيعون أن يتعلموه ، إنه يقول عن سيده « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته ( ٣ : ١٠ ) . وهذا الاختبار مجيد وعظيم ونام ، فالرسول إذ ينسى ما هو وراء .. ينسى كل تلك الامتيازات الجسدية فإنه يمتد إلى ما هو قدام . . إن دعوة الله له لها جزاؤها ومجدها فإنه يتطلع إلى ذلك المجد العظيم عندما يعرف سيده معرفة كاملة .

وهكذا يقدم الرسول نفسه مثالا لليهود والأمم على السواء ، أو للذين يظنون أنهم ينالون بعيداً عن المسيح كل افتخار . . إنها افتخارات باطلة والمسيح وحده هو فخره ومجده .

٥ ـ ومع أن الكنيسة فى فيلبى كانت مصدر سرور وبهجة حتى أنه يسميهم أخوة ( ١ : ١٢ ، ٣ : ١ ) أحباء ( ٢ : ١٢ ) ثم يقول فى غمرة حب واشتياق «إذن يا إخوتى الأحباء والمشتاق إليهم ياسرورى وإكليلى أثبتوا هكذا فى الرب أيها الأحباء » ( ٤ : ١ ) هذه الكلمات التى لم يفعلها إلا لكنيسة فيلبى ، إلا أنه كان نجد أن هناك بعض المنغصات فيها ، هناك بعض الأشياء التى تعكر صفو الكنيسة بعض الشىء ، والرسول يلمس هذه الأشياء بكل لطف ولكن بحزم أيضاً ، إنها المحبة العظيمة التى تدفعه لذلك .

فهناك جماعة يحسون أنهم متميزون عن الآخرين يحسون بعجب وكبرياء ، فلأى سبب يا ترى ؟ هل يحسون أنهم أحق بالقيادة فى الكنيسة من غيرهم ؟ هل حاولوا أن يقسموا الكنيسة إلى أحزاب ؟ إن أهم مثل لذلك هو سنتيخى وأفودية اللتان كانتا تخدمان فى الكنيسة ، وكان هناك ما يشبه التنافس الشديد بينهما ، ولعلهما هما اللتان حاولتا خلق الأحزاب ، ربما لأمور لم يكن لهما دراية بها ، ربما لأنهما كانتا يفعلان بدون معرفة وتحتاجان إلى مساعدة خارجية لتعرفا نوع العمل الذى تعملانه . إلى هؤلاء يكتب الرسول بكل حساسية ومحبة أبوية ، إنه يوجه أنظار هؤلاء الجماعة إلى المسيح ، وهنا يضع الرسول تلك الترنيمة السامية عن السيد التى فيها يسمو بعقيدته عن المسيح (Christology) الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح

هو رب لمجد الله الآب » ( ٢ : ٦ — ١١ ) . ومع أن لاهوت الرسول هنا يصل إلى قمة بعيدة فى السمو . ولكنه لم يكن يفلسف أو يتكلم عن نظريات . إنه يصف حقيقة قد حدثت كشفت عن هذا اللاهوت السامى . إنه لاهوت عملى . فهو يصف عمل السيد قبل أن يكون فى قصده أن يصف طبيعته ، وإن شئت فقل إن عمله قد فتح لنا كوة بسيطة لنعرف تلك الصلة الأبدية التى بين المسيح وبين الله . إن السيد لم يتمسك بهذه المساواة مع أنها له وهو يمتلكها . ولكنه أخلى نفسه منها لكى يقوم بالخدمة العظمى . لعل الرسول كان يضع أمامه أيضاً آدم . وماذا عمل إذ حاول أن يكون كالله وهو أبعد ما يكون عن ذلك . . أراد أن يسرق ويستلب هذه المساواة وهو يجهل الفخ الذى وضعه الشيطان له فسقط فيه ، وكان سبباً فى ما نراه ونختبره من خطية وموت . أما فكر المسيح المستمر الذى كان ويكون وسوف يستمر فيه . هو أنه يخلى نفسه ويأخذ صورة عبد لأجل خدمة الفداء . . ومع أن الناس لم تر بعينها ذلك التنازل العجيب . إلا أنها اختبرت الرفعة المجيدة التى أضحت له بعد أن قام بالخدمة المقدسة . فقد أقامه الله ورفعه وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو له كل ركبة ويعترف كل لسان بأنه رب المجد الله الآب » (٢ : ٦ — ١١)

هذه هى طريقة الارتفاع والتمجيد وليس التنافس والغيرة والعجب ومحاولة تكوين التحزب والأحزاب . إن الخدمة وحدها هى التى ترفع صاحبها . . إن التواضع الأصيل الحقيقى هو أساس التمجيد الذى يناله المؤمن كما أخذه سيده من قبل .

ولعل سنتيخى وأفودية كانتا فى حاجة إلى هذا الدرس يشرحه لها أحد القادة البارزين ، لعله راعى الكنيسة — لكى يعرفا الطريق الصحيح الذى يضعهما فى الإطار المسيحى والخدمة المضحية التى تقود إلى مجد المسيح .

* * *

الفصل الرابع

# الرسائل الرعوية

هذا الاسم « الرسائل الرعوية » ينطبق على ثلاث رسائل عليها اسم الرسول بولس : رسالتان إلى تيموثاوس ورسالة واحدة إلى تيطس . وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو توماس أكويناس ثم تبناه أحد علماء القرن الثامن عشر من الألمان واسمه أنطون وجعله شائعاً بين المسيحيين فإذا ما قيل الرسائل الرعوية فإن الجميع يعرفون مباشرة ماذا يقصد بهذا الاسم . وهذه التسمية لها ما يبررها فهى تكشف لنا قلب الرسول المحب لمن هم له واهتمامه بالتنظيم الكنسى مثلما كان اهتمامه بالكرازة والتعليم فى رسائله الأخرى .

ولكننا إذ نطلق عليها هذه التسمية يجب أن نعرف أن هناك بعض المميزات فى كل رسالة تجعلها متميزة عن الأخرى بل ورسالة قائمة بذاتها وليست صورة مطابقة للرسائل الأخرى . ومع أنها مكتوبة إلى أفراد وليست إلى كنائس لكن فيها من التعاليم ما يجعلها أكثر رسمية من رسالة فليمون مثلا التى كتبت لشخص بعينه مملوءة بالأمور والعلاقات الشخصية . أما هذه الرسائل فهى رسمية رغم ما فيها أيضاً من بعض الإشارات الشخصية التى يكتبها الرسول إلى تلميذيه تيموثاوس وتيطس ، وخصوصاً تيموثاوس . ولكن قبل أن ندرس التفاصيل الخاصة بها والمشكلة الحادة الخاصة بنسبتها إلى الرسول بولس ، لندرس شيئاً عن الشخصيتين اللتين كتبت إليهما هذه الرسائل : تيموثاوس وتيطس . وماذا كانا يعملان فى ذلك الوقت .

## ١ – تيموثاوس

من أحب الشباب إلى الرسول بولس ، تعرف عليه فى رحلته التبشيرية الثانية فى لسترة . وكان أبوه يونانياً وأمه مسيحية من أصل يهودى ( أعمال ١٦ : ١ – ٣ ) . وعندما تعرف عليه الرسول كان قد قبل الإيمان عن طريق أمه وجدته وكان مشهوداً له من جميع الإخوة فى لسترة . ولا يستبعد أن تيموثاوس قد تأثر بالرسول عندما كان يعظ فى مدينتهم فى رحلته التبشيرية الأولى . ولما رأى الرسول فيه صبياً نافعاً ويبشر بمستقبل طيب أخذه معه ليكون تلميذاً له وختنه من أجل اليهود الذين كانوا يعرفون أن أمه أصلا يهودية . ومن ذلك الوقت أصبح رفيق الرسول الذى لا يفارقه ، يشترك معه فى كتابة الرسائل ( ١ و ٢ تسالونيكى ، ٢ كورنثوس ، فيلبى ، كولوسى ، فليمون ) ويضع عليه مسئوليات هامة لكى يقوم بها فينجح فى عمله نجاحاً فياضاً . إذ أرسله إلى كورنثوس ( ١ كورنثوس ٤ : ١٧ ) ثم إلى تسالونيكى ( ١ تسالونيكى ٣ : ٢ ) . ولذلك أطلق عليه الرسول ألقاباً كبيرة : فهو « العامل معى » ( رومية ١٦ : ٢١ ) ثم « الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب » ( ١ كورنثوس ٤ : ١٧ ) . وعندما سافر الرسول فى رحلته الأخيرة إلى روما كان يصطحب معه تيموثاوس ( أعمال ٢٠ : ٤ ) وبقى معه هناك فى كل مدة سجنه . وقد كتب إلى كنيسة فيلبى يصف حضوره معه وكم من التعزيات ينالها من وراء ذلك ، وقد فكر فى أن يرسله فى رحلة إلى كنيسة فيلبى نفسها ( فيلبى ٢ : ١٩ – ٢٤ ) . ولكن مع ذلك كان الرسول يشعر أن هناك نقطة ضعيفة فى تيموثاوس وهى الخجل ، ولذلك فهو يقول لكنيسة كورنثوس فى موقفها منه « فلا يحتقره أحد بل شيعوه بسلام ليأتى إلى » ( ١ كورنثوس ١٦ : ١١ ) . ولا يتردد فى أن يكتب إليه هو « لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى

الطهارة » ( ١ تيموثاوس ٤ : ١٢ ) . ويذكره فى الرسالة الثانية أن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بى أنا أسيره بل اشترك فى احتمال المشقات لأجل الإنجيل . . » ( ٢ تيموثاوس ١ : ٧ و ٨ ) .

أما معرفتنا بتيطس فلا ترقى إلى مستوى معرفتنا بتيموثاوس ، ولعله قبل الإيمان على يدى الرسول بولس ، وأن الرسول أعجب به ووثق فى شخصيته كثيراً . كان تيطس من أبوين أمميين ، ولذلك عندما صاحب الرسول فى رحلته إلى أورشليم فى المرة الثانية حاول بعض اليهوديين بكل قوة أن يجعلوه يختتن ولكن الرسول رفض ذلك رفضاً باتاً حتى لا يتعارض مع اقتناعه بأن الأمم غير مطالبين بالمرة بالاختتان ( غلاطية ٢ : ١ — ٥ ) . ولقد أرسله الرسول إلى كورنثوس إبان أزمة هذه الكنيسة ، وكانت الصلة بينه وبينها على وشك الانهيار ، وقد حمل تيطس خطابه الشديد اللهجة إليها ، ولكن يغلب على الظن أن تيطس نجح فى تخفيف حدة التوتر بل ونجح أيضا فى إزالة سوء الفهم ورجعت طاعة الكورنثيين للرسول مرة أخرى كسابق العهد . وبعد أن أخبر تيطس الرسول بذلك يلوح أنه أرسله مرة أخرى بالرسالة الثانية طالباً منه أن يهتم بالجمع للقديسين ( ٢ كورنثوس ٧ : ٦—١٦ ، ٨ : ٦ ، ١٢ : ١٧ و ١٨ ) . هذه هى خطوط الصورة العامة للشخصيتين إذا استقيناها من سفر الأعمال والرسائل الأخرى من غير الرسائل الرعوية .

أما إذا درسنا الرسائل الرعوية فإننا نجد أن الاثنين الآن صارا مبعوثين من قبل الرسول : تيطس فى كريت وتيموثاوس فى أفسس . ويبدو أيضاً أن تيموثاوس كان لا يزال صغيراً فى السن ( ١ تيموثاوس ٤ : ١٢ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢ ) ربما فى العقد الرابع من عمره ، رجلا حساساً يحتاج

إلى التشجيع ورفع روحه المعنوية دائماً . وكان بحسب الرسالة الأولى رئيساً لكنائس أفسس التى تركه فيها الرسول واعدا إياه أن يزوره مرة أخرى قريباً . وكان سبب وجوده فى أفسس أن حركة تعليم غريبة بعيدة عن الإنجيل يصفها فى كلمتين « خرافات وأنساب » كانت تسبب مباحثات غبية وطويلة ( ١ تيموثاوس ١ : ٣ و ٤ ، ٣ : ١٤ — ١٦ ) وفى نطاق محاربة هذه البدع كان عليه أن يرتب الخدمة الكنسية وإرساليتها ، ويضع تخطيطاً للحياة اليومية على الأساس الصحيح واللائق .

أما تيطس فيتضح من الرسالة إليه أنه قام مع الرسول بخدمة تبشيرية فى كريت ولكن الرسول تركه هناك وذهب إلى اليونان ( تيطس ١ : ٥ ) . وقد طلب منه الرسول أن ينظم الخدمة فى الكنائس ويرتب الأمور الناقصة فيقيم شيوخاً فى كل مدينة ثم يحارب التيارات التعليمية الخاطئة والمنحرفة . وقد طلب منه الرسول أيضاً أن يذهب إليه فى نيكابوليس عندما يرسل إليه رسولا وهذا يعنى أن إرساليته فى كريت لم تكن طويلة المدى ( ٣ : ١٢ ) .

**كاتب الرسالة :**

من هو كاتب هذه الرسائل الثلاث ؟ لو اعتمدنا على الرسائل نفسها لما كان هناك شك فى أن الرسول بولس هو الذى كتبها إلى تلميذيه تيموثاوس وتيطس . وهذا ما اعتمدته الكنيسة على طول القرون حتى القرن التاسع عشر حينما انفجرت المناقشات حول صحة نسبتها إلى الرسول ، وإلى الآن لم تنته بعد ، فهناك جناح قوى جداً يرفض أن ينسبها كلها إليه وهناك جناح آخر يرفض أن ينسبها إلى غيره ، وهناك مجموعة من العلماء تشعر أن الرسائل تحوى أجزاء كتبها الرسول ولكنها كما هى الآن خرجت من يد معلم كان من أتباع

الرسول أو المعجبين به . وبين الفرق الثلاث تدور رحى المناقشات التى لم يدر مثلها حول رسالة أخرى من رسائل الرسول بولس .

**١ – شهادة الكنيسة الأولى للرسول بولس :**

ماذا تقول الكنيسة الأولى فى التقليد المتوارث عنها ؟ إن هذه الرسائل بحسب هذه الشهادة عرفت منذ القدم ، والتقليد الذى يسند نسبتها إلى الرسول بولس يعتبر أقوى من أى تقليد خاص بأى رسالة أخرى فيما عدا رومية وكورنثوس الأولى :

فنى كتابات أكليمندس الرومانى فى أواخر القرن الأول الميلادى توجد عبارات « ملك الدهور » « مستعداً لكل عمل صالح » التى تتكرر فى هذه الرسائل ولا تظهر فى غيرها من كتب العهد الجديد ، وهناك عبارات أخرى مثل « أخدمه بضمير صالح » وغيره ، تدل على أنه كان يعرف هذه الرسائل .

أما بوليكاربوس ( ١٠٧ – ١١٧ ) فيقتبس فى رسالته إلى فيلبى ثلاث عبارات هى( ١ تيموثاوس ٦ : ١٠ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ٦ ، ١ تيموثاوس ٢ : ١ و ٢ ) وهذه موجودة فى رسالته ( ٤ : ١ ، ٩ : ٢ ، ١٢ : ٣ ) ورسائل أغناطيوس تحتوى على الكثير من العبارات التى تظهر فى هذه الرسائل الرعوية .

ويقول جيروم فى مقدمته لرسالة تيطس إن تاتيان صاحب «الدياطسرون» كان يعترف بأن الرسول بولس هو الذى كتب هذه الرسائل . مع أنه كان يرفض تيموثاوس الثانية . وهكذا نجد الأمر مع جاستن مارتر وغيره . ولعل ما كتبه مؤلف الموارتورين Muratorian Canon ( ١٧٠ – ١٨٠ )

يستحق الاقتباس هنا إذ كتب يقول « إلى فليمون رسالة وإلى تيطس رسالة وإلى تيموثاوس رسالتان كتبها الرسول بولس فى محبة وعاطفة ولكنها مع ذلك اعتبرت مقدسة وقبلتها الكنيسة فى العالم كله لكى تأخذ منها النظام الصحيح فى الكنيسة » وقد كانت كتابات بوليكابوس الذى من سميرنا ( ١٥٥ + ) تشابه هذه الرسالة حتى أن الدارسين ظنوا أنه هو الذى كتبها .

هذه شهادة قوية رغم الجانب الآخر لهذه القضية : فعلى هذا الجانب الآخر نجد أن مارسيون رفضها وذلك إما لأنه لم يعرفها أو لأن فيها تعاليم ضد الهراطقة الذين اعتبر هو واحد منهم . أما ما يدهش حقاً فى هذا الأمر هو أن بردية تشستربيتى Chaster Beaty ( ٤٦ ) .p لاتحتويها ولم يوجد هناك تفسير سوى أنه ربما كانت هذه الرسالة محشورة فى ٧ ورقات ضائعة من هذه المخطوطة .

٢ — أسباب إنكار نسبتها للرسول :

ومع ذلك فقد تمسكت الكنيسة كلها بوجودها المبكر أو قبل انتهاء القرن الأول وبأنها من كتابات الرسول بولس نفسه إلى أن جاء القرن التاسع عشر وظهر علم نقد النصوص وبدأت الشكوك تحوم حول نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس ، وكانت حجة هؤلاء الرافضين تبنى على الأسباب التالية :

( أ ) إن أسلوب ومفردات هذه الرسائل يختلف كثيراً عن المفردات التى يستخدمها الرسول فى رسائله وعن الأسلوب الذى تعودناه منه . فعدد كلمات هذه الرسائل الثلاث ٨٤٨ كلمة بخلاف ٥٤ اسم علم . منها ٣٠٦ كلمة لا نجدها فى الرسائل الأخرى ، ١٢٧ فى تيموثاوس الأولى ، ٨١ فى تيموثاوس الثانية ، ٤٥٠ فى تيطس ، كل هذه لا تستخدم إلا مرة واحدة . وهناك

كلمات استخدمت مرتين فى هذه الرسائل وحدها وعددها ٤٤ كلمة ، وبعضها استخدم ثلاث مرات وعددها ٩ كلمات .

لكن هذه الشهادة لا يمكن أن تكون قاطعة لأن رسالة رومية التى لا يشك إنسان ما فى صحة نسبتها إلى الرسول بولس نجد فيها ٢٦١ كلمة ( من مجموع كلماتها الـ ٩٩٣ كلمة ) لا توجد إلا فى رومية فتعداد الكلمات لا يمكن أن يؤثر فى نسبة الرسائل إلى الرسول بولس .

ومن الناحية الأخرى يقولون إن هناك اصطلاحات وعبارات خاصة بالرسول بولس فقط دون كتاب العهد الجديد لكنها لا تظهر فى هذه الرسائل مثل كلمة « العهد . بر الله ، جسد المسيح ، إله وأبو ربنا يسوع المسيح . . . وهكذا .

أما الأسلوب الذى كتبت فيه هذه الرسائل فهو يختلف فى بعض جوانبه عن الأسلوب المعهود من الرسول بولس . فليس هناك المخارج المتعددة التى نجدها عند الرسول حينما يكتب عن فكرة معينة ، فهو يترك الفكرة الرئيسية قبل أن ينتهى منها ليدخل فى فكرة أخرى لها علاقة بها ثم يرجع إلى الفكرة الرئيسية وهكذا دواليك . أما فى هذه الرسائل فالكاتب لا يترك الفكرة إلى أية أفكار جانبية حتى ينتهى من توضيحها تماماً وبعد ذلك ينتقل منها إلى غيرها .

هذا إلى جانب استعمال الحروف وأدوات الربط التى يشتهر بها الرسول والتى يجب أن تظهر فى كتابة الأمور الشخصية لا تظهر كثيراً فى هذه الرسائل .

على كل حال لا يستطيع إنسان أن ينكر الاختلاف الواضح بين أسلوب كتابة هذه الرسائل وغيرها من رسائل الرسول بولس ، ولكن هذا كله

لا يستطيع أن ينفي نسبة هذه الرسائل الرعوية إليه لأنها جميعاً يمكن تفسيرها على أساس اختلاف العرض والموقف والذين كتبت إليهم . ولقد تبنى كثير من دارسي العهد الجديد في العصر الحديث الرأي القائل إن الرسول بولس نظراً لظروف السجن القاسي وقت كتابة هذه الرسائل ، قد استخدم أحد معاونيه كلوقا أو أي واحد آخر ، أن يكتبها له ويعبر عن أفكاره التي أملاها له ، وهذا الأمر يفسر هذا الاختلاف الواضح في الأسلوب ، مع أن آخرين ممن يعتقدون أن الرسول هو الذي كتبها يرفضون هذا الرأي لأنه لا داعي له .

(ب) هناك برهان آخر يقدمونه لرفضهم نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس وهو أن مسيحية هذه الرسائل تختلف عما تظهر عليه في رسائل الرسول بولس . فهذه الرسائل تظهر مسيحية العقيدة السليمة والأعمال الصالحة . هذا لا يعني أن هناك عدة نسخ من المسيحية ، ولكن تعني أن التنبير في هذه الرسائل يقع على أشياء غير التي ينبر عليها الرسول في رسائله .

وهذا صحيح لأن هناك عبارات كثيرة تؤكد هذه الأمور مثل « التعليم الصحيح » ( ١ تيموثاوس ١ : ١٠ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ٣ ، تيطس ١ : ٩ أنظر ١ تيموثاوس ٦ : ٣ ، ٢ تيموثاوس ١ : ١٣ ، تيطس ٢ : ٨ ) « أصحاء في الإيمان » ( تيطس ١ : ١٣ ، ٢ : ٢ ) « صادقة هي الكلمة » ( ١ تيموثاوس ٣ : ١ ) « الارتداد عن الإيمان » ( ١ تيموثاوس ٤ : ١ و ٦ ، ٦ : ٢١ ) وغير ذلك . ولكن هذا نجده أيضاً في الرسائل الأخرى للرسول بولس ( ١ كورنثوس ١١ : ٢ و ٢٣ ، ١٥ : ٣ ، ٢ تسالونيكي ٢ : ١٥ ، ٣ : ٦ ، رومية ٦ : ١٧ ) . ويجب أن نعرف أن الرسائل الرعوية كتبت لكي تحارب حركات انحراف حدثت في قلب الكنيسة المسيحية ، وتجابهها بالتنبير

على العقائد والتعاليم المستقيمة الصحيحة . فالهرطقة هى مرض يضعف جسد المسيح وينهشه أما التعليم الصحيح فهو الحالة الصحية الصالحة . ولكى يوضح هذا كله كان الرسول يقتبس كثيراً من الترانيم الروحية وقوانين الإيمان التى نبتت فى الكنيسة . وهذه لا يمكن أن تكون متقدمة عن تلك الموجودة فى الرسائل الأخرى التى كتبها الرسول حتى نقول إنها كتبت بعد عصره (تيطس ٢ : ٥ و ٦ و ٨ ، ١ تيموثاوس ٦ : ١٣ - ١٦) .

أما الأمر الثانى الذى تنبر عليه هذه الرسائل هو الأعمال الصالحة (١ تيموثاوس ٢ : ١٠ ، ٥ : ١٠ ، ٦ : ١٨ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٢١ ، ٣ : ١٧ ، تيطس ٢ : ١٧) . ولكن هل هذا يعنى أنها كتبت بعد عصر الرسول بولس ؟ ألم يشر الرسول فى رسائله الأخرى إلى هذه الأعمال الصالحة ؟ (رومية ٢ : ٧ ، ١٣ : ٣ ، ٢ كورنثوس ٩ : ٨ ، ٢ تسالونيكى ٢ : ١٧ ، أفسس ٢ : ١٠ ، كولوسى ١ : ١٠) إن الرسائل الرعوية تظهر ، مثل كل الرسائل الأخرى ، إن الأعمال الصالحة هى ثمار قوة الحياة الجديدة التى تعطى للمؤمن (٢ تيموثاوس ٣ : ١٧) . وعندما تقول فى تيطس ٣ : ٥ « لا بأعمال فى بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا . . » فإنما تعكس إنجيل الرسول بولس وتظهر مقابلته بين الأعمال والنعمة (أنظر ٢ تيموثاوس ١ : ٩). وهل هناك فرق بين قوله فى تيطس ٢ : ١٤ « الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال صالحة » وبين قوله فى غلاطية ٥ : ٢٢ حيث يذكر ثمار الروح الذى يسكن فينا بالإيمان ؟ إن الأعمال الصالحة التى يقوم بها الإنسان كما تظهر فى (١ تيموثاوس ٦ : ١٨) لها نظيرها فى الرسائل الأخرى فى غلاطية ٦ : ٩ ، رومية ٢ : ٦ و ٧ .

(ح) أما الاعتراض الثالث ضد نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس

هو التنظيم الكنسى المتطور الذى يظهر فيها الذى لا يمكن أن يكون قد ظهر فى أيام الرسول بولس ، وخاصة وظيفة الأسقف والتى يسميها أيضاً الشيخ ( تيطس ١ : ٥ و ٧ ) ووظيفة الشماس والأرامل وغالباً الشماسات ( ١ تيموثاوس ٣ : ١١ ) . ويتضح فى الرسائل أن وظيفة الأسقف هى أن يحكم أى يدبر ( ١ تيموثاوس ٥ : ١٧ ) وأن يعتنى بكنيسة الله ( ١ تيموثاوس ٣ : ٥ ) أى أنه يقود الجماعة وليس من الضرورى أن يعظ ويعلم ( ١ تيموثاوس ٥ : ١٧ ) وقد كونوا من أنفسهم مجمعاً خاصاً ( ١ تيموثاوس ٤ : ١٤ ) لكن لا يوجد دليل على أن هناك واحد منهم يقوم مقام الرئاسة فى هذا المجمع فالفردية التى يذكرها فى ١ تيموثاوس ٣ : ٢ يقابلها التعدد الذى يظهر فى العدد السابق له .

ولكن هذا التنظيم لم يكن جديداً بل كان فى عهد الرسول بولس ، فالأسقفية وظيفة عرفت مبكراً ، وكذلك الشموسية وكلاهما يذكران فى فيلبى ١ : ١ . وفى أعمال ٢٠ : ١٧ يستدعى الرسول قساوسة الكنيسة فى أفسس، ويذكرهم فى خطابه الوداعى لهم أن الروح القدس قد أقامهم أساقفة ليدبروا كنيسة الله . ( ع ٢٨ ) . . وفى الرسائل الأخرى يظهر الرسول بولس أن هناك مدبرين لكنائس وجهات كنسية أى قادة فى مجتمعاتهم وكنائسهم (رومية١٢ : ٨ ، ١ كورنثوس ١٦ : ١٦ و١٧ ، ١تسالونيكى ٥ : ١٢) نعم إن الوظيفة النسائية فى الكنيسة «الأرامل» ظهرت أول ماظهرت فى ١ تيموثاوس ٥ : ٣ -١٦ لكن هناك فى الرسائل الأخرى نجد سيدات لهن مكان الصدارة فى الكنيسة وكن يقدن المجتمعات مثل فيبى ( رومية ١٦ : ١ ) وبريسكلا (ع ٣) . وأفودية وسنتيخى ( فيلبى ٤ : ٢ و ٣ ) . نعم قد يكون

هناك بعض التطور في الرسائل الرعوية ؛ ولكن من دراسة الرسائل نجد أنه تطور حديث ويحتاج إلى المتابعة والعناية التامة .

هناك نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها وهي أن الرسائل لا تشير إلى الخدام أصحاب الكارزما مثل النبي والمبشر والرسول وغيرهم ويظن الدارسون الذين يظنون أنها رسائل متأخرة، أن هذه الأعمال قد حلت محلها الوظائف التنظيمية مثل الأسقف والشيخ وغير ذلك . ولكن المدقق يجد أن هناك إشارات في الرسائل نستنتج منها أن هذه الشخصيات كانت لازالت موجودة ولها عملها ، فعندما يمنع الرسول أن تتكلم النساء في الكنائس ( ١ تيموثاوس ٢ : ١٢ ) هذا يظهر أن الرجال يتكلمون ، ويظهر أن هناك أناساً آخرين بجانب الأساقفة يعلمون ( ١ تيموثاوس ٥ : ١٧ ) . إن الرسائل الرعوية كانت تهدف أساساً على تنظيم الكنيسة وعلى الناحية الإدارية فيها . وحتى في كنيسة كورنثوس رغم العدد الكثير الذي كان يتمتع بموهبة ما ، فإنهم لم يستطيعوا أن يقوموا بأعمال الأسقف أو الشيخ والشماس ، فهؤلاء لهم قوانينهم التي لا تنطبق على أصحاب المواهب . ( ١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ — ٣٦ ) .

( د ) أما الأمر الرابع الذي يستند عليه الذين ينكرون نسبة هذه الرسائل إلى الرسول هو نوعية البدع التي تحاربها هذه الرسائل ، فهي بدع متطورة لم تظهر في عهد الرسول . وقد اعتقد باور أحد علماء القرن التاسع أن هذه البدع هي التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي وهي الغنوسية وخصوصاً بدع مارسيون ، الذي كتب كتاب المتناقضات . وقد بنى باور رأيه على ما جاء في ١ تيموثاوس ٦ : ٢٠ « مخالفات — متناقضات — العلم الكاذب الاسم . ولكن هذه النظرية لم يعد يتمسك بها أحد الآن ويلاحظ هنا أن نوع البدع التي تذكرها الرسائل لا تنطبق على وقت محدد بالذات : المنع من

الزواج ومن أكل أطعمة خاصة ( ١ تيموثاوس ٤ : ٣ ) والانشغال بأنساب وأساطير ( ١ تى ١ : ٣ و ٤ ؛ تيطس ١ : ١٤ و ١٥ ) محاولة تفسير القيامة تفسيراً روحياً ( ٢ تيموثاوس ٢ : ١٨ ) ، هذه كلها ظهرت فى أوقات كثيرة . ويبدو أنها بدع يهودية . فى الأمكنة التى يذكر فيها المعلمين الكذبة ( ١ تيموثاوس ١ : ٣ — ١١ ، ٤ : ١ — ١٠ ، ٦ : ٣ — ٥ ، ٢٠ و ٢١ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ١٤ — ٢٣ ، ٣ : ١ — ٩ و ١٣ ، ٤ : ٣ و ٤ ، تيطس ١ : ١٠ — ١٦ ، ٣ : ٩ — ١١ ) لا يراودنا شك فى أنهم معلمون يهود ( تيطس ١ : ١٤ و ١٥ ) وكل بدعهم كانت تختص بوصايا وتعاليم التطهير والأنساب وغيرها وهذه كلها ظهرت أيام الرسول بولس .

أما ما يذكره فى ١ تيموثاوس ٤ : ٣ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ١٨ ) من ثنائية غريبة على اليهودية الأصيلة فهى تتصل بالغنوسية التى ظهرت حتى فى أيام الرسول والتى حاربها فى كولوسى ٢ : ١٦ .

( هـ ) أما السند الأخير الذى يستند عليه هؤلاء هو أن المواقف التى تظهر فى هذه الرسائل لا يمكن أن تتفق مع ما نجده فى سفر الأعمال وفى الرسائل الأخرى . . ولكن هذه القضية سنبحثها حالا لنعرف أى مواقف تعكس هذه الرسائل .

مما تقدم نستطيع أن نقول إن الإنكار القاطع بأن الرسول بولس هو الذى كتب هذه الرسائل لا يستطيع أن يقوم على أساس ثابت ، والشواهد التى يتبناها أصحاب هذا الرأى كلها مشكوك فى ارتقائها إلى مستوى البرهان الحاسم

٣ — أما النظرية الثالثة فتقول إن الرسائل تبدو مترابطة كتبها شخص واحد ، وهو غير الرسول بولس ومتأخر فى الزمان عنه — قد وجد فى يده

بعض النتف من خطابات حقيقية أرسلها الرسول بولس من قبل إلى تيموثاوس وتيطس . فأخذ هذه القصاصات الباقية من هذه الرسائل ووضعها فى الرسائل التى كتبها هو وسماها باسم الرسول . معنى هذا أن هذه الرسائل لا تحوى إلا شذرات شخصية كتبها الرسول بنفسه وقد ضاعت الرسائل الكاملة ولم يبق منها إلا هذه الشذرات فوضعها هذا الكاتب ضمن الرسائل الحالية . قد حاول أصحاب هذه النظرية أن يستخرجوا هذه الشذرات من بين الرسائل فقالوا ( تيطس ٣ : ١٢ ــ ١٥ ) وهو ــ كما يقولون ــ بقية خطاب أرسله الرسول من مكدونية إلى تيطس بعد عدة شهور من إرساله الخطاب الشديد اللهجة إلى كورنثوس ( ٢ كورنثوس ص ١٠ ــ ١٣ ) وقبل أن يرسله بالرسالة الثانية المتضمنة فى ( ٢ كورنثوس ص ٩ ) .

ــ ( ٢ تيموثاوس ٤ : ٩ ــ ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ) ويقولون إن الرسول كتبها فى نيكابوليس بعد أن تركها تيطس .

ــ ( ٢ تيموثاوس ١ : ١٦ ــ ١٨ ، ٣ : ١٠ ، ١١ ، ٤ : ١ ، ٢ ، ٥ ــ ٨ ، ١١ ــ ١٩ ) وهى جزء من خطاب بولس الأخير الذى كتبه من روما إلى تيموثاوس بعد أن سمع الحكم عليه سنة ٦٢ م . هذه هى بعض آراء الذين يتمسكون بهذه النظرية مع أنهم يختلفون كثيراً فى الأجزاء التى يستخرجونها ظانين أنها من قلم الرسول بولس سابقاً .

ولكن لماذا يتمسكون بهذه النظرية ؟ إنهم ينكرون أيضاً أن الرسول هو الذى كتب هذه الرسائل ويستندون على الشواهد الخمسة التى ذكرناها سابقاً . ولكنهم فى الوقت نفسه يرون أشياء شخصية لا يمكن أن يكتبها غير الرسول بولس ولا يستطيع واحد آخر أن يقلده فيها ، فكيف يوفقون بين إنكارهم السابق وبين ما يجدونه فى الرسائل ؟ وكان هذا هو جوابهم : الكاتب

الحقيقي وجد أجزاء من خطابات سابقة كتبها الرسول تيموثاوس وتيطس فاحتواها في رسائله هذه .

ولكن هذه النظرية تثير من المشكلات أكثر مما تحل ، ولم يجد الدارسون لها مثيل في الكتابات القديمة . ولنا أن نتساءل إذا كانت هذه النتف هي أجزاء من خطابات سابقة معروفة أنها للرسول فكيف يضعها هذا الكاتب في خطاباته دون أن يخجل أمام الكنيسة ؟

وكيف تحفظ هذه الأشياء الشخصية فقط ؟ ولماذا يوزعها الكاتب هكذا في أجزاء مختلفة في الرسائل ؟ وهل هناك فرق يذكر في أسلوب هذه النتف وبين ما يحيط بها من هذه الرسائل إن هذه النظرية لا تبني على أساس يستطيع أن يوحي بالثقة واليقين على أنها نظرية صحيحة .

٤ ــ بعد هذا العرض للنظريات المختلفة لم يبق أمامنا سوى أن الرسول بولس هو الذي كتب هذه الرسائل اتفاقاً مع الشهادة القوية التي يحملها التقليد الكنسي ومع رأي الكنيسة كلها هذه القرون الطويلة ، واتفاقاً مع إعلان الرسائل نفسها . ولكن رغم ذلك فهناك سؤال هام جداً يجب أن نواجهه وهو : هل نستطيع أن نوفق بين ما جاء في هذه الرسائل من مواقف وبين المواقف التي نجدها في سفر الأعمال والرسائل الأخرى ؟ هل يمكن أن نضع هذه الرسائل في موقف معين معروف ؟ . إن الجواب الحقيقي هو أن هناك اتفاقاً عاماً بين الدارسين أن هذه الرسائل لا يمكن أن توضع في أي مكان أو زمان أو موقف سواء أكان ذلك في سفر الأعمال أو في الرسائل الأخرى التي كتبها الرسول . إنها تختلف اختلافاً كبيراً مع أي موقف معروف فكيف تكون الإجابة إذن على هذا السؤال ؟

(أ) في ١ تيموثاوس ١ : ٣ نجد عبارة نستطيع أن نبني عليها دراستنا

عندما يقول الرسول لتيموثاوس « كما طلبت إليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكى توصى قوماً ألا يعلموا تعليماً آخر » . من هذه الكلمات نستطيع أن نستنتج أن الرسول نفسه كان موجوداً مع تيموثاوس فى أفسس ثم تركها إلى مكدونية تاركاً تيموثاوس هناك لهذه المهمة الشاقة . هذا الموقف لا يمكن أن يتفق مع أعمال ١٩ لأننا لم نسمع عن تحركات كهذه عملها الرسول ، ولا عن حركات انحراف مثل هذه حدثت فى أفسس . ولا يمكن أن تتفق مع أعمال ٢٠ : ١ لأن وجهة الرسول كانت مكدونية ثم كورنثوس ومنها إلى أورشليم . وكذلك لم نسمع أنه أبقى تيموثاوس هناك بل أرسله إلى مكدونية قدامه ، حيث كان سيمر هو فى طريقه إلى أورشليم ( أعمال ١٩ : ٢١ و ٢٢ ) . وكذلك لم تكن أفسس قد بلغت رشدها بعد وقامت فيها مثل هذه الانحرافات الفكرية والسلوكية .

وهذه الصعوبات نجدها أيضاً فى الرسالة إلى تيطس ففيها يقول له الرسول إنه تركه فى كريت لكى يكمل ترتيب الأمور الناقصة ( ١ : ٥ ) . ولسنا نقرأ عن زيارة الرسول لكريت فى أعمال الرسل سوى فى ( ص ٢٧ ) عندما جاءوا إلى هذه الجزيرة فى رحلته الأخيرة إلى روما ، ونسبة لهياج الجو والبحر مكثوا مدة فى مدينة الموانى الحسنة Fair Haven ، ولم يكن له فرصة للتبشير هناك ، وبعد ذلك قضى الشتاء فى مالطة وليس فى نيكابوليس كما يقول فى تيطس ٣ : ١٢ أنظر أعمال ٢٨ : ١ . ولا نستطيع أن نجد أى مكان فى سفر الأعمال يصلح لأن يكون هناك احتمال ذهاب الرسول إلى كريت .

فإذا كانت مواقف الرسائل لا تتوافق مع سفر الأعمال وغيره فمتى كتب الرسول هذه الرسائل ؟

من ٢ تيموثاوس ١ : ١٧ نتأكد أنه كان فى روما . ثم فى ٤ : ٦ و ١٨ نعرف أن الحكم قد صدر بأن يموت ، ولهذا فهو يطلب من تيموثاوس أن يأتى آخذاً معه مرقس ( ٤ : ٩ — ١١ ) ، ولئلا يظن بعض الناس أن هذا السجن هو سجنه المذكور فى سفر الأعمال ، يجب أن يعرف أن مرقس وتيموثاوس كانا معه فى روما فى ذلك الوقت . فلا بد أن هذا السجن كان فى وقت آخر غير ذلك المذكور فى سفر الأعمال ( كولوسى ١ : ١ ، ٤ : ١٠ ، فليمون ٢٤ ) . وهكذا يمكن أن نفحص تفاصيل هذه المواقف والمواقف التى نعرفها فى سفر الأعمال ، ونجدها مختلفة . فهل هذه مواقف مختلفة ؟ كلا ومن الذى يخترعها هكذا ؟ إن الحقيقة أن الرسائل الرعوية تكشف عن فترة أخرى فى حياة الرسول لم تذكر فى سفر الأعمال وحدثت بعد (أعمال ٢٨ : ٣١ ) . وهذا معناه أن الرسول لم يستشهد فى المرة الأولى التى سجن فيها فى روما ، وهذا أمر أقرب إلى المنطق والحقيقة ، فالحبس الخفيف الذى يشابه ما نسميه فى العصر الحديث « تحديد إقامة » ، ونوع الاتهامات التى أثيرت ضده، واقتناع فستوس الوالى ببراءته ( أعمال ٢٦ : ٣١و ٣٢ ) ، والتقرير الذى أرسله إلى رومية بل وانتظار الرسول أن يرى أصدقاءه حالا ( فيلبى ١ : ٢٥ و ٢٦ ، ٢ : ٢٤ ، فليمون ٢٢ ) ، هذا كله يجعل أمر استشهاده فى تلك المرة بعيد التصديق . فلا بد إذن من الاعتقاد بأنه ترك سجنه وذهب إلى عمله مرة أخرى فى آسيا الصغرى والبحر الأبيض حتى قبض عليه مرة أخرى ، وسجن ، وهناك استشهد على يد نيرون الطاغية فى الفترة ما بين ٦٤ — ٦٧ م .

هذا الاستنتاج له ما يسنده من شهادة الكنيسة الأولى فهذا ما يؤكده يوسابيوس المؤرخ المسيحى ومن قبلـه أكليمندس الرومانى فى ١ أكليمندس ٥ : ٧ وبعده فى قائمة الموراتورى . وهـذا كله وغيره

لا يمكن أن تبنى على تخمين لا أساس له أو استنتاج تفسيرى لبعض الأعداد والأقوال التى ذكرها الرسول مثل (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . إنها حقيقة أقرب إلى المنطق والواقع .

إذن يمكننا القول بأن هذه الرسائل كتبها الرسول بولس فى سجنه الثانى الذى لم يذكر فى سفر الأعمال بل حدث بعد أن خرج من سجنه الأول فى أعمال ٢٨ .

**مضمون الرسائل الرعوية ورسالتها :**

هذه الرسائل الثلاث كتبها الرسول بعد أن بدأت المسيحية تمتد فى كل العالم وبعد أن بدأ كثير من المعلمين الكذبة ينتشرون فى الكنائس ويشوهون الإنجيل الذى بشر به مع جيش المؤمنين ، الذين شاركوا فى الكرازة . ويلوح أن هؤلاء المعلمين الكذبة هم جماعة من الغنوسيين اليهود الذين دخلوا إلى المسيحية ، ولكنهم فى تعليمهم جمعوا عناصر عقائدهم وتعاليمهم من الأساطير والفلسفة واليهودية والمسيحية . ولقد كانوا منحرفين ليس فى تعاليمهم فقط بل فى سلوكهم وحياتهم أيضاً .

ولأجل ذلك كان على الرسول أن ينبه فى هذه الرسائل وينبر بشدة على صفات الخدام فى الكنيسة ، دون أن يشير بوضوح إلى عملهم ، لأن المشكلة التى أمامه كانت تتمثل فى حياتهم ، ثم نبر أكثر على عمومية الخلاص الذى عمله الله فى المسيح يسوع . ولهذا فنرى هذه الرسائل تحتوى على هذه المواضيع الثلاثة : الخدمة الكنسية ــ الحياة الصالحة ــ الإيمان المسيحى .

**١ ـ الخدمة الكنسية :**

كانت الكنيسة فى ذلك الوقت الذى تتجه فيه إلى التثبت والاتساع

الجغرافى والعددى تحتاج إلى قيادة قوية وصالحة ، وكلما مرت السنون على الكنيسة كانت حاجتها إليهم واضحة أكثر حتى من خدام الموهبة **Charismatics** ولهذا يكشف الرسول هنا عن ثلاثة أنواع من الخدم الكنسية : الأسقف أو الشيخ ثم الشماس وأخيراً الأرملة . وكما سبق القول فإن الرسائل تظهر قليلا من مظاهر خدمتهم ولكنها ركزت على صفاتهم والأخلاق التى يجب أن يتحلوا بها . ولعل الرسول كان يخاطب تيموثاوس وتيطس على أنهما الخادمان البارزان فى المنطقة التى يعمل كل واحد منهما فيها ، ولذلك يجب أن تكون حياتهما هى البارزة والواضحة المعالم والسلوك المسيحى الحقيقى (٢ تيموثاوس ١ : ٨ و ١٣ و ١٤ ، ٢ : ١ و ٢ و ٢٢ — ٢٥ ، ٤ : ٢ ، تيطس ٢ : ١ ) إلخ . فحياة الخدام ومظهرها يتجلى فى نصائح الرسول لها كما يظهر أيضاً فى النصائح المباشرة التى يقدمها لهؤلاء الخدام . والخادم المسيحى المقام فى كنيسة الله يتميز بالأمور التالية .

أولا : إنه خادم صاحب سلطان كبير ، فقد اؤتمن على إنجيل المسيح فهو الذى يستطيع أن يكرز ، واؤتمن أيضاً على التعاليم المسيحية أى الإيمان ولهذا فإنه يستطيع أن يوبخ ويعظ بكل أناة وتعليم ويستطيع أن ينتهر أيضاً (٢ تيموثاوس ٤ : ٢ ) ، ولكن فى هذا يجب أن يكون لطيفاً حتى يمكن أن يرجع الضالين إلى المسيح (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٥ ) ، يجب ألا يكون محابياً بل يحكم بالعدل (١ تيموثاوس ٥ : ١٩ — ٢٢ ) ، فسلطانه الذى أعطى له يجب ألا يشوهه ويستخدمه فى أغراض شخصية ولكنه لكى يحمى الإيمان ، والتعاليم الصحيحة (١ تيموثاوس ٤ : ٦ — ١٢ ، ٦ : ١٤ ، ٢ تيموثاوس ١ : ١٣ ، ٢ : ١٤ — ١٦ ، تيطس ٢ : ١ ) ، ويجاهد جهاد الإيمان الحسن ثم يودع هذا الإيمان لأناس أكفاء مزكين قادرين أن يقوموا بالخدمة المقدسة (٢ تيموثاوس ٢ : ١ ) .

ثانياً : إنه أقيم لكى يعظ بالكلمة فى وقت مناسب وغير مناسب ولأجل ذلك يجب أن يكون عارفاً بالكتب المقدسة وأن يستمر فيما تعلمه بل يتقدم أكثر (١ تيموثاوس ٤ : ١٢ — ١٦) . ويجب أن يتحذر من المعلمين الكذبة المدعين (١ تيموثاوس ٤ : ١ — ٣) ، إنهم يضللون الناس ولكن عليه هو أن يكون عاملا مزكى مفصلا كلمة الحق بالاستقامة (٢ تيموثاوس ٢ : ١٥) .

ثالثاً : يجب أن يعرف الخادم أنه مرتسم وأن يد المشيخة قد وضعت عليه ، وقد أصبحت هذه الخدمة موهبة أعطاها له الله واؤتمن عليها (١ تيموثاوس ٤ : ١٤) ، ولأجل ذلك يجب ألا يهمل هذه الموهبة بل يجب أن يضرمها ، ولعل هذه الكلمة يضرم تعنى أن هذه الموهبة هى عطية الروح فهى موهبة روحية إلى جانب أن مركزه مركز إدارى . فهذه الموهبة الروحية يجب أن تبقى مشتعلة وخدمته تستمر قوية ، حتى يقوم بالرسالة التى وضعت عليه (٢ تيموثاوس ١ : ٦ و ٧) .

رابعاً : أن يتحفظ لحياته فى المحبة والإيمان « تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع » (٢ تيموثاوس ١ : ١٣) . يجب أن يكون له الضمير الصالح « ولك إيمان وضمير صالح الذى إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً » (١ تيموثاوس ١ : ١٩) ، يتعلم ألا يخضع لأى من الشهوات ، وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » . . . وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق . (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢ — ٢٥) . إن الحياة الطاهرة

تجعل صاحبها محترماً من الجميع « لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة » (١ تيموثاوس ٤ : ١٢) .

خامساً : يجب أن يتحمل المشقات والآلام من أجل الإنجيل أى مع إرساليته والتبشير بالإنجيل « فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بى أنا أسيره بل إشترك فى احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله » (٢ تيموثاوس ١ : ٨) ثم « فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح . . وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً » (٢ تيموثاوس ٢ : ٣و٥) .

هذه هى أسس الخدمة الكنسية فى العصر الأول المسيحى وفى كل عصر مسيحى :

هذه الخدمة رأيناها فى تيطس وتيموثاوس والتى يقودهم الرسول فيها وينصحهم بأن يستمروا سالكين فيها هى الخدمة المثالية للخادم المثالى ، ولكن إلى جانب خدمتهم هم ينصحهم بأن يقيموا مساعدين أو خداماً آخرين : أساقفة وشمامسة وأرامل (تيطس ١ : ٥) وإذا رأينا الصفات التى يجب أن يكونها كل منهم نجدها تختلف بعض الشئ عما يطلبه الرسول من تيطس وتيموثاوس . فالأسقف يجب ألا يكون أباً أو زوجاً غير مسيحى فى حياته بل يكون بلا لوم كوكيل الله ، يدبر بيته حسناً ويعيش حياة التقوى (١ تيموثاوس ٣ : ١ — ١٣ ، تيطس ١ : ٦ — ١٠) . ونظراً للظروف التى تمر فيها الكنيسة وخصوصاً من الداخل حيث يوجد المعلمون الكذبة الضالون يجب أن يكون العامل فى الكنيسة سواء أكان شيخاً (أسقفاً) أو شماساً أو أرملة فى استعداد للخدمة ، فى قوة الشخصية . فى حياة التقوى .

٢ – الحياة الكنسية :

هنا أيضاً يعطى الرسول نصائحه وفى عقله أولئك المعلمون الكذبة الذين يسببون أتعاباً كثيرة فى الكنيسة ، ولذلك ينصح الكنيسة بحياة مقدسة تليق بالخدمة الكنسية .

فهو ينبر بشدة على الصلاة « فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تيموثاوس ٢ : ٨) . هذه الصلاة يجب أن تكون من أجل الجميع وخصوصاً من أجل الذين هم فى منصب « فأطلب قبل كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة فى كل تقوى ووقار » (١ تيموثاوس ٢ : ١ و ٢) . وليس فقط لنقضى حياة هادئة ، ولكن لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (ع ٣). ولكن ، كما كانت عادة ذلك العصر فإن الرسول يطلب أن النساء لا يشتركن فى قيادة العبادة فى الكنيسة ، ولهذا فالأفضل لهن أن ينتبهن إلى تزيين أنفسهن بلباس الحشمة والوقار (٢ تيموثاوس ٢ : ٩ – ١٢) . ومع أن الرسول يذكر هذه الإشارات لكنه لا يتكلم كثيراً عن حياة العبادة فى الكنيسة.

ثم يلفت الرسول النظر إلى مشكلة أخرى فى الكنيسة كان لها تأثيرها من بدء نشأة الكنيسة وهى مشكلة الأرامل (أنظر أعمال ٦ : ١) . هؤلاء كن لازلن فى الكنيسة ولا زالت حاجتهن واضحة وهم يحتاجون إلى المعونة . ولكن الرسول يضع مبدأً هاماً : وهو أن الأرملة التى ليس لها من يعولها فلتعمل الكنيسة على معونتها فى ظروفها الصعبة ، إنها حقاً أرملة ، أما تلك التى لها أولاد أو حفدة وقادرون على أن يعولوها فلا يجوز أن تنفق عليها الكنيسة من أموال المحتاجين ، لأن الذين هم لها يجب أن يوفوا حقوق والديهم

عليهم ( ١ تيموثاوس ٥ : ٣ — ٥ ) ، ويشترط الرسول فى أن من تنال معونة الكنيسة يجب أن تكون مؤمنة تقية لا تقل عن الستين سنة مشهوداً لها فى أعمال صالحة وأمومة مسئولة ربت بنيها فى خوف الله ، أما غير ذلك فلا ( ٦ — ١٦ )

أما العبيد فيجب أن يكونوا مسيحيين فى حياتهم حتى يمكن أن يتمجد الله بسببهم ويقتنع سادتهم بحياة الإيمان الحقيقية ، وكذلك يجب ألا يحاولوا استغلال سادتهم المسيحيين الذين يعاملونهم كإخوة فلا يلتزمون بعملهم بل يجب أن يخدموهم أكثر لأن الذين يتشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون ( ١ تيموثاوس ٦ : ١ و ٢ ) والكلمة يتشاركون كلمة هامة تضع الأساس لزوال نظام الرق ، لأن العبد الذى لم يكن له أى حق ، حتى حق الحياة لأنها ملك لسيده ، أصبح الآن يعمل لدى سيده لأنه شريكه فى الفائدة وما أبعد الشقة بين هذا القول وذلك النظام .

ثم يضع الرسول مجموعة من النصائح والتحذيرات القوية لمن يحاولون أن يستغلوا موهبتهم كمعلمين لكى يضروا بالأعضاء ويضللوهم ، إن هذه الفئة تسبب الخصام والانقسام فى الكنيسة وجوعهم إلى المادة والسلطة يجعلهم يقعون فريسة الأوجاع الكثيرة ( ١ تيموثاوس ٦ : ٣ — ١٠ ) . ليس هكذا إنسان الله بل يجب أن يكون متنبهاً للأخطار التى تحيط به فيهرب من هذه كلها ويجاهد الجهاد الحسن ويتمسك بالحياة الأبدية التى دعى إليها ، فلا يبيعها من أجل أشياء هذا العالم . يجب عليه « أن يحفظ الوديعة بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح ( ع ١٤ ) .

هذه الوصايا تنطبق على كنيسة الله فى كل زمن ومكان .

٣ — إيمان الكنيسة :

هذه الرسائل تعطى صورة واضحة للعقيدة المسيحية ، وكان يجب على

الرسول أن يفعل ذلك نسبة لانتشار المعلمين الكذبة فى ذلك الوقت . ومن عناصر هذه العقيدة :

(أ) الله :

وحدته ( ١ تيموثاوس ١ : ١٧ ، ٢ : ٥ ) وهو وحده الذى له عدم الموت ( ١ تيموثاوس ٦ : ١٥ و ١٦ ) ولا بد أن الرسول كان يحارب الغنوسية التى تمسكت بآلهة كثيرة . إنه الملك ، ملك الملوك ورب الأرباب ساكن فى نور لا يدنى منه ، ، قوى . إنه الصادق الحق الذى لا يكذب ( تيطس ١ : ٢ ) . خالق كل شئ صالح ( ١ تيموثاوس ٤ : ٤ ) ويعطى الحياة لكل المخلوقات ( ١ تيموثاوس ٦ : ١٣ ) . وهناك عبارة خاصة بهذه الرسائل « الله مخلصنا » ( ١ تيموثاوس ١ : ١ ) وتأتى ٦ مرات فى الرسالتين ، أما فى ٢ تيموثاوس ١ : ٨و٩ فيقول « لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذى خلصنا ، ودعانا دعوة مقدسة » هذه الكلمة « مخلص » كلمة لا تأتى كثيراً فى العهد الجديد ، ولعل أكثر المرات ظهوراً هو فى هذه الرسائل . ولعل الرسول يضعها فى مقابل ذلك التيار الذى بدأ يشتد فى عهد نيرون وهو عبادة الامبراطور واعتباره المخلص الذى يخلص الناس . . بدلا من ذلك « الله هو مخلصنا » .

(ب) يسوع المسيح :

دائماً يشار إليه بالاسم « المسيح يسوع » ولم يشر إليه باسم واحد : أى يسوع أو المسيح . ونادراً ما سمى يسوع المسيح . وهذا يشير إلى أن الرسول يتكلم عنه فى مجده . وهنا ينبر الرسول على بشرية السيد ضد الغنوسيين : فهو الإنسان ( ١ تيموثاوس ٢ : ٥ أنظر ٣ : ١٦ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٨ ) ولكنه سابق الوجود ( ٢ تيموثاوس ١ : ٩ ) ، وتجسده سمى « ظهوره »

( ٢ تيموثاوس ١ : ١٠ أنظر ١ تيموثاوس ٣ : ١٦ ) ؛ وهو مات ( ١ تيموثاوس ٢ : ٦ ، تيطس ٢ : ١٤ ) ، وهو الوسيط الوحيد وهذا ضد ما يقوله الغنوسيون الذين ينادون بكثرة الوسطاء » ( ١ تيموثاوس ٢ : ٥ ) .

(ح) الروح القدس :

ذكر فى الرسائل مرتين ( ١ تيموثاوس ٤ : ١ ، تيطس ٢ : ٥ ) وهو الذى يعمل فى حياة الإنسان ويجددها .

(د) الإنجيل :

ذكر ٤ مرات ( ١ تيموثاوس ١ : ١١ ، ٢ تيموثاوس ١ : ٨ و ١٠ ، ٢ : ٨ ) وكما هى عادة الرسول فإنه يذكر أن الإنجيل كان سراً ولكنه أعلن فى المسيح يسوع ( ١ تيموثاوس ٢ : ٦ أنظر ٣ : ١٦ ، ٢ تيموثاوس ١ : ٩ و ١٠ تيطس ١ : ٢ و ٣ ) ففى الإنجيل أعلن قصد الله الأبدى .

هذا الإنجيل هو لكل الناس ( ١ تيموثاوس ٢ : ٤ ) والله يدعو الناس ليخلصهم ويخلص الذين يؤمنون ( ١ تيموثاوس ٤ : ١٠ ) .

(ه) الخلاص :

وعندما يتكلم عن الخلاص فإنه يذكر أنه ليس من الأعمال بل هى نعمة الله فى المسيح منذ الأزل (٢ تيموثاوس ١ : ٩ ) أو كما يقول ، ولأننا كلنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين .. لكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » ( تيطس ٣ : ٣ - ٧ ) . ولعل الرسول هنا يشير إلى عملية الروح القدس فى المعمودية عندما يعطينا ثمار ما عمله المسيح من أجلنا ويقبلنا فى جسده أى كنيسته . أما عملية الخلاص فهى بالصليب حيث نموت مع المسيح لنقوم ونحيا معه ( ٢ تيموثاوس ٢ : ١١ ) ويشير إلى المسيح المقام (٢ : ٨).

### (و) الحياة :

إن وعد الحياة لنا هو فى المسيح يسوع (٢ تيموثاوس ١ : ١) وكذلك فى (تيطس ١ : ٢) يقول « على رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية » إنها ميراث لأن قد أصبحنا مبررين بنعمة الله (تيطس ٣ : ٧) . هنا نجد أن الحياة الأبدية هى الحياة التى سوف نتمتع بها عند ظهور ربنا . أى أنه عندما يتكلم القديس يوحنا عن مظهر الحياة الأبدية فى العصر الحاضر فإن الرسول هنا يتكلم عن مظهرها الآتى المجيد عند مجئ مخلصنا .

هناك عناصر لاهوتية أخرى فى الإيمان المسيحى ولكنه يلمسها ويمر عليها . ولكن العناصر السابقة هى ما نبر عليها فى مواجهة المعلمين الكذبة الذين جاؤا من اليهود واليونانيين وانحرفوا عن الحق .

# الباب الرابع

# كتابات يوحنا

نأتى الآن إلى مدرسة أخرى فى التعبير عن الاختبار المسيحى وهى مدرسة يوحنا . وتحت اسم يوحنا يقابلنا فى العهد الجديد خمسة كتب : إنجيل يوحنا ، ثلاث رسائل وأخيراً سفر الرؤيا . ولعل أهم سؤال يواجهنا فى هذه المجموعة ، هل الكاتب شخص واحد ؟ هل هو القديس يوحنا الرسول والتلميذ ؟ هل هى مدرسة فكرية أساسها القديس يوحنا ؟ سندرس هذه المجموعة من الكتب التى دخلت إلى الأعماق — وخاصة الإنجيل ، فى تفسير معنى المسيح فى الاختبار المسيحى .

ونظراً لتقارب الإنجيل والرسائل فسوف ندرسها جميعاً معاً ثم ندرس بعدها سفر الرؤيا . .

## الفصل الأول

# الإنجيل والرسائل

## مقدمة الانجيل

**كاتب الإنجيل :**

ولكن من هو الذى كتب إنجيل يوحنا . هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهى بالعبارة « لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل . فالرأى قد انقسم على وجه العموم إلى قسمين :

القسم الأول : يقول إن يوحنا الرسول الذى كان تلميذاً للمسيح مع أخيه يعقوب ابنى زبدى هو الذى كتب هذا الإنجيل .

القسم الثانى : هو أن يوحنا لم يكتب هذا الكتاب ولا بد أن شخصاً آخر غيره هو الذى كتبه . ولكل من هذين الفريقين من العلماء حججه و براهينه مما لا يتسع المقام من سرد كل شئ ما لهم وما عليهم ، ولكننا سنوجز رأى كل فريق منهم .

**يوحنا الرسول :**

يقول بعض العلماء إن الذى كتب هذا الكتاب هو يوحنا الرسول . وقد استمر هذا الرأى سائداً مدة طويلة من القرون الأولى للكنيسة إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث كثرت الشكوك حوله . ولقد ارتكز هذا الرأى على دعامتين : الشهادة الخارجية والشهادة الداخلية .

الشهادة الخارجية :

فأول مصدر لها هو إيريناوس ١٨٠ م الذى يقول إنه أخذ من بوليكاربوس بعض المعلومات عن كاتب هذا الإنجيل . وبوليكاربوس هذا الذى عاش فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى الميلادى قد عاصر يوحنا الرسول وكان تلميذاً له . ومن ذلك الوقت وكل الآباء تذكر أن يوحنا التلميذ هو الذى كتب هذا الإنجيل . أما قبل ذلك فلم يعترف بنسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول سوى فالنتينوس الغنوسى الهرطوقى لأنه كان يظن أن الإنجيل يصادق على تعاليمهم الهرطوقية . ورداً على ذلك فقد أنكرت جماعة مسيحية هذا الإنجيل واعتبرته مع الرؤيا كتباً غنوسية هرطوقية ولكن هذا الإنكار لم تقبله الكنيسة بل بالعكس فقد قبل كل الآباء بعد ذلك صحة قول إيريناوس . ووجدنا ذلك فى القائمة المسماة بالموراتورى وكذلك أكليمندس الاسكندرى وأوريجانوس وغيرهم .

وانظر Gulthre ( مقدمات العهد الجديد جزء ٣ إنجيل يوحنا ) . وعلى هذا الأساس تكون نسبة الإنجيل إلى يوحنا كانت منتشرة فى الكنيسة قبل ايريناوس حتى وإن لم يشر بوليكاربوس إليه أو لم يقتبس منه .

الشهادة الداخلية :

وقد نلخص وستكون هذه الشهادة تلخيصاً وافياً فى هذه العناصر :

أولا : أن الكاتب كان يهودياً وذلك يتضح من معرفته الوثيقة بالأعياد اليهودية والمواسم السنوية لهم كما يتضح من حوادث كثيرة نذكر القليل منها : إنه يعرف عوائد الأفراح والزواج عند وصفه لعرس قانا الجليل (٢ : ١—١٠) يعرف أن اليوم الأخير فى أسبوع عيد المظال اسمه اليوم العظيم الذى فيه يذهبون ليستقوا ماء ( ٧ : ٣٧ ) . ويعرف أن هناك عيداً هاماً قد نشأ فى فترة

ما بين العهدين اسمه عيد التجديد ( ١٠ : ١٢ ) . وأن اليهود يذهبون إلى أورشليم قبل عيد الفصح بعدة أيام حتى يتطهروا قبل العيد ( ١١ : ٥٥ ) ويعرف عوائدهم فى الجنازات كما يذكر ذلك فى موت اليعازر ( ١١ : ١٩ و ٣١ — ٣٣ ) وغير ذلك من العوائد والمواسم اليهودية .

ثانياً : من فلسطين : وذلك لأنه يعرف جغرافياً الأرض : فيعرف أن فى عين نون مياه كثيرة حيث كان يوحنا يعمد ( ٣ : ٢٣ ) ؛ وأن يسوع كان يمر على السامرة فى ذهابه من اليهودية إلى الجليل ( ٤ : ٤ — ٦ ) . ويعرف أن بركة بيت حسدا عند باب الضأن فى أورشليم (٥ : ١ و ٢ ) . وأن بيت عنيا قريبة من أورشليم بحوالى ١٥ غلوة ( ١٨ : ١١ ) ، وأن بحر الجليل هو بحيرة طبرية ( ٦ : ١ ) وهكذا .

ثالثاً : وغالباً أنه كان من سكان أورشليم أو أن له فى أورشليم صداقات كثيرة فهو معروف فى بيت رئيس الكهنة ( ١٨ : ١٥ ) وكان يعرف تلاميذ يسوع الذين كانوا من سكان اليهودية ، وغالبيتهم من أورشليم مثل نيقوديموس ( ٣ : ١ ) ويوسف الذى من الرامة الذى وهب قبره للمسيح ( ١٩ : ٣٨ ) .

رابعاً : وكان الكاتب شاهد عيان لأنه يصف الأمور والحوادث وصفاً دقيقاً : كأن يقول إن التلميذين اللذين تبعا يسوع فعلا ذلك فى الساعة العاشرة ( ١ : ٣٩ ) . ويعرف بالتدقيق الحادثة والحوادث التى صاحبت إشباع الجماهير ( ٦ : ٥ — ١٠ ) ، وأن يسوع عندما ذهب إلى العيد ذهب فى الخفاء وليس علناً ( ٧ : ١٠ — ١٢ ) ، وقصة اليونانيين الذين جاءوا ليروا يسوع ( ١٢ : ٢٠ — ٢٣ ) ، وقصة سقوط الذين جاءوا للقبض عليه إلى الوراء ( ١٨ : ٦ — ٩ ) ، إنه بنفسه يقول ذلك ( ٢١ : ٢٤ ) .

خامساً : بل كان تلميذاً للمسيح وهو يوحنا بن زبدى : ويظهر ذلك من وصفه بأنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه ( ١٣ : ٢٣ ) . وأنه يذكر أشياء لم تذكرها الأناجيل الأخرى مثل غسل أرجل التلاميذ ( ١٣ : ١-١١ ) ثم اتصاله الوثيق ببطرس ( ١٣ : ٢٣ ، ٢٠ : ٤ ، ٢١ : ٧ ، ٢٠ - ٢٤ ) ، وأخذ مريم أم يسوع إلى خاصته ( ١٩ : ٢٥ - ٢٧ ) وهذه الحادثة الأخيرة تؤكد تماماً أن يوحنا هو يوحنا بن زبدى » .

**الاعتراض على نسبته إلى يوحنا :**

الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى التلميذ يوحنا بن زبدى بدأت - كما سبق القول ، فى نهاية القرن التاسع عشر بشكل واسع وقد اعترض كثيرون على الشهادتين الخارجية والداخلية . فمن جهة الشهادة الخارجية التى ترتكز أصلا على إريناوس ، لم يثق فيها العلماء لأن المصدر الوحيد الذى يمكن أن يكون قد أخذ عنه هو بوليكاربوس ، الذى كتب رسالته إلى فيلبى ولكنه لم يشر إلى هذا الإنجيل ، ولم يقتبس منه ، فهل يعنى هذا أنه لم يكن يعرفه ؟ إن عدم الاقتباس أو الإشارة . أى شهادة الصمت لا يمكن أن تكون قاطعة .

ويقولون إن هناك جماعة أنكرت نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول واسمها Alogoi أى الذين ينكرون الكلمة « ضد الكلمة » ولكن هذه الجماعة المعارضة التى اعتبرتها الكنيسة من الهراطقة قد كتب ضدهم هيبوليتس مدافعاً عن الإنجيل وعن نسبته إلى الرسول .

نعم إن الشهادة الخارجية لا نستطيع أن نتتبعها قبل إريناوس - ولكن هذا أيضاً لا يمكن أن يكون قاطعاً ، لأن الأناجيل الأخرى لا نجد بالنسبة لها

إلا شهادة قليلة جداً ، ولكن وضع إنجيل يوحنا مع الأناجيل الثلاثة الأخرى تدل على أن الكنيسة قد أخذته من الأول بعين الاعتبار على أنه من وحى روح الله .

أما عن الشهادة الداخلية فالأمر أكثر تعقيداً .

( أ ) فمثلا تلك الشواهد التى تبين أن الذى كتب الإنجيل كان شاهد عيان وحاضراً مع السيد نفسه ، وأنه يضع نفسه بين الشهود : فيقول . والكلمة صار جسداً . . وحل بيننا . . . ورأينا ( ١ : ١٤ ) ثم يقول والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم ( ١٩ : ٣٥ أنظر ٢١ : ٢٤) . هذه الشواهد وغيرها قد تؤخذ على أن يوحنا هو الذى كتب الإنجيل، وقد تؤخذ على العكس، خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار أن يوحنا بن زبدى لم يذكر أبداً فى الإنجيل ، مع أن يوحنا المعمدان قدذكر ولم يذكر الكاتب لقبه « أى يوحنا فقط دون المعمدان » ، وكان يجب أن يذكر اللقب لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه . ولقد اعترض البعض أيضاً على أن يوحنا كان لا بد وأن يذكر نفسه بلقب الرسول مثل كل الرسل ، وليس « التلميذ الذى كان يسوع يحبه » . وهذا اللقب ، كما يقولون ، يجب أن ينسب إلى اليعازر وليس إلى يوحنا . ( ١١ : ٣ و ١١ و ٣٦ ) فهل هو اليعازر الذى كتب الإنجيل ؟

(ب) وهناك برهان آخر ضد نسبة الإنجيل إلى القديس يوحنا تلميذ المسيح وهو أنه لا يستطيع أن يكتب مثل هذا الكتاب لأنه بحسب أعمال ٦ : ١٣ عامى ، والكتاب مملوء بالاصطلاحات الهلينية تجعل هناك تشابهاً كبيراً بينه وبين فيلو الفيلسوف الاسكندرى مثل «الكلمة ، الحق ، النور ، الحياة الأبدية » وغير ذلك . . ولكن هذا البرهان ليس قاطعاً فإن مخطوطات

الكمران أيضاً تحمل تشابهاً للثقافة الهلينية ، ومن يقرأ أجزاء منها يشعر كأن الكاتب يقتبس من الفلاسفة الهليين غاية ما فى الأمر أن هذه الاصطلاحات صارت تراثاً مشاعاً معروفاً عند كل الناس فى كل الأمم المعروفة ،ولا بد أن كثيرين قد استعملوها . نعم إن الأسلوب القوى الواضح الذى يتميز به الكتاب قد يقف عقبة ضد كتابة يوحنا له ، ولكن قد يرد بأن أحد تلاميذه قد كتبه وهو الذى أملاه له .

(ح) أما أقوى برهان ضد كتابة الرسول يوحنا للانجيل هو بطء الكنيسة فى قبول الإنجيل ، فالعلماء لم يستطيعوا أن يعتمدوا على إيرنياوس فى شهادته فجاستن مارتر وقد كتب فى منتصف القرن الثانى الميلادى لم يذكر ولم يشر إلى الإنجيل . وعندما يتكلم عن يوحنا الرسول فإنه لا يشير إلى الإنجيل نفسه مع أنه ينسب إليه سفر الرؤيا . فيوحنا الرسول هو يوحنا المذكور فى رؤيا ٤ : ١ و ٩ ولكنه ليس يوحنا الإنجيلى . كذلك فى سنة ١٦٥ يقتبس فيلمو الذى من ساردس ( عن آلام المسيح ) من الإنجيل فى عظاته ولكنه لا يشير إلى كاتبه . وحتى قائمة الموراتورى لا تعطى تأكيداً قاطعاً على أن الرسول يوحنا هو الذى كتبه . أما بابياس الذى يقتبس يوسابيوس منه أنه « كان يسأل كل من سمعوا المشايخ اندراوس وبطرس ومتى وفيلبس وتوما ويعقوب ويوحنا . . » ثم يقول « وكذلك ماذا يقول أرستيون ويوحنا الشيخ تلميذا الرب » . ويقول يوسابيوس «الواضح أن بابياس يذكر اثنين اسمها يوحنا : الأول الرسول وقد مات والثانى الشيخ وهو حى . ويلوح أنه هو الذى كتب الإنجيل». من هذا كله وغيره يظن العلماء أن يوحنا الرسول لا صلة له بالإنجيل .

هذا هو الموقف باختصار كامل ويمكننا أن أن نلخصه فى الأمور التالية :

( أ ) لا يمكننا بأى حال من الأحوال أن نفصل بين يوحنا الرسول وبين

هذا الكتاب . ولو شئت ألا تذكر اسم يوحنا ، فإننا نقول إن مصدر الكتاب كان حقاً شاهد عيان . فني صفحات الكتاب شهادة تلو الشهادة على أن هذا المصدر قد رأى وسمع ولمس . وحيث أن الشهادة الخارجية مع ضعفها تربط هذا الكتاب باسم يوحنا الرسول ، فعلى الأرجح يكون هو الشخص الذى جاءت منه المعلومات هذه .

(ب) ولكن مع ذلك لا يمكن أن نزيل بجرة قلم تلك الاعتراضات القائمة التى جعلت أكثرية العلماء فى العصر الحاضر ترفض أن الكاتب الفعلى للانجيل هو يوحنا بن زبدى . وعلى ذلك فيمكن أن نذكر عدة احتمالات قد تلقى بعض النور .

الأمر الأول : هو أن الرسول يوحنا قد كتب هذا الكتاب بمعونة أحد تلاميذه الذين كانوا معه ، وهذا التلميذ لم يذكر اسمه وتحت ضغط الرسول لم يضع اسم الرسول واضحاً فى طيات الكتاب .

أما الأمر الثانى : فهو أن واحداً من تلاميذيوحنا قد استخدم المذكرات او المواعظ التى سمعها من أستاذه وكتب هذا الكتاب .

أما الأمر الأخير : وهو الذى قد يكتسب أنصاراً كثيرين فهو أن هناك مدرسة اسمها مدرسة يوحنا انتشرت فيها الأفكار والمواعظ وذكريات الرسول عن سيده وأن هذه المدرسة هى المسئولة ، ليس فقط عن إنجيل يوحنا بل عن الرسائل أيضاً كما سيأتى ذكره فيما بعد .

وقبل أن نترك هذا الموضوع يجدر بنا أن نذكر ما قاله سيرادون هوسكنز عن هذا الكاتب فى كتابه عن إنجيل يوحنا ص ٥ « إنه قد أحرق نفسه حتى أننا لا نعرف عنه أى شئ فى التاريخ المقدس . وفى نهاية دراستنا

لا نستطيع أن نعرف عنه إلا أنه صوت شاهد لمجد الله . لقد ترك كتابه بدون اسمه حتى لا نجد فيه غير اسم يسوع ابن الله . إنه محى نفسه بل إنه هو الذى أنقص نفسه وضحى بها لكى يعرف الحق وينشر وأن يتمتع المؤمنون بالحياة الأبدية » .

بقى هناك سؤال « إذن من هو التلميذ الذى كان يسوع يحبه الذى نسب إليه الإنجيل ؟ ذكر هذا التلميذ فى أربعة مواضع :

١ ــ فى العشاء الأخير كان متكئاً على صدر يسوع ( ١٣ : ٢٣ ) .

٢ ــ عند الصليب عندما طلب منه السيد أن يأخذ أمه عنده وتصبح له أماً ( ١٩ : ٢٦ و ٢٧ ) .

٣ ــ عندما سمع من مريم المجدلية عن القبر الفارغ والقيامة فذهب يجرى مع بطرس إلى القبر ورأى وآمن ( ٢٠ : ٢ ــ ١٠ ) .

٤ ــ وفى الظهور الأخير عند بحيرة طبرية ( ٢١ : ٧ و ٢٠ ــ ٢٣ ) .

وإلى جانب هذا نجد هناك إشارة أخرى إلى تلميذ لا يذكر اسمه من ضمن تلميذى يوحنا اللذين تبعا يسوع : اندراوس وهو يوحنا ( ١ : ٤٠ ) ومن سمى بالتلميذ الآخر الذى كان معروفاً فى بيت رئيس الكهنة ( ١٨ : ١٥ و ١٦ ) والذى شاهد الجندى وهو يطعن جنب يسوع بالحربة على الصليب ( ١٩ : ٣٥ ) ويلوح أن هذا الأخير هو نفسه الذى كان يسوع يحبه لأنه هو الذى عاين وشهد وشهادته حق ( ١٩ : ٣٥ مع ٢١ : ٢٤ ) . ومع ذلك فلا نعرف على وجه التحديد ما هى صلة التلميذ الذى كان يسوع يحبه بالتلميذين الآخرين فى ( ١ : ٤٠ ، ١٨ : ١٥ و ١٦ ) .

ومن هذه الشواهد يرى العلماء أمرين : الأول هو أن هذا التلميذ ظهر بهذه

التسمية فى وقت العشاء الأخير ، فلماذا ؟ والثانى هو أنه غالباً ما يظهر مقترناً ببطرس . فهل يمكن أن نستنتج شيئاً من هذه الشواهد كلها ؟ يمكن أن نستخلص هذه الأمور :

١ ـ إنه هو الشخص الذى شهد بهذا وكتب هذا وهذه شهادة الإنجيل نفسه كما سبق القول .

٢ ـ قد يكون هو يوحنا بن زبدى ولكن هناك صعوبات جمة أمام هذا الرأى أهمها أنه إنسان من أورشليم وليس من الجليل كيوحنا بن زبدى ، والدليل على ذلك أنه كان معروفاً لدى بيت رئيس الكهنة إذا كان هو نفسه « التلميذ الآخر » ( ١٨ : ١٥ ) ، ولابد أن كان يمتلك بيتاً أخذ إليه هذا التلميذ العذراء فى أورشليم وقت الصلب وبقيت معه ( ١٩ : ٢٦ و ٢٧ ) .

٣ ـ قد يكون شاباً صغيراً من أورشليم ضم نفسه إلى جماعة التلاميذ وكان محبوباً نشطاً ، وهذا يظهر من ظهوره المتأخر فى الإنجيل ( ١٣ : ٢٣ ) وأنه كان صغيراً فى السن إذ استطاع أن يسبق بطرس فى الجرى إلى القبر الخالى ( ٢٠ : ٤ ) ، ولكن من هو ؟ لا أحد يعرف .

٤ ـ نظراً لهذا الغموض فقد ظهرت نظرية تقول إن التلميذ الذى كان يسوع يحبه هو التلميذ المثالى الذى يمثل التلمذة الحقيقية ولكن لم يكن له وجود حقيقى بين التلاميذ . وسنرجع إلى هذه النظرية فى الصفحات المقبلة .

**هدف الإنجيل :**

إذا كان الكاتب قد أخفى نفسه وشخصه لكى يظهر مجد المسيح فما هو الهدف الذى من أجله كتب إنجيله ؟ . فى هذا الأمر يتشابه القديس يوحنا والقديس لوقا فى أن كلا منهما يذكر الهدف الذى لأجله يكتب إنجيله . مع

فارق واحد وهو بينما يضع القديس لوقا هذا الهدف واضحاً فى بدء إنجيله ، يؤجل القديس يوحنا ذكر هذا الهدف إلى الصفحات الأخيرة فى كتابه فيقول فى ٢٠ : ٣٠ و ٣١ «وآيات أخر صنع يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب .. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى يكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » . . فى هذه الأعداد تتضح لنا عدة أمور :

( أ ) إن الكاتب لم يقصد أن يكتب حياة كاملة ليسوع المسيح . . وذلك يظهر فى أنه ترك عدداً ضخماً من الآيات التى صنعها يسوع ولم يدونها فى كتابه . ويلاحظ القارئ أيضاً أن المادة التى يدونها الكاتب هى مادة منتقاة من بين كمية كبيرة من المعلومات التى كانت تحت يده . ويرجع سبب انتقائه لها لا لأنها أكثر صحة من غيرها ، ولكن لأنها تؤدى إلى الهدف الخاص الذى كان يضعه نصب عينيه ، لكى يبرهنه ويقود الناس إليه : إن كل المعلومات التى كانت لديه صحيحة ولكنه كان يهدف إلى شئ خاص به ؟

(ب) إنه كان يكتب كتابه وقد وضع نصب عينيه أيضاً أعضاء الكنيسة الذين يحتاجون إلى تثبيت إيمانهم . إن الذين يكتب إليهم هم جماعة من المسيحيين الذين قبلوا الإيمان وأضحوا أعضاء فى جسد المسيح ، ولكنهم مع ذلك كانوا فى مسيس الحاجة إلى هذا التعليم الذى يهبهم النظرة الثاقبة فى تفهم شخصية المسيح . . إنه المسيح « ابن الله » ، أو بحسب قراءة أخرى « أن يسوع المسيح هو ابن الله ( ٢٠ : ٣٠ ) . فهو كتاب تعليمى بالدرجة الأولى ويظهر ذلك بكل وضوح فى نوعية المعجزات التى جاءت فيه وخطابات السيد المطولة لليهود ، ففى كل معجزة أو آية نجد إعلانات جديدة وتعاليم يذكرها الرب .

(ج) ولكنه مع ذلك لا يعتبر كتاباً نظرياً يذكر الحقائق المجردة وكفى ، لكنه كتاب الحق المتجسد : كتاب عملى ، والحقائق التى تذكر فيه هى

حقائق فعالة والحق المعلن حق ديناميكي . إنه ليس حقاً يحفظ عن ظهر قلب أو يحدد بمعلومات نظرية ، ولكنه حق يعطي حياة ، بل وحياة ممتلئة بكل ما هو مبارك ، إذ يقول السيد « جئت لتكون لكم حياة وليكون لهم أفضل » كل من يؤمن به يعطيه سلطاناً أن يصير ابناً لله .

هذا هو الهدف الذى يذكره الكاتب ، وكان يجب أن نقف إلى هذا الحد لولا أن العلماء فى دراستهم استطاعوا أن يكتشفوا أشياء أخرى مهمة ملازمة لهذا الهدف الأولى ، نذكر منها ثلاثة ، شعروا أنها أهداف أخرى تظهر فى طيات هذا الكتاب :

١ ـ الهدف الأول استنتجه أكليمندس الاسكندرى يعبر عنه بقوله «إن البشير يوحنا ليكون هو الروح فى مقابل الأناجيل الثلاثة الأولى التى هى الجسد . وهو يعنى بذلك أنه بينما تذكر الأناجيل الأخرى الحقائق والوقائع الملموسة فى حياة الرب ، فإن إنجيل يوحنا يظهر روح رسالة السيد ، ويعلن شخصيته ، مع أن بعض العلماء ظنوا أن الجانب الروحى معناه الجانب الإلهى ، أو الجانب الغنوسى ، أى المعرفة الإلهية العميقة المتضمنة فى قول السيد ليعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » ( يوحنا ١٧ : ٥ ) .

٢ ـ أما الهدف الثانى الذى يراه العلماء فى كتابه الإنجيل فهو هدف دفاعى فقد رأوا أن القديس يوحنا يهاجم جماعتين :

الجماعة الأولى هى جماعة اليهود ، هذا الأمر نجده أيضاً فى الأناجيل الثلاثة الأول ، ولكنه يظهر بكل وضوح فى إنجيل يوحنا . ففيه يظهر أن اليهود هم الأعداء الحقيقيون للمسيح ، لأنهم ينكرون أنه المسيح ابن الله الذى أتى من السماء ( ٥ : ١٨ ، ٨ : ٤٠ ـ ٤٩ ) ، ولأنهم يدبرون المؤامرات

لكى يتخلصوا منه ويقتلوه ( ١٠ : ٣١ — ٣٩ ؛ ١١ : ٨ — ٥٠ ) . بل أنهم يحرمون جميع الذين يعترفون به مسيحاً من المجمع ( ٩ : ٢٢ ، ١٢ : ٤٢ ) ؛ وأكثر من ذلك كانوا يعتقدون أن من يقتل تلاميذه فإنه يؤدى خدمة لله ( ١٦ : ٢ ) ، وعلى هذا الأساس فإن كلمة « يهود » فى هذا الإنجيل تعنى دائماً اليهودى غير المؤمن ( ٢ : ١٨ ، ٢٠ و ٢٤ ؛ ٥ : ١٠ و ١٦ ، ١٨ : ٦ و ٤١ — ٥٢ . . إلخ ) . وقد امتلأ الإنجيل بالمقابلة بل والمجابهة مع اليهودية. فالناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فيسوع المسيح صارا ( ١ : ١٧ ) . ومجئ المسيح معناه نهاية الطقسية اليهودية ( ٢ : ١ — ١٠ ) ، ونهاية الهيكل والعبادة فيه ( ٢ : ١٣ — ٢٢ ، ٤ : ٢١ — ٢٣ ) ، وما أبعد الفرق بين المسيح وموسى ، فموسى لم يستطع أن يعطيهم الخبز الحقيقى ، ولكن الآب أعطاهم فى ابنه الذى أرسله من السماء هذا الخبز ( ٦ : ٣٢ ) . واليهود أنفسهم ليسوا أبناء إبرهيم حقيقة بل هم أبناء الشيطان ( ٨ : ٣٩—٤٤ ) ، ولايستطيعون أن يذهبوا إلى موسى لأنه سيدينهم ( ٥ : ٤٥ ) . ولكنهم مع ذلك لو أخلصوا لكتبهم وفتشوا فيها بكل حكمة لوجدوا فيها الحياة الحقيقية ، لأنهم سيكتشفون أنها تشهد له وبذلك يعرفون من هو ولكن هل يفعلون ؟ ( ٥ : ٣٩ ) .

أما الجماعة الثانية التى يواجهها الإنجيل فهى تلاميذ يوحنا المعمدان . وهذه الجماعة كان لها مركزها الكبير وغالباً ما كان لها تأثيرها فى أفسس ، وذلك بشهادة سفر الأعمال ( أعمال ١٩ : ١ — ٨ ) . ويذكر التاريخ الكنسى أنهم استمروا حتى القرن الثالث الميلادى . ويلوح أن هذه الجماعة كانت تعتبر يوحنا المعمدان الشخص الآتى وأنه أعظم من المسيح نفسه لسببين : الأول أنه جاء قبله ، والثانى أنه عمده ولذلك فهو أعظم منه . ولكن القديس يوحنا يذكر وعظ يوحنا ورسالته ولكنه يترك منها الجزء الخاص بالتوبة وغفران الخطايا ، ويركز على تأكيده القوى على أنه ليس المسيح ولا النبى . ولكنه

جاء ليشهد للآتى الذى هو أعظم منه ، وقد كان قبله وهو الذى يعمد بالروح القدس . إنه ليس النور بل جاء ليشهد للنور . ( ١ : ٦ — ٨ ) . إنه ليس العريس بل صديقه الذى يفرح لفرحه . ( ٢ : ٢٨ — ٣٠ ) . إن عظمة يوحنا تكمن فى أنه عرف المسيح الذى هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم ( ١ : ٢٩ ).

وهكذا يظهر القديس يوحنا لهذه الجماعة أن يوحنا المعمدان هو الشخص الذى ينادى أمام الملك ويعلن عن ظهوره ومجيئه بالنور والحياة الأبدية .

أما الجماعة الثالثة التى يشهد التقليد عنها أن القديس يوحنا حاربها هى جماعة الغنوسية . وقيل إنه حارب شخصاً خاصاً اسمه سيرنتوس Cerinthus ولقد ذكر الآباء هذا لأنهم كانوا يؤكدون أن الإنجيل والرسائل كتبها شخص واحد . وهما فى الحقيقة اتجاه واحد ومدرسة واحدة ، كما سيأتى فيما بعد ، ويذكر العلماء أن الرسالة هى هجوم شديد ضد الغنوسيين . والهرطقة التى يحاربها هى تلك التى تنكر أن يسوع هو المسيح ( ١ يوحنا ٢ : ٢٢ و ٢٣ ) . إن المسيا لا يمكن فصله عن ابن الله وإذا فصل المفهومان فذلك إنكار للتجسد ( يوحنا ١ : ١ ) . إن يسوع قد جاء فى الجسد . والكلمة صار جسداً وحل بيننا ( يوحنا ١ : ١٤ و ١٥ ) . إنه ابن الله صار بشراً حقيقياً ، ولم يسكن مؤقتاً فى الإنسان يسوع المسيح كما تقول هذه الهرطقة .

هذه هى الضلالة التى يجابهها الكاتب المقدس . وقد ظهرت هذه المجابهة بكل قوة فى الرسالة الأولى والثانية ، أما الإنجيل فإنه يركز على الجانب البشرى فى حياة يسوع وآلامه ، ففيه يظهر المسيح أحياناً متعباً وعطشاناً ( ٤ : ٦ و ٧ ) ، بل ويبكى على قبر اليعازر ( ١١ : ٣٥ ) ، وهو فى أشد حالات العطش على الصليب ( ١٩ : ٢٨ ) ، وأنه يموت كأى إنسان موتاً

حقيقياً وينزل من جنبه بعد طعنه دم وماء ( ١٩ : ٣٤ ) . إنه كان إنساناً كاملا وجسده جسد حقيقى بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

هذه هى أهم الجماعات التى يجابهها إنجيل يوحنا ويرد عليها .

٣ - أما الهدف الثالث فيختص ببناء الكنيسة نفسها . وهذا البناء كان يتطلب عدة أمور تتجاوب مع الظروف والعصر الذى كتب فيه الإنجيل .

الأمر الأول : هو أن الإنجيلى أراد أن يفسر الإنجيل فى لغة هلينية . وهذا رأى تمسكت به الكنيسة على مدى عصور طويلة . وقد عبر عن هذا الرأى بكل وضوح العالم تشارلس دور فى كتابه « تفسير الإنجيل الرابع The Interpretation of the Fourth Gospel فأبرز التشابه والتوازى الفكرى بين هذا الإنجيل وبين كتابات الهلينيين مثل هرمس والغنوسيين وفيلو الاسكندرى . ولكن هذا لا يعنى أن الإنجيلى قد اقتبس أقوال هؤلاء الكتاب أو أخذ أفكارهم ، لأن الفرق بين وشاسع بينه وبينهم خاصة فى استعمال المصطلحات . فإذا قارنا استعمال الإنجيل للاصطلاح « الكلمة » نجد أن الإنجيل يستخدم الاصطلاح ولكن فى معنى يختلف كثيراً . ولعل ذلك يتمثل فى قول يوحنا « والكلمة صار جسداً »( ١ : ١٤ ) فهذا لا يمكن أن يتصوره أو يتخيله أى مفكر هلينى إذ لا يعقل أن الروح الإلهى يصير بشراً أو مادة . ومع وجود هذا الاختلاف ، لكن البشير أخذ هذه القوالب لكى يصيغ منها المفهوم الجديد الذى أعلن فى التاريخ البشرى ، مفهوم الإنجيل ومجىء ابن الله لكى يطلب ويخلص ماقد هلك ، ولكى يهب الحياة الأبدية لمن يؤمن به . وبذلك يستطيع أن يخاطب العقل الهلينى . هذا بالضبط ما فعله الرسول بولس وكاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما فسرا الإنجيل بالمفاهيم اليهودية كالكفارة والفصح ورئيس الكهنة وغير ذلك . وعلى هذا الأساس فكل من يظن أن الإنجيل هو

عبارة عن مفاهيم هلينية ربطها الإنجيلي ربطاً بحياة يسوع دون أن تكون لها الصلة العضوية الأصيلة ، فقد أخطأ فهم هذا الإنجيل وهدف كاتبه .

أما الأمر الثاني : الذي يراه كثير من العلماء في الإنجيل هو أن القديس يوحنا قد كتبه واضعاً نصب عينيه أن يصحح فكرة كانت قد تغلغلت في الكنيسة مفادها أن المسيح سيرجع سريعاً مرة أخرى في مجد أبيه ويعلن ملكوت الله بقوة . وهذه ما يسمى في الدراسات الكتابية بالاسخاتولوجي . وهذه سوف نرجع إليها مرة أخرى في دراسة الفكر اللاهوتي في الإنجيل .

هذه هي لمحة سريعة تبين لنا الهدف أو الأهداف الأساسية التي كتب من أجلها هذا الكتاب السامي .

**تاريخ ومكان الكتابة :**

تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ما بين قبل ٧٠ م إلى ما بعد ١٦٠ أو ١٧٥ ميلادية ولكن هذين التاريخين - المبكر جداً والمتأخر جداً - لا يقبلهما كثير من علماء هذا العصر . ويبني جماعة التاريخ المبكر رأيهم على الترتيب الذي يجدونه في خطابات السيد والأمور الدقيقة المذكورة فيها . ويقولون إنه لا بد أن واحداً من الذين سمعوا خطابات المسيح دونها مبكراً . وقد فرق هؤلاء العلماء ما بين هذه التعاليم التي كتبها يوحنا الرسول وما بين كتابة الإنجيل نفسه . ولا يقتصر الجزء المبكر على خطابات السيد فقط بل يمتد أيضاً إلى العقائد واللاهوت الموجود في الكتاب حيث أن هذه العقائد والتعاليم المشابهة للتفكير الهليني وجدت مبكراً عند جماعات ظهرت قبل المسيحية مثل جماعة الكمران . ولربما كتب الكاتب هذه التعاليم مبكراً عن جماعة الكمران الذين كانوا في حالة من القلق والاضطراب والبلبلة الشديدة تحت ظل الحرب القاتلة التي ضاعت فيها أورشليم والهيكل سنة ٧٠ م .

لكن هذه النظرية بأشكالها المختلفة لم تلق ترحيباً عند الغالبية العظمى من العلماء ولم يأخذوا بها لأن الشهادات الخارجية التى تشير إلى الإنجيل تنفى هذا التاريخ المبكر .

أما الذين ينادون بالتاريخ المتأخر جداً لكتابة الإنجيل أى فى الربع الأخير من القرن الثانى الميلادى فهم أتباع مدرسة توبنجن التى كان يقودها بور Bour الذى بنى رأيه على نظرية الصراع الذى كان موجوداً فى الكنيسة الأولى ، ما بين التهوديين والرسول بولس ، واستمر هذا النزاع تبعاً لنظرية هيجل فى التاريخ إلى أن تكون منهما عنصر جديد وهو الكنيسة الكاثوليكية التى بدأت فى كتابة إنجيل يوحنا فى أواخر القرن الثانى .

ولكن هذا الرأى لم يعد مقبولا فى العصر الحاضر أيضاً نظراً لشهادة بعض الآباء مثل إيريناوس وبوليكاربوس وغيرهما واقتباساتهم من الإنجيل فى عصر مبكر عن هذا التاريخ المذكور . أما الضربة القاضية لهذا الرأى فقد جاءت من بردية ٥٢ P. 52 من مجموعة Rylands Papyrus التى وجد منها ٥ أعداد من إنجيل يوحنا ( يوحنا ١٨ : ٣١ — ٣٣ ، ٣٧ و ٣٨ ) . وقد وجدت فى مصر فى الفيوم وقد قدر تاريخ كتابتها فى سنة ١٣٠ م . وهذا يعنى أن الإنجيل قد كتب قبل ذلك التاريخ .

وعلى هذا فقد قدر العلماء أن الإنجيل كتب فى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثانى إلى ما بين ٩٠ — ١١٥ م .

أما مكان كتابة الإنجيل فقد ارتبط دائماً بأفسس وذلك لأن التقليد يقول إن يوحنا الرسول عاش فى أفسس ، وأن هناك كانت جماعة يوحنا المعمدان بتأثيرها القوى . وهناك أيضاً بدأت الأفكار التى تبلورت بعد ذلك العصر إلى

الغنوسية ، هذا إلى جانب أقوال الآباء الذين ذكروا أن الرسول كتب الكتاب في أفسس .

ولكن هناك من لم يقتنع بهذا الرأي . وبدأوا يفترضون أمكنة أخرى ، كان أولهم الآب أفرايم السرياني الذي كتب تفسيراً على الدياطسرون وذكر في أحد الملاحق أن إنجيل يوحنا كتب في أنطاكية سوريا . وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذه النظرية لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة أغناطيوس والإنجيل ، وأغناطيوس هذا أنطاكي . ولكن هذه النظرية لا تقوم على أساس قوي .

وقد اقترح علماء آخرون أنه كتب في الاسكندرية نظراً لوجود أوراق البردي في مصر ولأن فيلو الفيلسوف الاسكندري الذي تكلم بإفاضة عن « اللوغوس » أي الكلمة . ولكن هذا الرأي لا يستطيع أن يقنع الكثيرين . . لأن مصر أعطت للعالم أنواعاً كثيرة من أوراق البردي ، ولأن عقيدة اللوغوس ارتبطت بفلاسفة آخرين يونانيين غير فيلو الاسكندري .

وأخيراً ظن آخرون أن الإنجيل كتب في جنوب اليهودية في فلسطين نظراً لما في الإنجيل من عناصر يهودية بارزة وخصوصاً لمجابهة الإنجيل معهم . ولكن هذا الرأي لا يمكن أن يقوم نظراً لأن المسيحية واليهودية بعد ٧٠ م وضياع أورشليم أضحت جماعة منعزلة عن بقية المسيحية ولم يعد لهم التأثير الذي كان لهم في الكنيسة الأولى .

هذه هي بعض الآراء المختلفة والتي لا يمكن يعطي الشخص رأيه فيها بكل يقين وتأكيد إلا أننا نرجح أن الإنجيل كتب حوالي ١٠٠ م في أفسس لأن هذا الرأي يتفق وكثير من الأمور الحيوية الخاصة بالإنجيل .

**خلفية إنجيل يوحنا :**

عندما نذكر كلمة «خلفية» إنجيل يوحنا لا نقصد بها الظروف والدوافع التى جعلت الإنجيلى يكتب هذا الإنجيل ، ولكننا نقصد المصادر التى استخدمها فى التعبير عما يريد أن يكتبه . من أين أتى بكثير من المادة التى يضعها فى كتابه والصور التى يوضح بها هذه المادة ، والاصطلاحات والقوالب التى يصبها فيها . لأن هذه الدراسة تعطى المفسر نوراً أوضح يستطيع به أن يفهم الهدف الذى يقصده الكاتب وما يريد أن يقوله . وفى دراستنا لكتب العهد الجديد كان علينا أن ندرس هذه الخلفية ، خلفية الرسول بولس وكاتب العبرانيين ولوقا الإنجيلى ومتى ومرقس وكل الكتاب والكتابات ، وبدون شك تظهر لنا الخلفيات مركبة ومعقدة ، لكن إنجيل يوحنا يفوقها جميعاً فى هذا الأمر ، مما يدفعنا إلى تحليل الكتاب لنرى إلى أى مصدر يصدر عنه هذا الاتجاه أو ذاك . . ولقد فرق العلماء ما بين ٣ مصادر هامة اعتمد عليها الكاتب عندما كتب كتابه : المصادر المسيحية ، المصادر اليهودية ، المصادر الهلينية .

**١ ــ المصادر المسيحية :**

هذه المصادر المسيحية التى يظن العلماء أن إنجيل يوحنا يرتبط بها هى ثلاثة : الأناجيل الثلاثة الأول « متى ومرقس ولوقا » وهذه قد درسنا صلة الإنجيل بها فى دراستنا لقضية الأناجيل الثلاثة ثم صلة الإنجيل بكتابات يوحنا الأخرى « الرسائل الثلاث والرؤيا » وهذه سندرسها فيما بعد ، أما المصدر الثالث فهو « الرسول بولس والكنيسة الأولى .

**١ ــ صلة الإنجيل بالكنيسة الأولى والرسول بولس :**

اختار يوحنا الإنجيلى أن يكتب إنجيلا ، وبذلك وضع نفسه فى الخط المسيحى الأول للكنيسة الأولى . فهو يكتب ليقدم البشارة والحياة الأبدية

لمن يؤمن بأن يسوع هو المسيح ( ٢٠ : ٣١ ) . وعلى هذا فهو يبنى على عقيدة واختبار الكنيسة الأولى فى أبوة الله . وأنه هو الخالق لكل شئ . والحاكم على كل شئ . والمدبر للخلاص ( يوحنا ٦ : ٤٤ ؛ ١٥ : ١٦ ) . ويؤمن بأن يسوع هو المسيح وأنه قد جاء فى الجسد فرآه الناس ولمسوه وعرفوه . ( ١ : ١٤ ) . وفى الإنجيل نجد الإشارة إلى المعمودية ( ٤ : ١ ) ، وإلى العشاء الربانى ( ٦ : ٥٢ – ٥٨ ) مما يضعه فى وصف الكنيسة الأولى وعقائدها وإلى جانب ذلك فإنه ينبر على الإيمان فى المسيح يسوع ، وعلى المحبة فى الحياة المسيحية علاوة على طاعة المؤمن لسيده : هذه الأمور كلها يتفق فيها إنجيل يوحنا مع الكنيسة الأولى ، وكذلك مع بولس الرسول . لكن صلة يوحنا الإنجيلى بالرسول بولس تذهب إلى أعمق من ذلك ، ففى كتابات كل منهما نجد تفسيرات متطورة للمسيحية : فليس المسيح هو المسيا المنتظر فقط ولكن كلاهما يتكلم عنه كالسابق الوجود Pre-existent ( يوحنا ١ : ١ – ١٨ ، كولوسى ١ : ١٥ – ١٧ ) نعم يستخدم الرسول بولس فى التعبير عن ذلك الاصطلاح اليهودى « الحكمة » بينما يستخدم يوحنا الاصطلاح اليونانى «الكلمة» ، ولكن ما يقصده كل منهما مواز للآخر . فالحكمة لها نفس صفات وأعمال الكلمة ، ولعل الاثنين كانا يحاربان نوعاً من الهرطقة التى بدأت تظهر عن يسوع المسيح وشخصيته .

وإلى جانب ذلك فيعتقد الاثنان أن موت يسوع وقيامته يكونان مركز الفداء الذى أعده الله للناس بواسطته ، ولكن مفهوم الاثنين للخلاص والإطار الذى يوضع فيه يختلف أحدهما عن الآخر فبينما الرسول يعبر عن ذلك بالتبرير بالإيمان ولا دخل لأعمال الناموس فيه ( رومية ٥) فإن القديس يوحنا يفكر فى إطار الانتصار على قوات الشر والخطية (يوحنا ١٢ : ٣١ و ٣٢ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ٣٣ ) . أما صلة الإيمان بالأعمال وموقف الختان من هذا كله

فإن إنجيل يوحنا لا يظهر أى نوع من التعارض ، أو أن هناك أى إشارة إلى الصراع بين من يريدون أن يرجعوا بالمسيحية إلى أحضان اليهودية وبين من يريدون أن يحرروا الحياة المسيحية من أعمال الناموس كواسطة للبر والتبرير ، كما ظهر ذلك فى عصر الرسول بولس . فإنجيل يوحنا يذكر الختان ( ٧ : ٢٢ و ٢٣ ) ، ولكن لا أثر للفكرة أن الختان يمثل الناموس كواسطة للخلاص . وإلى جانب ذلك فإن يوحنا يذكر أن العمل الحقيقى الذى يعمله الإنسان هو أن يؤمن بالذى أرسله الله ( ٦ : ٢٩ ) . فهل يختلف الاثنان إلى درجة التناقض ؟ كلا فإن مفهوم الإيمان هنا فى إنجيل يوحنا هو الاعتراف بأن يسوع هو المسيح ابن الله ( ٢٠ : ٣١ و ٣٢ ) . بينما الإيمان عند الرسول هو الثقة الكاملة فى عطية الله والتسليم المطلق لعمله الصالح فى المسيح (رومية ٤ ) . فكل منهما ينظر من زاوية مختلفة نظراً للظروف المختلفة التى عاش فيها كل منهما .

ويتكلم كل منهما عن اليهود . ولكن الإنجيلى يوحنا يتكلم عنهم كجماعة قد رفضوا الرسالة ووضعوا أنفسهم فى مكان الأعداء ، وانتهى الأمل فى قبولهم للمسيح ، أما الرسول بولس فإنه يتكلم عنهم بكل عاطفة ومحبة متألمة لدرجة أنه يود لو كان هو نفسه محروماً من أجل أن يقبلوا هم الرسالة (رومية ٩ : ١ — ٣ ) . وكان يرى الأمل الكبير فى رجوعهم عندما يغاروا من الأمم الذين يقبلون عطية الله فى المسيح يسوع ( رومية ١١ : ٢٥ ) . وهكذا يرى فيهم الرسول بولس أبناء إبرهيم ( رومية ٩ : ١ — ٦ ) ، بينما يرى فيهم يوحنا الإنجيلى أبناء الشيطان (يوحنا ٨ : ٤٤ ) .

ويشترك الاثنان فى شرح علاقة المؤمن بالمسيح . فالرسول بولس يضع ذلك فى أهم اصطلاح عنده « فى المسيح » ( رومية ٨ : ١ ، ٢ كورنثوس

٥ : ١٧ إلخ ) . وهذا ما يظهره القديس يوحنا فى يوحنا ١٤ : ٢٠ ، ١٥ : ٥ . . . إلخ .

من هذا يظهر أن القديس يوحنا لا يعتمد على الرسول بولس فى لاهوته ، : إن الاثنين يتشابهان فى العقائد الأساسية المسيحية التى ورثاها عن الكنيسة الأولى ، الله الآب والمسيح المسيا والروح القدس وعمله فى المؤمنين بعد صعود المسيح . وفى الفريضتين المسيحيتين المعمودية وعشاء الرب ، ولكنهما بعد ذلك مستقلان كل الاستقلال فى تفسير هذا اللاهوت وتطويره ومن الأرجح أن القديس يوحنا كان يعرف شيئاً من تفكير الرسول بولس ولكنه مع ذلك كان مستقلا عنه فى تفسيره للخبرة المسيحية .

٢ ـ الخلفية اليهودية :

عندما نتكلم عن الخلفية اليهودية لإنجيل يوحنا فإننا نقصد بذلك العهد القديم ثم اليهودية بالمعنى الخاص ، ولكل من هذين المصدرين تأثير كبير على إنجيل يوحنا .

العهد القديم :

كانت علاقة القديس يوحنا بالعهد القديم علاقة قوية ، فهى علاقة معرفة عميقة . وفهم خاص واعتماد كبير . ويبدو أنه كان يستخدم الترجمة السبعينية للعهد القديم ، ولكنه كان يستطيع أن يستخدم أيضاً الكتاب العبرانى أيضاً . ويتلخص استعمال القديس يوحنا للعهد القديم فى الأمور التالية :

( أ ) الاقتباس المباشر ، فمثلا يوحنا ١٠ : ١٦ مأخوذة من حزقيال ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤ ، يوحنا ١٠ : ٣٤ مأخوذة من مزمور ٨١ و ٨٢ : ٦ ، يوحنا ١٢ : ٣٨ من إشعياء ٥٣ : ١٠ ، يوحنا ١٦ :

٢٢ من إشعياء ٦٦ : ١٤ ؛ يوحنا ١٩ : ٢٤ من مزمور ٢١ ، ٢٢ : ١٩ . وهناك اقتباسات كثيرة ومتعددة من العهد القديم ، يمكن أن يرجع الدارس إلى كتاب مقدس بشواهد لمعرفتها ، . ولكننا نلاحظ أن معظم الاقتباسات تأتى فى قصة الآلام ، ولقد اقتبسها بطريقة تختلف عما فعله كتاب الأناجيل الأخرى الذين أخذوها كشواهد على صدق الرسالة التى جاء بها المسيح فى حياته وموته وقيامته وشخصيته ، فلا يبدأها بالقول « لكى يتم ما قيل بالنبى » أو «لكى يتم المكتوب» . ولكنه يدخل الاقتباس فى شرح رسالة السيد كجزء من عمله ورسالته . إنها تفسير وليست برهان لشخص المسيح .

ولكن استخدام القديس يوحنا للعهد القديم لا يتوقف إلى هذا الحد وإلا فلو توقفنا عند حد الاقتباس المباشر لرأينا أن يوحنا لا يهتم بالعهد القديم كثيراً مثل الأناجيل الثلاثة الأخرى . ولكنه يتعدى هذا الاقتباس إلى استخدام المواضيع الكاملة فى العهد القديم . مثل الخليقة والظهورات فى سيناء ( يو ١ : ١ — ١٨ ) وقصص الآباء ( ٤ : ١٢ ) ، ابن الإنسان والقيامة من الأموات كما هى فى دانيال ٧ و ١٢ ( يوحنا ٥ : ١٩ — ٢٩ ) المن من السماء والناموس ( ٦ : ٢٥ — ٥١ ) وهكذا . بل هو يذهب إلى ما هو أبعد فيضع موضوعاً كاملا على آية واحدة فى العهد القديم فمثلا : عندما يتكلم إشعياء عن رياء بنى إسرائيل فى إشعياء ٢٩ : ١٣ يقتبس القديس مرقس هذا العدد لكى يصف رياء الفريسيين ( مرقس ٧ : ٦ و ٧ ) . أما القديس يوحنا فإنه لا يقتبس العدد من إشعياء ولكن يظهر معناه بطريقة حية قوية فى قصة نيقوديموس (يوحنا ٣ : ١ — ٢١) فى مناقشة شهادة العهد القديم وشهادة يوحنا له ٥ : ٣١ — ٤٧ فى ٧ : ١٩ — ٢٤ حيث يختن اليهود أولادهم يوم السبت ويشتكون من يسوع لأنه يشفى فى يوم السبت وفى ٨ : ٣٩ — ٤٤ يفكر أولاد إبرهيم أن يقتــلوا إنساناً بريئاً . وهكذا يظهر يوحنا هذا

الرياء فى حوادث وعبارات حية وقوية دون اقتباس العدد الذى يشرحه وقس على ذلك فى مواضيع كثيرة .

هذا هو استخدام يوحنا للعهد القديم . .

البهودية :

أما إذا جئنا إلى اليهودية فإننا نجد لدى القديس يوحنا معرفة ظاهرة واضحة بكل ما يتعلق باليهودية من بلاد وعادات وثقافة وديانة .

فهو يعرف جغرافياً البلاد فى اليهودية معرفة جيدة ، وخصوصاً أورشليم وما حولها مما يوحى بأن الكاتب إما أنه كان شاهد عيان أو أنه حصل على معلومات وافية كاملة . وكذلك يعرف عادات وأعياد ومواسم اليهود كالفصح وعيد المظال والتجديد والطقوس المرتبطة بها ( ٧ : ٣٧ ) وطقوس التطهير ( ٢ : ٦ ) . ثم أنه يعرف عن السامريين وعلاقتهم باليهودية الرسمية ( ٤ : ٢٠ ـ ٢٥) . ويمكنه أن يترجم الكلمات الفنية كالمسيا وربونى ( ٤ : ٢٥ ، ٢٠ : ١٩ ) وغير ذلك .

وكان القديس يوحنا يعرف القضايا اليهودية الحية فى ذلك العصر كقضية السبت ( ٥ : ١٧ ) . وفى الأصحاح السادس يظهر الكاتب أنه يعرف أن إعطاء المن من السماء فى البرية عند الربيين اليهود يساوى إعطاء الناموس تماماً . وفى ( ٦ : ٤٥ ) يعرف كيف يجادل كما يجادل المعلمون اليهود . ويعرف أيضاً قضية المسيا الذى يأتى متخفياً كما اعتقد هؤلاء المعلمون ( ٧ : ٢٧ ) ، ولكن ذلك لا يظهر فى كتب العهد القديم . والمناقشة فى ص ٨ هى مناقشة بأسلوب معلمى اليهود . هذا كله يبين أن القديس يوحنا كانت له معرفة كبيرة بالقضايا والمناقشات اليهودية والمسيحية مما يجعل بعض العلماء يقولون إن كتابة

هذا الإنجيل بدأت قبل طرد المسيحيين من المجمع اليهودى سنة ٨٥ م . وهذه النتيجة يؤكدها اختفاء الصدوقيين والغيورين من الإنجيل بتاتاً ( مع أن واحداً من التلاميذ كان من حزب الغيورين ) ( مرقس ٣ : ١٨ ) ، ولا نقابل فيه سوى الفريسيين الذين أصبحوا بعد اختفاء الأحزاب الأخرى بعد خراب أورشليم هم القادة الحقيقيون للشعب .

وقد أظهر القديس يوحنا أيضاً أن له معرفة واسعة بجماعة الكمران أو الإسينيين ( فى الغالب ) . وهناك اختلاف كبير بين التفكير المسيحى وتفكير هؤلاء كما يظهر فى مخطوطات البحر الميت . مع أن هناك تقارباً كبيراً فى بعض النواحى من التفكير . فهم كانوا يعتقدون كالمسيحيين أن فيهم وفى تاريخهم قد تمم الله قصده ووعده الواضح فى الأنبياء ، وكانوا ينتظرون المسيا الآتى من السماء . وكان لهم بعض تفسيراتهم الخاصة المتقاربة كثيراً من التفسيرات المسيحية للعهد القديم . وقد تأثروا بالتفكير الخارجى سواء أكان الفارسى أو الهلينى سواء فى المقابلة والمجابهة بين النور والظلمة الشئ الذى يظهر بوضوح فى إنجيل يوحنا ، وروح الحق وروح الغش والخطأ كما يظهر فى يوحنا ٨ : ٤٤ ، ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣ .

وهذا لا يدل على أن يوحنا تأثر بهؤلاء الجماعة نظراً لاختفائهم بعد خراب أورشليم ولكن مع ذلك فيلوح أن تفكيرهم كان منتشراً بين اليهود فى ذلك العصر . ومع أن الربيين كانوا يمقتون تلك الجماعة لكنهم أخذوا كثيراً من تعاليمهم وطوروها ووفقوها مع تعاليمهم ، فطوروا المجابهة بين الظلمة والنور وجعلوها مجابهة فى الإنسان نفسه ، فى طبيعته بين الميول الحسنة والميول الشريرة « يَصَير ها طوف » « يصيرها رع » .

من هنا كان اتصال القديس يوحنا بهذه الأفكار التى كانت تكون جزءاً من التفكير اليهودى العام ( ٢ ) .

**٣ — الخلفية اليونانية :**

هناك شبه إجماع على أن إنجيل يوحنا كتب لكى يفسر الرسالة المسيحية لكى يفهمها المثقف اليونانى ، فقد أصبحت الثقافة الهلينية رباطاً يجمع العالم كله فى إطار فكرى موحد . هذه الثقافة تتكون من مزج الحضارة اليونانية الكلاسيكية والديانات الآتية من الشرق ، فأضحت بهذه الكيفية أكثر جذباً للعقل اليونانى الذى لم يعد يكتفى أو يشبع بالحضارة اليونانية ولم تسلم اليهودية ، وخصوصاً يهودية الدياسبورة من آثار هذه الثقافة الهلينية ، وأصبح يهود الاسكندرية حقلا خصباً لهذه الثقافة ، وصار فيلو من الاسكندرية أهم ممثل لليهودى الهلينى . وعندما انتشرت المسيحية فى آسيا الصغرى لم يكن هناك مفر من الاحتكاك بهذه الثقافة ، وكان لا بد أن يقتفى بعض الفلاسفة المسيحيين آثار فيلو الاسكندرى . ولهذا السبب ظهر الإنجيل الرابع . . إنجيل يوحنا ، فكيف حدث ذلك ؟

**فيلو والإنجيل :**

أراد فيلو — الفيلسوف اليهودى أن يفسر إيمانه اليهودى فى ضوء الفلسفة اليونانية ، أو فلسفته هو التى كانت مزيجاً من الأفلاطونية والرواقية . وتتلخص فلسفة أفلاطون فى الفصل بين عالمين : عالم الحقيقة وهو العالم الأبدى غير المنظور ، ثم عالم المادة المنظور الملموس عالم الزمان والمكان الذى نعيشه نحن . ولقد طبق الفلاسفة الذين تبعوا أفلاطون هذه المقابلة على العقل الذى يمثل العالم الحقيقى ثم الجسد وهو يمثل عالم المادة الذى يخضع للتطورات الزمنية والمكانية . وقالوا إن هذا العقل يستطيع أن يتحرر من الجسد عن طريق

التأمل والحياة الفكرية التأملية ، وبذلك يتحد مع الله الذى هو الخير الكامل .
أما الفلسفة الرواقية فتنادى باللوجوس وهو مادة غير محسوسة لا تمكن لمسه ولكنه يتدخل فى كل شئ فى الكون . إنه إلهى ولكنه يعبر عن نفسه بأشياء مادية حية كانت أم جامدة . فاللوجوس هو الله وهو الكون ، ونستطيع أن نلمسه بشكل واضح فى العقل البشرى الذى هو جزء من الله — وهكذا يظهر التوافق بين النفس البشرية والنفس الكلية التى هى الله أوهى الكون . ومتى أراد الإنسان أن يعيش الحياة المثلى فعليه أن يتوافق مع اللوجوس أى النفس الكونية التى تحيط بالإنسان وهى فيه ، وهكذا يصبح الإنسان ابناً لله .

هنا جاء بوسيدونيس Posidonus ( ١٠٠ ق . م ) وخلط الفلسفتين معاً ، فخلط اللوغوص ( الرواقى ) بالعالم الأبدى الغير منظور ( الأفلاطونى ) معاً ، وجعل اللوغوص هو الوسيط ما بين الأبدى أو الله والمادى المنظور .

ولكن الشخص الذى يهمنا فى هذا الموقف هو فيلو الفيلسوف اليهودى ، الذى بحكم يهوديته رفض الحلولية التى تميز مذهب الرواقيين ، فالله منفصل عن الطبيعة ، بل هو الذى خلقها ، ورفض فكرة أفلاطون من جهة هذا العالم المادى ولكنه ربط الاثنين بعقيدة أو فكرة اللوجوس . ويعتقد فيلو أن اللوجوس يعنى أمرين : الأول : الفكرة أو الخطة التى فى عقل الله ، أما المعنى الثانى الكلمة التى ينطقها الله فتخرج منه وتعبر عنه ، التى بها كل الأشياء . ومن الطبيعى أن يجد فيلو سنداً لعقيدته هذه فى العهد القديم كفكرة الحكمة مثلا (أمثال ٨) .

اللوجوس إذن هو واسطة خلق العالم والعناية به ، وعن طريقه يحكم الله هذا الكون ، ولذا أطلق عليه فيلو اسم « ملاك » أو « رئيس الملائكة » وكلها أسماء من العهد القديم . ومن الناحية الأخرى صار اللوجوس واسطتنا لمعرفة

الله نفسه ، الذى لا يمكن أن نعرفه عن طريق آخر . إن هذه المعرفة المباشرة لله لا تتحقق إلا لجماعة كاملة لا عيب فيها ، أما الذين لم يصلوا إلى الكمال بعد فلن يعرفوه . وهنا يتدخل اللوجوس كإله للبشر الذين لم يكملوا فيكشف لهم عن الله ويعرفهم به . ويبنى فيلو هذا الرأى على ما ورد فى خروج ٢٣ : ٢٠ « أرسل ملاكى قدام وجهك » فاللوجوس هو الذى يقود الشعب الذى لم يصل إلى الكمال .

هذه بعض ملامح الفلسفة اليونانية والهلينية وفيلو ، فهل كان القديس يوحنا متأثراً بها ؟ هل تأثر بفلسفة أفلاطون عندما فصل عالم الحقيقة عن عالمنا ، وهو الذى يقول « والكلمة صار جسداً » ( يوحنا ١ : ١٤ ) ؟ وهل تأثر بالرواقية وهى تعتقد بأن الله هو الكون ، والكون هو الله ؟ وهل تأثر بفيلو وعقيدته فى اللوجوس ؟ هناك أمران يفرقان ما بين يوحنا وفيلو . وهما : أولا أن فيلو لا يعتقد بأن اللوغوص شخصية ولكنه فكرة فى عقل الله وكلمة يقولها ، أما القديس يوحنا فيقول إن اللوغوص شخصية : إنه كان عند الله . والفرق الثانى مبنى على الأول وهو أن اللوجوس صار جسداً وهو ما لا يمكن أن يتخيله فيلو .

إن الشىء الذى يشترك فيه يوحنا وفيلو هو أن كل منهما يرجع إلى العهد القديم ويستمد منه صور تفكيره . لكن فيلو حاول أن يحول العهد القديم عن طريق التفسير المجازى إلى جزء من الفلسفة اليونانية ، بينما فسر القديس يوحنا العهد القديم — كما فسرته كل الكنيسة الأولى — فى ضوء المسيح المتجسد .

أسطورة المخلص :

لكن قبل أن نترك هذا الجزء من الدراسة يستحسن أن نعرض لفكر دينى آخر ملأ العالم الهلينى وكانت فيه بعض العبارات نجد لها صدى فى

إنجيل يوحنا . وكان يركز حول أسطورة المخلص وهو من ضمن الديانات السرية التي درسنا شيئاً عنها من قبل . وليس لنا أن نضيف شيئاً هنا إلى ما قيل سوى أن الخلاص الذى ينشده الإنسان فى هذه الديانات السرية كان يأتى — كما كانوا يعتقدون — عن طريق مخلص . وهذا المخلص إما أن يوهبه الخلاص بطريقـــة طقسية Sacramental عن طريق اتحاد الإنسان بهذا الإله المخلص فى موته وقيامته ، أو أن يوهبها كما تقول بعض أنواع الغنوسية التى ظهرت وقت كتابة هذا الإنجيل ، عن طريق معرفة خاصة سرية بواسطتها يرتفع الإنسان إلى المستوى الإلهى . وكانت هذه العطية — أى المعرفة — تجئ بواسطة نبى أو بواسطة المسيح كما صرح بذلك الدوسيتيون . هذا المسيح ظهر فى يسوع كأنه إنسان مع أنه فى الحقيقة لم يكن له إلا مظهر الإنسان حتى يستطيع أن يعطى المعرفة .

وقد ظن بعض العلماء أن يوحنا اقتبس بعض تفكيره من هذه الديانات حتى أنها تظهر فى بعض آيات الإنجيل مثل ٣ : ١٢ و ١٣ و ٣١ و ٣٢ ، ٦ : ٦٢ ، ١٦ : ٢٨ ، ١٧ : ٣) . وظنوا أنه استقاها من تلاميذ يوحنا المعمدان الذين نقلوا هذه التعاليم إلى أفسس . ولكن خطأ هذا الرأى يكمن فى أن هذا النوع من التعاليم ظهر متأخراً عن ظهور تلاميذ يوحنا المعمدان فلا يمكن أن يكونوا واسطة نقلها .

أما المعرفة التى يعطيها الإله الذى ينزل من السماء ويصعد إليها ، هى فكرة مسيحية مبنية على الكتاب المقدس ، لأن المسيحيين يعتقدون أن سيدهم جاء من السماء وصعد إلى السماء لأنه ابن الإنسان كما جاء ذلك فى دانيال ٧ : ١٣ وهكذا بنت الكنيسة لاهوتها فى المسيح ( فيلبى ٢ : ٥ — ١١ ، أفسس ٤ : ١ — ١٦ ، كولوسى ١ : ١٥ — ٢٠ ) . لقد أرسل الله ابنه إلى العالم رومية ٨ : ٣ ، غلاطية ٤ : ٤ ) . وهذه ليست فكرة غنوسية بل فكرة مسيحية استخدمها القديس يوحنا ( ٣ : ١٧ و ٣٤ ، ٥ : ٢٤ ، ٣٦ و ٣٧ ) .

وهكذا يتراءى لبعض الدارسين أن القديس يوحنا يستعمل لغة ترجع إلى أصل هليني ، ولكنها فى الحقيقة مبنية على العهد القديم واليهودية .

وهناك أسئلة أخرى وقضايا يقابلها دارس إنجيل يوحنا ، مثل قضية لغة الإنجيل الأصلية وهل كتب أصلا باللغة الأرامية ؟ أم أن الكاتب اعتمد على مصادر مكتوبة بلغة سامية ، وذلك نظراً للسامية التى تظهر فيه ؟ أم أن الكاتب أصلا كان سامياً ولكنه يكتب باللغة اليونانية ؟

وهناك قضية أخرى هى ترتيب مادة الإنجيل . فهل حدث اختلاف فى ترتيب أوراق البردى الذى كتب عليها الكتاب فحدث بعض الاختلاف فى الترتيب الأصلى كما يقول بعض العلماء ؟ فمثلا ما هو الترابط الموجود ما بين ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ١ ، فبينما ينقطع الخطاب فى ١٤ : ٣١ نجده يبدأ ثانية فى ١٥ : ١ كأنه لم يكن هنا انقطاع وكأن ١٤ : ٣١ لم يكن . ومثل آخر : إذا قرأنا ٧ : ١٥ — ٢٤ قبل ٧ : ١ — ١٤ قد يكون تتابع الحوادث أكثر منطقية وانسياباً .

وفى ص ١٨ إذا وضع العدد ١٨ : ٢٤ ما بين ١٨ : ١٣ و ١٤ تستقيم القصة . وهكذا أشياء كثيرة من هذا القبيل لا داعى لمناقشتها . لكن السؤال الذى نريد أن نواجهه الآن هو : ما هى الصلة بين إنجيل يوحنا وبقية الكتابات الأخرى المنسوبة إليه أى الرسائل الثلاث وسفر الرؤيا ؟ .

**الصلة بين الإنجيل وبقية كتابات يوحنا :**

إذا فتشنا الكتب الخمسة فلا يظهر إلا فى سفر الرؤيا وحده اسم الكاتب وهو يوحنا ( رؤيا ١ : ٤ و ٩ ) أما فى الرسالتين الثانية والثالثة فيذكر الكاتب نفسه بلقب الشيخ ( ٢ يوحنا ١ ، ٣ يوحنا ١ ) أما الرسالة الأولى فلا تذكر شيئاً من هذا القبيل . فما هى الصلة بين هذه الكتابات كلها ؟

١ — هناك شبه اتفاق بين علماء الكتاب المقدس على أن كاتب الإنجيل لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب سفر الرؤيا . وهذا الرأى ليس حديثاً ولكنه يرجع إلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، الذى بنى ذلك على الاختلاف الواضح البين بين لغة الكتابين فبينما تظهر لغة إنجيل يوحنا وأسلوبه بسيطاً صحيحاً فى تركيبه وقواعده اللغوية ، تأتى لغة سفر الرؤيا وأسلوبه على النقيض من ذلك . فالأسلوب قوى وحى ولكنه لا يلتزم بالقواعد اللغوية . وهناك اختلاف ثان بين السفرين إذ كل منهما يعكس شخصية تختلف عن الأخرى . فبينما يستمر كاتب إنجيل يوحنا فى إخفاء اسمه وشخصيته ، يتكلم كاتب سفر الرؤيا عن عمله كنبى ويفصح عن اسمه ( يوحنا ) . زد على ذلك الثراء الواسع فى الاصطلاحات والمواضيع الذى يشتهر به الإنجيل مثل النور والحياة والحق والنعمة مما لا يظهر فى سفر الرؤيا .

ومع ذلك فهناك كثير من التشابه بين الكتابين يوحى بأن هناك ارتباطاً بينهما إذا لم تكن وحدة المؤلف فلا أقل من أن يكون الاثنان نتاج مدرسة فكرية واحدة ومن دائرة واحدة ، تلتف حول مركز واحد فى أفسس . فلنترك سفر الرؤيا الآن لدراسته على حدة .

٢ — فإذا انتقلنا إلى الرسائل فإننا نجد أن الرسالتين الثانية والثالثة من الصغر بحيث لا تؤثران كثيراً فى دراستنا . . كل ما نستطيع أن نقوله هو أن كاتبهما فى الأرجح جداً هو نفسه كاتب الرسالة الأولى لكنه كتبهما فى موقفين مختلفين . فالرسالة الثانية كتبت إلى «كيرية المختارة» . ومع أن الاسم هو اسم علم يطلق على سيدة ، لكن وصفه لها فى الرسالة يوحى بأنها كنيسة وليست سيدة ، فأولادها كثيرون ، بعضهم يسلك بالحق ( ع ٤ ) . إنها محبوبة ليس من الشيخ فقط بل من جميع الذين يعرفون الحق ، وأولادها

هكذا محبوبون ( ع ١ ) . لها أخت لها أولاد . وأختها هذه مختارة كما هي أيضاً ( ع ١٣ ) . فالرسالة إذاً مرسلة إلى كنيسة بذاتها « كنيسة محلية وأختها هي كنيسة أخرى . وتشبيه الكنيسة ، أو الشعب ، أو الأمة بسيدة ليس غريباً على الكتاب المقدس ( إشعياء ٥٤ ، غلاطية ٤ : ٢١ — ٣١ ، ١ بطرس ٥ : ١٣ ) . ولعل « الشيخ » كتب هذا الخطاب ، بهذه الكيفية ، نسبة للظروف التي كانت تحيط بالكنيسة كما يظهر في ١ يوحنا ٣ : ١٣ ، من أن العالم يبغضها ، فأراد أن يجعل غطاء من السرية على الكنيسة والأعضاء فيها لدواعي أمنهم أما لماذا كتب لهم فهذا سيأتي في دراسة عن فكر الرسول في كل كتاباته .

أما الرسالة الثالثة فعلى العكس من الثانية فهي مكتوبة إلى شخص بالذات اسمه « غايس » . وكل الرسالة تنطق أنه لا يمثل جماعة أو كنيسة ، ولكنه شخص ، يشهد له جميع من عاملوه وقابلوه أمام الكنيسة كلها . كتب إليه يوصيه بالأخوة الغرباء الذين يأتون إليه . وقد قيل في التقليد إن الشيخ أقام غايس هذا أسقفاً على برغامس ولا اعتراض على هذا التقليد سوى أنه متأخر بعض الشيء ( ٥ ) .

٣ — بقيت أمامنا الرسالة الأولى ، ولكنها في ذاتها شيء يختلف عن الرسالتين الثانية والثالثة . وهذا الاختلاف لا يتوقف فقط عند حد طولها عن الرسالتين . ولكنه يتضمن أيضاً الشكل الخارجي لها . فبينما نجد الرسالتين مكتوبتين بالطريقة الكلاسيكية للرسائل المتبعة في ذلك الوقت ، أي أن الكاتب يذكر اسمه واسم المكتوب إليه والتحيات ، نجد أن الرسالة الأولى لا تظهر هكذا ، فلا يوجد فيها اسم للكاتب أو المكتوب إليهم ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً . ولولا بضعة جمل تظهر فيها مثل أكتب إليكم أو كتبت إليكم لما اعتقد أي دارس أنها رسالة أصلا (٢ : ١ و٧ و٨ و١٢ — ١٤)

**كاتب الرسالة :**

هذا هو السؤال الصعب فى هذه الرسالة لأنها لا تكشف ، لا تصريحاً ولا تلميحاً ، عن الكاتب بخلاف الرسالتين الأخريين . وإذا كنا نرجح ترجيحاً كبيراً أن كاتب الرسالة الأولى هو نفسه كاتب الرسالتين ، نظراً للتشابه الكبير بينها جميعاً ، فما هى صلة الرسالة الأولى بالإنجيل فى هذه القضية ؟ هل كاتبهما واحد ؟ لقد انقسم العلماء إلى فريقين الأول يؤكد أن كاتب الاثنين هو يوحنا وبعضهم يرفض هذه النظرية ويقول إن لكل كتاب كاتباً مستقل ولكن الكاتبين يتبعان مدرسة فكرية واحدة . ويبنى كل فريق رأيه على أساسين : الأول التشابه أو الاختلاف بين الاثنين فى المصطلحات والأسلوب . والثانى التشابه والاختلاف فى الأفكار الأساسية . وكل من الفريقين يستخرج من السفرين ما يؤيد به نظريته . . ويستحسن أن نعرض لكل فريق على حدة وبكل اختصار :

كاتب السفرين واحد : (١) يبنى هذا التشابه فى الاصطلاحات وتركيب الجمل :

| | |
|---|---|
| ١ يوحنا ١ : ٢و٣مع يوحنا ٣ : ١٠ | ١ يوحنا ٣ : ١٦ مع يوحنا ١٠ : ١٥ |
| ١ يوحنا ١ : ٤ مع يوحنا ١٦ : ٢٤ | ١ يوحنا ٣ : ٢٢ مع يوحنا ٨ : ٢٩ |
| ١ يوحنا ٢ : ١١ مع يوحنا ١٢ : ٣٥ | ١ يوحنا ٣ : ٢٣ مع يوحنا ١٣ : ٣٤ |
| ١ يوحنا ٢ : ١٤ مع يوحنا ٥ : ٣٨ | ١ يوحنا ٤ : ٦ مع يوحنا ٨ : ٤٧ |
| ١ يوحنا ٣ : ٥ مع يوحنا ٨ : ٤٦ | ١ يوحنا ٤ : ١٦ مع يوحنا ٦ : ٦٩ |
| ١ يوحنا ٣ : ٨ مع يوحنا ٨ : ١٤ | ١ يوحنا ٥ : ٩ مع يوحنا ٥ : ٣٢ |
| ١ يوحنا ٣ : ١٣ مع يوحنا ١٥ : ١٨ | ١ يوحنا ٥ : ٢٠ مع يوحنا ١٧ : ٣ |
| ١ يوحنا ٣ : ١٤ مع يوحنا ٥ : ٢٤ | |

هذه المتوازيات كافية — كما يقول أصحاب هذه النظرية — لأن تبرهن أن كاتب السفرين هو شخص واحد .

٢ — ويبنون رأيهم أيضاً على التشابه فى التفكير اللاهوتى المتضمن فى هذه الاصطلاحات « النور » ، « الحياة » ، « المحبة ». الحياة الأبدية التى هى ملك للمفديين . . . الحق ، ثم ما يقابلها من الجهة الأخرى : الظلمة ، الموت ، البغضة ، الكذاب . ويتفق الاثنان فى تقسيم الناس إلى فريقين : الذين فى الظلمة والذين فى النور ، الذين فى الموت والذين فى الحياة ، وهكذا . وهذا يدل على أن الكاتب يعرف تماماً ومتمرس فى المتوازيات العبرية والسامية .

ويتفق الكتابان فى استخدام القليل من أدوات الربط والأسماء الموصولة وكذلك فى استخدام تركيبات مثل : هذا . . لكى ، بهذا ، لأجل هذا . . . كل من وهكذا . وهذه جميعها شهادة قوية على أن كاتب السفرين واحد .

أما الذين لا يوافقون على ذلك فيتخذون نفس الطريق مع اختلاف الجمل والشواهد : هناك اختلاف فى الأسلوب . فمع أن الكتابين يظهران لغة صحيحة فى قواعدها إلا أن أسلوب الإنجيل أقوى ، وتنوعه أكثر من الرسالة . فبينما تستخدم الرسالة أفعالا مركبة قليلة يستخدمها الإنجيل بكثرة . . وهكذا من هذا القبيل مما لا نستطيع أن نذكره فى هذه الدراسة أما البرهان الذى يعتبره دود Dodd ذا ثقل خاص فى إظهار الاختلاف بين السفرين فهو المتضمن فى الاختلافات اللاهوتية التى بينهما . وهذه الاختلافات يمكن جمعها تحت عنوانين ، الأول : هو أن رسالة يوحنا الأولى أقرب إلى العقائد المسيحية العامة من الإنجيل . أما الثانى أن الرسالة تتضمن فقرات أقرب كثيراً إلى الغنوسية من إنجيل يوحنا .

وتحت العنوان الأول يعطي دود Dodd مجموعة من العقائد التي تختلف فيها السفران مثل الأسخاتولوجي فيقول إن الرسالة تتمسك بقرب مجيء المسيح الثاني تماما كما كانت تتمسك الكنيسة الأولى في بدء عهدها ، وهذا يختلف عن الإنجيل الذي أعاد تفسير الأسخاتولوجي بكيفية – كما يقول دود – أقرب إلى فكر يسوع منه إلى فكر الكنيسة الأولى البسيط . ولكن رداً على ذلك من يدرس الإنجيل فإنه يجده – رغم أنه طور فكرة الأسخاتولوجي ، ما زال يتمسك بمجيء المسيح والقيامة ( يوحنا ٥ : ٢١ – ٢٩ ، ١٢ : ٤٧ و ٤٨ ) . أما أن الرسالة ركزت على المجيء الثاني أكثر من الإنجيل فذلك لأن الكنيسة وقت كتابتها ، كانت تواجه أزمة عارمة فيها أطل ضد المسيح برأسه وبدأ يظهر مع جنوده ( ١ يوحنا ٢ : ١٨ – ٢٣ ) . وإذا كان الإنجيل يعتبر أن الحياة الأبدية حقيقة حاضرة يختبرها الإنسان الآن ، فالرسالة أيضاً تعلن ذلك ( ١ يوحنا ١١ – ١٣ ) .

ويقول دود إن في مقدمة إنجيل يوحنا يظهر اللوغوص « الكلمة » على أنه شخص يشير إلى الابن الوحيد أما في الرسالة فإن « الكلمة » تعني شيئاً لا شخصياً . . إنها كلمة الحياة ( ١ يوحنا ١ : ١ ) . قد يكون هذا صحيحاً ، ومع ذلك فإن مقدمتي الإنجيل والرسالة تتفقان بكيفية تجعل من هذه الملاحظة ضعيفة التأثير على النتيجة .

ويقول : إن البارقليط في الإنجيل هو الروح القدس . إنه المعزي الذي يرسله المسيح ( يوحنا ١٤ : ١٦ ) أما في الرسالة فإن هذا اللقب يعطى للمسيح البار الذي هو شفيع في السماء والأرض ( ١ يوحنا ٢ : ١ ) . ولكن هذا لا يشهد ضد وحدة الكاتب . لأن الروح القدس هو بارقليط أو معزي آخر . فكلا الاثنين المسيح المقام والروح القدس شفيع ومعزي ( يوحنا ١٤ : ١٦ ) .

ويقول : إن الإنجيل الرابع يظهر أن يسوع المسيح هو النور الحقيقى . نور الناس ونور العالم ( يوحنا ١ : ٤ و ٩ ، ٨ : ١٢ ) . أما فى الرسالة فإن الله هو نور العالم . ( ١ يوحنا ١ : ٥ ) . ولكن ما هو التناقض فى هذه الحقائق؟ أن الله هو النور والمسيح هو النور .

ويقول : إن موت المسيح قد فسرت الإنجيل الرابع على أنه تمجيد للمسيح ورفعه إلى أعلى ( يوحنا ١٢ : ٢٣ — ٢٦ ) وهذا لا يظهر فى الرسالة أبداً . إن موت المسيح فسرته الرسالة على أنه كفارة ( ١ يوحنا ٢ : ٢ ، ٤ : ١٠ ) وأنه يظهر الحياة ( ١ : ٧ ، ٤ : ٩ ) . ولكن الرد على ذلك هو أن موت المسيح فى الرسالة كان موضع مناقشات ومجادلات يظهر فيها الكاتب فائدة موت السيد للناس فى الخلاص . أما فى الإنجيل فإنه يتكلم عن موت المسيح بالنسبة له هو شخصياً . وهل يغفل الإنجيل الجانب الخلاصى فى موت المسيح ؟ كلا فغضب الله يأتى على غير المؤمن ( يوحنا ٣ : ٣٦ ) والمسيح هو المخلص أنظر ( يوحنا ١ : ٢٩ ، ٣ : ١٤ — ١٦ ، ٦ : ٥١ ، ١٠ : ١١ و ١٥ ، ١١ : ٤٩ — ٥٥ ، ١٢ : ٢٤ — إلخ ) .

إن هذه الاختلافات فى التعبير وليست فى أصل الفكر نفسه ، ولا يدل هذا على اختلاف الكاتب بقدر ما يدل على اختلاف الموقف الذى كتب فيه اختلاف الهدف والوقت والذين كتب لهم . . وهكذا . .

أما الأمر الثانى الذى يورده دود Dodd فهو أن الرسالة أقرب إلى الغنوسية أكثر من الإنجيل وهذا لا يمكن إنكاره ، لأن الرسالة تستخدم اصطلاحات ربما جاءت على لسان الغنوسيين مثل ما جاء فى ( ١ يوحنا ١ : ٥ ، ٣ : ٩ ، ٢ : ٢٠ و ٢٧ ) . ولكن الرسول يضع فيها معنى أعمق . فإذا

قال إن « الله نور » فهذا لا يعنى أنه يضع تعريفاً لله ولكنه يعنى إعلان الله لنفسه محباً وقدوساً . وكذلك إذا أظهر الكاتب فى ١ يوحنا ٣ : ٢ معنى الشركة والوحدة مع الله فإنه لا يقصد بذلك ذلك المفهوم الضحل الذى كان الغنوسيون يتبنونه ولكنه يذكر تلك البركة والشركة الكاملة التى يصل إليها المؤمن ويتمتع بها فى المستقبل . . إنه رجاء .

من هذا نعلم أنه لا يمكن القطع بأن كاتب السفرين هو شخص واحد مع أنه رأى أكثر ترجيحاً من غيره بل هو أقرب إلى الحقيقة . . وإلا فإن كان كاتب الرسالة شخصاً آخر غير كاتب الإنجيل فلا بد أن واحداً كان يقلد الآخر ويتبع آثاره .

## انجيل القديس يوحنا ورسائله

يبنى إنجيل يوحنا على أساس أقسام ثلاثة : القسم الأول وهو المقدمة ويتضمنها الأصحاح الأول ، أما القسم الثانى فقد اتفق العلماء على تسميته بكتاب الآيات وتتضمنه الأصحاحات ٢ — ١٢ وهو الذى يحتوى على خدمة يسوع الجهارية ، أما القسم الثالث فهو من ص ١٣ إلى آخر الكتاب ويسمونه كتاب التمجيد. هذا التقسيم لم يبن على نوع من التسلسل أو التطور التاريخى أو اللاهوتى أو الفكرى ، ولكنها فكرة المؤلف نفسه التى سوف تتضح لنا عندما ندرس محتويات الكتاب ورسالته .

**أولا : المقدمة :**

وهى كما سبق القول متضمنة فى الأصحاح الأول من الإنجيل ، وتنقسم هذه المقدمة إلى قسمين : القسم الأول : البدء ( ١ : ١ — ١٨ ) ثم الثانى الاعتراف العظيم ( ١٩ — ٥١ ) .

**البدء :**

فى البدء كان الكلمة . . هذا الجزء نظراً لترتيب الكلمات ، وللايقاع الموجود فى النص يعتبر قصيدة شعرية ، وضعها الإنجيلى فى مقدمة إنجيله . ويرجح كثير من العلماء أنها ترنيمة كنسية كانت الكنيسة تقدمها للابن الكلمة ويجرى ترتيب الكلمات كالآتى :

ع ١ الكلمة . . الكلمة . . الله . . الله . . الكلمة ع ٤ و ٥ الحياة . . الحياة . . النور . . النور . . الظلمة . . الظلمة . . ع ٦ — ٨ : الشهادة . . الشهادة .. النور .. النور .. الشهادة ..النور ع ١١ و١٢ :خاصته .. خاصته يقبلونه . . قبلوه ، ولقد قيل إن القديس يوحنا نفسه هو الذى نظم هذا الشعر وقيل إن الكنيسة نفسها هى التى نظمته تمجيداً فى الابن . . وقيل إن القصيدة كانت أصلا قصيدة هيلينية رواقية أخذها أحد المسيحيين وحولها إلى قصيدة مسيحية ، وقيل إنها بنيت على أساس أمثال ٨ : ٢٢ — ٣١ . . ولندع العلماء يخمنون ويفكرون فى أصل القصيدة سواء أكانت قصيدة خارجية حولت إلى مسيحية أم نظمها القديس يوحنا ولنرى ماذا تقول :

١ — ظن بعض المفسرين أن هذه المقدمة هى جزء منفصل عن الإنجيل ، ونقصد بالانفصال هنا أنها مقدمة كتبها الكاتب ولم يرجع إليها مرة أخرى . وقيل إن الكاتب كتبها بعدما انتهى من كتابة الإنجيل . لكن الحقيقة غير ذلك ، فهذه المقدمة هى الموضوع الرئيسى للانجيل ، بل هى الملخص الوافى للانجيل ، وبقية الإنجيل شرح مفصل لهذه المقدمة . فإذا أخذنا الأعداد من ( ٦ — ١٣ ) فإننا نجد أن الكاتب ينظر إلى إنجيل المخلص الذى تجسد فى حياته وعمله : فالنور الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . . إنه الذى كون العالم وخلقه مع أن العالم لم يعرفه . . وعندما جاء إلى خاصته لم يقبله الذين كانوا

له ، وكان مفروضاً أن يقبلوه . . ولكن غيرهم قد قبله فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . . المولودين منه المؤمنين باسمه ، هذا هو كل الإنجيل .

زد على ذلك فإن هذه المقدمة تحتوى على مفاتيح الإنجيل كله . ففيها كل الاصطلاحات الرئيسية التى جرى شرحها فيه : النور . . الحياة . . الحق . . النعمة ( مع أن هذه الكلمة لم تجئ إلا فى المقدمة ) . الولادة الجديدة . وما يقابل ذلك . الظلمة . . وغير ذلك . فإذا قلبنا صفحات الإنجيل نجد أن يسوع هو نفسه النور : نور العالم ( ٩ : ٥ ) . وهو خبز الحياة . . بل هو الحياة ( ٦ : ٣٥ ، ١١ : ٢٥ ) وهو أيضاً الحق ( ١٤ : ٦ ) وهكذا . فمع أن هذه المقدمة لم تكرر ولكنها تحتوى كل الإنجيل .

٢ ــ لم يعط القديس يوحنا تعريفاً لذلك الاصطلاح ــ الكلمة ــ قال «فى البدء كان الكلمة .ولم يحددمعناه لكى يبنى عليه إنجيله بعدذلك، كلا لم يفعل ذلك . لأن الإنجيل لم يبن على مفاهيم عقلية ، أو اصطلاحات أخذت من هنا وهناك . على العكس من ذلك تماماً . إن هذا الاصطلاح ــ ليكن مصدره ما يكون ــ سواء من اليهودية أو من اليونانية قد أخذه القديس وفرغه من معناه الأصلى لكى يملأه بالمعنى الجديد ، ليس معنى فلسفياً كما كان من قبل ، ولكن بحياة يسوع نفسه . فيسوع المسيح هو الكلمة لأنه هو الذى تكلم كلمة الله النهائية بل هو كلمة الله القوية الذى خلق كل شئ ، ( ١ : ٣ ) والذى أعطى الحياة للناس ( ١ : ٤ ) والذى أعطاهم النور ( ١ : ٤ و ٩ ) والذى أعطى النعمة والحق ( ١ : ١٧ ) وهو ــ فوق كل شئ ــ الذى أعلن الله نفسه ( ١ : ١٨ ) . فهذه « الكلمة » لم تحدد معنى المسيح بل هو الذى حدد معناها وأعطاها مفهومها لأنه هو الذى عاشها وحققها فى حياته .

٣ ــ إن كان العلماء قد اتفقوا على أن القديس يوحنا قد أخذ هذا

الاصطلاح من مصدر خارجى مع أنهم اختلفوا عمن يكون هذا المصدر : اليهودية أم اليونانية لكنهم نسوا شيئاً آخر هو فى الحقيقة الهدف الأساسى الذى يقصده الإنجيلى . إن استعارته لهذه الاصطلاحات لم تكن للتقليد ، ولم تكن لمحاولة تقريب الإنجيل إلى العقول وتحويله إلى نسخة أخرى مما كان سائداً فى ذلك العصر لكسب شعبية كبيرة لهذا الدين . كلا ، إنه على العكس من ذلك كان تحدياً صارخاً وصل إلى حد العثرة لليونانيين واليهود معاً .

فهو تحد لليونانيين : إن « الكلمة » عند اليونانيين على اختلاف مذاهبهم لم يزد على كونه فكرة سواء أكانت فكرة فى عقل الله أم كلمة مقولة . ولعل أهم مظهر لها هو الحياة العقلية للانسان وذلك إلى جانب تغلغلها فى الطبيعة كلها بل الكون كله . ومع ذلك فإن الكلمة ما زالت فكرة ، وفكرة منفصلة عن المادة وأنها تتغلغل فى كل جزء من الطبيعة ، فهل عندما يجئ يوحنا بتلك العبارة الهائلة التى تمثل حقيقة تاريخية ملموسة ومشهود لها « والكلمة صار جسداً » ( ١ : ١٤ ) . هل نظن أن اليونانيين يقبلونها هكذا ؟ إنهم رفضوها بل إنهم لا يتخيلونها أبداً . إنهم يعتقدون أنها جهالة ، فإن اليونانى لن يتخيل أن السماوى أو الأسمى والأعلى يدخل فى الأشياء السفلى الأرضية ، والمثالى لن يتحول إلى الصورة الأرضية التى لا تتصل بالكمال ولا تعرفه . إن الاثنين لا يمكن أن يتصلا معاً . إنها فى نظر اليونانى جهالة أن يفكر يوحنا هكذا . وحتى إذا انتقلنا إلى الفلسفة الرواقية التى تعتقد أن الكلمة « اللوغوس » وهو المبدأ العقلى قد تغلغل فى الطبيعة والإنسان ، وأن الهدف الأعظم للانسان هو أن يكون واحداً مع هذه الطبيعة التى هى التعبير الفعلى « للوغوس » . حتى هذه الفلسفة لا يمكن أن تقبل ما يقوله يوحنا عن «اللوغوس» الذى صار جسداً ، لا لكى يتدخل فى الطبيعة ويصبح واحداً فيها ومعها كما يقولون .

ولكنه يقابلنا فى شخص اسمه يسوع الناصرى . إن القديس يوحنا يعبر عن ذلك بكل قوة « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه ( ١ : ٩ ) . إن النور والحياة لم تنتشر فى الطبيعة وتصبح واحداً فيها ومعها ولكنها تركزت فى ذلك الإنسان . فيه صار الحق والنعمة . وعلى هذا فالطبيعة ليست هدفنا والاتصال بها والفناء فيها لا يمكن أن يعبر عن حياتنا . . إنما الحياة والنور والمعرفة . إنما النعمة والحق فى هذا الشخص بذاته . الذى ظهر فى ذلك الوقت عينه وفى ذلك المكان المحدد ولمسته أيدينا ورأته عيوننا . نعم رأيناه فى ذلك الإنسان حتى فى ضعفه وجوعه وعطشه وموته . . هناك الحياة . . إنها غباوة بالنسبة لليونانى . . ولكنها الحقيقة . . إنها الاختبار » .

ولم يكن تحد لليونانيين فقط ولكن لليهود أيضاً . . لقد كان عثرة لهم . لقد كانوا ينتظرون المخلص والخلاص ولقد قسموا الوقت إلى « هذا الدهر » ثم « تلك الأيام » التى فيها يأتى المسيا ويعلن للجميع أن اليهود هم شعب الله . . ذلك سيكون بمثابة خروج جديد لهم أو قيامة من الأموات . هذا الانتظار يقول عنه الإنجيل الرابع أنه قد جاء . . إن « تلك الأيام » أصبحت الآن . . لقد أعلن الابن الله الآب ( ١ : ١٨ ) القيامة الجديدة قد حدثت ( ٥ : ٢٥ — ٢٨ ) الجديد قد جاء الآن . إن وقت الخلاص قد حضر . . هذا شىء لا يمكن أن يصدقه يهودى . . . وكم تعثروا عندما سمعوا يسوع يعلن ذلك ( ٢ : ١٨ ، ٣ : ٤ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٤١ و ٥٢ ) . . إلخ .

زد على ذلك أن اليهودى إذا قرأ هذه المقدمة ووجد أن الكاتب قد نسب إلى هذا الشخص ، يسوع الناصرى ، ما نسبه الحكيم إلى الحكمة ( أمثال ٨ : ٣٥ و ٣٦ ) من مجد ، لأنها كانت أداة الله فى الخليقة ، فإنه يعثر ، فكيف

ينسب ذلك إلى شخص تاريخي ؟ إن الحكمة فى حقيقتها هى الناموس نفسه فالناموس أبدى كامل له السلطة العليا فى الديانة . . إنه الحكمة فى كمالها . . فهل يمكن أن يكون يسوع الناصرى ابن مريم هو السلطة العليا والنهائية فى الديانة ؟ ( ١ : ١٧ و ١٨ ) ، إنه أعظم من الناموس نفسه وهذا لا يمكن أن يعرفه يهودى أو يؤمن به . . إنها عثرة له ؟

إن المقدمة لا تنسب إلى يسوع أنه حكمة الله فقط بل أنه كلمة الله أيضاً . . إنه هو الذى أعلن الله للشعب وللأنبياء . ولكن هذه الكلمة رفضت . . رفضها الشعب من قديم ( إشعياء ١ : ٣ ) وهذا نفسه قد حدث فى هذا العصر ، إذ جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله ، أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله ( يوحنا ١ : ١١ و ١٢ ) . . هل يقبل اليهودى ذلك ؟

بل أن العالم كله يهتز عندما يسمع المقدمة « فى البدء كان الكلمة . . والكلمة كان الله . . والكلمة صار جسداً وحل بيننا . . » فى يسوع الناصرى . . . من يستطيع أن يقبل ذلك ؟

من هذا كله نرى أن الإنجيلى لم يقتبس من اليونانيين ولا من اليهود ولا من أى فكر عالمى ، لأن ما يقوله يقف أمام العالم كله وجهاً لوجه ، متحدياً إياه أن يقبل هذا الذى لم يستطع أن يتوصل إليه بعقله ، ولن يستطيع أن يفهمه ، ولكنه يستطيع أن يؤمن به لأنه يستطيع أن يختبره .

**الشهادة :**

أما الجزء الثانى فى هذه المقدمة فهى الشهادة.وإن شئت التدقيق فقل الشاهد الأول للسيد وهو يوحنا المعمدان ( ١ : ١٩ — ٥١ ، ٣ : ٢٧ — ٣٦ ) وفى هذا الجزء نرى الأمور التالية :

١ — لو قارنا هذا الجزء بما قاله مرقس مثلا لوجدنا هناك فرقاً واضحاً فى قصة يوحنا المعمدان ، فإنجيل مرقس والإنجيلان الآخران يذكران شيئاً عن رسالة يوحنا المعمدان وعن كرازته . ثم معمودية المسيح على يديه ، وأخيراً مجئ المسيح إلى الجليل بعد أن أسلم يوحنا المعمدان (مرقس ١ : ١٤ ، متى ٤ : ١٢) .

أما يوحنا فإنه يذكر للسيد خدمة سابقة على القبض على المعمدان ، فهو يدعو تلاميذه بعد معموديته من يوحنا ، ثم يذهب إلى الجليل « قانا الجليل » ويصنع أول آية هناك ، ثم يذهب إلى أورشليم مرة أخرى ، وينظف الهيكل من الباعة والتجار والصيارف ، ثم يناقش نيقوديموس ، وكان يعمد مع تلاميذه كل ذلك وكان يوحنا لا زال حراً طليقاً يعمد ، ولم يكن قد أسلم بعد ، بل أنه يشهد له شهادة قوية ( ص ١ — ٣ ، أنظر ٣ : ٢٤ ) . وقد ذهب بعد ذلك إلى الجليل ( ٤ : ١ ) . هنا فترة لم نعرف عنها شيئاً فى الأناجيل الأخرى ، ولسنا ندرى لماذا لم يذكرها مرقس . ولكن من إنجيل يوحنا نعلم أن أناساً كثيرين كانوا يأتون ليس فقط إلى يوحنا المعمدان ليعتمدوا بل إلى يسوع أيضاً ، ولعل أناساً أرادوا أن ينتهزوا هذه الفرصة لكى يوجدوا نوعاً من التنافس والتحزب بين يسوع ويوحنا وهذا يظهر فى ٣ : ٢٥ و ٢٦ ، ٤ : ١ ؛ وهذه الفترة قد تفسر الاستمرار الطويل لخدمة يوحنا المعمدان فى تلاميذه والذين تبعوه . ولعل هؤلاء الذين كانوا يتبعون يوحنا فى أفسس وفى غيرها (أعمال ١٩ : ١ — ٧) ، كانوا يظنون أن يوحنا هو المسيح نفسه ( لوقا ٣ : ١٥ ) ولهذا عاشوا على معموديته . والسيد نفسه كان يعطى ليس فقط ليوحنا المعمدان بل لمعموديته أيضاً مركزاً سامياً مرتبطاً بخدمته هو وبسلطانه هو (مرقس ١١ : ٢٧ — ٣٣) .

٢ — على الأساس السابق نبنى تفسيرنا للطريقة التى بها يعامل الإنجيلى يوحنا خدمة يوحنا المعمدان ورسالته . إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تظهر الجانب الوعظى من رسالة يوحنا . إنه كان يبشر بأعمال الصلاح . . بالتوبة لغفران الخطايا . وبمجموعة من الأعمال الصالحة للجماعات المختلفة ( مرقس ١ : ٤ و ٥ ، متى ٣ : ٧ — ١٠ ، لوقا ٣ : ٧ — ١٤ ) . أما إنجيل يوحنا فإنه أغفل هذا بتاتاً وجعل كل كرازة يوحنا المعمدان تتركز فى الشهادة للمسيح . إنه جاء للشهادة ليشهد للنور ( يوحنا ١ : ٧ و ٨ ) . أنكر بشدة أنه المسيح ولا إيليا ولا النبى ، إنه فقط الشخص الذى يعد الطريق للسيد كما قال إشعياء ١ : ١٩ — ٢٣ . ومعموديته هى الإعداد والتوجيه لذلك الآتى الذى لا يستحق هو أن يحل سيور حذائه ( ١ : ٢٥ — ٢٨ و ٣١ ) وذكر إنجيل يوحنا عنصراً هاماً لم تذكره الأناجيل الأخرى فى الشهادة للمسيح : وهو أنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم ( ١ : ٢٩ و ٣٦ ) . إنه عرف أنه المسيح بواسطة العلامة التى أعطاها له الله ، وهى أن الروح قد نزل واستقر عليه ( ١ : ٣٣ ) . فهو إذن ابن الله ( ١ : ٣٤ ) . وهو الذى يجب أن يتبعه الجميع حتى تلاميذه هو ( ١ : ٣٧ ) . إنه ، أمام هذا العظيم . يجب أن ينقص وأن ذاك يزيد لأنه ليس العريس بل صديقه ، ويجب أن تكون العروس للعريس ( ٣ : ٢٧ — ٣٦ ) هذا هو فرحه الكامل .

هذه الشهادة كلها لكى تقنع أولئك الذين كانوا يظنون أن يوحنا هو المسيح ، وأنه أعظم من يسوع الناصرى ، لأنه جاء قبله وأنه عمده . بأن يوحنا ليس المسيح بحسب شهادته . وهو وإن كان قد جاء بعده لكنه فى الحقيقة كان قبله وأعظم منه . ومعمودية يوحنا نفسه كانت شهادة وإعداداً له . ومتى جاء هذا الآتى بطل ذلك التابع وصار له . ونلاحظ أيضاً أن متى كان يواجه نفس المشكلة ولذلك نبر على قول يوحنا المعمدان للمسيح عند المعمودية : « أنا

محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى ( متى ٣ : ١٤ ) . وبهذا كان يوحنا هو الشاهد الأول والأعظم للسيد .

٣ — وقد اقتفى أثر يوحنا المعمدان فى شهادته للمسيح كثيرون : اندراوس تلميذ المعمدان نفسه عندما وجد أخاه سمعان وقال له بعد أن مكث مع السيد يوماً كاملا : قد وجدنا المسيا » ( ١ : ٤١ ) . وشهد فيلبس لنثنائيل عنه أنه هو الذى تمم نبوات موسى فى الناموس ثم نبوات الأنبياء ( ١ : ١٤ و ١٥ ) . وأخيراً شهد له نثنائيل وكانت هذه قمة الشهادات « يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل » ( ١ : ٤٩ ) . هذه الشهادات المتتالية قد يكون فيها بعض التطور : فمن معلم إلى المسيا إلى من كتب عنه موسى والأنبياء وأخيراً ابن الله . ولكن سواء أكان هذا تطوراً أو لم يكن فإن الشئ الواضح هو أن إنجيل يوحنا يختلف عن بقية الأناجيل فى أن الاعتراف بالمسيح جاء منذ البداية . فإنجيل مرقس ومتى يظهران اعتراف التلاميذ « بمسيانية » يسوع بعد مدة طويلة من خدمته وبالتحديد فى قيصرية فيلبس ( متى ١٦ : ١٦ ، مرقس ٨ : ٢٩ . . ) ، مع أن لوقا يذكر هذا الاعتراف دون أن يذكر الإطار التاريخى لها ( لوقا ٩ : ١٨ — ٢٢ ) . أما إنجيل يوحنا فيبدأ بالمسيح المسيا ابن الله ويبدأ السيد خدمته بهذا المفهوم ، ليس فقط أمام التلاميذ ، بل أمام الجميع . وفى هذا الإنجيل أيضاً لا نسمع السيد أبداً يطلب من تلاميذه أو من أى إنسان أن لا يفصح عن هوتيه ، كما فعل فى إنجيل مرقس مثلا ( مرقس ١ : ٣٤ و ٤٤ ، ٣ : ١٢ ، ٥ : ٤٣ ، ٩ : ٩ . . إلخ ) .

هذا الأمر يوضح لنا حقيقة أن يوحنا لم يكن يهدف أن يكتب قصة مرتبة ترتيباً تاريخياً عن يسوع ، بل كان قصده أن يظهر يسوع المسيح ابن الله موضوع الإيمان ونبع الحياة ، وذلك بإظهار بعض الحوادث التاريخية فى

حياته . . ( ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ) . فطوع المواقف التاريخية للهدف اللاهوتى ، بمعنى أنه اختار مجموعة من الآيات العملية والأعمال والخطابات لكى يكشف بها هدفه السامى ، فى أن يسوع المسيح هو ابن الله . ويعتقد كثير من العلماء أن البشير يوحنا ذكر قصة الهيكل والباعة مبكراً جداً لأنه أراد أن يوضح أن السيد كان يواجه اليهود كابن الله . . المسيا الذى جاء إلى هيكله ، إنه لم يهتم بالتاريخ الذى حدثت فيه هذه الحادثة بقدر ما كان يهتم بمعناها وما أدت إليه . . إن السيد بدأ وله هدف سام أن يقيم هيكلاً جديداً . . شعباً جديداً للرب . .

* * *

هذه هى المقدمة وفيها نرى الإنجيلى يبدأ بالإعلان « من هو المسيح » هو الكلمة الذى حل بيننا . الذى رأينا مجده مجد وحيد الآب مملوء نعمة وحقاً . . إنه المسيا ابن الله الذى أعلن الآب فهو الحق والحياة .

**ثانياً – كتاب الآيات : ( ص ٢ – ١٢ ) :**

لماذا سمى هذا الجزء من إنجيل يوحنا بكتاب الآيات ؟ سمى كذلك لأن فيه تنتشر مجموعة من الآيات التى قام يسوع بعملها . وفى الحقيقة هناك سبع آيات بالتحديد وهى :

تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل ٢ : ١ – ١٢

شفاء ابن خادم الملك ٤ : ٤٧ – ٥٤

شفاء مشلول بيت حسدا ٥ : ١ – ١٦

إشباع الخمسة آلاف ٦ : ١ – ١٤

المشى على الماء ٦ : ١٥ – ٢١

فتح عينى الرجل المولود أعمى ٩ : ١ — ١٧

إقامة اليعازر من الأموات ١١ : ١ — ٤٤ .

وهذه هى كل القوات العظيمة التى ذكرها إنجيل يوحنا مع أن الكاتب المقدس يقول فى صراحة إنه اختار هذه الآيات فقط من بين آيات كثيرة صنعها يسوع ولم تكتب فى الكتاب . ومع ذلك فهذا الجزء ( ص ٢ — ١٢ ) لم يقتصر فقط على ذكر هذه الآيات ولكنه يحتوى على مجموعة من القصص أو الأحداث Episodes مثل قصة يوحنا المعمدان عند عين نون قرب سليم ( ٣ : ٢٣ — ٢٦ ) وتطهير الهيكل ( ٢ : ١٣ — ١٦ ) ، والمرأة السامرية ( ٤ : ١ — ٨ ) ، وظهور المسيح فى عيد المظال فى أورشليم ، ( ٧ : ١ — ١٦ ) ومجئ اليونانيين ليروا يسوع ( ١٢ : ٢٠ — ٢٣ ) .

وأحياناً يتصل بالآية أو القصة خطاب طويل أو قصير ، فمثلا بعد آية شفاء الرجل المشلول فى بركة بيت حسدا نجد خطاباً للمسيح ( ٥ : ١٧ — ٤٧ ) وبعد قصة ظهور السيد فى الهيكل فى عيد المظال نجد خطاباً طويلاً ( ٧ : ١٦ — ٥٢ ؛ ٨ : ١٢ — ٢٩ ) . وقد نجد بعدها حواراً فمثلا فى قصة المرأة السامرية نجد حواراً بين السيد والمرأة ( ٤ : ٩ — ٣٨ ) ، وكذلك بعد آية تفتيح عينى الرجل المولود أعمى ( ٩ : ٨ — ٤١ ) . وقد يصحب القصة حوار صغير مثل تطهير الهيكل ( ٢ : ١٣ — ١٦ ) ، وقد تأتى الآية بدون أى حوار أو خطاب مثل آية تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل . ( ٢ : ١ — ١٢ ) .

ومع ذلك فإن هذا الجزء من الكتاب ينقسم إلى سبعة أقسام ترتبط كلها معاً برباط واحد وهو إعلان شخصية ابن الله من خلال عمله ، سواء أكان آية أو خطاب أو حوار . فكما أن الكاتب المقدس أراد أن يعلن لنا السيد فى

الأصحاح الأول من خلال ذكر هويته أى من هو ، أراد هنا أن يجعل مجده يشع من خلال عمله ، تماماً كما قال فى ٢ : ١١ « هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » ( أنظر ١١ : ٤٢ ) . ولأجل ذلك سوف نمر مروراً بسيطاً على هذه الأقسام السبعة التى فيها ترتبط القصة أو الآية بالحوار أو الخطاب فتكون نقطة البداية لما أراد أن يقوله السيد للجموع ، ليعرفوا من هو ، أى أن السيد يعمل الآية ثم يشرح معناها ليس بالنسبة للمريض أو الميت مثلا ، ولكن معناها بالنسبة له هو ولرسالته . وهكذا يفعل بالقصة ، وبذلك تكون القصة أو الآية المناسبة التى فيها يكشف السيد عن نفسه .

( أ ) البداءة الجديدة : ( ٢ : ١ – ٤ : ٤٢ ) .

هذا هو القسم الأول من الأقسام السبعة التى يتألف منها كتاب الآيات . وفى هذا القسم يعلن السيد أنه يقيم عصراً جديداً كله جديد وكل ما يتعلق به أيضاً جديد . وهذا يظهر فى :

١ – نظام جديد : ( ٢ : ١ – ١١ )

وهذا يظهر فى الآية التى قام بها فى قانا الجليل ، إذ حول الماء إلى خمر فى ذلك العرس . وقيمة الآية أنها تعلن أن نظاماً جديداً قد أتى به السيد . وهذا الجديد هو أن ديانة النعمة والحق قد حلت مكان ديانة الناموس . فوجود الأجران الستة ومافيها من ماء كانت تمثل كل ماتمثله الديانة اليهودية من طقوس للتطهير الخارجى والأعمال الطقسية التى كان يقوم بها كل يهودى ليصير باراً على حسب ما كانوا يعتقدون . ولكن بدلا من هذا الماء وضع السيد الخمر الذى يمثل الفرح والسرور . وهذا ما يؤكده السيد بنفسه فى متى ٩ : ١٧ ، مرقس ٢ : ٢٢ . وهو الذى يعلن أيضاً أنه هو الكرمة

الحقيقية ( يوحنا ١٥ : ١ ) . ومعروف أن الكرمة هى أصل الخمر . وعلى هذا الأساس نعرف أن الآية الحقيقية تعنى النظام الجديد الذى جاء به المسيح : لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا ( يوحنا ١ : ١٧ ) . فجد المسيح الذى رآه تلاميذه ليس فقط عمل معجزة ولكن النظام الجديد الذى جاء . . النعمة والحق .

**٢ – هيكل جديد ( ٢ : ١٣–٢٢ )**

فى هذه القصة أيضاً نجد العنصر الثانى الجديد . فبعد أن طهر السيد الهيكل نطق بعبارتين : الأولى « لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » ( ٢ : ١٦ ب ) وهى غالباً مأخوذة من زكريا ١٤ : ٢١ . لأن كلمة كنعانى معناها أو قد تترجم « بتاجر » . أما العبارة الأخرى فهى بعد أن تحداه اليهود وقالوا « أية آية ترينا حتى تفعل هذا » ( ٢ : ١٨ ) فقال لهم السيد « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » ( ٢ : ١٩ ) . كما هى العادة لم يستطع اليهود أن يفهموا قول السيد وإشارته فظنوه أنه يتكلم عن الهيكل ذاته ، الذى طهره . أما هو ، كما يقول الكاتب المقدس فكان يشير إلى هيكل جسده . إن اليهود كانوا يطلبون آية ولكن يسوع لم يعطهم آية بل جعل الآية فى نفس ما فعله . . فى نفس الحادثة . تماماً كما حدث بعد إشباع الآلاف فقد طلبوا منه أيضاً آية ، ولكنه لم يفعل بل حول نظرهم إلى ما فعل هو ومعناه الحقيقى . ففى حادثة تطهير الهيكل أشار لهم إلى المعنى العميق لتطهير الهيكل ، إنه ليس تطهير القديم ولكنه الجديد . . الهيكل الجديد . . هيكل جسده . إن موت المسيح وقيامته لا يتعلق به هو فقط ولا بجسده المباشر فقط بل بجسده الكامل أى الكنيسة ، إنه يبنى هيكلا جديداً يسكن فيه الله . .

وهكذا صارت حادثة تطهير الهيكل مثل آية قانا الجليل دليلا على النظام والهيكل الجديد الذى أقامه السيد . . الديانة المسيحية وشعبه أو جسده الجديد .

**٣ - ولادة جديدة : (٣ : ١ - ١٣) .**

هذه الحقيقة تظهر فى مقابلة المسيح لنيقوديموس الذى جاء إليه ليلا وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين الأول ( ٣ : ١ - ١٣ ) وهو حوار بين الاثنين : أما الثانى فهو خطاب ( ١٤ - ٢١ ) . وفى هذا الجزء يظهر اصطلاح « ملكوت الله » لأول مرة فى الإنجيل ، ولا تظهر بهذه الكيفية فى مكان آخر . وملكوت الله هو الاسم الذى أعطاه السيد للنظام الجديد الذى أعلنه كما ظهر ذلك فى آية قانا الجليل . وفى هذا الجزء يكشف السيد النقاب عن الكيفية التى بها يستطيع الإنسان أن يدخل هذا النظام الجديد أو ملكوت الله . وذكر ذلك لمعلم اليهود العظيم نيقوديموس فقال له «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » ( ٣ : ٣ ) . وفى هذا الموقف يمثل نيقوديموس كل الشعب اليهودى الذى استغلق عليه شخص السيد ورسالته لأنه كان يتمسك بالمظاهر والجسديات فقط . ولذلك أراد السيد أن يخبره أن أعمال الناموس والطقوس لا يمكنها أن تدخله ملكوت الله ، فدخول الملكوت هو عمل الله بروحه القدوس ، وبغير ذلك لا يستطيع أن يرى الإنسان ملكوت الله ، وهل يستطيع اليهودى المتمسك بالطقوس أن يفهم ذلك؟ ولهذا فهو يتساءل بكل حيرة : كيف يمكن أن يكون هذا ( ع ٩ ) ؟ وهنا يكشف له السيد أن هذا كله مرتبط ارتباطاً تاماً بإرساليته ، إنه هو الذى أعلن الله المخلص ، الله الذى أحب العالم وأحبه فى ابنه ، ولهذا فهذه الولادة وهذه الرسالة الجديدة هى فى المسيح يسوع وفى إرساليته ، إنه هو المخلص وأنه الديان فى نفس الوقت إنه إعلان الله للناس وإعلان الناس

لأنفسهم ، فهو مخلص لمن يقبله ويقبل ذبيحة الله فيه وديان لمن رفضه ».
ولكن ما هى الولادة الجديدة التى يتكلم عنها السيد ؟ يجب أن نفهم ذلك فى ضوء الأعداد اللاحقة « وكما رفع موسى الحية فى البرية . . . هكذا أحب الله العالم . . » ( ١٤ – ١٧ ) ، وكذلك فى ضوء ما قيل فى ١ : ١٢ و ١٣ « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه الذين ولدوا لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» فالتفسير الصحيح للولادة الجديدة هى الإيمان باسم المسيح وصيرورة الإنسان ابناً لله . فهى ليست تغييراً فى شخصية الإنسان وبنيته ولكنها تغيير فى موقفه ومركزه . هذه هى الولادة الجديدة التى بها ندخل ملكوت السموات. ألم يقل السيد فى كرازته «قد كمل الزمان واقترب ملكوت السموات فتوبوا وآمنوا بالإنجيل ؟ ( مرقس ١ : ١٥ ) .

٤ – عبادة جديدة : ( ٤ : ١ – ٤٢ ) :

فى هذا الجزء يعلن السيد عبادة جديدة أو إن شئت فقل « كيفية القرب إلى الله وعبادته » التى تليق به . وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين كبيرين : حوار المسيح مع المرأة السامرية ثم حواره مع تلاميذه ( ٤ : ٨ – ٢٦ ، ٣١ – ٣٨ ) . وفى الحوار الأول يتخذ الماء أيضاً مكانته : ففى قانا الجليل كان يمثل النظام القديم الأقل قيمة وعملا ، وفى الحوار مع نيقوديموس كان يمثل معمودية الماء ، أما هنا فهو يمثل الحياة الأرضية بكل ما يتصل بها . هنا فى هذه القصة يقول السيد إنه يعطى الماء الحى . وقد ظنت المرأة أن الماء الحى هو هو الماء الجارى وهو أعذب وأنقى من هذا الماء المخزون فى البئر . ولكن المسيح كشف لها عن نوع آخر من الماء ينبع إلى حياة أبدية . وهنا يتكرر موقف الجهل الذى أظهره نيقوديموس فى عدم تفهمه للعنصر الجديد الذى

يدخل إلى مفهوم الحياة الروحية . فكما أظهر هذا الرجل جهلا فى معنى الولادة الجديدة ، أظهرت المرأة السامرية جهلا بالماء الحى . وإلى جانب ذلك واجهت المرأة الدينونة التى يختبرها كل إنسان فى مواجهة المسيح ، عندما قال لها « كان لك خمسة أزواج » ( ٤ : ١٦ — ١٨ ) . لم يكن قصد السيد أن يكشف سر المرأة ولكنه كان يريد أن يكشف سر الديانة التى تمثلها ، ديانة زنت بعيداً عن الإله الحى ، وتبنت عناصر غريبة جلبتها من كل مكان ، ومع ذلك تفاخر بها فى مواجهة ابن الله ، وهى « لا تعرف من الذى يكلمها » وفى هذا الموقف أعلن السيد عن عبادة جديدة فى الحياة الروحية لم يعرفها الإنسان من قبل ، إنها عبادة لا تهتم بأورشليم ولا تتوقف على جبل جرزيم ، عبادة حقيقية « ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » ( ٤ : ٢٣ و ٢٤ ) هذه هى العبادة الجديدة ولقد ظهرت الآن ، ومعنى ظهرت الآن أى جاءت بمجيئه هو . أى أن فيه هو العبادة الحقيقية الروحية ، فلا فى جبل جرزيم ولا فى أورشليم يتقابل الله مع الإنسان ، ولكن فيه هو تقابل الإنسان والله وجهاً لوجه وعرف الإنسان كيف يرى الله فى وجه يسوع المسيح ولا يموت . هذه هى عبادة الروح . . فى المسيح يسوع .

أما بقية القصة ومجئ تلاميذه وإعلانه لهم أن طعامه هو أن يفعل مشيئة الذى أرسله وأن يتمم عمله ( ٣٤ ) وأن الحصاد كثير والحقول قد ابيضت للحصاد ( ٣٥ — ٣٨ ) فتبين اهتمام المسيح بالعالم الذى تحت سلطان رئيس هذا العالم وأنه يريد أن يأتى بهم إلى هذا الجديد الذى أتى به هو . وقد حدث ذلك فى رجوع السامريين وإيمانهم به .

**(ب) الآيات التى تعلن أن يسوع يعطى الحياة : (٤ : ٦٤ـ ٥ : ٤٧) :**

١ – هذا هو القسم الثانى من كتاب الآيات وفيه نجد قصتين أو آيتين عملهما يسوع ، الأولى هى شفاء ابن خادم الملك فى كفر ناحوم وهى الآية الثانية بعد قانا الجليل ، وقد صنعها يسوع بكلمة ( ٤ : ٤٣ – ٥٤ ) . والآية الثانية فى هذا الجزء هى شفاء الرجل الذى مكث ٣٨ سنة مريضاً . وقد حاول أن يشفى فى بركة بيت حسدا ولكنه لم يستطع فشفاه يسوع بكلمة ( ٥ : ١–٩ ) ويجئ بعد ذلك خطاب قاله يسوع فى الهيكل أو فى أمكنة مختلفة ( ٥ : ١٠ – ٤٧ ) .

ويلاحظ أن القصتين تظهران كيف كانت كلمة المسيح تمتلك قوة الشفاء ، فالسيد لم يمدد يده إلى ابن خادم الملك الذى كان بعيداً ، ولا إلى الرجل المفلوج . ولكنه قال كلمة فعملت كلمته بقوة ، لأنه هو نفسه « الكلمة » ( ١ : ١ ) .

فى القصة الأولى يقابل خادم الملك السيد فى المكان الذى أظهر فيه مجده لأول مرة ( ٢ : ١٤ ) ، وهناك أيضاً ظهر مجده فى كلمته ليس فقط فى تحويل الماء إلى خمر بل فى إعطاء الحياة لشخص مشرف على الموت .

أما القصة الثانية فقد ظهر فيها معطياً الحياة لإنسان كان يعيش مشلولا مثل ميت . ومع أنه كان بجانب الماء الذى كان الملاك يحركه ، ولكنه لم يستفد منه ، ولعل ذلك كان رمزاً إلى الناموس والتوراة التى لم تستطع أن تشفى هذا الرجل العاجز الذى يشبه الخطاة والعشارين ، ولكن هذا العاجز شفى بكلمة يسوع القادرة . . بكلمة النعمة :

٢ – بعد هاتين الآيتين اللتين ظهر فيهما يسوع معطياً الحياة نأتى إلى خطاب المسيح ، وفى الجزء الأول منه تظهر مشكلة السبت : فالآية حدثت

يوم السبت ، وأمر السيد الرجل الذى شفاه أن يحمل سريره يوم السبت ، وهذه كانت مشكلة بالنسبة لليهود ، فكيف يكسر يسوع يوم السبت . ولكى نفهم رد يسوع المتضمن فى ١٩ ــ ٢٤ نعود إلى قضية ضخمة شغلت مفكرى اليهود فى فلسطين وفى الشتات ، وهى قول سفر التكوين «فاستراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » ( تكوين ٢ : ٢ ) . وكان السؤال الصعب هو هل يسكت الله عن العمل ؟ وهل يستطيع أن يستريح ؟ وقد قدمت تفسيرات كثيرة : إنه استراح أى انتهى من عمله الذى عمله خالقاً . أو أنه أمر كل عبيده الملائكة الذين استخدمهم فى الخلق ــ كما يقولون ــ أن يستريحوا . أما هو فلا . وبحسب العهد القديم فإن الله لا يمكن أن يسكت عن العمل لأنه هو الإله العامل النشيط ــ ولكن ما هو العمل الذى يقوم به الله ؟ إنه يقوم بعملين : عملية الخلق . . فهو فى خلق مستمر لأنه منبع الحياة ولا بد أنه يعطى الحياة ، والعمل الثانى هو العناية ، أو حكم العالم وملكه عليه وهو لا يسكت عن هذين العملين لا فى يوم السبت ولا فى أى يوم آخر .

وعلى هذا الأساس جاء رد يسوع . « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » ( ٥ : ١٧ ) . ومثلما يعمل الآب هو يعمل . إنه يعمل نفس العملين اللذين يعملهما الآب : إعطاء الحياة والدينونة أى الخلق والملك . « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء لأن الآب لا يدين أحداً ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن » ( ٢١ و ٢٢ ) . وكما أن الآب لا يستريح هكذا الابن لا يمكن أن يمتنع عن هذين العملين حتى فى يوم السبت .

وهنا تواجه اليهود مشكلة أخرى : هل معنى هذا أنه مساو للآب ؟ فكيف يعيش مثل هذا الشخص الذى يقول هذا القول إنه يجب أن يموت

( ١٨ ) ؟ ولكن يسوع لا يضع نفسه فى تواز مع الآب كقوتين متساويتين تعملان معاً . ولكنه يعمل ما يعمله الآب فى طاعة كاملة له . وفى نفس الوقت الآب يحب الابن محبة كاملة ويريه جميع ما يعمل .

فى هذا التصريح يضع السيد ذلك الحق العظيم الذى يقف أمامه الجميع صاغرين . إنه وهو الذى لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله . . لكنه أخلى نفسه . إنه يعمل مع الآب كمساو له ولكن فى نفس الوقت فى طاعة كاملة له ، هذا السر عظيم .

٣ ــ ولكن السيد لا يدعى شيئاً ليس ملكه فهناك من يشهد له ، إنه يؤجل شهادته عن نفسه فى موقف قادم ( ٨ : ١٤ ) . ولكنه هنا يشير إلى شهادة يوحنا المعمدان له ( ٥ : ٣٣ ــ ٣٥ ) . ولكن هناك شهادة أعظم من يوحنا ، شهادة لا ينكرها إلا المكابر وهى شهادة الأعمال التى يعملها . فهى تشهد أن الله قد أرسله . هذا ما قاله أيضاً نيقوديموس (٣ : ٢) . ولكن هذه الشهادة لا يعرفها ولا يفهمها إلا الذين سكنت فيهم كلمة الآب وعرفوا صوته . هناك شهادة ثالثة وهى شهادة الكلمة المقدسة ، شهادة العهد القديم ، ومع أنها فى أيديهم ولكنهم لا يريدون أن يقبلوا شهادتها ( ٣٩ و ٤٠ ) .

ولكن إذا كانت شهادة يوحنا والأعمال التى يعملها والكتب المقدسة قوية لدى اليهود لكنها ليست بذات القوة عند اليونانيين . فلكم رأوا وصدقوا أناساً يقومون بالسحر وبأعمال ظنوها خارقة . لكن الشهادة الحقيقية ليست فقط فى إعطاء الحياة ، ولكنها فى نوعية الحياة التى يعطيها المسيح . . الحياة التى يعطيها لكل إنسان يسمع صوته . إنها الحياة الحقيقية . . الحياة الفضلى ، هذه الشهادة هى التى يقتنع بها جميع الناس ( ٥ : ٢٥ ) .

(ح) خبز الحياة : (ص ٦) :

هذا هو الجزء الثالث من كتاب الآيات . ونجد فى هذا الأصحاح ثلاث حوادث متتابعة تبنى الواحدة على الأخرى ، وفى الجزء الثانى من الأصحاح نجد خطاب طويل للسيد ( ٢٦ — ٦٥ ) وهو أيضاً يبنى على ثلاث أدوار متتالية كما سنرى فيما بعد .

١ — أما الحوادث المتتالية فهى قصة إشباع الآلاف ويذكر الإنجيل أن هذه الحادثة حدثت فى ظلال عيد الفصح (ع ٤ ) وفى هذا رمز ، لأن فصحنا هو المسيح الذى يشبع حياتنا لأنه هو خبز الحياة ، كما أنه يشبع أجسادهم ، ويفسر السيد هذا الموقف فى خطابه الذى ينصب على الشركة المقدسة أو عشاء الرب : وهكذا لا نجد فرقاً كبيراً بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى ، فتلك تضع عشاء الرب الذى عمله السيد فى إطار الفصح اليهودى لكى تعرف الكنيسة فصحها الجديد ، وكذلك يوحنا ، فإنه يذكر خطاب السيد عن العشاء الربانى فى إطار الفصح اليهودى .

ونتيجة لهذه القصة أو الحادثة التى لم يفهم الناس مغزاها حاولوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً (ع ١٥ ) . إذ رأوا هذه الآية الدلالة على أنه المسيا الذى يريدونه . إن الآية العظمى للمسيا هى أن ينزل لهم الخبز من السماء ، كما سيأتى ذكره فى الخطاب ، وقد فعل هذا الرجل ذلك ، فجعل من أرغفة قليلة وسمك قليل مائدة أشبعت الآلاف . . إنه النبى الآتى . . إنه موسى الجديد ، إذن فليكن ملكهم . هذه تكرار للتجربة الأولى التى واجهها السيد فى البرية حسب ما تظهر الأناجيل الأخرى . ( متى ٤ : ١ — ٤ ، لوقا ٤ : ٣ و ٤ ) .

وهنا قام يسوع بعمل حاسم ليوقف الجموع عند حدها وينقذ تلاميذه من هذا الفهم الخاطئ ، ففصلهم عن الجموع وأرسلهم بعيداً . ثم ذهب هو إلى الجبل بعيداً عن هذه التجربة ، ولا بد أن التلاميذ كانوا فى قمة التشويش ، وخصوصاً عند هياج البحر ، كيف لم يرض يسوع بهذه الفرصة المتاحة ليأتى بملكوت الله ؟ ولكنه فى هذه الفرصة الحرجة جداً أتاهم ماشياً على البحر وبهذا العمل الخارق للطبيعة أعطاهم السيد فكرة صحيحة عنه ، لأنه رجع بهم إلى قول المرنم « فى البحر طريقك ، وسبلك فى المياه الكثيرة وآثارك لم تعرف » ( مزمور ٧٧ : ٢٠ ) . ويؤكد ذلك قوله لهم ليطمئنهم « أنا هو » . . وهى العبارة التى ينطق بها الله نفسه فى العهد القديم ( إشعياء ٤٣ : ١٠ ) عندما يريد أن يعزى شعبه ويأتى لنجدته .

٢ ــ أما الجزء الثانى من الأصحاح فهو الخطاب وهو ينقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ( ٢٦ ــ ٣٤ ) يشرح خبز الحياة فى ضوء مفهوم المن الذى نزل من السماء لآبائهم فى البرية . إنهم يريدون مثل هذه الآية حتى يؤمنوا به ويعملوا كل ما يطلبه منهم . وكان رد السيد أن الآب وليس موسى هو الذى يعطى الخبز الحقيقى الذى يحيى . أما المن فقد أتى حقيقة من السماء ، ولكنه لم يعط حياة أبدية دلالة على أنه ليس الخبز الحقيقى . وهكذا يوبخ السيد تلك المادية المتطرفة فى مفهوم اليهود للديانة والعطايا الإلهية . ويذكر دود أن المن عند اليهود هو رمز للتوراة ، فإذا كان الأمر هكذا فيكون جواب السيد هكذا « موسى أعطاكم التوراة لكى تشبعكم لأن الناموس بموسى أعطى ( ١ : ١٧ ) ، ولكن التوراة الآن لا تشبع فالخبز الحقيقى قد جاء من السماء وهو الخبز الذى يعطيه الله .

وهنا يبدأ القسم الثانى ( ٣٥ — ٥٠ ) وفيه يعلن السيد صراحة أنه هو خبز الحياة الذى نزل من السماء . وهذا الإعلان (٣٥) يوجه تفكيرنا إلى ( ٣ : ١٣) حيث يعلن أن ابن الله هو الذى صعد إلى السماء ونزل من السماء إلى الأرض . وهو الخبز الذى من يأكله لا يجوع . ولكن كيف يقول ذلك والجميع يعلمون من أين جاء ؟ أليس هو ابن مريم ؟ فكيف يقول إنه نزل من السماء ؟ هنا يأتى الجواب الحقيقى الأبدى ، وهو أن الذين يعطيهم له الآب فإليه يقبلون ويعرفون من هو ومن أين أتى ، وكل من يراه أى يعرفه تكون له الحياة الأبدية وهو يقيمه فى اليوم الأخير . وهنا يضع المقارنة الواضحة : إنه هو وليس المن الخبز الحقيقى النازل من السماء والعلامة على ذلك أن الذين أكلوا المن ماتوا أما من يؤمن به فلن يموت فهو إذن الخبز الحقيقى .

ويصل الخطاب قمته فى الجزء الثالث ( ٥١ — ٦٠ ) . وفيه يعلن يسوع أنه الخبز الحقيقى وهو فى نفس الوقت الذى يعطى الخبز ، وهذا يعنى أنه يعطى نفسه « والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى ( ٥١ ) والجسد هنا ليس body أى جسم ولكنه البشرية Sarx Flesh » . وجاء السؤال المباشر السريع « كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل » ( ٥٢ ) . ولكن يسوع لم يعطهم جواباً مباشراً كما فعل مع نيقوديموس الذى سأله «كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ( ٣ : ٤ ) . إن عددى ٥٠ و ٥١ هما صورة مطولة من نفس الكلام الذى ذكره الرسول بولس فى ١ كورنثوس ١١ : ٢٤ . أما معنى أن يعطى السيد جسده ليؤكل فيوضحه فى ع ٥٦ بقوله « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه » أى أن الأكل هو الوحدة فى المسيح . ولكنه يضيف عنصراً جديداً هو الدم : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (ع٥٣ — ٥٦ ) وهذا يدل على أن السيد يشير إلى

العشاء الربانى وعن موته فى نفس الوقت . فالوحدة فى المسيح هى وحدة فى موته ووحدة فى حياته : تماماً كما يقول الرسول بولس عن المعمودية ، فى رومية ٦ : ٣ — ٥ . فالسيد هنا يشرح اختبار الشخص الذى يتحدبه ويكون فيه . . بالإيمان .

٣ — يعلن يسوع أيضاً فى ٤ : ١٠ — ١٥ إنه هو ماء الحياة وفى ٦ : ٢٧—٣٤ يعلن أنه خبز الحياة . وهذا يشير إلى الأسخاتولوجى اليهودى ، حيث يعتقد اليهود أنه كما أن موسى أعطاهم الخبز والماء ، الخبز من السماء والماء من الصخر فى البرية ، هكذا فى أيام المسيا سوف يكون لهم هنا بوفرة عظيمة . . ولكن السيد يقول عن نفسه إنه هو خبز الحياة وهو ماء الحياة ، وبذلك ترتفع هذه الأسخاتولوجية من المادية المخيمة على التفكير اليهودى . وهذا ما يقوله الرب نفسه « الروح هو الذى يحى أما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » ( ٦ : ٦٣ ) . وهنا يدخل عنصر جديد آخر فى حديث السيد وهو الروح . وقد جاء الروح فى كلامه مع نيقوديموس (٣ : ٥) فالميلاد الجديد من الروح والماء . وجاء فى حديثه مع السامرية فالعبادة الحقيقية هى من الروح والحق ( ٤ : ٢٣ ) ، وهنا يتكلم عن الثبات فى المسيح بالروح لأنه هو الذى يعطى الحياة ( ٦ : ٦٣ ) .

هذا الكلام صعب ، وقد تعثر منه اليهود ورجعوا إلى الوراء لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموه وهم يعيشون بعقلية مادية ، فيقول السيد لتلاميذه الذين شاركوا بعض الشئ فى التذمر وعدم المقدرة على فهم ما يقول « إن رأيتم ابن الإنسان صاعداً حيث كان أولا » ( ع ٦٢ ) وهذا يعنى أن هذا كله سوف يتضح لكم بعد أن يتمجد ابن الإنسان . وكما فهموا قوله لليهود وانقضوا هذا الهيكل . . » عرفوا أنه يقول عن هيكل جسده (٢ : ٢٢) هكذا سوف يكشف لهم الروح القدس عن معنى كلام السيد لهم فى هذا الموقف ويذكرهم به ( ١٦ : ١٢ — ١٦ ) .

(د) « النور والحياة . الإعلان والرفض » (ص ٧ و ٨ ) :

هذان الأصحاحان يخلوان من الآيات التي يقوم بها السيد لإعلان مجده ، ولكنهما يحتويان على كثير من الرموز التي تشير إليه . وفيهما القصص والحوار يمتزجان بعضهما ببعض ، وكل هذا يتركز على شخصيته . ولعل أهم ما يميز هذا الجزء هو التوتر الشديد بين المسيح واليهود . ففيه يوجه اليهود كل الاتهامات الممكنة ضده وهو يجيب عليها بطريقته المعهودة ، وفي معظم الأحوال كانوا يهجمون عليه ويقذفونه بالاتهام تلو الآخر ، حتى أن الإنجيلي ذكر في عشر مواضع كيف كانت حياته في خطر ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد : (٧ : ١ و ١٣ و ١٩ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٤٤ ، ٨ : ٣٧ و ٤٠ و ٥٩) . ففي هذا الجو العنيف سارت المواجهة الضخمة بينه وبين اليهود .

هذا الجزء لا تظهر فيه الوحدة الأدبية الكاملة ، ولكنه ينقسم على العموم إلى تسعة أقسام منها ٧ مرات حوار : ١ — المقدمة (٧ : ١ — ١٠) ٢ — منظر في عيد المظال ويسوع غائب (١١ — ١٣) ٣ — يسوع يجئ إلى العيد وهنا يحدث الحوار الأول وموضوعه موسى والمسيح (١٤ — ٢٤) ٤ — الحوار الثاني يسوع يعلن ميسيانيته ومعارضة أهل أورشليم له (٢٥ — ٣٦) ٥ — الحوار الثالث (٣٧ — ٤٤) . ٦ — الحوار الرابع (٤٥ — ٥٢) . ٧ — الحوار الخامس (٨ : ١٢ — ٢٠) ٨ — الحوار السادس (٢١ — ٣٠) ٩ — الحوار السابع (٣١ — ٥٩) .

١ — هذا كله يحدث في عيد المظال . ويتميز هذا العيد بعدة أمور هامة : منها ذلك الطقس الذي كان الكاهن يقوم به كل يوم من أيام العيد السبعة .

— وبعض الربيين يقولون إنها ثمانية أيام — كان الكاهن يذهب يملأ آنية ذهبية يأخذها من آنية الهيكل من بركة سلوام ثم يأتي بموكب عظيم ويسكبها على مذبح التقدمة ، وكان يصحب هذا العمل صلاة لأجل المطر لعل الرب يكثر لهم أمطار الخريف حيث يزرعون زرعهم .

أما الأمر الثاني فكان إنارة رواق النساء بنور قوي جداً يشع في كل الهيكل حتى أن هناك أقوال للربيين يؤخذ منها أن أورشليم نفسها كانت تنير من هذا النور .

والأمر الأخير هو ارتباط العيد وطقوسه باسم الله وهو « أ ن ي ، ه و ا » أي « أنا وهو » وهي تأتي من اسم الله الخفي العظيم « أنا هو » . ويقال إن حرف الواو أضيف لكي يدل على ارتباط الله الحميم بإسرائيل . كأن طبيعة الله العميقة لا تظهر إلا بالتصاقه وارتباطه بإسرائيل .

٢ — وإليك الأمور التي تكون الخلفية لإعلان السيد عن نفسه في هذين الأصحاحين ، الشيء الأول هو عدم ذهابه مع الناس إلى العيد ولكنه ذهب كأنه في الخفاء . ولكنه ظهر فجأة في الهيكل ، وهذا في الحقيقة إتماماً لقول النبي ملاخي هاأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق قدامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به ، هوذا يأتي قال رب الجنود» ( ملاخي ٣ : ١ ) . هذا هو اليوم العظيم الذي فيه يعيد الناس عيد المظال عندما يرجع الرب ويخلص إسرائيل ( زكريا ١٤ : ١٦ ) وها هو قد جاء فجأة في عيد المظال . . إنه الرب .

أما الإعلان الثاني فهو ما قاله السيد في اليوم الأخير العظيم إنه هو الماء الحي في قوله « إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب . . » ( ٧ : ٣٧ ) ويقول

بعض العلماء – وبحق – إن الكلام الذى يلى ذلك « إن عطش أحد فليقبل إلى – وليشرب ، من يؤمن بى » كما قال الكتاب «تجرى من بطنه أنهار ماء حى» أما من تجرى من بطنه أنهار مياه حية فهو ليس المؤمن . فهذه فكرة غريبة على الكتاب المقدس . بل هو المسيح نفسه الذى هو الماء الحى . والماء الحى هو ما يشير إليه النبى زكريا (١٣ : ١ ،أنظر حزقيال ٤٧ : ١ – ٥ ، إشعياء ١٢ : ٣). وكما عرفنا فإن الربيين يعتبرون أن المياه تعنى البركات الروحية . أما القديس يوحنا فإنه يربط أيضاً الماء الحى بالروح القدس كما هى الحال فى أمكنة كثيرة .

**ثم الإعلان الأخير المتضمن فى ٨ : ٢١ – ٣٠ :**

يذكر السيد عبارة « أنا هو » ( ع ٢٤ ) « لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطاياكم » وهذه العبارة شبيهة بقول الله فى العهد القديم «أنا هو» وقد تكررت العبارة فى ع ٢٨ مع ع ٢٩ « والذى أرسلنى هو معى » . التى تشابه « أنا وهو » التى تقال فى عيد المظال كأنما أخذ السيد مكانة إسرائيل .

٣ – هذه الإعلانات الجديدة التى قالها السيد لليهود فى عيد المظال أثارت اليهود ضده فوجهوا إليه ثلاثة انتقادات .

إنه إنسان جاهل لم يتعلم ( ٧ : ١٥ ) . ولكنه رد عليهم « تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعرف مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى » ( ١٦ و ١٧ ) . إن انتقادهم له بأنه غير متعلم نابع من أنهم لا يعملون مشيئة الله . ولذلك فقد رأوا التناقض بين تعليمه وتعليم موسى الذى أمر بحفظ السبت ( ٢٣ و ٢٤ ) .

أما الانتقاد الثانى فبنى على عقيدتهم فى أن المسيا عندما يأتى لا يعرف أحد من أين أتى ، أما هذا فإنهم يعرفون من أين هو ( ٧ : ٢٧ ) . وكان رد

السيد عليهم « تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه أنا أعرفه لأنى فيه وهو أرسلنى » ( ٢٨ و ٢٩ ) . مرة أخرى يتهمهم بأنهم هم الذين لا يعرفون الله ولذلك فلا يعرفون من أين جاء السيد حقيقة .

أما الانتقاد الثالث فهو أن من يشهد لنفسه فشهادته لا يؤخذ بها وليست حق ( ٨ : ١٣ ) ، وكان رد السيد عليهم «وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب . . . أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » ( ١٤ و ١٨ ) إنهم بسبب جهلهم هم ، لأنهم لا يعلمون مشيئة الآب بل مشيئة أنفسهم ، لا يستطيعون أن يفهموا من هو ولا من أين جاء ولا يقدرون شهادته أو شهادة الآب له .

هذا الجزء تلخيص لموقف اليهود تجاه السيد ومن إعلاناته عن نفسه أنه هو المسيا الحقيقى خبز الحياة . نور العالم . الماء الحى . « أنا هو » الألوهية .

**( ه ) الدينونة التى للابن : ( ٩ : ١ – ١٠ : ٣٩ )**

هذا هو الجزء الخامس أو الآية الخامسة : وهى تغطى مع كل ما يتعلق بحوار المسيح وخطابه فى الأصحاح التاسع كله ثم الأصحاح العاشر إلى العدد ٢١ . أما باقى ص ١٠ فهو ملحق لهذا الحق ، وكشأن البشير فإنه يضع هذه الملاحق لكى يختتم بها الجزء السابق الذى انتهى فيعطيه توضيحاً أكثر ولكى يجهز القراء للجزء القادم . فماذا نجد فى هذا الجزء ؟

١ – رأى يسوع إنساناً أعمى منذ ولادته ، ورأى فيه فرصة لكى يعمل أعمال أبيه إذ يشفى هذا الإنسان . إنه لم ينف أن الرجل قد أخطأ ، وأن أبويه

قد أخطأوا . ولكنه ينظر إلى هذه العاهة التى يقاسى منها على أنها فرصة يظهر فيها مجد الله . . واستخدم يسوع الماء هنا أيضاً مع أنه لم يكن الماء الطبيعى. فكما حول الماء إلى خمر ، وجعل منه مع الروح القدس مكاناً للولادة الجديدة ، وجعله إشارة إلى الماء الحى ، هكذا جعله أداة لإرجاع البصر إلى هذا الأعمى ، وشفى الرجل وكان شفاؤه سبباً فى انقسام حاد بين اليهود ( ٩ : ١٦ ) . قال الفريسيون هل يمكن أن يكون الشخص الذى يكسر يوم السبت من الله ؟ ( ع ١٦ ) لماذا لم ينتظر إلى يوم آخر لكى يفتح عينى الرجل؟ إن حالته لم تكن ضرورية جداً وحاسمة حتى يشفيه يوم السبت . فهذا الإنسان إذن ليس من الله . آخرون نظروا بعمق وقالوا لو كان هذا الإنسان ليس من الله ما كان يصنع بواسطته المعجزات . وفى الحوار الذى حدث بين اليهود والرجل الذى كان أعمى تظهر طريقة البشر فى السخرية من اليهود . الرجل لا يعرف إذا كان الذى شفاه من الله أم أنه يعرف شيئاً واحداً أنه الآن يبصر ( ٢٥ ) . ثم رد على سؤالهم المتكرر « قلت لكم ولم تسمعوا . . ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟ ( ع ٢٧) إنه رد قاس ولذلك شتموه .. ووصل إلى قمة المواجهة والسخرية منهم فى ( ٣٠ – ٣٣ ) ويبدأ القول « إن فى هذا عجباً . . . » وكانت النتيجة أنهم طردوه من المجمع أى حرموه من العبادة .

٢ – فى هذه القصة نسمع صدى لما كان يحدث فى سنة ٨٠ – ٨٥ م بعد خراب أورشليم فإن اليهود بدأوا يتجمعون مرة أخرى وبدأوا ما سموه فى صلاتهم «لعنات على الهراطقة» . والهراطقة هم المسيحيون ، فقد اعتبروهم خارجين على الناموس وموسى وقطعوهم من المجمع ، ولم يصبحوا يهوداً مرة أخرى . . وكأن هذا تكراراً لما حدث فى حادثة ذلك الرجل . عندئذ جاء إليه يسوع وأظهر له نفسه أنه هو الذى فتح عينيه وأنه هو المسيا ابن الله وآمن الرجل وسجد له .

وهنا يعلن السيد أنه نور العالم (أنظر ع ٥) ولكنه ليس فقط للانارة بل للدينونة أيضاً « للدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » . ويعرف الفريسيون عمق ما يقوله السيد فقالوا « ألعلنا نحن أيضاً عميان » ( ٤٠ ) قال لهم السيد « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية » ( ٤١ ) هذا يبين أن الذي يواجه النور يرى نفسه فيه حتى ولو كان معانداً مثل الفريسيين ، فيعلم أنه تحت الدينونة .

٣ – من هذا المنطلق أعلن السيد عن نفسه أنه هو الراعي الصالح . يمكن أن يفهم هذا القول تماماً إذا رجعنا إلى شئ مماثل له فى حزقيال ٣٤ . حيث يوبخ الله رعاة إسرائيل أنهم لم يرعوا الغنم ولم يعطوها طعاماً بل بالعكس ذبحوها وأكلوها . وبدلا من أن يحموها تركوها تضل فتفترسها وحوش البرية ، ولهذا السبب يجب أن يطرد الرعاة ويصبح الله وحده الراعى لهذا القطيع المسكين . والله سوف يقودهم من السبى ويجمع القطيع المشتت ويدخلهم إلى الأرض حيث يجدون المرعى . سوف يطعمهم ويريحهم حتى يعرفوا أنه هو الرب . وبعد ذلك سوف يفصل بين شاة وشاة بين الجداء والخراف ، وسوف يقيم عليهم راعياً هو داود ( أى المسيا ) . وسيقتل وحوش البرية فتبقى الخراف فى أمان . ويختم النبى هذه النبوة بالقول « وأنتم يا غنمى غنم مرعاى أناس أنتم ، أنا إلهكم يقول السيد الرب » (حزقيال ٣٤ : ٣١) . هذه النبوة تشبه إلى حد كبير خطاب السيد فى يوحنا ١٠ : ١–١٨ . فالسيد يقول إن خرافه تركها الأجراء لتفترسها الوحوش ، ( ١٠ : ١٢ ) ، أكلها السراق واللصوص ( ١٠ ) ولكنه كالراعى الصالح الذى يخلص رعيته ولذلك فهى تعرفه ( ٨ ) . وهو يدين الرعاة السابقين اللصوص ( ١ ) ويظهرهم على

حقيقتهم للجميع ليعرفوا من هم . وعندئذ يجمع رعيته المشتتة لأن له « خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعى واحد » ( ع ١٦ ) . ولكن أعظم ما يعمله هذا الراعى الصالح هو أنه يبذل نفسه عن هذه الرعية (١٧ و ١٨ ) .

من هذه المقارنة نستطيع أن نقول إن السيد كان يدين رعاة إسرائيل الغاشين ، رعاتهم الذين لم يعرفوا سوى نفع أنفسهم وخيرهم هم ، ولم يهتموا بأمور الرعية بل سخروها لتنفعهم أليسوا سراقاً ولصوصاً ؟ . .

**( و ) نصرة الحياة على الموت ( ص ١١ : ١ - ٥٣ )**

قصة إقامة اليعازر من الموت قصة متكاملة يذكرها الإنجيلى بتفصيل وافى . وفى كل القصة لا نجد مثلما مر علينا انفصالا بين القصة والخطاب أو الحوار . . لكن نجد فيها الحوار المتكرر بين السيد وتلاميذه وبينه وبين أختى اليعازر مرتبطاً بالقصة فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . ولعل الهدف الأكمل لكل ما حدث يلخصه السيد فى قوله « هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » ( ع ٤ ) . فى هذا الأصحاح نجد أن الكلمة والعمل يكونان كلا لا يتجزأ بكيفية لا نلاحظها فى أى جزء آخر من الكتاب — لأنهما — أى الكلمة والعمل ، يشرحان عقيدة لاهوتية تظهر دائماً فى يوحنا .

١ — فى هذا الجزء تظهر فكرة الحياة بكل وضوح ، فإذا كان يسوع هو نور العالم فهو أيضاً معطى الحياة وهو الحياة . وفى هذا الأصحاح تظهر هذه الفكرة وتعتبر الفكرة الرئيسية فيه . وإذا رجعنا إلى الأصحاح الخامس حيث يظهر الابن والآب كمصدر للحياة ، نجد أن هناك دورين فى إعطاء الحياة : الدور الأول ( ٥ : ٢٥ ) وهى الحياة الأبدية التى يعطيها الابن الآن : أما

الدور الثانى ( ٢٨ و ٢٩ ) فهو فى الساعة الأخيرة حيث يسمع الذين فى القبور صوت ابن الله فيقومون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للدينونة . فى هذا الأصحاح الذى أمامنا ( ١١ ) نجد مثالا للدور الثانى الذى فيه يسمع الذين فى القبور صوت ابن الله وقام الميت . ( ١١ : ٤٣ و ٤٤ ) مع فارق واحد وهو أن القيامة الجسدية حدثت دون أن يكون لها صلة بالدينونة . ومن هذا نرى أن الذى يؤمن بالمسيح . . الذى يسمع كلمته سوف ينال الحياة الأبدية وسوف يقيمه فى اليوم الأخير ( أنظر ٦ : ٥٤ ) فالمسيح هو معطى الحياة الآن وفى الساعة الأخيرة . إنه الحياة وأنه القيامة . . الآن وفى اليوم الأخير وهذا ما قاله لمرثا « أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » ( ١١ : ٢٥ و ٢٦ ) .

٢ ــ إذن فإقامة اليعازر معناها أن الساعة قد أتت لكى يتمجد الآب بالابن ويظهر الابن مجده . فعندما تأتى الساعة يعمل المسيح آية لإظهار مجده ، يقوم بها ، إنه لا يعملها إلا فى هذا التوقيت . فعندما طلبت أمه العذراء منه أن يسعف أولئك الذين كانوا فى العرس وفرغت الخمر منهم ، قال لها إن ساعته لم تكن قد جاءت ، ولكن عندما جاءت ساعته حول الماء إلى خمر ( ٢ : ٣ و ٧ ) . وبالمثل عندما سأله إخوته أن يذهب إلى العيد لكى يظهر مجده قال لهم إن ساعته لم تأت بعد ( ٧ : ٢ ــ ٦ ) ، ولكن لما جاء وقته ذهب إلى العيد فى السر ، وعندئذ وقف يعلم علناً فى الهيكل وفى اليوم الأخير العظيم فى العيد أعلن نفسه أنه هو معطى المياه الحية للحياة الأبدية ـ هكذا يظهر فى هذه الآية ــ إقامة اليعازر ــ مع أنها تنتمى إلى آخر الأيام إذ أقام الجسد من القبور ، لكن الساعة قد جاء لكى يظهر هذا المجد كعلامة ورمزاً ، على أنه يعطى الحياة ويقيم الأجساد ، إنه هو القيامة كما أنه هو معطى الحياة .

٣ — هنا وفى هذا المكان الذى يظهر فيه المسيح معطياً للحياة، وأنه هو القيامة الذى انتصر على الموت . . فى هذا المكان نفسه ، كان يسوع يواجه خطر الموت . لأن اليهود بدأوا جدياً يدبرون المؤامرة لكى يقتلوه . وقد ظهر هذا واضحاً فى قول التلاميذ « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أنت هناك » ( ع ٨) . أليس هذا مصدر قوة وإيمان للمسيحيين . إن المكان الذى فيه ينتظرون الموت هناك تظهر آية المسيح ويعلن نفسه أنه هو القيامة وهو معطى الحياة بل إنه هو الحياة ؟. إن الإعلان العميق الذى نكتشفه هنا هو أن السيد ذهب لكى يعطى الحياة لأنه ذهب لكى يبذل نفسه عن العالم . . إنه يعطى الحياة للناس لأنه هو أعطى حياته من أجلهم . . وهذا متضمن فى قول رئيس الكهنة « إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » ( ع ٥٠ ) فيفسره البشير « لم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة . وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » ( ٥١ و ٥٢ ) . إنه الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف ( ١٠ : ١١ ) .

**( ز ) الحياة من الموت — معنى الصليب ( ١٢ : ١ — ٣٦ )**

هذا هو آخر قسم من كتاب الآيات : وفى هذا القسم نجد قصتين. القصة الأولى دهن قدمى يسوع فى بيت اليعازر ومريم ومرثا ( ١ — ٨ ) والقصة الثانية هى قصة دخوله الانتصارى إلى أورشليم ( ١٢ — ١٩ ) . بعد ذلك خطاب يسوع بعد مجئ اليونانيين لكى يروه ( ٢٠ — ٣٦ ) وأخيراً نجد خاتمة كاملة لكتاب الآيات ( ٣٧ — ٥٠ ) .

١ — فى القصة الأولى . قصة دهن قدميه بقارورة الطيب غالية الثمن كانت تمتلكها مريم أخت اليعازر ، أعلن يسوع ، بعد أن سمع تذمر بعض

التلاميذ وخاصة يهوذا أنها إنما فعلت ذلك استعداداً لتكفينه . « أتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته » ( ٧ ) . في هذه القصة يؤكد المسيح أن عملها له هو ابتداء لتكفينه . . لموته ، ولكن هذا الذي كان يتكلم عن موته كان يجلس إلى جواره اليعازر الذي أقامه هو من الموت . ولكن اليعازر لم يظهر هنا في هذا الموقف فقط بل ظهر في موقف آخر ، في القصة التالية عندما دخل السيد إلى أورشليم راكباً على جحش أتان ، في هذه القصة دخل يسوع ملكاً فاتحاً ممجداً فهو الملك الذي تنتظره الأمة . ولكنه دخل بالنصرة والملك العظيم هذا بعد منظر تكفينه . . إنه يملك ويتمجد بعد أن يقدم نفسه لأجل الجميع . . إنه يبذل نفسه طائعاً لأجل الجميع لأنه هو الذي كسر الموت وانتصر عليه . . وهذا كما سبق القول يتضح في تكرار العبارة « إنه دعا اليعازر من الموت » ( ١٧ ) . فهو ملك لأنه قهر الموت ولأنه بذل نفسه . ولكن هناك عنصر آخر اعترف به اليهود وهم لا يدرون عمق ما يقولون « هوذا العالم قد ذهب وراءه » إنهم يعلنون دون أن يدروا أن أتباع يسوع ليسوا فقط من اليهود بل من العالم كله . ما أشبه كلامهم هذا بكلام رئيس كهنتهم عندما قاله وهو لا يدري معناه العميق في ١١ : ٥٠ ــ ٥٢ . هذا يرينا أن قصة الدخول الانتصاري التي ترمز إلى الملك والانتصار العظيم يجب أن نتبع قصة دهن قدميه التي ترمز إلى موته ودفنه .

٢ ــ بعد ذلك تأتي قصة جماعة من اليونانيين الذين أرادوا أن يروا يسوع ويلوح أنهم لم يكونوا أصلا من اليهود المثقفين بالثقافة اليونانية بل جماعة من الدخلاء أي الذين تهودوا . هؤلاء أرادوا أن يروا يسوع، والرؤية هنا تعني أكثر كثيراً من مجرد المقابلة ، إنها المعرفة التي تعني الصلة بل العمق في هذه الصلة . هذه القصة كانت الإطار الذي فيه وضع السيد خطابه التالي . وهذا الخطاب يعطينا نفس المنظر الذي كان في بستان جثسيماني . وفيه يعلن أنه

موته كان من أجل العالم كله ، فلا يقتصر على تلاميذه أو اليهود بل يتعدى ذلك إلى كل العالم « الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت فهى تأتى بثمر كثير » ( ٢٤ ) . ولقد أتت هذه الساعة الآن . إن وقوع الحبة وموتها ليس نظرية فلسفية ولكنها واقعة تاريخية ، وموت المسيح حقيقة واقعة وقد بدأت الآن لأن الساعة قد جاءت . فالحياة الأبدية ، والنور ، والحق المطلق لا تبنى كلها على نظريات ولكن على موت حقيقى . . يجب أن يموت لكى يصير الحصاد كثير .

٣ — فى هذا الخطاب ينكشف لنا السر الذى كنا نترقبه ، السر الذى يتميز به إنجيل يوحنا . فهو إذ يصف ذلك المنظر القاسى الذى حدث فى بستان جثسيمانى ، الذى رسمه كاتب العبرانيين فى أبعاده المؤلمة ( عبرانيين ٥ : ٧ — ٩ ) ، يحوله هو إلى مكان للنصرة ، فعندما يصلى السيد يقول « أيها الآب نجنى من هذه الساعة . . ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة أيها الآب مجد اسمك » ( ٢٧ و ٢٨ أ ) . وجاء الرد من السماء « مجدت وأمجد أيضاً » ( ٢٨ ب ) . أى أن الآب قد مجد نفسه فى إرسالية الابن ، وسوف يتمجد أيضاً فى موته . وهذا الجزء الأخير هو سر إنجيل يوحنا ، وهو ارتباط المجد بموت المسيح : مجد الله وتمجيد المسيح . ويبدأ الكاتب فى تقديم حقيقة المجد فى كتاب الآيات من ٥ : ٤٤ إذ يقارن المجد الذى من الله والمجد الذى من البشر . ثم يتقدم فى ٧ : ١٨ فيظهر أن المعلم الذى يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، ولكن من يطلب مجد الذى أرسله فهو المعلم الصالح ، ولكن من هو المعلم الصالح هذا ؟ فى ٨ : ٥٠ — ٥٥ نعرف أن يسوع هو المعلم الذى لا يطلب مجد نفسه بل مجد الله . ولكن كيف يأتى هذا المجد ؟ فى ١١ : ٤ يربط مجد المسيح بمجد الله . ففى مجد الآب مجد المسيح . وقد

عرفنا أن يسوع قد أقام اليعازر وهو يواجه الموت لأنه يبذل نفسه . ومن هنا نستطيع أن نفهم تلك العبارة التى وردت فى ١٢ : ٢٣ « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » ، إذ بعد هذا الكلام يظهر أن تمجيد المسيح هو فى بذله لنفسه ، فى إعطائه لنفسه ، لكن إعطائه لنفسه قصد به أيضاً مجد الآب .. فمجد المسيح الذى هو مجد الآب هو فى بذله لنفسه من أجل الجميع . وهذا هو سر إنجيل يوحنا : إن مجد المسيح وهو يظهر فى تمجيد الآب يكمن فى موته وقيامته . فمتى تكلم عن مجده فإنه يتكلم عن موته وقيامته ، ففى هذا مجد الآب والابن معاً .

٤ — ولكن تقديم السيد نفسه له مظهر آخر وهو دينونة العالم « الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » ( ع ٣١ ) . ودينونة العالم هى الآن ، وطرد رئيسه قد حدث ، لأن آلام المسيح بدأت وسوف تكمل بالقيامة وهى حقيقة مؤكدة . ولكن دينونة العالم ليست الكلمة النهائية ، إن هناك عملا مجيداً آخر يقول السيد فيه « وأنا إن ارتفعت إلى العالم أجذب إلى الجميع » ( ع ٣٢ ) إن كلمة الجميع هى الخراف الأخرى التى ليست من هذه الحظيرة ( ١٠ : ١٦ أنظر ، ١١ : ٣٢ ) . وقد فسر الإنجيلى هنا كلمة « ارتفعت » بعد أن كانت غير مفهومة فى الأصحاحات السابقة ؛ وهى كلمة مأخوذة من إشعياء ٥٣ — ١٣ ثم تكررت فى يوحنا ٣ : ١٤ ، ٨ : ٢٨ ، أى أن رفع ابن الإنسان معناه موته . وهنا يبلغ معنى موت المسيح وقيامته كتمجيد له قمته ، فهو تمجيد للآب ودينونة للعالم وجذب الذين هم له إليه لكى يؤمنوا به ويكونوا معه . وبعد أن شرح السيد ذلك أراد السامعون أن يدخلوا فى مناقشات تفسيرية عن المسيا ابن الإنسان وكيف أنه لن يموت ، لكن يسوع لم يهتم بمناقشاتهم الكلامية بل طلب منهم أن يفتحوا أعينهم لكى يروا النور الذى أمام أعينهم ويسترشدوا به بالإيمان .

تكلم يسوع بهذا واختفى عنهم .

٥ – ينتهى هذا الفصل بجزء هو نهاية لكتاب الآيات كله ونرى فيه أمرين :

الأول : هو أنه مع هذه الآيات الواضحة التى قالها وعملها السيد فإن اليهود لم يؤمنوا به وبذلك تم قول إشعياء : يا رب من صدق خبرنا ( ع ٣٧ و ٣٨ ) وهذا الاقتباس يستخدمه الرسول بولس نفسه فى رومية ١٠ : ١٦ وفى كل الأناجيل وحتى سفر الأعمال يذكر ذلك عملياً ( ٢٨ : ٢٥ – ٢٧ )

الأمر الثانى : وهو تلخيص لكل ما سبق وأعلنه عن نفسه أنه مرسل من الآب نور للعالم وأنه دينونة لمن لا يقبل كلامه . .

ماذا نرى إذن فى هذه الأصحاحات ( ٢ – ١٢ ) من إنجيل يوحنا ؟ نرى مجموعة من الآيات والحوار والخطابات التى تظهر شخصية يسوع وعمله ورسالته . فالآية إذن هى عمل أو قول يشير إلى حق إلهى يعلن ، ولكن هذه الآية يمكن فصلها عن هذا الحق الإلهى ، إنها ليست جزء منه ، إنها طريقة بها يعلن ويمكن أن يعلن بطريقة أخرى ، فمثلا حول المسيح الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل ، وكان هذا العمل آية بمعنى أنه يشير إلى أن يسوع قد أتى بنظام جديد ، خمر جديد . هذه الآية تشير إلى هذا الحق الجديد . ولكنها لا تكون جزءاً من هذا الحق بل هى مسألة توضيحية .

لكن كتاب الآيات هذا ينتهى بآية الآيات التى هى موت المسيح ، وهنا يختلف الموقف . إن موت المسيح آية وإشارة إلى محبة الله للعالم « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد . . » ولكن موت المسيح هو جزء لا يتجزأ من هذا الحق . إنه ليس إشارة فقط بل هو حقيقة تاريخية . إن موت المسيح

نفسه هو محبة الله للبشر . وليست هناك طريقة أخرى بها يمكن أن تعلن تلك المحبة . كل آيات يسوع علامة وإشارة ما عدا موته ، فهو ليس آية أو علامة على أن المسيح بذل نفسه ولكنه البذل ذاته وهو الذى يريد السيد أن يقوم به . إن الأم فى المنزل قد تلبس فى يدها خاتماً ليشير إلى أنها الزوجة والأم ، ولكن الأمومة نفسها تظهر فى حياة البذل والتضحية والعطاء . . هكذا آيات المسيح كلها علامة على أنه : نور العالم ، الحياة ، مجد الله وديان العالم . لكن موته ليس آية ككل الآيات بل هو نفسه نور العالم حياة المؤمنين ديان العالم ومجد الله . فموته إذن فيه شئ لم يكن فى الآيات ، ففيه تحولت الفكرة إلى حقيقة واقعة . فالصليب هو الحقيقة ، وكان كل شئ محتاجاً إلى هذا الفعل الذى هو الحقيقة كاملة . وكم كان جوتيه صادقاً عندما قال « فى البدء كان العمل » لأن كلمة الله هى عمل الله وعمله هو كلمة . .

وبهذا يكتمل كتاب الآيات ونأتى بعد ذلك إلى كتاب التمجيد .

**كتاب التمجيد :**

كثير من العلماء يسمون هذا الجزء بكتاب الآلام أى أنه الكتاب الذى يدور حول آلام المسيح وقيامته . ولكن بحسب إنجيل يوحنا ومفهومه اللاهوتى يعتبر هذا الجزء تمجيد الابن . لأن مجد الابن ينبع من تمجيد الآب بإطاعته إياه وبذله نفسه وقيامته وصعوده . . وعلى هذا الأساس سنطلق هذه التسمية كتاب التمجيد » على هذا الكتاب أى الذى يدور حول هذا التمجيد .

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين : القسم الأول هو خطاب الوداع ( ١٣ — ١٧ ) والقسم الثانى هى حوادث التمجيد ( ١٨ — ٢١ ) إذا اعتبرنا أن ص ٢١ الذى يسميه معظم العلماء « ملحق للانجيل » . ولكن سواء أكان ملحقاً أم جزءاً أساسياً من الكتاب فإنه موجود فيه منذ البدء ولا يمكن أن نجد نسخة واحدة لم تذكره .

**أولا – خطاب الوداع :**

يختلف هذا القسم من أقوال السيد عما سبق من خطاباته وحواره فى أنه موجه إلى تلاميذه فقط ؛ بينما تلك الأقوال السابقة كانت موجهة إلى الجموع وخصوصاً رؤساء اليهود . هنا يجلس مع تلاميذه لوحدهم ، السيد مع كنيسته الراعى مع رعيته ؛ لا يوجد أى غريب بينهم ، حتى يهوذا ذهب ولم يكن معهم ، وفى هذه الحالة بدأ يكلمهم ويلخص لهم المستقبل والمشكلات التى تواجههم والاختبارات العميقة التى تجوز فيها كنيسته ، وأخيراً يرفع الصلاة إلى الآب لأجلهم ، لأجل كل الكنيسة التى دعاها وصارت جسده .

وتختلف هذه الخطابات الخصوصية للتلاميذ عن مثيلتها مما جاء فى الأناجيل الثلاثة الأول من حيث الشكل . فنى تلك الأناجيل كان السيد أيضاً يكلم تلاميذه ويفسر لهم ما عصى عليهم عندما يكون معهم فى مكان بعيد عن بقية الناس ( مرقس ٤ : ١٠ ، ٧ : ١٧ ، ٨ : ٣١ ، ٣٣ ) وهكذا . ولكن هذه التعاليم كانت فى سياق الخدمة والتعاليم ، فكانت منثورة هنا وهناك . أما هنا فى هذا الإنجيل فهى حوار أو خطاب متصل ومستمر .

**إطار هذا الخطاب :**

١ – كان هذا الخطاب أو إن شئت فقل «الحديث» كما يذكر إنجيل يوحنا فى الليلة التى أسلم فيها يسوع . . لقد كان يسوع يأكل العشاء مع تلاميذه . وفى إنجيل يوحنا لا نرى واضحاً إن كان هذا العشاء عشاء الفصح أو كان مبكراً عنه بيوم واحد ، ومع ذلك فروح الخطاب هو روح الفصح ، وهو مملوء بأفكار الفصح الجديد الذى يأخذ طريقه إليهم الآن . وعشاء الفصح بحسب العادة اليهودية كان يتميز بشىء مهم وهو أن أصغر أفراد الأسرة التى تأكل الفصح يسأل رب الأسرة عن معنى ما يعملون ، فكان هذا الأخير

يتكلم طويلا معهم عما فعله الله معهم . وهذا كان خطاب الفصح المعتاد الذى يذكره رب الأسرة لها كل مرة . ولهذا الغرض وعلى أساسه قال يسوع هذا الحديث على العشاء ، فهو رب الأسرة ، وهو سيدها . ولكنه لا يكرر ما جاء فى أقوال رب الأسرة اليهودى ، عما حدث فى العهد القديم وكيف أن الرب عمل معهم خلاصاً عجيباً وأخرجهم من أرض مصر ، ولكنه ذكر لهم أخبار فصح جديد يقام الآن وعملية خلاص روحى عميق هو فى سبيل إكماله أو أنه قد أكمله فعلا .

٢ — ولكن كان هنا عامل آخر يفسر هذا الخطاب الوداعى الطويل : ففى أصحاحات ٢ — ١٢ أى فى كتاب الآيات كان يسوع ينظر دائماً إلى الأمام إلى تلك الساعة أى إلى ساعته . وهذه الساعة هى وقت موته وقيامته وصعوده أى ساعة تمجيده . ففى تلك الساعة يأتى الإعلان النهائى لمجد الآب فيه . أما من ابتداء ص ١٣ فإننا نجد أن يسوع يعلن أن الساعة قد أتت « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب » ( ١٣ : ١ أنظر ١٣ : ٣١ ، ١٧ : ١ ) . لقد أتت الساعة التى كان ينتظرها من وقت طويل مضى . وهنا نلاحظ فرقاً بين هذا الخطاب والخطابات التى كانت تبنى على الآية فى ص ٢ — ١٢ كتاب الآيات » فهناك كانت الآية تذكر أولا ثم يتلوها الحديث سواء أكان خطاباً أو حواراً ، أما هنا فإن الآية أى « صلب السيد » فكانت لازالت فى المستقبل ، إنها لم تحدث بعد . . إنها على وشك الحدوث . ومع ذلك فإن يسوع يتكلم كأن كل شئ قد حدث ، إنه لا يتكلم كالمعلم ، بل كرب الكنيسة وسيدها الذى انتصر ، لقد أخذ السلطان من الله لكى يعطى حياة أبدية ( ١٧ : ٢ ) . ففى تلك الساعة لم يكن يسوع يتكلم كأنه ينتظر شيئاً قادماً مروعاً ولكنه يتكلم وكأن كل شئ قد انتهى وجاز فيه الابن الأبدى فى نصرته . إن جثسيمانى قد انتهت ،واضطراب

نفسه قد صار وانتهى ( ١٢ : ٢٧ و ٢٨ ) وهو الآن يتكلم فى مجده وسلطانه الإلهى .

**القضايا الهامة فى الحديث :**

ولكن ما هى المواضيع أو القضايا الهامة التى يلمسها هذا الحديث الطويل للسيد ؟

١ ــ إن معظم القضايا التى فيه تتشابه مع القضايا والحقائق التى أعلنها السيد لتلاميذه فى جلساته الخاصة ، معهم كما وردت فى الأناجيل الثلاثة الأخرى وهى : تأتى تحت ٣ رؤوس :

( ا ) نصائح وتحذيرات ومواعيد للتلاميذ : عند الإرسالية ( متى ٩ : ٣٥ ــ ١٠ : ١٦ وما يقابلها ) وللسلوك مع الأخوة ( مرقس ٩ : ٣٣ ــ ٥٠ ) ، الموعظة على الجبل ( متى ٥ ــ ٧ وغيره ) نبوات عن خيانة يهوذا وإنكار بطرس وهروب التلاميذ ( مرقس ١٤ : ١٨ ــ ٢١ وما يقابلها ) . تحذيرات من الاضطهادات ( متى ١٠ : ١٧ ــ ٤٠ وما يقابلها ) مواعيد بالحماية والمعونة التى يقدمها الروح القدس ( متى ١٠ : ١٨ ــ ٢٠ ، ٢٨ ــ ٣٣ وما يقابلها ) ؛

(ب) نبوات عن موته وقيامته ( مرقس ٨ : ٣١ و ٣٢ ، ٩ : ١٢ و ٣٠ ــ ٣٢ ، ١٠ : ٣٢ ــ ٣٤ وما يقابلها ) ؛

(حـ) نبوات أسخاتولوجية النهاية ( مرقس ١٣ : ٥ ــ ٢٣ وما يقابلها ) المجئ الثانى ( مرقس ١٣ : ٢٦ و ٢٧ ) هذا هو ملخص التعاليم الخاصة التى قدمها السيد لتلاميذه فى جلساته الخاصة . وإذا درسنا خطاب السيد فى إنجيل يوحنا فإننا نجد معظم هذه التعاليم ، ما عدا التعاليم التى تختص بالنهاية كما

جاءت فى مرقس ١٣ : ٥ — ٢٣ ، موجودة فى يوحنا . ولكن لا يوجد هناك اهتمام كبير بالتعاليم الأخلاقية التى توجد فى الموعظة على الجبل . أما بخلاف ذلك فكل التعاليم الخاصة موجودة فى هذا الحديث الطويل . ويلاحظ أيضاً أن أحاديث المسيح مع تلاميذه فى الأناجيل الثلاثة لها صلة كبيرة بآلامه وآلام كنيسته وكذلك كانت تعاليم إنجيل يوحنا مع فارق واحد وهو أن إنجيل يوحنا لا يذكر الألفاظ المباشرة للموت والقتل والصلب كما تفعل الأناجيل الأخرى ولا يذكر اصطلاح القيامة ، ولكنه يضع عبارات أخرى : فبدلا من الموت يذكر السيد « أضع نفسى وبدلا من الصلب يضع كلمة « إن ارتفعت عن الأرض » أو يتمجد . . وهكذا .

وهكذا نجد التشابه بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة فى المواضيع العامة ولا يختلف عنها سوى فى بعض التعبيرات وعدم اهتمامه ببعض المواضيع القليلة كما ذكرنا .

٢ — لكن نلاحظ شيئاً آخر ، وهو أن المواضيع والحقائق التى يذكرها الإنجيل فى كتاب الآيات يذكرها أيضاً فى هذا القسم ولكن فى ضوء جديد ومعنى متطور : فمثلا إن كان قد قيل هناك إن يسوع لم يكن قد مجد بعد ، ( ٧ : ٣٩ ) فإنه فى ١٣ : ٣١ يذكر علناً أن « تمجد ابن الإنسان » . ومثل آخر : إذا كان كتاب الآيات يذكر أن معرفة الآب أو رؤيته . . لا يتم إلا فى إعلان الابن فإنه فى ١٤ : ٧ — ٩ نجد أن هذه الرؤيا قد تحققت . وهذه المعرفة قد حدثت فى اختبار التلاميذ .

ومثل ثالث : فبينما يقول فى ٦ : ٥٧ « . . وأنا حى بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى » يقول فى ١٤ : ١٩ « إنى أنا حى فأنتم ستحيون » » أى أن الشخص الغائب قد تغير وأصبح بصيغة المخاطب أو الشخص الثانى ، معنى

ذلك أن العلاقة الجيدة التي كان كتاب الآيات ينتظرها تتم بين الناس والله فى الابن المتجسد ، قد بدأت تتحقق الآن ، لأن الكلمة قد تمجد . . قد تمم عمله ومجده الآب . فالمتكلم هنا هو المسيح الممجد لأنه قد تمجد حقيقة .

وهنا نجد أيضاً تغييراً هائلا فى استخدام الاصطلاحات . . فالاصطلاحات نور العالم وحياة الناس ، تصبح حقيقة واقعة فى اختبار التلاميذ . . فيصبح التعبير الغالب الآن هو المحبة التى يظهر كمال التعبير عنها فى العلاقة بين الآب والابن ثم تتجسم أيضاً فى العلاقة بين التلاميذ الذين يمثلون كنيسة المسيح وبين المسيح ( ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ٩ و ١٠ و١٢ و ١٣ ، ١٧ : ٢٣ — ٢٦ ، ١٣ : ٣٤ و ٣٥ ، ١٤ : ٢١ — ٢٣) . يظهر ذلك أيضاً فى عدد المرات التى فيها تظهر كلمة المحبة فى ص ١٣ — ١٧ . فبينما لم تظهر فى ص ١ — ١٢ سوى ٦ مرات ظهرت هنا حوالى ٣١ مرة وبينما لم تظهر هنا كلمة « الحياة » أو « تحيا » سوى ٦ مرات ولم ترد فيها كلمة النور بتاتاً . ترد هذه الكلمات فى ص ١ — ١٢ حوالى ٨٢ مرة . إن الهدف من ذلك هو إظهار الحقيقة المجيدة وهى أن تحقيق الحياة والنور قد تم نهائياً فى اختبار المحبة . ففى حياة المحبة يستطيع الإنسان أن يعرف الله ويشترك فى حياته فيصبح ثابتاً فيه وهو فيه وبذلك يصبح الجميع واحداً فى الله بواسطة الكلمة الذى به صار كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان .

**مضمون الخطاب الوداعى :**

ينقسم الخطاب الوداعى إلى ثلاثة أقسام رئيسية : الأول : العمل العجيب الذى قام به السيد فى غسل أرجل تلاميذه ، والحوار الذى يتدخل فيه (١٣ : ١ — ٣٠) . القسم الثانى الحوار الذى يحدث بين المسيح وتلاميذه وفيه يطول قول السيد رويداً رويداً إلى أن يصبح هو وحده المتكلم (١٣ : ٣١ — ١٦ : ٣٣)

وأخيراً الصلاة الفريدة التي يرفعها السيد بخصوص تلاميذه ومن خلالهم من أجل كنيسته كلها (١٧).

١ - أما القسم الأول وهو غسل أرجل التلاميذ فكان عملا رمزياً. والشيء الغريب، أنه رغم أن إنجيل يوحنا يتسم بالميل إلى الرمزية فإنه لايذكر قصة العشاء الرباني. إنه يذكر شيئاً آخر، فهو يتخذ منشفة ويتزر بها ثم يغسل أرجل تلاميذه. نلاحظ أن الإنجيلي يقدم لهذه الحادثة بقوله «وأما يسوع وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته أحبهم إلى المنتهى.. يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى..» (١٣ : ١ - ٣). هذا العلم وهذا الفكر كان فى عقل السيد وهو يواجه أخطر أزمة فى حياته أزمة الموت التي يقول عنها فى مواجهتها الآن «نفسى قد اضطربت» (١٢ : ٢٧). ولكن رغم هذه الأزمة لم يكن لديه أدنى شك فى رسالته وفى سلطانه.. إنه عرف أن ساعته قد جاءت لكى ينتقل إلى الآب، إنها ليست ساعة الأعداء لكى يقتلوه ولكنها ساعته هو لكى ينتقل إلى الآب. وفى قمة يقينه وثقته فى الآب، وعندما كان يعرف أن سلطانه على كل شيء.. فى هذه الفرصة عمل عمل العبيد.. غسل أرجل تلاميذه.. إن يسوع لم يصر إلهاً لأنه أطاع وقام بعمل العبيد هذا، بل قام بهذا العمل لأنه إله، ولأنه متسلط على كل العالم. فعمله هذا لم يكن فقط مثالا للتلاميذ ولكنه كان إعلاناً لمجد الألوهية. ففى أقل وأتفه الأعمال والأشغال يمكن أن يظهر جلال الله.. فمن يستطيع إذن أن يحتقر أى عمل مهما كان صغيراً؟ فيه يستطيع الفرد أن يظهر مجد حياة الله فيه.. إن عمل السيد هو أساس عملنا وتفكيره هو الدافع لتفكيرنا (٢ كورنثوس ٨ : ٩).

هنا أمر آخر وهو أن بطرس عندما رفض أن يغسل السيد رجليه قال له السيد « إن لم أغسلك ليس لك معى نصيب . إن كانت الأعمال التى نعملها تبين مجد الله فينا فذلك لأننا أخذنا نصيبنا فى المسيح . المسيح يغسل أرجلنا أولا لكى نصبح له . . إننا نحتاج إليه . لا يستطيع بطرس أن يعطى نفسه شيئاً المفروض أن يعطيه له السيد . هذه الحقيقة هى التى يجب أن يفهمها بطرس وكل التلاميذ . ومن هذا نعرف أن عمل السيد هذا وإن كان رمزياً فى توقيته : إذ عمل وقت العشاء . . عشاء الرب وفيما نحلله من أمور ، وفوق كل شئ فى الإطار الإلهى الذى بنى عليه ، فإنه أيضاً مثال لنا حتى كما فعل هو نفعل نحن أيضاً ( ١٣ و ١٤ ) .

٢ — فى الجزء الذى يبدأ من ١٣ : ٣١ وينتهى بالأصحاح الرابع عشر كله يتكلم السيد عن موته وقيامته ففى ذلك الوقت كان السيد يواجه حقيقة الموت ، وهى حقيقة تاريخية يعرفها كل الناس . ومع أن السيد كان للتلاميذ ولبطرس « حيث اذهب لا تقدر الآن أن تتبعنى . . » ( ١٣ : ٣٤ و ٣٦ ) وهو يعنى الكأس الذى كان عليه أن يشربه أى الموت ، مع ذلك قال لهم بعد ذلك « أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . . آتى أيضاً » ( ١٤ : ٢ و ٣ ) فماذا كان يعنى بكلمة آتى ؟ إن المضى عنهم يعنى موته ، وبالتالى فإن مجيئه يعنى قيامته . نعم إن الكنيسة فهمت من المجئ الذى يتكلم عنه السيد هنا المجئ الثانى ، عندما يأتى لينهى التاريخ ، ولكن فى إنجيل يوحنا ، هذا المجئ يعنى شيئاً آخر غير المجئ الثانى . هذا المعنى يظهر فى الآيات التالية « لا أترككم يتامى إنى آتى إليكم بعد قليل لا يرانى العالم أيضاً وأما أنتم فتروننى . . إنى أنا حى فأنتم ستحيون . . إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا . . بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » ( ١٤ : ١٨ — ٢٤ ) إن

يسوع يرجع إلى أولئك الذين هم فى الأرض . . الذين يحبونه ويحفظون وصاياه . . إنه يأتى لكى يسكن معهم بروحه . . هذا الروح الذى يسأله الابن من الآب لكى يأتى إليهم ويسكن معهم إلى الأبد ( ٢٥ — ٢٨ ) . فرجوع المسيح إليهم معناه بالنسبة لهم ، هو اختيار روحه القدوس ، فمجئ الروح القدس هو هذا المجئ الذى يتكلم عنه السيد فى هذا الخطاب . وهذا المجئ مشروط . . أى أنه يأتى بشرط أن يحفظ المؤمنون وصية السيد التى أعطاها لهم أى المحبة . إنه أوصاهم وأعطاهم المثال الحقيقى لهذه المحبة . . هذه المحبة الحقيقية التى يجب أن يعيشوها هم ، هى التى تقنع العالم أنهم له وهو لهم وأنه فى وسطهم . ( ١٣ : ٣٤ و ٣٥ ) . ولكن هذا لا يعنى أن يوحنا ينكر المستقبل والأسخاتولوجى وقيامة الأموات ، فهذا نراه بوضوح فى كلام السيد فى ٥ : ٢٨ و ٢٩ . إنه المستقبل الذى تتكلم عنه الأناجيل الثلاثة الأول وبقية كتب العهد الجديد . لكن المستقبل الذى يذكره فى هذا الموقف هو المستقبل القريب عندما يرجع السيد إلى تلاميذه بعد قيامته فى روحه القدوس . إنه سيأتى روحاً معطياً حياة جديدة ونوراً جديداً ورؤى جديدة فى خدمته . إنه سيمكث معهم مع الروح المعزى . وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن النهاية التى تتكلم عنها كتب العهد الجديد الأخرى عندما يأتى السيد على السحاب ، لم تكن الشغل الشاغل لإنجيل يوحنا بل كان شغله أن يذكر أقوال السيد التى فيها يعزى تلاميذه ويذكرهم أنه سيكون معهم ويمكث فيهم . إنه سيذهب ثم سيأتى إليهم مرة أخرى وسيمكث فيهم وسوف يظهر ذلك فى المحبة الكاملة التى تظهر فى حياة تلاميذه الذين هم له .

٣ — أما ص ١٥ و ١٦ فيظهر فيهما قول السيد الذى تتضح فيه علاقته بكنيسته . فهذه الحياة التى فيها تتحقق الحياة الأبدية فى حياة التلاميذ هى الشغل الشاغل لهذا الإنجيل . وما دام المجئ الذى يذكره السيد هنا هو مجيئه إلى

من يحبونه ويحيون حياة جديدة . فالاهتمام كله كان بهذه الحياة التى يحيونها - والعلاقة التى تربطهم بالسيد الذى يعيش بالروح فى وسطهم . ويعبر السيد عن علاقته بمن هم له بصورة معروفة جيداً فى العهد القديم ، وهى صورة الكرمة « كرمة من مصر فقلت طردت أمماً وغرستها هيأت قدامها فأصلت أصولها فملأت الأرض . . » ( مزمور ٨٠ : ٨ - ١٩ ) . ويأخذ السيد هذه الصورة فيقول « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام ، كل غصن فى لا يأتى بثمر يقطعه ، وكل ما يأتى بثمر ينقيه حتى يأتى بثمر أكثر » ( ١٥ : ١ ) - فإذا قال السيد إنه الكرمة الحقيقية فهذا يعنى أنه شعب الله الحقيقى . إنه أخذ مكان إسرائيل ، فهو ومن له أصبح الكرمة والشعب الأمين . إنه إسرائيل الحقيقى . وإذا كان إسرائيل هو كرمة الله فى العهد القديم . فالله هو الذى غرسها ونماها ، وهذا ما يذكره إشعياء فى أنشودته الرائعة عن كرم الرب ( إشعياء ٥ : ١ و ٢ و ٧ ) . وإذا كان يسوع قد أخذ مكان إسرائيل فقد خضع للآب وأطاعه . . وكإسرائيل الجديد والكرمة الجديدة يرتبط يسوع بمن هم له ، فيكونون كلا واحداً معه ، فهو جزء منهم وهم جزء منه ، وحياته تصب فى حياتهم ويحيون فيه وبواسطته . أما العلامة التى تبين ثبات أولئك فيه - فى الكرمة الحقيقية - هو الثمر الذى يظهر فى الأغصان وذلك الثمر هو فى الحقيقة المحبة .

ولكن هذا المجتمع - مجتمع المحبة - مكروه من العالم . إنه يحتقرهم . فى كل الأزمان عندما يظهر مجتمع المحبة فإن رد الفعل عند العالم هو الكراهية والاحتقار . ولكن المؤمن ليس فى ذلك وحيداً ، فإن السيد سيرسل لهم مدافعاً آخر يدافع عنهم : الروح القدس . إنهم تحت حمايته يدافع عنهم ، يعزيهم . وفى نفس الوقت يدين العالم . إن عمل السيد معهم فى حياته سيكمله الروح

القدس بعد تمجيده ، فالروح هو الذى سيرشد إلى المستقبل فى ضوء يسوع المسيح .

٤ – الصلاة الشفاعية . ص ١٧ . إن ص ١٥ و ١٦ يصور السيد حياة الكنيسة وارتباطها به وارتباطه بها ، ولكن فى ص ١٧ فإنه يصور الكنيسة كما هى وكما يجب أن تكون فى المستقبل « لست أسأل من أجل هؤلاء بل من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى » ( ١٧ : ٢٠ و ٢١ ) . فوحدة المسيح مع الآب يجب أن تعكسها فى العالم وحدة الكنيسة فى المسيح يسوع وبالله . ومحبة الله التى أعلنت فى المسيح يجب أن توضحها المحبة التى تتجسم فى حياة أتباعه . وبهذا تعلن الحياة الأبدية التى يتمتع بها المؤمنون « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته ( ١٧ : ٣ ) فالحياة الأبدية حياة تقاس بحياة يسوع الذى يعرف الآب وقد أعلنه الجميع .

**ثانياً – حوادث التمجيد أو الآلام :**

فى قصة آلام السيد أو تمجيده نجد أن الترتيب المعهود فى كتاب الآيات قد تغير ، فهناك كانت الآية تذكر أو تظهر أولا وعلى أساسها وتفسيراً لها يتكلم السيد أو يجرى حواراً مع الآخرين فالآية أولا ثم الحديث ثانياً . أما هنا فالحديث قد ذكر أولا وذلك فى الأصحاحات ١٣ – ١٧ وبعد ذلك ذكرت آية الآيات أى موت السيد وقيامته أو تمجيده . ولعل السيد بعد أن شرح معنى موته وقيامته روحياً للتلاميذ فإنه يتوج هذا كله بقصة هذا الموت وهذه القيامة كأعظم وأمجد عمل قام به السيد . إن مجد موت المسيح يقوم على أنه مات فعلا وقام فعلا ، وعمق معناه الروحى لا يتضح فى الخطابات إلا عندما

نجده قد تحقق فعلا فى التاريخ ، فكان لا بد أن تذكر حوادث التمجيد بعد الخطابات لكى توضح لنا صدق روحيتها . وإذا درسنا قصة موت السيد وقيامته وقارناها بما ورد فى الأناجيل الثلاثة الأخرى فإنها تتفق فى كل خطوطها واتجاهاتها ، ومع ذلك فإننا نجد هناك علامات تميز قصة إنجيل يوحنا عن قصص الثلاثة أناجيل وتتلخص هذه العلامات فى أمرين .

١ — هناك أشياء جاءت فى قصة الأناجيل الثلاثة للآلام لا تظهر فى قصة إنجيل يوحنا مثل الحوادث الخارقة للطبيعة ، كإظلام الشمس وانشقاق حجاب الهيكل وحدوث الزلزلة وقيام كثير من أجسام القديسين وشفاء أذن عبد رئيس الكهنة ، وقصص أخرى كحلم زوجة بيلاطس ورشوة الحراس .

وفى إنجيل يوحنا لا نجد قصة عشاء الرب ، ولا ما حدث فى بستان جثسيانى ولا نجد اتهام يسوع بالتجديف فى بيت رئيس الكهنة ولا قصة حمل الصليب بواسطة سمعان القيروانى ولا تقرير عن التعبيرات التى وقعت على يسوع .

كل هذه القصص لم تأت فى قصة الآلام بحسب إنجيل يوحنا علماً بأن بعضاً منها نقرأ عنه فى كتاب الآيات مثل عشاء الرب فى ص ٦ وقصة جثسيانى ( ١٢ : ٢٧ و ٢٨ ) والتجديف ( ١٠ : ٣٥ — ٣٩ ) ، كلها ذكرت هناك مع تفسيرها .

٢ — هناك أشياء يذكرها يوحنا ولكنها لا تأتى فى الأناجيل الأخرى : وهى كثيرة نذكر منها :

( أ ) التنبير الشديد على أن موت يسوع كان اختيارياً وبمحض إرادته :

وذلك حدث فى بستان جثسيمانى ( ١٨ : ٦ — ٨ ) وفى توبيخه لبطرس عندما ضرب عبد رئيس الكهنة ( ١٨ : ١١ ) . ولم يسلم روحه إلا بعد أن وجد أن كل شئ قد أكمل ( ١٩ : ٢٨ — ٣٠ ) .

(ب) كان ينبر على الاتهام السياسى ضد يسوع : فهو يؤكد أنه ملك ( ١٩ : ١٢ و ١٥ ) بينما يقول شيئاً غامضاً لبيلاطس بحسب الأناجيل الأخرى (متى ٢٧ : ١١ ) .

( حـ ) فى قصة الصلب يذكر مجموعة من النبوات التى تحققت لا توجد فى الأناجيل الأخرى : مثل عظم منه لا يكسر » ( ١٩ : ٣٦ ) ينظرون إلى الذى طعنوه ( ١٩ : ٣٧ ) .

( د ) قصة أمه عند الصليب وطلبه من التلميذ الذى كان يحبه أن يأخذها عنده غير موجودة إلا هنا ( ١٩ : ٢٦ و ٢٧ ) وهذه تساوى قصة شق حجاب الهيكل . فذهاب مريم اليهودية إلى التلميذ المسيحى معناه أن اليهودية يجب أن تكون مسيحية .

( ه ) يذكر قصة طعن السيد بالحربة وخروج دم وماء من جنبه ( ١٩ : ٣٤ و ٣٥ ) وهذه آية ظاهرة فى إنجيل يوحنا : الماء الحى من يشرب منه لا يعطش أى الروح القدس ( ٧ : ٣٩ ) والدم الذى هو مشرب حق . وهذا يعنى أن الحياة الأبدية التى تأتى من الروح القدس ومن المسيح قد ظهرت وارتبطت بموته والذى رأى شهد وشهادته حق .

( و ) مع أن الأناجيل لا تشير إلى دهن جسد يسوع بالطيب لكن يوحنا يؤكد ذلك ( ١٩ : ٣٨ — ٤٠ ) .

( ز ) الاهتمام بذكر قصة توما وغيابه عن التلاميذ فى الظهور للتلاميذ

ثم حضوره بعد ذلك بأسبوع ورؤيته للرب تبين اهتمام الإنجيلي بالشهادة التاريخية وحقيقة القيامة، وصلة الرؤيا بالإيمان واعتراف توما بألوهية السيد؛

وهكذا تؤخذ بعض التنبيرات في إنجيل يوحنا مما لا نراها في الأناجيل الأخرى . فهو ينبر على أن الشخص الذى جاؤا به ليقاضوه أصبح قاضياً عليهم، على رؤساء الكهنة وعلى بيلاطس ، فهو في حقيقة الأمر ديان العالم ، ولقد أدانه في شخص هؤلاء الحكام . وينبر على حرية يسوع ، إنه لا ينتظر الأحداث لكى تجرفه ولكنه يذهب هو إليها بسلطانه ، بل يبلغ من حريته أنه يحدد نوع موته ، على الصليب لأنه إن ارتفع عن الأرض يجذب إليه الجميع؛ وهكذا يصبح السيد هو الفادى الذى يدين العالم ويفدى الذين قبلوه وأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله .

**قيامة المسيح :**

يتساءل بعض الدارسين : إذا كان موت المسيح هو في الحقيقة تمجيده فما فائدة ذكر قصة قيامته ؟ إن كل شيء قد أكمل على الصليب ، العمل الذى أعطاه له الآب أن يكمله قد انتهى ، وارتفع السيد إلى أبيه بالصليب ، فهل هناك داع إذن للقيامة بحسب إنجيل يوحنا ؟ إن إنجيل يوحنا بعد أن يذكر موت المسيح يذكر ظهوره أيضاً عدة مرات ، إنه يذكر أن مجد المسيح في أن يعطى نفسه ، وأن الآية العظمى هي موته . . وموته كان حقيقياً وتمجيده كان حقيقياً . ففي المفهوم اللاهوتي انتهى تمجيد السيد في موته ، هذه هي نتيجة إنجيل يوحنا ، ولكنه مع ذلك ، ومع صحة هذا المفهوم السابق فإنه يذكر قيامة السيد .

١ — لكى نفهم ذلك يجب أن نفرق بين المفهوم اللاهوتي لحادثة موت السيد والمفهوم التاريخي لها . ففي المفهوم اللاهوتي هي مجد وارتفاع للمسيح

وبعدها لا شئ . ولكن الموقع التاريخى لهذا الموت على الصليب يقول غير ذلك . إن الصليب تاريخياً هو الهزيمة هو الانكسار ، وعند الصليب ظهر خوف التلاميذ فهجروا سيدهم . وعلى الصليب عطش السيد وصرخ أنا عطشان وهو بين يدى الموت . فالذى يعرف موت المسيح معرفة حقيقية والذى يفسره لاهوتياً يرى مجد المسيح ، أما من يراه تاريخياً فقط ففيه يرى الهزيمة والانكسار ولأجل ذلك كان على يوحنا أن يذكر قيامة السيد لكى يحقق للصليب مجده من وجهة نظر التاريخ . إن القيامة فى يوحنا ليست فرصة لإعلان سلطان المسيح المطلق كما يتضح ذلك فى إنجيل متى ( ٢٨ : ١٦ — ٢٠ ) ولكن لكى يعلن أن المسيح تاريخياً أيضاً قد هزم الموت . فالقيامة ضرورية لكى تحول الحادثة التى كانت — من وجهة النظر التاريخية — كارثة مروعة إلى حادثة مجيدة لأنها نصرة ، وبذلك يصبح موت المسيح تمجيداً ونصرة لاهوتياً وتاريخياً معاً . فى ذاته هو ارتفاع للمسيح ولكن ذلك المفهوم مفهوم لاهوتى ، ولكن أيضا القيامة تحول الصليب إلى نصرة فى عين التاريخ والناس .

٢ — إذا كانت القيامة تعنى أن السيد قد حول الموت ، الذى يعتبر فى أعين الناس انهزاماً ، إلى نصرة ، فإنها إلى جانب ذلك تعنى بالنسبة للتلاميذ شيئاً أعمق . إنها تعنى رجوع سيدهم إليهم مرة أخرى من الموت. فالقيامة تظهر فى إنجيل يوحنـــا وفى خطاب السيد لتلاميذه تساوى المجئ الثانى . هذا ما يقوله السيد « لا أترككم يتامى إنى آتى إليكم ، بعد قليل لا يرانى العالم أما أنتم فسترونى . إنى أنا حى فأنتم ستحيون فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ... وإليه نأتى

وعنده نصنع منزلا » ( ١٤ : ١٨ – ٢١ و ٢٣ ) ، معنى القيامة هو مجيء السيد إلى الجماعة التى خلقها ، وخلقها بمحبته وغفرانه . فالقيامة هى المحبة وعنوانها . ولهذا فقد نسى كل ما عملوه .. هربوا وتركوه وحده ، أنكره بطرس ، وتفرق التلاميذ ، ولكن يسوع لمحبته لهم جاء إليهم فخلقهم من جديد جماعة قوية ، ولهذا فقد نبر إنجيل يوحنا بشدة على قيامة السيد بجسده ، وظهوره لمريم المجدلية وللتلاميذ ، ونبر بشدة على القبر الفارغ ، ولكنه لم يكن هذا القبر الفارغ شيئاً فى ذاته لأن بطرس رآه ولم يفهمه ، أما التلميذ الآخر فرأى وفهم وآمن . فالمهم هنا لم يكن القبر الفارغ بل أهميته تتركز فى إيمان التلاميذ . وهذا ما نجده فى قصة توما الذى رفض أن يؤمن دون أن يرى ويلمس. وجاء إليه الرب بنفسه فرآه وآمن وقال «ربى وإلهى» ولكن السيد قال « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » ( ٢٠ : ٢٩ ) . إن الذى يؤمن دون أن يرى يؤمن على أساس شهادة الشهود الذين رأوا وهم تلاميذه، هؤلاء هم التلاميذ الذين قدموا شهادتهم الحية للعالم . . هؤلاء خلقتهم القيامة خلقاً جديداً . . وفعلت ذلك بالمحبة الأبدية التى تدفقت من قلب يسوع المحب .

## رسائل يوحنا

نأتى الآن إلى الرسائل الثلاث التى كتبها يوحنا ، وقد سبقت الإشارة فى معرض دراسة الإنجيل الرابع إلى صلة هذه الرسائل وخصوصاً الأولى به وبكاتبه ، وعرفنا أن الرأى بشكل عام ينقسم إلى فريقين ، واحد يؤيد وحدة المؤلف ، والثانى لا يؤيد ذلك ، ولكن الجميع يتفقون أن هناك صلة قوية بين الاثنين تؤكد أنها من مدرسة فكرية واحدة ، ووراءها شخص يعتبر المنبع لتفكيرها . والرسالة الأولى هى الأهم ، من حيث طولها والأفكار التى فيها مع أنها لا تظهر كرسالة .

**مميزات الرسالة الأولى :**

١ — تكشف لنا الرسالة الأولى أن جماعة مضلة بدأت تبلبل أفكار أعضاء الكنيسة الآخرين بتعاليم تختلف وتناقض التعاليم التى تسلموها . وهذا يظهر فى قول الرسول « منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » ( ١ يوحنا ٢ : ١٨ و ١٩ ). وبهذا نرى أنه بينما كان الإنجيل يواجه مجابهات خارجية آتية من اليهود وتلاميذ يوحنا فإن الرسالة الأولى تواجه جماعة منشقة عن الكنيسة . وسبب انشقاقها يكمن أساساً فى أنها أنكرت التجسد ( ٤ : ١ — ١٠ ) ثم بنت على ذلك أو إلى جانب ذلك ، سلوكاً لا يمكن أن يكون سلوكاً مسيحياً أو يعكس الحياة الجديدة التى نالها المؤمن بولادته من الله : وتتمثل هذه الحياة فى الكراهية والبغضة للأخوة ( ٢ : ٩ ، ٣ : ١٣ — ٢٠ ) . ثم فى حياة غير طاهرة تسير فى الظلمة ( ١ : ٦ ، ٢ : ٩ ، ٣ : ٣ — ١٠ ) إلخ .

ويقول التقليد أن سيرينتوس Cerin Thus (قصة يقولها بوليكاربوس) كان هو الشخص الذى زرع بذار هذه الضلالة ولم يستطع الرسول يوحنا أن يبقى معه فى مكان واحد خوفاً لئلا ينهدم المكان من ضلالة هذا الغنوسى . سيرينتوس هذا كان يقطن فى أفسس وكان يقول إن الله غير معروف ولا يمكن معرفته ، وأنكر الصليب لأن المسيا لا يمكن أن يصاب ، ولعل الرسول كان يحارب هذه الضلالة فى قوله « من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ، ومن يعترف بالابن له الآب أيضاً » ( ٢ : ١٣ و ١٤ ) .

٢ — من دراسة خلفية الرسالة ومن أقوال الرسول نفسه نستطيع أن

نعرف الهدف الذى من أجله كتبت هذه الرسالة . . إن غرضه يكشف عنه فى قوله « الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا ، وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكى يكون فرحكم كاملا » ( ١ : ٣ و ٤ ) ويضيف على ذلك قوله فى فى ٥ : ١٣ « كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكى تؤمنوا باسم ابن الله » وهذا الهدف يتشابه كثيراً مع الهدف الذى من أجله كتب الإنجيل كما هو موضح فى يوحنا ٢٠ : ٣١ . هدفه إذن هو هدف رعوى ، إنه يكتب لجماعة الكنيسة الذين تحولت إليهم سهام الضلالة لكى تبعدهم ، ليس فقط عن التعليم الصحيح ، بل أيضاً عن مصدر حياتهم وعن شركتهم مع الآب وعن الحياة الأبدية . إنه يكشف عن الخطأ العقائدى والخطية السلوكية التى يبشر به هؤلاء الذين كانوا معهم ، ولكنهم ضلوا ، ويحاولون الآن أن يجروا القطيع الهادى الوديع وراءهم ، إنهم يجرونهم إلى البغضة والكراهية ، إلى الفساد والانحلال ، إلى الضلال وإنكار الآب والابن معاً . فإن كان جو الرسالة جواً مشبعاً بالمناقشات الحامية والدينونة على أولئك المضلين ، فهذا ينبع ويصدر من قلب الراعى الذى يحب الرعية ويريد أن يحفظها من الذئاب .

ولكن هناك شئ آخر كان متفشياً فى فريق آخر ، هو الكبرياء ، هذه الكبرياء الدينية هى التى جعلت قوماً يقولون « نحن ولدنا من الله » ، « نحن فى النور » ، « نحن لا نخطئ . . وبلا خطية » ، « نحن نثبت فى الله » ، « نحن نعرف الله » ، ولكن الرسول يأخذ شعاراتهم هذه التى لا يستحقونها لأنهم لا يظهرون فى حياتهم ما تقصده وما تعنيه بل يفعلون ما يناقضها ، يأخذ هذه العبارات ويضعها فى إطارها المسيحى الحقيقى ويعرفهم الطريق الحقيقى

الذى يسلكه الشخص الذى يقول هذا القول . كيف يظهر حالته المسيحية الحقيقية .

٣ ــ هناك حقيقة هامة مرت بنا عند دراستنا لرسائل القديس بولس هى « الحقيقة » ، « والأمر » أى أن الوصية ( الأمر ) التى ينصح بها الرسول كنائسه لها أساس لاهوتى تنبع منه ونبنى عليه (الحقيقة ) ، هذه الحقيقة نجدها هنا أيضاً فى رسالة يوحنا الأولى ، فهناك سلوك عملى يبنى على حقيقة وموقف لاهوتى ، هناك أمر يبنى على حقيقة . وهاك بعض الأمثلة ،

( ٢ : ١٠ ) « من يحب أخاه ( أمر ) يثبت فى النور (حقيقة ) .

( ٣ : ٧ ) « من يفعل البر ( أمر ) فهو بار كما أن ذاك بار ( حقيقة )

( ٣ : ٢٤ ) « من يحفظ وصاياه » ( أمر ) يثبت فيه وهو فيه ( حقيقة )

( ٤ : ١٥ ) « من اعترف أن يسوع هو ابن الله ( أمر ) » فالله يثبت فيه وهو فى الله ( حقيقة ) .

هنا نجد الوصية والحقيقة مرتبطتين ارتباطاً كاملا ولا يمكن فصلهما بعضهما عن البعض . . السلوك ومصدره لا يمكن أن ينفصلا . وفى بعض الأحيان يذكر القديس يوحنا الناحية السلبية من هذه الحقيقة مثل ( ٣ : ٨ و ١٤ ) . إن الحياة المسيحية هى حياة مصدرها الله نفسه

**مضمون الرسالة :**

فما هو مضمون هذه الرسالة ؟ تنقسم إلى ثلاثة أقسام وفيها ثلاث قضايا أو حقائق لاهوتية سلوكية . هذه الحقائق هى :

١ ــ السلوك فى النور ( ١ : ٥ ــ ٢ : ١٧ ) . ويتركز هذا القسم فى الجزء الأخير من العدد الخامس فى الأصحاح الأول « إن الله نور وليس فيه

ظلمة البتة » . وهذه عبارة يشترك فى التمسك بها اليهودى واليونانى والمسيحى ، وعندما يؤكد القديس يوحنا أن ليس فى الله ظلمة البتة فإنه يؤيد ما يقوله الآخرون لأنهم يقولون إن الله نور ولا يمكن أن تكون فيه ظلمة لأنها من سمات المادة الشريرة وهو أبعد ما يكون عن المادة ، ولكن هنا يختلف القديس يوحنا عنهم وعن المسيحيين الغنوسيين عندما يقول « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق ( ١ : ٦ ) وهذا القول يهدم دعوى الذين يظنون أنهم ما داموا قد خلصوا فالجسد لا قيمة له ولا داعى للاهتمام به ، فليعمل كل إنسان ما يعمل من كل أنواع الشرور فلا أهمية له .

وهناك اختلاف آخر ينفرد به الإنجيل يعبر عنه القديس يوحنا فى الرسالة ٢ : ٨ « أن الظلمة قد مضت والنور الحقيقى الآن يضىء » . وهذه العبارة تعكس قول الإنجيل « والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه ، كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم » ( يوحنا ١ : ٥ و ٩ ) . وهذا يعنى أن القديس يوحنا يضع هذه العبارة «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» فى إطار التاريخ ، إنها اختبار دخل إلى الحياة البشرية فى تاريخ الخلاص وليست فكرة أو عبارة نظرية فلسفية لا أساس تاريخى لها . إن الله نور لأنه أعلن نفسه هكذا فى عملية الخلاص الذى عمله فى المسيح يسوع .

ولكى يظهر المؤمن الحقيقى أن له شركة فى النور ، هناك مقياسان تقاس بهما حياته : المقياس الأول هو مقياس البر ( ١ : ٦ — ٢ : ٦ ) . وفيه يذكر القديس يوحنا خمس جمل شرطية . إن قلنا . . منها الإيجابى ( ٢ : ٧ و ٩ ) ومنها السلبى ( ٢ : ٦ و ٨ و ١٠ ) . وهذه المتطلبات كلها لا تبنى ولا تطلب من المؤمن على غير أساس بل إنه متأكد أن خطاياه قد غفرت وأن له شفيع أو معزى الذى هو يسوع المسيح . هذه الكلمة شفيع هى نفس الكلمة بارقليط التى استخدمت للروح القدس فى يوحنا ١٤ : ١٦ ، ١٥ : ٢٦ . . إلخ .

أما المقياس الثانى فهو مقياس المحبة ( ٢ : ٧ — ١٧ ) وهى مجموعة الوصايا ( ٢ : ٣ ) وهى الوصية القديمة التى كانت من البدء وهى فى نفس الوقت الوصية الجديدة ( ٢ : ٧ و ٨ ) وهذه المحبة تظهر أيضاً فى مجموعة من السلوك السلبى والإيجابى ( ٢ : ٩ و ١٠ ) . وينتهى هذا الجزء بالثقة والأساس الذى تبنى عليه هذه المتطلبات ( ٢ : ١٢ — ١٤ ) .

أما ٢ : ١٥ — ١٧ فهى فقرة انتقالية إلى القضية الثانية ، فيها يوجه القديس يوحنا نظر أولاده إلى العالم الذى يبغضهم ، فيجب عليهم هم ألا يحبوه. فماذا يعنى ذلك ؟ هذا ما تواجهه القضية والحقيقة الثانية .

٢ — الحقيقة الثانية وهى الحياة الأبدية ( ٢ : ١٨ — ٣ : ٢٤ ) القضية الأولى قضية النور ، القضية الثانية الحياة الأبدية . وفى هذا الجزء أيضاً يثبت القديس يوحنا العقيدة التى يتمسك بها ( ٢ : ١٨ — ٣ : ٣ ) ثم يعقبها الاختبار السلوكى الذى يبنى عليها وهو البر ( ٣ : ٤ — ١٠ ) ثم المحبة ( ٣ : ١١ — ٢٧ ) وينتهى بكلمة تقوية وتأكيد لإيمانهم ( ٣ : ١٨ — ٢٤ ) .

أما القسم العقائدى ( ٢ : ١٨ — ٣ : ٣ ) فهو يؤكد أن الساعة الأخيرة قد جاءت . وهذه الساعة الأخيرة بحسب المفهوم اليهودى هى تلك التى يحدث فيها المجابهة بين الله وقوات الشر ، أن العهد الجديد قد جاء بالمسيح يسوع وتحققت فيه الحياة الأبدية ، هذه الحياة الأبدية هى نتيجة الإيمان بعمل الله فيه كما يذكر الإنجيل ( ٣ : ١٦ ) وبحسب هذه الرسالة ( ١ : ٢ ) . وفى عصر هذه الحياة تظهر قوة الشر وقد تركزت هذه المرة فيما أسماه « بضد المسيح » . وقد ظهر اضداد للمسيح كثيرون ، وهم جماعة كانت فى الكنيسة ولكنها ضلت وتركت الحق وسارت وراء الكذب والكذاب ، فأنكرت الآب والابن ( ١٨ — ٢٣ ) . ظن أعضاؤها أنهم يعرفون كل شئ . اعتقدوا أنهم قد

أخذوا معرفة لا يتمتع بها غيرهم ، وهم مستعدون أن يعلموا الآخرين ، إنها معرفة أعمق من حق الإنجيل . ولكن القديس يوحنا يقول للمؤمنين : إن المعرفة الحقيقية تأتيكم من الروح القدس أى المسحة المقدسة التى تعلمكم عن حق الإنجيل فقط . ولذلك فأنتم متعلمون ولا تحتاجون للكذابين أن يعلموكم ( ٢٤ — ٢٧ ) . إذن فليس هناك تفريق ولا طبقات بين المؤمنين فى المعرفة ، لأن جميعهم متعلمون من الروح القدس ، وجميعهم أولاد الله فهم أسرة واحدة ، رفعهم الله بفرط محبته ليجعلهم أبناء ( ٣ : ١ ) . نعم كأولاد الله لا يعلمون كيف يكونون عند كمال الحياة الأبدية فيهم ، ولكنهم مؤمنون أنهم سيكونون كابن الله عندما يظهر فى مجده .

ويتكلم القديس يوحنا بشدة ضد من يفسد الأخوة وكنيسة الله ويكشف أنهم بعيدون عن البر وعن المحبة ، المقياسين اللذين يظهر بهما الحياة الأبدية الحقيقية . . إنهم أولاد إبليس فى مقابل المؤمنين الذين هم أولاد الله . ولا يمكن أن يكون هناك وسط بين الاثنين ( ٧ — ١٧ ) إن أولاد إبليس هم الذين يفعلون الخطية والكذب ، وأما أولاد الله فهم المبررون الذين يحبون الأخوة . ولكن هذا لا يعنى أنهم معصومون من الخطأ والخطية بل أنهم لا يعيشون فيها . إن البر الحقيقى هو ما يلخصه فى ٣ : ٢٣ « وهذه هى وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصيته » .

٣ — الحقيقة الثالثة : تصديق الحق ( ٤ : ١ — ٥ : ٢١ ) القضية الرئيسية هنا هى الإيمان وتصديق الحق . فالثبات فى الله والشركة معه يظهران فى مظهرين التمسك بالحق والإيمان به ، ثم سلوك البر والمحبة .

أما الحق الذى ينبر عليه القديس يوحنا فهو مركز ومحدد فى ٤ : ٢

« يسوع المسيح قد جاء فى الجسد » هذا الحق يردده فى الأصحاحين الأخيرين كثيراً ( ٤ : ٩ و ١٤ و ١٥ ، ٥ : ١ ، ٥ و ٢٠ ) . إن مجئ ابن الله فى الجسد هو الحق الذى لا يمكن أن يتغير ومن يغيره يكون من الشيطان ولا يحب الله . ويعبر الكاتب عن هذه الحقيقة بقوله « هذا هو الذى أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم » ( ٥ : ٦ ) . من هنا تظهر روح الضلال التى يحاربها الكاتب . أولئك الذين ينكرون أن يسوع هو المسيح وأنه لم يصلب . إنه حل فى يسوع عند المعمودية وتركه عند الصليب . لكن الرسول يقول إنه جاء بمعمودية وصلب ، بماء ودم . بشرية كاملة ومع ذلك فهو ابن الله . أما فصل الاثنين فهذا ضلال . لقد فرق المضلون بين ابن الله وبين يسوع . وقد اتحد ابن الله بيسوع عند المعمودية ولكنه تركه عند الصليب . . الاثنان منفصلان . هذه هى عقيدتهم المضلة . إن الحق هو أن يسوع هو ابن الله الذى جاء فى الجسد :

إن من يؤمن بذلك فهو يحب الله ويحب المولود منه ولكن من لا يؤمن فإنه مضل وشرير ولا تثبت محبة الله فيه . فعلامة الثبات فى الله أيضاً هى حياة المحبة والبر .

## الفصل الثاني

# سفر الرؤيا

هذا الكتاب له موقف فريد فى كتب العهد الجديد وتاريخه فى الكنيسة يختلف عن معظم هذه الكتب ، وموقف المسيحية منه فى العصر الحاضر لا يعادله أى موقف تجاه الكتب الأخرى . أسلوب كتابته يقف وحده ولا يشابهه سوى جزء من أصحاح فى إنجيل مرقس ( مرقس ٦٣ وما يوازيه ) ، تشبيهات ورموز وصور ورؤى ، حروب ونضال وفرسان ، دينونة وخلاص وأشياء كثيرة من هذا القبيل مما يجعله أصعب كتاب فى العهد الجديد من ناحية تفسيره وفهمه .

**تاريخه فى الكنيسة المسيحية :**

ولعل دراستنا لتاريخيه الكنسى وموقف الكنيسة منه تعطينا فكرة عامة عنه . لقد وقفت الكنيسة من قبوله ضمن الكتب المقدسة مواقف مختلفة ، وكان لكل كنيسة نظرتها الخاصة تتلخص فى الأمور :

١ — بخصوص الكنيسة الغربية فقد قبلته مباشرة من وقت ظهوره . فقد قبله إيريناوس أسقف ليون وهيبوليتس أسقف روما وكتب تفسيراً عنه ولكنه فقد . أما أول تفسير كتب عنه باللغة اللاتينية فقد كتبه فكتورينس فى سوريا ( ٣٠٤ م + ) ثم تبعته كتب أخرى مما يدل على أن الكنيسة الغربية قبلته وأنزلته منزلة كبيرة مثل كل الكتب الأخرى فى العهد الجديد .

٢ ـ أما موقف الكنيسة المصرية فكان مختلفاً بعض الشئ فبينما قبله أكليمندس الاسكندرى ومن بعده أوريجانوس . . وقبلوا أن يوحنا الرسول هو الذى كتبه . إذ بالحال يتغير بعد سنوات قليلة من موت أوريجانوس فقد اعترض عليـه دينسيوس Dionysius أسقف الاسكنـدرية وتشكك كثيراً فى أصله الرسـولى ، وذلك فى مناقشـة مع أسـقف الفيوم ، وكان أهم ما وجهه إلى الكتاب من اعتراضات هو مشكلة الألف سنة التى يتكلم عنها الكتاب ، ثم يقول إنه حول القيم الروحية إلى مادية . ومع ذلك فلم تتأثر عقيدة الكنيسة المصرية بفكرة دينسيوس وظلت تعتقد فى أصل الكتاب الرسولى ، وقد أكد ذلك أثناسيوس ( ٣٦٧ م ) وديديموس (٣٩٤م)وكيرلس الاسكندرى ( ٤٤٤ م ) .

٣ ـ أما الكنيسة التى تأثرت برأى دينسيوس فهى الكنيسة اليونانية فقد ظل فيها بعيداً عن الكتب القانونية إلى سنة ( ٥٠٠ م ) ، حتى يوسابيوس ( ٣٤٠ م ) تشكك فى نسبته إلى يوحنا الرسول . وكيرلس الأورشليمى لم يضعه بين الكتب القانونية . ثم مدرسة أنطاكية لم تعترف به . وكتاب القرن الرابع فى آسيا الصغرى لم يتفقوا على رأى فى ذلك . . ولم يظهر سفر الرؤيا فى الكتب المقدسة فى الكنيسة اليونانية خارجاً عن مصر سوى فى أوائل القرن السادس .

٤ ـ أما الكنيسة السريانية فلم تضعه من ضمن الكتب المقدسة إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى .

هذا هو مجمل موقف الكنيسة تجاه سفر الرؤيا ومنه نرى أن بعض مناطق من الكنيسة ترددت كثيراً فى قبوله فى حين أن البعض الآخر قبله منذ أن عرف .

خصائص سفر الرؤيا :

لكى نستطيع أن نفهم شيئاً عن سفر الرؤيا يجب أن نعرف شيئاً عن خصائصه ، وبالأخص الأسلوب الذى كتب به ، ولقد سمى سفر الرؤيا « رؤيا يوحنا اللاهوتى » وغالباً ما ظهر الوصف « اللاهوتى » فى القرن الرابع ، أما العنوان الأصلى الذى عرف به هو « رؤيا يوحنا » : فما معنى كلمة « رؤيا » ؟ هذه الكلمة تترجم الاسم اليونانى apokalupsis والفعل منه apokalup Tō ومعناه يعلن أو يكشف سراً كان مخفى لا يعرفه سوى الله فقط . وقد استخدم فى العهد الجديد بهذا المعنى : فالإبن يعلن الآب لإخوته الصغار (متى ١١ : ٢٧ ، لوقا ١٠ : ٢٢) . والآب يعلن ابنه للرسول بولس (غلاطية ١ : ١٦) . وابن الإنسان سوف يعلن فى انتهاء العالم (لوقا ١٧ : ٣٠) ولكن قبل ذلك إنسان الخطية سيعلن نفسه (٢ تسالونيكى ٢ : ٣ و ٦ و ٨) . وسيعلن أبناء الله فى المجد (رومية ٨ : ١٨) . أما هنا فى العدد الأول فى سفر الرؤيا فإنها تعنى كشف إعلانات المستقبل أو الاسخاتولوجى الذى منحه المسيح لعبده يوحنا ، وهذه هى المرة الوحيدة التى تستخدم فى العهد الجديد بهذا المعنى (رؤيا ١ : ١) .

وهذه الرؤيا apokalupsis كوصف لهذا الكتاب لم تطلق عليه هو فقط بل هناك كتب كثيرة وصفت هكذا ، بعضها فى العهد القديم كسفر دانيال وحزقيال وإشعياء (٢٤ — ٢٧) ، ولكن الكمية الوافرة من الكتب الرؤوية ظهرت فى القرون المحيطة بميلاد السيد أى فى القرنين أو الثلاثة التى تسبق وتلحق بمجيئه ، وهى تعبر عن فكر جماعة يهودية خاصة وأهم كتبها : كتاب أخنوخ الأول واليوبيل وعهد البطاركة الاثنى عشر ومزامير سليمان

ورؤيا إبرهيم وغيرها . ولم تنشأ هذه الكتب فى فراغ ، ولكنها ظهرت فى بيئة خاصة وفى وسط جماعات خاصة كانت تعتقد فى الأمور التالية :

١ – إنها هى البقية البارة التى تمسكت بطرق الرب بينما العالم كله غيرها قد ضل وصار شريراً ولا فائدة ترجى منه .

٢ – الأمر الثانى هو عقيدتها بأن النبوة قد انتهى وقتها ، ولم يعد الله يكلم الشعب بواسطة الأنبياء الآن .

٣ – أما الأمر الثالث فهو الحالة الشديدة الصعبة التى يعيشها أفراد هذه البقية البارة ، فهى تعيش فى ضيق وعنت واضطهاد ، ولكنها مع ذلك فهى تعترف أن الله فى يده مقاليد الأمور ولا بد له بأن يتدخل لأجل مختاريه ويهزم الشر وينتصر لشعبه .

ولهذه الكتب ، التى ظهرت فى هذا الوسط الضيق الصعب لتقوية البقية البارة ، خصائص هامة إذا انطبقت على كتاب سمى بأنه كتاب رؤى . هذه الخصائص هى :

١ – الإعلان :

وهذا يظهر من نفس الاسم . فبطل الرؤيا قد يسير مع ملاك أو يؤخذ إلى السماء وهناك تكشف له أسرار عن نهاية العالم ، وكيفية إقامة ملكوت الله ، أو عن الملائكة أو الشياطين أو عن الدينونة أو الحوادث المؤدية إليها . . . ويقول صاحب الرؤيا إنها إعلانات سرية يجب أن تبقى سرية ومختومة ولا يمكن أن يفهمها إلا الحكماء . ويختلف أصحاب الرؤيا عن الأنبياء فى أن النبى يتكلم قائلا « هكذا قال الرب » لأنه يتعامل مع الله مباشرة ، أما صاحب الرؤيا فله وسيط أو ملاك يكلمه ويشرح له الرؤيا ، ومع أن بعضهم قال إن الله هو الذى كلمه ولكن لم يكن له نفس سلطان النبى الذى حضر محفل الله نفسه .

٢ – الرمزية :

وتنتقل الرؤيا لا فى كلام بسيط واضح ، ولكن فى رموز وصور يجب أن تفسر . فهناك الوحوش والختوم والأنهار والجبال والنجوم وشخصيات ملائكية وشيطانية ، وقد تتغير الصور فيتحول النجم إلى الثور أو الثور إلى إنسان وهكذا . وقد تدل الوحوش على رجال والقرون تشير إلى ملوك والنجوم أو الرجال إلى ملائكة . . ولكن هذه الرموز ليست هلوسة بل هى اختبارات صحيحة تاريخية توضع فى هذه الرموز ، أو هى خبرات شخصية نفسية تعكس شخصية الرائى . ومن أهم الرموز الأعداد مثل ٣ و ٤ و ٧ و ١٠ و ١٢ أو مضاعفاتها وخصوصاً العدد ٧٠ . ولكن للأسف لم يعد مفتاحها الآن معروفاً مع أنها كانت مكشوفة للذين كتبت لهم .

٣ – التشاؤمية :

هذا النوع من الكتابات كتب لأناس فى ظروف صعبة قاسية . وكتابها يؤمنون بأن الله سوف يتدخل ليحطم الشر ، ولكن إلى أن يتدخل لا يمكن أن يوجد حل للمشكلة ،ولا يوجد رجاء فى طبيعة الأمور أو فى مجهود البشر ، حتى الثورة لا يمكن أن تنفع ، وقد اتخذ بعضهم هذا الطريق أى الثورة فأدت إلى الخراب مثل ما حدث فى سنتى ٧٠ ، ١٣٢ م فالله سوف يتدخل ، ولكن متى وكيف فهذا لا يعرفه إنسان . وإلى أن يتدخل الله تحل ما يسمى عادة « أهوال المسيا » وهى حروب ومجاعات وزلازل وأشياء أخرى وأخيراً يأتى الله بقوة لكى يخلص المختارين .

٤ – انتصار الله :

يرى الرائى أن كل العالم يتأرجح والأعمدة تنقلب والمدنيات تتحطم ، ولكنه لا يقف عند ذلك الحد . إن الله هو الملك ، وهو صاحب السلطان

المطلق ، كما يعتقد كل الاسرائيليين ، ولذلك فهو يتدخل بطريقة حاسمة ، وقد يتدخل عن طريق واسطة هو المسيا ، وقد يتدخل بنفسه ، وقد يكون ملكه فى الأرض وقد تتغير الأرض والسماء معاً .فى هذه الأمور تتنوع أفكار الرؤيين ، ولكن الأمر المؤكد الذى يتفقون فيه كأساس لعقيدتهم وتفكيرهم هو أن الله يتدخل بقوة ويدين الأشرار والشر و يمجد مختاريه وشعبه .

ولكن الانتصار يبنى على عقيدة أخرى ، وهى أن كل شئ مرسوم بقضاء إلهى ومدبر من البدء ، لقد رسم الله كل شئ ، الألم والشر وأخيراً النصرة ، فلا يوجد شئ بعيد عن يدى الله ، فكل شئ تحت سيطرته ؛ وهذه العقيدة وإن كانت لا تعطى المؤمنين الأبرار أملا فى أن يتغلبوا على الشر إلا أنها لا تخلق فيهم روح الانهزامية ، لأنهم يعرفون أن الله سينتصر لهم ، وهذا كله قد دبره من قبل .

٥ ـ الثنائية :

من أبرز مميزات الكتب الرؤوية الثنائية الواضحة : الخير والشر ، النور والظلمة ، الأرواح الصالحة والأرواح الشريرة ، هذا الدهر والدهر الآتى ، وكل اثنين من هذه فى تناقض تام . ولعل هذا ما يميز الكتب الرؤوية عن النبوات . فالنبوة تتطلع إلى تدخل الله وإصلاح العالم أو المجتمع فى هذا الدهر لكن الرؤيا ترى أنه لا يمكن إصلاح هذا العالم فهو شرير بكامله ، وإصلاحه يعنى إبادته وخلق العالم الجديد . . إنها ثنائية تميز هذه الكتابات .

٦ ـ الاسم المستعار :

معظم الكتابات الرؤوية، إن لم يكن كلها كتبت باسم مستعار : أخنوخ ، البطاركة الاثنا عشر ، موسى ، إبرهيم وغير ذلك . وهذا ناتج من أن كاتبها

كانوا يعتقدون أن النبوة قد انتهت وأن الله لم يعد يكلم الناس . ولذلك فقد أعطوا لكتبهم أسماء قديمة مجيدة حتى يعطوها سلطاناً ليس لهم .

تلك هى أهم خصائص الكتابات الرؤوية فهل يمكننا أن نضع سفر الرؤيا فى مصاف هذه الكتب ؟ وهل تنطبق عليه الأوصاف التى مرت بنا ؟ الجواب على هذا السؤال له شقان : نعم ولا .

١ — هو كتاب له خصائص رؤية وحتى اسمه « رؤيا » يدل على الاتجاه العام لهذا الكتاب . وهذا الاسم مأخوذ من الكلمة الأولى فى النص نفسه . ولكن إلى جانب الاسم هناك بعض المميزات الرؤوية :

( أ ) لعل أبرز خاصة توجد فيه هى تلك الرموز والصور التى يمتلئ بها الكتاب . وهى رؤى اختبرها الكاتب فى حالة روحية غير عادية ( ٤ : ١ ، ١٧ : ٣ ، ٢١ : ١٠ ) . وبحسب ما جاء فى ١ : ١ ، ٢٢ : ٨ جاءت هذه الرؤى والإعلانات على يد وسيط أى ملاك مع أنه هنا يختلف بعض الشئ عن الكتب الرؤوية الأخرى وهو أن الملاك أو الله لم يعطيه تفسيراً منظماً للحوادث والمناظر : فيما عدا المرأة والوحش الذى تركب عليه ( ١٧ ) .

(ب) إن موضوع الكتاب هو الحوادث الأخيرة ، كما هو الحال فى الكتب الرؤوية الأخرى . والاضطهادات والأزمات العنيفة التى تحيط بشعب الله على يد النبى الكذاب والوحش والتنين وكل قوات الشر ، ولكن الله يتدخل بقوة ويدين قوات الشر ويمجد مختاريه .

( ح ) الكتاب ممتلئ بالنصائح الروحية والأخلاقية ، فالهدف الأساسى للكتاب هدف عملى كما هو الحال فى الكتب الرؤوية . وهو يقوى عزيمة المضطهدين ويعزيهم ويطلب منهم أن يظلوا على إخلاصهم فى الإيمان فى المسيح

ويتحملوا كل شئ حتى الموت فى سبيل كلمة الله ( ١٣ : ٩ و ١٠ ، ١٤ : ١٣ ، ١٦ : ١٥ ، ١٩ : ٩ ، ٢٠ : ٦ ) .

٢ – ولكن مع ذلك فهناك اختلافات كثيرة بين هذا الكتاب والكتب الرؤوية ، مما يجعلنا نضعه أيضاً فى مصاف الكتب النبوية . وهناك فرق كبير بين الرؤيا والنبوة ، فالكاتب نفسه يسمى كتابه نبوة ويكرر ذلك عدة مرات ( ١ : ٣ ، ٢٢ : ٧ و ١٠ و ١٨ و ١٩ ) .

ولا يمكن أن تكون النبوة والرؤية مترادفتين . ولذلك فهو يقول إن هذه الرؤيا التى رآها تحتوى على « كلمة الله » ، وعلى شهادة يسوع المسيح ( ١ : ٢ ) وتظهر خصائصه النبوية فيما يلى :

( أ ) إنه كالأنبياء يدعو شعب الله إلى التوبة ويشدد على ذلك وهذا لا يظهر كثيراً فى الكتب الرؤوية التى تشدد أكثر على تعزية شعب الله ، وبأكثر دقة يمكننا أن نقول إن سفر الرؤيا يشترك فى الاثنين معاً . فهو يدعو المؤمنين إلى التوبة فى الخطابات الكنسية ( ٢ : ٥ و ١٦ و ٢١ و ٢٢ ، ٣ : ٣ و ١٩ ) وهو يعطى لشعب الله أيضاً التعزية . لقد رآهم مضطهدين مظلومين فيأخذهم إلى داخل الحجاب لكى يريهم مقاصد العلى التى تقودهم فى النهاية إلى النصرة . وبذلك هو مع الرؤويين والأنبياء معاً :

(ب) هو كالرؤويين ينظر ويتكلم عن النهاية ، ولكنه يختلف عنهم فى مكان هذه النهاية . إن التاريخ بالنسبة للرؤويين لا صلاح ولا رجاء فيه فلا بد أن يزول بتاتاً ، ولكن يوحنا لا يرى ذلك . فهو ليس شريراً بدرجة لا يمكن إصلاحها حتى وإن كان هناك هجوم شيطانى فى آخر الأيام . إن التاريخ بالنسبة له هو مكان نشاط الله وعمله الفدائى . لقد حدث فيه أعظم عمل يدل

على شر الإنسان ولكنه فى نفس الوقت العمل الفدائى لله . موت الحمل وقيامته ونصرته وهذا الحدث شارك فيه المؤمنون وهزموا الشيطان بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ( ١٩ : ١١ ) . فالخلاص يبدأ فى التاريخ ، ولهذا فقد خلى كتابه من التشاؤم واليأس من فداء تاريخ العالم كما يظهر فى الكتب الرؤوية الأخرى .

( حـ ) وهناك اختلاف آخر : إنه بينما وضعت على كتب الرؤيا أسماء مستعارة ، فإن يوحنا يكتب اسمه ( ١ : ١ و ٤ و ٩ ، ٢٢ : ٨ ) . إنه يحتاج إلى اسم عظيم من البطاركة أو غيرهم ممن عاشوا فى القديم . وهذا له دلالة عظيمة ،فالرؤويون كانوا يعرفون أن النبوة قد انتهت ، وأن الله ما عاد يكلم الناس بالأنبياء فى أيامهم ولهذا فهم يحتاجون إلى اسم عظيم يعتقد الناس أن الله قد كلمه . أما يوحنا فإنه يكتب اسمه لأن النبوة عادت ، وجاء الله ثانية إلى الناس بكلمة التعزية والتوبة ، فلا حاجة إذن لقديس قديم ، فالله قد أرسله هو أو أرسل ابنه إليه بكلمة الله .

( د ) يتكلم الكتاب الرؤويون عن التاريخ بلسان الإنسان الذى عاش فى القدم ونسب الكتاب إليه فتنبأ بحوادث التاريخ القادمة وإن لم تعدد الحوادث التالية لعصره حتى عصر الكاتب نفسه ، فإنه يعطى رأيه فى التاريخ . أما يوحنا فإنه يتكلم كنبى ، إنه يتكلم عن عصره هو . يأخذ كلمة الله ويكلم معاصريه . وبذلك ربط بين التاريخ والأسخاتولوجى كما فعل الأنبياء العظام من قبله : فمثلا كان الوحش هو روما ، ولكنه فى نفس الوقت ضد المسيح الذى سوف يأتى . هنا الحاضر ( روما ) والأسخاتولوجى ( ضد المسيح ) ولم يكن الاضطهاد الذى وقع على كنائس آسيا الصغرى فى القرن الأول بالشدة التى يصفة يصف بها يوحنا فى سفر الرؤيا . وذلك لأنه كان ينظر من خلاله إلى الاضطهاد

الذى سوف يقع على المؤمنين عندما يأتى « ضد المسيح » . وبذلك فإنه يرى النهاية من خلال الحوادث التاريخية المعاصرة كما يفعل الأنبياء : فإنهم كانوا يكلمون الناس فى عصرهم وفى نفس الوقت كانوا يربطون ذلك « بيوم الرب» الذى سوف يأتى كما حدث مثلا مع إشعياء ٧ : ١٤ مع متى ١ : ٢٣ وهوشع ١١ : ١ مع متى ٢ : ١٥ وإرميا ٣١ : ٣١ – ٣٤ مع عبرانيين ٨ : ٨ – ١٢ وهكذا . هذا ما يفعله القديس يوحنا فى سفر الرؤيا .

من هذا نرى أن القديس يوحنا قد كتب كالرؤيين. استعار منهم صورهم ورمزياتهم ورؤاهم ، ولكنه مع ذلك لم يضف كتاباً رؤياً آخر إلى الكتب المعروفة فى ذلك الوقت . ولكنه كتب كتاباً متميزاً . إنه كتاب مسيحى يظهر ما عمل الله فى المسيح وما سوف يعمله ، مستخدماً فى ذلك الطريقة التى كان يستخدمها الرؤيون . ولكنه كان يضع أنظاره على الحمل المذبوح فى حادثة ماضية صارت مركزاً للرؤيا والإعلان ولكنها لا تظهر فى كتب الرؤويين الذين لا رجاء لديهم فى الماضى ولا الحاضر بل ينتظرون دائماً إلى النهاية . فسفر الرؤيا هو سفر نبوى كتب بطريقة رؤوية .

**مؤلف الكتاب :**

يقول الكاتب عن نفسه إنه يوحنا وذلك فى أربعة أمكنة ( ١ : ١ ، ٤ : ٩ ، ٢٢ : ٨ ) وفى ١ : ٩ يقول عن نفسه « أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره » . وقد انقسم العلماء قديماً وحديثاً فيما بينهم عمن هو يوحنا هذا : هل هو يوحنا الرسول تلميذ المسيح ؟ أم أنه شخص غيره ؟ وهل هو نفسه كاتب إنجيل يوحنا ؟ أم أنه شخص آخر ؟ ولكن قبل أن ندرس رأى التقليد والدراسات الحديثة لنعرف ماذا يقول الكتاب عنه .

١ — مع أنه يطلق على نفسه اسم يوحنا لكنه لم يشر من قريب أو بعيد على أنه واحد من الاثنى عشر ، ولكنه يرغب أن يسمع القراء كلمته ككلمة نبى ( ١ : ١ — ٣ ، ٢٢ : ٦ ) ومع ذلك لا يذكر أبداً أنه كان نبياً ، بمعنى أنه كان فى مركز كنسى سابقاً على كتابة كتابه هذا . ويلوح أنه صار نبياً فى الوقت الذى دعى فيه لكى يكتب كتابه . وقد جاءته الدعوة فى جزيرة بطمس التى تقع على الشاطئ الغربى من آسيا الصغرى فى مقابل جزيرة مالطة ( ١ : ٩ — ١١ ) ولعله كان منفياً هناك لأنه وضع « من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح » ( ١ : ٩ ) .

٢ — من واقع خطاباته إلى الكنائس السبع نرى أنه كان يعرف أحوال الكنائس هناك معرفة عميقة ، مما يدل على أنه كان من سكان تلك المناطق أو أنه عمل هناك لمدة تكفى لأن يتعمق فى الظروف الداخلية والخارجية لكل كنيسة . وليس ذلك فقط بل كان يتمتع بسلطان واسع فى هذه الكنائس لأنه تكلم بكل شجاعة وبدون تردد على الخطايا والغلطات التى تظهر فيها ، ويهددهم إن لم يتوبوا فإنه سيعاقبهم :

فمن هو يوحنا هذا الذى يكتب سفر الرؤيا ؟

أولا — يوحنا الرسول :

هناك شهادات قوية تقول إنه يوحنا ابن زبدى التلميذ والرسول . وتبنى هذه الشهادات على الأمور التالية :

١ — شهادات الآباء المبكرين : كشهادة جاستن مارتر ( ١٥١ — ١٥٥ ) إذ يقول « رجل منا اسمه يوحنا أحد رسل المسيح تنبأ فى رؤيا أعطيت له ، أن الذين يؤمنون فى مسيحنا سيسكنون فى أورشليم ألف سنة » ( حوار مع

تريفو اليهودى ) . ثم يكمل قوله « وبعد ذلك تحدث القيامة العامة الأبدية لكل الناس وسوف تكون الدينونة » وفى أواخر القرن الثانى الميلادى كتب أحدهم ضد مارسيون فى مقدمة إنجيل لوقا بأن كاتب الرؤيا هو يوحنا الرسول . . وقد صادق على هذا الأمر إيريناوس وترتليان وأكليمندس الاسكندرى وهيبوليتس الرومانى .وفى أحد فقرات تفسيره لإنجيل يوحنا يقول أوريجانوس إن يوحنا الرسول كتب سفر الرؤيا وإنجيل يوحنا .

٢–وهناك أشياء داخلية فى الكتاب نفسه يصعب تفسيرها إذا لم يكن يوحنا الرسول نفسه هو الذى كتب الكتاب ،فسلطانه على الكنائس ومعرفة الكنائس به تشير بالضرورة إلى شخصية لها وزنها كيوحنا الرسول . وإلى جانب ذلك عدم نسبة كتابه إلى شخصية قديمة كالرؤويين اليهود تدل على أن الكاتب قوى ومعروف وله سلطان نبوى رسولى . فإحساسه بأنه إنسان موحى إليه ، وأن كتابه يجب أن يوضع فى مصاف الكتب المقدسة بحيث يجب ألا يزاد أو ينقص منه ( ٢٢ : ٨ و ١٩ ) وأنه هو شخصياً ، معدود من الأنبياء ( ٢٢ : ٩ ) ، وأنه يعطى الدرج ويأكله مثل الأنبياء عند دعوتهم للنبوة ( ١٠ : ١٠ ) هذا كله يدل على أن هذا الشخص له سلطانه النبوة الذى يقف على قدم المساواة مع الأنبياء القدامى : كإشعياء وإرميا وهوشع وغيرهم . ولا يمكن أن ينسب شخص هذا إلى نفسه إن لم يكن فى مركز رسل المسيح .

ويعتقد بعض العلماء أيضاً أن سفر الرؤيا يعكس طبيعة القديس يوحنا تلميذ المسيح الذى سماه السيد مع أخيه بوا نرجس » أى ابنى الرعد ، فقد طلبا يوماً ما أن تنزل نار من السماء لتحرق قرية السامريين ، وهذا ما نجده فى سفر الرؤيا ( لوقا ٩ : ٥٤ – ٥٦ ، رؤيا ٢ : ٩ ، ٣ : ٩ ) وهو يظهر تجاه كل الذين يحاربون شعب الله ، الوحش وروما وغيرهما موجة شديدة من الغضب والانتقام .

٣ – وهناك شواهد أخرى يبرزها الذين يعتقدون أن كاتب إنجيل يوحنا وسفر الرؤيا هو شخص واحد ، هذه الشواهد تتلخص فى المشابهات التى بين الكتابين فى المصطلحات وفى الأفكار ، فالمسيح لم يسم « الكلمة » إلا فى كتابات يوحنا ( يوحنا ١ : ١ ، رؤيا ١٩ : ١٣ ) وهو حمل الله مع أن إنجيل يوحنا يستخدم amnos وسفر الرؤيا يستخدم arnion . وفى كلا الكتابين نجد الصور الكلامية والتشبيهات التى تتضمن المياه ، الينبوع وغيرها ( يوحنا ٤ : ١٠ و ١١و١٤ ، ٧ : ٣٨ رؤيا ٢١ : ٦ ، ٢٢ : ١٧) وفيهما يوصف السيد بأنه الراعى ( يوحنا ١٠ و ٢١ : ١٦ و ١٧ ، رؤيا ٧ : ١٦) وكلاهما يؤكدان أنه لا ضرورة للهيكل فى العبادة (يوحنا ٤ : ٢١، رؤيا ٢١ : ٢٢ ) ويشيران إلى المن ( يوحنا ٦ : ٣١و ٣٢ ، رؤيا ٢ : ١٧ ). وفى كلا الكتابين نجد ميلا إلى مقابلة الأشياء بعضها ببعض : النور والظلمة ، الحق والكذب ، قوة الله وقوة العالم . وهناك اصطلاحات متشابهة : الحقيقى ، الشهادة ، حفظ الوصايا وغير ذلك .

هذه وغيرها قد تشير إلى أن الكتابين خرجا من يد كاتب واحد أو من مدرسة واحدة لها نفس التفكير .

**ثانياً – كاتب آخر :**

ولكن هناك اعتراضات قوية ضد نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا الرسول وضد صلته بالإنجيل الرابع ككتابين لكاتب واحد .

١ – لعل أقوى شهادة على هذا الأمر جاءت أيضاً من الآباء . فالكاهن الرومانى غايس نسب هذا الكتاب إلى سيرنيثوس Cerinthus نظراً لما فيه من عقيدة الألف سنة . وكذلك فعل الجماعة المسماه alogi نظراً لما فيه – كما يقولون – من تناقض بينه وبين الكتب الأخرى فى العهد الجديد .

أما الشهادة القوية التى جاءت من الآباء ولا زالت هى السند الذى يعتمد عليه كتاب العصر الحديث فى إنكار نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا وعدم صلته بالإنجيل الرابع فهى شهادة ديونسيوس Dionysius أسقف الاسكندرية ( ٢٦٤ م ) الذى أنكر بدوره نسبة هذا الكتاب إلى سيرنيثوس كما ذكر سابقاً ونسبه إلى شخص تقى قديس ولكنه ليس يوحنا الرسول الذى كتب الإنجيل والرسائل الثلاثة . ويؤيد ديونسيوس قوله هذا بالأمور التالية :

( أ ) إن كاتب الرؤيا يذكر اسمه فى كتابه منذ البداية مع أن الإنجيلى لم يذكر اسمه أبداً لا فى الإنجيل ولا فى الرسائل . ولو كان يوحنا الرسول هو الذى كتب الإنجيل لكان ذكر أنه التلميذ الذى أحبه يسوع أو الذى اتكأ على صدر يسوع أو أخو يعقوب أو الذى رأى يسوع بعينيه ولمسه بيديه ( ١ يوحنا ١ : ١ ) ولكنه لم يفعل ذلك مما يدل على أنه ليس يوحنا الرسول بل شخص آخر :

(ب) فى الإنجيل والرسائل نجد نفس المصطلحات والأفكار فكل من يقرأها جميعاً فإنه يجد مصطلحات « النور ، الظلمة ، الحياة ، يترك الظلمة ، الحق ، النعمة ، الفرح ، جسد ودم الرب ، الدينونة ، غفران الخطايا ، محبة الله لنا ، الوصية أن نحب بعضنا البعض ، وأن نحفظ كل الوصايا ، دينونة العالم والشرير وضد المسيح ، وعد الروح القدس ، بنويتنا لله ، الإيمان المطلوب منا ، الآب والابن . وهكذا . وإذا قارنا سفر الرؤيا بذلك نجده يختلف كل الاختلاف فلا مشابهة بينهما ، وفى الحقيقة لا صلة بينه وبين الكتب الأربعة .

(حـ) وإلى جانب اختلاف الأفكار هناك اختلاف الأسلوب بين الكتب الأربعة وكتاب الرؤيا . فالكتب الأربعة كتبت فى لغة خالية من الخطأ

اللغوى سهلة التعبير وتطور فى التفكير وارتباط الجمل فلا يوجد فيها نوع من غلاظة الأسلوب وصعوبته . وعلى العكس من ذلك كله نرى فى سفر الرؤيا لغة غير سليمة تستخدم فيها عبارات ليس من اللغة اليونانية الفصحى ، ولا يهتم بقواعد اللغة واستخداماتها .

٢ – وهناك شهادة داخلية ضد نسبة الكتاب إلى يوحنا الرسول ولعل أقوى عناصرها هو ما جاء فى ١٨ : ٢٠ ، ٢١ : ١٤ والتى تشير إلى رسل الخروف وتلاميذه على أنهم عاشوا فى وقت قد مضى . وكأن كاتب هذا الكتاب عاش فى عصر لم يكن فيه الرسل على قيد الحياة فلا يمكن أن يكون هو يوحنا الرسول .

هذا هو مجمل الآراء التى تقال عن مؤلف هذا الكتاب ومنها نرى أن كلا من الفريقين يؤيد رأيه بأمور لا يقبلها الطرف الآخر أو يرد عليها ، وفى الحقيقة لا يوجد عالم وحيد يمكنه أن يؤكد هذا الرأى أو نقيضه تأكيداً تاماً . إنما الأمر نسبى . ولعل الرأى القائل إن يوحنا الرسول ابن زبدى تلميذ السيد هو كاتب سفر الرؤيا يحل كثيراً من المشكلات ، ولكن ليس كل المشكلات . ولكن هل يأتى اليوم الذى يمكن فيه لعالم أن يؤكد أحد الآراء ؟ من يدرى ، الله هو الذى يعلم .

**تاريخ كتابة السفر :**

القراءة السطحية لسفر الرؤيا تكشف أن السفر كتب لجماعة يعانون الاضطهاد الفظيع أو على وشك مواجهة هذا الاضطهاد . ودراسة تاريخ الكنيسة فى القرن الأول تظهر أن هناك اضطهادين عرفتهما الكنيسة العالمية أو أجزاء منها . الاضطهاد الذى حدث فى عهد نيرون ، ذلك الامبراطور

سيء السمعة في الستينات من ذلك القرن . أما الاضطهاد الأقسى فقد حدث في آخر هذا القرن على يدي الامبراطور دوميتيان الذي جعل عبادة الامبراطور ديانة رسمية في الدولة . والرأي الذي يتمتع بمساندة غالبية الدارسين هو أن هذا الاضطهاد كان في عهد دوميتيان ويستندون على الشواهد التالية :

١ — يقول أصحاب هذه النظرية إن الامبراطور دوميتيان كان أقسى على المسيحيين ، الذين كانوا يرفضون أن يسجدوا لتمثاله ويعبدوه ، من أي امبراطور آخر . وقد أطلق عليه سفر الرؤيا لقب الوحش ، لا كلقب ولكن ليدل عليه ، وقد ظهرت عبادة الوحش في سفر الرؤيا بصورة واضحة (١٣ : ٤ و ١٥ و ١٦ ، ١٤ : ٩–١١ ، ١٥ : ٢ ، ١٦ : ٢ ، ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ٤) . إن علامة الوحش التي كان يجب أن يحملها الجميع تعني أن عبادة الامبراطور أصبحت ديانة الدولة ومع أن عبادة الامبراطور كانت شائعة ومطلوبة قبل المسيحية ، وخصوصاً في أيام كاليجولا الذي أراد أن يوضع تمثاله في الهيكل ، إلا أن سفر الرؤيا يعكس عصراً متقدماً جداً في عبادة الامبراطور يوافق عصر الامبراطور دوميتيان الذي فرض عبادته بالقوة وكان كل من لا يعبده يعتبر خائناً للدولة .

٢ — نوع الاضطهادات التي حاقت بالمسيحيين كما هي مدونة في سفر الرؤيا تبين على أنها اضطهادات شديدة قاسية عامة ، وهي التي حدثت في عهد دوميتيان . فالكاتب نفسه كان منفياً في جزيرة بطمس وذلك لأجل كلمة الله وشهادة يسوع المسيح . وفي رسائله للكنائس السبع يعكس أنواعاً متعددة من الاضطهادات . ففي كنيسة برغامس قتل أنتيباس (٢ : ١٣) وكنيسة سميرنا تهددها موجة من السجن والسبي (٢ : ١٥) ، وكنيسة فيلادلفيا تنتظر ساعة الضيقة العظيمة الآتية على كل العالم (٣ : ١٠) . ويلوح من ٦ : ٩ أن

هناك جماعة شهداء قد ماتوا وهم يطلبون الدينونة والقصاص من الذين قتلوهم . وعندما يتكلم الرائى عن الزانية العظيمة وهى مدينة روما يصفها بأنها سكرى بدم القديسين ( ١٧ : ٦ ، ١٨ : ٢٤ ، ١٩ : ٢ ) . ولقد عرف عن عصر دوميتيان أنه كان عصر الاضطهاد العام المبنى على اختلاف العبادة أى أن كل من لا يعبد الامبراطور فإنه يقتل ، وفيه قتل دوميتيان قريبة فيلافيوس وزوجته دوميتيلا المسيحية . . وقد ذكر أكليمندس الرومانى الذى كان يعاصر دومتيان هذا الاضطهاد المرير ، وكذلك يوسابيوس المؤرخ المسيحى وترتليان وغيرهم . مما يعطى قوة لشهادة سفر الرؤيا وماذكره عن هذا الاضطهاد الذى حدث فى عصر دوميتيان .

**٣ – أسطورة رجوع نيرون :**

ويقول كثير من دارسى سفر الرؤيا إن الرائى فى أصحاح ١٧ يتكلم عن أسطورة رجوع نيرون التى تقول إن نيرون لم يمت ولكنه هرب إلى الشرق وظل مختفياً إلى أن يرجع مرة أخرى بجيش عظيم ، ويفتح روما بالقوة ويأخذ العرش الذى أخذ منه . وفى ١٧ : ٨ الوحش الذى كان وليس الآن هو عتيد أن يصعد من الهاوية ويمضى إلى الهلاك هو بنيرون وهو واحد من السبعة ملوك . منهم ٥ سقطوا وواحد موجود وواحد آخر سوف يأتى ، ثم يأتى الوحش الذى كان ليكون الثامن مع أنه واحد من السبعة . . وهكذا كما وهو مكتوب فى ص ١٧ . . ويقول الدارسون إن هذه الأسطورة التى ذكرت عن نيرون بهذه الكيفية كانت معاصرة أو تسبق قليلا عصر دوميتيان ، مما يدل على أن هذا السفر كتب فى ذلك العصر .

**٤ – حالة الكنائس السبع :**

فى الأصحاحين الثانى والثالث يوجه السيد رسائله إلى الكنائس السبع .

وفى غضون هذه الرسائل نجد وصفاً لحالة هذه الكنائس . فهناك فتور وفشل فى بعض الكنائس مثل أفسس وساردس ولاودكية ، وهذا معناه أن كنائس الرسول بولس قد أصابها الضعف ويشير كذلك إلى أن فترة طويلة قد مرت منذ أن رحل الرسول بولس إلى الأبدية . وهناك شاهد آخر من كنيسة سميرنا التى لم تنشأ قبل ٦٥ م ، وبوليكاربوس يشهد بذلك فى رسالته إلى فيلبى . . وإذا كانت حالتها كما يصفها سفر الرؤيا فهذا يدل على أن الرسالة إليها كتبت فى عصر متأخر يقارب العصر الذى نتحدث عنه وإذا رجعنا مرة أخرى إلى كنيسة أفسس فإن السيد يمدح ملاك الكنيسة على أنه يبغض تعاليم النيقولاويين ( ٢ : ٦ ) ؛ وكذلك يوبخ ملاك كنيسة برغامس على أن جماعة من عنده يتمسكون بهذه التعاليم ( ٢ : ١٥ ) . والكلام عنهم هكذا يدل على أن هذه الجماعة المنحرفة قد أصبح لها تأثير معروف فى الكنائس . لأن ذكر الاسم بدون ذكر التعاليم يدل على أنها معروفة معرفة تامة ، ولها مدة طويلة نوعاً ما فى وسط الكنائس . . من هذه جميعها يظهر أن الكنائس التى كتبت إليها هذه الرسائل كانت كنائس وراءها تاريخ طويل وليست حديثة التكوين مما يدل على أن الرسائل كانت على الأقل فى أواخر القرن الأول .

٥ — إلى جانب هذا كله فهذا التاريخ ( أى أن الكتاب كتب فى عصر دوميتان : نجد سنداً قوياً فى شهادات الآباء . فشهادة إيريناوس والتقليد المتأخر كلها تعطى قوة لهذا التاريخ ، فيقول إيريناوس « إن هذه الرؤيا ظهرت فى عصر قريب جداً يقارب عصرنا هذا » . على كل حال فإن التقليد يؤيد هذا التاريخ المتأخر .

ولكن فى مقابل ذلك يعتقد بعض الدارسين أن السفر كتب مبكراً عن ذلك أى فى عهد نيرون أى فى الستينات الميلادية ويؤيدون كلامهم بالشواهد التالية :

١ ــ من نفس أسطورة نيرون (١٧ : ١٠) : وإذا كان خمسة ملوك قد سقطوا فالأفضل أن تحسب الخمسة من أول يوليوس قيصر وليس من أول أو غسطس كما تعودوا أن يذكروا ؟ وإذا كان كذلك يكون نيرون هو الخامس . ومعنى ذلك أن سفر الرؤيا كتب وقت موته أو الوقت اللاحق لذلك مباشرة .

٢ ــ أما الشهادة الثانية فهي تشتق من العدد الرمزى للاسم ٦٦٦ ( ١٣ : ١٨ ) وقد بذلت محاولات كثيرة لفك هذا الرمز . وانطبق العدد على اسم نيرون باللغة العبرية . وقد اختلف العلماء كثيراً عما إذا كان الكاتب قصد العدد بالعبرية وهو يكتب اليونانية . أو أن العدد رمزى ولا يجب أن يؤخذ حرفياً . ومهما يكن من أمر فإن الذين يساندون هذا العصر المبكر لكتابة السفر يتمسكون بانطباقه على نيرون .

٣ ــ الشهادة الثالثة تأتى من ١١ : ١ ــ ١٤ حيث يعتقد أصحاب هذه النظرة أن القياس كان لمدينة أورشليم وخصوصاً الهيكل . فهل هذا يعنى أن الهيكل كان لا زال باقياً قبل أن يخربه تيطس الرومانى سنة ٧٠ م ؟ مع أن هذه النبوة لا تحتاج إلى تفسيرها تفسيراً حرفياً .

من مراجعة ما سبق نجد أن الرأى الذى يقول إن سفر الرؤيا كتب متأخراً أى فى أواخر القرن الأول يجد قبولا أوسع ويقف على أرضية أكثر صلابة ويحل مشكلات أكثر من الرأى الذى يدعى أن سفر الرؤيا كتب مبكراً أى فى الستينات من القرن الأول .

**تفسير سفر الرؤيا :**

لعل سفر الرؤيا هو الكتاب الذى قاسى أقسى التفسيرات وأكثرها

اختلافاً بل وتناقضاً ؛ أكثر من أى كتاب آخر . ولكننا هنا لا نستطيع أن نمر على كل أنواع التفسيرات ، بل سوف نقتصر على أهمها لنعرف ماذا كان اتجاه المسيحية العام فى معاملتها لهذا الكتاب » .

**١ – التفسير التاريخى :**

وقد ظهر هذا التفسير فى القرن الثالث عشر بدأه الكساندر البرمانى الفرنسيسكانى ثم تطور على يدى نيقولاس الليرى ( ١٣٢م . وبحسب هذا التفسير يتضمن سفر الرؤيا تاريخ العالم إلى وقت النهاية ، ليس ككل ، ولكن فيما يتعلق بصلة الكنيسة بالعالم . وتتضمن الرؤى التى فيه كل الحوادث العظيمة التى ظهرت وسوف تظهر فى التاريخ ، والشخصيات العظيمة التى حددت مجرى هذه الأحداث ، وأهم المواقف فى الكنيسة ومعاملاتها مع العالم والقوى المؤثرة فيه . ويعتقد أصحاب هذا التفسير أن نهاية العالم ليست بعيدة بل هى قريبة ، ولهذا فهم يحاولون أن يعرفوا نوعية الحوادث القادمة بتفسير سفر الرؤيا . ويقسمون التاريخ إلى سبع حقبات تظهر جميعها فى الرسائل السبع إلى الكنائس السبع فى ص ٢ و ٣ وتعتبر هذه الرسائل ملخصاً للتاريخ والرسائل تمثل التطور التدريجى المؤدى إلى نهاية العالم والتاريخ .

هذا هو التفسير التاريخى ولا شك أنه خطأ كبير ؛ ولعل أكبر برهان يدل على خطئه هو أن تفسيره يتغير من قرن إلى آخر .

**٢ – التفسير الأسخاتولوجى :**

يرى أصحاب هذا التفسير أن سفر الرؤيا ليس ملخصاً لتاريخ العالم ولا لتاريخ الكنيسة ، ولكنه نبوة . تنصب على أواخر الأيام ومجئ الدهر الآتى ولذلك فيجب أن يفهم إسخاتولوجيا . وبمقارنة ص ١٣ من سفر الرؤيا

مع ٢ تسالونيكى ٢ : ٣ — ١٢ مع ١ يوحنا ٢ : ١٨ نجدها جميعاً تتكلم عن ضد المسيح وأعماله القاسية وما يتسبب فيه من ضيقات عظيمة . وحيث أنه بحسب هذه الفقرات يظهر قبل مجئ المسيح الثانى مباشرة ، فيكون سفر الرؤيا نبؤة مختصة بهذا العصر الأخير . وابتداء من ١٤ : ٦ يصف سفر الرؤيا الدينونة فى صور مختلفة ووجهاتها المتباينة وعندئذ يتكلم عن السماء الجديدة وملكوت الله . وبحسب هذا التفسير فإن سفر الرؤيا يتضمن تتابعاً زمنياً تبدأها الآلام والضيقات والدينونة التى تقع على المسيحية والعالم الغير مؤمن على السواء التى تقود إلى النهاية لهذا العالم الحاضر .

هذا التفسير فيه كثير من الصدق ، ولكن من يعتمد عليه فقط فى فهم سفر الرؤيا فإنه يجرد هذا الكتاب من موضوعيته ، ويجرده من الهدف الذى كتب من أجله . لقد كتب الكتاب لجماعة عاشت فى وقت كان أحوج فيه إلى كلمة تعزية وتشجيع ، وهذا ما قصده الكاتب . إنه لم يكتب لعصور وأجيال قادمة بل للمسيحيين المعاصرين له . وحيث أن المسيحيين الأوائل كانوا يعتقدون أن النهاية كانت قريبة وعلى الأبواب ، فكان على الرائى أن يخبرهم أن أشياء أخرى ستحدث قريباً وبعد ذلك المنتهى كما فعل الرسول بولس مع أهل تسالونيكى عندما أخطأوا وظنوا أن المسيح سوف يأتى بين لحظة وأخرى . ( ٢ تسالونيكى ) .

**٣ — التفسير المعاصر :**

ويقصد بالمعاصر أى أنه كان يشير إلى حوادث وشخصيات ومواقف معاصرة للكاتب نفسه ، وكان يصف الحالة السياسية والدينية التى كانت تسود فى أيامه . ومعظم المفسرين يتفقون على أن الوحش الذى خرج من البحر (١٣ : ١) يشير إلى الدولة الرومانية ، وأن النبى الكذاب ( ١٣ : ١١—

١٣ ، ١٦ : ١٣ ، ١٩ : ٢٠ ) هو عبادة الامبراطور التي تؤله الحاكم ، أما بابل ١٧ : ١ — فكانت عاصمة الدولة الفاسدة الوثنية روما .

فإذا دمجنا التفسيرين معاً الأسخاتولوجي والمعاصر فإننا نستطيع أن نفهم الكثير من رسالة الكتاب فالجزء الذي ينصب على التاريخ المعاصر للكتابة لا يتعدى الأصحاحات ١١ و ١٣ و ١٧ وفيه نجد أن الكنيسة تواجه صراعاً عنيفاً . ويرى الرائي الصراع المقبل بينها وبين الدولة الرومانية بما يمثلها من الوحش الخارج من الماء والوحش الآخر . ولكن الرائي عندما يرى ذلك في المستقبل القريب فإنه يرى من وراء هذا الصراع قوتين أخريين هي قوة الله الذي يصارع ليحطم قوة التنين الحية القديمة أي إبليس لكي يقيم على أنقاض شره مملكة الله المجيدة الأبدية . فالصراع الظاهر بين الكنيسة والدولة الرومانية يراه الرائي يشير إلى الصراع الأعظم ويمثله ، وفائدة هذا التاريخ تظهر في أنه يبرز ذلك الدور الذي قد لا تراه عيون البشر في ذراع الله الممدودة التي تحطم قوة إبليس الذي يقف وراء هذه الوحوش . فالنبوة التي يذكرها الكتاب ليست فقط لذكرى الماضي أو الحاضر ولكن للمستقبل الذي يراه بعين النبوة ... المستقبل القريب الذي بدأت ظواهره ولكن هذا المستقبل لم يذكر لذاته أو لقصد التنبوء بحوادث آتية وكفى بل لإعلان مجد الله في حربه ضد قوات الشر وإزالتها لإقامة ملكوته . .

وهذا الأمر بالذات كان يميز الأنبياء العظام في العهد القديم فإنهم كانوا يرون في الحوادث التي يتنبؤن بها لا هدفاً في ذاتها ، ولكنها لتشير إلى عمل الله وقوته لإقامة ملكوته فيرون التاريخ القريب الآتي ممزوجاً في الأسخاتولوجي ومعبراً عنه ومشيراً إليه . ولكن سفر الرؤيا يزيد على النبوة بأنه يستعيد بعض

الصور الرؤوية التي انتشرت في الكتب الرؤوية في العصر اليهودي الذي ساد في القرون الثلاثة التي تحيط بميلاد المسيح .

وعلى هذا فالتفسير الحقيقي لسفر الرؤيا يجب أن يرى فيه روح نبوة العهد القديم زائداً صور التعبيرات اليهودية وذلك في إطار الإيمان المسيحي والحوادث الجارية في عصر القديس يوحنا الذي كتب السفر .

**رسالة سفر الرؤيا :**

سبق القول بأن سفر الرؤيا لم يكتبه صاحبه لكي يكلم أجيالا قادمة ، ولكنه فعل ذلك لكي يكلم جيله الذي كان محتاجاً إلى كلمة النبوة هذه ، أنه ذهب إلى جزيرة بطمس لأجل «كلمة الله وشهادة يسوع المسيح» ( ١ : ٩ ) . وكلمة الله تعني أنه يتكلم كنبي للذين يسمعونه ، ومن أجل هذه الكلمة نفي إلى هذه الجزيرة . إذاً فما هي رسالة هذا الكتاب ؟ ماذا يواجهنا عندما نقرأه ؟

**١ — المسيح الرب :**

عندما يقدم القديس يوحنا المسيح الرب فإنه لا يكتب مقالة لاهوتية عامة للدراسة والمناقشة . . ولكنه كان يكتب خطاباً إلى مجموعة من الكنائس في مسيس الحاجة إلى تقديم المسيح هكذا ، كان يكتب رسالة يبدأها بالمقدمة المعتادة « يوحنا إلى . . » كما يفعل الرسول بولس « يبدأها ويختمها بالنعمة » « نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين » . أما في المقدمة فهو يضيف « سلام » إلى النعمة ، وهذا أهم ما يحتاجون إليه . ولكننا نلاحظ هنا أنه يذكر التثليث المقدس بطريقة تختلف : فالكائن والذي يأتي هو الله الآب ، أما السبعة أرواح الله التي أمام عرشه فهو الروح القدس ذكر وهو يعمل في الكنائس السبع . وفي الآخر يسوع المسيح الشاهد الأمين . . » ويذكر عمله

العظيم ، وكما هى العادة تذكر «الآب . . الابن . . الروح القدس . وهنا يذكر الابن فى النهاية مع كل ما عمل ويعمل من الكنيسة وذلك لتؤكد دور السيد المنتصر الذى جعلنا له وأصبحنا «من عهدته» فلا يمكن أن يفرط فى كنيسته. فلأجل حاجة الكنيسة ، والدور الذى يقوم به السيد فيها فإنه يذكره أخيراً .

وهناك شئ آخر يجب أن تأخذه فى الاعتبار وهو أن القديس يوحنا يقدم السيد فى معظم الأمكنة فى العبادة ، أى أن العبارات لا تصاغ بطريقة لا شخصية impersonal ولكنها فى صيغة المخاطب الذى تسجد له الكائنات كلها وبخاصة الكنيسة المقدسة ، ولهذا فكل ما تقوله الكنيسة هنا فإنما تقوله من الاختبار ، عن طريق شركتها معه وخبرتها فيه ، وهذا أعظم ما يقدمه الإنسان المفدى إلى سيده الذى جعله له . . أما مضمون تقدمه له فهو كما يلى :

( أ ) عندما يقدم الرائى السيد إلى الكنيسة فإنه يرجع إلى العهد القديم ففى ١ : ٥ نجد العبارات « الشاهد الأمين . البكر من الأموات . . رئيس ملوك الأرض » مأخوذة من مزمور ٨٩ : ٢٧ و ٣٧ « أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض . . الشاهد فى السماء أمين . . » ولكنها إذ تكمل فى السيد فإنها تصل إلى عمق لم يستطع المرنم أن يراه فى نسل داود « فيسوع ليس بكراً أو رئيساً فقط ولكنه بكر من الأموات ، وهو ليس أعلى من ملوك الأرض فقط بل هو ملك الملوك ورب الأرباب ( رؤيا ١٧ : ١٤ ، ١٩ : ١٦ ) . وهو شاهد أمين فى حياته . . حياة الطاعة والمحبة إلى الموت . . ومن هذا نجد أن عبارات التسبيح فى العهد القديم أبقاها الرائى ولكنه وصل بها إلى مستويات أعمق كثيراً بمقدار سمو الإعلان فى السيد فى مجيئه وموته وقيامته . . نعم أعمق لأنها أعماق الإنجيل .

هذا الأمر : أى الاقتباس من العهد القديم والتفسير الأعمق له من حياة السيد ورسالته نجده فى ٥ : ٥ ، ٦ فقد بكى الرائى إذ لم ير من هو مستحق لفتح السفر المختوم ولكن واحداً من الشيوخ طمأنه قائلا « لا تبك هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه ورأيت ماذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض» . فنجد هنا أن « أسد يهوذا أصل داود » ( ٥ : ٥ ). قد ارتبط بالحمل المذبوح . . دلالة على أنه الفادى وفى نفس الوقت أعطى من المجد والعظمة ما يساوى الله الآب نفسه .

(ب) نأتى الآن إلى ترانيم التمجيد لنرى كيف تقدم الرائى من مجد إلى مجد فى وصف خبره الأحباء فى المسيح يسوع السيد الموجودة فى أصحاح ٤ و ٥ .

( ٤ : ١٠ و ١١ ) عندما يخر الأربعة والعشرون شيخاً يمجدون الله قائلين «أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بإرادتك كائنة وخلقت » هنا المجد والكرامة والقدرة لله لأنه الخالق والمعتنى .

فى ٥ : ٩ ـ ١٠ عندما أخذ الأسد الخارج من سبط يهوذا السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة وعشرون شيخاً : . وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض» . فى هذه الترنيمة كما فى الترنيمة الأولى يظهر أن الآب

والابن مستحقان لأن كلا منهما عمل عملا مجيداً : الآب خلق والابن فدى . فالترنيمة الأولى ترنيمة الخليقة لله الآب بينما الترنيمة الثانية هي ترنيمة الفداء للمسيح .

( ٥ : ١١ و ١٢ ) نجد ترنيمة الملائكة وهم ربوات قائلين « مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة . . » في هذه الترنيمة نجد أن الخروف هو الذي تقدم له العبادة والترنيم وهو مستحق الآن ليس فقط أن يأخذ السفر ويفتح ختومه كما في الترنيمة الثانية ، بل مستحق أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة نفس الأمور التي قيلت عن الله الآب أنه مستحق أن يأخذها مع أنها ضوعفت في طولها . فالله والحمل كلاهما مستحقان أن يأخذا العبادة الكاملة من الجنود السماوية .

( ٥ : ١٣ ) كل خليقة مما في السماء وما على الأرض وتحت الأرض وما في البحر كل ما فيها سمعتها قائلة « للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين » هنا تصل المساواة بين الآب والابن أقصى وضوح لها .

وبهذا يبدأ الرائي في تقديمه للمسيح مبتدأ من الفكر اليهودي إلى أن يصل إلى لاهوته ومساواته للآب وذلك في لغة بعيدة عن التخمين والنظريات ، إنها لغة عبادة .

**٢ ــ المسيح الرب في سلطانه :**

هذا هو العنصر الثاني في رسالة سفر الرؤيا ، إن السيد الذي يساوي الآب ليس ساكناً في السموات فقط ولكنه في الأرض أيضاً ، يجري سلطانه ويظهر

قوته ورحمته فى نشر الرجاء وتحطيم قوات الشر ، إنه سلطان للبركة وللدينونة، وذلك لأن سلطانه يظهر فى مجالين عظيمين : سلطانه فى الكنيسة وسلطانه فى التاريخ .

**أولا — سلطانه فى الكنيسة :**

قبل أن ندرس ما يعبر به الرائى عن سلطان الرب فى الكنيسة يجب أن نعرف حالة الكنيسة فى ذلك الوقت ، ثم موقف السيد إزاء ذلك :

( أ ) ماذا كانت حالة الكنيسة ؟ كانت الكنيسة فى ذلك الوقت مهددة من الخارج ومن الداخل . والتهديد الآتى من الخارج هو تهديد الدولة ومحاولة فرض عبادة الامبراطور ، وكما سبق وعرفنا كان ذلك غالباً أيام الامبراطور دوميتيان... ويلوح أن التهديد قد ظهرت بوادره ، لأن الكنائس لم يكن فيها سوى عدد محدود جداً من الشهداء ، ولكن الاضطهادات فى أى لحظة ( ٢ : ١٠و١٣ ، ٣ : ١٠ ). ومع أن كثيرين يعتبرون الاضطهاد هو التهديد الأعظم ، لكن الحقيقة هو أن التهديد الأخطر والأقسى يأتى من الداخل . ففى أفسس وبرغامس وثياتيرا قام فريق يسميه الرب النقولاويين الذين كانوا يفعلون ما فعله بلعام وإيزابل مع إسرائيل فى القديم ، إذ جعلاهم يزنون ويبتعدون عن الرب إلى آلهة غريبة ، إنهم أرادوا أن يدفعوا المسيحيين إلى أن ينجرفوا إلى عبادة الامبراطور للمهادنة ، أو لتعاليم الغنوسيين الذين يحتقرون الجسد ويجعلونه يفعل ما يريد ما دام الروح تنقذ منه . على كل حال كان هذا خطراً يهدد كل الكنائس . ولقد أعطاه الرائى اسم « أعماق الشيطان » ( ٢ : ٢٤ ) ، فى حين أنه يسمى الخطر الرومانى « كرسى الشيطان » ( ٢ : ١٣ ) ، والخطر اليهودى « مجمع الشيطان » ( ٢ : ٩ ، ٣ : ٩ ) . وكانت عوارض هذا

الخطر » برود المحبة كما فى أفسس ( ٢ : ٤ ) والديانة الظاهرية كما فى ساردس ( ٣ : ١ و ٢ ) والفتور كما فى لاودكية ( ٣ : ١٥ و ١٦ ) .

وهكذا نجد الكنائس تواجه من الخارج خطر المجتمع الرومانى الطاغى ومن الداخل خطر التعاليم المضلة والفتور الروحى .

(ب) وهنا يظهر للرائى السيد الممجد المقام من الأموات : فيصفه يوحنا فى تلك الفقرة السامية التى تشابه ما جاء فى رؤى دانيال ( دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ ) فيقول « شبه ابن إنسان متسربلا بثوب إلى الرجلين متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون وصوته كصوت مياه كثيرة ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب وسيف ماضى ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها » ( ٢ : ١٣ — ١٦ ) فى قوته ومجده يظهر السيد لكنيسته لكى يعينها فى حاجتها . ولهذا السبب فإن كل رسالة إلى كل كنيسة فيها صفة للسيد من تلك الصفات التى يذكرها عنه مجتمعة معاً فى الرؤيا : فهو يمسك فى يده السبع الكواكب ( ٢ : ١ أنظر ١ : ١٦ ) وهو الأول والآخر ( ٢ : ٨ أنظر ١ : ١٧ ) وهو الذى له السيف الماضى ٢ : ١٢ أنظر ١ : ١٦ وهكذا ٢ : ١٨ مع ١ : ١٤ و ١٥ ) .

هذا السيد الرب يأتى إلى الكنيسة فى أماكنها المختلفة . . إلى السبع الكنائس ويكلمها كلها ولعل رسائله إليها تشترك كلها فى خمس أمور :

الأول : إعلانه عن شخصه ومن هو « هذا يقوله . . . » .

الثانى : كشفه بالتفصيل عن حالة الكنيسة فى العالم . « أنا عارف ... »

الثالث : أمره إلى الكنيسة «أذكر . . تب . . كن أميناً . . إلخ » .

الرابع : وعده المطمئن للمسيحى المخلص « من يغلب فسأعطيه . . »

الخامس : دعوة إلى الجميع « من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » .

ونلاحظ أن السيد وهو يمدح المخلصين فى بعض نواحى الحياة أو فى موقفهم من التهديد : سواء الداخلى أو الخارجى أو كليهما ، فإنه يهدد أيضاً بالدينونة أولئك الذين خضعوا وينحدرون إلى المنجرف الفظيع : فهو يهدد بأن « أزحزح منارتك من مكانها » ( ٥ : ٢ ) ، أو « أحاربهم بسيف فمى .. » ( ٢ : ١٦ ) ، أو « إنى أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » ( ٣ : ٣ ) . وهكذا ، لأنه رب الكنيسة ويؤدبها ويدينها ، وفى نفس الوقت يمدح المخلصين ويعزيهم . . ومع هذا وذاك فإنه ينهى رسائله إلى الكنيسة بذلك الكلام الذى يعطى الرجاء وفى نفس الوقت يحذر « هنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى » ( ٣ : ٢٠ ) .

ثانياً ــ سلطانه فى التاريخ :

هناك صورتان يرسمهما سفر الرؤيا : الصورة الأولى هى التى ختم بها رسالته إلى الكنيسة أعنى وقوفه على الباب أما الصورة الثانية فهى فى ١٩ : ١١ ــ ١٦ « ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب . . وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله . . ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله

القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذه إسم مكتوب « ملك الملوك ورب الأرباب » .

بين هاتين الصورتين يعلن السيد أن سلطانه يظهر لا في الكنيسة فقط بل في كل العالم وفي كل التاريخ وعلى كل الأمم والناس . ولكن إذ يظهر نفسه سيداً على كل التاريخ فذلك لأجل الكنيسة ، وهو إذ يكتب هذا الجزء فإنه يرسله أيضاً إلى الكنائس ، إن رسالته إلى الكنائس لم تقتصر فقط على ما كتبه في الأصحاحين ٢ و ٣ ولكنه يكتب باقي الكتاب إليها لكي يعلن لها أنه رب التاريخ ويشرح لها ماذا يعمل لكي يحل لها كل المشاكل . وقد أظهر سيادته في ثلاث سباعيات هي سبعة الختوم ( ٦ : ١ — ١٧ ، ٨ : ١ ) السبعة أبواق ( ٨ : ٢ — ٩ : ٢١ ، ١١ : ١٤ — ١٩ ) السبع جامات ( ١٦ : ١ — ٢١ ) . فما هي صلة هذه السباعيات بعضها ببعض ؟ هل هي أحداث متتالية أم متوازيات ؟ هذا ما سيظهر لنا في دراستنا .

( أ ) هذا السفر المختوم بسبعة ختوم أخذه الأسد الخارج من سبط يهوذا لأنه هو الذي ذبح واشترانا ولا يستطيع أحد أن يفك ختوم هذا السفر ، وقد فتح ختومه واحداً واحداً فظهرت حوادث متعددة :

فعندما فتح الختم الأول فرس أبيض والجالس عليه خرج غالباً ولكي يغلب .
أما في الختم الثاني راكب على فرس أحمر وهو يأتي بالحروب على الأرض .
والختم الثالث : راكب على فرس أسود وهو يأتي معه بالمجاعات الشديدة .
والختم الرابع : راكب على فرس أخضر وهو يجر معه الموت بواسطة الأوبئة والجوع ووحوش الأرض .
والختم الخامس : أنفس الذين قتلوا من « أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم » يصرخون « أيها السيد القدوس والحق ألا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض » ؟ .

والختم السادس : زلزلة عظيمة . . إظلام الشمس وسقوط الكواكب لأنه يوم غضب الله والحمل .

والختم السابع : سكوت فى السماء نحو نصف ساعة .

ولكن هذا كله لا يعتبر من ضمن محتويات السفر ، إنها فقط حوادث بدائية عند فتح ختومه التى كانت تقفله ، أما محتويات السفر فإنها لم تكشف بفتح الختوم . فهل يمكن أن نعرف ماذا يحوى ذلك السفر ؟ إن ما يحيط بالسفر والإطار الذى وضع فيه من وجوده على يمين الجالس على العرش أى الله جل جلاله ومن أنه استعصى على أى كائن من كان أن يفتح ختومه . وأن الذى استحق أن يأخذ السفر ويفتح ختومه هو الأسد المنتصر الذى انتصر على الموت والشر بموته وقيامته ثم بتقديمه الفداء للخطاة . . من هذا كله نجد أن السفر يحوى إرادة الله وترتيبه وخطته . . هذه الخطة والعمل تتلخص فى « ملكوت الله » فمضمون هذا السفر هو ملك الله وسلطانه الفدائى . . هو إقامة ملكوته فى العالم وسيطرته المخلصة على المؤمنين . وهذا يتضمن الميراث الأبدى الذى لشعبه وأسماء الذين هم معينون للميراث . . أى للحياة الأبدية . ولقد أطلق على هذا السفر فى أمكنة أخرى . إنه سفر الحياة : فمن يغلب فلن يمحو اسمه من سفر الحياة ( ٣ : ٥ ) . ويسجد للوحش أولئك الذين « ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر حياة الخروف الذى ذبح » ( ١٣ : ٨ أنظر ١٧ : ٨ ) . ولن يدخل السماء إلا « المكتوبين فى سفر حياة الخروف » ( ٢١ : ٢٧ ) .. إلخ فهو سفر موجود على يمين الله فى عرشه أى من صنعه وهو سفر الخروف . . وهذا هو ملكوت الله . .

إذن فتدبير الله يتضمن مجئ المسيح الأول ونصرته على الموت والقوات الشريرة ثم هذه الحوادث التى هى عبارة عن دينونته التى ينزلها على قوات

الشر التى تعارض ملكوته الذى يعبر عنه السفر المختوم . ولكن فتح السفر وظهور هذه الحوادث لا يقصد به مبدئياً وأساساً ذكر التاريخ الفدائى بل قصد به أن يطمئن تلك الكنائس التى يكتب إليها ، إن كشف خطة الله تعطى لهذه الكنائس الاطمئنان من أن الله لا يؤخذ على غرة بل هو الذى رتب وعمل كل شئ . ولذلك فيجب أن يثقوا فى حكمته وموته للخلاص ، وبدلا من أن نرتعب من الحوادث التى تصاحب فتح الختوم يجب أن نعلم أن فتح كل ختم يقرب الوقت الذى فيه تظهر سيادة الله بكل قوة ، وتعيش فى أمان واطمئنان وسلام . فهذه الحوادث ليست النهاية ولكنها قبل النهاية ( مرقس ١٣ : ٧ ) . وهذه أيضاً ليست للحساب وعمل جداول الحساب متى يعلن ملكوت الله بقوة ، لأن هذه الحوادث كانت من خصائص عصر يوحنا وعصرنا ، إن الهدف من ذكرها هو إعلان سيطرة المسيح عليها .

(ب) عندما فتح السيد الختم السابع كنا ننتظر أن يعلن ملكوت الله ، ولكن الذى حدث هو أن سكوتاً حدث فى السماء ( ٨ : ١ ) ، ولم ينقطع هذا السكوت السماوى إلا عندما خرج كلمه الله على فرسه الأبيض ( ١٩ : ٣ ) . وفى أثناء هذا السكوت يذكر الرائى الأبواق والجامات . هذه الأبواق والجامات وما يصاحبها من حوادث قاسية على أهل الأرض ليست حوادث تنسب زمنياً بعد الختوم السبع ، وليست هى مطابقة تماماً لها ، وتعتبر تفسيراً وتفصيلا لما حدث فى الختوم . وخصوصاً الختم السادس ، الذى حدثت فيه أشياء تعتبر مقدمات نهاية التاريخ إنها الدينونة الأسخاتولوجية التى يجريها الله على العصاة ، إنها ليست بركات بل دينونة قاسية لمن فقدوا كل فرصة للرجوع لله . وهناك أشياء نلاحظها فى دراستنا للحوادث التى ترافق الأبواق والجامات تقارنها معا : ففى كل الأبواق والجامات نجد أن حضور الله واضح للدينونة وفى حضوره تظهر الرعود والبروق والزلزلة الشديدة التى تهز الجبال

( رؤيا ٤ : ٥ ، ٨ : ٥ ، ١١ : ١٩ ، ١٦ : ١٨ ) وقد ظهر فى العهد القديم عندما جاء الرب على جبل سيناء فكانت الرعود والبروق والزلزلة الشديدة التى اهتز منها الجبل (خروج ١٩ : ١٦ – ١٨) . ففى الدينونة يجئ الرب بنفسه لكى يدين هؤلاء الرافضين .

ونلاحظ أيضاً أن الجامات والأبواق تشترك فى أن البحار تنقلب مياهها إلى دم ( ٨ : ٨ و ٩ ، ١٦ : ٣ ) وتفسد الآبار والأنهار ( ١٠ : ٨ و ١١ و ١٦ : ٤ – ٧) وتظلم فى الشمس والنجوم ( ٨ : ١٢ ، ١٦ : ٨ و ٩ ) ويظهر الجراد الشيطانى المروع ( ٩ : ١ – ١٢ ) . . إلخ . هذه الضربات الشديدة ترجع بنا إلى الضربات العشر التى ضرب بها الله أرض مصر عندما أراد أن يخرج شعبه من هناك ، فصيرورة المياه دماً وجفاف الينابيع والظلام والجراد . . كلها كانت الضربات الإلهية على فرعون وهذه هى الضربات النهائية على العاصين ليديتهم ، ولكن فى نفس الوقت ليخلص شعبه ويقيم ملكوت الله فى سلام .

ونلاحظ أيضاً أن المخلصين يرنمون ترنيمة موسى عبد الرب والحمل وذلك لأنهما المخلصان اللذان يخلصان شعب الله ، تقول الترنيمة « عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شئ عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين . من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك لأنك وحدك قدوس ، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهرت » ( ١٥ : ٢ – ٤ ) .

ونلاحظ أيضاً أن هذه الضربات جاءت جواباً على صلاة القديسين الذين قتلوا وصراخهم من تحت المذبح بعد فتح الختم الخامس ( ٦ : ١٠ ) ، وعندما بدأت الأبواق تعلن غضب الله كانت هناك صلاة القديسين أيضاً

ترفع إلى الله ( ٨ : ٤ و ٥ ) ونفس هذا حدث عندما نزل الرب لكى يخلص شعبه من مصر فإنه فعل ذلك استجابة لصلاتهم ضد ظالميهم ( خروج ٢ : ٢٤ و ٢٥ ) إن هذه النبوة التى يذكرها القديس يوحنا فى صورة رؤى هى إعلان أن الله يسمح لهذا الشعب أن يتعذب ويسجن ويضطهد لأجل كلمة الله وشهادة يسوع المسيح ، ولكنه مع ذلك لا يقف ساكتاً بل أذناه إلى صراخهم دائماً ويأتى لكى يخلصهم .

وهناك أمر مهم نلاحظه وهو أن هناك التكثيف المتدرج فى الضربات التى ينزل بها الله على هؤلاء المضايقين . فالأربع ضربات الأولى كانت تختص بالأرض والسماء وتظهر سلطان الله على كل الخلائق ، وبعدها يأتى ملاك بتحذير ومناداة للرجوع والتوبة ويقول فى هذه البشارة الأبدية لكل قبيلة ولسان وشعب « خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه » ( ١٤ : ٦ و ٧ ) . ولكنهم ، مثلهم فى ذلك مثل فرعون ، تقسى قلبهم ورفضوا أن يصدقوا الرسالة وأن يتوبوا ( ٩ : ٢٠ و ٢١ ، ١٦ : ٩ و ١١ ) . ولهذا السبب فقد جاءت الضربات الثلاث الأخيرة لتمس الإنسان نفسه لأنه تقسى ولم يتب . ( ٨ : ١٣ ) . وهكذا حدث عندما سكبت الملائكة الجامات . . لقد كان هناك تكثيف فى الضربات متصاعد ، ولكن الناس لم تتب ولم ترجع إلى إلهها .

( حـ ) ولكن فى وسط هذه الدينونة الرهيبة التى فيها يظهر سلطان الله والحمل فى التاريخ لا يمكن أن تهمل العناية بجماعة الله فى وسط العالم . ولهذا فإننا نرى فقرات اعتراضية فى وسط سرد الدينونة هذه فى ختوم وأبواق وجامات تبين حرص السيد الشديد على شعبه .

الفقرة الأولى بعد الختم السادس ( ص ٧ ) حيث يعد أسباط إسرائيل

الحقيقى الذى يتكون من كل القديسين قديماً وحديثاً ويختمهم على جباههم لكى يعلن أنهم ملك للسيد وهو الذى يحرسهم ولأجل ذلك كان الجمع الغفير الذى جاء من الضيقة العظيمة التى تحيط بالعالم وبيضوا ثيابهم وغسلوها فى دم الخروف . يصرخون بصوت عظيم « الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف وترد عليهم جميع الكائنات السماوية بالترنيم .

أما الفقرة الثانية فجاءت بعد البوق السادس ( ١١ : ١ — ١٦ ) وهى تختص على قياس بيت الله وعلى الشاهدين . وقد اختلف المفسرون إذ قيل إنهما بطرس وبولس ( وهذا يعنى أن سفر الرؤيا كتب مبكراً ) . ولكن بمقارنة ١١ : ٥ مع ٢ ملوك ١ : ١٠ وبمقارنة ١١ : ٦ مع خروج ٧ : ١٩ أنظر مرقس ٩ : ٢ — ٨ نستنتج أنه يقصد موسى وإيليا أحدهما يمثل الناموس والآخر يمثل الأنبياء . هذان الشاهدان الناموس والأنبياء اللذان يشهدان لله وبر الله فى المسيح يسوع ( رومية ٣ : ٢١ ) يرفضان فتنزل الدينونة على الأمة اليهودية ولكنهما يعودان مرة أخرى للشهادة لله . إذ تدخل فيهما روح .

أما الفقرة الثالثة ( ١٢ ) فتختص بالمرأة وابنها ومحاربة الشيطان الساقط من السماء لها وسيأتى ذكرها فيما بعد عن حفظ الله لها .

والفقرة الرابعة والأخيرة وهى تختص بالخروف المذبوح والذين هم له المائة والأربعة والأربعون ألفاً وهم عدد مضاعف الكمال لشعب الله الذين يعيشون فى قداسة تامة الذين يترنمون لله ترنيمة لا يعرفها غيرهم لأنهم هم الذين اختبروها ( ١٤ : ١ — ٥ ) وهنا تتضح هوية هؤلاء، هم ليسوا من شعب إسرائيل فقط بل هم كل شعب العريس الذين اختارهم عروساً له لا دنس فيها ولا غضن .

من هذه الإشارة نرى كيف يدين الله الأرض ومن عليها ولكنه يحفظ الذين هم له وهذه نعمة الكتاب المقدس كله يكشفها فى وسط الضيقات (مرقس ١٣ : ٢٠) .

٣ — المجابهة الخفية وراء الصراع التاريخى :

سلطان السيد فى الكنيسة وعلى التاريخ لا يعنى أنه لا يواجه تحدياً من قوات الشر . فهو فى ذاته قد واجه هذا الصراع ، ويواجهه الآن فى كنيسته . وهو عندما يدين العالم فإنما يدينه لأجل شره وموقفه من الكنيسة . ولا بد أن السؤال الذى طرحه صاحب المزامير فى قوله « لماذا ارتجت الأمم . . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه . . » (مزمور ٢ : ١ — ٣) نجد جواباً فى ما يكتبه الرائى هنا فى سفر الرؤيا . لقد كان جواب العهد الجديد دائماً أنهم قاموا لأن هناك قوات خفية وراء هؤلاء الملوك (الشيطان طلب أن) . . ووراء هذا الصراع التاريخى الظاهرى (أفسس ٦ : ١٢ ، ١تسالونيكى ٢ : ٣—١٢)

وهذا الجواب يتضح فى هذه النبوة والحوادث التاريخية التى يبسطها الرائى فى ص ١٢ .

(أ) المجابهة الخفية :

فى الجزء الأول من الأصحاح الثانى عشر يكشف لنا الرائى عن هذه المجابهة الخفية التى قد لا يراها الناس ولكنها حقيقة وقعت ويتمسك بها الإعلان المسيحى . فقد ظهرت آية عظيمة امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من إثنى عشر كوكباً . . وقد ولد لها طفل ذكر . هذا الولد عتيد أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد . وهنا ظهرت آية أخرى تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رأسه سبعة تيجان

أراد أن يبتلع الابن متى ولدته ، ولكن الحرب انتهت بأن اختطف إلى عرش الله ولم يقدر أن يفعل التنين شيئاً . وهذه الآيات معروفة لأن المرأة هى شعب الله فى مجده وكماله والولد الذكر هو يسوع الناصرى أما التنين فهو الشيطان بكل قوته وجبروته وهذه الحرب الخفية هى تفسير ذلك القول الذى قاله الله قديماً « وأضع عداوة بينك وبينها وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ( تكوين ٣ : ١٥ ) . هذه حقيقة تاريخية لكنها خفية ، يشنها الشيطان الشرير ضد ابن الله وشعبه ، ولكنه ينكسر ويطرد من السماء فيشرع فى مجابهة الكنيسة ونسلها . ويلاحظ هنا أن كلمة نسل تأتى فى المفرد والجمع المفرد يعنى المسيح وقد انهزم أمامه ، أما الجمع فهو يعنى المؤمنين . . لقد جاءهم الشيطان ليقوم ضدهم بتلك المجابهة المعلنة . . فى الحرب الشديدة . .

**(ب) المجابهة العلنية :**

فى المجابهة العلنية يستخدم الشيطان وحشين : الأول جاء من البحر ( ١٣ : ١ ) وقد أعطاه التنين كل قوته وسلطته ، ولا يشك أى مفسر أن هذا الوحش هو الدولة الرومانية التى انتفخت وجعلت الناس يسجدون ويعبدون الشيطان والوحش معاً ونلاحظ هنا أن الرائى يذكر فى الحرب الأولى مدة « ألفاً ومئتين وستين يوماً . وفى الضيقة الثانية ٤٢ شهراً . وهما مدة واحدة كذلك مدة ٣ سنوات ونصف ، هذه فى لغة الرؤى تعنى الضيقة العظيمة ، لأن اليهود اعتبروا أن المدة التى أدخل فيها أنطيوخوس أبيفانس ( ١٦٩ ق م ) العبادة الوثنية فى الهيكل هى الضيقة التى لم يكن مثلها فى كل الأرض وكانت هذه المدة ثلاث سنوات ونصف ، وأصبحوا يعبرون عن كل ضيقة بهذه المدة دلالة على شدتها .

ويضع القديس يوحنا لغزاً لعله كان معروفاً فى عهده هو عدد اسم

الوحش « ٦٦٦ » ( ١٣ : ١٨ ) ولقد استخدم كل الدارسين كل ما لديهم من مواهب لمعرفة هذا الاسم ، وعلى من يدل هذا الرقم ، وهل العدد يسير بحسب الحروف العبرية أم اليونانية ، وقد قيل إنه نيرون قيصر ، وربما هو شخص شبيه بنيرون وخصوصاً أن فظائع نيرون كانت عالقة فى الأذهان وكانت هناك أسطورة نيرون ورجوعه مرة أخرى بعد موته — كما سبق القول .

ولكنه لن يكون كنيرون فقط بل سيكون ضد المسيح . وذلك يتضح فى وصفه فهو يشابه المسيح الذى هو الحمل المذبوح ( ص ٥ ) فهو كذلك فيه جرح مميت ولكنه لم يزل عائشاً ( ١٣ : ٣ ) ويشابه الله الذى هو « الكائن والذى يكون والذى يأتى » ( ١ : ٤ و ٨ ) فهو كان وغير موجود وهو يصعد من الهاوية ويمضى إلى الهلاك » ( ١٧ : ٨ ) . فالوحش بذلك هو ضد المسيح الذى يريد أن يأخذ مكان المسيح ومكان الله ولكنه غشاش ومخادع ، فمظهره يدل على شئ عظيم ولكن حقيقته كاذبة وهو مخادع ، إن اسمه ٦٦٦ أقل من الكمال الذى يعبر عنه بالعدد « ٧ » ثلاث مرات .

فالوحش إذن سيكون نيرون الجديد والمسيح الكاذب وهو الذى يحارب المؤمنين ويخادع العالم ليسجدوا له وللتنين .

وهنا نسرع للقول إنه وإن كان هذا الوحش يدل على حقيقة تاريخية ظهرت فى عصر القديس يوحنا فهذا لا يعنى أنه لا يتكرر فقد تكرر حتى فى عصر العهد الجديد « مسحاء كذبة كثيرون » ( ١ يوحنا ٢ : ١٨ ) أو « سر الاثم الذى يعمل الآن » ( ٢ تسالونيكى ٢ : ٧ ) .

ولكن فى ١٣ : ١١ — ١٧ نقابل وحشاً آخر له قرنان مثل الخروف ولكنه يجبر العالم على أن يعبدوا الوحش الأول . ويلوح أنه يمثل الديانة كما أن

الأول يمثل السلطة السياسية ولأجل ذلك سمى فى مكان آخر النبى الكذاب (١٦ : ١٣ ، ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ١٠) ، ولعله كان يمثل القوة التى كانت تجبر الناس أن يعبدوا الامبراطور ويسجدوا له .

(ح) تجسيم المجابهة :

رأينا فى الأصحاح الثانى عشر المرأة المتسربلة بالشمس (١٢ : ١ و ٢)، وعرفنا أنها كنيسة الله الكاملة فى كل العصور ، ولكن النبوة تظهر لنا امرأة أخرى زانية على النقيض من تلك المرأة المقدسة (ص ١٧) . هذه المرأة كما هو واضح من كلام الملاك الذى كشف سرها لأول مرة ليوحنا هى روما المبنية على سبعة تلال (١٧ : ٩) وهى بابل الجديدة الضالة التى أذلت شعب الله الجديد كما أذلته بابل فى القدم (١٧ : ١٨) وأقامت نفسها نداً لله فأعلنت ثورة عليه (ص ١٦) ولكن الله يحطمها فى هزيمة منكرة بيد المسيح المنتصر (١٨ : ١٠) .

فى مقابل روما الضالة هناك مدينة أخرى يسميها الرائى أورشليم مدينة الله ، إنها تظهر من السماء عندما يأتى ابن الله من السماء راكباً على فرس أبيض وسيف الكلمة يخرج من فمه ويعاقب ويحطم كل الأعادى المدينة الشريرة أولا (١٦ : ١٩ ، ١٧ : ١٦ — ١٨ و ٢٤) وبعد ذلك يبيد الوحشين (١٩ : ١٧ — ٢١) وأخيراً التنين مصدر كل شر (٢٠ : ١ — ١٠) . عندئذ تظهر فى بهائها ومجدها حيث يسكن الله فيها كمدينة محبوبة (٢٠ : ٩) وفيها يملك المسيح وشعبه ألف سنة (٢٠ : ٤ — ٦) وحيث تظهر إرادة الله بكل وضوح ويخضع لها الجميع ويسيرون بموجبها (٢١ : ١ — ٨) .

هاتان هما المدينتان روما والكنيسة مسكن الظلمة ومسكن النور تظهر الأولى فى ظلامها وشرها وخرابها فى ص ١٧ و ١٨ وتظهر الأخيرة فى

مجدها وبهائها فى ٢١ : ٩ – ٢٢ : ٥ . كل منهما تظهر كامرأة : الأولى زانية وهى روما والثانية عروس الحمل وهى الكنيسة وهنا ينظر النبى من خلال النبوة فيرى مجد روما الزائل ومجد الكنيسة المجيدة التى يمجدها ويظهر فيها الحمل .

إنه صراع تاريخى معلن ولكنه يشير إلى الصراع الخفى بين الله والأسد الذى هو الخروف المذبوح الذى خرج منتصراً ولينتصر من ناحية وبين التنين والوحشين : الشيطان وعملائه : السياسة والدين الضال الذى يعبد الإنسان من ناحية أخرى .

أما مسألة الألف سنة فهى لغة رمزية تعنى أن الله بعد أن يحطم الأعداء يعطى الكنيسة عروس الحمل أن تعيش فى سلام ومجد حول عريسها – وهذا ليس وصفاً للسماء ولكن هنا فى الأرض وفى التاريخ لأن خارج هذه المدينة التى يسكن فيها الله ما زال يوجد الأمم والعالم أى التاريخ ( ٢١ : ٢٤ ، ٢٢ : ٢ ) وأن المدينة تقفل فى وجه النجاسة والكذب . فالله هو المنتصر فى الصراع الخفى والمعلن ، وشعبه سيسكن مطمئناً ، يعبده ليل نهار .

* * *

وأمانة الله لشعبه أساس لما يطلبه هو من الإنسان أن يكون أميناً . ولعل هذا الطلب الإلهى من الإنسان يتلخص فى قوله « هنا صبر القديسين وإيمانهم » (١٣ : ١٠ أنظر ١٤ : ١٢ ) أو فى قوله لملاك كنيسة سميرنا « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » ( ٢ : ١٠ ) .

إن الشهادة بحسب سفر الرؤيا لا تعنى موت المؤمن ، كلا ، إن المؤمن هو شاهد للمسيح ولذلك قتلوه . الشهادة للمؤمن فى حياتهم وقد يموت

بسببها . . وإلى جانب هؤلاء الشهود الذين يقتلون من أجل شهادة يوجد الأعداد التي لا حصر لها من الذين يشهدون ويعيشون شاهدين رغم كل الثمن الذي يدفعونه .

وكتاب سفر الرؤيا هو كتاب النصرة لأنه يعلن نصرة يسوع المسيح الشاهد الأمين ( رو ٣ : ٢١ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٢ ) وهو يدعو القارئ لمشاركته نصرته « من يغلب . . » ؛ إن صرخة ٦ : ١٠ نالت الجواب في ٢ : ٤ إذ ملك هؤلاء مع المسيح ألف سنة . . هنا حقيقة صبر القديسين وإيمانهم .

# الباب الخامس

# الرسائل العامة

بقيت لنا فى العهد الجديد خمس رسائل وقد أطلق عليها اسم « عامة » نظراً لعدم تحديد المرسل إليهم . وهذه الرسائل بدورها تنقسم إلى جزئين . الرسالة إلى العبرانيين وهى عامة ولكنها ليست جامعة بمعنى أنها أرسلت إلى جماعة محددة مع أننا لا نعرفها ثم أربع رسائل وهى الرسائل الجامعة أى إلى كل المؤمنين وهى رسالة يعقوب ورسالتا بطرس ورسالة يهوذا .

الفصل الأول

# الرسالة الى العبرانيين

رسالة العبرانيين من أهم رسائل العهد الجديد وأكثرها إثارة للأسئلة . ومع أن أسلوبها رفيع المستوى لا يدانيه إلا القليل من كتابات العهد الجديد ، ومع أن طريقة عرضها للحقائق عميقة ومفصلة ومعرفة كاتبها بالعهد القديم والأسلوب اليونانى معرفة أصيلة ، إلا أن هناك قضايا معقدة لم يستطع أى عالم أن يعطى فيها رأياً فاصلا ، مثلا : ما نوع هذا السفر ؟ ومن هو كاتبه ؟ ولماذا كتبه ، ولمن كتبه وغير ذلك مما يتطلب منا أن ندرسها دراسة تفصيلية .

**أولا : مانوع هذا السفر ؟**

هل هو رسالة ؟ أم عظة ؟ أم نبذة لاهوتية ؟ فمقدمته لا توحى بأنه رسالة خاصة ، فالكاتب لا يذكر اسمه كما كانت العادة فى كتابة الرسائل وكما كان يفعل الرسول بولس فى رسائله كلها . ولكن من يتأمل الأصحاح ١٣ يجد أن الكاتب يكلم جماعة خاصة ، له بهم علاقة قوية ، وكان معهم يوما ما ، وهو يريد أن يزورهم مرة أخرى ( ١٣ : ١٨ و ١٩ ) ثم يختم الكتاب بإرسال تحياته إليهم ( ١٣ : ٢٤ و ٢٥ ) .

وهناك من يظن أن هذا الكتاب عبارة عن عظة وضعها الكاتب فى كتاب وأرسلها إلى جماعة خاصة وهذا الرأى مبنى على ما نقرأه فيها من تكرار كلمات السمع والقول مما يدل على أنها نبذة وموعظة وليست رسالة مقروءة .

وهناك من قال بأن هذا السفر مقالة أدبية مسيحية كتبها شخص ولكنه لم يوجهها إلى جماعة خاصة بل إلى اليهود عامة . ولكن الموقف التاريخي الذى يظهر فى الرسالة والأمور الشخصية لا تتفق مع هذا الرأى ولا تؤيده .

أما رأينا هنا فإن هذا السفر يغلب عليه طابع الرسالة الخاصة التى كتبها شخص ما إلى جماعة ما يعرفها . أما عدم ذكره اسمه ولا تحياته فليس دليلا قوياً ضد هذا الرأى . ولذلك فسوف نسميها « الرسالة إلى العبرانيين » .

**ثانياً : السؤال الثانى من هو كاتب الرسالة ؟**

هو أصعب الأسئلة جميعاً وهو الذى يتعلق بمؤلف الرسالة ، ولقد انقسم العلماء إلى فريقين : الفريق الأول ينسبها إلى الرسول بولس . وأهم من فعل ذلك هم علماء مدرسة الاسكندرية والفريق الثانى ينكر نسبتها إلى الرسول بولس وأهم من تبنى هذا الرأى هم علماء الكنيسة الغربية . وبدلا من الرسول بولس فقد نسبوها إلى أشخاص مختلفين فمنهم من نسبها إلى أكليمندس : أو بولس أو أكيلا وبريسكلا أو لوقا وغير ذلك .

أما من نسبها إلى الرسول بولس فقد استند إلى الشواهد التالية :

١ ــ إن مدرسة الاسكندرية وراء هذا الاعتقاد . ولكن لهذه المدرسة بعض التحفظات على هذه النسبة وخاصة أوريجانوس الذى رأى أن هناك اختلافاً واضحاً بين أسلوب هذه الرسالة وبين أسلوب الرسول بولس كما نقرأه فى الرسائل الأخرى . ومع ذلك فلم ينكروا أن الرسول هو الذى كتبها . أما اعتراض الكنيسة الغربية على هذه النسبة فهو اعتراض متأخر أى فى القرنين الثالث والرابع ويؤيد ذلك أن أكليمندس أسقف روما فى أواخر القرن الأول وأوائل الثانى اقتبس منها وكذلك الترجمة اللاتينية

تحتوى على هذه الرسالة . وفوق كل ذلك فقد أيد جيروم بكل ثقله العلمى نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس مما كان له أكبر الأثر فى الكنيسة الغربية بعد ذلك .

٢ - ولكن البرهان الداخلى له ثقله الأكبر فى هذا الاتجاه . ويتكون هذا البرهان الداخلى من عدة عناصر :

( أ ) هناك بعض المواقف التى ترد فى الرسالة مما يتفق تماماً مع حياة الرسول بولس دون أدنى تعارض . وهناك أجزاء أيضاً يستشف منها القارئ أنها كتبت قبل خراب أورشليم وهدم الهيكل ( ٨ : ٤ ، ٩ : ٦ و ٧ ، ١٣ : ١١ - ١٣ . ولو أن هذه الحادثة المروعة حدثت قبل كتابة هذه الرسالة لما أمكن لهذا الكاتب أن يتناساه أو يغفله .

وكذلك تدل العبارة الواردة فى ١٢ : ٤ على أن هذه الرسالة كتبت قبل استشهاد يعقوب أى حوالى ٦٢ أو ٦٣ م .

لكن أهم عبارة وردت فى هذه الرسالة تعطى احتمالا أكبر على نسبتها للرسول هى ما جاءت فى ١٣ : ١٩ و ٢٣ التى فيها يطلب منهم الصلاة من أجله لكى يرد إليهم وأن يزورهم تيموثاوس . وهذا يعنى أنه كتبها مباشرة بعد سجنه الأول فى رومية . وهذا يفسر ما جاء فى ١٣ : ٢٤ من أن أهل إيطاليا يسلمون عليهم لأنه كان فى ذلك الوقت فى إيطاليا .

(ب) هناك تشابه كبير فى التفكير اللاهوتى بين هذه الرسالة وبين كتابات الرسول بولس . وهذا ما أبرزه أوريجانوس المصرى . وهذه هى بعض الأفكار المشتركة بين هذه الرسالة والرسول :

عبرانيين ١ : ١ — ٣ تقارن مع ٢ كورنثوس ٤ : ٤ ، كولوسى ١ : ١٥ و ١٦

عبرانيين ١٠ : ١٢ و ١٣ تقارن مع ١ كورنثوس ١٥ : ٢٥

عبرانيين ٢ : ١٤ تقارن مع ١ كورنثوس ١٥ : ٥٤ — ٥٧

عبرانيين ٨ : ٥ و ١٠ : ١ تقارن مع كولوسى ٢ : ١٧

عبرانيين ٧ : ٢٦ تقارن مع أفسس ٤ : ١٠

وهكذا :

٥ — أما الاعتراض على صحة نسب هذه الرسالة إلى الرسول والاستناد على اختلاف الأسلوب فهو اعتراض مردود ، لأن الاختلاف فى الأسلوب لا يدل على اختلاف الكاتب بل اختلاف الموقف ، فكثيراً ما يغير الكاتب أسلوبه فى موقفين مختلفين وما أبعد الشقة بين كتابة العبرانيين عندما يكتب الرسول آخر رسالةله تقريباً وهو يكتبها بكل عناية وتؤدة وبين كتابة رسالة غلاطية وهو يكتبها فى نار الغيرة على الإنجيل والكنيسة فى موقفين كهذين قد يستخدم الكاتب الكلمة فى معنيين مختلفين ، وهذا خليق بشخص كالرسول بولس صاحب العقل الخصب والفكر الواسع .

هذه هى أهم البراهين التى يسوقها الذين يعتقدون أن الرسول هو الذى كتب هذه الرسالة . ولكن هناك من يعترضون على ذلك وينكرون أن الرسول هو الذى خط هذه الرسالة . ربما كتبها إنسان من المعجبين بالرسول ولكنه ليس الرسول نفسه على كل حال . ويوردون على رأيهم هذا أدلة نذكر أهمها :

( أ ) عدم ذكر اسم أى من الرسل ككاتب لهذه الرسالة ، إننا لا نجد أى علامة على السلطان الرسولى الذى يظهر فى الرسائل المختلفة فى العهد الجديد .

فكل رسالة يظهر عليها اسم رسول نجد فيها علامة الرسولية والسلطان المعطى لهم (انظر ١ بطرس ١ : ١ ، ٥ : ١ ، ٢ بطرس ١ : ١ ، ٣ : ١ ، ١ يوحنا ١ : ١ – ٤ ، يعقوب ١ : ١ وهكذا ) ناهيك عن الرسول بولس فى رسائله وهكذا فإنه يكون من المستغرب جداً وغير الطبيعى أن يكون الرسول بولس كاتباً لهذه الرسالة ولا يذكر فيها شيئاً من هذا القبيل .

(ب) هناك اعتراض ثان على صحة نسب هذه الرسالة إلى الرسول بولس وهو غياب ذكر خبره الرسول فى طريقه إلى دمشق وكيفية قبوله للمسيح رباً ومخلصاً ، وإن كان هناك مكان هو أحق بذكر هذه الخبرة فهو رسالة العبرانيين ، فإن كان يذكرها للأمم أفلا بالأولى يذكرها للعبرانيين ، فيبرهن لهم عن عظمة المسيح عن كل العهد القديم والناموس ؟ لقد ترك طريق آبائه وكان واجباً عليه أن يشرح بكل وضوح لماذا فعل ذلك . ولكن هذا لا نجده فى هذه الرسالة مما يضع علامة استفهام ضخمة أمام صحة نسبها إليه .

(جـ) هناك أيضاً الاعتراض الكبير وهو اختلاف أسلوب هذه الرسالة عن كتابة الرسول بولس ، إن الاختلاف لا يتوقف على اختلاف الموقف ولكن الاختلاف يبين بالضرورة اختلاف الشخصيتين اللتين كتبتا رسالة العبرانيين ورسائل الرسول بولس . فمثلا عندما يكتب الرسول بولس رسالة كرسالة رومية لا تقل فى تفكيرها وتسلسلها عن رسالة العبرانيين إن لم تزد عليه رغم كل العناية التى أولاها للأفكار التى فيها ، والرسالة التى ضمنها بإلحاح فإنه كان يمسك بالفكرة ويدرسها وفجأة ينتقل إلى فكرة ثانية وثالثة وقد يرجع إلى الفكرة الأولى ليكملها . وهذه سمة للرسول لا تتغير فى كل رسائله فمثلا يبدأ فى وصف الحياة المسيحية الروحية فى رومية ٥ : ١ – ١١ ولكنه ينتقل فجأة إلى التكلم عن الخطية والموت وعطية الله فى المسيح ثم

ينتقل إلى التحذير من السلوك الجسدى فيتكلم عن المعمودية وكيف يموت فيها المؤمن مع المسيح ويحيا معه فى وحدة الحياة ص ٦ ، ثم يتكلم عن الخطية وعربدتها فى ص ٧ وفجأة يعود إلى وصف الحياة الروحية فى ص ٨ . هكذا هو الرسول بولس . أما كاتب العبرانيين فإنه عندما يمسك بالفكرة فإنه لا يتركها دون أن يدرسها من كافة جوانبها ومتى انتهى منها تركها إلى غيرها — وهكذا مما يدل على أنه شخص وشخصية أخرى غير الرسول بولس .

(د) أما لاهوت الاثنين فهو مختلف كل الاختلاف . ويظهر هذا الاختلاف بكل وضوح فى النظر إلى شخصية المسيح وطبيعة عمله والصلة بين العهدين القديم والجديد . فلم يذكر كاتب العبرانيين العبارة المركبة « يسوع المسيح ربنا » أو « ربنا يسوع المسيح » مرة واحدة ، وهى التى يذكرها الرسول حوالى ٧٠ مرة فى كتاباته . إن كاتب العبرانيين يذكر الأسم منفرداً « يسوع » أو « الرب » أو « ربنا » أو « المسيح » . أما عن عمله فبينما يركز الرسول بولس على قيامة المسيح تركز العبرانيين على تمجيده ، وبينما يركز الرسول على عمله الفدائى فإن كاتب العبرانيين يركز بكل قوة على كهنوت المسيح بكيفية لا نجدها فى أى مكان آخر فى العهد الجديد ولا عند الرسول بولس .

ولعل هذا الاختلاف كان نابعاً من نظرة الشخصين إلى العهد القديم بكل مشتملاته ( العهد القديم كعهد وليس كتب العهد القديم ) فالرسول بولس ينظر إلى اليهودية كنظام ناموس تشريعى يقصد به نوال امتيازات لدى الله ، أما كاتب العبرانيين فاليهودية عنده هى نظام طقسى يبنى على الذبائح التى تقدم إلى الله حتى يمكن فتح الطريق إليه . وتصل ذروة الاختلاف بينهما فى تقييم العهد القديم ، فكاتب العبرانيين يعتقد أن هذه الذبائح والطقوس لا يمكن أن تخلص لأنها ليست كاملة ولا مطلقة مثل العهد الجديد ، إنها ظل

منه قوة وكمالا فقط . وهذا يختلف تماماً عن رأى الرسول بولس الذى يقول إن العهد الجديد ليس فقط أفضل من العهد القديم بل إنه يناقضه ويزيله ولا يمكن أن يجتمعا معاً . إن الطقوس لا تخلص لأنها ضعيفة عند كاتب العبرانيين ، ولكن الرسول يزيد على ذلك بأن الناموس يزيد الخطية ويجلب الحكم بالموت ( رومية ٥ : ٢١ ، غلاطية ٣ : ١٩ ) .

(ﻫ) ولعل الموقف التاريخى يشكل اعتراضاً يصعب الرد عليه ففى عبرانيين ٢ : ٣ يضع الكاتب نفسه من ضمن الجيل الثانى من المسيحيين الذين سمعوا كلمة الإنجيل من الذين كانوا من البدء معاينين وخداماً للكلمة . وهذا ما لم يفعله الرسول بولس الذى كان ينبر بكل قوة وشدة على أنه أخذ إنجيله من المسيح مباشرة ( غلاطية ١ : ١٢ ) ولو تنازل عن كل شئ فلن يتنازل عن الإعلان المباشر الذى أخذه من المسيح دون أى واسطة .

هذه هى الأسباب التى جعلت الغالبية العظمى من علماء العصر الحاضر لا تقبل نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس .

وإلى جانب ذلك فإنهم يقترحون عدة أسماء كاحتمالات كتابة هذه الرسالة منها :

**لوقا :**

وأهم ما يذكر عنه فى هذا الاتجاه هو تشابه هذه الرسالة مع خطاب إسطفانوس فى أعمال ٧ . ولكن هذا قد يظهر أسلوب مدرسة أو الكنيسة اليونانية وليس أسلوب شخص واحد .

**برنابا :**

وهذا رأى ترتليان الذى ذكره كتقليد كنسى ففى أعمال ٤ : ٣٦ سمى

ابن الوعظ أو التعزية وهذا واضح فى الرسالة ( عبرانيين ١٣ : ٢٢ ) وكان لاوياً يعرف كيف يفسر الطقوس اليهودية فى ضوء المسيح . وهو من سكان قبرص وله دراية واسعة باللغة اليونانية . ولكن هذا التقليد الكنسى لم يكن له شعبية متسعة بل هو رأى كنيسة شمال أفريقيا . أما بقية البراهين فلا تقوى على البرهنة على ذلك الرأى .

وهناك أسماء مثل أكليمندس أسقف رومية للتشابه الكبير بين رسالته التى كتبها إلى كورنثوس وبين رسالة العبرانيين . ومثل سيلا أوسلوانس رفيق الرسول بولس وكاتب رسالة بطرس الأولى ( ١ بطرس ٥ : ١٢ ) ثم أبولس الاسكندرى كما يتمسك بذلك لوثر . وأخيراً بريسكلا زوجة أكيلا ؛ وهكذا ربط العلماء أسماء كثيرة بهذه الرسالة . ولكن الرأى الذى يجب أن نخرج به هو أن « من كتب هذه الرسالة » فالله وحده هو الذى يعلم كما قال أوريجانوس المصرى .

ثالثاً — المكتوب إليهم :

وهذا سؤال ثالث لا يقل جوابه صعوبة عن أجوبة الأسئلة السابقة . ولعل عنوان الرسالة الأصلى « إلى العبرانيين » هو السبب الأساسى فى هذه البلبلة . فهذا العنوان الأصلى لا يعبر عن مكان جغرافى أى المكان الذى وجد فيه القراء فهل يشير إلى الأمة اليهودية كلها ؟ أم إلى اليهود الذين يتكلمون العبرية ؟ إن الرسالة ترينا أن المكتوب إليهم كانوا جماعة مؤمنة قضت وقتاً طويلا فى المسيحية وذاقت الاضطهادات لأجل إيمانها ( ٣ : ١ و ١٤ ، ٤ : ٢ ، ٦ : ١ و ٢ و ٩ — ١٢ .. إلخ . ونفس هذا القول يؤكد أن الرسالة لم تكتب إلى كل المسيحيين الذين من أصل يهودى ، لأنهم جماعة محدودة يرتبط الكاتب

بها برباط خاص (١٠ : ٣٢ — ٣٩ ، ١٣ : ٧ و ١٨ و١٩و ٢٢ — ٢٥ ) فمن هي هذه الجماعة إذن ؟

( أ ) جماعة لها تاريخ واضح وصلة خاصة بالكاتب : وهناك عبارات خاصة تظهر ذلك مثل « الأيام السابقة » ( ١٠ : ٣٢ ) ، ووصف الاضطهادات بصورة دقيقة ( ١٠ : ٣٣ و ٣٤ ، ١٢ : ٤ ) وقبل ذلك الكيفية التى بها قبلوا الإنجيل ( ٢ : ٣ ) وصلته بهم واشتياقه أن يراهم ( ١٣ : ١٩ و ٢٣ ) ويطلب منهم الصلاة لأجله ( ١٣ : ١٨ ) .

(ب) جماعة لها ظروف حاضرة خاصة : لقد نالوا بركات وفيرة من الله : خلاص أبدى ( ٢ : ٣ ) مواهب الروح القدس ( ٦ : ٤ و ٥ ) معرفة الحق ( ١٠ : ٢٦ ) ومع ذلك فهم فى حالة ضنك شديد وخطر الارتداد ( ٢ : ١ ، ٣ : ١٢ ) حتى أنهم يشابهون الإسرائيليين قديماً ( ٤ : ١ و ١١ ) إنهم فى خطية الضلال التى صلبت المسيح نفسه ( ٦ : ٦ ) وقد تركوا اجتماعاتهم ( ١٠ : ٥ ) وقد أضحوا بطيئى الفهم ( ٥ : ١١ — ١٤ ) .

( حـ ) إنهم قسم من مجتمع أكبر : يقول الكاتب لهم إنه كان ينبغى أن تكونوا معلمين (٥ : ١٢) وهذا دلالة على أنهم وسط جماعة كبيرة. ومع ذلك فهم ليسوا الفئة الأهم فى الكنيسة فمازالوا لهم مرشدون ( ١٣ : ١٧ و ٢٤ ) ومن يدرى فلعلهم تركوا اجتماعهم وانشقوا على الجماعة الكبيرة ( ١٠ : ٢٥ ) .

هذه بعض صفات الجماعة فهل هناك تخمين عن هويتهم لقد ظهرت آراء ونظريات كثيرة منها :

١ — جماعة مسيحية من أصل يهودى : وهو الرأى الذى حاز وما زال يحوز على موافقة قسم كبير من علماء العهد الجديد ، لأن الرسالة نفسها

والمادة التي تحتويها والأفكار التي تدرسها ، لا تفهم إلا في هذا الإطار ، لأنها كلها تنصب على الديانة اليهودية بكل ما يتعلق بها . (أنظر ٢ : ١٦ ، ٩ : ١٥ ، ١٣ : ١٣ ) بل لعل الكاتب نفسه تأثر بالقراءات المجمعية وخصوصاً من سفر المكابيين عندما كتب ص ١١ .

ولكن هذا الرأي لم يسلم من الاعتراضات : فقد اعترض بأن أسلوب الرسالة أسلوباً يونانيا لا يلائم اليهود والاقتباسات أخذت من الترجمة السبعينية وهذا لا يشجع الدارس على أن يأخذ بهذا الرأي . ولكن رغم ذلك فهذان الاعتراضان لا يمكن أن يكونا برهاناً على أن القراء ليسوا من أصل يهودي.

(ب) جماعة مسيحية من أصل أممي . وتمسك بهذا الرأي علماء لهم وزنهم في الدراسات الكتابية مثل موفات وجبر هارد فوس. وبنوا رأيهم على الأمور التالية :

ـ إن مركز الثقل في الرسالة خيمة الاجتماع وليس الهيكل بخلاف ما كان سيكون لو أن المكتوب إليهم يهود لما للهيكل من إعزاز في قلوبهم .

ـ لا ترى في الرسالة أي أثر للمناقشة الحادة بين اليهود والأمم المسيحيين وهي قضية حساسة لليهود جداً وخصوصاً المسيحيين منهم .

ـ عندما ينبر الكاتب على بشرية المسيح فإنه كان يحارب أفكار أممية منحرفة .

ـ الاقتباسات كانت من السبعينية وليست من النسخة العبرية ؟

ـ أما أن الدراسة كلها كانت من العهد القديم فذلك لأن الأمم المسيحيين كانوا يقدسون أيضاً هذا الكتاب لأنهم ورثوه أيضاً عن اليهود ( غلاطية ٣ )

ـ إن مسألة الارتداد تدل على أن المرتدين كانوا من الأمم لأنهم يرتدون عن الله الحي وليس عن المسيحية . والأعمال الميتة هي أعمال في في أساسها أممية (عبرانيين ٣ : ١٢ ، ٦ : ١ ، ٩ : ١٤) .

ومع أنه رأى جماعة لا يستهان بها إلا أن ضعف هذا الرأى يكمن في أن المتمسكين به حملوا براهينهم أكثر مما تحتمل لأنها تنطبق على اليهود أو الأمم على السواء .

(حـ) جماعة يهودية من أورشليم نفسها ، وليسوا كل مسيحيي أورشليم ولكن هم جماعة يذكرهم لوقا في أعمال ٦ : ٧ إذ يقول إن جمهوراً كبيراً من الكهنة قبلوا الإيمان ولعلهم هاجروا إلى رومية ، ولكنهم جازوا في اختبار صعب مرهق ووقفوا في مفترق الطرق ، فكتب لهم الكاتب هذه الرسالة مبيناً لهم مجد المسيح وعظمته وكمالاته كوسيط للعهد الجديد عن كل ما سبق .

ولقد اختلفت الآراء أيضاً على مكان هذه الجماعة فقيل إنهم كانوا في فلسطين وقيل إنهم كانوا في روما لأن الرسالة عرفت في روما قبل أى مكان آخر . وقيل إنهم كانوا في الاسكندرية نظراً لوجود اليهود المثقفين في هذه المدينة . . وقيل إنهم سكنوا في أفسس أو فيما حولها نظراً لتشابه بعض أفكار الرسالة بما جاء في كولوسي خصوصاً في مقارنة المسيح بالملائكة والأطعمة وغير ذلك ، وهكذا لا يستطيع المرء أن يعرف جزماً أين سكنت تلك الجماعة .

**كيف نحدد موقف هذه الرسالة :**

أين تقف هذه الرسالة أو كاتبها في تيار الفكر المسيحي في الكنيسة الأولى ؟ هل هو يعبر عن فكر الكنيسة اليهودية أم الكنيسة الهلينية ؟ إن هذا الكاتب

كان لاهوتياً أصيلا ، ولكنه مع ذلك لم يصنع كل شئ جديداً من عنده بل هناك الكثير من تفكير الذى أخذه من الكنيسة . ومن يقارن هذه الرسالة بخطاب اسطفانوس يستطيع أن يحدد موقف الرسالة ويعرف أن تعبير متطور ومركب لتفكير الكنيسة اليونانية التى يمثلها إسطفانوس خير تمثيل .

إن الأساس الفكرى فى خطاب اسطفانوس هو أن الله يتدخل فى التاريخ لكى يقود الأحداث إلى نقطة محددة تشير إليها كل المواعيد التى قالها لقديسيه وعندما عبر اسطفانوس عن هذه الحقيقة كان هناك عنصران فيها يوضحانها ، عنصر الموعد وعنصر الغربة والتغرب . فكل الآباء تغربوا فى الأرض — أرض الموعد — وذلك لأنهم كانوا ينتظرون موعد امتلاكها : تغرب إبرهيم وإسحق ويعقوب ويوسف ( أعمال ٧ : ٢—١٩ ) وحتى الشعب نفسه كان شعباً متغرباً فى البرية منتظراً إتمام الوعد ( ٢٨ — ٣٩ ) .

هذا العنصر الأساسى نجده أيضاً فى رسالة العبرانيين ولكن بتفصيل أكبر وتطوير لفكرته إذ يبرز الكاتب أن حياة المسيحى هى غربة تتجه نحو مدينة الله الحى . ويظهر ذلك فى أصحاحات ٣ و ٤ . وفيهما يصف رحلة شعب إسرائيل فى البرية وفشلهم أن يدخلوا الراحة التى أعدها الله لهم وذلك لعصيانهم وقساوة قلوبهم . أما فى ص ١١ فإننا نجد غربة جماعة آخرين أتقياء يطيعون دعوة الله ويسيرون وراءه ولذلك فهم ككل المؤمنين يجب أن يقتفى آثارهم . ويعلن الكاتب صراحة أن المسيحى ليس له موطن فى الأرض ولكنه يطالب العتيدة ( ١٣ : ١٤ ) . مثله فى ذلك مثل الآباء وخاصة إبرهيم ( ١١ : ١٠ و١٤ و١٦ ) . فالتغرب هو صفة تميز كل القديسين فى العهدين القديم والجديد وهذه الغربة ليست عبثاً لأن الله أعد لهم مدينة ( ١١ : ١٠ و ١٦ ) . وهنا يختلف المسيحى عن الآباء الذين لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها

وحيوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض ( ١١ : ١٣ — ١٦ ) ، إذ أنه قد نال الموعد بكيفية خاصة بعد صيرورته لسيده كما يقول الكاتب « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة » ( ١٢ : ٢٢ ) ولكن كمال الموعد وامتلاك مجد المدينة فسوف يكون فى المستقبل عندما تزلزلت السموات » ( ١٢ : ٢٦ ) .

وإذا كان الكاتب يرى فكرة التغرب فى العهد القديم فإنه بالأكثر يراها فى حياة المسيحى نفسه وموقفه الجديد . فإن كان مفهوم العهد القديم مفهوماً حرفياً أو تغرب الآباء حقيقة تائهين فى الأرض ، إلا أن مفهومها فى حياة المسيحى أنها دعوة تأتى من الله ويسير هو وراءه سيراً روحياً . هذا ما نراه أيضاً فى خطاب اسطفانوس ، ولكن كاتب العبرانيين يسلط عليه الضوء الشديد إذ يوضح أن حياة الإنجيل هى حياة غربة وأن المسيحى يجب أن يتقدم لكى ينال الموعد . إنها حياة الإيمان والطاعة المبنية على وعد الله (٤ : ١—١٤ ، ١٢ : ١٨ — ٢٤ ) . .

هذا المفهوم العميق للحياة المسيحية أعطى للكاتب نظرة جديدة لمعنى الإيمان . فما هو مفهوم الإيمان لدى رسالة العبرانيين ؟ إذا ألقينا نظرة — عن طريق المقارنة — إلى مفهوم الرسول بولس للايمان فإننا نراه يعتبر الإيمان هو تسليم كلى وكامل لعمل الله فى المسيح يسوع وخصوصاً فى صلبه وقيامته ( أنظر رومية ٤ : ١٧ — ٢٥ ) . أما كاتب العبرانيين فإنه يرى الإيمان من وجهة نظر أخرى فهو انفتاح على المستقبل يولد ثقة فى الله الذى قدم الوعد ، وثقة كاملة فيه وفى نفس الوقت معرفة كاملة للحق الذى يتضمن فى الموعد حتى وإن كان لم يتحقق بعد . إنه إيمان يشمل المستقبل والحاضر أيضاً . هذا الإيمان هو الذى أعطى موسى الجرأة على مواجهة التحدى القاسى لفرعون ، وإنقاذ

إسرائيل من مصر ، لقد تحمل كل المشقات لأنه كان يرى الله غير المنظور ( ١١ : ٢٦ و ٢٧ ) . فهو إيمان فى المستقبل وثقة فيه تدفع المؤمن على أن يعمل فى الحاضر دون خوف أو تراجع . هذا هو الإيمان الأسخاتولوجى الذى يحتاجه المتغرب فى هذا العالم .

وهناك أمر آخر تتشابه فيه رسالة العبرانيين مع خطاب اسطفانوس فهما الاثنان يظهران سجل حياة إسرائيل مع الرب كسجل الثورة والعصيان والمقاومة لقصده ( ص ٣و٤ ) : ولكن الرسالة تنبر على شئ آخر ، فبينما يركز اسطفانوس على هذا السجل ويتتبعه إلى نهايته عندما أسلموا الرب يسوع للموت ، فإن كاتب العبرانيين يهتم بالأكثر بتحذير الجماعة المسيحية التى يكتب إليها ، فهو يخاف عليهم لئلا تصل بهم حالتهم هذه إلى التردى فى مثل حالة الاسرائيليين قديماً من العصيان والتصلب الشرير . وبذلك يدعو الكاتب قراء مرات كثيرة فى رسالته أن يتمسكوا بثقتهم متمثلين بالرب يسوع الذى نؤمن به ( ٣ : ١ ) ويحذرهم من أن يقلدوا إسرائيل فى عصيانهم ولكن عليهم أن يسيروا فى الطريق الجديد الذى فتحه يسوع حديثاً بدمه إلى الله ، ويعلنهم أن الفشل فى ذلك والتردى فى حفرة الارتداد والوقوع فى الخطية عمداً بعد أن أخذوا معرفة الحق ، هذا معناه الوقوع المخيف فى يد الله الحى ، وقبول دينونة مروعة ( ١٠ : ٢٧ ) . ما أقسى أن يواجه الإنسان الله الذى قال « لى النقمة أنا أجازى يقول الرب » ( ١٠ : ٣٠ ) . إن الكاتب يستخرج النتائج المحتومة التى يتجه إليها خطاب اسطفانوس أمام اليهود ويصل بها إلى النهاية ، ليس فقط مع الاسرائيليين بل مع المسيحيين الذين يرتدون ، لأنهم يصلبون ابن الله مرة ثانية ويشهرونه لأنفسهم (٦:٦) . بهذا يظهر أن كاتب العبرانيين يرى أن المسيحيين الذين يرتدون بعد أخذ المواعيد والمشاركة

فى قوات الدهر الآتى هم ورثة الإسرائيليين العصاة الذين صلبوا المسيح فعلا .

هذه المقارنة تبين لنا أن خطاب اسطفانوس ورسالة العبرانيين تعبران عن تفسير الكنيسة الهلينية للحياة المسيحية بأنها حياة تغرب روحى كما كانت غربة إبرهيم والآباء وإسرائيل تغرب حرفى ، ولكن هناك أمر آخر يظهر فى رسالة العبرانيين ولكنه لا يظهر فى خطاب اسطفانوس وهو تفسير كهنوت المسيح على أنه على رتبة ملكى صادق ، فإننا لا نجد ثباتاً أى اتجاه فى العهد الجديد إلى هذا الأمر ، فهل هذا التفسير هو إعلان من الروح لهذا الكاتب أو هو ميراث أخذه أيضاً من كنيسة اليهود الهلينيين ؟ إن الحقيقة التى يمكن أن نستنتجها هى أن هذا التفسير كان ملكاً للكنيسة الهلينية ؛ أما الكاتب فقد شرحه بالتفصيل وطوره ، والدليل على ذلك هو أنه لما استقدم حقيقة كون المسيح رئيس كهنة لم يحتج إلى وقت أو وقفة فيها يشرح غرضه مما يدل على أن السامعين كانوا يشتركون معه فى هذا الأمر ( ٢ : ١٧ و ١٨ ، ٣ : ١ ، ٤ : ١٤ – ١٦ . . ) . فكهنوت المسيح . . أو كون المسيح هو رئيس كهنة ، وهو كذلك على رتبة ملكى صادق ، لم تظهر فى العهد الجديد فى غير هذه الرسالة بهذه الكيفية من الوضوح والتعمق فى مفهوم عمل المسيح .

ثانيا : وإذا كان قراء الرســـالة فى خطر الارتداد فهم أيضاً فى خطر الاضطهاد المرير. لقد جازوا فى اضطهادات قاسية (١٠ : ٣٢–٣٥) ؛ ولكن هناك اضطهادات أقسى فى الطريق إليهم ؛ وذلك يظهر فى قولهم «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية . . » ( ١٢ : ١ – ١٠ ) . ولهذا يحثهم قائلا « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطئ »

( ١٠ : ٣٥ — ٣٧ ) . هذه الآيات تدل على أنهم مقبلون على أزمة شديدة ، ولكننا لا ندرى ماهية تلك الأزمة . أما حثه لهم فهو « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى أنفسكم » ( ١٢ : ٢ و ٣ ) .

إذن هو يحثهم على أن ينظروا إلى رئيس إيمانهم . والكاتب يستعمل اصطلاحاً يصف به المسيح كان يستخدم فى ذلك العصر ليشير إلى البطل الذى يدخل إلى المعركة بجانب الضعيف لكى يدافع عنه ضد الوحوش أو ضد المجرمين ، كأنما المسيح هو ذلك البطل الذى يدخل إلى الساحة إلى جوار هؤلاء المضطهدين الذين يلقون فى وجه الوحوش لكى يدافع عنهم . ولقد فسرت هذه الصورة على أنها صورة رمزية ، ولكن كثير من المفسرين يظنون أن المسيحيين كانوا على وشك أن يسقطوا فى براثن الحكام القساة الذين كانوا سيحكمون عليهم بالموت فى داخل الساحة لمواجهة الوحوش أو المجرمين المحترفين للقتل ، ولكن الكاتب يقول لهم لا تخافوا لأن بطلهم ورئيس خلاصهم سيقف إلى جوارهم ويدافع عنهم .

لقد سمى من قبل برئيس خلاصهم وذلك لأنه هو نفسه جاهد كما قيل عنه لأنه لاق بذاك ... أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام . . فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية . . لأنه فيما قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » ( ٢ : ١٤ — ١٨ ) . فهو قد خلصهم من الموت ومن الخوف من الموت ، ومن الطبيعى عندما نذكر الموت هنا فإنه يقصد الموت الروحى . فإذا كان قد خلصهم

من الموت الروحي فهو لا يتباطئ بل يأتى ويخلصهم من آلام الموت الجسدى ويقف بجوارهم كالبطل الذى يدافع عنهم .

بهذه الكيفية يتمم يسوع النبوة القديمة أو الوعد القديم الذى أعطاه الله لشعبه فيقول « هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور فإنه هكذا قال الرب حتى سبي الجبار يسلب وغنيمة العاتى تفلت وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب » ( إشعياء ٤٩ : ٢٤ ـ ٢٦ ) . الله هو بطل شعبه وقد وعد أن يخلصه وقد تمم هذا الوعد فى المسيح يسوع . وعلى ذلك فهم لن يخافوا لأنهم يعرفون بطلهم يسوع رئيس خلاصهم ويعرفون أنه قد انتصر على الموت وعلى الخوف وهو دائماً مستعد أن يدخل معهم فى ساحة الصراع القاسى لكى يحامى عنهم ويحميهم من كل عدو سواء أكان عدواً روحياً أم جسدياً .

**العهد الجديد ووسيطه :**

هذا هو قلب الرسالة بل هو الهدف الأساسى للكاتب من كتابتها . ولا يخفى أن الرسالة مكتوبة لجماعة فى ظروف خاصة ، كما سبق القول ، وهذه الظروف تتلخص فى أن جماعة كانت سترتد إلى الوراء إلى اليهودية أو هى فى طريقها إلى الارتداد . ولكن هل يمكن أن يتركوا المسيحية إلى اليهودية مرة أخرى ؟ إن الكاتب يستخدم عبارات شديدة مرعبة ليصف نتيجة هذا الارتداد « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً ، هذا مقداره » . ( ٢ : ٣ ) ثم يوبخهم « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه خاب منه » ( ٤ : ١ ) . ويردف ذلك بأقسى تحذير « لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله

الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه لأن أرضاً قد شربت المطر الآتى عليها مراراً كثيرة «ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهى مرفوضة وقريبة من اللعنة التى نهايتها للحريق » ( ٦ : ٤ – ٨ ) . ولا يقل قسوة عن هذه الكلمات ما قيل فى ١٠ : ٢٦ – ٣١ فلماذا هذا كله ؟ وأى خطية هذه التى نسميها الارتداد ؟ وهل هناك فرق هائل كهذا بين المسيحية واليهودية حتى أن من يرتد عن المسيحية يستحق أن يوصف هكذا ؟ إن الكاتب بنى ذلك كله على ما أوضحه من سمو المسيحية وكمالها عن اليهودية ، وعلى ما أعلنه من أن الخلاص الحقيقى هو ما قدمه العهد الجديد لا العهد القديم وأن ذلك كله مبنى على مجد وسمو وسيط العهد الجديد عن وسطاء العهد القديم . ويتقدم الكاتب فى مناقشته هكذا :

( أ ) إن الفرق الواضح بين الديانتين يكمن أساساً فى الإعلان . فالديانة اليهودية قامت على إعلان الله وكذلك قامت الديانة المسيحية . وليس هناك أى فرق فى إعلان الله فكلاهما سام وكلاهما واحد . ولكن الفرق الكبير يظهر فى واسطة الإعلان . فهو بعد أن « كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه . . » وما أبعد الشقة بين الواسطتين . فالأنبياء الذين كانوا واسطة الإعلان لم يستطيعوا أن يظهروا الإعلان الأعظم فتعددت الطرق والأنواع . ولكنه بعد ذلك كلمنا فى ابنه ، وهل هناك من يستطيع أن يعلن الله حقيقة سوى الابن الذى هو وارث كل شئ ؟

(ب) هناك ينتقل الكاتب سريعاً إلى مقارنة الابن بالملائكة ، وقد ندهش إذ نراه وكأنه يزج بموضوع الملائكة زجاً ، ولكن الأمر ليس كذلك . فى العهد القديم كان الاسرائيليون يعتقدون أن الناموس وهو إعلان أرادة الله

السامية جاء بواسطتين متتاليتين : الملائكة ثم موسى ، فالملائكة كانوا واسطة للاعلان ، وإذا كان المسيح أعظم من الملائكة فإعلان العهد الجديد بالتالى أعظم من إعلان العهد القديم . ولقد ظهرت هذه الفكرة مرتين فى العهد الجديد إلى جانب ما ذكر هنا فى هذه الرسالة . ففى خطاب اسطفانوس يذكر سفر الأعمال عن موسى « هذا هو الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء » . ( أعمال ٧ : ٣٨ ) . وجاء أيضاً فى رسالة الرسول بولس إلى غلاطية إذ يقول « فلماذا الناموس ؟ قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى وعد له ، مرتباً بملائكة فى يد وسيط » ( غلاطية ٣ : ١٩ ) وذكرت فى هذه الرسالة فى ٢ : ٢ . فالملائكة هم الذين أخذوا الناموس ليعلنوه عن طريق موسى إلى الشعب ، وما أمجد المسيح عن الملائكة . إنه الابن وهم الخدام ، إنه الخالق وهم المخلوقين ، إنه الذى تخضع له كل الأشياء وهم الذين يتممون غرض الله ( ١ : ٥ — ٢ : ١٨ ) . فإذا كان قد وضع عنهم قليلا فى فترة تجسده فلكى يتمم قصد الآب وينقذ إخوته من كل خطية .

( حـ ) وإذا كان المسيح أعظم من الملائكة فهو كذلك أعظم من موسى . ( ٣ : ١ — ٦ ) . وعظمته عن موسى تتضح فى مركزه ، فهو أولا بانى البيت ، وغالباً يقصد بالبيت هنا كل ما يتعلق بإعلان الله لنفسه لشعبه أى بالديانة كلها . وهو فى داخل هذا البيت ابن ، أما موسى ففيه خادم . وبهاتين الصفتين يعتبر السيد أعظم من موسى مهما عظمه اليهود . ولهذا السبب فكل من لا يصيخ أذنه إلى هذا الإعلان السامى فى الابن السامى فسوف يرى من العقاب ما هو أشد من ذلك الذى رآه الذين عصوا على موسى وتمردوا عليه فى البرية هو وخادمه يشوع عندما كان يقودهم إلى أرض كنعان .

( د ) هنا يقدم الكاتب نظريته الأساسية فى تفسيره للديانة اليهودية على أنها كإعلان تقوم على النظام الطقسى الكهنوتى وكان يمثل الكهنوت فيها هرون كرئيس كهنة ، وفى هذا الأمر أيضاً كان المسيح أعظم من هرون وكان كهنوته أمجد من كهنوته .

ويتميز الكاهن كما يظهر هنا بثلاثة أمور : الأول هو أنه مدعو من الله من وسط الناس لأجل هؤلاء الناس . الثانى أن يكون شفوقاً ورحيماً بإخوته لأنه مثلهم محاط بالضعف ، ولذلك فهو يقدم عن نفسه ذبيحة كما يقدم عن الآخرين . الأمر الثالث هو أنه يتقدم لله وفى يده شئ أى قرابين وذبائح وليس بيد فارغة ( ٥ : ١ — ٤ ) . هذه الصفات كانت تميز الكاهن وقد امتلكها المسيح نفسه ، فهو لم يسلب هذه الوظيفة مع أنه كان من سبط آخر غير سبط لاوى ، ولكن الله دعاه ( ٥ : ٦ و ٧ ) وإذا كان الكهنة من البشر هكذا هو أيضاً كان محاطاً بالضعف ( ٥ : ٧ و ٨ ) . وهكذا صار للذين يطيعونه سبب خلاص أبدى ( ٥ : ٩ ) ولكن هذه المشابهة تحمل فى طياتها عظمة المسيح التى لا تحد عن هرون ونسل هرون . فالمشابهة لا تعنى أن الاثنين متساويان ولكن المسيح أسمى بكثير فى الأمور التالية :

١ — رتبة كهنوته :

فالمسيح لم يكن فى رتبة كهنوت اللاويين بل كان على رتبة ملكى صادق ، هذا الإنسان كان أعظم من إبرهيم نفسه فهو الذى بارك إبرهيم ، وهو الذى أخذ من إبرهيم عشراً دلالة على أنه أكبر منه ، وبالتالى فيكون ملكى صادق أعظم من لاوى نسل إبرهيم ( ٧ : ٤ — ١٠ ) . وهناك أمر آخر وهو أن ملكى صادق يمثل البقاء الأبدى فى كهنوته لأنه بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بإبن الله ( ٧ : ٣ ) ، وهذا يظهر

أن كهنوت المسيح كهنوت أبدى لا يأخذه من أحد ولا يسلمه لأحد يخلفه بعكس كهنوت اللاويين الذين يموتون ( ٧ : ٢٣ ) .

أما الأمر الثالث الذى فيه تظهر عظمة المسيح كرئيس كهنة عن اللاويين هو أنه دعى من الله بواسطة قسم « اقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » ( ٧ : ٢٠ و ٢١ ) . وهذا القسم ضمان لثبات الكهنوت وعدم تغيره ، لأن الرب عندما أراد أن يعلن أن قضاءه باق غير متغير توسط بقسم . هذا يدل أيضاً على عدم بقاء الكهنوت اللاوى وكان لا بد له أن يأتى إلى نهاية محتومة .

أما الأمر الأخير الذى فيه تظهر عظمة المسيح كرئيس كهنة عن اللاويين فهو أنه كان ملكاً إلى جانب كونه رئيس كهنة . لقد تغير الكهنوت اللاوى وخرج عن سبط الكهنوت ولم يعد باقياً لهم . ولأنه جاء من سبط يهوذا ، ولأنه على رتبة ملكى صادق يستلزم أن المسيح جمع الاثنين معاً الكهنوت والملك مما لم يظهر فى الكهنوت اللاوى ( ٧ : ١١ — ١٧ ) .

وهناك أمر أخير وهو كمال المسيح الشخصى وعصمته ، ولهذا فهو كرئيس كهنة ليس له احتياج أن يقدم عن نفسه ذبيحة ثم عن خطية الشعب ، إنه انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات دلالة على قداسته المطلقة . ولهذا السبب فهو ليس فى احتياج إلى أى نوع من الذبائح ، إن رئيس كهنة اللاويين كان يقدم عن نفسه الذبيحة وإلا لما أمكنه أن يدخل إلى الرب فى قدس الأقداس ليكفر عن خطية الشعب ، لأنه كان يستلزم أن يدخل بدم عن نفسه أولا وعن الكهنة إخوته حتى يمكن أن يمثل أمام الرب ( ٨ : ٢٦ — ٢٨ ) .

٢ – سمو ذبيحته :

إلى جانب سمو شخصية الكاهن وسمو كهنوته هناك عنصر آخر يسمو فيه عن الكهنوت اللاوى وهو سمو الذبيحة التى يقدمها . ويظهر ذلك السمو فى أمرين : الأمر الأول هو أن ذبيحته التى يدخل بها إلى الله لم تكن من تيوس أو عجول لا فهم لها ولا إدراك ، أما هو فقد قدم ذبيحة نفسه ، دخل طائعاً مختاراً إلى قدس الأقداس فى المسكن الأعظم بدم نفسه . وما أبعد الفرق وأعظمه بين الذبيحتين ، يعبر عنه الكاتب بقوله « لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحرى دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » ( ٩ : ١٣ و ١٤ ) .

أما الأمر الثانى : فهو ما ذكر فى الآية السابقة من قوله « الذى بروح أزلى قدم نفسه » فهذا يدل على أن ذبيحة السيد لم تكن لها قيمة مؤقتة ولكنها أزلية ، عملها عمل لانهائى باق إلى الأبد يطهر كل المنجسين . ولهذا السبب فهى ذبيحة لا تكرر ولا يمكن أن تقدم مرة أخرى لأنها قدمت بروح أزلى . وهكذا يقول الكاتب « ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر ، فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه ، وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » ( ٩ : ٢٥ – ٢٨ ) .

٣ – سمو المسكن :

إن المسكن الذى كان يقدم فيه رئيس الكهنة اللاوى كان مسكناً أرضياً

بنى على مثال المسكن الأعظم . هذا المسكن بما فيه سمى « أشباه الحقيقة ( ٩ : ٢٤ ) . إنه مسكن مصنوع بيد . هذا فى مقابل المسكن الأعظم وهو السماء نفسها ليظهر الآن أمام وجهه الله لأجلنا » . ثم يقول الكاتب موضحاً ذلك « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير مصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة . . » ( ٨ : ١١ ) .

هذا هو سمو المسيح رئيس الكهنة : فى شخصه ، فى كهنوته ، فى ذبيحته وفى المسكن الذى دخل إليه ، إنه يسمو عن الكهنوت اللاوى ولذلك فهو وسيط لعهد جديد ، فما هو الفرق بين العهدين ؟

**العهد الجديد :**

يقول الكاتب « ولأجل ذلك هو وسيط عهد جديد لكى يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدى » ( ٩ : ١٥ ) . إن العهد الجديد أكمل وأعظم فى مقابل نقص العهد القديم ، ولذلك ففى القديم عيب كان يجب أن يحل محله عهد أعظم منه . وفى مقابل الناموس الذى هو أهم صفات العهد القديم يضع الكاتب عناصر العهد الجديد التى وعد به الرب ( فى إرميا ٣١ : ٣١ — ٣٤ ) وقد اقتبس الكاتب هذا القول فى موضعين ( ٨ : ٧ — ١٣ ، ١٠ : ٦ — ١٨ ) . هذا العهد الأكمل يعدهم بأن يكتب نواميسه على قلوبهم ويغفر لهم خطاياهم ، وهذا الأمر يعنى أنه يعطيهم سلطاناً بأن يتطهروا من الخطية . وهذا هو سمو العهد الجديد لأن الناموس فى العهد القديم لم يستطع أن يفعل شيئاً غير أن يكشف الإنسان ويظهر خطيته دون أن يطهره . هكذا يفعل الناموس الأدبى ولهذا فقد أدينهم الرب رغم كل الناموس ( ٢ : ٢ ) . وهكذا يفعل الناموس الطقسى كما سبق القول ، وهكذا يفعل الناموس الاجتماعى . إنه غير كامل ، ليس له سلطان أن يحرر الإنسان من الخطية .

ويذكر الكاتب عبارة هي توضيح لنتيجة عظمة المسيح وسمو خدمته فيقول « فإذلنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي ، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين » ( ١٠ : ١٩ — ٢٣ ) .

بهذا المقدار يظهر سمو المسيح وسمو العهد الجديد .

# الفصل الثانى

# الرسائل الجامعة

## مقدمة

بقيت لنا أربع رسائل اتفق دارسو الكتاب المقدس على تسميتها بالرسائل الجامعة ، اثنتان منهما كتبهما بطرس كبير الرسل ، والاثنتان الأخرتان كتبهما يعقوب ويهوذا أخو الرب . وسميت بالجامعة لأنها — على خلاف رسائل الرسول بولس مثلا — وجهت إلى مجموعة كبيرة من الكنائس أو إلى المسيحيين عامة فى كل أنحاء العالم ، وليس إلى شخص واحد أو كنيسة واحدة . فقد كتبت رسالة يعقوب إلى « الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » ( يعقوب ١ : ١ ) . ورســالة بطرس الأولى وجهت إلى « المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبثينية المختارين » ( ١ بطرس ١ : ١ ) . أما رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا فيلوح أنهما وجها إلى جماعات أوسع . فبطرس الثانية « إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً ببر إلهنا . . » ( ٢ بطرس ١ : ١ ) ويهوذا إلى « المدعوين المقدسين فى الله الآب والمحفوظين ليسوع المسيح » ( يهوذا ١ ) . هذه الرسائل تكشف عن الآتى :

١ — فى رسالة يهوذا يكتب الكاتب عبارة يكشف فيه عن الكثير من موقف هذه الرسالة الجامعة . فهو يقول «أيها الأحباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك اضطررت أن أكتب إليكم واعظاً

أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة فجار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيدالله وربنا يسوع المسيح » ( ٣ و ٤ ) يكشف الكاتب هنا أن الأمر الطبيعي — إذأنه يكتب رسالة عامة إلى المدعوين المقدسين . . » — فليكتب عن مواضيع عامة وأساسية فى الإيمان المسيحى ، مثل المحبة والرجاء والإيمان والنعمة والصليب والروح القدس وغير ذلك . . لكن أمراً ما خاصاً قطع عليه تفكيره وجعله يكتب فى موضوع خاص وهو محاربة المنحرفين ، والذين دخلوا خلسة إلى الكنيسة ، والذين يريدون أن يحولوا نعمة إلهنا إلى الدعارة . أى أن هناك شداً وجذباً بين الهدف الأساسى الذى يجب أن يكتب فيه وبين الموضوع الذى اضطر أن يكتب فيه محذراً ومنذراً . ولم تكن رسالة يهوذا هى الفريدة فى ذلك ، فكل الرسائل الجامعة الباقية سارت على هذا المنوال أيضاً . ومع أن كاتبيها يعرفون أنه يجب أن يكتبوا فى المواضيع العامة إلا أنهم كانوا يحسون بالأزمة الشديدة التى تمر فيها الكنيسة ، أو ينظرون إلى أزمة قادمة فيسرعون إلى التحذير منها . فرسالة بطرس الثانية ، مثلها مثل رسالة يهوذا تحذر من التعاليم والمعلمين الضالين داخل الكنيسة . أما رسالة بطرس الأولى فالأزمة التى تظهر فيها تتركز فى الاضطهادات الآتية من الخارج ، وأخيراً رسالة يعقوب التى فيها يحذر من الاسترخاء الروحى والاستهتار فى الأخلاق والقيم المسيحية والظلم الذى يوقعه الغنى على الفقير .

٢ — هذه الكتب الأربعة نستطيع أن نعتبرها مقالات أربع ، لأنها أميل إلى المقالات منها إلى الرسائل . مقالات كتبت فى وقت أزمة من الأزمات . ولعل صغر حجمها جعل الكنيسة تتردد بعض الوقت فى قبولها ضمن الكتب المقدسة . وظهور هذه الكتب الأربعة يعطينا فكرة عن حركة الكتابة فى الكنيسة

الأولى التى طالما ظننا أنها حركة بسيطة لا تتعدى نشاط الرسول بولس فى أسلوب الرسائل التى كان يرسلها إلى الأفراد أو الكنائس لهدف محدد خاص بالكنيسة فى جهة ما . وهذه الفكرة جعلتنا أيضاً نظن أن هذه « الرسائل » الجامعة هى نمط من أنماط الرسائل وتقليد عمله الرسول بولس . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فوجود هذه الكتب الأربعة علمتنا أن حركة الكتابة والشهادة المكتوبة فى الكنيسة أوسع وأعمق مما نظن ، إنها أوسع من أن تقتصر على رسائل الرسول بولس . فسفر العبرانيين الذى هو أميل إلى الكتاب منه إلى الرسالة ، وظهور الأناجيل الثلاثة ، ثم الإنجيل الرابع ثم سفر الرؤيا . . كل هذه تدل على أن أنماطاً كثيرة من الكتابة ، وطرقاً متعددة للشهادة المكتوبة وإعلان الإنجيل قد ظهرت فى الكنيسة الأولى . ومع ذلك فهى لم تكن متناقضة ولكنها متكاملة ، فالرسائل متكاملة مع سفر الرؤيا ومع الأناجيل ومع المقالات اللاهوتية أو العظات ، فكلها تشهد بعمل واحد قام به الله فى شخص ربنا يسوع المسيح . وكلها تتشابه فى أنها تستخدم شهادة الكنيسة الأولى التى استخدمها الرسول بولس نفسه مكتوبة فى ترانيم روحية ، وعبارات عقائدية وتعاليم أخلاقية . وتحذيرات ضد الهراطقة . إنها تتفق فى الاقتباس من العهد القديم ومن كلمات الرب يسوع ( قارن ١ بطرس ١ : ٦ و ٧ مع يعقوب ١ : ٢ — ٤ ، ١ بطرس ٥ : ٥ — ٩ مع يعقوب ٤ : ٦ — ١٠ مع متى ٢٣ : ١٢ ، أمثال ٣ : ٣٤ ) . ولكن هذا التشابه فى استخدام العهد القديم وكلمات الرب يسوع وكل عقائد الكنيسة لا يعنى أن هذه الكتب الأربعة تكرر أفكاراً متشابهة تكراراً مملاً ، لكن كتابها يطبقون هذه الاقتباسات على المواقف التى يجدون أنفسهم فيها . فبينما نجد يعقوب الرسول يستخدم الاقتباسات السالفة فى التحذير والإنذار يستخدم الرسول بطرس فى التعزية والتشجيع . . وهكذا .

٣ — إذن فهذه الكتب الأربعة تهتم بما هو موجود الآن وتعمل على تثبيته. إنها تهتم بالكنيسة كما هي الآن ، أما روح النبوة التي كانت تميز الكنيسة الأولى — فيقول كثير من العلماء — إنها بدأت تضعف ، ويقولون إن روح الخلق والحياة المتدفقة خف صداها . ولكن هذه مبالغة ، فالكنيسة وما فيها من نظم وروتينية ليست موجودة في هذه الرسائل . نعم قد ورد فيها ذكر الشيوخ ولكن لا نعرف كم كان سلطانهم ، وكل ما نعرفه عنهم أنهم يصلون من أجل المريض ( يعقوب ٥ : ١٢ ) ولكن في مقابل ذلك يقول « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » ( ٥ : ١٦ ) ؛ وهذا يعني أن السلطان الروحي للقادة لكي يعترف لهم المؤمنون، لم يكن قد وجد بعد ، وإذا كان بطرس الرسول يطلب من الشيوخ أن يهتموا بالرعية ويطلب من الأحداث أن يخضعوا لهم ( ١ بطرس ٥ : ١ — ٥ ) ففي مقابل ذلك يطلب من كل مؤمن أخذ موهبة ما أن يخدم بها البقية كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة ( ١ بطرس ٤ : ١٠ و ١١ ) . هذا يعني أن روح النبوة لازالت باقية في هذه الرسائل . نعم إنها تعمل على حفظ الإيمان المسلم لنا من القديسين ( يهوذا ٣ و ١٧ ، ٢ بطرس ٣ : ٢ ) نظراً لما يجابهونه من المنحرفين المضلين ، تماماً كما فعل الرسول يوحنا في رسائله إذ يعلن أنها الساعة الأخيرة نظراً لظهور هؤلاء الأنبياء الكذبة ( ١ يوحنا ٢ : ١٨ ) . خلاصة القول هو أن هذه الرسائل الأربعة تتمتع أيضاً بروح الكنيسة الأولى المشتعلة ، إلى جانب أنها تريد تثبيت ما قاله الأنبياء والرسل القديسون . إنها روح النبوة المشبعة بالروح المحافظة . والآن لنذهب إلى كل رسالة على حدة :

# رسالة يعقوب

رسالة يعقوب من الرسائل القليلة جداً التي ظلمها الدارسون في كل العصور ، فمن تردد الكنيسة الأولى في قبولها . . إلى اعتبار لوثر لها أنها كومة من القش إلى قسوة النقد الذى وجه لها فى القرن التاسع عشر إذ اعتبرت أنها مناقضة لرسائل الرسول بولس الديناميكية . . كل هذا وقع ظلماً على هذه الرسالة . ولكن ذلك لم يمنع قيام من دافع عنها مثل أوريجانوس وغيره واعتبارها أحد كتب العهد الجديد القانونية . ولكن قبل أن ندرس تاريخ هذه الرسالة فى الكنيسة يجب أن نعترف أنها فى الحقيقة ليست رسالة ولكنها كتاب أو مجموعة من المواعظ وجهت إلى الأسباط الإثنى عشر الذين فى الشتات ، وفى الغالب كان يقصد بها المسيحيين فى كل العالم ، ولكننا جرياً على العادة نسميها رسالة .

**تاريخ الرسالة فى الكنيسة :**

مع أن بعض الدارسين يظنون أن هناك اقتباسات فى الديداكى ورسالة برنابا وأكليمندس الرومانى وغيرها ، من رسالة يعقوب ، إلا أن هذا الرأى لم يصادف قبولا عند أكثرية العلماء . وعلى النقيض من ذلك نجد أشياء كثيرة تظهر تأخر الكنيسة فى قبول هذه الرسالة .

كان أول من قبل الرسالة بكل تأكيد هو أوريجانوس المصرى واعتبرها رسالة يعقوب أخى الرب . ومع ذلك ففى واحد من اقتباساته يلقى بعض الشك على ذلك ، مما جعل بعض العلماء تتردد فى تأكيداته . ولكن كثرة اقتباساته منها والمرات التى فيها يؤكد أن الرسول يعقوب هو الذى كتبها ، تجعل من الصعب جداً أن نهتم بذلك الاقتباس المتشكك .

أما الكنيسة الغربية فكان موقفها الأول هو عدم قبول الرسالة وذلك لعدم ورودها فى قائمة الموراتورى — مع أن هذه القائمة لم تحتو أيضاً على رسالة

العبرانيين — ولكن مما يزيد الشكوك فى رسالة يعقوب هو أن الجناح الآخر للكنيسة الغربية وهو شمال أفريقيا لم يرد هذه الرسالة فى كتبها .

أما الكنيسة السريانية فمكثت أطول مدة معروفة لم تقبل فيها رسالة يعقوب فلم ترد فى أية مخطوطة من هذه الترجمة سوى فى البشتة حوالى ٤٠٠ م .

أما شهادة الآباء : فى الغرب وضعها جيروم فى قائمة الكتب القانونية ولكنه كان يعلن أن شكوكاً كثيرة تحوم حولها .

وكان هذا نفس موقف يوسابيوس فقد وضعها من ضمن الكتب التى يدور حولها شك فى أنها كتاب قانونى antilegomena ولكنه هو كان يقتبس منها على أنها من ضمن الكتب المقدسة ويقول « يقال عن هذه الرسالة أن كاتبها هو يعقوب الرسول أخو الرب ولكن بعضهم يقول إنها رسالة مشكوك فيها » .

إن مصدر التردد ، فى الحقيقة ، فى قبول هذه الرسالة هو عدم التأكد من شخصية يعقوب الذى يذكر اسمه فى أول الرسالة ، وهذا يأتى بنا إلى قضية كاتب الرسالة .

**الكاتب :**

من هو كاتب الرسالة ؟ يقول هو « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » ( ١ : ١ ) ويصف نفسه أنه معلم بين المعلمين ( ٣ : ١ ) . ولكن جو الرسالة يوحى أنه شخص له سلطان خصوصاً فى الأوامر التى يذكرها للعالم المسيحى . فمن هو يعقوب هذا ؟ هذا الاسم كان شائعاً جداً فى الكنيسة الأولى واليهودية ، ويمكن أن يدل على كثيرين من المسيحيين . ولكن بساطة العنوان فى ذكر الاسم «يعقوب» يدل على أنه كان شخصاً معروفاً فى الكنيسة العامة . وإذا فتشنا العهد الجديد نجد أن هناك شخصين أو ثلاثة بهذا الاسم .

الأول هو يعقوب أخو يوحنا بن زبدى تلميذ المسيح والرسول . ولكن هذا الرجل لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة لأنه قتل مبكراً بيد هيرودس ( أعمال ١٢ : ٢ ) . أما الرجل الثانى فهو يعقوب أخو الرب . وهذا الرجل صار مشهوراً وقصته جاءت فى العهد الجديد كما جاءت فى مصادر أخرى خارجة . ومن المناسب أن نذكر قصته فى هذين المصدرين حتى يمكن أن نعرف إذا كان من الممكن أن يكون هو الكاتب .

بحسب العهد الجديد لم يكن يعقوب أخو الرب واحداً من الرسل الاثنى عشر لأنه لم يؤمن بيسوع المسيح أثناء خدمته فى الجسد ( يوحنا ٧ : ٥ ) وقد ذكر عنه أنه من ضمن إخوة يسوع فى مرقس ٦ : ٣ ، متى ١٣ : ٥٥ . ويقول بعضهم إنه هو نفسه المسمى يعقوب الصغير واسم أمه مريم ( مرقس ١٥ : ٤٠ ) . وفى هذه الحالة تكون كلمة أخ الرب لا تعنى أكثر من أنه « قريب ليسوع » . وهذا ما يجعلنا أميل إلى الاعتقاد بأنه هناك ثلاثة بهذا الاسم وليس اثنين فقط ، وأحدهم هو يعقوب الصغير هذا ، ولعله هو يعقوب بن حلفى ( أعمال ١ : ١٣ ) . أما بقية قصة يعقوب فقد ذكرها الرسول بولس فى ١ كورنثوس ١٥ : ٧ إذ يذكر أن الرب المقام قد ظهر له ، ومن ذلك الوقت صار ملازماً للكنيسة مع بقية إخوته ( أعمال ١ : ١٤ ) . وبعد ذلك بدأ يعقوب يظهر كأحد الأعمدة فى الكنيسة الأولى ، بل أنه صار رئيساً لكنيسة أورشليم ( أعمال ١٢ : ١٧ ، غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩ و ١٢ ). وقد وضح ذلك فى مجمع أورشليم العام ، وخصوصاً فى القرار الذى اتخذته الكنيسة ، وكان هو الشخص الذى كان وراء ذلك ( أعمال ١٥ : ١٣ — ٢١ ). وبحسب التقسيم الذى حدث فى غلاطية ٢ : ٩ أضحى الرسول بولس مسئولا عن تقديم الإنجيل للأمم بينما صار بطرس ويعقوب ويوحنا مسئولين عن أهل الختان أو اليهود . ولهذا فكان هو أول من نبه على أن الأمم يجب

أن يطيعوا وصايا هامة فى الناموس ( أعمال ١٥ : ٢١ ) . وكان أول من طلب من الرسول بولس أن يظهر ولاءه للناموس (أعمال ٢١ : ٢٠ — ٢٢) . وإذا كان الرسول بولس يعنى أن إخوة الرب والرسل الآخرون كانوا يقومون برحلات تبشيرية عندما يقول « ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقى الرسل وإخوة الرب وصفا » ( ١ كورنثوس ٩ : ٥ ) . لكننا لا نعرف شيئاً عن رحلات يعقوب ، بل نعرف أنه كان رسل مبعوثين من قبله إلى أنطاكية لكى يتأكدوا من أن الأمم لم يسيئوا استخدام حريتهم ( غلاطية ٢ : ١٢ ) » . لقد كان يعقوب يمثل الجناح المحافظ ، بينما كان متى وبطرس يمثلون الجناح المتحرر فى جماعة اليهود المسيحيين ، ولكن سواء كان هؤلاء أم الرسول بولس فإن الاختلاف بينهم جميعاً لم يكن على مبدأ بل على الأولويات . فكلهم كانوا يؤمنون ويعملون على أن الإنجيل يقدم للجميع ، لليهود والأمم على السواء ، وكان يجب أن يكون ذلك بواسطة البقية المخلصة من اليهود . ولكن الرسول عرف بإعلان من الله « أن القساوة قد حدثت لليهود جزئياً فى إسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم ( رومية ١١ : ٢٥ ) . أما يعقوب فقد استمر على التنبير على الجانب الإيجابى للدور اليهودى فى عملية الخلاص . فالرب قد تمم قصده بأن أقام خيمة داود الساقطة ( عاموس ٩ : ١١ ) وآمن آلاف منهم رغم قساوة الكثيرين وقبلوا يسوع الناصرى مسيحاً مخلصاً لهم ( أعمال ٢١ : ١٠ ) .

ومن هذا كله نستطيع أن نقول إن يعقوب لم يكن رجلا مقفلا على نفسه وعلى يهوديته ولكنه كان رجلا مفتوح العينين على العالم مع التنبير القوى على الدور اليهودى فى عملية الخلاص .

أما المصدر الثانى الذى يمدنا ببعض المعلومات عن يعقوب فهو خارج

الكتاب المقدس . وهذا المصدر يجئ من جهات متعددة ؛ منها يوسيفوس المؤرخ اليهودى الرومانى الذى يقول إن حنانيا رئيس الكهنة المعين سنة ٦٢ م أراد أن يفتتح عهده بعمل يهودى متعصب فقتل يعقوب أخا الرب وكثيرين معه رجماً بالحجارة .

وهناك مصدر آخر استقى منه يوسابيوس المؤرخ المسيحى . هذا المصدر هو شخص يهودى قبل المسيح فى القرن الثانى المسيحى اسمه هيجيسبوس Hegesippus يقول إن يعقوب كان اسمه « يعقوب البار » وكان مقدساً من بطن أمه وكان نذيراً للرب وكان دائم الصلاة فى الهيكل حتى أن ركبتيه صارتا كركبتى الجمل من كثرة الركوع والصلاة أن يغفر الله للشعب . هذا الرجل المقدس رفض طلب رؤساء اليهود أن يمنع الناس من اتباع المسيح بل زاد على ذلك أن حث الجميع على قبوله فى حياتهم ، فما كان من اليهود إلا أن قتلوه ، قد تكون هناك بعض المبالغة فى التفاصيل ولكن هذا المصدر يتفق فى خطوطه العامة مع ما كتبه يوسيفوس المؤرخ اليهودى .

هذان المصدران يذكران أن يعقوب كان يذهب إلى الهيكل وإلى المجمع ، ويلوح أن بعض المسيحيين والقادة منهم من أصل يهودى كانوا يفعلون ذلك إلى أن أزيل الهيكل سنة ٧٠م . وبعضهم استمر يذهب إلى المجمع إلى سنة ٩٠م حيث انفصل المجمعان اليهودى والمسيحى انفصالاً تاماً أبدياً .

هذا هو الشخص الذى تؤهله حياته ومواقفه بأن يكتب مثل هذه الرسالة التى بين أيدينا . . رسالة يعقوب .

**الاعتراضات ضد نسبتها إلى يعقوب أخى الرب :**

لكن هناك من العلماء من لا يقبلون نسبة الرسالة إلى يعقوب أخى الرب ويبنون اعتراضاتهم على عدة أسباب نذكر منها ثلاثة فقط وهى أهمها :

١ — يقولون إن أسلوب الرسالة بما فيه من يونانية فصيحة ، ومقاطع شعرية وطريقة الأسئلة والأجوبة لا يمكن أن يكتبها شخص عاش طيلة حياته فى فلسطين ، ولم نعرف عنه أنه تثقف بالثقافة اليونانية كيعقوب . إن كاتبها لا بد وأن يكون مسيحياً هلينياً كتبها فى أواخر القرن الأول .

٢ — إن التردد الكثير الذى رأيناه من الكنيسة فى قبول هذه الرسالة يعطى الإحساس بأن كاتب هذه الرسالة لم يكن معروفاً فى الأوساط الكنسية ، وهذا الأمر لا يمكن أن ننتظره أو نتوقعه لو أن الكنيسة كانت تعرف أن الذى كتب هذه الرسالة هو يعقوب أخو الرب . لو عرف الآباء ذلك لكان موقفهم خلاف ما يظهره تاريخ الرسالة مع الكنيسة .

٣ — لو كان يعقوب الرسول أخو الرب هو الذى كتب الرسالة لما تردد فى أن يلمس تلك المناقشات التى هزت الكنيسة ، وهى محاولة بعض المتهودين أن يوقفوا المسيحية إلى حد اليهودية المصلحة ، وسببوا متاعب كثيرة فى إرسالية الأمم وخصوصاً مع الرسول بولس . وكان ليعقوب الرسول نصيباً كبيراً فى معالجة هذه المشكلة ( أعمال ١٥ ) . لكننا لا نرى شيئاً من ذلك فى الرسالة ، لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ولا أى إشارة حتى إلى العلاقة بين اليهود والأمم فى الكنيسة .

ومع أن هذه الاعتراضات قوية ويجب ألا نستهين بها ولكنها ليست قاطعة ولا يمكن أن تنفى نفياً قاطعاً أن يعقوب الرسول أخو الرب هو الذى كتبها . فالجو العام للرسالة لا يمكن إلا أن يكون مسيحياً من أصل يهودى ، وهناك بعض الإشارات تؤكد أن الذى كتبها هو فلسطينى يعرف عادات اليهود هناك . ففى ٥ : ٤ يقول « هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود » لأن

الذين كانوا يعملون فى الحقول كانوا فى كل العالم من العبيد ، ولا يستثنى من هذا الأمر إلا فلسطين حيث كان الفلاحون العاملون فى الحقول أجراء وليسوا عبيداً .

وإلى جانب ذلك فإن الرسالة لا تعكس أى إشارة أو نوعاً من القلق الذى ينتج من جو الحروب والثورة مما يدل على أن الرسالة كتبت قبل قيام ثورة اليهود وخراب أورشليم . أما القلق الذى تعكسه فهو قلق الناس فى أيام السلام وليس الحرب .

زد على ذلك ما نجده فى ٢ : ٢ حيث يذكر لفظ المجمع ، فإن هذا اللفظ يناسب تماماً الأجيال الأولى للكنيسة المسيحية حيث لم يكن قد انفصلت الكنيسة فى اليهودية عن اليهودية تماماً إلا فى سنة ٩٠ م كما سبق القول .

ولهذه الأسباب يقول جزء كبير من العلماء إنه إذا لم يكن الرسول يعقوب قد كتبها بنفسه فإن واحداً من تلاميذه المخلصين قد جمع جزءاً كبيراً من مواعظه ووضعها هكذا كما تظهر فى الرسالة . فالمادة التى فى الرسالة هى التى خرجت من فم يعقوب ولكن كتبها شخص آخر بأسلوب يونانى جميل .

**بعض مميزات الرسالة :**

هناك بعض الخواص التى تجعل من هذا الكتاب نوعاً فريداً بين كتب العهد الجديد وخصوصاً الرسائل :

١ ـــ هذه الرسالة هى فى حقيقتها ليست رسالة بل موعظة أو مجموعة من المواعظ . نعم نجد افتتاحيتها تشابه افتتاحية الرسائل ، ولكن فى باقى الكتاب لا نجد أية إشارة تدل على أنها رسالة . إنها موعظة أو مواعظ ألقيت لسامعين

ربما كانوا مسيحيين من أصل يهودى ، وربما كانوا مسيحيين من كل الأجناس . أسلوبها من النوع التطبيقى والوعظى . ففيها حوالى ٦٠ فعل أمر فى مجموع أعدادها الـ ١٠٨ عدداً . وهذا يدل على أن عقلية الكاتب كانت عملية تركز على الأخلاق والسلوك المسيحى دون أن يضع لها أساساً من العقيدة أو اللاهوت ، كما كان يفعل الرسول بولس مثلا . أما فقراته القصيرة من الحث والدعوة فلا ترتبط رباطاً منطقياً ، أى أن الفكرة تبنى على فكرة سابقة أو ترتبط بها ارتباطاً سببياً ، ولكنها ترتبط على أساس كلمة معينة قيلت فتقترح لفظاً آخر يشابهها أو يناقضه ، إن الرباط يعتمد على اللفظ وليس الفكرة أو المعنى ، وهذه طريقة الدارسين والربيين اليهود فى أورشليم ، مما كان يسهل عليهم حفظ الأمور فى الذاكرة

٢ – ترتبط هذه الرسالة ( نسميها رسالة تجاوزاً ) بالعهد القديم ارتباطاً لفظياً ومعنوياً.ويظهر ذلك إذا درسنا الكتاب المقدس بالشواهد . ومن دراستها يتضح أن الكاتب يعرف أسفار الحكمة معرفة كبيرة سواء أكانت تلك التى نجدها فى الكتاب المقدس أو تلك التى تسمى ( « الأبوكريفا » . فعندما يقول « . . ليكن كل إنسان مسرعاً فى الاستماع مبطئاً فى التكلم مبطئاً فى الغضب » ( ١ : ١٩ ) ، فإنه يعكس قول يشوع بن سيراخ ( ٥ : ١١ ) « كن مسرعاً فى الاستماع ولكن مبطئاً فى الإجابة » . وعندما يتساءل « لأنه ما هى حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلاثم يضمحل » ( ٤ : ١٤ ) فإنه يذكرنا بقول أحد الكتب الرؤوية المسمى حكمة سليمان « فإن حياتنا ستمر كما يمر الغمام وسوف تتناثر كما يتناثر الضباب » ( ٢ : ٤ ) . فمعرفته بكتب العهد القديم والابوكريفا معرفة كبيرة .

٣ – هناك أمر آخر يميز هذه الرسالة هو أنها فيما عدا الأناجيل الأربعة

تحتوى على أكبر عدد من الأقوال المتشابهة لأقوال السيد نفسه وخاصة الموعظة على الجبل ( متى ٥ – ٧ ) . ومن أبرز المتوازيات توبيخه للسامعين فقط ( ١ : ٢٢ و ٢٥ مع متى ٧ : ٢٦ ) . وذم الآخرين وانتقادهم وإدانتهم ( ٤ : ١١ مع متى ٧ : ١ – ٥ ) والقسم والحنث » ( ٥ : ١٢ مع متى ٥ : ٣٤ – ٣٧ ) . وكلامهم عن الخضوع للعالم ( ١ : ١٠ ، ٢ : ٥ و ٦ مع متى ٦ : ٩ و ٢٤ ) . والتعليم عن الصلاة ( ١ : ٥ مع متى ٧ : ٧ ) . والقلق من أجل الأمور التى يحتاجها الإنسان فى العالم ، ( ٤ : ١٣ مع متى ٦ : ٣٤ ) . والإشارة إلى العث والصدأ ( ٥ : ٢ و ٣ مع متى ٦ : ١٩ ) . والشجرة ونوع ثمرها ( ٣ : ١٢ مع متى ٧ : ١٦ ) .

وهكذا نرى أنها تعكس معرفة بأقوال الرب معرفة واسعة وتتضمن الكثير منها .

هذه هى أهم الخصائص التى تميز رسالة يعقوب والآن لنرى ما هو مضمونها .

**محتويات الرسالة :**

رسالة يعقوب تظهر فى شكلها الكلى على أنها خطاب عام يرسله الكاتب إلى جماعة المسيحيين من كل مجمع يهودى ، ويطلق عليهم عادة اسم المساكين . وهو يخاطبهم بقوله « يا إخوتى » ( ١ : ٢ و ١٦ ، ١٢ : ١ و ٥ و ١٤ ، ٣ : ١ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٧ ، ٩ : ١٢ و ١٩ ) . ولكنه يخاطب ، إلى جانب إخوته هؤلاء ، جماعة أخرى ، ولعلهم اليهود الذين لم يقبلوا المسيح ، ويسميهم الأغنياء ( ٥ : ١ ) : هذا التقسيم : بين الأغنياء والمساكين يتمشى مع ما نطق به السيد فى لوقا ٦ : ٢٠ – ٢٦ فالمؤمنون به وأتباعه هم المساكين

أما البعيدون فهم الأغنياء ، فقياس الغنى والمسكنة ليس هو المال والثروة ولكنه الإيمان .

وفى دراستنا لهذه الرسالة يواجهنا سؤال أساسى بالنسبة لنا وهو : كيف يمكن أن نحكم عليها أنها رسالة مسيحية ؟ ما الذى يميزها عن الرسائل غير المسيحية ؟ إننا لا نقرأ فيها شيئاً من العقائد المسيحية الأساسية الخاصة بالمسيح أو الصليب أو القيامة وغير ذلك ، فكيف نحكم على طابعها المسيحى؟ إن ما يميز هذه الرسالة ، كرسالة مسيحية ، ليس تعاليمها عن يسوع ولكن تعاليم يسوع نفسه فيها كما يختبرها ويعبر عنها الرسول . فهى رسالة تختص بالسلوك لا بالعقيدة . وهذا ما يجعلها تظهر وكأنها أحد كتب الحكمة الموجودة فى العهد القديم أو كتب اليونانيين الرواقيين . ولكن الحقيقة هى أنها رسالة مسيحية بنيت على بعض أقوال المسيح الشهيرة ، أخذها الكاتب وبنى عليها مجموعة من المواعظ التى تظهر نوعية السلوك المسيحى الجيد . وهذا الأمر يميزها عن كل أسفار العهد الجديد فيما عدا الأناجيل . إنها تحتوى على أكبر كمية من تعاليم المسيح ، أكثر من كل رسائل الرسول بولس مجتمعة معاً . . وبهذه الكيفية يمكن أن نعتبرها كتاب تفسير لكلمات السيد . نعم إنه لا يقتبس كلمات السيد حرفياً ، ولا يقدمها بالقول « هكذا قال الرب » ، ولكنه يكتب عنها ويشير إليها على أنها بديهيات يعرفها القارئ مسبقاً . ومع أنه لا يتبع أسلوباً أو ترتيباً خاصاً فى معاملة كلمات المسيح إلا أننا نثق أن هذه الكلمات هى المركز الأساسى الذى تدور حوله هذه الرسالة .

ولقد اختلف كثير من الدارسين فى تقسيم الرسالة نظراً لصعوبة هذا التقسيم ، إلا أن أغلبية الدارسين يرون فيها أربع مواعظ يتخذ الكاتب لكل موعظة منها أحد أقوال السيد المسيح أساساً . ولأجل ذلك فسوف نتبع هذا التقسيم .

## الموعظة الأولى : التجربة : ( ١ : ٢ – ١٨ )

يتخذ الرسول أساساً لهذه العظة قول السيد فى الصلاة الربانية « ولا تدخلنا فى تجربة » ( متى ٦ : ١٣ (أ) ) .

ينظر الكاتب – وهو المفسر الذى يهتم بالحياة والسلوك أكثر من اهتمامه باللاهوت والعقيدة – إلى موضوع التجربة من زاويتين مختلفتين فيظهر كأنه يتناقض مع نفسه . ففى الجزء الثانى أى ع ١٣ – ١٩ يظهر كأنه يتناقض مع ما قاله فى الجزء الأول أى ٢ – ١٢ . فإذا تكلم فى هذا الجزء الأخير عن منافع التجربة فإنه يتكلم فى الجزء الثانى ( ١٣ – ١٩ ) عن مضار التجربة . كل هذا لأنه لا يبنى لاهوتاً بل يبين اتجاهات الحياة . فى الجزء الأول ( ٢ – ١٢ ) يبين الكاتب على أن المسيحى لا يعفى من الآلام والضيقات التى تجرى على كل الناس : مؤمنين وغير مؤمنين . ولكن المسيحى المؤمن يختلف عن الآخرين من غير المؤمنين فى أمر واحد أساسى : هو أنه يرى الله واقفاً إلى جانبه يقويه لكى ينتصر ويتزكى . فتكون تجربته – بهذه الكيفية – عاملا على تقوية إيمانه وحياته ، وهنا يولد الإيمان فيه صبراً وثباتاً يجعله رجلا حكيما كاملا فى المسيح ومواظباً على الصلاة .

وفى هذا الجزء يحدد الكاتب على أن التجربة هى « الظلم الذى يجريه الأغنياء على الفقراء ( ١ : ٩ – ١١ أنظر ٢ : ٦ ) ؛ ويضع فى إطار هذا التحديد بعضاً من المفاهيم التى سوف يفصلها فى الأصحاحات التالية : إنه يذكر الصبر ( ١ : ٣ و ٤ ) ، والعمل ( ٣ و ٤ ) ، الكامل ( ع ٤ مرتين ) ؛ يعوز ( ٤ و ٥ ) ، يطلب ( ٥ و ٦ ) ، إيمان ( ٣ – ٦ ) ، مرتاب ( ع ٦ مرتين ) . وعندما يختم هذا الجزء فإنه يرجع إلى تلك العبارة التى بدأه بها مع

زيادة التطويبة فيقول « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (ع ١٢ أنظر ع ٢ و ٣) .

أما الجزء الثانى فى هذه العظة الذى يلوح أنه يتناقض مع ما سبق فهو يحدد مضار التجربة (١٣ — ١٨) . ويبدأ الرسول هذا الجزء بجواب لسؤال يتطلبه المعنى الذى يحتويه الجزء الأول من العظة ، هذا السؤال يمكن وضعه بهذه الكيفية إذا كانت التجربة نافعة فهى إذن من عمل الله . ولكن ، خلافاً لكل توقع — يجيب الرسول على هذا السؤال بالنفى . كلا « إن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً » (ع ١٣) . ولكن كيف ؟ يجيب الرسول بقوله : إن امتحان الإيمان قد لا ينتج صبراً وتحملا ونضوجاً فى المسيح ، ولكنه قد يقود إلى الخطية ، وبهذه الكيفية لا يمكن أن تكون التجربة من عمل الله ، بل تنبع من نبع ردئ هو نفوسنا . وعندما تنبع من هنا حينئذ يختلف مسارها اختلافاً كلياً بل ومتناقضاً مع المسار الأول . فأساس التجربة هنا يكون الرغبة الشريرة أو الشهوة فى قلب الإنسان (ع ١٤) . هذه الشهوة تلد خطية ، ومتى كملت الخطية تنتج موتاً (ع ١٥) . هذا يختلف مع مسار المؤمن الذى يبدأ بالله نفسه الذى يقول عنه الرسول « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران شاء فولدنا بكلمة الحق . لكى نكون باكورة من خلائقه » (ع ١٧ و ١٨) .

فالتجربة إذن تصبح حقيقة ، وحقيقة مرة ، إذا انحرفت بها شهوة قلوبنا ، وتغلبت على القصد الصالح منها ، وبذلك تهزمنا وتقودنا إلى الخطية والموت . ليس هكذا ما يفعل الله .

## الموعظة الثانية : ناموس المحبة ( يعقوب ١ : ١٩ – ٢ : ٢٦ )

آية العظة « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (متى ٢٢:٣٧–٤٠).

يثير الأصحاح الثاني من هذه الرسالة مناقشات كثيرة نسبة لاختلاف الرأي في صلة الإيمان والأعمال . لكن هذه المناقشات نتجت أصلا من عدم إدراك ما يقصده الرسول من هذه المفاهيم : « العمل ، الكلمة ، الناموس » وصلتها بعضها بالبعض . « فالكلمة » أو « كلمة الحق » التي ترد في ١ : ١٨ التي يصبح بها الإنسان ابناً لله ، هي نفسها التي يسميها « الكلمة المغروسة» التي تخلص الإنسان وتؤكد له خلاصه ( ١ : ٢١ ) ، وهي نفسها التي يجب أن يعملها الإنسان ولا ينساها حتى يكون مغبوطاً في عمله ( ١ : ٢٥ ) ، وهي نفسها الناموس الكامل . . ناموس الحرية ( ١ : ٢٥ ، ٢ : ١٢ ) أي الناموس الملوكي ( ٢ : ٨ ) . وهنا تتضح الصلة الحقيقية بين هذه المفاهيم : فالناموس الكامل الملوكي .. ناموس الحرية هو الكلمة التي يجب أن يعملها الإنسان. وبهذا المعنى هو يختلف عن الناموس اليهودي ، أو الناموس بالمعنى اليهودي الذي يعتبره المسيحيون ناموس العبودية لأن نيره ثقيل . إنه الناموس الملوكي الذي يهب العاملين الملكوت الذي وعد به الله الذين يحبونه ( ٢ : ٥ ) .

وبهذا المعنى يكون العمل الذي يتطلبه الرسول يعقوب هو عمل المحبة . ويعطي أمثلة لذلك : ( ١ : ٢٧ ) « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم».

وكذلك ( ٢ : ١ — ٩ ) أى عدم المحاباة والتمسح بالغنى ومحاولة إرضاء الغنى على حساب الفقير . .

وكذلك ٢ : ١٤ — ١٦ « ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ إن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى ، فقال لهما أحدكما إمضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم يعطهما حاجات الجسد فما المنفعة » ؟ . ألم تكن أعمال إبرهيم هى محبته الكاملة لله ؟ ( ٢ : ٢١ — ٢٤ ) ؟ ألم تكن أعمال راحاب الزانية هى محبتها للقريب » ( ٢ : ٢٥ ) ؟

فالإيمان المسيحى بحسب يعقوب هو بداءة ، هو سماع كلمة الله الحية . . ناموس الرب الكامل ثم القيام بأعمال المحبة ، وهذا هو منطوق العهد الجديد كله ، أليس هذا ما يقوله الرسول بولس فى رومية ١٠ : ٨ — ١٥ ؟ ألم يقل لأهل تسالونيكى « متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم » ( ١ تسالونيكى ١ : ٣ ) ؟ فالإيمان بدون أعمال هو إيمان ميت ( يعقوب ٢ : ٢٦ ) والتسليم الداخلى للرب إن لم يظهر خارجاً ويمتد فى أعمال المحبة الظاهرة لا نفع فيه . فبرهان الإيمان هو المحبة العاملة « فإن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن ، وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ، وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » ( ١ كورنثوس ١٣ : ١ — ٣ ) إن الناموس الذى أتممه هو ناموس المحبة ، الناموس الملوكى ، ناموس الحرية . إنه ليس الناموس اليهودى الذى قد يأمرنى بأن أطعم الفقراء والمساكين ولكن تكون هذه أعمالا ثقيلة

روتينية نفعية ، أعملها لكي أنتفع شيئاً لنفسى ، أما ما يريدنى السيد المسيح والرسول بولس والرسول يعقوب أن أعمله لأظهر إيمانى وأتممه هو أن « أحب الرب إلهى . . وأخى كنفسى . هذه هي المسيحية — الديانة الطاهرة النقية . . ناموس المحبة .

**الموعظة الثالثة : الكلام الشرير (يعقوب ٣ : ١ ، ٤ : ١٢)**

آية العظة « ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان (متى ١٥ : ١١) .

هل يعتبر الكلام السابق لغزاً ؟ إذن فتفسيره هكذا « إن كل ما يدخل الفم يمضى إلى الجوف ويندفع إلى المخرج وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل ، زنى فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف ، هذه هى التى تنجس الإنسان » (متى ١٥ : ١٧ — ٢٠) .

هذا ما يريد أن يضعه الرسول يعقوب أمام سامعيه الذين يريدون أن يأخذوا القيادة ليصبحوا معلمين للناس ، فطلبهم هذا ليس سهلا ولكنه مسئولية ، إنها مسئولية هائلة نظراً لما قد يحدث منهم ولهم (٣ : ١) ، إنهم قد يؤدون خدمة عظيمة للخير والصلاح للمتعلمين وقد ينحرفون فى كلامهم فيفسدون كل شئ ، ويضعون عثرة هائلة للناس . . إن عملهم هو الكلام ولكنه عمل خطير . . ولسانهم قد ينقذ السفينة ويقودها إلى الأمان كما تفعل الدفة ، وقد تحولها إلى الصخور حيث تلقى حتفها . . فما أخطر وأقسى اللسان .

ولكن لماذا ؟ لأن اللسان ، الذى يعبر عن الإنسان كله ، قد تتصارع فيه مظاهر الخير والشر ، فتخرج منه الصلاة والبركة وتعقبها اللعنة فى معاملته

مع الناس ، كأنه ينبوع تخرج منه مياه نظيفة تروى الظمأ ثم ينقلب فيلفظ مياهاً قذرة فيها الموت ، فهل هذا يليق بمن هم لله ؟ هل يليق بالتينة أن تصنع زيتوناً أو الكرمة أن تصنع تيناً ؟ ( ٣ : ٨ — ١٢ ) .

إذن فهناك حكمتان يظهرهما المعلمون . . هناك الحكمة الوديعة وهى حكمة سماوية ، هى طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأعمالا صالحة عديمة الريب والرياء . تجعل صاحبها يزرع البر والسلام . ثم هناك الحكمة الأرضية التى تنبع من الإنسان نفسه لا صلة لها بالسماء بل بالشيطان ، وثمارها غيرة مرة وتحزب فى القلب وكذب على الحق . . إنها تجعل صاحبها يزرع التشويش وكل أمر ردئ ( ٣ : ١٣ — ١٨ ) .

وهنا يلقى الرسول يعقوب نظرة عامة على المجتمعات اليهودية كلها . . بمن فيها من أتباع موسى ومن تلاميذ السيد المسيح ويحذرهم بكل شدة على ما يبدر منهم من خصومات وشقاق ، يتشاتمون ويحاربون ويريدون أن يمتلكوا ولكنهم لا يملكون . . إن هذا المجتمع الذى ينهش بعضه البعض هو ذات المجتمع الذى كلمه الرب يسوع . . مجتمع الكبرياء ومحبة العالم ، مجتمع الحسد والتظاهر مجتمع المرائين الذى يحتاج إلى تنقية اليد والقلب معاً ( ٤ : ١ — ١٠ أنظر مرقس ٧ : ٧ — ٢٣ ) .

وهنا يرجع الرسول مرة أخرى إلى أصل البلاء وفى نفس الوقت الدواء الناجع . . إنه الناموس الملوكى ، فهناك من يكسر هذا الناموس ويكذبه بأن يذم أخاه ويدينه ، وهناك من يخضع لهذا الناموس ناموس الحرية فيحب الله ويحب أخاه ( ٤ : ١٢ و ١٣ ) .

**الموعظة الرابعة : الصبر ( ٤ : ١٣ — ٥ : ٢٠ )**

الآية ( مرقس ١٣ : ١٣ ) « ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » .

غالباً كانت هذه الآية ، التي قيلت في إطار الخطاب الرؤوى أو الأسخاتولوجى المذكور في مرقس ١٣ وما يقابله ، في عقل الرسول وأمام ناظريه عندما كتب أو وعظ هذه العظة الأخيرة ، لأنه يقول في عظته « فتأنوا أيها الإخوة إلى مجئ الرب » ( ٥ : ٧ ) . لقد رجع مرة أخرى إلى الوصية الأولى التي بدأ بها عظاته إذ قال « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة . لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب الذين يحبونه » ( ١ : ١٢ ) . ولكن هنا يقدم هذه النصيحة مع مثال مشهور هو أيوب الذي احتمل المشقات كواحد من الأنبياء المشهورين الذين تأنوا وصبروا ، ولأجل ذلك كافأهم الرب بعاقبة مجيدة . . لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف .

وفي هذه العظة يبرز الرسول الموقف الذي فيه يجب أن يظهر صبر الإخوة وهو الموقف الاجتماعي ، وخاصة الناحية الاقتصادية فيه . فالصبر ضرورى للإخوة نظراً للظلم الاقتصادى الذي يقع على الإخوة . ( ٥ : ٧ — ٢٠ ) . فالأغنياء يظلمون الإخوة ولذلك فهو يخاطب الاثنين . :

إنه يخاطب الأغنياء الظالمين ( ٤ : ١٣ — ٥ : ٦ ) فيوجه إليهم أقسى الكلمات لأنهم ظلموا الإخوة الذين عملوا معهم في الحقول ولكنهم لم يعطوهم أجرتهم ( ٥ : ٤ — ٦ ) ، وهناك من المفسرين من يعتبرون أن هذا الظلم هو ظلم ديني أكثر منه ظلم اجتماعي . وأن الفعلة ليسوا هم فعلة حقول القمح الفعلية بقدر ما هم فعلة الإنجيل كما قال سيدنا « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » ( متى ٩ : ٣٧ ) . وقال في موضع آخر « لأن الفاعل مستحق أجرته » ( لوقا ١٠ : ٧ ) . وهذا الفاعل هو في الحقيقة المرسل الذي يحمل كلمة الإنجيل إلى الناس ( أنظر ١ تيموثاوس ٥ : ١٨ ) . إذا كان الأمر كذلك فيكون الهدف الذي يقصده

الرسول بهذه الكلمات القاسية هم اليهود « الأغنياء » البعيدين عن الله الذين حمل إليهم هؤلاء الفعلة « المسيحيون » كلمة الإنجيل ، ولكنهم قابلوهم بالرفض والمعاملة القاسية ( أنظر متى ١٠ : ١٣ — ٣١ ) . ولكن إذ يضطهدونهم فإنهم يضطهدون البار نفسه ( يسوع ) الذى يتكلم فيهم ( ٥ : ٦ أنظر أعمال ٩ : ٤ و ٢٥ ) .

ثم يتكلم إلى الإخوة ( ٥ : ٧ — ٢٠ ) . ويخاطبهم كفلاحين . والفلاح ينتظر الثمر متأنياً إلى مجئ المطر المبكر والمتأخر ، وهكذا هم فليتأنوا إلى مجئ الرب وهو قد اقترب ( ٧ — ٩ ) . وليكن صبرهم مملوء بالرجاء وعدم الأنين ( ٩ ) . إن صبرهم هو صبر المصلين ، الذين إن واجهوا المرض أو الاضطهاد فليكن لهم الرجاء الكامل فى إلههم ، الذى يتحكم فى العالم ويساند شعبه. ألم يفعل ذلك مع إيليا الوحيد أمام الملك وقواته ؟ لقد أجابه الرب إلى طلبه فى منع المطر ثم إرساله مرة أخرى ( ١٧ و ١٨ ) ، وهكذا سوف يأتى المطر الأسخاتولوجى بمجئ الرب ( ٧ و ٨ ) . ولهذا فليترنموا بدلاً من الأنين ويفرحوا بدلا من الانكسار ( ٩ ، ١٢ و ١٣ ) . . إن أغنياء الشتات لا يمكن أن يهزموا فقراء الإخوة ، فلا يأس ولا خوف ، بل بالمحبة يجب أن يخدموا بعضهم البعض وبالأكثر أن يحاولوا منع من يضل من الهلاك بل يردونه عن ضلاله لكى ينقذوا نفسه من الموت وهذه هى الخدمة المجيدة للرب . (١٩—٢٠)

## رسالة بطرس الأولى : « الكهنوت الملوكى »

رسالة يعقوب تتكلم عن الناموس الملوكى وتنبر عليه ، أما الاهتمام الأول لرسالة بطرس الأولى فهو الكهنوت الملوكى ، وهو الموضوع الذى اتخذه الكاتب أساساً لرسالته . هذه الرسالة هى إحدى رسالتين تنسبان إلى الرسول بطرس ، ومع أنه كان تلميذاً ورسولا له الأولوية بين التلاميذ إلا أن رسالتيه

صغيرتان بين كتب العهد الجديد ، وليس ذلك فقط بل أن العلماء يندهشون عندما لا يقرأون فيهما شيئاً عن حياة وعمل السيد ، الذى قضى معه الكاتب سنوات فى شركة تلمذه مما حدا بكثيرين منهم أن ينكروا نسبة هاتين الرسالتين إليه . . ومع ذلك فالرسالة الأولى مع صغر حجمها فهى عظيمة الأهمية ؛ لأنها تتكلم إلى كل العصور ، ولكل المؤمنين ، وتحثهم على أن يعيشوا لله فى وسط عالم يعيش بعيداً عن الله .

تاريخ الرسالة :

رسالة بطرس الرسول الأولى لها تاريخ طويل وراءها فى الكنيسة ، ولكننا سنجمله هنا فى الأمور التالية :

( أ ) رأى كثير من العلماء أن هناك تشابهاً بين هذه الرسالة ورسالة أكليمندس الرومانى إلى كورنثوس . ويعتقدون أن أكليمندس قد اقتبس منها ، ومع ذلك فهو لا يذكر أنه يقتبس ، ولا يذكر اسم كتاب يقتبس منه ؛

(ب) بدأ الآباء يقتبسون منها — وهذا أمر مؤكد — منذ عصر إريناوس ، وكانوا يذكرون أنهم يقتبسون من رسالة الرسول بطرس. ولعل أسماء مشهورة كترتليان وأكليمندس الاسكندرى وثاوفيلس الأنطاكى كافية على أنها تعطى شهادة قوية لصحة نسبة هذه الرسالة .

( جـ ) ومع ذلك فإننا نقابل شهادة نفى قوية وذلك فى قائمة الموراتورى من الكنيسة الغربية ، فالرسالة غير موجودة فى هذه الوثيقة الهامة ، ولكن الرد على ذلك هو أن هذه القائمة لا تحتوى على الرسالة الثانية ولا الرسالة إلى العبرانيين ولا رسالة يعقوب . ويلوح أن نهاية هذه القائمة قد تهرأت فلم تظهر فيها هذه الرسائل .

من هذه الأمور نستطيع أن نستنتج أن شهادة التاريخ الكنسى ترجح نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس . . وهذا تقليد قوى .

**مؤلف الرسالة :**

عرفنا سابقاً أن كثيراً من علماء العصر الحديث ينكرون نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس ، رغم قوة شهادة التقليد الكنسى الذى يدعم العكس ، ورغم المقدمة التى تعلن ذلك بكل وضوح ( ١ بطرس ١ : ١ ) . ويوردون البراهين التالية على إنكارهم هذا .

**( أ ) لغة الرسالة وأسلوبها :**

تشهد لغة هذه الرسالة وأسلوبها على أن كاتبها كان رجلا ضليعاً فى اللغة اليونانية بحيث يكتبها مثل أى واحد من أبنائها . وهناك تشابه كبير بينها وبين الترجمة السبعينية ، مما يدل على أن الكاتب قد تأثر بها فى صياغة العبارات والجمل، واقتبس منها اقتباساً مباشراً . وإلى جانب ذلك فإنه يتميز بغزارة مفرداته وسهولة تعبيره وصحة لغته من حيث القواعد والتراكيب ، حتى أن أسلوبه اعتبر أكثر سهولة ويسراً من أسلوب الرسول بولس نفسه .

هذا الأسلوب لا يمكن أن يصدر عن شخص جليلى كبطرس عرف عنه أنه عامى ( أعمال ٤ : ١٣ ) ويشهد عنه التقليد الكنسى الذى يسجله يوسابيوس أنه كان يحتاج إلى مترجم فى أحاديثه وقد كان مرقس يقوم بهذه المهمة .

على أن هذا الاعتراض ليس قاطعاً ويمكن الرد عليه . فالرسالة نفسها تشهد بأن الرسول قد استعان بسلوانس الأخ الأمين ( ٥ : ١٢ ) ولعله هو نفسه « سيلا » رفيق الرسول بولس الذى كان ضليعاً فى اللغة اليونانية .

(ب) الصعوبة التاريخية :

وفى الحقيقة ليست هى صعوبة واحدة بل هناك عدة صعوبات نقتصر منها على أهم اثنتين : الأولى تختص بالاضطهادات التى يشير إليها الكاتب ، ولا شك أن المكتوب إليهم كانوا يجوزون فى أتعاب كثيرة ومريرة : ( ١ : ٦ ، ٢ : ١٢ و ١٥ ، ٤ : ١٢ و ١٤ — ١٦ ، ٥ : ٨ و ٩ ) . وهذه نتيجة للاضطهادات التى كانت تقع عليهم لأنهم مسيحيون ، وهو يصفها مرة بأنها بلوى محرقة ( ٤ : ١٢ ) ونستخلص من الرسالة أن المسيحية كلها كانت تجوز فى هذه البلوى ( ٥ : ٩ ) ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان الاضطهاد اضطهاداً رسمياً بمعنى أن الامبراطورية أو أجزاء منها كانت ضالعة فيه رسمياً . وتاريخ المسيحية يذكر أن هذه الاضطهادات الرسمية المبكرة كانت فى عهد نيرون ( ٦٥ م ) ودوميتيان ( ٨١ — ٩٦ م ) وتراجان ( ٩٨ — ١١٧ م ) . فهل هذا الذى تصفه الرسالة يشير إلى واحد من هذه ؟ . إنه لم يكن فى عهد نيرون ، وهذا أمر مقطوع به ، لأن اضطهاد هذا الطاغية لم يتعد روما ، فى حين أن هذه الرسالة كتبت إلى « المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية » ( ١ : ١ ) ، فالاضطهاد المقصود هنا — إذا كان حقاً اضطهاداً — كان أوسع مدى من الاضطهاد الذى شنه نيرون. ولهذا فلا بد وأن الرسالة كانت تقصد اضطهاداً متأخراً عن عهد نيرون الذى فيه قتل بطرس الرسول نفسه ، وهذا يدل على أنه لم يكتب هذه الرسالة .

ولكن هذا الاعتراض التاريخى ليس له ما يسنده فى الرسالة نفسها . فالمسيحيون يتألمون ويجوزون فى تعييرات وأتعاب من أجل أنهم كذلك منذ أيامها الأولى ( أعمال ٤ : ٢ و ١٧ . . . إلخ ) . فى حين أنه لا يوجد فى الرسالة على أن هذا الألم نتيجة اضطهاد رسمى منظم . والبلوى المحرقة قد تكون

إحدى الحوادث الفردية التى منى بها المسيحيون فى مكان ما نتيجة لكراهية الناس لهم ، إذ لم يعودوا يشاركونهم فى أعيادهم وعبادتهم الوثنية وعاداتهم القبيحة ، فاعتبروهم لذلك مصدراً لعدم الراحة والقلق .

أما الصعوبة الثانية فى المجال التاريخى فتتعلق بصلة الرسول بطرس بهذه الكنائس التى وجهت إليها هذه الرسالة . فالرسول لم يكن له أية علاقة بها ، فهى كنائس نشأت وقويت بفعل تبشير الرسول بولس ومجهوده ، فكيف يكتب إليهم الرسول بطرس ؟ وهذا أيضاً اعتراض ضعيف ولا يمكن أن يكون قاطعاً ، لأنه ليس بمستبعد أن يكتب الرسول إليهم معزياً وخاصة بعد أن فقدوا رسولهم العظيم بولس ، وإذا لم يفعل بطرس الرسول ذلك فمن ذا الذى يفعل وهو الشخصية المرموقة المعروفة فى الكنيسة كلها ؟

**( ح ) الصعوبة العقائدية :**

ويتلخص هذا الاعتراض فى أن هذه الرسالة تعكس جزءاً كبيراً من أفكار ولاهوت الرسول بولس . فهناك ، مثلا ، تشابه بين افتتاحيتها وافتتاحية الرسالة إلى أهل أفسس . وهناك الأهمية الخاصة التى للصليب فى هذه الرسالة كما هو موجود فى رسائل الرسول بولس ، وتحتوى أيضاً على بعض الاصطلاحات التى يستخدمها الرسول بولس مثل تشبيه الكنيسة بالبناء وتسميتها « بأهل بيت الله » . وغير ذلك مما يجعل الدارس يشك فى أن الرسول بطرس هو الذى كتبها ، لكن واحداً من تلاميذ الرسول بولس كان يعكس تفكير مدرسة معلمه العظيم .

ولكن هناك من الشواهد التى تقف ضد هذا الاتجاه ، منها أن هناك أفكاراً هامة جداً وأساسية عند الرسول بولس لم تظهر فى هذه الرسالة ،

ويعتبر عدم ظهورها مستغرباً جداً لو كان كاتبها أحد تلاميذ مدرسة الرسول بولس مثل التبرير بالإيمان ، الحرية من الناموس ، الحياة فى الروح . ومنها أيضاً ظهور أفكار فى هذه الرسالة لم يشر إليها الرسول بولس بالمرة مثل طاعة العهد ، الكنيسة ككهنوت ملوكى ، تبشير المسيح للأرواح التى فى السجن، وغير ذلك .

أما وجود بعض التشابه فهو أمر لا يستغرب خاصة وأن الرسول بطرس قد استعان بمرقس وسلوانس رفيقى الرسول بولس . ومع ذلك فإن طابع هذه الرسالة يدل على عقل خلاق ومفكر أصيل مثل الرسول بطرس .

هذا كله يرجح الرأى التقليدى الذى يؤكد أن الرسول بطرس هو الذى كتب هذه الرسالة .

**تاريخ كتابة الرسالة :**

يتوقف تحديد تاريخ كتابة الرسالة على تحديد الاضطهاد الذى يجرى وصفه فى الرسالة ، كما سبق ذكره . هناك بعض الشواهد تظهر فى الرسالة تؤيد تاريخها المبكر دون أن ترتبط بأى تاريخ للاضطهادات ، ومنها النظام الكنسى الذى تظهره الرسالة . فأى قارئ لا يستطيع أن يلمح أى تطور متسع فى التنظيم الكنسى أو فى وظائفها مثلما ظهر فى أواخر القرن الأول ، بل كان التنظيم بسيطاً يتفق مع التاريخ المقترح للرسالة أى حوالى ٦٠ م .

ولكن الرسالة تعكس صدى حادث ضخم جعل المسيحيين يهربون هنا وهناك ، فيسميهم الرسول « المتغربين من شتات بنتس وغلاطية .. ( ١ : ١ ) . ويعتقد بعض العلماء أن ذلك الحادث هو قتل يعقوب أخى الرب بيد اليهود ، وهو أمر حدث قبل خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، أى أنه يقارب الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسالة بحسب الرأى السابق .

وهناك شاهد ثالث يدل على أن التاريخ الذى كتبت فيه الرسالة كان مبكراً وهو موقف الرسول من الدولة إذ يقول « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير » ( ٢ : ١٣ و ١٤ ) . هذا الموقف كان مقبولا لكل الكنيسة والرسل إلى سنة ٦٤ م حتى بدأ نيرون اضطهاده المرير .

وعلى هذا فيمكننا أن نرجح التاريخ المبكر للرسالة ، أى فى أوائل الستينات الميلادية .

**مكان الكتابة :**

يقول الرسول « تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم » ( ٥ : ١٣ ) ؛ ولعله بهذا يكشف أنه يكتب لهم من بابل ، والتى تسلم عليهم هى الكنيسة هناك . فأى بابل يقصد ؟ ليست بابل الحرفية ، أى تلك التى تقع فيما بين النهرين ، لأننا لم نسمع عن أى تقليد يؤكد أو حتى يشير إلى أن الرسول بطرس ذهب إلى هناك . وقد قيل إنه يقصد مكاناً فى مصر اسمه بابليون ؛ ولكن كنيسة الاسكندرية لم تشر بتاتا إلى هذا الأمر ، ولم تظهر فيها أية إشارة على أن الرسول بطرس قد زارها أو سكن هناك ، وهذا حدث لا يمكن أن نسكت عليه أو نخفيه .

إن الغالبية العظمى من العلماء توافق على أن الرسول كتبها من روما ؛ أما اسم بابل فقد كان اسماً شائعاً عنها بين المسيحيين ، كما يظهر ذلك فى سفر الرؤيا ( ص ١٧ ) ويلوح أنه أطلق عليها كرمز إما لأن الكاتب أراد أن يتجنب أى زيادة فى توتر الناس وإثارتهم ضد المسيحيين ، أى من قبيل

الأمان واتقاء ثورة الشعب أو الدولة ، أو لأن بابل هى رمز السبى والتغرب ، والرسول يكتب إلى المتغربين وشتات بنتس وغلاطية ( ١ : ١ ) . وهناك تقليد قوى عن استشهاد الرسول بطرس يؤكد أنه حدث فى هذه المدينة ، ولعله بقى هناك إلى أن استشهد بعد انفجار الاضطهاد ضد الكنيسة فى أيام نيرون الطاغية فى وسط الستينات .

**مضمون الرسالة :**

يعتبر الرسول بطرس ، بحسب التقسيم التبشيرى فى العهد الجديد ، رسول الختان ، بينما كان الرسول بولس رسول الأمم ( غلاطية ٢ : ٨ ) . ومع ذلك فالرسول بطرس يوجه رسالته هذه إلى الأمم وليس إلى اليهود ( ١ : ١ ) ، وهذا الأمر يعطيها أهمية خاصة . ومن أبرز المميزات التى تتميز بها هو أن الرسول يضع الأمم فيها فى الخط القديم ، أى أنه يصفهم على أنهم قد صاروا من ضمن شعب الله الجديد ، الذى لم ينفصل عن تدبير الله وعهوده ومواعيده التى أعطاها لشعبه قديماً . لقد أدخلوا فى تلك الحظيرة لينعموا بكل ما فيها من امتيازات ، وعلى هذا فقد أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل الجديد بكل عهوده وكهنوته ودعوته . وهكذا نرى الكنيسة ، فى هذه الرسالة ، فى هذه الصورة الجديدة ، صورة إسرائيل الجديد ، بكيفية لم يظهر مثيل لها فى أى سفر من أسفار العهد الجديد فى عمقها ووضوحها . هذه الصورة هى التى سنتتبع خطوطها ومعالمها فى الصفحات التالية :

**١ — شعب فى الشتات :**

يبدأ الرسول بطرس رسالته بنفس المقدمة التى تظهر فى رسالة يعقوب ، إذ يكتب كلاهما إلى شعب الله الذى فى الشتات ، ولكن مع فارق واحد هام : وهو أن الرسول يعقوب يكتب إلى المؤمنين الذين من أصل يهودى

فى كل العالم (يعقوب ١ : ١) بينما يقصد الرسول بطرس المؤمنين الذين من أصل أممى فى مناطق محدودة « بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبثينية » (١ : ١) ، جاءوا وافتدوا من عبادة الأوثان (٤ : ٣ و ٤) ، الأمر الذى لا يمكن أن يقال لليهودى . هذه الحقيقة تكشف على أن الرسول بطرس يستخدم كلمة « الشتات » لا فى معناها الحرفى ، بل فى معنى مجازى ؛ أخذها الرسول بطرس من العهد القديم وأطلقها على فوضى العهد الجديد من أعضاء الكنائس الأممية التى يكتب إليها . ولأنهم فى الشتات فهم إذن غرباء عن هذا العالم الذى يعيشون فيه (٢ : ١١) ، ومسكنهم الحقيقى ليس أورشليم ولا هيكلها ولكن السماء ، وفى هذا المقام يقدم الرسول على تسمية الشتات الجديد بلقب لم يطلق عليهم من قبل ، أخذه من العهد القديم إذ يقول « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء . . . وأما الآن فأنتم شعب الله » (٢ : ٩ و ١٠ أنظر خروج ١٩ : ٦) . وإذا كانوا غرباء فلأنهم ينتظرون ميراثاً لا كالميراث الأرضى الذى انتظره إسرائيل فى القديم ولكنه «ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم» (١ : ٤) وهذا الميراث سوف ينالونه بعد أن يذوقوا خلاصاً سماوياً « مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير . . عند استعلان يسوع المسيح » (٢ : ٥ و ٧) . ومع ذلك . . ومع كل غربتهم وما يحيط بهم فيها فإنهم يعيشون فى « نعمة الله الحقيقية التى فيها تقومون » (٥ : ١٢) . نعم إنهم شعب الله فى شتات العالم غرباء ولكنهم غير متروكين .

**٢ ــ شعب الطاعة :**

ماذا يرى رسول يسوع المسيح فى هذا الشعب المتغرب فى وسط عالم شرير مملوء بالفساد والخلاعة والنجاسة (٤ : ٣ ــ ٥) ، عالم مغاير عدو

لا يستريح بأن يرى المؤمنين فى سلام ، بل يجدفون ويشتمون سيرتهم الصالحة ( ٣ : ١٦ ، ٤ : ١٤ ) ؟ إن الرسول يرى فيه جماعة قد دخلوا مع الله فى عهد هو عهد الطاعة ، فهو يخاطبهم على أنهم المختارون « بمقتضى علم الله الآب السابق فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح » . ( ١ : ٢ ) هذه النظرة تبنى على ما حدث فى العهد القديم فى البرية ( خروج ٢٤ ) ، عندما جاء موسى إلى الشعب بكلمة الله ووصيته ، فقال الشعب له كل ما أمر به الرب نفعله ونطيعه ( ع ٧ ) ، وعندئذ ذبحوا ثيران ، وأخذ موسى الدم فى طسوت ورش على المذبح ثم رش النصف الباقى منه على الشعب لكى يقدسهم ، وقال لهم « هوذا دم العهد الذى عمله الرب معكم بحسب كل هذه الكلمات . . ( ع ٦ و ٨ ) . هذا ما فكر فيه الرسول بطرس ، وهذا ما رأى أن الله أيضاً قد عمله فى العهد الجديد مع شعب إسرائيل الجديد . ولكن ليس بدم ثيران وتيوس ولكن بدم ثمين كما من حمل بلا عيب دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ( ١ بطرس ١ : ١٩ ) . ولأجل ذلك ، فكما قال الشعب فى العهد القديم ، هكذا قال شعب العهد الجديد إنهم يطيعون كل ما قاله الرب : فهم إذن «أولاد الطاعة » ( ١ : ١٤ ) . هذه الطاعة هى التى تطهرهم كما يقول لهم « طهروا أنفسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة » ( ١ : ٢٢ ). كان فى عقل الرسول أيضاً عندما يقول ذلك : اختبار يجوز فيه مؤمنو العهد الجديد وهو المعمودية ، ففيها قد دخلوا مع الله فى عهد الطاعة ، فالمعمودية فى حقيقتها «لا لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح ( ٣ : ٢١ ) . ففى هذه الاختبار يعترف المؤمن أن يسوع المسيح الذى قام من بين الأموات هو الرب الذى يخضع له فى طاعة كاملة لا يشوبها أى نوع من الرجوع إلى الوراء ولا العصيان . إنها الرد الحقيقى على كلمة الله

التى تثبت إلى الأبد . . الكلمة التى بشروا بها ( ١ : ٢٥ ) فآمنوا بقلبهم، واعترفوا بفمهم وحياتهم بسلطان المسيح عليهم . وعلى هذا الأساس يقول لهم الرسول « فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنموا منه . . إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح » ( ٢ : ١ — ٣ ) . إن المؤمنين الذين دخلوا مع الرب فى عهد الطاعة يجب أن يظهروا هذه الطاعة لكلمة الله . . كلمة الحق التى بشروا بها فى وسط العالم الشرير المعادى .

**شعب الكهنوت والهيكل (٢ : ١—٣) :**

هذا الجزء من الرسالة ينقسم إلى قسمين : القسم الأول لاهوتى ( ٢ : ١— ١٠ ) والقسم الثانى تطبيقى يبنى على الجزء الأول ( ٢ : ١١ — ٣ : ٢٢ ) .

١ — فى القسم اللاهوتى يستخدم الرسول عدة اصطلاحات هامة يبنى عليها لاهوته : منها الحجر — البيت الروحى — الكهنوت المقدس . أما الحجر فإنه يشير به إلى المسيح إذ يقول عنه « إذ تأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم » ( ٢ : ٤ ) ثم يقول « . . حجر زاوية مختاراً كريماً والذى يؤمن به لن يخزى . . . وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة » ( ٢ : ٦ — ٨ ) . هذه اقتباسات أخذت من العهد القديم : فى (إشعياء ٢٨ : ١٦ ) يصفه على أنه مختار وحجر زاوية كريم . وفى مزمور ١١٨ : ٢٢ يصفه على أنه حجر قد رفضه البناؤون . وفى ( إشعياء ٨ : ١٤ ) يصفه على أنه حجر عثرة . على هذا الحجر الحى الكريم الذى رفضه البناؤون بنى المؤمنون « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً » ( ٢ : ٥ ) . إنهم أيضاً حجارة حية تبنى على أساس المسيح لا بيتاً عادياً ولكن

هيكل مقدس فيه تقدم العبادة والذبائح . وعلى هذا فالسيد ، الذى رفضه البناؤون الذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يبنوا ويحموا هيكل الله ، هو نفسه قد صار أساس الهيكل الجديد . وفى هذا الهيكل الجديد الذى بنى يعمل كهنوت جديد كهنوت مقدس . وهذا الكهنوت المقدس يقدم ذبائح جديدة ليس من حيوانات أرضية ولكنها « ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح » ( ٢ : ٥ ) . ولكن ما هى هذه الذبائح الروحية ؟ إنه يقول لهم « لكى تخبروا بفضل من دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب » ( ٢ : ٩ ) . إذن فالذبائح المسيحية تفهم الآن بمعنى جديد وهو الشهادة لله الذى دعاهم من الوثنية ومن الحياة المنحلة حياة الظلمة إلى القداسة والكرامة والنور فى المسيح يسوع . هنا المعنى الحقيقى الذى يستخرجه الرسول بطرس للحياة المسيحية ، والمعنى الصحيح لإظهارها فى العالم . . المعنى الصحيح للقداسة المسيحية ، إنها ليست الخروج من العالم والانفصال عنه ، إنها ليست التطهير الطقسى الذى كان فى العهد القديم . . إنها الحياة الحقيقية فى وسط العالم ، إنها القداسة فى الحياة وسط الناس والصراع معهم ، فالكهنوت الحقيقى ليس ذلك الكهنوت الذى يختفى داخل المعابد ، ولكنه الكهنوت الذى يواجه العالم فى شهادة ناطقة حية لعمل المسيح ، وللتغيير الذى يحدث فى الحياة ، ولهذا يصرح بكل قوة « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء » ( ٢ : ٩ ) هذا ما قاله السيد لشعب العهد القديم ( خروج ١٩ : ٥ و ٦ ) «والآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » . فالكهنوت هنا ليس جماعة خاصة من بين شعب ما ، إنهم الشعب كله . . الشعب الذى يطيع صوت الله ويحفظ عهده . . وبذلك يكونون أداة مصالحة للعالم كله . . هؤلاء هم أيضاً المؤمنون فى العهد الجديد إنهم كهنوت ملوكى

لكى يحملوا كلمة المصالحة إلى العالم كله لكى يقبل الجميع إلى المسيح كما جاءوا هم واختبروه .

٢ – هذا الهيكل المقدس المبنى على حجر الأساس المسيحى . هذا الكهنوت الملوكى . . هذه الأمة المقدسة ، تظهر قداستها فى مواقف عملية ملموسة . ويذكر الرسول منها مجموعة من المواقف فى ٢ : ١٣ – ٣ : ٩ . وهذه المواقف تبنى على الطاعة والخضوع لمن له السلطان سواء أكان ذلك فى فى الخارج أو فى الداخل . فهناك السلطان للحكومة العامة أو الحكومة المحلية « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير » ( ٢ : ١٣ و ١٤ ) . والعبيد للسادة ، « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعتفاء أيضاً لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم » ( ٢ : ١٨و١٩ ) . الزوجات لأزواجهن . « كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة . . » ( ٣ : ١ ) . فى هذه جميعها يفهم الرسول بطرس المعنى الحقيقى للطاعة والخضوع المسيحيين : إنهما طاعة وكذلك خضوع فى إطار أوسع وأشمل هو الطاعة لله نفسه ، فالعبيد مثلا يخضعون لسادتهم سواء أكانوا سادة مسيحيين أو غير مسيحيين من السادة القساة . . ليس لأنهم عبيد لهم بل لأنهم عبيد لله يخافون الله . . والزوجات لا يخضعن لأزواجهن إلا لأنهن يطعن الله وبذلك يكن مرسلات من الله لربح هؤلاء الأزواج الذين لم يقبلوا المسيح ويؤمنوا به بعد . وكذلك يفهم الخضوع لكل الترتيب البشرى أى للحكومة ، إنهم يخضعون لهذا الترتيب البشرى لا لأنهم مجبرون فى روح العبودية ولكن من

أجل الرب . إنهم مرسلون من الله فالخضوع لهم هو الخضوع لله نفسه . هذا يظهر أن الرسول بطرس يعرف تماماً أن الدولة الرومانية فى ذلك الوقت كانت تعمل على حفظ المجتمع البشرى فتنتقم من فاعلى الشر ، وتكافىء فاعل الخير . إن الرسول فى هذا الموقف يقول « فاخضعوا » ولكنه لا يقول «أطيعوا» . فالطاعة لا يمكن أن تكون إلا للرب الذى دخلوا معه فى عهد الطاعة ، أما للملك البشرى فله الإكرام والخضوع ، ولكن طالما هو يؤدى الخدمة التى وضعها الله له . ولكن إذا ما حاد الحكام عن الطريق الصحيح ، وإذا ما أصبحت طريقتهم تتناقض مع الطريق الإلهية ، وإذا ما صارت أوامره تقود إلى ما لا يمجد الله . . عندئذ يقول الرسول بطرس مع سائر الرسل « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » ( أعمال ٥ : ٢٩ ) .

#### ٤ – شعب الطاعة فى البلوى المحرقة :

الأمر الملاحظ هو أن الرسالة تبدأ من ٣ : ١٣ فى اتجاه آخر تسيطر عليه روح التحذير من آلام كثيرة واضطهادات ، ومن يقارن العددين ٣ : ١٣ و ١٤ يجد تغيراً واضحاً فهو يقول فى ٣ : ١٣ « فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير » كأنه يقول إن القانون والحكام المعينين من قبل الدولة الرومانية تحميكم إذا كنتم تفعلون الخير . ولكنه عندئذ يقول « ولكن وإن تألمتم من أجل البر فطوباكم » ( ٣ : ١٤ ) فهل كان الرسول يلمح أن هناك شراً يتطاير فى الجو ، وأن المؤمنين سوف يتألمون أيضاً ، لا من أجل الشر بل من أجل الخير الذى يعملونه ؟ ومن المفهوم هنا أن هذا الخير ليس هو مجموعة من الأعمال الطيبة ، ولكنه يتمثل فى كون الإنسان مؤمناً ومسيحياً . ولكن حتى ولو حدث ذلك فإنه يقول للمسيحى « وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا بل قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من

يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف » ( ٣ : ١٤ و ١٥ ) . إن كان الاضطهاد من أجل البر فالمسيحى الذى قطع عهداً من الله بدم المسيح ، عهد الطاعة ، فإنه يقدس الله بطاعة كاملة له رغم كل من يحاول أن يستجوبهم من الناس أو الحكام عن سبب إيمانهم بالمسيح . إن طاعتهم للعهد تعطيهم القوة للوقوف فى وجه كل مضايقة . ( ٣ : ١٥ ) .

هذه الشجاعة تأتى من الرجاء فى الله ، وأن هذه الضيقات والمساءلة ليست هى النهاية فى كل شئ . إن الله وحكم الله نفسه سوف يقف وراء كل عمل ، وهو الذى يستطيع أن ينهى الأمور لشعبه . فالذين يشتمون سيرتهم الصالحة من أجل مسيحيتهم ، والذين يجرونهم إلى المحاكم لا لسبب إلا لأنهم للمسيح ، سوف يقابلون هم أنفسهم تلك المحاكمة الشديدة أمام الديان العادل الذى لا يخدع بشهود زور كما خدعوا هم كحكام الأرض ، إن الله سوف يحاكمهم ويخزيهم ( ٣ : ١٦ ) . أما أولئك الذين يفتحون عيونهم على ما فى المسيحيين من خير وبر ، فالله سوف يكافئهم « وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكى تكونوا فيما يفترون عليكم كفاعلى شر يمجدون الله فى يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التى يلاحظونها » ( ٢ : ١٢ ) .

وفى هذا الموقف يضع الرسول أمامهم السيد نفسه مثالا لهم : إنه تألم من أجل الخطايا ، تألم البار من أجل الأثمة وبواسطتهم . أماتوه جسدياً ، ولكن الله لم يتركه هكذا بل أقامه أمام الجميع ورفعه وأعطاه اسماً فوق كل اسم ( ٣ : ١٨ ) . وهكذا كما تألم المسيح بالجسد لنأخذه مثالا لنا ( ٤ : ١ ) .

وهنا يذكر الرسول بعض الآيات الغامضة الصعبة ٣ : ١٩ و ٢٠ ) . ويلوح أن الرسول بطرس كان يعتقد — كما كان ذلك موجوداً فى اليهودية ، أن سبب خطية الناس فى العهد القديم هو الأرواح الشريرة بانين عقيدتهم

هذه على ما ورد فى تكوين ٦ : ١ – ٤ . هؤلاء الذين عصوا ودفعوا الناس إلى العصيان لم يتركهم السيد بل كرز لهم أيضاً لعلهم يرجعون ( ٢ بطرس ٢ : ٤ ، يهوذا ٦ ) . ولكن كما خلص نوح وأسرته فى وسط الهلاك العظيم هكذا يخلصنا نحن من الضيقات المريرة المظلمة .

فجأة يقول الرسول « أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب » ( ٤ : ١٢ ) فهل يعنى هذا أن الرسول وهو يكتب هذه الرسالة وصله خبراً أن الاضطهاد المرير الذى أحدثه نيرون قد بدأ ؟ على كل حال من كل ما يكتبه بعد ذلك نجد أن الاضطهادات لم تكن لأجل مسيحيتهم فقط بل لأنهم فى أعمالهم الحسنة يقلقون العالم . . وأن الشيطان يفتح عينه « كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو » . . ويحثهم على أن « يقاوموه راسخين فى الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم » ( ٥ : ٨ و ٩ ) . هل يمكن أن نقول إن ١ : ١ – ٤ : ١١ كتبها الرسول وهو يعلم أن اضطهاداً آتياً ، ثم بعد ذلك كتب بقية الرسالة عندما عرف أن الاضطهاد قد بدأ ؟ هذا ما لا يمكن أن نجزم به غير أن اللغة التى أمامنا تظهر ذلك .

ففى ٣ : ١٤ يقول « إن تألمتم . . » وفى ٣ : ١٧ يقول « لأن تألمكم إن شاءت مشيئة الله . . . » أما فى ٤ : ١٤ نترجم « نحن نعرف أنكم تعيرون « إن عيرتم » ( ٤ : ١٦ ) « ولكن إن كان كمسيحى . . » أى أنه يتألم الآن كمسيحى . .

إن هذه الآلام هى فرصة لتمجيد الله . . هى فرصة لإظهار الكهنوت المقدس . . الشعب الذى يطيع الله وحده . . » .

# رسالة بطرس الرسول الثانية

هذه الرسالة الثانية التي تنسب إلى الرسول بطرس واجهت من المعارضة ما لم يواجهه أي سفر آخر في العهد الجديد، فنادراً ما يظهر دارس بروتستانتي يوافق على نسبتها للرسول . . ولكن قبل الخوض في هذه الدراسة لنبحث عن تاريخها في الكنيسة لأنه يعطى نوراً أوضح بالنسبة لهذه القضية .

تاريخ الرسالة :

لا تظهر في القرنين الأول والثانى أية آثار لاقتباسات منها في أي من كتب آباء ذلك العصر ، سوى في كتابين مرفوضين ومنسوبين أيضاً إلى الرسول بطرس وهما « أعمال بطرس » ثم « رؤيا بطرس » الأول كتب في سنة ٢٠٠ م والثاني ظهر في النصف الأول من القرن الثاني .

أما الشخص الأول الذي اقتبس منها وسماها باسمها فهو أوريجانوس المصري . . ومع ذلك أعلن أن كثيراً من المسيحيين لا يقبلونها . ولهذا فلم تقبلها كنيسة الاسكندرية ككتاب قانوني إلا حوالى سنة ٢٠٠ م . وقيل إن أكليمندس الاسكندري كتب تفسيراً لها ولكن لم يعثر له على أثر .

أما يوسابيوس فيضعها في قائمة الكتب المشكوك فيها ، ورأيه الشخصي أنها ليست من ضمن كتابات الرسول بطرس .

ورفضتها كذلك مدرسة أنطاكية والقسطنطينية ، واستمر الحال كذلك إلى سنة ٤٠٠ م ولكن ذلك كان موقفهم تجاه كل الرسائل الجامعة .

أما المدرسة الغربية فلم تعتبرها قانونية إلا حوالى سنة ٣٦٠ م . ولهذا السبب لا تظهر في قائمة الموراتورى ولا يشير إليها إيريناوس ولا ترتليان ولا كبريانوس .

من هذا كله يتضح أن تاريخها الكنسى ضعيف ولا يشجع الدارسين على قبول نسبتها إلى الرسول بطرس ، وبدلا من ذلك فإنهم يتجهون اتجاهاً قوياً إلى اعتبارها رسالة كتبها شخص غير معروف ، نسبها إلى الرسول العظيم. وكان هذا الأمر شائعاً فى ذلك العصر ولم يكن هناك من يعترض عليه ؟

**هل هناك صلة بين الرسالة والرسول بطرس :**

هناك ثلاث إجابات على هذا السؤال :

١ ــ الجواب الأول يخرج من جماعة المحافظين جداً فى البروتستانتية ومن دائرة واسعة من علماء الكنيسة الكاثوليكية ، وهؤلاء كلهم يؤكدون أن الرسول بطرس هو الذى كتب هذه الرسالة ويؤيدون رأيهم بمجموعة من الأدلة منها :

( أ ) الشهادة الخارجية ــ أى شهادة الكنيسة الأولى أنها ليست جازمة فى نفى نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس . ومن أهم هذه الشهادات شهادة أوريجانوس ( ٢٢٠ م ) التى يعلن فيها أن بعض الناس يشكون فى صحة نسبتها إلى الرسول ولكنه هو لم يؤيد ولم ينف هذا الشك ، لأنه لم يقطع برأيه .

(ب) الإشارات الشخصية التى تمتلىء بها الرسالة هى أقوى دليل على أن كاتبها هو الرسول بطرس . فنى مقدمتها يذكر الكاتب اسمه ويعتبر نفسه عبداً ليسوع المسيح ورسوله ( ١ : ١ ) . ويؤكد أنه كان حاضراً وشاهداً لمجد المسيح على جبل التجلى وقد سمع الصوت السماوى الذى جاء من السماء . ( ١ : ١٦ ) ، ثم يذكر أن هذه الرسالة هى الرسالة الثانية التى يكتبها لهم ، مشيراً بذلك إلى رسالته الأولى ( ٣ : ١ ) . وأخيراً ينسب لنفسه أرفع المراكز فى الكنيسة ــ وهو مركز الرسولية . وبهذا المنطق يتكلم عن الرسول بولس

على أنه « أخونا الحبيب » ( ٣ : ١ ) ويدافع عن رسائله ويوبخ الكثيرين الذين يسيئون فهمها .

( ح ) الفرق الشاسع بين هذه الرسالة وبين الكتب الأخرى التي نسبت إلى الرسول مثل « أعمال بطرس » و « إنجيل بطرس » و « رؤيا بطرس » وغيرها في الأسلوب والروح المسيحية والمعلومات المطابقة للأناجيل والتقليد الكنسي الأول ، مما يدل على أن كاتبها لم يكن بعيداً عن الأحداث ، ولهذا السبب وجدت قبولا ضخماً من الكنيسة حتى وإن كان قد جاء متأخراً . هذا الفرق وهذا القبول الكنسي وضمها إلى الكتب القانونية يؤيد الشهادة أن كاتبها هو الرسول بطرس .

٢ ــ أما الجواب الثاني فيجيء من الغالبية العظمى من العلماء البروتستانت وبعض من علماء الكاثوليك : ويتلخص في أن هذه الرسالة لا صلة لها بالرسول بطرس ، ولكن كاتبها شخص آخر غير معروف جاء في وقت لاحق بعد موت الرسول ، ولذلك لم يكتب اسمه عليها بل نسبها إلى نفسه ، وهذا ــ كما سبق ذكره ــ إجراء كان شائعاً في تلك العصور ولم تكن هناك غضاضة عليه . ويبني هؤلاء العلماء رأيهم على الشواهد التالية :

( أ ) الإشارات المتعددة التي يذكر فيها الكاتب أنه هو سمعان بطرس ويعدد بعض الحوادث التي حدثت في حياة الرسول ، ليست شهادة لصحة نسب الرسالة إلى الرسول بطرس بل على العكس من ذلك دليل قوى على أن كاتبها شخص آخر جاء متأخراً عن عصر الرسول ونسب هذه الرسالة إليه . إنه يحاول جاهداً ، عن طريق ذكر هذه الإشارات ، أن يدفع القارئ إلى تصديق زعمه هذا . ولم يكن هذا الكاتب وحيداً في ذلك بل كانت تلك هي العادة المتبعة عندما يكتب آخر كتاباً وينسبه إلى شخص عظيم سبقه في الوقت.

(ب) هناك سبب آخر يبنون عليه رفضهم نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس وهو صلة هذه الرسالة برسالة يهوذا . فمن يقرأ هذه الرسالة يجدها تحتوى على غالبية رسالة يهوذا ، خصوصاً الأصحاح الثانى . فمن بين أعداد رسالة يهوذا الخمسة والعشرين توجد ١٩ عدداً فى الأصحاح الثانى من رسالة بطرس ، بنفس الفكرة ونفس الترتيب . ومعظم الألفاظ المستخدمة . وهذا لا يقتصر على الأصحاح الثانى فقط بل يتعداه إلى الأصحاح الأول والثالث اللذين يشتركان مع رسالة يهوذا فى بعض الأفكار والعبارات . هذا كله يقطع بأن إحدى الرسالتين تعتمد كثيراً على الأخرى . فهل نظن أن يهوذا اقتطع الأصحاح الثانى من رسالة بطرس وبنى عليه رسالته هذه ، أم أن العكس هو الذى حدث ؟ أن الرأى السائد بين العلماء هو أن رسالة يهوذا كانت سابقة على رسالة بطرس الثانية وأن هذه الأخيرة احتوت على رسالة يهوذا مع بعض الحقائق الأخرى التى تعتبر أساسية فى رسالة بطرس ، فقد كتبت أصلا لكى تعالج الرفض والارتباك الذى اتصل بمجئ الرب الثانى وتأخيره إلى ذلك الوقت ، فمداها إذن أوسع من رسالة يهوذا مما يرجح أنها كتبت بعدها ، فليس من المعقول أن يأخذ يهوذا الأصحاح الثانى ويقتطعه من رسالة بطرس الثانية ويعمل منه رسالة قائمة بذاتها . . وعلى هذا فلا مفر من الاعتقاد بأن رسالة بطرس الثانية كتبت فى عصر متأخر عن العصر الذى استشهد فيه الرسول بطرس ولا يمكن نسبتها إليه .

( حـ ) أما السبب الثالث لرفض نسبة الرسالة إلى الرسول بطرس فهو موضوع الرسالة نفسه . سبق أن ذكرنا أن هذه الرسالة كتبت أساساً لتحارب الإنكار الذى أعلنه جماعة من الكنيسة ضد مجئ السيد الثانى ، ولعل ما أورده الرافضون من حديث يبين الوقت الذى يرجح أن الرسالة كتبت فيه: فهم يقولون « أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شئ باق هكذا من

بدء الخليقة » ( ٣ : ٤ ) . هذا النوع من الرفض لم يظهر فى مكان آخر فى العهد الجديد ، ولا يمكن أن يكون قد ظهر قبل خراب أورشليم سنة ٧٠ م . إذ من المحتمل جداً أن يكون خراب أورشليم وعدم مجئ المسيح فى ذلك العصر سبباً قوياً لهذا الإنكار . ولا يوجد فى الكتابات المسيحية المبكرة ما يعكس هذا الإنكار أو يحاربه سوى رسالة أكليمندس الرومانى ، ويذكر عبارة قد تكون اقتباساً من هذه الرسالة أو قد يكون ترديداً لقول شائع يذكره الاثنان دون أن يقتبس أحدهما من الآخر . تقول رسالة أكليمندس « لقد سمعنا هذا حتى من أيام آبائنا وها نحن قد تقدمنا فى الأيام ولكن شيئاً من هذا لم يحدث » . والمقصود بالآباء سواء فى هذه الرسالة أو فى رسالة بطرس ( ٣ : ٤ ) المسيحيين من الجيل الأول ، الذين رقدوا منذ مدة طويلة . وهنا يلاحظ أن التلاميذ لم يطلق عليهم لقب الآباء إلا بعد مدة طويلة من انتقالهم . وهكذا يرى الدارس إنكاراً واضحاً للمجئ الثانى نظراً لمرور وقت طويل دون أن يحدث شئ . هذا بينما يظهر فى الرسالة الأولى نوع من الانتظار والتطلع إلى هذا الحادث المرتقب دون أن يخطر على بال أحد من الكنيسة هذا الإنكار الواضح الذى يظهر فى الرسالة الثانية ، وهنا يحق التساؤل : هل يعقل أن يحدث هذا التغيير الجذرى ، من الانتظار الواثق إلى الإنكار الشديد فى مدة وجيزة كهذه ، التى تفصل بين كتابة الرسالة الأولى (٦٤ م) وبين استشهاد الرسول بطرس . هذا يدل على أن هذه الرسالة كتبت متأخراً عن ذلك الوقت .

( د ) هناك سبب رابع وهو الاختلاف الكبير بين رسالتى بطرس الأولى والثانية ، مما يقطع أن كاتب الاثنتين ليس واحداً . ومن هذه الاختلافات نذكر الآتى :

١ ـ اختلاف الكلمات : كلمات الرسالة الأولى ٤٦٩ كلمة أما الرسالة الثانية فكلماتها ٣٣٠ ولكن لا تشترك الرسالتان إلا فى ١٠٠ كلمة أي أقل من سبع عدد الكلمات . وإلى جانب ذلك فالرسالتان كثيراً ما تعبران عن المعنى الواحد بكلمتين مختلفتين : فمثلا كلمة الشاهد ( ١ بطرس ٥ : ١ ) وكلمة يعاين ( ٢ بطرس ١ : ١٦ ) يعنيان شيئاً واحداً مع اختلاف الكلمتين ، وكذلك كلمة عبرة أو مثال ( ١ بطرس ٢ : ٢١ ، ٢ بطرس ٢ : ٦ ) وغير ذلك ( ومن الأمور الطيبة أن الترجمة العربية تضع لكل كلمة ترجمة مختلفة كما فى الأصل ) .

والرسالتان تختلفان أيضاً فى عدد الاقتباسات من العهد القديم . فبينما تقتبس الرسالة الأولى ٣١ اقتباساً ، لا يظهر فى الرسالة الثانية سوى ٥ اقتباسات والعجيب أن الفلك يظهر فى الرسالتين ولكن فى معنيين مختلفين : ففى الرسالة الأولى يرمز إلى المعمودية ( ١ بطرس ٣ : ٢١ و ٢٢ ) أما فى الثانية فيعنى الطوفان والموت ( ٢ بطرس ٢ : ٥ ، ٣ : ٥ ـ ٧ ) ، وتختلف الرسالتان أيضاً فى العمق اللاهوتى وخصوصاً فيما يختص بعقيدة المسيح . فالرسالة الأولى أكثر عمقاً من الثانية ، فبينما تقدمه هذه الأخيرة كموضوع الإيمان فقط ، تقدمه الرسالة الأولى مثلا للحياة المسيحية بكيفية يصبح معها المركز الحقيقى لهذه الرسالة والعنصر الحقيقى الذى يربطها من الأول إلى الآخر .

أما الاختلاف الهام بين الرسالتين فيتمثل فى موقف كل منهما من المجئ الثانى للمسيح : وهذا يظهر فى استخدام لفظين مختلفين لتعبران عن نفس الحقيقة ، فالأولى تستخدم كلمة « استعلان » A Poka Lupsis ( ١ : ٧ و ١٣ ، ٤ : ١٣ ) . أما الثانية فتستخدم كلمة « مجئ » Parousia ( ٢ بطرس ١ : ١٦ ، ٣ : ٤ و ١٢ ) . وكذلك فى نظرتهما إلى تحقيق هذا الحادث ، ففى

الرسالة الأولى ترقب للمجئ بين ساعة وأخرى ( ١ بطرس ٤ : ٧ و ١٧ ، ٥ : ٤ ) أما الثانية فتهاجم موقف الإنكار المتفشي بين جماعات كنسية لأن المجئ قد تأخر ، وتعزو هذا التأخير إلى طول أناة الله (٢ بطرس ٣ : ٨ و ٩) ؛ وأخيراً تختلف الرسالتان فى تفسير معنى المجئ الثانى ، فبينما تراه الأولى مجئ الدينونة والمجازاة ( ١ بطرس ٤ : ٥ و ١٧ ) ، فيه يهب الرب للمؤمنين فرحاً أبدياً ومجيداً ( ١ : ٧ – ٩ ، ٤ : ١٣ ، ٥ : ٤ و ١٠ ) ، تراه الرسالة الثانية حدثاً عالمياً تصاحبه كارثة كونية تحترق فيه العناصر وتنحل وتذوب ، وهذه فكرة لا مثيل لها فى التفكير المسيحى الأول (٢ بطرس٣: ٧، ١٠–١٤).

هذه هى أهم الاختلافات التى تظهر بين الرسالتين وهى التى دفعت بالكثيرين من العلماء أن ينكروا وحدة المؤلف لهما لأن وراء كل منهما – كما يقولون – عقلية تختلف عن الأخرى . أما جيروم فإنه يقبل هذه الاختلافات ولكنه يرى أساسها ليس فى اختلاف المؤلف بل فى اختلاف القراء .

( ه ) الدليل الأخير على التردد فى قبول نسبة هذه الرسالة إلى بطرس الرسول هو إشارتها إلى رسائل « الأخ الحبيب بولس » فى معرض إشارة الكاتب إلى المجئ الثانى . وهذا الأمر يدل على أن هذا الكاتب كان يعرف مجموعة هذه الرسائل التى لم تظهر معاً إلا فى وقت متأخر من القرن الأول ، وهذا دليل على أن الرسول بطرس لم يكن حاضراً وقت كتابة هذه الرسالة ، لأنه كان قد رقد قبل ذلك بوقت طويل .

بناء على هذه الشواهد القوية اتجه رأى قوى جداً فى المسيحية إلى اعتبار الرسالة الثانية ، المنسوبة إلى الرسول بطرس رسالة كتبها شخص آخر ونسبها إلى الرسول حتى يمكن قبولها فى الكنيسة كلها ، ولم يكن ذلك التصرف معيباً فى عصره .

٣ — وهناك جواب ثالث يقف بين الاثنين السابقين ، لجماعة لا تريد أن تستهين بما هو موجود فى الرسالة من شهادة قوية وتصريحات لا يمكن أن تؤخذ بأى حذر على أن كاتبها هو الرسول بطرس وفى نفس الوقت تعترف بوجاهة الاعتراضات التى توجه إلى هذه الرسالة ، كما سبق ذكر كل ذلك ، فاعتبرت أن كاتب هذه الرسالة شخص آخر غير الرسول بطرس . لكنها بنيت على أقوال الرسول. وغالباً كان الكاتب تلميذاً له سمعه وتعلم منه ، مثله فى ذلك مثل مرقس الإنجيلى ، وكتب هذه الرسالة مستخدماً تعاليم الرسول ووصيته وذلك بعد أن استشهد الرسول بوقت كاف يفسر ما فى الرسالة من شواهد تدل على تأخر وقت كتابتها . هذا الرأى لا يتمسك به الكثيرون لأنه يتفق والرأى الثانى وهو أن كاتبها نسبها إلى الرسول .

هذه هى الآراء الثلاثة بالنسبة لصلة الرسالة إلى الرسول بطرس .

**مكان وزمان الكتابة :**

يتوقف الجزم فى هذين الأمرين على موقف الدارس من شخصية المؤلف ، فإذا كان يتمسك بالرأى الأول وهو أن كاتب الرسالة هو الرسول بطرس ، فيكون من السهل تحديد مكان كتابة الرسالة وهو روما ، وزمانها قبل استشهاده بوقت قصير ( ١ : ١٤ ) .

أما إذا كان يعتقد بأن الكاتب شخص آخر ، سواء أكان تلميذاً مباشراً للرسول أو لم يكن ، فمن الصعوبة بمكان تحديد الزمان والمكان حيث كتبت هذه الرسالة . ويعتقد بعض علماء الكاثوليك أنها كتبت سنة ٨٠ م لأن إنكار المجئ الثانى لم يظهر إلا بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م . أما علماء البروتستانت فإنهم يبنون تكهناتهم على جمع رسائل الرسول بولس وعلى تقنين أسفار

الكتاب المقدس وعلى صفة الجماعة التى تحاربها الرسالة ، ويعطون تاريخاً يتراوح ما بين ١٢٠ – ١٨٠ م وهذا أمر مبالغ فيه جداً .

**مضمون الرسالة :**

ما هى رسالة هذه الرسالة ؟ وما هو مضمونها ؟ وماذا يريد أن يقول كاتبها ؟

( أ ) هذه الرسالة هى رسالة وداع ، فيها يعلن الكاتب قرب نهاية حياته الأرضية فيقول « عالماً أن خلع مسكنى قريب كما أعلن لى ربنا يسوع المسيح أيضاً ( ١ : ٤ ) . ولهذا فهى شهادة الرسول الأخيرة . وبهذه الكيفية فهى إحدى أنموذج خاص من الخطابات أو الرسائل يظهر كثيراً فى الكتاب المقدس : ولعل أهم خطاب وداع ذكره العهد الجديد هو خطاب السيد لتلاميذه قبل ساعات من صلبه كما يظهر فى إنجيل يوحنا ( يوحنا ١٤ – ١٦ ) . وهناك أيضاً خطاب الرسول بولس لشيوخ كنيسة أفسس ( أعمال ٢٠ : ١٧ – ٣٥ ) وكذلك رسالته الثانية إلى تيموثاوس . والعهد القديم يحتوى أيضاً على الكثير من هذه الخطابات : كخطاب يعقوب أبى الأسباط لأولاده ( تكوين ٤٩ ) ، وخطاب موسى النهائى عندما دنت اللحظة الأخيرة ( تثنية ٣١ – ٣٣ ) وغير ذلك كثير ، هذا النموذج من الكتابات أو الخطابات يتميز بعدة مواصفات تجعل منها أسلوباً خاصاً موحداً سواء أكان كتابة أو كلاماً . فهى تتكون عادة من أربعة عناصر : الإنباء عن الموت أو الفراق القريب الذى يعرفه الكاتب عن طريق إعلان سماوى أو شواهد قاطعة يراها أمامه .

(ب) يذكر الشخص المودع بعضاً من الحوادث والذكريات الماضية. تربط بينه وبين من يودعهم .

(حـ) نبوة عما سيحدث فى المستقبل ، وغالباً ما يتنبأ عن أيام صعبة قريبة المجئ وضلالات ضد إيمانهم ومعتقداتهم .

( د ) حث السامعين أو المكتوب إليهم أن يثبتوا فى الإيمان وأن يعيشوا حياة تليق بدعوتهم .

هذه العناصر الأربعة نجدها فى هذه الرسالة . فهى تذكر أن الرسول يتنبأ بموته كما أعلن له السيد ( ١ : ١٣ — ١٥ ) . وهو يذكر الأيام السالفة التى فيها كان مع السيد ورأى مجده ( ١ : ١٦ — ١٨ ) . ثم تنبأ بالأيام الصعبة القاسية ودخول الضلالات والمضلين (ص ٢ ، ٣ : ٣ — ٧ ) . وأخيراً حث المكتوب إليهم أن يعيشوا بالإخلاص وفى الفضيلة (١ : ١— ١٢ ، ٣ : ١١ — ١٨ ) . سواء أكان الكاتب هو الرسول بطرس أم أنها شهادة الرسول جمعها واحد أو مجموعة من تلاميذه الذين سمعوها منه ودونوها بعد موته ، لكنها هى شهادة حقيقية لواحد له سلطان رسولى يهتم بالرعية وبالكنيسة فى حياته فيقول « ولكنى أحسبه حقاً ما دمت فى هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة » ( ١ : ١٣ ). وليس ذلك فقط بل حتى بعد فراقه لهم سيكون قد عمل عملا يساعدهم على الثبات وتذكر هذه الأمور فيقول « فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجى تتذكرون كل حين بهذه الأمور » ( ١ : ١٥ ) . ويقول بعض الدارسين إن الإشارة هنا بالأخص إلى إنجيل مرقس ، كان الرسول يقول لهم إنه سيرى أن هذه الأمور كلها ستوضع لهم مكتوبة لكى يتذكرها على الدوام ، فهو بعد ذلك يذكر بعض الحوادث فى حياة المسيح المجيدة على الأرض .

٢ — يقول السيد فى إنجيل لوقا « وكما كان فى أيام نوح كذلك يكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان . . . كذلك أيضاً كما كان فى أيام لوط . . » ( لوقا ١٧ : ٢٦ — ٢٨ ) . هذان الشاهدان نوح ولوط يظهران فى الرسالة فى

الإصحاح الثانى ( ٢ : ٥ — ٨ ) ثم يردف ذلك بقوله « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين » ( ٢ : ٩ ) . فهل كان قصد الكاتب أن يذكر العالم بالعناية والتدبير الفائق للذين يصنعون البر والذين يؤمنون ، ثم بدينونته القاسية على هؤلاء الفجار والعالم الشرير الذى يعيش فيه هؤلاء القديسون متألمين من كثرة ما يرون ويسمعون من الفساد . هذا ما يظهر فى هذه الأعداد وغالباً ما كان يضعه الكاتب أمام القديسين فى عصره .

ولكن المتأمل فى الرسالة كلها يرى فيها نوعاً من التفسير اللاهوتى للتاريخ الذى يسير لا بحسب أهواء الناس وصراعاتهم بل بحسب تدبير عناية كبرى وراءه . ولذلك يقسم الكاتب الناس إلى قسمين متمايزين : جماعة هم لله ، وجماعة الأشرار الذين يعيشون فى العصيان والشر . ومع أن الجماعتين تعيشان معاً فى عالم واحد ، وتحت ظروف واحدة لكن الاثنتين تختلفان اختلافاً كلياً . فالذين هم لله يميزهم بأمرين هامين : الأول سلبى ، فيقول عنهم « هاربين من الفساد » ( ١ : ٤ ، ٢ : ١٨ و ٢٠ ) . والأمر الثانى إيجابى فقد « وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية . . . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » ( ١ : ٤ و ١١ ، أنظر ٣ : ١٣ ) . هؤلاء هم القديسون وفى مقابلهم يقف أولئك الضالون المضلون الذين يتكلم عنهم بشدة فى الأصحاحين الثانى والثالث .

وبحسب تفسير الكاتب أيضاً ينقسم التاريخ إلى ثلاثة أقسام : ما قبل نوح ويسميه « العالم القديم » ( ٢ : ٥ ، ٣ : ٦ ) ثم من بعد نوح إلى مجئ المسيح الثانى ويسميه « السموات والأرض الكائنة الآن » ( ٣ : ٧ ) ، ثم ما بعد المجئ الثانى ويسميه « الملكوت الأبدى » أو السموات الجديدة والأرض

الجديدة التى يسكن فيها البر » ( ١ : ١١ ، ٣ : ١٣ ) . وفى هذا المجال فهو يسمى نوحاً « نوحاً الثامن » (٢ : ٥) . والثامن معناه ، فى المفهوم اليهودى وكذلك المسيحيين الأوائل ، بدء حياة جديدة ، فالسبعة هى عدد الكمال ، والثامن بدء شئ جديد . وبهذا المعنى كان يوم الأحد فى المفهوم المسيحى هو يوم ابتداء الخليقة الجديدة إذ يتبع اليوم السابع أى يوم السبت . وهكذا كان نوح بداءة لعهد جديد . وكما كان نوح ينتظر يوم الخلاص من وسط عالم شرير وفاسق ، هكذا أيضاً المسيحيون الذين يعيشون فى « السموات والأرض الكائنة الآن » ينتظرون الخلاص من هذا العالم الذى هربوا منه فى يوم يشابه يوم نوح عندما أهلك الله العالم ، ولكن فى هذه المرة ليس بالطوفان بل بالنار كما فعل أيام لوط . إنه يوم يطلق عليه « يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها » (٣ : ١٢ أنظر ٣ : ٧) .

٣ ـ ولقد لاحظ الدارسون غرابة هذا التقسيم ، فإن الكاتب يقسم التاريخ على أساس تغييرات جذرية ملحوظة وملموسة فى العالم مثل غرقه بالطوفان فى أيام نوح ، ثم انحلال العناصر محترقة فى مجئ المسيح الثانى . بينما يقسم المسيحيون التاريخ على أساس التغييرات الروحية التى يعرفونها بالإيمان : فالعهد الجديد يرى التاريخ يتركز فى نقطة حاسمة هى الفيصل النهائى فيه وهى التجسد كما يسميه الرسول بولس « ملء الزمان » ( غلاطية ٤ : ٤ ) . أما هنا فالأمر يختلف . فلماذا ؟ السبب الأساسى الذى جعل الرسول يفعل ذلك هو المواجهة مع جماعة لا يعترفون إلا بالمظاهر الخارجية . والشئ المعروف هو أن الذين بدأوا المواجهة كانوا اليهود الذين كانوا يعيرون المسيحيين والذين كانوا يدعون أن لهم « المواعيد العظمى والثمينة» . إنه لا يوجد أى تغير ملموس

فى العالم « لأنه من حين رقد الآباء فكل شئ باق هكذا من بدء الخليقة » ( ٣ : ٤ ) . إن المسيا — على زعم اليهود — لا بد وأن يعمل تغييرات هائلة وجذرية فى العالم ، ففى عهده سيسكن الذئب مع الحمل ، بل وسوف تنبت الصحراء وتزهر ، فماذا فعل يسوع الناصرى ، الذى يزعم أتباعه أنه المسيا ؟ لم يفعل شيئاً فالحالة كما هى من أيام إبرهيم وإسحق ويعقوب . .

على أن المواجهة — بمرور الأيام — تغير رجالها فأصبحوا من داخل الكنيسة نفسها لا من خارجها ، وبدلا من أن يتخذوا مجئ السيد فى الجسد هدفاً لهجومهم اتخذوا وعده بالمجئ الثانى هدفاً لذلك الهجوم . ويقولون إن الكنيسة منذ بدء ظهورها كانت تنتظر المجئ السريع للسيد ، ولكن أين هو موعد مجيئه ؟ منذ أن رقد الجيل الأول فى الكنيسة كل شئ باق كما هو ، الطبيعة لم تتغير والتاريخ لم ينته . . والمسيح لم يأت ولن يحدث شئ .

هذه المواجهة باقية أيضاً إلى الآن . . إنها تفرض فى وجه المؤمنين الذين يتمسكون بمواعيد الرب الثمينة الذين ينتظرون سماء جديدة وأرضاً جديدة . . ولكن أين هى ؟ إن كل شئ باق كما هو من يوم أن بدأت الخليقة . . فماذا حدث ؟ . . أين الله ؟ إن هذه الرسالة تكلم كل عصر وكل جيل .

٤ — ولكن الرسالة لا تترك العصر الحاضر بدون آية أو علامة ، فهناك العلامة العظمى التى رآها الرسول بعينه وهى حادثة التجلى . هذه الحادثة هى البرهان الأعظم على « أننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء إذ كنا معه فى الجبل

المقدس » ( ١ : ١٦ – ١٨ ) . فى هذه الحادثة يرى يسوع يملك ويتوج بالمجد والبهاء فتحقق القول الوارد فى مزمور ٢ وخاصة قوله « أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى » ( مزمور ٢ : ٦ ) . وهذا هو السبب الذى من أجله يصف الرسول جبل التجلى « بالجبل المقدس » لأن عليه توج المسيح . وحادثة التجلى أيضاً تعطى العربون والإشارة الواضحة إلى معنى امتيازات المؤمنين فى « القدرة الإلهية » ( ١ : ٣ ) . والمشاركة فى الطبيعة الإلهية ( ١ : ٤ ) وفى الدخول فى الملكوت الأبدى ( ١ : ١١ ) .

هذه الحادثة لا تقنع أولئك الناكرين المتحدين ، وهذا أمر ليس بغريب لأنهم لم يصدقوا لا نوح ولا لوط إلى أن جاءهم الهلاك . ولكن لها تأثير آخر مع المؤمنين : فالرسول يحث المؤمنين لأجل هذه المواعيد العظمى والثمينة التى جسمتها لهم وجعلتها فى موضع اليقين حادثة تجلى السيد ، أن يبذلوا « كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة وفى المعرفة تعففاً وفى التعفف صبراً وفى الصبر تقوى وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة » ( ١ : ٥ – ٧ ) . هذه القائمة التى تتوج بالمحبة هى الحياة التى تليق بالدعوة الإلهية للمؤمنين . وهذه أيضاً شهادة الرسول بطرس التى ينبر عليها ويذكرهم مراراً وتكراراً بهذه الأمور ( ١ : ٨ و ٩ – ١٢ و ١٥ ) .

٥ – بقى هناك سؤال واحد يجابه الدارس فى هذه الرسالة وهو : هل يمكن أن تحدد شخصية هؤلاء المنكرين الذين يصفهم الرسول بأشد الأوصاف فى الأصحاح الثانى والثالث ؟ للإجابة على هذا السؤال يجب أن تحدد خطاياهم وأعمالهم الشريرة ، وهذه يمكن تلخيصها فى الأمور التالية :

( أ ) المعلمون الكذبة ينادون بالإباحية وهم أنفسهم إباحيون ( ٢ بطرس ٢ : ٢ و ١٣ و ١٤ و ١٩ ) .

(ب) إنهم مدعون مملؤون بالكبرياء يظنون أنهم يستطيعون أن يفعلوا شيئاً ( ٢ بطرس ٢ : ١٨ ) .

( حـ ) إنهم طماعون يجرون وراء المكاسب ( ٢ : ١٤ و ١٥ ) .

( د ) يجدفون على ذوى الأمجاد والملائكة ( ٢ : ١٠ و ١١ ) .

( هـ ) قد وضعوا للهلاك ( ٢ : ١ و ٣ : ٩ و ١٢ ) .

هنا يتضح أن مشكلتهم الكبرى هي مشكلة أخلاقية ولم يتضح فيها أى أمر عقائدى إلا إنكار مجئ الرب يسوع المسيح ورفضهم لهذه العقيدة . أما ما بقى من شرهم فهو سلوكى وحياة دنسة ومنجسة ومتكبرة ، ولقد حاول كثير من العلماء أن يحددوا هوية هذه الهرطقة الأخلاقية وظن كثير من العلماء أنهم أتباع سيمون الساحر الذى وجده بطرس فى السامرة ووبخه بشدة لأنه أراد أن يشترى الموهبة بدراهم ، وقد وبخه الرسول بطرس توبيخاً شديداً وقيل إنه ضل فى حياة شريرة مع أتباعه .

على كل حال هم جماعة شريرة تستمر فى شرها إلى أن يفاجئهم مجئ الرب الذى أنكروه وسوف يأتى عليهم الهلاك بغتة .

هذه هى شهادة الرسول بطرس ومن يدرى هل كتبها هو أو كتبها شخص كان تلميذاً له ؟ سواء أكان هذا أم ذاك فإن هذه هى شهادة بطرس الرسول .

## رسالة يهوذا

هذه الرسالة الصغيرة لها موقف مع الكنيسة الأولى أقوى من رسالة بطرس الرسول الثانية . ففى سنة ٢٠٠ م كانت واحداً من الكتب القانونية فى العهد الجديد . فقد قبلتها الكنيسة الغربية ولذلك ظهرت فى قائمة الموراتورى

ومن الآباء ترتليان . ثم قبلتها مدرسة الاسكندرية أكليمندس وأوريجانوس وإلى جانب ذلك فقد قبلها كيرلس الأورشليمي ويوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير ، ووضعت في الكتب القانونية . ومع ذلك فقد شهد علماء الاسكندرية ويوسابيوس أن هناك دوائر كنسية وضعت هذه الرسالة في قائمة الكتب المشكوك في صحتها ، ولعلهم يقصدون بذلك علماء كنيسة أنطاكية الذين لم يقبلوا أربعة رسائل صغيرة ( يهوذا ، يوحنا الثانية والثالثة وبطرس الثانية ) وجعلوها في قائمة المشكوك فيها حتى سنة ٤٠٠ م حين قبلتها الكنيسة العامة .

**مؤلف الرسالة :**

يذكر المؤلف عن نفسه أنه «يهوذا عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب»(١). وهو يبني سلطته على أنه أخو يعقوب ، فلا بد أن يعقوب هذا كان شخصاً صاحب مركز سام في الكنيسة ، وغالباً هو يعقوب أخو الرب وأسقف أورشليم وأحد الأعمدة العظمى في الكنيسة ( غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٧ ) ، وبذلك يكون يهوذا أيضاً أخاً للرب في الجسد . أما لقبه الأول « عبد يسوع المسيح » فيشير إلى أن يهوذا لم يكن يحسب نفسه واحداً من الرسل الأوائل ، ويؤيد ذلك قوله « وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التي قالها سابقاً رسل ربنا يسوع المسيح » ( ع ١٧ ) . ولقد ذكر اسم يهوذا على أنه واحد من إخوة الرب في مرقس ٦ : ٣ . ولكن الكاتب لم يحاول أن يستثمر هذا الشرف العظيم لنفسه بل اكتفى بقوله إنه « عبد يسوع المسيح » .

ولعل ما يؤكد أنه هو يهوذا أخو الرب وأن الرسالة هي حقاً رسالته وليست رسالة شخص آخر كتبها في زمن متأخر ووضع عليها اسم يهوذا ، هو أن الكاتب لم يذكر صلة النسب بالرب هذه ، ولم يحاول أن يستغل بعضاً

من الحوادث لكى يعطى للقراء الانطباع الجاد بأنه يهوذا أخو الرب . زد على ذلك أن الكاتب الذى يريد أن يجعل لكتابه شهرة واسعة كان لا بد له وأن يختار اسماً معروفاً له رنة عالية فى الكنيسة مما لا نجده فى اسم يهوذا الذى يعرف نفسه بأنه أخو يعقوب .

ومع ذلك فقد أنكر كثير من العلماء نسبة هذه الرسالة ليهوذا أخى يعقوب بزعم أنها تعكس جواً وزمناً لا يتفق والزمن الذى عاش فيه يهوذا هذا . فالرسالة تحارب نوعاً من الغنوسية التى ظهرت متأخراً عن ذلك العصر الأول . ولكن هذا لا يمثل الحقيقة فالرسالة تحارب جماعة خاصة ظهرت فى الكنيسة وليست تياراً غنوسياً عاماً .

لمن كتبت الرسالة :

مقدمة الرسالة تبين أنها كتبت إلى جماعة غير محددة ، فالعبارة العامة « إلى المدعوين المقدسين فى الله الآب والمحفوظين ليسوع المسيح » ( ١ ) لاتشير إلى جماعة بعينها بل كأنها لكل المؤمنين وحتى نهاية الرسالة لا تظهر كأنها نهاية رسالة . ومع ذلك فلا يمكن أن تكون قد وجهت إلى كل الكنيسة بل إلى مجموعة من الجماعات الكنسية . ويعتقد كل العلماء تقريباً أن قراءها كانوا من المسيحيين من أصل يهودى نظراً لأن الاقتباسات جاءت من العهد القديم ومن الكتب اليهودية الغير قانونية ، هذه لا يفهمها ولا يقتبس منها إلا اليهود ، ولو وجهت إلى أمم فإنهم لا يعرفونها ولا تساعدهم على فهم مضمون الرسالة .

ولكن هناك قليل من العلماء من يعارضون هذا الرأى العام ، ويقولون إن مجموعة الخطايا التى تظهر فى الرسالة ، والموقف الذى يدينه الكاتب لا يمكن أن يكون موقف يهود ولا مسيحيين من أصل يهودى ، بل ينطبق على الأمم .

وقد اعتقد بعضهم إنه ربما وجهها إلى جماعة من يهود الشتات الذين يمكن أن يخرج منهم هؤلاء المعلمون الكذبة . على كل حال لا يستطيع الدارس أن يكون جازماً فى تحديد نوع المكتوب إليهم .

مضمون الرسالة :

يعترف الكاتب من الأول أنه غير الموضوع الذى أراد أن يكتب عنه . فهو يقول « أيها الأحباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك ، اضطررت أن أكتب إليكم واعظاً أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين ، لأنه دخل خلسة أناس قد كتب من القديم لهذه الدينونة . . » ( ٢ - ٤ ) . فمن هم هؤلاء الذين دخلوا خلسة إليهم فأجبروه على أن يغير هدف كتابته من التشجيع إلى التحذير ، ومن التعزية إلى الدينونة ؟ هذه الجماعة التى يكتب عنها ظهرت حديثاً فى الكنيسة ، لم يكونوا من البدء ولكنهم جاءوا إلى المسرح فى وقت قريب ، ولأجل ذلك اضطر أن يغير من هدف كتابته . ولكنهم لم يكونوا غرباء ، لقد كانوا من الكنيسة ويشتركون مع كل الأعضاء فى وليمة المحبة المسيحية التى كان يعقبها الاشتراك فى عشاء الرب ( ع ١٢ ) وهذا أمر له خطورته لأنهم كالمرض الذى يظهر فى الداخل . ولكن من أهم صفاتهم أنهم ضد كل ناموس ، ولا يظهرون أى نوع من الحياة المنضبطة بل هم كالحيوانات غير الناطقة يفسدون . ويصفهم الكاتب بصفات مرعبة فى نوع من الإباحية المنفلتة . ومع ذلك فلا يمكن أن يعرف الدارس نوع عقائدهم إلا إذا ترجم ( ع ٤ ) بالقول « . . وينكرون الإله الوحيد المسيطر ربنا يسوع المسيح » فإذا أضيف إليها القول « يتهاونون بالسيادة . . » ( ع ٨ ) فهذا يعنى أنهم ينكرون سلطان السيد المسيح ويفترون على كل سلطان . ولكن هذا الإنكار قد يكون إنكاراً لاهوتياً ، وقد يكون

إنكاراً عملياً يظهر فى حياتهم وفى سلوكهم ، فيعنى أنهم لا يخضعون لوصية المسيح ولا يسلكون بحسب المحبة .

وإلى جانب ذلك فإنهم يفترون على ذوى الأمجاد » ( ع ٨ ) وربما يقصد بـ «ذوى الأمجاد» الملائكة ، وقد كان لهم المركز العظيم إذ كانوا واسطة فى إعطاء الناموس ( أعمال ٧ : ٣٨ و ٥٣ ، غلاطية ٣ : ١٩ ، عبرانيين ٢ : ٢ ) . ومعنى هذا أنهم لا يهتمون ولا يقيمون وزناً لأى ناموس . هذه هى الجماعة الفاسدة . وقد ظن كثير من العلماء أن هؤلاء الجماعة قد يشخصوا بأولئك الذين يطلقون على أنفسهم «الروحانيين» الذين يرتبطون بالنظام والناموس الأبدى الذى يحكم العالم ولذلك فهم أحرار ولا يمكن أن يقيدوا أنفسهم بأى ناموس آخر ويقاومون أوامر الله ( ع ١٥ ) ويتكلمون بكلمات صعبة فاجرة ( ع ١٥ ) . والسبب فى كل إنكارهم هذا هو أنهم لا يتمتعون بعطية الروح القدس ( ع ١٩ ) . فلا يعرفون إلا الأمور الطبيعية ( ع ١٠ ) . هؤلاء قد يكونون النيقولاويين المذكورين فى ( رؤيا ٢ : ٦ و ١٤ و ١٥ و ٢٠ ) .

ولكن الرب لن يتركهم بل سوف يدينهم بكل قوة وشدة ويعاقبهم عقاباً أبدياً .

٢ — يتميز هذا الكاتب بأنه يقتبس من التقليد القديم كله من العهد القديم ومن كتب الأبوكريفا ومن كتب السيدوجرفا مثل كتاب أخنوخ ( ع ١٤ و ١٥ من أخنوخ ٦٠ : ٨ ) . أما قصة الملاك ميخائيل وإبليس فلم يرد ذكرها فى كتب معروفة وإن كان أكليمندس الإسكندرى يقول إنها جاءت فى كتاب ( صلاة موسى ) Assumption of Moses . نحن لا نعرف سواء اعتبر هذه الكتب من ضمن الكتب المقدسة ولكننا نعرف

أنه كان يحترم كل كتاب لأنه جاء من الآباء ، إنه لم يكن ينظر إلى الكتاب بصفته قانونياً ، ولكن على أنه جاء من القديم . وللقدم هيبته وصدقه عنده .

٣ ــ أما الأعداد الأخيرة فى هذه الرسالة ( ٢٠ ــ ٢٤ ) فهى تكشف لنا ماذا كان سيكتب إلى القديسين لو لم يكتب لهم هذا التحذير ويحثهم على مجابهة هؤلاء المندسين فى وسطهم ، إنه فى هذه الأعداد يكشف عن إيمان العهد الجديد ويقول لقارئيه « وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين فى الروح القدس واحفظوا أنفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحيوة الأبدية » ( ٢٠ ــ ٢١ ) هذه الكلمات تكشف عن إيجابية الكاتب ومعرفته الأساسية بالإيمان الأقدس الذى يبنى عليه المؤمنين ، وأن ما يشعر به القارئ عندما يبدأ فى قراءة الرسالة من غرابة يكون إحساساً وخيلا ، فالكاتب يكتب فى وسط أزمة خاصة يجابهها بكل شدة ، ولكن عندما يكتب للمؤمنين مشجعاً وبانياً فإنه يكتب فى مستوى العهد الجديد . . فى مستوى الرسول بولس والرسول يوحنا والرسول بطرس وغيرهم .

# المــراجع

حيث أن المراجع التى رجعنا إليها لم تذكر فى هوامش الكتاب ، فقد استحسنا أن نذكر جزءاً كبيراً من هذه المراجع مرة واحدة هنا .


The Interpreters Dictionary of the Bible, 5 Vols., Nashville, 1954.

The Interpreter's Bible, 7 Vols. of New Testament, Nashville, 1954.

Peak's Commentary on the Bible, London, 1962.

International Standard Bible, Encyclopedia, Grand Rapides, 1947.

Theological Dictionary of the Bible. Commonly known as Kittle.

The New Bible Dictionary, Inter-Varsity Press, 1976.

-G. Barker, W. Lane, J. Michaels: *The New Testament,* New York, 1969.

Barnett : *The New Testament, its Making and Meaning,* New York, 1946.

C.K. Barrett : *The New Testament Background. Selected Documents,* London, 1956.

E.F.F. Bishop : *Apostles of Palestine,* London, 1958.

F.F. Bruce : *New Testament History,* London, 1969.

E.W. Baumann : *An Introduction to the New Testament,* Philadelphia, 1961.

G. Bornkomm : *Early Christian Experience.* London, 1961.

H. Conzelmann : *A History of Primitive Christianty,* Nashville, 1978.

F.R. Grawnfield : *A Historical Approach to the New Testament,* New York, 1960.

W.D. Davies and D. Daube : *The Background of the New Testament and its Eschatology.* Cambridge, 1956.

W.D. Davies : *Christian Origins ad Judaism,* London, Darton, Longman and Todd, 1962.

W.D. Davies : *Invitation to the New Testament,* London, 1967.

C.H. Dodd : *According to the Scripture,* London, 1952.

———— : *The Apostolic Preaching and its Development,* London, 1936.

———— : *History and Gospel,* London, 1964.

F.V. Filson : *Opening the New Testament,* Philadelphia. 1952.

Donald Guthire : *New Testament Introduction,* 3 Vols.,, Chicago, 1961.

J. Dunn : *Unity and Diversity in the New Testament,* London, 1977.

T. Henshaw : *New Testament Literature,* New York, 1957.

Archibald M. Hunter : *Interpreting the New Testament,* Philadelphia, 1963.

———— : *Introducing New Testament Theology,* London, 1963.

———— : *Introducing the New Testament.* London, 1957.

J. Philip Hyatt : *The Bible in Modern Scholarship,* New York, 1965.

F.G. Kenyon : *The Text of the Greek Bible,* 3rd ed., A.W. Adams, London, 1975.

W.L. Knox : *Some Hellenistic Elements in Primitive Christianty*, London, 1944.

K.G. Kummel, *Introduction to the New Testament*, 1975.

Ralph P. Martin : *New Testament Foundations*, 2 Vols., Grand Rapids, 1978.

A.H. McNeile and C.S.C. Williams : *Introduction to the New Testament*. 1953.

Bruce M. Metzger : *The New Testament, its Background, Growth and Content*, New York, 1965.

———— : *The Text of the New Testament*, New York, 1964.

G. Milligan, *The New Testament Documents*, London, 1913.

J. Moffatt : *Introduction to the Literature of the New Testament*, 1912.

C.F.D. Moule : *The Birth of the New Testament*, London, 1962.

E.F. Scott : *The Gospel and its Tributaries*, Edinburgh. 1928.

A. Souter : *The Text and Cannon of the New Testament*, London, 1913.

Stewart Perowne, *The Life and Times of Herod the Great*, London, 1956.

V. Taylor : *The Formation of the Gospel Tradition*, New York, 1960.

———— : *The Text of the New Testament*, London, 1963.

L. Wikenhauser : *New Testament Introduction*, New York, 1958.

Zahn : *Introduction to the New Testament*, 3 Vols.. Edinburgh, 1909.

# الأناجيل الثلاثة الأولى
# وسفر الأعمال

F.F. Bruce : *The Acts of the Apostles,* 2nd ed., Grand Rapids, 1953.

Bornkomm, Barth and Held : *Tradition and Interpretation in Matthew,* London, 1963.

H. Conzelmann : *The Theology of St. Luke,* London, 1960.

W.D. Davies : *The Setting of the Sermon on the Mount,* Cambridge, 1964.

C.H. Dodd : *The Parables of the Kingdom,* London, 1961.

John Drury : *Tradition and Design in Luke's Gospel.* London, 1976.

Xavier Léon-Dufour : *The Gospels and the Jesus of History, Fountana* Library, 1976.

E.E. Ellis : *The Gospel of Luke,* London, 1974.

J. Jeremias : *The Central Message of the New Testament,* New York, 1965.

———— : *The Parables of Jesus,* London, 1954.

W. Manson : *The Gospel of Luke (M.C.),* 1930.

J. Munck : *The Acts of the Apostles,* New York, 1967.

D.E. Nincham : St. Mark. *Penguin Book,* 1963.

B.H. Streeter : *The Four Gospels,* New York, 1956.

# كتابات الرسول بولس

C.K. Barrett : *The Epistle to the Romans,* New York, Harper, 1957.

——— : *A Commentary on Paul's First Letter to the Corinthians,* New York, 1968.

F.W. Beare : *The Epistle to the Philippians,* New York, 1968.

E. Best : *A Commentary on the First and Second Epistles to the Thessalonians,* New York, 1972.

F.F. Bruce : *Paul, A Free Spirit,* Paternoster Press, 1977.

——— : 1-2 *Corinthians,* London, 1971.

H. Conzelmann : *First Corinthians,* Philadelphia, 1975.

Bornkomm : *Paul,* London, 1971.

W.D. Davies : *Paul and Rabbinic Judaism,* London, SPCK, 1948.

C.H. Dodd : *The Epistle of Paul to the Romans,* New York, 1932.

G.S. Dunkan : *The Epistle to the Galations,* 1934.

P.N. Harrisson : *The Problem of the Pastoral Epistle,* London, 1921.

A.M. Hunter : *Interpreting Paul's Gospel,* London, 19554

——— : *Paul and his Predecessors,* London, 1961.

J.N.D. Kelly's : *The Pastoral Epistles,* London. 1963.

T.W. Manson, *on Paul and John,* London, 1963.

J. Munck : *Paul and the Salvation of Mankind,* 1959.

H. Ridderbos : *The Epistles to the Churches of Galatia,* Grand Rapids, 1976.

Scott : *Paul's Epistle to the Romans,* London, 1947.

## كتابات يوحنا

C.K. Barrett : *The Gospel according to Saint John,* New York, Macmillan, 1955.

R.E. Brown : *The Gospel according to John,* Garden City, N.Y., 1966.

F.F. Bruce : *The Epistles of John,* London, 1970.

C.H. Dodd : *The Interpretation of the Fourth Gospel,* Cambridge, 1953.

———— : *Historical Tradition in the Fourth Gospel, Cambridge,* 1963.

———— : *The Johannine Epistles,* New York, 1946.

E. Hoskyns : *The Fourth Gospel* rev. ed., F.N. Davey, London, 1947.

W.F. Howard : *Christianity according to St. John,* London, 1943.

L. Morris : *Revelation,* Tyndale, 1973.

J.W.R. Stott : *The Epistles of John,* Tyndale, 1964.

B.F. Westcott : *The Gospel according to St. John,* Grand Rapids, 1950.

## العبرانيين والرسائل العامة

F.W. Beare : *First Peter,* Oxford, 1970.

E. Best : *First Peter,* London, 1971.

F.F. Bruce : *Commentary on the Epistle to the Hebrews,* Grand Rapids, 1966.

D. Guthire : *The Epistle to the Hebrew in Recent Thought,* London, 1956.

Dibelius and Greeven : *James,* Philadelphia, 1976.

T. Hewitt : *Hebrews,* Tyndale, 1975.

T.W. Manson : *The Problem of the Epistle to the Hebrews,* London, 1951.

———— : *Studies in the Gospels and Epistle,* Philadelphia, 1962.

W. Manson : *The Epistl[illegible]brews,* London, 1951.

J. Moffatt : *The Epistle to the Hebrews,* ICC. 1924.

